علم نفس الشخصية

Personality Psychology

الأستاذ الدكتور
محمد شحاته ربيع







للنشر والتوزيع والطباعة

www.massira.jo

شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه



للنشر والتوزيع والطباعة

www.massira.jo

شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه





علم نفس الشخصية

Personality Psychology

رقـــــــم التصـــــنيف : 155.2

المؤلف ومن هو في حكمه : محمد شحاتة ربيع

عنـــــوان الكـــــتاب : علم نفس الشخصية

رقـــــــم الإيــــــداع : 2012/5/1642

الـــواصـــفـــــات : سيكولوجية الشخصية / علم نفس الأفراد

بيــــانـــات النـــاشـــر : عمان - دار المسيرة للنشر والتوزيع

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى 2013م – 1434هـ



شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه

عنوان الدار

الرئيسي : عمان - العبدلي - مقابل البنك العربي هاتف : 5627049 6 962+ فاكس : 5627059 6 962+

الفرع : عمان - ساحة المسجد الحسيني - سوق البتراء هاتف : 4640950 6 962+ فاكس : 4617640 6 962+

صندوق بريد 7218 عمان - 11118 الأردن

E-mail: info@massira.jo . Website: www.massira.jo

علم نفس الشخصية

Personality Psychology

الأستاذ الدكتور
محمد شحاته ربيع



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:113]

الفهرس

القسم الثاني

نظريات الشخصية

القسم الثالث

قياس الشخصية

خطبة الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... نقدم لك أيها القارئ الكريم كتابي الجديد سيكولوجية الشخصية وهو يغطي مقرراً دراسياً تحت هذا الاسم أو نحوه.

نتحدث عن أبواب وفصول الكتاب من خلال العرض التالي:

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول محددات الشخصية، القسم الثاني نظريات الشخصية، والقسم الثالث قياس الشخصية.

- القسم الأول عنوانه الشخصية ومحدداتها ينقسم إلى أربعة فصول تتحدث عن الشخصية تعريفاً وتمهيداً، ثم المحددات البيولوجية للشخصية، ثم المحددات الاجتماعية للشخصية (التطبيع الاجتماعي)، كما يتناول المحددات الاجتماعية للشخصية (النمو الاجتماعي).
- القسم الثاني وعنوانه نظريات الشخصية ينقسم إلى خمسة أبواب:
  - الباب الأول عن التحليل النفسي يتحدث عن فرويد ويونج وأدلر وكارين هورناري وموراي وأريكسون وإيريك فروم.
  - أما الباب الثاني من هذا القسم فيتحدث عن المنحى السلوكي عارضاً المدرسة السلوكية ونظرية المثير والاستجابة وبندورا ورويتر.
  - أما المدرسة الإنسانية فنخصص لها الباب الثالث حيث يعرض لعالمين هما إبراهام ماسلو وكارول روجرز كما يعرض مختصر الفكرة الظاهراتية.
  - ويحتوي الباب الرابع وعنوانه نظريات السمات على فصلين: الفصل الأول جوردن أولبرت، والفصل الثاني ريموند كاتل.
  - أما الباب الخامس والأخير فهو يحتوي على ثلاثة فصول، ويعرض الشخصية الإسلامية ويتحدث عن الشخصية في القرآن (نموذج نجاتي) والشخصية في الحديث (نموذج نجاتي) والشخصية عند الغزالي.

- القسم الثالث وعنوانه قياس الشخصية يحتوي على ثلاثة موضوعات تتناولها ثلاث فصول:

  - الموضوع الأول الاختبارات الموضوعية للشخصية وتتحدث عن اختبار الشخصية متعدد الأوجه، واختبار كاليفورنيا للشخصية، واختبار عوامل الشخصية الـ 16، واختبار جاكسون، واختبار الفحص النفسي.
  - أما الموضوع الثاني من هذا القسم فيتناول الاختبارات الإسقاطية متحدثاً عن اختبار روز وشاخ، واختبار تفهم الموضوع، واختبار تفهم الموضوع للأطفال، واختبار رويتر لتكملة الجمل، واختبار روزنزويج لقياس الإحباط، واختبار منجز لتداعي المعاني.

  الموضوع الثالث من هذا القسم يتحدث عن الوسائل المباشرة لقياس الشخصية في فصلين: الأول المقابلة، والثاني القياس السلوكي.

وللكتاب 7 ملاحق على النحو التالي:

1. الملحق الأول: تاريخ علم النفس المرضي.
2. الملحق الثاني: الشخصية في علم النفس الهندي.
3. الملحق الثالث: مصطلحات في علم النفس باللغة الإنجليزية مترجمة إلى العربية.
4. الملحق الرابع: قائمة ببعض المواقع الهامة في تخصص علم النفس على شبكة الإنترنت.
5. الملحق الخامس: الحاسب الآلي في مجال قياس الشخصية.
6. الملحق السادس: مشروع ميثاق أخلاقي لمهنة الأخصائي النفسي.
7. الملحق السابع: قائمة بالشركات العالمية التي توزع الاختبارات النفسية.

وبالنسبة لهذا القسم الثالث فقد كتبت موضوعاته وهي الاختبارات بطريقة، حيث خصص لكل اختبار فصل مستقل ولا توجد علاقة بين هذه الفصول جميعاً سواء الاختبارات الإسقاطية أو الاختبارات الموضوعية بحيث يمكن للأستاذ القائم بالتدريس أن يختار اختبارات معينة دون غيرها، وكل اختبار مخصص له فصل وكأن هذا الفصل كراسة تعليمات مصغرة، تشتمل على تعريف بالاختبار وما الذي يقيسه هذا الاختبار ومدة نشره والأمور المتعلقة به من الناحية العلمية مثل حجم عينة التقنين والثبات والصدق وما أعد له من معايير وتفسير آراء الأفراد على الاختبار كل هذا موجود في كل فصل على حدة.

الأسلوب الذي حرر به هذا الكتاب يتميز بأنه سلس لا يشق على القارئ العادي والمادة العلمية التي جمعت في هذا الكتاب تتمثل بالسهولة والبساطة واليسر وقد جمعت من مصادر متعددة ولكنها مصادر حديثة موثوق بها ويعتمد عليها، وإنني في هذا المقام أعتذر للقارئ الكريم عن الأخطاء المطبعية التي توجد في الكتاب والتي ينتبه إليها هذا القارئ لما نعرفه عن جمهور قرائنا من ذكاء وفطنة.

ويسرني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر إلى جميع أفراد أسرتي زوجتي وأولادي الذين وفروا لي وقتاً هادئاً هم أحق الناس به لإعداد مادة هذا الكتاب.

وأشكر الأساتذة عزة الخرفة التي راجعت الكتاب من الناحية اللغوية والله نسأل أن ينفع به طلاب العلم في أنحاء الوطن العربي.

المؤلف



نصائح للأستاذ القائم بتدريس الكتاب

نشكرك أيها الأخ العزيز والزميل الفاضل حيث وجهت طلابك إلى اقتناء هذا الكتاب الذي أعده شخصي المتواضع ورغم اقتناعي التام بخبرتكم الطويلة وعلمكم الغزير إلا أنني أضع تحت أيديكم بعض الملاحظات التي أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار وهي:

1. الكتاب أسلوبه سلس لا يشق على القارئ العادي ناهيك عن طالب العلم ومع ذلك فإن المادة العلمية الواردة فيه رغم هذه البساطة جمعت من أحدث وأوثق المراجع.
2. والكتاب في القسم الأول والثاني لا يحتاج إلى خلفية كبيرة في علم النفس ويكفي أن يكون الطالب الذي يدرسها قد نجح في مقرر لعلم النفس العام أو مقدمة في علم النفس أو مدخل في علم النفس حسب المسميات معنى هذا أنه يلزمه مادة واحدة هي مبادئ علم النفس ليتمكن من فهم الكتاب بجزئيه الأول والثاني.
3. أما الجزء الثالث الخاص بالقياس فيترتب عليه أن يكون الطالب ملماً بالجانب الإحصائي ولذا يجب أن يكون قد اجتاز مقرراً باسم الإحصاء النفسي أو الإحصاء العام أو مبادئ الإحصاء أياً كانت التسميات، علماً بأن المادة العلمية الواردة في القسم الثالث من الكتاب مقسمة إلى أبواب وفصول كل فصل يعتبر كأنه كراسة تعليمات بالنسبة للاختبار الذي يتحدث عنه الفصل.
4. حررت فصول الكتاب في قسميه الثاني والثالث بطريقة تجعل كل فصل قائم بذاته غير مرتبط بالفصول الأخرى ولذلك يمكن للأستاذ القائم بالتدريس أن يختار بعض نظريات ويركز عليها ويهمل البعض الآخر أو يدرس مجموعة من الاختبارات ويهمل البعض الآخر ولكن الأفضل أن يدرس الكتاب بالكامل.
5. أما الجزء الأول وهو أصغر الأجزاء فصوله الأربعة مبنية بعضها على بعض لأنها محددات الشخصية وتعريف الشخصية فلا بد من أن تدرس فصوله الأربعة تدرس واحدة.

حبذا أيها الأخ الكريم لو كتبت تقريراً عن هذا الكتاب تحدد فيه جوانب الخطأ فيه، وجوانب الصواب فيه، وملاحظاتك العامة، وأرسلت ذلك كله بالبريد على دار النشر التي نشرت الكتاب وهي دار المسيرة – عمان، وسوف يصلني هذا التقرير بإذن الله وأنتفع به في مرات قادمة.

المؤلف

نصائح للطالب الذي يدرس هذا الكتاب

يسرني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأبنائي الطلاب لاقتنائهم هذا الكتاب وأرجو من الله ﷺ أن يحقق لهم الخير المرجو منه، ذلك أن سيكولوجية الشخصية جزء مهم من القاعدة المعلوماتية للطالب الذي يدرس علم النفس كتخصص رئيسي أو كتخصص فرعي.

وفي هذا المقام فإني أتوجه بهذه النصائح إلى أبنائي الطلاب:

1. يتطلب فهم المادة العلمية في هذا الكتاب في القسم الأول أن يكون الطالب قد اجتاز بنجاح مقرراً في مبادئ علم النفس أو أصول علم النفس أو مدخل إلى علم النفس أياً كان المسمى، وهذا الأمر نفسه في القسم الثاني، أما القسم الثالث من الكتاب وهو الجزء الخاص بقياس الشخصية فإنه يتطلب أن يكون الطالب قد اجتاز مقرراً في مبادئ الإحصاء النفسي ولغة الكتاب سهلة وبسيطة وواضحة وفيها إلحاح على الفكرة حتى تستقيم في أذهان الطلاب.
2. كل فصل من فصول الكتاب جمعت مادته العلمية فيما يسمى المتن ويوجد ملخص وافٍ في فصول القسم الأول والثاني من الكتاب، أما فصول القسم الثالث فإن تلخيصها يعتبر رؤوس أقلام فقط لا يعتمد عليها في المذاكرة.
3. من المهم أثناء مذاكرة الكتاب أو أداء الاختبارات فيه الالتزام بالأسلوب العلمي القائم على المصطلحات الفنية التخصصية حيث يلجأ بعض الطلاب إلى التعبير بأساليبهم الشخصية وهذا له أضرار وخيمة لأنه يعطي الفكر، للممتحن أو المصحح أنه لم يدرس الكتاب دراسة جيدة.
4. من الآفات التي ظهرت في التعليم الجامعي في مصر الملخصات التي تقوم دور النشر غير المرخصة بإعدادها وتوزيعها على الطلاب، وهذه الملخصات قام على إعدادها أشخاص غير مؤهلين فحذار من اللجوء إليها وإذا كان لا بد من الملخص فإن كل فصل من فصول الكتاب يعقبه ملخص.

5. بالنسبة للجزء الثاني من الكتاب وهو نظريات الشخصية فهو يتحدث عن كوكبة من العلماء وشرح نظرياتهم في الشخصية ويصعب على الطلاب في أول الأمر استيعاب الفوارق بين آراء هؤلاء العلماء ولذا فكل طالب عليه أن يكون في ذهنه خريطة معرفية للعالم مثلاً فرويد يقول بالشعور واللاشعور والهو والأنا والأنا الأعلى ويونج يقول باللاشعور الجمعي واللاشعور الفردي فلنعرف الفروق بينهما حتى لا نضل ونذاكر هذه الدروس بالذات في قسم النظريات أولاً بأول حتى لا تتراكم المادة العلمية علينا ونقع في فوضى التشابه بين آراء العلماء.

6. عند أداء الامتحان اقرأ ورقة الأسئلة جيداً وتوكل على الله ثم ابدأ في الإجابة ولا تقلق لأن الوقت يكون متسعاً للإجابة، وحاول أن تكتب بخط واضح وبقلم لونه غامق أزرق أو أسود بحيث يمكن للمصحح أن يقرأ ما كتبت.

كم نعاني نحن المصححين من مشكلات أساسها الكتابة الرديئة وهؤلاء المصححون متمرسون بقراءة الخطوط الصعبة ولكن عليك أيها الطالب التأني في الكتابة بحيث يصبح الخط واضحاً وتسهل على المصحح مهمته الشاقة.

وفقك الله في دراستك

المؤلف

القسم الأول

محددات الشخصية



الشخصية : مقدمة وتعريف



الفصل الأول

الشخصية : مقدمة وتعريف

يمكن لنا أن نعرف الشخصية بأنها مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية وكذلك ما لديه من نزعات مكتسبة.

وواضح من هذا التعريف أن شخصية الفرد هي نتاج تفاعل عاملين أو محورين الأول هو الجانب الوراثي والثاني هو الجانب البيئي.

وقد لفت موضوع الشخصية أنظار علماء النفس على مختلف توجهاتهم فحاول كل منهم أن يعرض وجهة نظره في موضوع الشخصية فظهرت العديد من النظريات التي تفسر كيفية تكوين الشخصية الإنسانية.

ونتحدث عن موضوع الشخصية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الشخصية: مقدمة

لفظ شخصية من الألفاظ الدارجة على ألسنة الناس فكثيراً ما نقول إن هذا الشخص شخصية جذابة أو شخصيته قوية أو شخصيته ضعيفة أو لا شخصية له أو أنه متلون وله شخصيات متعددة، ولشيوع اللفظ على ألسنة العامة والخاصة وفي الصحف والمجلات أصبح يبدو لنا وكأنه لفظ بسيط سهل الفهم.

ولكن إذا انتقلنا إلى مجال علم النفس فسنجد أن هذا اللفظ من أصعب الألفاظ في تحديده وتعريفه والإحاطة به، بل يمكن القول إن تعريف الشخصية مسألة افتراضية بحتة فليس هناك تعريف مقبول وتعريف خاطئ.

ومن الطريف أن نذكر أن «جوردن ألبورت» عالم الشخصية الشهير أورد في أحد كتبه أكثر من خمسين تعريفاً للشخصية وهي جميعاً تعريفات جيدة ولا غبار عليها.

ويذهب «ألبورت» الى أن لفظ شخصية في اللغة الإنجليزية وهو Personality وما يقابله في اللغات الفرنسية والألمانية يتشابه مع نفس اللفظ في اللغة اللاتينية في العصور الوسطى، أما اللغة اللاتينية القديمة فكان يستخدم لفظ Persona وهو يعني القناع وقد ارتبط

هذا اللفظ بالمسرح اليوناني القديم إذ اعتاد الممثلون في العصور القديمة على ارتداء أقنعة على وجوههم لكي تعطي انطباعاً عن الدور الذي يقومون به من جهة ومن جهة أخرى حتى لا يعرف الممثل الذي يقوم بالدور، ومن هنا أخذ لفظ الشخصية ما يتصل بالقناع الذي يختفي وراءه الشخص الحقيقي، ومع مرور الزمن أطلق لفظ «برسونا» على الممثل وعلى الأشخاص الآخرين كذلك وربما كان ذلك على أساس القول إن «الدنيا مسرح كبير، وأن الناس جميعاً ليسوا سوى ممثلين على مسرح الحياة».

ثانياً: تعريفات الشخصية

وقد أوضح «جوردن البورت» أن لفظ شخصية ورد في كتابات «شيشرون» Cicero (مفكر وفيلسوف روماني عاش في الفترة بين 106 إلى 43 ق.م) بأربعة معان هي:

1. الفرد كما يظهر للآخرين وليس كما هو عليه في الواقع واللفظ بهذا المعنى يتصل بالقناع.
2. مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة واللفظ بهذا المعنى يتصل بالممثل.
3. الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء أكان دوراً مهنياً أو اجتماعياً أو سياسياً.
4. الصفات التي تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية، وهي بهذا المعنى تشير إلى المركز الكبير الذي يحتله الفرد، مثلاً حين نتحدث عن شخص ما نصفه بأنه شخصية كبيرة.

كما اكتسب لفظ الشخصية في اللغة الدارجة معاني كثيرة مختلفة ومن المعاني الدارجة قدرة الفرد على التأثير في الآخرين وذلك على نحو ما نقول إن فلاناً شخص قوي ومؤثر على من حوله، والشخصية القوية المؤثرة تقابلها الشخصية الضعيفة المتأثرة وهكذا.

ومن التعريفات العلمية للشخصية ما يلي:

1. تعريف «مورتن برنس»

الشخصية هي مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة.

2. تعريف «كمف»

الشخصية هي أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة.

3. تعريف «فلويد البورت»

الشخصية هي استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة.

4. تعريف «واطسون»

الشخصية تتضمن الخلق والعرف والتوافقات الشخصية للفرد وقدراته وتاريخ حياته.

ويمكن بناءً على ما سبق أن ننظر إلى الشخصية كمثير، أي من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير في الآخرين وننظر كذلك إلى الشخصية كاستجابة أي من حيث السلوك الذي يستجيب به الفرد وما يقوم به من أفعال في المواقف البيئية المختلفة وبيان ذلك كما يلي:

أ. الشخصية كمثير

بمعنى أن الشخصية هي مجموع ما يحدثه الفرد من تأثير في المجتمع أو هي العادات والأفعال التي تحدث أثرها بنجاح في الآخرين وهذا النوع من التعريفات للشخصية وثيق الصلة بالمعنى الأصلي للقناع أو الغطاء الخادع، وكثيراً ما نلجأ في حياتنا اليومية إلى أن نغلف أنفسنا وذواتنا الحقيقية بغلاف خادع ونلبسها ثوباً آخر لتبدو للعالم في مظهر يتفق والجماعة، وهذا ما يمكن أن نسميه «التجمل النفسي».

ولكن إذا نظرنا إلى تعريف الشخصية كمثير فقط فإن ذلك الأمر يواجه مشكلات أهمها:

- أنه يشير إلى أجزاء معينة من نمط حياة الفرد وعلى وجه الخصوص إلى حيويته وقدرته على التعبير والتأثير في الآخرين.
- أنه ينظر إلى الجانب الظاهري السطحي في الشخصية ولا ينظر إلى تكوينها الداخلي.
- أن التطبيق الجامد لمفهوم الشخصية كمثير معناه أن الفرد قد يكون له عدد من الشخصيات المتباينة أي شخصية بالنسبة لكل فرد من الأفراد الذين يتصل بهم لأن كل واحد من هؤلاء سوف يتأثر بشخصيته تأثراً مختلفاً.

ب. الشخصية كاستجابة

تلافياً للصعوبات التي تعترض مفهوم الشخصية كمثير ظهر مفهوم الشخصية كاستجابة ومن ذلك تعريف «فلويد البورت» السابق ذكره من أن الشخصية هي استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة.

ومفهوم الشخصية كاستجابة أكثر دقة من الشخصية كمثير وذلك من حيث إمكانية دراسة وقياس الاستجابات المختلفة للفرد قياساً علمياً يتسم بالثبات والصدق والموضوعية ومع ذلك فإن مفهوم الشخصية كاستجابة يثير مشكلات منها:

- إن تعريف الشخصية على أنها استجابة معناه إعطاء تعريف عام واسع غير محدد لأن استجابات الفرد كثيرة ومتعددة بل صعبة الحصر فكيف يمكن قياسها على هذا الأساس؟
- إن سلوك الإنسان يتميز بقدر كبير من التكيفية والمرونة والمطاوعة فقد يستجيب الفرد لنفس المثير باستجابات مختلفة طبقاً لطبيعة الموقف أو الظرف الذي حدث فيه المثير.

ج. الشخصية كمكون افتراضي داخلي

وهذا النوع من التعريفات ينظر إلى الشخصية باعتبارها تنظيماً داخلياً يمكننا من تفسير مظاهر السلوكيات المختلفة فهي نوع من الوحدة الداخلية التي تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد.

ومن قبيل هذه التعريفات تعريف «وارن» بأن «الشخصية هي التنظيم العقلي الكامل للإنسان في أية مرحلة من مراحل نموه وهي تتضمن كل مظاهر شخصية الإنسان: عقله ومزاجه ومهارته وخلقه وكل اتجاه كونه خلال حياته» وكذلك تعريف «أيزنك» بأن «الشخصية هي التنظيم الأكثر أو الأقل ثباتاً واستمراراً لخلق الفرد ومزاجه وعقله وجسمه، والذي يحدد توافقه المميز للبيئة التي يعيش فيها» وهو يعني بالخلق والإرادة والمزاج الجانب الانفعالي ويعني بالعقل الذكاء ويعني بالجسم التكوين البدني والغدي والعصبي للفرد.

ومع ذلك فإن ثمة صعوبات تعترض تعريف الشخصية على أنها مكون افتراضي من أهمها:

- إن من الصعب إن لم يكن من المستحيل دراسة هذا المكون الافتراضي وقياسه بطريقة موضوعية ودقيقة.
- إن التعريف على هذا النحو -رغم أنه براق- لم يوضع في عبارات إجرائية محددة تسمح بملاحظة مظاهر الشخصية والحكم عليها.
- إن تعبير مكون افتراضي هو تعبير فلسفي يكتنفه كثير من الغموض.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نحدد الصفات المختلفة التي يجب أن يشتمل عليها المفهوم البسيط للشخصية ومن أهمها:

- الشخصية وحدة مميزة خاصة بالفرد حتى ولو كانت هناك سمات مشتركة بينه وبين غيره من الأفراد.
- الشخصية تنظيم وتكامل حتى ولو لم يتحقق هذا التكامل دائماً، فهو هدف يسعى الفرد دائماً إلى تحقيقه.
- الشخصية تتضمن فكرة الزمن فالشخصية لها تاريخ ماضٍ وحاضر راهن.
- الشخصية ليست مثيراً فقط وليست استجابة فقط ولكنها بالإضافة إلى ذلك مكون افتراضي.

ويمكن أن نتبنى بعد هذا العرض تعريف «جوردن البورت» الذي يقول: «الشخصية هي ذلك التنظيم الدينامي الذي يكمن داخل الفرد والذي ينتظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التي تملي على الفرد طابعه الخاص في السلوك والتفكير».

وتفصيل ذلك التعريف في النقاط الآتية:

- اعتبار أن الشخصية تنظيم دينامي معناه التفاعل والتأثير المتبادل بين قوى الإنسان واستعداداته ويبعد عن التعريف النظرة الدارجة التي تنظر إلى الشخصية باعتبارها مجرد مجموع أجزاء.
- إنه يعني بعبارة «النفسية الجسمية» أن الشخصية وحدة نفسية جسمية تقوم على عدم الفصل بين النفس والبدن وهذه الفكرة سادت علم النفس القديم والتي تقول: ليس الذي ينفعل هو النفس أو الجسم بل الإنسان.
- لفظ الأجهزة تعني وجود نظام مركب متكامل فالعادة نظام وكذلك المشاعر والسمات وأسلوب السلوك، وهذه الأنظمة كامنة في الكائن الحي الإنساني، كأن هذه الأنظمة إمكانيات للنشاط واستعدادات له.
- لفظة «تملي» تشير إلى الآليات الموجودة في الجهاز العصبي بوجه عام والتي تجعلنا نتصرف بردود أفعال معينة، أو استجابات خلال زمن رجع معين أو استجابات على هيئة أفعال منعكسة.

- لفظة «طابع خاص» تشير إلى فردية كل منا وتميزه عن الآخر كأن كل فرد منا مخلوق له طابعه الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره.

لفظتا السلوك والتفكير تشيران إلى السلوك الظاهر أي ما نفعله أمام الناس والتفكير الباطن وهو الحوار الذاتي الذي يدور بيننا وبين أنفسنا ويحدد سلوكياتنا الظاهرة.

ثالثاً: سمات الشخصية

نستطيع أن نعرف الشخصية تعريفاً يتفق مع التعريفات السابقة على أنها وحدة متكاملة من الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التي تبدو في التعامل الاجتماعي للفرد والتي تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً فهي تشمل دوافع الفرد وعواطفه وانفعالاته وميوله واهتماماته وسماته الخلقية وآراءه ومعتقداته أو هي بقول مختصر سمات الفرد جميعاً.

وليست الشخصية مجرد مجموعة من السمات فالإنسان وحدة نفسية جسمية اجتماعية متفاعلة متكاملة وليست السمات إلا جوانب أو مظاهر لهذه الوحدة، كأن السمات صور فوتوغرافية تؤخذ للفرد من زوايا مختلفة.

والسمة هي استعداد ثابت نسبياً لنوع معين من السلوك أي استعداد يبدو أثره في عدد كبير من المواقف المختلفة فالسيطرة استعداد أو ميل إلى الظهور والتسلط في أكثر المواقف التي تعرض للشخص المسيطر والمثابرة استعداد للاستمرار في العمل رغم صعوبته أو جفافه والسمات أنواع منها فطرية كالسمات المزاجية ومنها مكتسبة كالسمات الاجتماعية والخلقية ومنها الشعورية واللاشعورية ومنها السوية والشاذة.

ونتحدث عن أهم هذه السمات في النقاط الآتية:

1. السمات المزاجية

هي سمات تتوقف في المقام الأول على التكوين الفسيولوجي للفرد كحالة جهازية العصبي والغدي، فهناك أناس يميلون بطبعهم إلى المرح أو الاستبشار أو إلى الاكتئاب والانقباض وآخرون معرضون بفطرتهم إلى تذبذب حالاتهم الانفعالية الغالبة وسنعرف في موضع قادم تأثير الغدد الصم على الحالة النفسية والانفعالية للفرد هذه السمات المزاجية يعينها التكوين الوراثي للفرد لذا كان تغييرها أمراً عسيراً، على عكس السمات الاجتماعية والخلقية كالصدق والأمانة والتعاون فهي قابلة للتعلم والاكتساب والتعديل.

2. السمات الشعورية واللاشعورية

هناك سمات واضحة ظاهرة يشعر الفرد بوجودها ويستطيع الحكم عليها كسمات الصداقة وضبط النفس والروح الاجتماعية وتسمى بالسمات السطحية أو الشعورية وإلى جانب هذه السمات سمات بعيدة الغور لا يفطن الفرد إليها أو يدرك الصلة بينها وبين سلوكه كالرغبات والمخاوف والذكريات اللاشعورية التي لفها الكبت وطواها النسيان ومن تلك السمات اللاشعورية الأنانية الشديدة عند بعض الناس أو الغرور المبالغ فيه وغير المبرر عند غيرهم ويكون السلوك الناتج عن السمة اللاشعورية سلوكاً غريباً منبوذاً شاذاً جامداً يتسم باللامنطقية واللاعقلانية.

3. السمات العصابية

هي السمات التي تظهر نتيجة لانطلاق دافع أو عاطفة أو انفعال مكبوت، مثل انطلاق الخوف المكبوت في صورة قلق وانطلاق البغض المكبوت في صورة عدوان أو انطلاق الشعور المكبوت بالنقص في صورة غرور أو صلف أجوف زائف.

والسمات العصابية غالباً ما تكون فجة غير ناضجة أو بدائية أو سخيفة ومن هذه السمات سرعة الاهتياج الطفلي عند الكبير أو الغيرة الحمقاء أو الرثاء المسرف للذات.

ومن أبرز خصائص السمات العصابية أنها تتعارض مع السلوك العام للفرد مثل الشخص الهادئ أو البليد الذي يثور على حين فجأة ثورة عارمة دون مناسبة معقولة، أو الزوجة العاقلة التي تستبد بها غيرة حمقاء، أو الرجل الضخم الذي يخاف من الفئران أو الصراصير، أو الطفل المشاكس العنيد أثناء النهار والذي يطغى عليه أثناء الليل الشعور بالوحشة والتعاسة فيأخذ في البكاء الشديد.

والحق أنه من مآسي الحياة أن يجد كثير من الناس أنفسهم أسرى لمثل هذه الاندفاعات القسرية الناتجة عن السمات العصابية بحيث تستبد بهم رغبات شاذة وأفكار كريهة والتي تتعارض مع ما لديهم من مثل ومبادئ ويشعرون بأنها تفرض عليهم فرضاً فلا يستطيعون لها دفعاً أو كفاً أو تأويلاً.

4. السمات العكسية

السمات العكسية هي السمات التي تبدو في السلوك الظاهر تمويهاً على أخرى لا شعورية أو بغيضة وترتبط السمات العكسية بظاهرة التناقض الوجداني وبيان هذه الظاهرة أن الناس والأشياء قد تثير لدى نفس الشخص مشاعر متناقضة مثلاً الأب أو الأم يخلقان في

نفس الطفل عاطفة الحب لأنهما مصدر الحماية والأمن والحنان والإشباع ولكنهما يخلقان في نفسه مشاعر الضيق والتوتر لأنهما كذلك مصدر التأديب والكبح والحرمان وذلك لأن النفس الإنسانية تستطيع أن تحتضن العاطفة ونقيضها إزاء نفس الشخص.

كأن السمة العكسية سمة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب فيحمل الطفل للأم والأب الحب ولكنه يحمل لهما -لا شعورياً- الضيق والتوتر.

رابعاً: المحددات العامة للشخصية

يذهب بعض علماء النفس إلى أن كل إنسان في بعض نواحيه تنطبق عليه أوصاف ثلاثة هي:

1. الفرد كما يظهر للآخرين وليس كما هو عليه في الواقع واللفظ بهذا المعنى يتصل بالقناع.
2. إنه يشبه بعض الناس.
3. إنه لا يشبه أحداً من الناس.

ونوضح ذلك في النقاط الآتية:

1. إما أنه يشبه كل الناس

فهذا ما نلمسه جميعاً في نواحٍ متعددة من أن محددات الشخصية عامة بين جميع الناس فهناك مظاهر وسمات في الإرث البيولوجي لجميع الناس وفي البيئة الطبيعية التي يعيشون فيها وفي المجتمعات والثقافات التي ينتمون إليها.

وبيان ذلك أن كل الناس لهم نفس التكوين العضوي والبيولوجي فكلٌ منا نحن بني البشر له نفس الأجهزة الجهاز الهضمي والتنفسي والدوري والغدي وله نفس الهيئة الجسمية.

كما أن كلاً منا يمر بخبرة الميلاد وخبرة الفطام ويتعلم المشي والكلام في سن معينة ويتعلم أن يحمي نفسه من الأخطار المحدقة، ولكل منا نفس الدوافع فنحن جميعاً نأكل ونشرب ونتناسل ونتكاثر ولكل منا نفس الانفعالات فنحن جميعاً نفرح ونغضب ونخاف ولكل منا نفس العواطف فنحن نحب ونكره ونغار، وكل منا قابل للتعلم فنحن نتعلم وندرس وكل منا كائن اجتماعي يعيش في مجتمع وينتمي إلى أسرة ويختلف إلى مدرسة ويتبادل العلاقات الاجتماعية مع الأفراد الآخرين.

وكل إنسان منا يولد ضعيفاً لا حول له ولا قوة ويقوم عليه أبواه أو من يقوم مقامهما فيتعهدانه بالرعاية والولاية حتى يشب ويكبر.

وكل منا يمر بمواقف الحياة وما تحفل به من أفراح وأتراح وملهاة ومأساة ونعيش الأيام بحلوها ومرها ونواصل دور الحياة من المهد إلى اللحد، معنى ذلك أن أفراد بني آدم متشابهون فيما بينهم تشابهاً كبيراً.

2. إما أنه يشبه بعض الناس

فهذا ما نلحظه من فوارق بيننا وبين بعض في الطول واللون والذكاء والقدرات وسمات الشخصية فهناك أفراد يتشابهون في أنهم طوال القامة وهناك آخرون يتشابهون في أنهم قصار القامة، وهناك أفراد يتشابهون في أنهم يسيطرون على انفعالاتهم وهناك أفراد آخرون يتشابهون بعجزهم عن السيطرة على الانفعالات كأن هناك أفراداً منضبطين انفعالياً وآخرين منفلتين انفعالياً.

بل إن سمات الشخصية عند بعض الفئات تتشابه رغم اختلاف أجناسهم فالبحارة مثلاً بغض النظر عن جنسياتهم يميلون إلى السفر والترحال وجوب البحار والهواء الطلق وأهل العلم وحملة الأقلام يميلون بغض النظر عن جنسياتهم إلى العكوف على طلب العلم وصرف الوقت والجهد في ذلك بل والانقطاع إلى هذا الغرض.

ونحن عندما نتحدث عن الأنماط إنما نعني ضمناً أن هذا الفرد يشبه مجموعة معينة من الناس فنقول إن هذا الشخص من النمط البدين وذاك الشخص من الهزيل وشخص ثالث من النمط الرياضي أو نقول أن فلاناً منطو أو منبسط أو خجول أو هياب.

معنى ذلك أنه كل فرد رغم أنه إنسان يشترك مع بني البشر جميعاً في المتشابهات التي ذكرناها، إلا أنه يتشابه أكثر مع بعض من هؤلاء البشر ويختلف عن البعض الآخر.

3. إما أنه لا يشبه أحداً من الناس

فهذا الأمر من آيات الله الباهرة في خلقه كأن ثمة معيناً من الخلق الإلهي لا ينضب كل واحد من الناس له هيئة مخصوصة وظروف معينة لا تتكرر بعينها أبداً فكل واحد منا فريد ونسخة غير مكررة.

وتفصيل ذلك أن لكل فرد طريقته وأسلوبه الخاص في الإدراك والشعور والسلوك والذي يطبعه بطابع مميز لا يتكرر لدى أي فرد آخر وبنفس الصورة، وهذا يرجع إلى الإرث الفريد الذي يرثه الإنسان من الأبوين والأجداد ومن بعدهما في عمود النسب، وما أن يولد

بهذا الميراث الفريد حتى يتعرض لخبرات تخصه وحده دون غيره بحيث تدمغ شخصيته بطابع خاص، فهذا ولد في بيئة فقيرة معوزة وهذا ولد وفي فمه ملعقة من ذهب وهذا ولد يتيماً وهذا عانى آلام الجوع والفقر وهذا عاش حياة الترف في بلهنية العيش وهذا عاش في أسرة متماسكة يسودها الود ويحيط بها التعاطف وهذا عاش في أسرة مفككة يسودها الشجار والنقار، إنها قصة حياة كل واحد منها لا تتكرر بحذافيرها مع الآخر بحال فالفروق الفردية بين الناس واضحة ماثلة للعين، بحيث صح قول الفيلسوف الألماني "نيتشه: أنا إنسان وأنت إنسان أي هوة تفصل بيننا".

زبدة القول أن كلاً منا شخصية متميزة عن غيره قليلاً أو كثيراً فهو لا يشبه أحداً من الناس، رغم أنه يشبه بعض الناس في بعض الصفات، ورغم أنه يشبه كل الناس في كل الصفات، فسبحان الخلاق العظيم الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى سبحانه جل شأنه.

الملخص

من تعريفات الشخصية

1. الشخصية هي مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة.
2. الشخصية كمثير هي مجموع ما يحدثه الفرد من تأثير في الآخرين.
3. الشخصية هي استجابة الفرد للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة.
4. الشخصية مكون افتراضي أي أنها تنظيم داخلي يمكن من تفسير مظاهر السلوك المختلفة فهي نوع من الوحدة الداخلية التي تحدث التآزر والتكامل بين جميع أفعال الفرد.
5. الشخصية هي وحدة متكاملة من الصفات والمميزات الجسمية والعقلية والاجتماعية والمزاجية التي تبدو في التعامل الاجتماعي للفرد والتي تميزه عن غيره تمييزاً واضحاً فهي تشمل دوافع الفرد وعواطفه وانفعالاته وميوله وسماته الخلقية وآراءه ومعتقداته أو هي بقول مختصر سمات الفرد جميعاً.

السمات هي:

السمة هي: استعداد ثابت نسبياً لنوع معين من السلوك ومنها:

1. السمات المزاجية: وهي سمات تتوقف في المقام الأول على التكوين الفسيولوجي للفرد كحالة جهازه العصبي وجهازه الغدي حيث يمثل بعض الناس إلى المرح والبعض إلى الاكتئاب.
2. السمات اللاشعورية: هي سمات لا يفطن المرء إليها وتكونت نتيجة الرغبات المكبوتة مثل الغرور الشديد أو الميل الشاذ إلى الظهور.
3. السمات العصابية: وهي سمات لا تظهر على السطح ولكنها تظهر على حين فجأة مثل الغيرة الحمقاء من زوجة عاقلة.
4. السمات العكسية: هي سمات تبدو في السلوك الظاهر تحتوي على أخرى لا شعورية أو بغيضة فالطفل يحب والديه لأنهما مصدر الحماية والأمن ويضيق بهما في نفس الوقت لأنهما مصدر التأديب والكبح.

المحددات العامة للشخصية هي:

1. أن كل فرد يشبه كل الناس لأننا جميعاً نرث إرثاً بيولوجياً واحداً ونمر بنفس الخبرات مثل الميلاد ومراحل النمو النفسي المختلفة من طفولة إلى مراهقة إلى رشد وشيخوخة.
2. أن كل فرد يشبه بعض الناس فهناك أفراد يشتركون في صفات بعينها مثل أنهم طوال القامة أو قادرون على السيطرة على انفعالاتهم، أو نقول أن هذا بدين ويشترك في هذه البدانة مع مجموعة من الناس البدناء.
3. أو أنه لا يشبه أحداً من الناس وهذا من آيات الله الباهرة في خلقه كأن ثمة معين الخلق الإلهي لا ينضب كل واحد من الناس له هيئة مخصوصة وظروف معينة لا تتكرر بعينها أبداً فكل واحد منا فريد ونسخة غير مكررة.

أسئلة للمناقشة

1. عرف الشخصية وبين أهم محدداتها؟
2. ما المقصود بسمات الشخصية؟ مثّل لما تقول؟
3. استعرض تعريفات الشخصية الواردة في هذا الفصل واستخرج منها تعريفاً إجرائياً؟



الفصل الثاني

المحددات البيولوجية للشخصية



الفصل الثاني

المحددات البيولوجية للشخصية

يميل بعض علماء النفس إلى التأكيد على أن «الطبيعة الإنسانية» بيولوجية في أساسها وأن الأساس البيولوجي للسلوك هو القدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى، وحتى علماء النفس الاجتماعي فإن أياً منهم لا يمكنه أن يغفل أهمية الجوانب البيولوجية في دراسة الشخصية.

ومهما يكون من أمر فإن إدخال المجال البيولوجي في دراسة الشخصية من شأنه أن يوسع أفقنا ونظرتنا ويستمد الاتجاه البيولوجي الكثير من أفكاره من علم الحياة وعلم وظائف الأعضاء.

والكائن الحي الإنساني وحدة متكاملة ولكن سواء اتجه نظرنا ناحية الجهاز العظمي أو العضلي أو التنفسي أو العصبي فإن الفروق الفردية الواضحة بين الناس في هذه النواحي المختلفة هي أول ما يجذب الانتباه فهناك اختلافات مورفولوجية هائلة بين العاديين من الناس لأن الأجهزة الجسمية تختلف اختلافاً كثيراً من حيث الشكل والحجم.

وبالنسبة للمحددات البيولوجية في دراسة الشخصية نناقش النقاط الآتية:

1. دراسة الوراثة: فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم.
2. دراسة التكوين البيوكيميائي والغدي للفرد.

أولاً: الوراثة

يخضع الإنسان –شأنه في ذلك شأن الكائنات الحية جميعاً– لقوانين الوراثة وهذه القوانين معقدة بالغة التعقيد ولا يسعنا إلا أن نقول مع دارون: إن موضوع الوراثة كله موضوع عجيب.

ومما لا شك فيه أن الوراثة والبيئة كوجهي العملة كلاهما أمر مؤثر، أي أن أية سمة هي نتاج التفاعل المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية إلا أن الدور الذي يقوم به كل من

هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى، فنحن نكون أميَل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو البشرة لشخص معين، بينما نكون أميَل إلى الرجوع إلى العوامل البيئية من أجل فهم أساليب اللغة التي يستخدمها الفرد أو سلوكه الجانح.

ولسنا هنا بصدد دراسة ميكانزمات الوراثة لأن هذا أمر شرحه يطول ولكننا سوف نتحدث عن الوراثة عند التوائم، وكذلك وراثة الذكاء أو السمات السيكولوجية في النقاط الآتية:

التوائم

ومن أهم الدراسات وأمتعها تلك التي تجرى على التوائم المتشابهة أو «الصنوية» والتي هي في الأصل بويضة واحدة وانقسمت إلى قسمين والتوائم العادية غير المتشابهة وهما بويضتان خصبتا في وقت واحد.

وبالنسبة للذكاء فقد دلت الدراسات على أن التشابه في الذكاء للأخوة العاديين في العينات العشوائية، هو بنسبة ارتباط 0.50 وبالنسبة للتوائم غير المتشابهة 0.70 تقريباً وبالنسبة للتوائم الصنوية تتراوح بين 0.80 إلى 0.90.

أما بالنسبة للانحراف الاجتماعي فإنه من بين الأسر التي درست دراسة وافية في هذا المجال أسرة «مارتن كاليكاك» وقد كان هذا الرجل جندياً في الجيش الأمريكي أثناء حرب التحرير (كاليكاك اسم رمزي أطلقه على هذه الأسرة عالم النفس الأمريكي جودارد).

وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل أنجب منها طفلاً ضعيف العقل، وبعد الحرب تزوج من فتاة عادية وأنجب منها طفلاً كان عادياً، وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لعدة أجيال وقد لاحظوا أن الفرع الذي ينتمي إلى الجد الضعيف العقل لم يكن به إلا عدد قليل جداً من العاديين والباقي من ضعاف العقول، وبالمثل فإن الفرع الآخر لم يكن به إلا عدد قليل من الشواذ أما الباقي فكانوا من الناجحين في أعمالهم ومناشطهم على العكس تماماً من أفراد الفرع الآخر.

ثانياً: التكوين البيوكيميائي والغدي للفرد

وتكشف دراسة الأشخاص الذين يعانون من الاختلال في إفرازات الغدد عن أدلة قاطعة على وجود تأثيرات واضحة للهرمونات في الشخصية بل إن بعض العلماء يغالي في هذا الموقف مغالاة شديدة على أساس أن الغدد هي المحدد الأول والوحيد للشخصية.

وتقوم الحياة النفسية على التكامل بين الجهاز العصبي والجهاز النفسي ولكل منهما تأثير على الآخر -ومن أهم المؤثرات الفسيولوجية على الجهاز العصبي للإنسان الغدد الصم- إذ يحتوي الجسم الإنساني على أنواع من الغدد أهمها الغدد الصم أو غير القناة.

والغدد الصم تصب إفرازاتها في الدم مباشرة ويسمى إفرازها بالهرمون وكمية الهرمونات التي تفرز كمية صغيرة جداً ولكنها ذات تأثير كبير، وهذه الغدد تقوم بدور مهم في نمو الجسم وعمليات الهدم والبناء والنمو العقلي والسلوك الانفعالي ونمو الخصائص الجنسية الثانوية.

ونتحدث عن دور هذه الغدد بالتفصيل فيما يلي:

1. الغدة النخامية Pituitary Gland

توجد هذه الغدة عند قاعدة المخ داخل تجويف عظمي يعرف بالسرج التركي، ويتراوح وزنها بين 350 400 ملغم، موضوعة وضعاً مستعرضاً وتشبه حجمها حبة البازيلاء وتتكون من فص خلفي وفص أمامي وبينهما فص متوسط، ولا توجد علاقة وظيفية بين الخلفي والأمامي فلكل منهما إفرازاته، أما الفص المتوسط فلا يعرف له إفراز والأرجح أنه يعمل مع الفص الأمامي، ويقال إنها تفرز هرمون الملانوسيتيك "المنشط للملانين" أو القتامين الذي يسبب لون البشرة السمراء، وإفراز هذا الهرمون يقع تحت نفوذ العوامل الهيبوثلاموسية المطلقة.

ويفرز الفص الخلفي بالاشتراك مع الهيبوثلاموس ويعتقد البعض أن هذه الهرمونات تفرز بواسطة الهيبوثلاموس وتختزن في النخامية لتوزيعها عند حاجة الجسم هرمون البيتويترين أو النخامين Pituitrin الذي يحتوي على عنصرين هما هرمون رافع الضغط وهرمون معجل الولادة يسمى بمانع إدرار البول ووظيفته الأولى منع إدرار البول، فهو يؤثر في الكلية وينشط عملية إعادة امتصاص الماء، ففي حالة عدم إفراز النخامين قد تصل كمية البول إلى 10-15 لتراً في اليوم بدلاً من لتر ونصف، وفي حالات التوتر الانفعالي حيث يزداد نشاط الهيبوثلاموس تصاب الوظيفة البولية بتغيرات سريعة إما بالزيادة أو النقصان، ويستخدم الهرمون المانع لإدرار البول في علاج حالات مرض السكر الكاذب Diabetes Insipidus الناشئ من بعض الأمراض التي تطرأ على بعض الأنواء في الهيبوثلاموس، والذي يسبب زيادة في كمية البول بطريقة تؤدي إلى مضاعفات خطيرة إن لم يعالج بخلاصة هذا الهرمون.

ومن آثار هرمون النخامين انقباض عضلات الرحم خصوصاً في وقت الحمل ولذلك فهو نافع جداً بعد دور الولادة الثاني، كذلك يعمل على تضييق الشرايين والأوعية الشعرية ولذلك فهو ضروري لرفع ضغط الدم في أحوال خاصة لأزمة كالصدمات العصبية. كذلك يعمل على تنشيط إدرار اللبن بزيادة انقباض العضلات غير الإرادية للثدي، ويساعد في انقباض العضلات غير الإرادية في جدران المثانة في التبول، وجدران الشعب الرئوية، وجدران الأمعاء في التبرز.

أما الفص الأمامي للغدة النخامية فإنه يفرز خمسة أنواع من الهرمونات وكثيراً ما تسمى النخامية الأمامية الغدة القائدة، وهذا الفص واقع أيضاً تحت تأثير الدورة الدموية البابية مع الهيبوثلاموس، ومعظم هرمونات هذا الفص تحت التأثير المباشر للعوامل الهيبوثلاموسية المطلقة.

وقد بدأت معرفتنا الحديثة بالنخامية الأمامية عام 1915 بالدراسة التي قام بها الدكتور فيليب سميث، إذ أنه لما استأصلها من الجرذان ماتت بعد ستين يوماً من ذلك، ثم اتضح له عندما قام بفحص أحشاء تلك الجرذان الميتة أن غددها فوق الكلوية والدرقية والغدد التناسلية قد أصابها ضمور شديد فأصبحت أصغر كثيراً من حجم مقابلاتها في الحيوانات العادية، وكذلك أظهر الفحص المجهري لتلك الغدد أن قدرتها على وضع هرموناتها قد أصابها العجز والقصور.

والهرمونات التي يفرزها الفص الأمامي للغدة النخامية هي:

أ. هرمون النمو Growth Stimulating Hormone

وزيادة إفراز هذا الهرمون في الطفولة والمراهقة تؤدي إلى العملقة Gigantism حيث يصل طول القامة إلى مترين ونصف، وفي حالة زيادة الإفراز بعد المراهقة أي بعد توقف نمو العظام، ووصول الشخص إلى قامته الطبيعية تستأنف عملية النمو في الأجزاء الغضروفية مما يؤدي إلى الحالة المعروفة بالأكروميجالي Acromegaly (أي تضخم الأجزاء الطرفية)، فيزداد حجم الأذنين والأنف والفك الأسفل واليدين والقدمين مع احديداب الظهر، ونتوء عظام الصدر في بعض الحالات وهنا يلاحظ المريض ضرورة تغيير الحذاء وخاتم الزواج كل مدة بسيطة لتضخم هذه الأطراف، كذلك صعوبة المضغ على الأسنان الأمامية لعدم تطابقها وتضخم الفك الأسفل... إلخ، أما نقص إفراز هرمون النمو فيؤدي إلى القزم Infantilism

بحيث لا يزيد طول القامة عن حوالي متر وربع مع تناسب الأعضاء وسماحة سمات الوجه.

ب. هرمون الجونادوتروفين Gonadortophin Hormone

(الهرمون الحافز للغدد الجنسية) المؤثر في نمو الغدد الجنسية ونشاطها وفي إفراز الهرمونات الجنسية لدى الجنسين وينقسم إلى قسمين:

- هرمون الفوليكوتروفين (F. S. H.) Folicle Stimulating Hormone

وهو منشط لحويصلة جراف المبيض، ويؤثر في نمو البويضة ونضجها وفي إفراز هرمون الاستراديول Oestradiol لدى الأنثى الذي يلعب دوراً في تنظيم الطمث الشهري، كذلك يؤثر الفوليكوتروفين على نمو الحيوانات المنوية في الخصيتين لدى الذكر.

- هرمون منشط الجسم الاصفر في المبيض Luteinizing Hormone (L.H)

لدى الأنثى ومنشط الخلايا Interstitial Cell Stimulating (I. C. S. H.) Hormone. التخللية للخصية لدى الذكر، ويؤثر هذا الهرمون في إفراز هرمون البروجسترون Progesterone لدى الأنثى، وهرمون التستيرون Testosterone لدى الذكر، ومن الطبيعي أن يؤدي أي نقص في إفراز الجونادوتروفين إلى توقف نمو الجهاز التناسلي، ويسمى هذا المرض بأعراض أو زملة فروليخ Frohlich's Syndrome حيث يصاب الطفل بالبدانة المفرطة وبعدم نمو جهازه التناسلي، ينشأ من اضطرابات تصيب الهيبوثلاموس والغدة النخامية، ويميل الطفل إلى النعاس والسلبية والخضوع، فضلاً عن رد الفعل الذي تحدثه حالته في شخصيته بطريق غير مباشر، ويلاحظ أن زيادة أفراز هرمون النمو نتيجة لتضخم الخلايا المفرزة يصاحبها عدم النضج الجنسي كما أن التبكير في النضج الجنسي نتيجة لزيادة إفراز الجونادوتروفين يصاحبه عادة تعثر النمو الجسمي غير أن التوازن بين الهرمونين يستمر في الحالات السوية.

ج. هرمون البرولكتين Prolactin

هو منشط لإفراز اللبن لدى الأم بعد وضع مولودها، ويشترك معه في استمرار الإفراز هرمون النمو وهرمون الغدة الدرقية، وقد وجد أخيراً أنه يؤثر في النشاط الإفرازي للجسم الأصفر في المبيض لدى الأنثى غير الحامل ويمكن على هذا الأساس ضمه إلى المجموعة الثانية من هرمونات الجوناوتروفين ومن المعروف أن العوامل الانفعالية عن طريق الهيبوثلاموس الذي يمنع إفراز البرولاكتين من النخامية تؤثر في إفراز اللبن وإدراره وكذلك

أحياناً تسبب الأمراض النفسية والعقلية وإدرار اللبن في المرأة غير الحامل وكذلك بعض العقاقير المطمئنة، وأقراص منع الحمل، ومضادات الاكتئاب، ومضادات ارتفاع ضغط الدم.

د. **هرمون الثيروتروفين Thyrotrophic Hormone (T. S. H.)**

(الهرمون الحافز للغدة الدرقية) الذي يذهب إلى الغدة الدرقية لتنشيطها، وللحيلولة دون ضمورها وزيادة إفراز هذا الهرمون تؤدي إلى تضخم الغدة الدرقية وزيادة نشاطها الإفرازي.

• **هرمون الكورتيكوتروفين Adrenocorticotrophic (A. C. T. H.)**

وهو يذهب إلى قشرة الغدة الإدرينالية لضبط حجمها وإفرازها الهرموني، ويقوم هذا الهرمون بضبط مستوى السكر في الدم بالاشتراك مع عامل توليد السكر Diabetogenic الذي يرجع أن يكون أحد عوامل هرمون النمو بالاشتراك مع بعض هرمونات قشرة الغدة الإدرينالية، ومنشير إلى تأثير الشدة أو الإجهاد Stress في إفرازات الغدة الإدرينالية.

وفيما يختص بتأثير هرمونات الأمامي للنخامية في بناء الشخصية والسلوك، فإنه ليس من اليسير التمييز بين التأثير المباشر لزيادة الإفراز أو نقصانه، وبين التأثير الثانوي الذي يتمثل في استجابات الشخص لنظرة الآخرين له وتتخذ هذه الاستجابات شكل ردود أفعال تعويضية أو تكيفية سنية فالمصاب بالعملقة يكون في العادة شارد الذهن، عاجزا عن تركيز أفكاره، سريع التهيج، والمصاب بالأكروميجالي تغلب عليه سمات الشجاعة والإقدام والمبادأة، ومن المرجح أن مما يقوي هذه السمات زيادة نشاط الغدة الدرقية والغدة الجنسية، ويلاحظ على الأقزام السلوك العدواني غير أن العدوانية في هذه الحالة ليست إلا رد فعل تعويضي للنقص الجسمي، إذ أن نقص الإفراز من شأنه أن يقلل إلى حد ما الحيوية والقوة التي تشاهد عادة لدى الشخص العدواني.

2. **الغدة الدرقية Thyroid Gland**

توجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة، وتقع تحت الجلد وأمام الحلقات الغضروفية العليا للقصبة الهوائية، وتتكون من فصين على جانبي القصبة الهوائية، ويصل بين الفصين جسر من نسيج الغدة نفسه، ويتراوح وزنها حسب الأفراد بين 10-50جم، ويزداد حجمها مؤقتاً أثناء البلوغ والحمل وفي فترة الحيض.

ووظيفة الغدة الدرقية تخزين مادة اليود Iodine وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات الأيض Metabolism أي عمليات الهدم Catabolism والبناء

Anabolism وتؤثر وتتأثر الدرقية بغيرها من الغدد الصماء الأخرى، وخاصة بالغدة النخامية عن طريق هرمون الثيروتروفين، ومع أن كمية الثيروكسين الموجودة في الدم في وقت ما ليست كبيرة (حوالي 16مجم لدى الشخص العادي) غير أن هذه الكمية الصغيرة ضرورية لاستمرار النمو السوي جسمياً ونفسياً، ويمكن معرفة ما قد ينتاب هذه الكمية من زيادة أو نقصان بواسطة فحص الأيض القاعدي (Basal Metabolic) لتحديد نسبة الأكسجين الذي يستهلكه الجسم، أو بنسبة استيعاب كمية يود مشع بعد ابتلاع جرعة منه Radioactive iodine uptake أو اليود الملتصق بالبروتينات في الدم (P. B. I.) (B. M. R.) Protein bound iodine وأحياناً بنسبة الكوليسترول بالدم أو قياس ت 3 و 4، أو رسم القلب الكهربائي خصوصاً في حالة النقصان.

والاضطرابات التي تصيب وظيفة الغدة الدرقية تكون إما بنقص الإفراز أو زيادته كما أن الغدة قد تصاب بتضخم (أورام بسيطة أو سامة أو سرطانية) أو بالتهاب حاد أو مزمن، والأورام السرطانية والالتهابات نادرة نسبياً.

قصور الإفراز

قد يكون ذلك موجوداً منذ المرحلة الجنينية، وفي هذه الحالة نكون بصدد مرض القصاع أو قصر القامة Cretinism، أو قد يحدث في مرحلة النضج عادة بعد سن الثلاثين وخاصة في النساء ويسمى في هذه الحالة مكيسديما (الوذمة المخاطية) Mnyxaedema.

أ. **القصاع Cretinism**: ومن أعراضه بطء النمو واضطرابه، لغط اللسان، وجفاف الجلد، وبرودة الجسم، وقصر القامة مع عدم التناسب بين أعضاء الجسم على خلاف القزم الذي يعاني قصوراً في إفراز هرمون النمو من الفص الأمامي للغدة النخامية والذي يحتفظ جسمه بقدر كبير من التناسب، ولا تظهر أعراض هذا المرض قبل ستة شهور من الولادة حيث إن الطفل طوال هذه الفترة يعتمد على هرمون الغدة الدرقية الذي استمده من الأم، ولكن بعد انقضاء هذه الفترة تبدأ الأعراض المرضية في الظهور، ويبدو الطفل وديعاً ساكناً لا يصرخ، وفمه مفتوح دائماً، ولسانه في حالة بروز مستمر من الفم، ومن الناحية النفسية يتوقف النمو العقلي لدى المريض فيظل جامد العاطفة، عاجزاً عن كف اندفاعاته الحيوانية ولا تتجاوز نسبة الذكاء لديه 50، وإذا عولج المريض بهرمون الدرقية بحقنه يومياً بالكمية المناسبة التي تتراوح من 0.15 – 0.2 مجم فإن هذه الأعراض تزول، ويستأنف النمو الجسمي والنفسي بصورة طبيعية، أما إذا جاء العلاج

متأخراً فقد تزول الأعراض الجسمية دون التغلب على التأخر العقلي، نظراً لما يكون قد أصاب الخلايا العصبية في لحاء المخ من عطب وضمور لا يمكن تداركه، إذ أن نشاط النمو في هذه الخلايا يكون كبيراً جداً خلال السنة الأولى من العمر، وبالتالي فنمو الذكاء والحالة النفسية للفرد تحتاج لوجود هرمون الثيروكسين في الدم بكمية مناسبة في خلال السنوات الأولى، ولذا وجب علينا تشخيص هذه الحالات في بدء الأمر حتى لا يصاب الطفل بهذا التخلف العقلي الشديد.

ب. **مرض المكسديما (الوذمة المخاطية)**: يغلظ الجلد، ويترهل الجسم، ويزداد الوزن، ويتساقط شعر الرأس والحواجب، ويظهر انتفاخ بسيط أسفل العين وفي الجفن الأسفل وتنخفض درجة حرارة الجسم مع خفض نسبة الأيض، ويميل المريض إلى النعاس والكسل ويصاب في ربات المنازل، وعادة ما تصحب هذا المرض أعراض نفسية وعقلية في معظم الحالات، وفي 40٪ من هذه الحالات تبدأ الأعراض النفسية والعقلية قبل الأعراض الجسمية، والأعراض النفسية والعقلية عادة ما تكون في هيئة اكتئاب ذهاني، أو اعتقادات خاطئة أو مرض شبه فصامي، وإن أهملت الحالة يصاب المريض بحالة عته وتدهور في الذاكرة والعادات والسلوك، وكثير من هؤلاء المرضى يترددون على الأطباء النفسانيين لمدة طويلة قبل اكتشاف مرضهم لأنهم يعالجون وكأنهما حالات نفسية أو عقلية منذ البدء، دون النظر للأعراض الجسمية المصاحبة، لأنه عادة ما تنحصر شكوى المريض في الكسل والفتور والانقباض وعدم القدرة على النشاط اليومي، والنظرة السوداوية للحياة... إلخ.

ويكثر هذا المرض بين النساء عنه في الرجال بنسبة 4-1 وخصوصاً بعد سن الثلاثين، ويشفى هؤلاء المرضى إن أخذوا الكمية المناسبة لهرمون الثيروكسين.

وترجع أحياناً بعض حالات الكسل وعدم القدرة على التركيز في المدرسة إلى نقص بسيط في إفراز الغدة الدرقية لا يمكن قياسه بالاختبارات الطبية الحالية، ولذا يجب عرض التلميذ على الطبيب قبل اتخاذ الإجراءات التربوية والنفسية التي ترمي إلى استثارة اهتمام التلميذ وحمله على بذل المجهود في الدراسة، فإن بضعة ميليجرامات من الثيروكسين يومياً كفيلة بتحويل الطفل البليد الكسول إلى طفل نشط ذكي في حالة نقص إفراز هذه الغدة، غير أنه يجب ألا يفهم من هذا أن هرمون الدرقية من شأنه أن يزيد من ذكاء الشخص العادي،

إنه في حالة نقص إفراز الدرقية يسمح فقط للنمو العقلي لدى الطفل بأن يستأنف سيره الطبيعي.

زيادة الإفراز (مرض جريف)

وهنا تزداد سرعة عملية الهدم والبناء وسرعة النبض، ويزيد ضغط الدم، ويقل وزن الجسم، ويصاب المريض بالأرق وسرعة التهيج العصبي، وبعدم الاستقرار الحركي والانفعالي ويكاد يكون في توتر مستمر وتكون زيادة الإفراز مصحوبة عادة بتضخم الغدة، وأحياناً بجحوظ العينين وانكماش أو تخلف الجفن، وارتعاش في الأطراف، وكثرة العرق، والارتفاع البسيط في حرارة الجسم، وغالباً ما تشخص هذه الحالة بقلق نفسي حاد لأن أعراض المرضين متشابهين وأحياناً يصعب التفرقة بينهما إلا بالأبحاث الطبية السابق الإشارة إليها، وخصوصاً أن زيادة الإفراز لها علاقة وطيدة بالحالة الانفعالية للفرد، وكثيراً ما يستعمل البعض خطأ خلاصة هرمون الدرقية لجلب النشاط ولنقص الوزن خصوصاً في السيدات لزيادة عمليات الهدم، ولكن الضرر الواقع أشد من الفائدة من حيث الاضطرابات الأخرى التي تصاحب أخذ الهرمون في حالة عدم وجود نقصان في الإفراز.

ونستطيع تلخيص عمل الغدة الدرقية بوجه عام في التحكم في تنظيم وحفظ:

أ. وزن الجسم ومقدار المواد الدهنية به.

ب. حرارة الجسم.

ج. تنظيم النمو في الأطفال.

د. القدرة الذكائية.

هـ. الحالة النفسية الانفعالية للفرد.

3. الغدد جارات الدرقية Parathyroids

وعددها أربع، وهي موجودة في ثنايا الغدة الدرقية، ونجد كل اثنين منهما على ناحية واحدة فوق الأخرى، وأول من وجه نظر العلماء الى إفراز هذه الغدة هو استئصالها بغير قصد باستئصال الغدة الدرقية، وتقوم الغدة:

أ. بضبط عملية تمثيل الكالسيوم والفسفور.

ب. وتساهم في تكوين العظام.

ج. وفي النشاط العصبي والعضلي.

ويؤدي قصور إفراز هذه الغدة إلى هبوط نسبة الكالسيوم في الدم، وبالتالي إلى سرعة التهيج العصبي والارتعاش واختلاف العضلات وتشنجها، وفي حالة تضخم هذه الغدة وزيادة إفرازها تزداد نسبة الكالسيوم في الدم ويقل في العظام، مما يؤدي إلى لينها وسهولة كسرها وإلى تشويه الهيكل العظمي، كذلك إلى تكوين حصوات في الكلية، وتبدو على المريض علامات الملل والتعب الزائد وقد يقع في حالة شبه غيبوبة.

وتدل الأبحاث الحديثة على أن كثيراً من الأعراض النفسية والعقلية خصوصاً القلق والاكتئاب والملل والهبوط الحركي وأعراض شبه فصامية التي تصيب بعض المرضى بعد استئصال الغدة الدرقية، سببها استئصال الغدة المجاورة للدرقية خطأ مع الغدة الدرقية وبالتالي نقص أو انعدام إفراز هذه الغدة واضطراب تمثيل الكالسيوم والفسفور في الجسم.

ويسمى الهرمون الذي تفرزه جارات الدرقية الباراثورمون ويمكن استخلاصه بصورته الفعالة من الغدد نفسها، ولا تقع هذه الغدد تحت سلطان النخامية الأمامية.

ويبدو وكأن المستويات المختلفة للكالسيوم في الدم هي التي تنظم عمل جارات الدرقية وإن كان هذا أمراً غير مؤكد، فارتفاع نسبة الكالسيوم في الدم تردع إفراز الباراثورمون بينما يؤدي هبوطها إلى حث الغدد على إفرازه.

4. البنكرياس Pancreas

تقع هذه الغدة خلف المعدة ويتراوح وزنها بين 80-90جم وهي من الغدد المشتركة التي تفرز إفرازاً خارجياً يصب عن طريق قناة في الأمعاء الدقيقة مكوناً من إنزيمات مساعدة لعملية الهضم، وإفرازاً داخلياً هو هرمون الأنسولين، والأجزاء الداخلية من البنكرياس والخلايا المتخصصة في إفراز هذا الهرمون تعرف بجزر لانجرهانس Langerhans Isles ووظيفة الأنسولين ضبط مستوى السكر في الدم، وفي حالة عجز الإفراز لعدة أسباب مرضية في البنكرياس تزداد نسبة السكر في الدم، ويصاب الشخص بمرض السكر Diabetes Mellitus الذي يعالج كما نعلم بحقن المريض بالأنسولين بديلاً عما يحتاجه أو حالياً بأقراص خاصة تقلل من نسبة السكر في الدم.

وبردية إيبرس المصرية، وأحد المؤلفات الهندية السنسكريتية تعتبران من أقدم الكتابات التي أشارت إلى مرض يتميز ببول حلو المذاق وذوبان اللحم، ولا يخالجنا أدنى شك في ماهية ذلك المرض الذي وصفه أولئك الأطباء القدامى، إذ أنه مرض السكر بعينه، ومضت قرون

طويلة من الزمن دون أن يدور بخلد أحد من الناس أن هناك علاقة ما بين البنكرياس وذلك المرض.

وقد ينشأ مرض السكر عندما يبطل تأثير الأنسولين على السكر بتأثير الأجسام المضادة للأنسولين في الدم، ومن ثم تزيد نسبة السكر في الدم، كذلك قد ينشأ مرض السكر بفعل زيادة إفراز الثيروكسين أو هرمون النمو في النخامية أو هرمونات قشرة الأدرينالية، والمريض بالسكر تنتابه من الناحية النفسية حالات من الخلط الذهني والذهول تكون بدء الإصابة بغيبوبة السكر وفقدان الشعور والتي تعني زيادة السكر في الدم زيادة شديدة مع ظهور السكر والأسيتون في البول.

ويزداد إفراز الأنسولين في حالة تورم جزر لانجرهانس مما يؤدي إلى هبوط سريع في نسبة السكر بالدم Hypoglycaemia، والجهاز العصبي وخاصة المخ يعتمد في وقوده وغذائه على نسبة السكر في الدم (الجلوكوز) ومن أعراض نقص السكر الشعور بالجوع الشديد والإحساس بالتعب وصعوبة المشي، وتعذر القيام بالحركات الدقيقة وازدياد إفراز العرق وشحوب الوجه والإحساس بالبرد، ويصبح المريض قلقاً مهموماً سريع التهيج وسلوكه شبيهاً بسلوك المخمور أو المعتوه، وأحياناً تنتابه نوبات شرود وتصرفات هستيرية كثيراً ما تشخص بالهستيريا وتعالج على هذا الأساس لمدة طويلة، وأخيراً يصاب باضطرابات عقلية من هلوسة وهذيان مصحوبة بتشنجات صرعية تنتهي بوقوع الشخص في غيبوبة عميقة تنتهي بوفاته إن لم يعالج بحقنة فوراً بالجلوكوز المركز في الوريد.

5. الغدة الأدرينالية أو فوق الكلوية أو الكظرية Suprarenal Glands

فوق كل كلية توجد غدة يتراوح وزنها بين 15-20جم تعرف بالكظر أو بالغدة الأدرينالية، وهي تتكون من عضوين متميزين، القشرة والنخاع وهما مختلفان تماماً من الوجهة البنائية والوظيفية.

أ. نخاع الغدة الأدرينالية Adrenal Medulla

يتلقى نخاع الغدة التنبيه من الجهاز العصبي اللاإرادي أو المستقل Autonomic Nervous System وخاصة الجهاز السيمبثاوي ويفرز النخاع نوعين من الهرمونات هما الإدرينالين adrenaline بنسبة 80٪، والنور أدرينالين noradrenaline بنسبة 20٪، ويؤثر الأدرينالين في جميع الأعضاء التي تتلقى التنبيهات من الجهاز العصبي اللاإرادي وتأثيره شبيه بتأثير الأعصاب السيمبثاوية، وهو يؤثر أيضاً في بعض أجزاء الجهاز العصبي المركزي،

ويؤدي الأدرينالين دوراً مهما في الحالات الانفعالية، ويساعد الجسم على تعبئة طاقاته لمواجهة الطوارئ بصورة إيجابية فعالة، وإن كان التكيف الذي يتحقق لمجموعة من أجهزة الجسم قد يكون في بعض الحالات العصبية على حساب مجموعة أخرى وخاصة أجهزة الهضم والتمثيل الغذائي.

أهم وظائف الأدرينالين

- توسيع حدقة العين.
- زيادة سرعة القلب، وقوة دقاته.
- انقباض الشرايين الصغيرة والشعرية في الجلد، وانقباض الأوعية الدموية في الأحشاء مع توسيع الأوعية الدموية الذاهبة إلى القلب وإلى العضلات المخططة أي تلك التي تحيط بالهيكل العظمي.
- ارتخاء عضلات الشعب الهوائية.
- كف نشاط جدران الأمعاء وإغلاق العضلات.
- تحويل الجليلوكوجين Glycogen في الكبد إلى سكر (جلوكوز) وانقباض جدران المرارة.
- ارتخاء جسم المثانة وانقباض العضلة المعاصرة.
- يقاوم التعب العضلي ويزيد من قابلية العضلة للتنبيه.
- يزيد من نسبة الأيض القاعدي غير أن أثره أضعف من أثر هرمون الدرقية.
- يزيد عدد الكرات الحمراء في الدم كما أنه يزيد من سرعة تكوين الجلطة الدموية منعاً للنزيف.

ونجد التشابه واضحاً بين تأثير هذا الهرمون والجهاز السيمبثاوي.

أما وظائف النورأدرينالين فهي شبيهة بوظائف الأدرينالين غير أن مفعول النورأدرينالين أقوى في رفع ضغط الدم، وأضعف في ارتخاء العضلات الملساء في تأثيره في عمليات الأيض (الهدم والبناء).

يتبين من ذلك أن آثار الأدرينالين تشبه الآثار الفسيولوجية المصاحبة للاستجابات الانفعالية، وأنها تهيئ الشخص للقيام بنشاط قوي متواصل، غير أن هذه التغيرات الفسيولوجية ليست دائماً تكيفية، ففي بعض حالات الخوف ينهار الشخص انهياراً تاماً يحول دون تحقيق أية استجابة من استجابات المقاومة أو الدفاع أو الفرار.

وبعض أورام نخاع الغدة الأدرينالية مثل ورم الفيوكروموسيتوما Pheochromocytoma يسبب أعراض زيادة إفراز هرمون الأدرينالين أو النورأدرينالين مما يسبب أعراض قلق شديد، مع زيادة في ضربات القلب، وزيادة الضغط وشحوب اللون وزيادة السكر في الدم. وعادة ما يختلط تشخيص هذه الحالة مع نوبات القلق النفسي المتكرر، ونستطيع تشخيص هذه الحالة بحقن المريض بمادة الريجيتين Rigitin في الوريد والتي تخفف الأعراض في حالة الورم ولا تؤثر في حالات القلق النفسي.

ب. قشرة الغدة الأدرينالية Supraenal Cortex

تحيط بنخاع الغدة ويتراوح سمكها حسب الأفراد من $\frac{1}{2}$-3 مم وهي خالية من الأطراف العصبية ويصلها التنبيه من أحد هرمونات النخامية أي هرمون الـ (A. C. T. H.) أو الكورتيكوتروفين Adrenocorticotrophic الذي سبق ذكره عند الحديث عن النخامية، وهي ضرورية للحياة فإن استئصال الغدة الأدرينالية بأكملها يؤدي إلى الموت في ظرف أربعة أو خمسة أيام، أما استئصال نخاع الغدة دون القشرة فليس له آثار خطرة.

ولا يستطيع جسم الإنسان أن يتحمل شدائد بيئته الخارجية والداخلية دون القشرة الأدرينالية. والمقصود بالشدائد هي المؤثرات الجسمية والعاطفية النابعة من مصدر كالتعرض للبرد أو الأحوال السائدة في المناطق المرتفعة أو اجتياز الامتحانات، الإصابة بالجروح أو العوامل المؤذية المتنوعة أو أي مرض من الأمراض، ولا يقتصر عمل هرمونات القشرة الأدرينالية على مساعدة الجسم على بقائه حياً في وجه تلك المؤثرات، بل إنها تمكنه أيضاً من التصدي لها بما ينبغي أن تقابل به. ومن المهم أن ننبه إلى أن الجهاز العصبي هو الذي يحس بتلك الشدائد ويدركها ثم يترجم المؤثرات التي استقبلها فيحولها إلى نبضات عصبية تستحث الغدة النخامية على إطلاق هرمون الكورتيكوتروفين الذي يعمل بدوره على حفز القشرة الإدرينالية على زيادة ما تنتجه من هرمونات، وعلى هذا النحو تنال أجزاء الجسم المختلفة حاجتها من هرمونات هذه الغدة، وتفرز القشرة ثلاثة أنواع من الهرمونات:

- **الكورتيزول والكورتيزون Cortisol and Cortisone**: تلعب هذه الهرمونات دوراً في عمليات البناء والهدم، وتزيد من نسبة السكر في الدم، وترفع ضغط الدم وتقلل من المناعة الخاصة الناشئة عن وجود أجسام مضادة في الجسم، ولكنها تزيد القابلية للجراثيم والعدوى وأخذ هذا الهرمون بكمية كبيرة يؤدي أحياناً إلى أعراض الهوس والاكتئاب وأعراض شبه فصامية في هؤلاء المهيئين وراثياً لذلك، ويستعمل في علاج

الكثير من أمراض الحساسية من ربو شعبي إلى الأكزيما الجلدية، وزيادة إفراز هذا الهرمون يحدث في أورام أو تضخم القشرة الأدرينالية ويسبب مرض كوشنج Cushings Disease ويشكو المريض من زيادة الوزن وضعف عام.

ويبدو وجهه في استدارة تامة Moon Face، مع زيادة الشعر في الجسم خصوصاً في النساء، ويزيد حب الشباب في الوجه والجسم وتظهر خطوط قرمزية في البطن وأمام الإبط ويرتفع الضغط، وتزيد نسبة السكر في الدم، ويصاب المريض في معظم الحالات بأحد أنواع الذهان من اكتئاب إلى هوس أو اعتقادات خطأ.

أما قصور إفراز هذا الهرمون بسبب التهاب أو ضمور في القشرة فيؤدي إلى مرض أديسون Addison's Disease ويتميز بالضعف العام والفتور ونقص الوزن مع تلون الفم والشفة بلون بني. ونقص ضغط الدم، وخفض نسبة السكر في الدم، وعدم القدرة على الإتيان بأي نشاط.

- **الألدوستيرون Aldosterone**: وله علاقة بنسبة البوتاسيوم والصوديوم في الدم، أي المواد المعدنية وزيادة إفراز هذا الهرمون تسبب مرض كون Conn's Syndrome ويتميز بزيادة شديدة في ضغط الدم وزيادة إفراز البوتاسيوم في البول، مما يؤدي إلى نقصه في الدم ما يسبب ضعفاً شديداً في العضلات أو أحياناً شللاً بها.

- **أندروجين Androgens**: وهذه مجموعة من الهرمونات الشبيهة بالهرمونات الجنسية التي يفرزها المبيضان والخصيتان، غير أن آثارها لا تظهر إلا في الحالات المرضية عندما تصاب قشرة الغدة بالتورم، فإن إفرازها يؤدي إلى تضخم سمات الرجولة وإلى تغلب هذه السمات لدى المرأة، فيغلظ صوتها ويتساقط شعر الرأس وينبت شعر اللحية، وتؤدي لدى الطفل إلى تبكير النضج الجنسي في سن الرابعة أو الخامسة مع ظهور كل العلامات الذكرية الثانوية من شارب ولحية، إلى شعر العانة، وتضخم القضيب، ومن الواضح أن هذه التغيرات الشاذة من شأنها استجابات سلوكية شاذة، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الهرمون الجنسي للقشرة الأدرينالية يشترك في تحديد جنس الطفل وتثبيته في المراحل الأولى من التكوين الجنسي، وذلك بالإضافة إلى تأثير العوامل الوراثية.

وبمناسبة الحديث عن قشرة الغدة الأدرينالية يجدر بنا أن نشير إلى بحوث الدكتور هانس سيلي Seley في الدور المهم الذي تؤديه هرمونات هذه الغدة عندما يتعرض الإنسان لهجوم عوامل مؤذية (ميكروب – نزيف – تسمم – صدمة انفعالية عنيفة) فيحدث العامل

المؤذي بالإضافة إلى الإثارة الموضعية المحددة الخاصة (كسر – التهاب... إلخ) ما يسميه سيلي بمجموعة الأعراض العامة للتكيف أو زملة التكيف العام General Adaptation Syndrome.

وتعتبر هذه الأعراض استجابة لما يسميه سيلي بالشدة، أو التوتر، أو المشقة، ولقد اقترح المرحوم الدكتور يوسف مراد ترجمة هذا اللفظ إلى «الانعصاب» من انعصب الأمر أي اشتد، والانعصاب استجابة فسيولوجية ترمي أصلاً إلى المحافظة على الحياة وإلى إعادة الحالة إلى السواء، ومجموعة هذه المظاهر التكيفية العامة والتي ليس لها سبب نوعي واحد يساهم في إحداثها الجهاز العصبي اللاإرادي مع عدد من الغدد الصماء في مقدمتها قشرة الغدة الأدرينالية التي ينبهها مباشرة الكورتيكوتروفين الذي يفرزه الفص الأمامي للغدة النخامية تحت تأثير الهيبوثلاموس.

6. الغدد الجنسية Gonads or Sexual Glands

وهي الخصيتان عند الذكر، والمبيضان عند الأنثى وهما نوعان من الإفراز:

أ. خارجي وهو تكوين الخلايا التناسلية، الحيوانات المنوية Sperms عند الذكر والبويضات Ova عند الأنثى.

ب. داخلي وهو إفراز الهرمونات الجنسية: وتفرز الخصيتان ثلاثة أنواع من هرمونات الذكورة Androgens، أكثرها فاعلية التستستيرون Testosterone، وهي تفرز أيضاً كمية من هرمونات الأنوثة Oestrogens، ويخضع إفراز التستستيرون لضبط أحد هرمونات الجونادوتروفين، وهو المنشط للخلايا التخللية في الخصية (I. C. S. H.) للغدة النخامية، فعندما يقل إفراز التستستيرون يزداد إفراز الغدة النخامية، كما أن كمية من هرمونات الذكورة من شأنها خفض نشاط إفراز الغدة النخامية للجونادوتروفين، ويبدأ إفراز التستستيرون عند بدء مرحلة البلوغ، ويقل إفرازه بتأثير نقص التغذية وخاصة نقص فيتامين (ب) ولذا يجب ألا تعطى للشخص السوي أي هرمونات للذكورة بغرض الدافع الجنسي أو القوة الجنسية. لأن ذلك سيؤدي إلى خفض نشاط الغدة النخامية وبالتالي نقص هرمونات الذكورة التي تفرز من الخصيتين، كذلك يجب أن نعلم أن معظم حالات الضعف الجنسي أو سرعة القذف التي تصيب الشباب هي حالات من القلق النفسي وليس لها علاقة بإفراز الخصيتين، وتتلخص وظائف هرمونات الذكورة فيما يلي:

- نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية وهي خشونة صوت المراهق، نبت الشعر في بعض مناطق الجسم مثل الشارب، اللحية، العانة... إلخ، زيادة النمو العضلي، خشونة الجلد.
- يزيد من حيوية الحيوانات المنوية وقابليتها للإخصاب، ويحافظ على سلامة الأوعية المنوية.
- يؤثر في النمو الانفعالي لدى المراهق ويقوى لديه الدافع الجنسي، كما أنه يعين إلى حد ما اتجاهه السليم نحو الجنس الآخر، ويساهم في ظهور سمات الرجولة النفسية غير أنه يجب أن نذكر أن أثر هرمونات الرجولة في بناء الشخصية وفي توجيه السلوك خاضع لشتى العوامل الشرطية التربوية والنفسية التي قد تدعم هذا الأثر أو تضعفه.

أما المبيضان فإنهما يفرزان نوعين من الهرمونات:

- مجموعة الأيستروجين وأكثرها نشاطاً هرمون الاستراديول.
- هرمون البروجستيرون.

وتقوم بإفراز الأيستروجين حويصلة جراف في المبيض بعد انتهاء الحيض مباشرة، ويبدأ إفراز البروجستيرون عند تكوين الجسم الأصفر بعد خروج البويضة عند منتصف الدورة الشهرية، ويتوقف الإفرازان في حالة عدم تخصيب البويضة قبل حوالي يومين من بدء الحيض، أما في حالة بدء الحمل فيستمر الإفرازان كما يستمر نمو الجسم الأصفر حتى نهاية الشهر السادس من الحمل وتقوم المشيمة Placenta أيضاً بإفراز الهرمونات الجنسية أثناء الحمل.

وإفراز الهرمونات الجنسية لدى الأنثى خاضع، كما هو الحال لدى الذكر لإفرازات الغدة النخامية: الجونادوتروفين بنوعيه، الهرمون المنشط للحويصلة، والهرمون المنشط للجسم الأصفر L-H، وتركيز الهرمونات الجنسية في الدم من شأنه أن يؤثر بدوره في إفرازات الغدة النخامية، وفي سن اليأس عندما يتوقف إفراز الهرمونات الجنسية (ايستروجين وبروجستيرون) من المبيضين يزداد إفراز الفوليكوتروفين في البول من أثر تنبيه الغدة النخامية.

توجد إذن علاقة تبادل وثيق بين النخامية والمبيض، فعند بدء الحيض حيث يهبط مستوى الإيستروجين والبروجستيرون في الدم إلى أدناه، يزداد إفراز الفوليكوتروفين F.S.H.

لتنشيط نمو حويصلة جراف وإفراز الإيستروجين، وعندما يرتفع مستوى الإيستروجين في الدم، يهبط إفراز الفوليكوتروفين أو المنشط للحويصبة، وينشط إفراز الهرمون المنشط للجسم الأصفر لتنشيط خروج البويضة وتكوين الجسم الأصفر وإفراز البروجستيرون.

ووظائف الإيستروجين عند الأنثى شبيهة بوظائف التستستيرون عند الذكر:

- نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية في مرحلتي البلوغ والمراهقة مع نمو الجسم العام، وتكوين الثديين.
- تنشيط الدافع الجنسي وتثبيت السمات الأنثوية النفسية وتوجيه النمو النفسي الجنسي في اتجاهه السوي.
- تعمل على تعجيل نمو العظام ومن ثم تدفع إلى توقف نموها، وهذا هو السر في أن النساء أقصر بصفة عامة من الرجال.
- تؤثر في ترسيب الدهن وتوزيعه الأنثوي في جسم المرأة، كما أنها تعمل على تماسك الجسم بما فيه من ماء وأملاح.

أما فيما يختص بالانحرافات الجنسية مثل الجنسية المثلية أو الارتداء المغاير أي لبس ملابس الجنس الآخر، فلم تثبت البحوث الحديثة أية علاقة واضحة بين هذه الانحرافات وكمية الهرمونات الجنسية، وبالتالي فإن الاتجاه في علاج مثل هذه الحالات إلى إعطاء كميات كبيرة من الهرمونات غير مثمر، ولن يعطي النتيجة المرجوة، وكثير من مرضى الارتداء المغاير يذهبون للأطباء للرغبة في استئصال أعضائهم التناسلية لتحويلهم للجنس الآخر، ويلجأ بعضهم لحقن نفسه بكميات كبيرة من هرمون الإيستروجين حتى يتساقط شعر لحيته، وشاربه وشعر صدره، ويبدأ ثديه في التضخم ويترسب الدهن بطريقة أنثوية في جسمه، والأرجح أن يكون السبب الرئيسي في هذه الانحرافات أسباب شرطية سلوكية نفسية ترجع إلى نوع من المواقف الانفعالية والعاطفية التي مر بها الشخص أثناء الطفولة والمراهقة مع ظروف تربوية خاصة أي أن خبراته الجنسية الأولية أثناء المراهقة كانت مع نفس الجنس مما جعله يتعود على هذا النوع من العلاقة، مما أفقده الثقة بنفسه في احتمال إقامة علاقة مع الجنس الآخر، وهذا الفشل مع الجنس الآخر يعزز دائماً عودته إلى نفس الجنس.

الملخص

المحددات البيولوجية للشخصية وتدور حول:

1. الوراثة: من أشهر الدراسات حول موضوع الوراثة تلك الدراسة التي أجريت حول أسرة «كاليكاك» وهو جندي أمريكي اتصل بفتاة ضعيفة العقل وأنجب منها ابناً ضعيف العقل ثم تزوج من فتاة عادية وأنجب منها طفلاً عادياً. وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرد لعدة أجيال وقد لاحظوا أن الفرع الذي ينتمي إلى الجد الضعيف العقل لم يكن به إلا عدد قليل من العاديين والباقون كانوا من ضعاف العقول وبالمثل فإن الفرع الآخر لم يكن به إلا عدد قليل من الشواذ أما الباقون فكانوا من الناجحين في أعمالهم ومناشطهم على العكس تماماً من أفراد الفرع الآخر.
2. التكوين الغدي للفرد حيث تؤثر الغدد الصم على الشخصية وهذه الغدد الصم تصب إفرازاتها في الدم مباشرة ويسمى إفرازها بالهرمون وكمية الهرمونات التي تفرزها صغيرة جداً ولكنها ذات تأثير كبير، وهذه الغدد تقوم بدور مهم في نمو الجسم وعمليات الهدم والبناء والنمو العقلي والسلوك الانفعالي، من أهم هذه الغدد الغدة النخامية والغدة الدرقية والغدة الكظرية والغدد الجنسية.
3. التكوين البيوكيميائي والغدي للفرد: وتكشف دراسة الأشخاص الذين يعانون من الاختلال في إفرازات الغدد عن أدلة قاطعة على وجود تأثيرات واضحة للهرمونات في الشخصية بل إن بعض العلماء يغالي في هذا الموقف مغالاة شديدة على أساس أن الغدد هي المحدد الأول والوحيد للشخصية.

وتقوم الحياة النفسية على التكامل بين الجهاز العصبي والجهاز النفسي ولكل منهما تأثير على الآخر، ومن أهم المؤثرات الفسيولوجية على الجهاز العصبي للإنسان الغدد الصم، إذ يحتوي الجسم الإنساني على أنواع من الغدد، أهمها الغدد الصم أو غير القناة.

والغدد الصم تصب إفرازاتها في الدم مباشرة ويسمى إفرازها بالهرمون وكمية الهرمونات التي تفرز كمية صغيرة جداً ولكنها ذات تأثير كبير، وهذه الغدد تقوم بدور هام في نمو الجسم وعمليات الهدم والبناء والنمو العقلي والسلوك الانفعالي ونمو الخصائص الجنسية الثانوية.

ونتحدث عن دور هذه الغدد باختصار فيما يلي:

1. الغدة النخامية Pituitary gland

توجد هذه الغدة عند قاعدة المخ ويشبه حجمها شكل حبة البازيلاء ويتراوح وزنها بين 350 400 ملغم، وتتكون من فص خلفي وفص أمامي ولكل منها إفرازاته الخاصة ولا علاقة بين الإفرازين.

يفرز الفص الخلفي هرمون النخامين الذي يحتوي على عنصرين هما هرمون رافع الضغط وهرمون معجل الولادة، ومن آثار هذا الهرمون انقباض عضلات الرحم خاصة في وقت الحمل وكذلك يعمل على تضييق الشرايين ولذلك فهو ضروري لرفع ضغط الدم في أحوال خاصة لازمة مثل الصدمات العصبية.

ويفرز الفص الأمامي خمسة أنواع من الهرمونات وكثيرا ما تسمى الغدة النخامية الأمامية «الغدة القائدة» وأهم هذه الهرمونات هو هرمون النمو، وزيادة إفراز هذا الهرمون في الطفولة والمراهقة يؤدي إلى العملقة حيث يتجاوز طول القامة المترين، أما نقص إفراز هذا الهرمون فإنه يؤدي إلى القزامة حيث لا تزيد طول القامة عن متر وربع.

2. الغدة الدرقية

وهي توجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة ويتراوح وزنها بين 10-50جم ويزداد حجمها أثناء البلوغ والحمل وفي فترة الحيض زيادة مؤقتة.

ووظيفة الغدة الدرقية تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات الأيض أي عمليات الهدم والبناء، ويوجد تأثير متبادل بين الغدة الدرقية وغيرها من الغدد خاصة الغدة النخامية.

والاضطراب الذي يصيب وظيفة الغدة الدرقية يكون إما بنقص هذا الإفراز أو زيادته.

ويؤدي قصور الإفراز إلى القصاع Cretinism ومن أعراضه بطء النمو واضطرابه أو غلظ اللسان وجفاف الحلق وقصر القامة والضعف العقلي، وكذلك مرض «الوذمة المخاطية» Myxaedema حيث يغلظ الجلد ويترهل الجسم ويزداد الوزن ويتساقط شعر الرأس والحواجب وتنخفض درجة حرارة الجسم مع خفض نسبة الأيض ويميل المريض إلى

الكسل والنعاس ويصاب بالبلادة ويفقد اهتمامه بالعالم الخارجي ولا يستطيع القيام بالأعباء اليومية.

أما زيادة الإفراز (أو ما يسمى مرض جريف) فإنه يؤدي إلى زيادة سرعة عمليات الهدم والبناء وزيادة سرعة النبض ويزيد من ضغط الدم ويقل وزن الجسم ويصاب المريض بالأرق وسرعة التهيج العصبي وعدم الاستقرار الحركي والانفعالي.

ويمكن تلخيص عمل الغدة الدرقية في التحكم في تنظيم وحفظ:

أ. وزن الجسم وحرارته.

ب. نمو الجسم.

ج. القدرة العضلية.

د. الحالة النفسية والانفعالية للفرد.

وتشير الدراسات السيكوسوماتية إلى أن التوتر الانفعالي المستمر يؤدي إلى تضخم الغدة الدرقية وزيادة إفرازاتها مما يزيد بدوره من شدة الانفعال وحدته.

3. الغدد جارات الدرقية Parathyroid

وعددها أربع وهي تقوم بدور فعال في تكوين العظام وفي النشاط العصبي والعضلي وضبط عملية تمثيل الكالسيوم والفسفور ويؤدي قصور إفرازها إلى هبوط نسبة الكالسيوم في الدم، وبالتالي إلى سرعة التهيج العصبي والرعشة واختلاج العضلات وتشنجها وفي حالةتضخم هذه الغدد وزيادة إفرازاتها تزداد نسبة الكالسيوم في الدم ويقل في العظام مما يؤدي إلى ليونتهاوسهولة كسرها وإلى تشويه الهيكل العظمي، وتبدو على المريض علامات الملل والتعب الزائد وقد يقع في غيبوبة.

4. الغدة الكظرية (فوق الكلية) Adernal

توجد فوق كل كلية غدة يتراوح وزنها بين 15-20جم تعرف بالغدة الكظرية أو غدة الأدرنالين، وهي تتكون من عضوين متميزين القشرة والنخاع.

ويفرز النخاع مادة «الأدرنالين» ويؤثر الأدرنالين على الجهاز العصبي ويؤدي دوراً مهما في الحالات الانفعالية ويساعد الجسم على تعبئة طاقاته لمواجهة الطوارئ بصورة إيجابية فعالة، ومن أهم وظائفه توسيع حدقة العين وزيادة سرعة القلب وقوة دقاته ومقاومة التعب

العضلي، كما أنه يزيد من سرعة تكوين الجلطة الدموية منعاً للنزيف أي أنه يهيئ الشخص للقيام بالنشاط المتواصل.

أما القشرة فإن الجسم الإنساني لا يستطيع أن يتحمل الشدائد التي تحفل بها البيئة الخارجية والداخلية بدون هذه القشرة وهذه الشدائد هي على سبيل المثال التعرض للبرد أو الحرارة أو الإصابة بالجروح أو اجتياز الامتحانات وتفرز هذه القشرة هرمون «الكورتيزون» وهو مهم في عمليات البناء والهدم وزيادة إفراز هذا الهرمون تحدث تضخماً في القشرة الأدرينالية وتسبب مرض «كوشنج» حيث يشكو المريض من زيادة في الوزن وضعف عام وارتفاع ضغط الدم ويتعرض للإصابة بأحد الأمراض العقلية مثل الاكتئاب أو البرانويا أو الهوس.

أما قصور إفراز هذا الهرمون بسبب التهاب أو ضمور في القشرة فإنه يؤدي إلى مرض «أديسون» ويتميز بالضعف العام والفتور ونقص الوزن مع تلون الفم والشفاه بلون بني وانخفاض ضغط الدم ونقص نسبة السكر في الدم.

5. الغدد الجنسية Gonads

وهي الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى وتفرز الخصيتان هرمون الذكورة وتتلخص وظائف هرمون الذكورة فيما يلي:

أ. نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية وهي خشونة صوت المراهق ونبت الشعر في بعض المناطق مثل الشارب واللحية والعانة وزيادة النمو العضلي.

ب. يزيد من حيوية الحيوانات المنوية وقابليتها للإخصاب.

ج. يؤثر في النمو الانفعالي لدى المراهق ويقوي لديه الدافع الجنسي كما انه يعين الى حد ما اتجاهه السليم نحو الجنس الآخر ويساهم في ظهور سمات الرجولة النفسية. غير انه يجب ان نذكر ان اثر هرمونات الرجولة في بناء الشخصية وفي توجيه السلوك الخاضع لشتى العوامل التربوية والنفسية والاجتماعية التي تدعم هذا الأثر او تضعفه.

اما الهرمونات الأنثوية التي تفرزها المبيضين -فإن وظائفها مشابهة لوظائف هرمونات الذكورة واهم هذه الوظائف:

أ. نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية في مرحلتي البلوغ والمراهقة مثل النمو العام للجسم وتكوين الثديين.

ب. تنشيط الدافع الجنسي وتثبيت السمات الأنثوية وتوجيه النمو النفسي الجنسي في اتجاهه السوي.

ج. يعمل على نمو العظام فترة معينة ثم يدفع إلى توقف نموها وهذا هو السر في أن النساء بوجه عام أقصر من الرجال.

د. يؤثر في ترسيب الدهن وتوزيعه الأنثوي في جسم المرأة كما أنها تعمل على تماسك الجسم بما فيه من ماء وأملاح.

وعلى هذا يمكن القول إن هذه الغدد تأثيرا واضحا على الشخصية ولكن ليس معنى ذلك أن هناك ارتباطاً بين سمات معينة في الشخصية وهرمونات غدية معينة.

أسئلة للمناقشة

1. (إن موضوع الوراثة كله موضوع عجيب) تحدث عن هذه العبارة بأمثلة من التي وردت في الفصل؟
2. تحدث عن الغدة النخامية ووظيفتها وأثرها على السلوك؟
3. إشرح أهم وظائف الغدة الدرقية وما هي أضرار اضطراب هذه الغدة؟
4. تحدث عن دور الغدة الأدرينالية؟
5. تحدث عن دور الغدة الجنسية في حياة الإنسان؟



الفصل الثالث

التطبيع الاجتماعي Socialization



الفصل الثالث

التطبيع الاجتماعي Socialization

مقدمة وتعريف

عملية التطبيع الاجتماعي هي العملية التي عن طريقها يتم للطفل الإحساس بالمؤثرات الاجتماعية والإحساس بالتزامن حيال الجماعة وما تمارسه هذه الجماعة من ضغوط وأن يتعلم مسايرة الآخرين والتصرف طبقاً لما يلتزم به أعضاء الجماعة.

عملية التطبيع الاجتماعي –أو التنشئة الاجتماعية- هي العملية الموسعة التي يصير بها الطفل كائناً اجتماعياً. (سوف نستخدم تعبير التنشئة الاجتماعية على أساس أنه مرادف للتطبيع الاجتماعي). ولا يولد الطفل إنساناً أو اجتماعياً بل على المجتمع أن يأخذ في صقله وترويضه.

إذن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية تربوية تعليمية يقوم بها الآباء والمعلمون وغيرهم من أهل الحل والعقد ممن يمثلون ثقافة المجتمع وحضارته وهي عملية تستهدف تعليم الفرد الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته واتباعه تقاليد هذا المجتمع وقيمه ومثله ومعاييره.

عملية التطبيع الاجتماعي عملية يحدث فيها تفاعل بين الفرد من جهة والمجتمع من جهة أخرى، فكما أن الفرد يتأثر بالمجتمع فإن المجتمع يتأثر بالفرد.

وعملية التنشئة الاجتماعية مستمرة منذ المهد حتى نهاية الحياة ونأتي إلى تعريفات التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي فنقول إنها هي:

1. عملية إكساب الطفل الطابع الاجتماعي ودمغه بدمغة المجتمع أو طبعه بطابعه.
2. عملية تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
3. إكساب الفرد صفته الإنسانية لأن هذه الصفة الإنسانية لا تكتسب من خلال الخصائص الوراثية البيولوجية فقط بل من خلال الخصائص الاجتماعية والثقافية المكتسبة والمتعلمة أو المحصلة من المجتمع.

4. عملية تعلم يتعلم فيها الطفل أدواره الاجتماعية ويتمثل ويكتسب المعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الأدوار وأن يكتسب الاتجاهات ويتعلم كيف يتصرف بطريقة اجتماعية توافق عليها الجماعة ويرتضيها المجتمع.
5. عملية نمو يتحول من خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركزاً حول ذاته لا يهدف إلا إلى إشباع حاجاته الفطرية أو غرائزه إلى شخص ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وكيف يتحملها ويعرف معنى الفردية والاستقلال ويكون قادراً على التحكم في انفعالاته وضبط دوافعه طبقاً لمقتضى الضرورات الاجتماعية.
6. عملية تربوية يتم من خلالها وضع الفرد في قالب ثقافي معين، ويكتسب من خلالها الخصائص الأساسية للمجتمع وهذه الخصائص عديدة على رأسها اللغة والقيم والاتجاهات والعادات والتقاليد والمهارات الاجتماعية.
7. عملية تمكن الفرد من التوافق النفسي والتوافق الاجتماعي مع المجتمع الذي يعيش فيه.

ونلاحظ أن هذه التعريفات متداخلة فيما بينها ونخرج منها بتعريف إجرائي هو: عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي هي:

1. العملية التي يتم من خلالها إكساب الطفل الطابع الاجتماعي وختمه بخاتم المجتمع.
2. تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.
3. عملية نمو يتعلم الطفل من خلالها المعايير والقيم والاجتماعية ويتحول من شخص متمركز حول ذاته إلى شخص ناضج يعرف معنى المسؤولية الاجتماعية.

ونتحدث عن التطبيع الاجتماعي عن النقاط الآتية:

أولاً: وكالات التطبيع الاجتماعي

تبين لنا في الصفحات السابقة أن التطبيع الاجتماعي هو العملية التي يتم بها دمغ الفرد بدمغة المجتمع وختمه بخاتمه عن طريق استدماجه للتراث الاجتماعي وعملية التطبيع هذه تقوم بها عدة مؤسسات نشير إليها فيما يلي:

1. الأسرة

الأسرة هي الجماعة الأولى التي تستقبل الطفل، وهي أقوى الجماعات تأثيراً في سلوكه والأسرة هي المدرسة الاجتماعية الأولى وهي كانت ولا تزال السلاح الذي يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي، وإن أثر الأسرة أثر خطير يتضاءل دونه أثر أية منظمة

أو وكالة أخرى، ذلك أن الطفل الصغير أثناء حضانة الأسرة له لا يكون خاضعاً لسلطان جماعة أخرى غير أسرته ولأنه يكون فيها سهل التشكيل شديد القابلية للإيحاء والتعليم قليل الخبرة وقليل الحيلة وفي أشد الحاجة إلى من يعوله ويرعى حاجاته النفسية والعضوية.

وإن ما يكتسبه الفرد إبان طفولته من اتجاهات دينية وقومية وكذلك فكرته عن نفسه وأسلوبه في معاملة الناس كل هذا يصعب تحويله فيما بعد.

وكذلك تؤثر العلاقات الأسرية في عملية التطبيع الاجتماعي حيث إن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جواً يساعد على نمو شخصية الطفل بصورة متكاملة، كما أن الوفاق والعلاقات السوية بين الوالدين تؤدي إلى إشباع حاجة الطفل إلى الأمن النفسي وإلى التوافق الاجتماعي كما أن الخلافات بين الوالدين تخلق توتراً يشيع في جو الأسرة مما يؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الطفل مثل الغيرة والأنانية والخوف وعدم الاتزان الانفعالي.

ويتوقف أثر الأسرة في عملية التطبيع الاجتماعي على عوامل أخرى منها وضعها الاجتماعي والاقتصادي ومستواها الثقافي وتماسكها واستقرارها والدفء العاطفي الذي يشيع فيها، وفي كلمة فإن وظيفة الأسرة في التطبيع هي طبع الطفل بالطابع الثقافي العام في حدود ثقافتها الخاصة ووسطها الاجتماعي واتجاهاتها الطبقية الخاصة وتقاليدها.

وتعد العلاقة بين الوالدين من أهم العوامل المؤثرة في النمو النفسي السليم للطفل وهذه حقيقة مستقرة لا خلاف عليها بين خبراء الصحة النفسية لأنها قامت أصلاً على الخبرة المتكررة للأطفال المضطربين نفسياً.

والأصل بطبيعة الحال أن تكون العلاقة بين الوالدين قائمة على الحب والمودة والتفاهم والاحترام المتبادل، ولكن للأسف لا تكون العلاقة هكذا إذ يحدث أن يكون الشقاق والتباين باللفظ الجارح بل والعراك أيضاً مما يكون له أسوأ الأثر على الأبناء.

2. المدرسة

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية الأولى التي تقوم بوظيفة التربية والتعليم ونقل الثقافة المتطورة وتوفير الظروف المناسبة للنمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي وعندما يبدأ الطفل تعليمه في المدرسة يكون قد قطع شوطاً لا بأس به في عملية التطبيع الاجتماعي.

ويحلو للبعض أن يطلق عبارة «صدمة المدرسة» على الأيام الأولى أو الأسابيع الأولى للالتحاق بالمدرسة ذلك أن المدرسة معناها الانفصال عن الوالدين خاصة الأم وبيان ذلك أن انتقال الطفل من البيت إلى المدرسة حدث حرج خالد في حياته فهو انتقال من مجتمع صغير بسيط منطو على نفسه إلى مجتمع أوسع وأعقد والمدرسة هي بيئة جديدة ذات نظم وقوانين جديدة وبها تكليفات لم يعهدها الطفل من قبل فيها يضطر إلى التضحية بالكثير من المميزات التي كان ينعم بها في البيت، حيث إنه بعد أن كان يحتل في البيت مركزاً خاصاً أصبح في المدرسة مجرد طفل بين عدد من الأطفال.

إن هذا التغير في بيئة الطفل له أثر كبير في شخصيته وخلقه وسلوكه الاجتماعي ذلك أن عادات التصرف التي ألفها في البيت لا تعود تصلح لسلوكه في المدرسة مما يضطره لأول مرة أن يخضع لنظام يفرضه عليه غير والديه فلا يعود الوالدان المصدر الوحيد للنفوذ وفيها يتعين عليه أن يراعي النظام وأن يلتزم الأدب وألا يهزأ من أخطاء غيره وأن يلتفت إلى من يحدثه.

وعلى هذ الأساس فإن الطفل المدلل في البيت أكثر عرضة لأن يشقى في المدرسة، ولكنه من جهة أخرى يستفيد كثيراً من هذه البيئة الجديدة التي تحمله بعض التبعات وتقيه جو التسيب الذي يسود بيئته المنزلية ونقول مثل هذا بالنسبة للطفل الوحيد. وقد لوحظ أن كثيراً من الأطفال يسهل عليهم اكتساب العادات اليومية في الطعام واللعب حين يوجدون مع أطفال آخرين.

ومن أظهر الفوائد التربوية للمدرسة الابتدائية انتزاع الطفل مما يسمى «مركزية الذات» التي تسيطر على تفكيره وتصرفاته فالطفل في هذه السن من الالتحاق بالمدرسة الابتدائية وما قبلها يكون شديد الخضوع لدوافعه وحاجاته مستغرقاً في اهتماماته وأموره الخاصة مما يجعله عاجزاً عن الاهتمام بالآخرين أو التعاون معهم، هذا الموقف ناشئ أساساً من اعتقاده أنه «مركز العالم» أو «مركز الكون» وأن كل شيء خلق من أجله وأن الجميع يأتمرون بأمره غير أن التحاق الطفل بالمدرسة من شأنه «تبديد» هذا الشعور ففي المدرسة لا يعود هو مركز العالم بل هو جزء من هذا العالم الذي يتشارك فيه مع الآخرين.

ويلعب المدرس في عملية التطبيع الاجتماعي الأدوار الآتية:

أ. المدرس هو ضمير الجماعة حيث يقوم بتلقين التلميذ المعايير الخلقية السائدة في المجتمع.

ب. المدرس حكم ومُقدر وهو يقوم بهذا الدور حيث يقدر الدرجات وهو جزء من الواجب اليومي للمدرس وتقدير الدرجات ليس مساهمة في العملية التعليمية فقط ولكنها مساهمة في بناء شخصية التلميذ بصورة صحيحة لأنها تعرفه فكرة الخطأ والصواب والثواب والعقاب.

ج. المدرس كبش فداء حيث يطاله الانتقاد إذا قصر في أداء واجبه سواء أكان هذا التقصير حقيقياً أو وهمياً.

د. البطل: حيث ينظر إلى المدرس المحبوب وكأنه بطل لامتيازه في مادته العلمية وجاذبيته الشخصية.

هـ. ممثل المجتمع: حيث يلعب المدرس بالنسبة للتلميذ دور المرشد ويمثل القيم التي ارتضاها المجتمع، حيث يحاول بالحوار والأمثلة أن ينمي الاتجاهات الأخلاقية وأنماط التفكير وأهداف الحياة التي ارتضاها المجتمع لنفسه.

و. موضع التوحد: حيث يتوحد التلاميذ بمدرسهم المحبوب ويقلدونه في أساليبه السلوكية المختلفة أو بمعنى آخر يتقمصون بعض أساليبه السلوكية.

3. **جماعة الرفاق**

وتقوم جماعة الرفاق (تسمى أحياناً جماعة الأقران أو الشلة) بدور مهم في عملية التطبيع الاجتماعي للفرد إذ إنها تؤثر في الفرد بحيث تهيئ له القيام بأدوار متعددة لا تتيسر له خارجها، حيث إن هذه الجماعة رفاقا وأقرانا يشتركون معاً في مرحلة نمو واحدة بمطالبها وحاجاتها ومظاهرها وينعم الفرد معها بالمساواة، ويتوقف تأثر الفرد بجماعة الرفاق على درجة ولائه لها ومدى تقبله لمعاييرها وقيمها واتجاهاتها وعلى تماسك هذه الجماعة ونوع التفاعل القائم بين أعضائها.

ومن أهم خصائص جماعة الرفاق ذات الأثر في عملية التطبيع الاجتماعية تقارب الأدوار الاجتماعية ووجود اتجاهات مشتركة ووجود قيم عامة.

ومن أشكال جماعة الرفاق ما يلي:

أ. **جماعة اللعب**: وتتكون تلقائياً بهدف اللعب واللهو غير المقيد بقواعد أو حدود.

ب. **الثلة (الشلة)**: وهي جماعة قوية التماسك وثيقة العرى، تجمع بين أفراد متباينين في المكانة والوضع الاجتماعي مثل شلة المقهى.

ج. **العُصبة**: وهي جماعة أكثر تعقداً يميزها الصراع مع السلطة أو جماعات أخرى ولها رموزها الخاصة مثل جماعات الأحزاب السياسية أو الجماعات الدينية.

د. **جماعة النادي**: وتنشأ في وسط رسمي يشرف عليه الراشدون وتتيح فرصة للنشاط الجسمي والنمو العقلي والتفريغ الانفعالي والتعلم الاجتماعي.

ويتلخص أثر جماعة الرفاق في عملية التطبيع الاجتماعي فيما يلي:

أ. المساعدة في النمو الجسمي عن طريق إتاحة فرص ممارسة النشاط الرياضي والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الاجتماعي وتكوين الصداقات، والنمو الانفعالي عن طريق المساندة الانفعالية، ونمو العلاقات العاطفية في مواقف لا تتاح في غيرها من الجماعات.

ب. تكوين معايير اجتماعية جديدة وتنمية الحساسية والنقد نحو بعض المعايير الاجتماعية القديمة.

ج. القيام بأدوار اجتماعية جديدة مثل القيادة.

د. المساعدة على تحقيق أهم مطالب النمو الاجتماعي وهو الاستقلال والاعتماد على النفس.

هـ. إتاحة فرصة تحمل المسؤولية الاجتماعية.

و. إشباع حاجات الفرد إلى الانتماء.

ثانياً: اللغة والتطبيع الاجتماعي

يكتسب الطفل اللغة الأم أثناء عملية التطبيع الاجتماعي، كما يكتسب العديد من المعطيات الاجتماعية مثل القيم والأخلاقيات والتقاليد والأعراف والآداب السلوكية، ونتحدث عن اللغة وعلاقتها بالتطبيع الاجتماعي فيما يلي:

اللغة: تعريفها

من تعريفات اللغة:

أ. هي مفردات أو ألفاظ ينطقها اللسان للتعبير عن المعاني.

ب. هي أصوات يعبر بها الناس عن مقاصدهم وأغراضهم.

ج. هي نظام معين من الرموز، وهذه الرموز ذات معان يفهمها أفراد المجتمع وهي صوتية منطوقة.

د. هي طريقة إنسانية لإيصال الأفكار والدلالات والانفعالات والرغبات بواسطة نظام من الرموز اختاره أفراد المجتمع واتفقوا عليه.

ويمكن أن نعتبر اللغة بمثابة ظاهرة اجتماعية موجودة في جميع المجتمعات الإنسانية، والذي يبدو أن ألفاظ اللغة ظهرت أصلاً بالتواضع والارتجال، هذا وتنحصر الرموز الصوتية في معظم لغات العالم إلى ثلاثين رمزاً وهي حروف اللغة.

هذا ويقال دائماً إن الإنسان حيوان ناطق أي كائن متحدث باللغة، ناهيك عن أن أحد معاني لفظة ناطق هو مفكر، هذا كما أن اللغة هي من أعظم اختراعات الجنس البشري إن لم تكن أعظم الاختراعات على الإطلاق، ومن الواضح أن الحياة الاجتماعية ما كان لها أن تزدهر إلا باستخدام اللغة.

اكتساب اللغة

لماذا يتحدث الطفل الذي نشأ في مجتمع عربي اللغة العربية؟ ولماذا يتحدث الطفل الذي نشأ في اليابان اللغة اليابانية؟ رغم أن كلاً من الطفلين يحوزان نفس الجهاز التحدثي أو ما نسميه مجازاً بأعضاء النطق، أي اللسان والشفتان والأسنان (لأجزاء الجهاز التحدثي عند الإنسان مطاولات يعرفها أصحاب الفسيولوجيا ونتجاوز عنها لضيق المقام وعدم الاختصاص).

للإجابة عن هذا السؤال نعرض لرأيين متعارضين يفسران كيفية اكتساب اللغة:

أ. الرأي الأول: رأي المدرسة السلوكية من أن اللغة هي من الأمور المكتسبة خلال التعامل مع الآخرين وخلال التعلم والمحاكاة أو التقليد ومن علماء هذه المدرسة «سكنر» Skinner الذي أصدر عام 1957 كتاباً عن السلوك اللفظي، حيث يرى أن التي تصدر من الكائن الحي الإنساني وتمثل كلمات اللغة هي استجابات يمكن تعزيزها عن طريق كلام الآخرين أو إيماءاتهم، ويتطلب «السلوك اللفظي» موقفاً فيه شخصان أحدهما مستمع والآخر متحدث، والمتحدث يأتي بأصوات هي الكلمات والمستمع يأتي بسلوك يتضمن التعزيز أو الاستهجان ومثال ذلك عندما يتعلم الأطفال التحدث إذ يشاهدون ويسمعون ردود أفعال آبائهم وهم ينطقون بكلمات خطأ يرون في وجه الآباء تكشيرة

الاستهجان وعندما ينطقون الكلمات بطريقة صحيحة يرون في وجوه الأبناء الاستحسان، ومن خلال ذلك يثبت النطق الصحيح والعكس بالنسبة للنطق الخطأ.

ب. الرأي الثاني: الذي يراه «نعوم شومسكي Chomsky» من أن اللغة لها أصل وراثي وأن الإنسان مزود بما أسماه جهاز اكتساب اللغة Language acquision device ويرمز إليه بالأحرف الأولى LAD وهذا الجهاز يمكن البشر منذ السنوات الأولى من العمر من الاستماع إلى اللغة وفهمها والاستجابة لها.

والرأي عند شخصي المتواضع أنا مؤلف هذا الكتاب أن البشر يرثون استعداداً عاماً للتحدث هو أمر فطري وولادي زود به بنو آدم ثم إن هؤلاء البشر يتعلمون من مؤسسات المجتمع الذي يعيشون فيه اللغة وما تحفل به من مفردات وعبارات ومعان ومن أهم المؤسسات التي تلقن اللغة الأسرة ثم المدرسة.

مراحل النمو اللغوي

قلنا إن الإنسان يرث التحدث باللغة ولكنه يتعلم لغة قومه أو اللغة الأم خلال عملية التطبيع الاجتماعي من المؤسسات الاجتماعية التي على رأسها الأسرة والمدرسة خلال مراحل نعرضها فيما يلي:

1. **سنتا المهد**: ينقضي العام الأول من عمر الطفل وهو غير قادر على النطق الواضح السليم ولكن مع بداية العام الثاني نراه قد بدأ ينطق العديد من الكلمات.

ومنذ الولادة تظهر المنطوقات قبل اللغوية خلال الأسابيع الثلاثة الأولى مثل صرخة الألم، صرخة الجوع. وفي الأسبوع الخامس يظهر الهديل، أما المناغاة فتظهر خلال الشهور الرابع والخامس والسادس، وفي نهاية العام الأول وبداية العام الثاني يبدأ نطق الكلمات بل إن بعض الأطفال يصل محصولهم اللغوي مع نهاية العام الأول وبداية العام الثاني إلى 50 كلمة تقريباً، وفي نهاية العام الثاني يصل المحصول اللغوي إلى 200 كلمة تقريباً.

2. **مرحلة الطفولة المبكرة**: وهي تلي مرحلة المهد وتمتد من نهاية السنتين إلى خمس سنوات وتسمى أحياناً مرحلة ما قبل المدرسة الابتدائية، حيث تبدأ الثروة اللغوية في النمو بصورة مذهلة، فالطفل في هذه المرحلة يستطيع أن يتكلم وأن يكون كلامه على هيئة جمل وتكون هذه الجمل مركبة ومنذ سن الثالثة يعرف الطفل أداة التعريف وحروف

الجر، وفي هذه المرحلة كذلك يتعلم صياغة الأسئلة فيما يعن له من حاجات وكذلك يتعلم الرد على الأسئلة التي توجه له.

وفي هذه المرحلة يصل الطفل كذلك إلى مستوى من التجريد بحيث يتعلم الكلمات التي تشير إلى الأشياء بذاتها فيعرف مثلاً ما صدقات كلمة «كرسي» وما صدقات كلمة «قلم»... إلى آخر.

3. **مرحلة الطفولة المتأخرة**: وتسمى أحياناً مرحلة المدرسة الابتدائية وتستمر من ست سنوات إلى اثني عشرة سنة وفيها يزيد المحصول اللغوي زيادة كبيرة وذلك بتأثير ما يقرأه الطفل وما يسمعه من المعلمين، ويعرف المفردات اللغوية وكيفية تركيبها واشتقاقها كما يعرف الاسم والفعل كما يستطيع التمييز بين الفصحى والعامية ويفهم تعبيرات اللغة ومجازاتها سواء أكانت فصحى أو عامية فإذا قلنا إن الغرفة أصبحت "زي الفل" يفهم الطفل أنها أصبحت نظيفة.

وفي بداية التحاقه بالمدرسة يتعلم القراءة والكتابة، وهذا التعلم في ذاته مفتاح سحري يزيد به محصوله من الألفاظ والمصطلحات والتراكيب اللغوية ويستطيع الطفل في أوائل مرحلة الطفولة المتأخرة أن يكون جملاً من أربع أو خمس كلمات ويعبر بها تعبيراً صحيحاً عن فكرة في ذهنه، وهنا تعمل المدرسة على تنمية المهارات اللغوية، كما ويتعلم الطفل القراءة الجهرية يتعلم كذلك القراءة الصامتة وهو نمط من القراءة أسرع وأكثر استخداماً كوسيلة للمعرفة والفهم من القراءة الجهرية.

وفي منتصف مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع الطفل أن يأتي بالمفردات ويعرف الأضداد ويتعلم الكتابة والتعبير التحريري.

4. **مرحلة المراهقة**: وهي فترة من النمو تبدأ منذ البلوغ وتستمر حتى تمام النضج الجنسي والعقلي والانفعالي، وفي هذه المرحلة تنمو القدرات ومن بينها القدرة اللغوية، وهذه القدرة اللغوية تتمثل في سهولة فهم الألفاظ وما يتصل بها من المعاني والأفكار وإدراك ما بين الألفاظ والجمل من العلاقات مثل التشابه والتضاد، كما تتضمن القدرة اللغوية سهولة التعبير بألفاظ اللغة سواء أكان هذا التعبير شفهياً أو تحريرياً.

ولا يسبقن إلى الوهم أن النمو اللغوي يتوقف مع نهاية مرحلة المراهقة بل إنه يستمر طوال مرحلة الرشد بل لا نبالغ إذا قلنا حتى نهاية الحياة.

ومن نافلة القول أن نذكر أن ثمة عوامل تؤثر في النمو اللغوي ومن أهمها:

أ. **الذكاء العام**: الذكاء قدرة عقلية عامة مبثوثة في جميع العمليات العقلية مثل الاستدلال والتفكير والتعلم كما أنها تهيمن على عملية التواصل الاجتماعي للفرد.

ب. **سلامة الأعضاء والحواس**: خاصة السمع والبصر واللسان ومناطق الكلام في المخ.

ج. **المثيرات الثقافية**: البيئة الغنية ثقافياً والتي تتوفر فيها الكتب وغيرها من المواد المقروءة كما تتوافر فيها وسائل الإعلام كالمذياع والرائي والفضائيات.

د. **الدفء العاطفي**: يؤدي الحرمان العاطفي إلى إعاقة النمو اللغوي عند الأطفال والدليل على ذلك أن الأطفال الذين ينشئون ويطبعون اجتماعياً في المؤسسات الإيوائية مثل الملاجئ ودور رعاية الأحداث تكون حصيلتهم اللغوية أقل من نظرائهم الذين ينشئون في أسر عادية.

ثالثاً: الدين والتطبيع الاجتماعي

يقوم علماء الدين من خلال المسجد ومن خلال وسائل الإعلام بتلقين أفراد المجتمع خاصة الأطفال والمراهقين بمبادئ الأخلاق والاهتمام بالجانب الروحي ونتحدث عن ذلك في النقاط الآتية:

1. نرى الإسلام يتبع في تربية الفرد منهجاً تربوياً هادفاً إلى تحقيق التوازن بين الجانب المادي والروحي في شخصية الإنسان مما يؤدي إلى تحقيق شخصية سوية ونفس مطمئنة.
2. ومن أهم معالم الجانب الروحي في الشخصية الإنسانية السوية هو الإيمان بالله وحده لا شريك له والإقرار له بالربوبية وهو أشرف إقرار وكذلك إقرار الإنسان على نفسه بالعبودية وهو كذلك أشرف إقرار، وهذا الإيمان بالله يؤدي إلى تزكية النفس وتصفيتها من الشوائب النفسانية والعلائق الشهوانية لأن الإيمان بالله يملأ النفس بالانشراح والرضا والسعادة ويجعل الإنسان يعيش حالة غامرة من الطمأنينة والأمن النفسي.
3. في الصلاة يقف الإنسان خاشعاً بين يدي الله ﷻ، وإن وقوف الإنسان بين يدي خالقه يشعره بالسكينة النفسية والصفاء الروحي.
4. كما أن أداء الصلاة في جماعة من شأنه أن يوثق الروابط الاجتماعية بين المصلين ويشبع حاجات كل منهم إلى الانتماء الاجتماعي، كما أن صلاة الجمعة لها دور علاجي

وإرشادي مهم لأن خطبة الجمعة تمد المصلين بالكثير من النصائح التي من شأنها خدمة عملية التطبيع الاجتماعي.

5. أما الصيام فإن له فوائد سلوكية عديدة لأنه تهذيب للنفس وتربية لها على السيطرة على دوافع الإنسان خاصة دافع الطعام والشراب لمدة شهر من كل عام فيمتنع عنهما من الفجر حتى غروب الشمس بحيث يتعلم المسلم الصبر، كما أن الصيام يشعر الغني بآلام الجوع عند الفقير بحيث تحدث مشاركة وجدانية وتنبعث عواطف إنسانية راقية مثل الرحمة والشفقة على الفقراء وهي سلوكيات مطلوبة في التطبيع الاجتماعي السليم.

6. لا يدعو الإسلام إلى قمع الدوافع أو كبتها لأنها جُبلت في جبلة الكائن الحي ولكن الإسلام يدعو إلى إرضاء هذه الدوافع بصورة سوية لا إفراط فيها ولا تفريط.

ومثال ذلك أنه بالنسبة للدوافع الفطرية فإن الحكمة الإلهية اقتضت أن يودع في الإنسان –وفي الحيوان كذلك– دافع لإرضاء الطعام والشراب ويدعو الإسلام إلى الوسطية في إرضاء هذا الدافع فلا إفراط إلى حد التخمة ولا تفريط إلى حد الهزال، ونقرأ خاشعين قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: 31]، وهكذا يربي الإسلام أبناءه ويطبعهم اجتماعياً على الوسطية.

7. يدعو الإسلام إلى الكد والعمل في سبيل كسب لقمة العيش ولا يرضى للفرد المسلم بالقعود عن طلب الرزق وذلك حسب التوجيه النبوي الكريم عنه قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم فأسه وحبله فيحتطب فيأكل ويتصدق خير له أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه».

8. وما ذكرناه من وصايا سلوكية تطبيقية يحضنا عليها الإسلام، وغيره من الديانات مجرد غيض من فيض لها دور أساسي لأن الدين له تأثير قوي على تكوين ما يسميه علماء التحليل النفسي الأنا الأعلى أو بالأحرى الضمير، وهذا الضمير قوة ضابطة رابطة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر تحل لنا الطيبات وتحرم علينا الخبائث وهذا الضمير هو جملة القيم والمعايير والمعتقدات والمبادئ الأخلاقية التي يستخدمها الفرد في الحكم على دوافعه وسلوكياته، وهو جانب الشخصية الذي يوجه وينفذ ويوقع العقاب، وكأن الضمير قاضٍ وجلاد فهو يحكم على أفعالنا بأنها خطأ أو صواب ويثيبنا في حالة الصواب براحة الضمير –وهو شعور لو تعلمون سعيد– ويعاقبنا في حالة الخطأ بعذاب الضمير –وهو شعور لو تعلمون شديد– وفي كلمة فإن الدين هو حجر الزاوية في تكوين الضمير.

رابعاً: وسائل الإعلام والتطبيع الاجتماعي

تقوم وسائل الإعلام بدور فعال في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد حيث تساهم في إكسابهم معلومات ومعارف وحقائق وأخبار ووقائع وإعلانات حول موضوعات معينة، كما تساعد على تكوين اتجاهات وقيم وآراء الأفراد بما يؤدي إلى تكوين رأي عام حول هذه الموضوعات.

ولم يعد من الممكن لأي مجتمع يريد أن يرقى وينمو أن يتجاهل الدور الذي يمكن أن تقوم به وسائل الإعلام في المجتمع المعاصر فهي أداة فعالة في توحيد السلوك الاجتماعي والثقافي فإلى جانب اشتمالها على أحداث إخبارية فإنها تعكس قيماً ومعايير للسلوك وتنتقل إلى الأفراد من مختلف الفئات العمرية مهما تباعدت أماكن إقامتهم، ولا شك في أن وسائل الإعلام يمكنها إذا أحسن توظيفها أن تساعد على تنشيط قدرات الأفراد المهارية والدافعية إلى الخلق والابتكار والاقتداء بنماذج إنسانية رفيعة.

وتؤدي وسائل الإعلام دورها التطبيعي من خلال قيامها بوظائف ثلاثة هي: إكساب الفرد المعلومات والإقناع والترفيه أو التسلية وهي وظائف متداخلة فيما بينها، حيث يمكن أن يتحقق الإقناع والاقتناع باتجاهات وآراء معينة من خلال الترفيه أو التسلية مثلاً.

ولتأثير وسائل الإعلام عدة مستويات تبدأ من مجرد الاهتمام إلى حدوث تغيير فعلي في اتجاهات الأفراد.

وتشير الدراسات التي أجريت في هذا المجال إلى أن هناك العديد من الفوائد التطبيعية للأجهزة الإعلامية عامة وللتلفزيون بوجه خاص ومن أمثلة ذلك ما يلي:

1. **إرضاء دافع الضحك:** الضحك غريزة موجودة عند الإنسان حيث يصاحبها انفعال السرور وانبساط الحالة المزاجية والنظرة المشرقة للحياة وتحفل الأعمال الفنية التي تقدمها وسائل الإعلام بالمواقف السارة المضحكة التي تخدم أهداف التطبيع الاجتماعي فمثلاً عادة البخل وهي عادة ذميمة ينفر منها الشخص المسلم، بل وغير المسلم. نرى أن وسائل الإعلام تعرض أعمالاً درامية تنفر من هذه الرذيلة، ونذكر في هذا المقام أديب العربية الكبير «الجاحظ» الذي ألف لهذا الغرض كتاب البخلاء وكذلك تهكم أديب العربية الحديث توفيق الحكيم على أشعب الطفيلي وقد عرضت العديد من الأعمال في الإعلام المرئي والمسموع التي تتهكم على البخلاء مستندة إلى أعمال هذين الأديبين

الكبيرين بمعنى أن الفكاهة توجه ضد السلوكيات الكريهة مثل البخل وتوجه نحو السلوكيات الطيبة مثل الكرم.

2. **أحلام اليقظة والمادة الإعلامية**: أحلام اليقظة هي قصص يرويها الفرد لنفسه عن نفسه يحلم فيها الفقير بالثروة والضعيف بالقوة، ولكن ما علاقة أحلام اليقظة ودور وسائل الإعلام في التطبيع الاجتماعي؟ نقول إن الأفلام والمسلسلات التي يعرضها التلفزيون هي أحلام يقظة جاهزة لم يصنعها المشاهد بل صُنعت له، فيها يتقمص شخصية البطل فيفرح لفرحه ويألم لحزنه ويبكي لموته، حبذا لو عرض التلفزيون الأعمال الدرامية للأبطال الذين تتسم سلوكياتهم بالعظمة والنبالة بحيث يتقمص المشاهدون -خاصة الأطفال والشباب- هذه السلوكيات العظيمة.

وقديماً أوصى «أفلاطون» فيلسوف اليونان الشهير أن يلقن النشء القصص والأشعار التي تحض على الخير والفضيلة ومكارم الأخلاق وتمنع عنهم قصص اللهو والمجون التي تقود إلى الخور وتثبط العزائم، وذلك حتى يشبوا وقد أخذوا من الحياة موقفاً جاداً وملتزماً وهي وصية عظيمة جدير بنا أن نأخذ بها.

وقد أثيرت تساؤلات حول أفلام العنف التي يعرضها التلفزيون أو السينما وبين زيادة السلوك العدواني، وهذا موضوع شرحه يطول وفاصل الرأي عن مؤلف هذا الكتاب أن أفلام العنف لا تخلق دافعية العدوان عند البشر ؛ لأن العدوان دافع فطري غريزي عند الإنسان والدليل الدال على ذلك أن البشر تقاتلوا وسفكوا الدماء وأفسدوا في الأرض قبل أن يظهر الراي وقبل أن تظهر دارة الخيالة، وإن العدوان في نظرنا جزء من طبيعة البشر ولكن أغلب العلماء لا يعلمون.

خامساً: الآليات النفسية للتطبيع الاجتماعي

اتضح لنا في الصفحات السابقة أن التطبيع الاجتماعي هو أساساً عملية تعلم يتم فيها إكساب الأفراد الأنماط السلوكية المختلفة ولأنها عملية تعلم فإنها تتبع آليات وعمليات التعلم التي نعرضها فيما يلي:

1. التدعيم أو التعزيز

المقصود بالتدعيم هو الأحداث التي تعقب صدور الفعل المرغوب فيه من الفرد، أي أن الفعل المرغوب يعقبه تدعيم باستجابة مرغوبة.

والتدعيم الإيجابي يقصد به إعطاء الطفل مكافأة مالية أو هدية عندما يصدر عنه تصرف مرغوب فيه، فالهدية تدعيم لسلوك إيجابي.

والتدعيم السلبي يقصد به إيقاف المثيرات المؤلمة أو المنفرة بحيث يميل الطفل إلى تكرار السلوك الذي ارتبط بتوقف المثيرات المنفرة، مثال ذلك طفل نزيل إحدى دور الأحداث يقضي محكومية معينة ولكنه يفرج عنه (أي يوقف العقاب كمثير مؤلم) بعد أن يقضي نصف المدة (مثلاً) إذا كان سلوكه داخل المؤسسة العقابية سلوكاً حسناً.

2. **العقاب**

العقاب أسلوب قديم تليد وهو يستخدم بهدف حث الفرد على تحاشي سلوك غير مرغوب فيه وتجنب هذا السلوك، مثال ذلك عقاب الطفل عندما يكذب أو يهدف إلى حثه على إبداء سلوك مرغوب فيه مثل عقاب الطفل إذا أهمل أداء واجباته المدرسية.

ويميل أهل الاختصاص إلى تقسيم العقاب إلى نوعين:

أ. **العقاب الإيجابي**: وهو تقديم مثير منفر أو مؤلم للفرد بسبب صدور سلوك غير مرغوب فيه، وهذا المثير المنفر أو المؤلم قد يكون الضرب أو التأنيب.

ب. **العقاب السلبي**: ومعناه وقف تقديم المكافأة عند حدوث السلوك غير المرغوب فيه مثل الحرمان من المصروف أو النزهة الأسبوعية عقاباً للطفل على إهمال واجباته المدرسية.

ويذكر في هذا المقام أن التدعيم أقوى أثراً من العقاب.

سادساً: المدرسة السلوكية والتطبيع الاجتماعي

يرى علماء المدرسة السلوكية أن اكتساب سمات الشخصية الإنسانية من خلال عملية التطبيع الاجتماعي يخضع لآليات عدة على النحو التالي:

يرى «سكنر» Skinner أن الشخصية هي سمات مكتسبة عن طريق الممارسة والتعلم الإجرائي ومن هذه السلوكيات أفعالنا اليومية مثل المشي والكلام وتناول المثلجات، والتعلم الإجرائي هو أسلوب للسلوك تحكمه النتائج، مثلاً توجه شخص إلى أحد المطاعم صدفة وتناول فيه الطعام ووجد أن الطعام شهي ولذيذ وسعره مناسب فإن احتمال أن يعود الشخص إلى نفس المطعم احتمال وارد، أما إذا كان الطعام رديئاً وسعره مرتفعاً فإن الاحتمال الوارد هو عدم العودة إلى ذلك المطعم. وبهذا الأسلوب تتكون أغلب اتجاهات الفرد حيال الآخرين فالشخص الذي يبدي حيالنا الود والتبسم نميل إليه، والشخص الذي

يبدي حيالنا العبوس والتجهم نميل عنه. بل إن العادات الخلقية مثل الصدق والأمانة والكذب والقسوة تتكون تدريجياً من مواقف خاصة واحداً بعد الآخر ثم يمتد أثرها إلى مواقف أخرى.

وترى السلوكية كذلك أن اكتساب سمات الشخصية أثناء التطبيع الاجتماعي يتم طبقاً لمبدأ التمييز ومثال ذلك طفل يرى سلوكاً معيناً يحوز رضا والديه فيميل إلى تكراره مع الغير أي إلى تعميمه على المواقف الأخرى المشابهة، ولكنه قد يحدث أن السلوك الذي ينال استحسان والديه، أي يدعم إيجابياً يقابل بالإعراض والاستهجان، هنا يضطر الطفل أن يتعلم التمييز أي أن يتصرف مع البعض بسلوك معين ومع البعض الآخر بسلوك مغاير.

كما ترى السلوكية أن اكتساب سمات الشخصية أثناء التطبيع الاجتماعي يكون كذلك عن طريق التعلم الاجتماعي Social Learning بأسلوب التدعيم غير المباشر أو التدعيم البديل (فيما يرى بندورا) وذلك بملاحظة سلوك الآخرين وملاحظة النتائج التي يؤدي إليها هذا السلوك بمعنى أن لدى الإنسان قدرة على اكتساب الأساليب السلوكية بالمثال وهذه القدرة تتضمن توقع النتائج التي نلاحظها في الآخرين والتي لا نتعرض لها بأنفسنا ومثال ذلك طفل يرى طفلاً آخر سيء الأدب داخل قاعة الدراسة، هنا يعاقبه المدرس باللوم أو الطرد، ويرى طفلاً آخر ملتزماً بالأدب داخل قاعة الدراسة، فيرى المدرس ينبهه بأن يثني عليه أو يكتب اسمه في لوحة الشرف: هذا الطفل تعلم بالمثال من سلوك الآخرين، إن سوء الأدب يترتب عليه العقاب، وحسن الأدب معناه الثواب، فماذا نتوقع من الطفل بناءً على هذا؟ نتوقع منه أن يحسن الأدب في قاعة الدراسة طلباً للثواب واجتناباً للعقاب.

إن نظرية «بندورا» تؤكد على أهمية تعلم واكتساب خصائص سلوكية عملية التطبيع الاجتماعي من خلال مشاهدة سلوكيات الآخرين والمردود الإيجابي والسلبي لهذه السلوكيات، وهذه النظرية في التعلم الاجتماعي للسلوك بالمثال تشبه قصة طريفة ملخصها كما يأتي:

كان أحد الحدادين قد اقتنى قرداً وكان يحاول تعليم القرد تشغيل الكير الذي يحمي به الحديد قبل طرقه ولكن القرد كان كسولاً ومشاكساً فرفض القيام بالعمل رغم سهولته، هنا أحضر الحداد جدياً وحاول أن يعلمه تشغيل الكير ولكن الجدي فشل بالطبع، هنا قام الحداد

بذبح الجدي على مرأى من القرد الذي خاف أن تكون له نفس العاقبة فقام بعمله في تشغيل الكير خير قيام، هنا تعلم بالمثال.

وما أكثر الأنماط السلوكية التي نتعلمها من مشاهدة الأمثلة العديدة من حولنا، وقديماً قيل العاقل من اتعظ بغيره.

وهناك أيضاً ما يسميه السلوكيون نظام المكافأة وهو إعطاء مكافأة أو «بونس» حين يأتي الطفل بالسلوكيات المطلوبة وقد تكون مكافأة الوالدين للطفل مبلغاً من المال أو قطعة من الحلوى.

ونختم الحديث بنظرة المدرسة السلوكية إلى آليات التطبيع الاجتماعي بالحديث عما يسمى العقد السلوكي. وهذا العقد السلوكي هو اتفاق بين شخصين -الأب والابن على سبيل المثال- وهذا العقد أشبه ما يكون بعقد غير مكتوب يكون لكل طرف التزاماته حيال الطرف الآخر، ومثال ذلك أن يجتهد الابن في الدراسة فيثيبه الأب بالمدح أو الكف عن اللوم، ومن الواضح أن فكرة العقد السلوكي فاشية فشواً شديداً في تعاملاتنا اليومية حتى وإن لم يعلم المتعاملون به أن السلوكيين يطلقون عليه هذا الاسم.

الملخص

التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية هي العملية التي يتم بموجبها تحويل الطفل من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي.

وهي عملية تحويل الإنسان من طفل يعتمد على غيره إلى شخص ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية.

وهي عملية تربوية يتم من خلالها وضع الفرد في قالب ثقافي معين يكتسب من خلالها الخصائص الأساسية للمجتمع.

أولاً، وكالات التطبيع الاجتماعي

الأسرة هي الجماعة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل، وكانت ولا تزال السلاح الذي يستخدمه المجتمع في عملية التنشئة الاجتماعية. والطفل أثناء وجوده في الأسرية يكون سهل التشكيل في أشد الحاجة إلى من يرعاه، وتؤثر العلاقات الأسرة في عملية التطبيع الاجتماعي، حيث أن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يؤدي إلى جو أسري طيب يؤثر تأثيراً إيجابياً على الأبناء.

المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية الأولى التي تقوم بوظيفة التربية والتعليم ونقل الثقافة وتوفير الظروف المناسبة للنمو الجسمي والعقلي والانفعالي للطفل.

وانتقال الطفل من البيت إلى المدرسة حدث خالد في حياته بحيث يعتبره بعض العلماء صدمة ففي المدرسة تكليفات وواجبات لم يعهدهما من قبل بحيث يضيق الطفل المدلل بالانتقال من البيت إلى المدرسة، ولكن هذا الطفل المدلل رغم ذلك سوف يستفيد من خبرة الالتحاق بالمدرسة؛ لأنها سوف تخلصه مما يسمى مركزية الذات حيث إن الطفل في هذه السن يعتقد أنه مركز العالم أو مركز الكون.

ويلعب المدرس دوراً مهما في التطبيع الاجتماعي للطفل وهذا الدور غالباً ما يكون دور البطل الذي يعجب به التلاميذ ويتقمصون شخصيته.

جماعة الرفاق: تؤثر الشلة في الفرد لأنها تهيئ له القيام بأدوار متعددة لا تتيسر خارجها وتتميز جماعة الرفاق بتقارب الأدوار الاجتماعية ووجود اتجاهات مشتركة.

وأثر جماعة الفرد في التطبيع الاجتماعي بحيث أنها تتيح له القيام بأدوار جديدة مثل القيادة والاستقلال والاعتماد على النفس وتكوين الصداقات وممارسات الأنشطة المختلفة.

ثانياً: اللغة والتطبيع الاجتماعي

تعرف اللغة بأنها مفردات أو أصوات نعبر عن معان، وهي طريقة لإيصال الأفكار والدلالات بواسطة نظام من الرموز اختاره أفراد المجتمع واتفقوا عليه، واللغة أعظم اختراع للجنس البشري.

وترى المدرسة السلوكية أن اللغة هي من الأمور المكتسبة عن طريق الآباء والمدرسين وصاحب هذا الرأي هو سكنر.

ويرى نعوم شومسكي أن اللغة لها أصل وراثي لكن الرأي الصحيح أن اللغة لها أصل وراثي ويأتي دور البيئة التي تعلم أبناء كل مجتمع اللغة الأم.

على سنتي المهد يستطيع الطفل أن يكوّن حصيلة لغوية تصل إلى 200 كلمة تقريباً.

مرحلة الطفولة المبكرة وتمتد من نهاية السنتين حتى سن الخامسة، يحدث نمو لغوي هائل بحيث يتكلم الطفل ويكون كلامه على هيئة جمل.

مرحلة الطفولة المتأخرة أو المدرسة الابتدائية وتستمر من سن ست سنوات إلى اثنتي عشرة سنة، وفيها يزيد المحصول اللغوي زيادة كبيرة، وخلالها يتعلم الطفل القراءة والكتابة وهذا التعلم يكون بمثابة مفتاح سحري لمزيد من التقدم في النمو اللغوي.

مرحلة المراهقة: وهذه المرحلة تبدأ منذ البلوغ وتستمر حتى تمام النضج الجسمي والعقلي والانفعالي (أي في حدود سن العشرين) وفي هذه المرحلة تظهر القدرات النفسية وعلى رأسها القدرة اللغوية والتي تتمثل في سهولة فهم المفردات وما يتصل بها من معان.

ثالثاً: الدين والتطبيع الاجتماعي

يهتم الإسلام بغرس الفضائل والقيم في نفوس الأطفال والمراهقين ومن أهم معالم الجانب الروحي الإيمان بالله وهو أشرف إقرار وإقرار الإنسان على نفسه بالعبودية وهو كذلك أشرف إقرار.

ففي الصلاة يقف الإنسان خاشعاً بين يدي الله ﷻ، وإذا كانت الصلاة في جماعة فإن ذلك يشبع حاجة كل منهم إلى الانتماء، كما أن خطبة الجمعة فيها الكثير من النصائح والإرشادات التي تساهم في عملية التطبيع الاجتماعي.

وفي الصيام تهذيب لدافع الجوع والعطش ومشاركة وجدانية للفقراء الذين لا يجدون كفايتهم من طعام وشراب.

ويدعو الإسلام إلى الوسطية في إرضاء الدوافع الفطرية بلا تفريط ولا إفراط ويهتم الإسلام أيما اهتمام بتربية ضمير المسلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا حاجة بنا إلى تأكيد أهمية العقيدة الدينية في تكوين الشخصية السوية.

رابعاً: وسائل الإعلام والتطبيع الاجتماعي

تقوم وسائل الإعلام بدور فعال في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد حيث تساهم في إكسابهم معلومات ومعارف وحقائق وأخبار حول موضوعات معينة، كما تساعد على تكوين الاتجاهات وقيم وآراء الأفراد بما يؤدي إلى تكوين رأي عام.

ولتأثير وسائل الإعلام عدة مستويات تبدأ من مجرد الاهتمام إلى حدوث تغيير فعلي في اتجاهات الفرد ومن الفوائد التطبيعية لأجهزة الإعلام ما يلي:

1. الفكاهة: تخدم أهداف التطبيع الاجتماعي الأعمال الدرامية التي تعرض في الرائي (التلفزيون) أو في الإذاعة حيث تسخر هذه الأعمال مثلاً من البخلاء، والبخل مكروه على جميع المستويات.
2. أحلام اليقظة والمادة الإعلامية: أحلام اليقظة هي قصص يرويها الفرد بنفسه عن نفسه والأفلام والمسلسلات التي نسمعها أو نشاهدها هي أحلام يقظة جاهزة، فيها يتقمص المشاهد أو المستمع البطل، يفرح لفرحه، ويتألم لألمه، فيا حبذا لو اهتمت أجهزة الإعلام بالأبطال الذين تتسم سلوكياتهم بالعظمة والنبالة.

خامساً: الآليات النفسية للتطبيع الاجتماعي

يتبع التطبيع الاجتماعي الآليات الآتية:

1. التدعيم أو التعزيز وهو الأحداث التي تعقب صدور الفعل المرغوب فيه، والتدعيم الإيجابي يقصد به إعطاء الطفل هدية عند صدور تصرف مرغوب فيه. والتدعيم السلبي يقصد به إيقاف المثيرات المؤلمة بحيث يميل الطفل إلى تكرار السلوك الذي ارتبط بتوقف المثيرات المؤلمة مثل طفل من الأحداث نزيل مؤسسة إصلاحية عليه محكومية معينة يفرج عنه لحسن سلوكه بعد قضاء نصف مدة المحكومية.
2. العقاب وهو نوعان:

أ. الإيجابي: تقديم مثير مؤلم عند صدور سلوك غير مرغوب فيه والمثير المؤلم قد يكون الضرب مثلاً.

ب. السلبي: وقف تقديم المكافأة عند حدوث السلوك غير المرغوب فيه مثل الحرمان من المصروف أو النزهة الأسبوعية.

سادساً: السلوكية والتطبيع الاجتماعي

يرى «سكنر» أن الشخصية هي سمات مكتسبة وتتكون سلوكياتنا عن طريق التعلم الإجرائي وهو أسلوب لتعلم السلوك تحكمه النتائج فمثلاً توجه أحد الأشخاص إلى أحد المطاعم صدفة ووجد الطعام جيداً والسعر مناسباً فإن هذا الشخص سوف يتوجه إلى هذا المطعم مرات بعد ذلك.

كما ترى السلوكية أن اكتساب سمات الشخصية أثناء التطبيع الاجتماعي يمكن أن يكون عن طريق التدعيم غير المباشر أو بالمثال أو القدوة، مثلاً أحد الأطفال يرى طفلاً آخر يعاقب بسبب سوء الأدب داخل قاعة الدراسة، هنا يلتزم الطفل الأدب داخل قاعة الدراسة، هنا تعلم بالمثال. وقديماً قيل العاقل من اتعظ بغيره.

كما تذكر السلوكية نظام المكافأة، وهو إعطاء قطعة من الحلوى أو مبلغ نقدي للطفل حين يكون سلوكه حسناً.

وكذلك تذكر السلوكية «العقد السلوكي» وكأنه عقد مكتوب بين طرفين –مثلاً الأب والابن- الابن يجتهد في المذاكرة والأب يكف عن لومه أو تأنيبه.

أسئلة للمناقشة

1. عرف التطبيع الاجتماعي، وتحدث عن وكالاته (الأسرة، المدرسة)؟
2. عرف اللغة، وتحدث عن دورها في عملية التطبيع الاجتماعي؟
3. "الدين والتطبيع الاجتماعي" تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
4. تحدث عن دور الإعلام في التطبيع الاجتماعي؟
5. للتطبيع الاجتماعي آليات، تحدث عنها باختصار؟



الفصل الرابع

المحددات الاجتماعية: النمو الاجتماعي



الفصل الرابع

المحددات الاجتماعية : النمو الاجتماعي

عملية النمو الاجتماعي هي عملية موازية للتطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية وفي عملية النمو هذه يستدمج الطفل والمراهق ثقافة المجتمع ويتم النمو الاجتماعي بين أحضان الأسرة وفي أكناف المدرسة، وفيها يتحول الإنسان من مرحلة المهد صبياً إلى مرحلة الرشد والتكليف، وعادة ما تقسم عملية النمو الاجتماعي خلال أربع مراحل ارتقائية. الأولى سنتا المهد، والثانية الطفولة المبكرة، والثالثة الطفولة المتأخرة، والرابعة المراهقة، ونتحدث عن ذلك باختصار فيما يلي:

أولاً: النمو الاجتماعي في سنتي المهد

رغم أن الطفل في بداياته الحياتية كائن بيولوجي إلا أن طبيعته البيولوجية هذه تفرض عليه الطابع الاجتماعي فهو في سني حياته الأولى يكون عاجزاً معتمداً على الآخرين خاصة الأم.

وأشهر موقف في مرحلة الطفولة عامة وسنتي المهد خاصة هو موقف التعلق، بمعنى تعلق الطفل بالوالدين خاصة الأم، ولكن لماذا التعلق؟ الإجابات متنوعة النحو التالي:

1. يرى «فرويد» أن اللذة التي يحصل عليها الطفل الوليد من الرضاعة هي الأساس في عملية التعلق.
2. يرى علماء التعلم وعلى رأسهم السلوكيون مثل «سكنر» أن التعلق ينمو من خلال سلسلة من أساليب السلوك المدعمة تبادلياً، فالطفل يبتسم فتبادله الأم الابتسام أو يبكي فتسارع الأم إلى نجدته.
3. يرى علماء الأثولوجيا Ethology (يطلق لفظ الأثولوجيا على موضوع دراسة سلوك الحيوان في العالم الفطري) أن تعلق الطفل بالأم كأنه أحد أشكال الإتباع الآلي upmriting كما تتبع صغار الأفراخ الدجاجة الأم، أو كما تتبع الخراف النعجة الأم.

وتعلق الطفل يتم على مراحل هي:

1. يتعلق الطفل بالأم بسبب التصاقها به وضمه إليها بصورة شبه متصلة خلال الشهور الثلاثة الأولى.
2. تعلق الطفل بالأم أو المحيطين به أو الذين يعتنون به بشكل منتظم بعد الثلاثة شهور الأولى، ودليل ذلك أن الطفل لا يبتسم طواعية للغريب في المدة بين ثلاثة وستة شهور.
3. التعلق الحقيقي نحو الأم أو من يقوم بالعناية به (الجدة أو المربية) بحيث إن الطفل يمارس الحبو فإنه يتجه نحو الأم أو الجدة أو المربية، وقد يكون التعلق عاماً بأن يتعلق الطفل بأكثر من شخص أو الأم أو المربية أو الجدة أو يكون التعلق خاصاً بحيث يكون التعلق باتجاه الأم.

وما سبق الحديث عنه من حيث موقف التعلق يمكن تسميته العلاقات الرأسية المتجهة من الطفل إلى الأم أو من الأم إلى الطفل.

وهناك شكل آخر من أشكال العلاقات هي العلاقات الأفقية بين الطفل والأطفال الآخرين ونتحدث عن هذه العلاقات فيما يلي:

1. يبدأ ظهور الاهتمام بالأطفال الآخرين مبكراً.
2. عندما يصل الطفل إلى حوالي ستة شهور يتضح اهتمامه بالأطفال الآخرين، فإذا وضعنا طفلين على الأرض كل منهما في مواجهة الآخر فإن كلاً منهما سوف يمسك بالآخر أو يشد شعره أو يأخذ بثيابه.
3. عند الشهر العاشر يمكن أن يلعب الطفل مع غيره، ولكنه ما يزال يفضل اللعب بالألعاب.
4. بين 14 إلى 18 شهرا يفضل اللعب مع طفل أو أكثر، ومن أخطر ما يمكن أن يتعرض له النمو الاجتماعي للطفل هو الشقاق الزواجي لأن الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يكون ضحية للشجار بين الزوجين ذلك لأن الأب والأم قد يحاول كل منهما استقطابه كما أنه لا يفهم للخلاف الزوجي سبباً بحيث يصدق المثل الذي يقول الآباء يأكلون الحُصرم والأبناء يضرسون.
5. أما الطلاق فهو كارثة الكوارث لأنه يفقد الطفل الشعور بالأمن والأمان ويصبح الطفل بمثابة ريشة في مهب الريح. وحدث ولا حرج عن تنازع الولاء الذي يعانيه الأطفال بين الأب والأم خاصة إذا تزوج أحدهما أو كلاهما وكفل الطفل أحد الأقارب مثل العم أو الجد.

الطفل والأخوة

والتفاعلات مع الإخوة هي من التفاعلات الأولى في حياة الطفل وقد يميل الطفل إلى تقليد إخوته الأكبر منه، كما أن الطفل الكبير يقوم بدور السيطرة في الألعاب مع إخوته الصغار، كما تتولى الإناث رعاية إخوانهن أثناء غياب الأم.

هذا كما أن الترتيب الولادي للطفل بين الأخوة له أثره في النمو الاجتماعي وقد اهتم عالم النفس «الفرد أدلر Adler» بذلك الموضوع وقال إن مركز الطفل في الأسرة أو ترتيبه فيها له أثر دافع في تكوين شخصيته وتشكيل حياته، ذلك أن الطفل الأول هو أكثر الأطفال عرضة لمشاعر النقص إذا قدم طفل آخر وأنزله من عرشه ومن مركزه المتميز، ولكن زمام الموقف هو بيد الأم ويجب عليها أن تجنب طفلها الأول المخاطر وأن تمتنع عن التدليل الزائد للطفل الثاني على حساب الطفل الأول، وفي مقابل ذلك لا تركز على الطفل الأول وتهمل الثاني بل تأخذ بالوسطية.

أما الطفل الأصغر فهو «آخر العنقود» وهو المدلل في غالبية الأحيان ولكن مشاعر الدونية تحيط به من كل جانب لأنه صغير في عالم الكبار.

أما الطفل الوحيد فإنه مشكلة لأنه يكون هدفاً لتدليل الأم والأب ورعايتهما الزائدة له وجزعهما المسرف عليه ويتعود أن يكون في بؤرة الاهتمام، وللأسف فإن هذا الطفل ينشأ في بيئة ضيقة محدودة ويكون في حالة حرمان من التفاعل مع الآخرين في مثل سنه، والأفضل لهذا الطفل ألا يظهر الأبوان جزعهما عليه ولهفتهما إليه بل يدعيانه يرتع ويلعب مع أقرانه من الأطفال من أبناء الأقارب والجيران ممن هم في مثل سنه.

اللعب

اللعب هو النشاط التلقائي الذي يمارسه الطفل خلال مراحل نموه الاجتماعي المختلفة ولهذا اللعب دور فعال في النمو الاجتماعي للطفل.

ومن أنماط اللعب:

1. اللعب المنعزل: حيث يلعب الطفل منفرداً ومستقلاً مع دميته (أي لعبته).
2. اللعب العياني: وهو لعب بالمشاهدة إذ يقضي الوقت يشاهد الأطفال الآخرين يلعبون ولكن لا يشاركهم.
3. اللعب الموازي: حيث يلعب طفل بجانب طفل آخر ولكن ليس معه.

4. اللعب التشاركي التعاوني: حيث يلعب الطفل مع الأطفال الآخرين وهذا النوع الأخير من اللعب هو السائد في مرحلة الطفولة المبكرة.
5. اللعب الدرامي: هو قيام الأطفال بإعادة تمثيل ما شاهدوه من أعمال درامية في التلفزيون مثل قصة سندريلا أو الشاطر حسن.
6. اللعب الخيالي: حيث يمارس الطفل اللعب متخيلاً أطفالاً آخرين يشاركونه اللعب فيتحدث معهم ويسمع الآخرون صوته مخاطباً هؤلاء الأطفال.

ثانياً: النمو الاجتماعي في الطفولة المبكرة (سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية)

الطفل والأم

تنتهي العلاقة القائمة على الاقتراب الجسدي بين الطفل والأم بانتهاء السنة الثانية وبداية السنة الثالثة حيث يكون اتصال الطفل بالأم عن طريق اللغة، وهو في هذا كله يرقب الأم ويبتسم إليها ويريها لعبه ويوسع دائرة اهتمامه «خارج الأم» بحيث يمكن أن يلعب «خارج المنزل» مع رفاقه ثم يعود إلى الأم كما يتعلم الطفل خلال هذه المرحلة الانفصال عن الأم ولا يصبح هذا الانفصال عن الأم مزعجاً بحال.

والأم ترى في الطفل رغبته في تخفيف العلاقات والانفصال وهي بالتالي تشجع هذا الانفصال لأن فيه توكيد لاستقلال الطفل وسواء شخصيته، أما الأم التي تفعل غير ذلك فهي تعرقل نمو شخصيته نمواً سوياً.

ونشير في هذا المقام الى أثر غياب الطفل عن الأم بسبب عملها وإيداع الطفل في إحدى دور الحضانة أو مراكز رعاية الأطفال هذا الأثر، وهذا الإيداع ليس بالضرورة أثراً سلبياً فيما يظن البعض، ولكن الأمر هنا يتوقف على مدى العناية والرعاية والاهتمام التي يلقاها الطفل في هذه المؤسسات لأن هذه المؤسسات إذا أحسنت القيام بمهمتها خففت عن الطفل خبرة فراق الأم، كما أنها تساهم أيما إسهام في مساعدة الطفل عند الاستقلال عن الأم.

الطفل والأب

أما عن دور الأب فإنه كلما استقل الطفل عن الأم بانقضاء فترة المهد يظهر دور الأب ويفضل الكثير من الأطفال خاصة الذكور اللعب مع آبائهم وتمضية بعض الوقت معهم والعلاقات الطيبة مع الأب من شأنها إحداث ارتقاء للطفل.

الروضة

الروضة هي «مدرسة» يلتحق بها الطفل قبل المدرسة الابتدائية وعادة ما يلتحق الطفل بالروضة في سن الثالثة أو الرابعة ولهذه الروضة الآثار النفسية الآتية:

1. طفل الروضة يقابل أشخاصاً راشدين جدد هم المدرسات والمدرسون.
2. قد يعاني طفل الروضة من المخاوف بسبب الانفصال عن البيت خاصة الأم.
3. غالبية أعضاء الهيئة التدريسية في الروضة من الإناث بحيث يدرك الطفل أن المدرسة أو المعلمة هي بديل الأم، وليس معنى ذلك أن المدرسين غير صالحين للقيام بنفس الدور التعاطفي مع طفل الروضة.

هذا وقد تكون المدرسة (أو المعلمة) من النمط المتشدد الذي يطبق القواعد بصرامة، وقد تكون من النوع المتسامح فتتساهل كثيراً مع الأطفال، كما أنها قد تكون متناقضة بحيث تتشدد أحياناً وتتهاون في أحيان أخرى، أما المعلمة الجيدة فهي المقتدرة التي تحافظ على النظام باستخدام القواعد التربوية الصحيحة وتقدم المعلومات في حدود فهم الطفل.

ثالثاً: النمو الاجتماعي في مرحلة الطفولة المتأخرة (سنوات المدرسة الابتدائية من 6-12 سنة)

تتسع البيئة الاجتماعية للطفل اتساعاً هائلاً فهو الآن تلميذ بالمدرسة، والمدرسة مؤسسة بها راشدون كبار غير الوالدين على الطفل أن يتعامل معهم، والمدرسة تضم أنشطة ومناهج ونظما ومواقف جديدة على الطفل، وهذه المدارس إلى جانب ذلك تضع قدراته موضع التقييم، وهذا التقييم له أثره الكبير على نمو مفهوم الذات عنده.

ويكون الأثر النفسي للمدرسة ممتداً مع الطفل فعندما يغادر المدرسة إلى بيته فإنه يحمل كتبه وواجباته المدرسية ويسأله أبواه عما فعله في المدرسة ويكون رضاهما منوطاً بما حققه في المدرسة من تحصيل.

ومن أهم مظاهر النمو الاجتماعي في الطفولة المتأخرة ما يلي:

1. الطفل في المدرسة الابتدائية والتي تمتد من سن السادسة إلى الثانية عشرة طفل اجتماعي يتفاعل مع من حوله ويقبل معايير المجتمع وثقافته ويعمل طبقاً لها ويحرص على ألا يأتي سلوكاً يتنافى معها وكأنه يريد أن يثبت للآخرين أنه أصبح كبيراً ولم يعد ذلك الطفل الصغير.

2. يتابع الطفل باهتمام ما يجري في وسط الكبار من جنسه حيث نجد أن الطفل يسمع ما يدلي به الكبار في بيئته من مناقشات ويحاول أن يرددها ويتحمس لها، وتهتم البنات بالأمور المنزلية والشؤون العائلية والملابس والزينة.
3. يهتم الطفل باللعب الجماعي الذي يضمن روح الفريق، وروح الفريق معناه أن يتنازل عن جزء من فرديته لصالح المجموع وأن يتخذ دوره في الفريق دون تجاوز.
4. يستطيع الطفل كذلك أن يكون الصداقات ويكون مجال اختيار الأصدقاء متاحاً أمامه ويكون اختيار الصديق على أساس التماثل في الصفات والميول.
5. يتوحد الطفل كثيراً بمدرسيه بحيث يحاول أن يقلدهم في طريقة كلامهم أو تصرفاتهم أو يقلد بعض الأقارب والأصدقاء أو يقلد بعض الفنانين والممثلين.
6. التعاون هو السمة الغالبة على السلوكيات الاجتماعية للطفل حيث يتجه في المدرسة الابتدائية من الأنانية إلى الغيرة، وهذا يفسر لنا استعداده لتكوين صداقات جديدة.
7. يتمثل الطفل في المدرسة الابتدائية للتعاليم الدينية والعادات والتقاليد بل ويتنبه على أقرانه بأنه ملتزم بها، فمثلاً نجد العديد من الأطفال في سن السابعة أو الثامنة يصومون شهر رمضان الكريم رغم ما في ذلك من مشقة ورغم نصح الكبار بتأجيل الصيام إلى سن يكونون فيه أكثر نضجاً وتحملاً للصوم كما يمتثل الطفل لأوامر الوالدين ونواهيهما قاطعاً بذلك شوطاً لا بأس به من عملية النمو النفسي والاجتماعي.

رابعاً: النمو الاجتماعي في مرحلة المراهقة

المراهقة هي الفترة التي تبدأ منذ البلوغ حتى تمام النضج الجسمي والجنسي والعقلي والانفعالي (أي من سن 13 حتى 18 أو 20)، وهي مرحلة تتبلور فيها اتجاهات الفرد الاجتماعية والعقلية نحو العمل والإنتاج والمجتمع والتقاليد وفيها يكون اكتمال عملية التطبيع الاجتماعي (موضوع التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية يناقش بالتفصيل في موضع آخر من هذا الكتاب) أي أن المراهق يتم "صنعه" كمواطن صالح أو كفرد اكتمل تطبيعه الاجتماعي في هذه المرحلة مرحلة المراهقة ولذا فلا غرابة في أن المجتمعات البدائية كانت تقيم للمراهق حفلة تسمى حفلة التكريس تدشن فيها شخصيته ويصبح مواطناً يستطيع أن يعيش مع الكبار ويسلك سلوكياتهم ويتعامل مع الآخرين على هذا الأساس.

ومن أهم المظاهر التي تصاحب النمو الاجتماعي في المراهقة ما يلي:

1. تتسع دائرة المراهق الاجتماعية نتيجة انتقاله إلى المدرسة الإعدادية ثم المدرسة الثانوية فيزداد عدد أصدقائه وزملائه.
2. يستعجل المراهق استقلاله عند والديه وتكون له حياته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد ويغضب جداً لو اطلع شخص على أوراقه الخاصة أو تصنت على أحاديثه مع رفاقه كما يضيق بتقييد الوالدين حريته في الخروج من المنزل والعودة إليه، ويخجل المراهق كثيراً إذا أحرجه والده أو والدته أمام زملائه.
3. يهتم المراهق بمظهره الشخصي ويريد أن يبدو وسيماً أنيقاً يلفت الأنظار ويشعر بالحرج إن وجد في وسط جماعة تفضله في الملبس أو المظهر.
4. من مظاهر النضج الاجتماعي في مرحلة المراهقة المبالغة في التقمص أو التوحد إذ يعجب المراهق بأحد أو بعض الأفراد خارج بيته الأسرية وقد يكون هذا الشخص أحد الأقارب المتميزين أو أحد المدرسين المحبوبين، وقد يحاول تقليدها شكلاً وموضوعاً كمثل أعلى، وهذه الظاهرة كانت تسمى قديماً «عبادة البطولة».
5. تزداد حساسية المراهق ووعيه بالطبقة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية للأسرة التي ينتمي إليها وقد تترك هذه الحساسية بصمتها على اعتناقه لقيم فكرية واجتماعية معينة.
6. في بداية المراهقة يكون المراهق مبهوراً ببعض زملائه من الأذكياء والأقوياء بحيث يعجب بهم ويقلدهم ولكن سرعان ما يتخلى عن ذلك ممارساً الاعتداد بالذات.
7. تحسد البنت المراهقة الأولاد المراهقين على ما ينعمون به من حرية وانطلاق وتحاول الاحتجاج مطالبة المعاملة بالمثل.
8. يتجلى الذكاء الاجتماعي في مرحلة المراهقة خاصة أواخرها، والذكاء الاجتماعي هو توظيف للقدرة العقلية العامة في مجال العلاقات الاجتماعية. ويبدو الذكاء الاجتماعي في القدرة على إنشاء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين والتصرف الحسن والملائم في المواقف الاجتماعية المختلفة.

الملخص

أولاً: النمو الاجتماعي في سنتي المهد

رغم أن الطفل في بداية حياته هو كائن بيولوجي إلا أن طبيعته البيولوجية تفرض عليه الطابع الاجتماعي فهو في سنتي حياته الأولى يكون عاجزاً معتمداً على الغير خاصة الأم.

موقف التعلق: تعلق الطفل بالوالدين خاصة الأم ويفسر «فرويد» ذلك على أن أساس التعلق هي اللذة التي تحققها له الرضاعة.

بينما يرى «سكنر» أن الطفل يبتسم فتبادله الام ابتسامته أو يبكي فتسارع إلى نجدته... وهذه علاقة رأسية بين الأم والطفل، وهناك علاقة أفقية هي الاهتمام بالأطفال الآخرين، وذلك عندما يبلغ عشرة شهور حيث يمكنه أن يلعب مع غيره، وبين 14-18 شهراً يلعب مع طفل أو أكثر.

يرى أدلر أن مركز الطفل في الأسرة له أثر في تكوين شخصيته، فالطفل الأول سوف يعاني من النقص في حالة قدوم طفل آخر، أما الطفل الأخير «آخر العنقود» فهو يعاني من مشاعر النقص لأنه صغير وسط كبار، أما الطفل الوحيد فيكون محل التدليل والرعاية الزائدة.

من أنماط اللعب:

1. المنعزل: حيث يلعب الطفل مع نفسه.
2. العياني: لعب بالمشاهدة.
3. التشاركي: حيث يلعب مع أطفال آخرين.
4. اللعب الدرامي: وهو تقليد للأعمال الدرامية مثل الشاطر حسن.

ثانياً: النمو الاجتماعي: في الطفولة المبكرة (سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية)

الطفل والأم تنتهي بينهما العلاقة القائمة على الاقتراب الجسدي بانتهاء السنة الثانية وبداية السنة الثالثة، والطفل من تلقاء نفسه يخفف من الاتصال تمهيداً للانفصال وتشجعه الأم على ذلك.

وليس بالضرورة ان يكون اثر ابداع الطفل في دور الحضانة سلبيا والأمر متوقف على الرعاية التي يلقاها فيها.

وبالنسبة لدور الأب فكلما استقل الطفل عن الأم كلما ظهر دور الأب.

الروضة يلتحق بها الطفل في سن 3 أو 4 سنوات قبل المدرسة الابتدائية وقد يعاني الطفل فيها من المخاوف بسبب الانفصال عن الأم ولكن سرعان ما تقوم الهيئة التدريسية وغالبيتهم من الإناث بتهدئة مخاوف الطفل.

ثالثاً: النمو الاجتماعي في الطفولة المتأخرة

تتسع البيئة الاجتماعية للطفل، والمدرسة بها أنشطة وأسر، والمدرسة تضع قدراته موضع التقييم، ويكون الأثر النفسي للمدرسة ممتداً على الطفل.

من أهم مظاهر النمو في الطفولة المتأخرة ما يلي:

1. التفاعل مع الآخرين بحيث يبدو وكأنه شخص كبير ولم يعد الطفل الصغير.
2. يتابع ما يجري في وسط الكبار.
3. الاهتمام باللعب الجماعي.
4. تكوين الصداقات.
5. التوحد بالمدرسين وتقليدهم.
6. الامتثال للتعاليم الدينية ونرى أطفالاً في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية يصومون شهر رمضان الكريم رغم مشقة ذلك عليهم.

رابعاً: النمو الاجتماعي في مرحلة المراهقة

المراهقة هي الفترة التي تبدأ من البلوغ حتى تمام النضج الجسمي والعقلي والانفعالي (من سن 13-18 أو 20).

فيها تتبلور اتجاهات الفرد نحو العمل والإنتاج وتكتمل عملية التطبيع الاجتماعي ويتم صنع المراهق كمواطن صالح.

ومن مظاهر النمو الاجتماعي في المراهقة ما يلي:

1. اتساع دائرة المراهق الاجتماعية، فهو طالب بالمدرسة الإعدادية ثم الثانوية.
2. يستعجل المراهق الاستقلال عن الوالدين.
3. الاهتمام بالمظهر الشخصي.
4. التوحد بآخرين من خارج الأسرة، وكانت هذه الظاهرة تسمى قديماً «عبادة البطولة».

5. ازدياد الحساسية للطبقة الاجتماعية والمستوى الاقتصادي لأسرته.
6. تحسد البنات البنين على ما يتمتعون به من حرية.
7. يتجلى الذكاء الاجتماعي في القدرة على إقامة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين.

أسئلة للمناقشة

1. هناك عملية توازي بين التطبيع الاجتماعي والنمو الاجتماعي، وضح ذلك.
2. تحدث عن مرحلة المهد.
3. «الطفولة المبكرة»، تحت هذا العنوان اكتب مقالة علمية.
4. تحدث باختصار عن مرحلة الطفولة المتأخرة.
5. تحدث عن مرحلة المراهقة مركزاً على صعوبات هذه المرحلة



القسم الثاني
نظريات الشخصية



الباب الاول

التحليل النفسي



الفصل الأول

مدرسة التحليل النفسي عند فرويد

Psychoanalysis

مقدمة

يعد اسم فرويد واسم مدرسة التحليل النفسي من أكثر الأسماء شيوعاً لدى عامة الناس، رغم أن عدداً كبيراً من مؤسسي علم النفس مثل فونت وتتشر وبافلوف ليسوا معروفين خارج دائرة علم النفس، مما يمكن معه القول إن فرويد شخصية نجومية.

ومما يحزن مؤرخي علم النفس ذلك الاعتقاد الذي يسود عند العامة وعند طلاب علم النفس المبتدئين الذين يعتقدون أن علم النفس هو فرويد.

والواقع أن الأسبقية في الظهور ربما تكون هي السبب؛ لأن مدرسة التحليل النفسي سابقة على عديد من المدارس العريقة مثل السلوكية والجشطلت، رغم أن مدرسة التحليل النفسي عاصرت مدارس أخرى مثل القصدية والبنائية والوظيفية إلا أن اضمحلال هذه المدارس في تاريخ علم النفس المعاصر، أدى إلى تربع مدرسة التحليل النفسي على عرش علم النفس تربعاً قد لا تستحقه.

وقد اهتمت مدرسة التحليل النفسي بدراسة السلوك اللاسوي الذي تجاهلته المدارس الأخرى تقريباً، والتي ركزت دراستها على الإحساس والإدراك والتعلم، من حيث كونها موضوعات رئيسة في علم النفس كما أن ثمة علماء اهتموا بقياس الذكاء والاستعدادات مثل بينيه وسيمون، إلا أنهم أغفلوا أيضاً دراسة السلوك اللاسوي، ومهما يكن الأمر فمما لا يمكن إنكاره الأثر الهائل لحركة التحليل النفسي الذي تركته في علم النفس وفي العلوم الإنسانية وفي الأدب والفنون.

وبالرغم من أن فرويد هو صاحب نظرية التحليل النفسي فإن بعض الفلاسفة والعلماء السابقين عليه اهتموا بموضوعات تمثل قلب نظرية التحليل النفسي، مثل موضوع اللاشعور وموضوع الاضطرابات النفسية.

ومن أكثر الأمور غرابة أن المهتمين بعلم النفس التجريبي في أواخر القرن التاسع عشر كانوا على اقتناع بأن موضوع علم النفس هو محتويات الشعور ولا يوجد إلا (فختر 1801-1887) الذي شذ عن ذلك، وأشار إلى اللاشعور، وإلى أن العقل أشبه بجبال الثلوج التي تجوب البحار الباردة، الجزء الأصغر منها ظاهر والجزء الأكبر منها غاطس خفي، وقد تأثر فرويد تأثيراً كبيراً بآراء فختر وأشار إليها في كتابه.

وقبل ظهور علم النفس الحديث أشار الفيلسوف الألماني ليبنز إلى نظرية المونادا Monadalogg أي الجوهر الفرد، والتي عدها بمثابة العناصر الحقيقية وهذه الجواهر ليست مادية بمعنى الكلمة، ولكل جوهر فرد ذاتية نفسية، وقد أشار ليبنز إلى أنه بالرغم من أن المونادا أو الجوهر الفرد عقلي في حقيقته، فإن له الخصائص المادية، حيث تتكون منه الأشياء، وكذلك اعتقد ليبنز أن الحوادث العقلية وهي نشاط المونادات لها درجات مختلفة من الوضوح أو الشعورية، وهي تتراوح بين أن تكون شعورية واضحة بينة وبين أن تكون غامضة غير واضحة ولا شعورية.

وبعد ذلك بقرن من الزمان قام عالم النفس الألماني هربارت بتطوير فكرة ليبنز عن الشعور في المفهوم الذي أسماه عتبة الشعور ورأى أن الأفكار التي توجد أدنى العتبة هي لا شعورية وعندما تقوم فكرة في مستوى وعي الشعور فإنها تدرك في نظر ليبنز ولكن هربارت ذهب إلى أبعد من ذلك حيث رأى أنه عندما تقوم فكرة في الشعور فإنما يجب أن تكون منسجمة متجانسة مع الأفكار الأخرى التي توجد في الشعور في الوقت نفسه. ولكن الأفكار غير المنسجمة أو غير المتجانسة فإنها تكره على الخروج من الشعور لتكون «أفكاراً أصابها الكف» وقد رأى بورنج -شيخ مؤرخي علم النفس- أن ليبنز اقترب من مفهوم اللاشعور ولكن هربارت هو الذي وصل إليه.

ومن المفيد أن نذكر ملاحظة تتعلق بتاريخ علم النفس المرضي، إذ كانت كل مدرسة ثورة على المدرسة الأخرى لكن بالنسبة لمدرسة التحليل النفسي فإنها نشأت خارج نطاق علم النفس، ولم تكن معارضة لمدرسة من مدارسه.

وحتى نستطيع أن نعرف ماذا كانت مدرسة التحليل النفسي بالنسبة لتاريخ علم النفس فإن علينا أن ننظر إلى طبيعة العصر الذي ظهرت فيه هذه المدرسة وإلى أساليب التفكير الموجودة، وذلك حيال المسألة الرئيسية التي تعرضت لها مدرسة التحليل النفسي وهي تفسير الاضطراب النفسي وعلاج الاضطرابات النفسية.

وإن تاريخ علاج مرضى العقول تاريخ حافل بالاجتهادات والمحاولات العلمية سواء في العصور الوسطى أو في مطلع العصر الحديث ولكن العلاج بوجه عام كان في حالة من التأخر الشديد (لمزيد من المعلومات راجع الملحق رقم -1-).

وفي خلال القرن التاسع عشر كان هناك اتجاهان يسودان الطب النفسي، وهما الاتجاه الجسمي والاتجاه النفسي، وكان أصحاب الاتجاه الجسمي يرون أن سبب اضطرابات السلوك هو الاضطرابات العضوية في المخ، ولكن أصحاب الاتجاه النفسي كانوا يرون أن أسباب تلك الاضطرابات هي الأسباب النفسية والعقلية، هذا إلى جانب أنه قد وجدت إصابات في المخ في بعض حالات المرض العقلي ولم توجد إصابات في حالات أخرى إلا أنه يمكن القول بوجه عام إن مدرسة التحليل النفسي كانت تمثل ثورة على الاتجاه الجسمي.

هذا، وقد لعب التنويم المغناطيسي hypnosis دوراً رئيسياً في لفت الأنظار إلى الأسباب النفسية للسلوك الشاذ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر اهتم مسمر (الطبيب الذي عاش في فينا في المدة بين 1734-1815م) بالتنويم المغناطيسي كما اهتم به «شاركو» الذي كان طبيباً للأمراض العقلية في إحدى مستشفيات باريس وقد عالج «شاركو» بعض حالات الهستيريا عن طريق التنويم المغناطيسي حيث لقي بعض النجاح وقد وصف أعراض كل من الهستيريا والتنويم المغناطيسي بمصطلحات طبية فنية مما جعل الأكاديمية الفرنسية للعلوم تقبل بالتنويم المغناطيسي.

وقد تابع الطبيب الفرنسي جانيت (1859-1947م) تلميذ شاركو وخليفته الاهتمام بدراسة الحالات المرضية للهستيريا وهكذا ففي السنوات الأولى التي أبدى فيها فرويد اهتماماته العلمية كان ميدان الاهتمام بعلاج الأمراض النفسية والعقلية زاخراً بالدراسات.

وإلى جانب ما سبق، فقد تأثر فرويد بالأفكار التي سادت عصره، مثل مذهب اللذة عند الفيلسوف الإنجليزي بنتام (1748-1832م) هذا الفيلسوف الذي يرى أن الإنسان يعمل ويكافح بقصد أن يتخلص من أكبر قدر من الألم، ويحقق أكبر قدر من اللذة، أما نظرية النشوء والارتقاء عند دارون فكان لها على فرويد أثر لايدانيه أثر آخر.

وبعد هذه المقدمة نتحدث عن مؤسس حركة التحليل النفسي وشيخها فرويد:

السيرة الذاتية لـ سيجموند فرويد Freud (1856-1939م)

حركة التحليل النفسي هي حركة تعتمد على جهود رجل واحد بصفة رئيسة، هذا الرجل هو فرويد وحتى يمكن لنا أن نفهم مذهب فرويد حق الفهم لا بد لنا من استعراض تاريخ حياته.

ولد فرويد في 6 مايو 1856 في مورافيا (وهي جزء من تشيكوسلوفاكيا الآن)، لأب يهودي كان يعمل بتجارة الأخشاب وقد نزح الأب من مورافيا إلى ليبزج ثم إلى فينا حيث كان عمر فرويد أربع سنوات، وقد بقي فرويد في فينا لمدة تقرب من ثمانين عاماً.

وكان فرويد الأب يكبر الأم بعشرين عاماً وكان جامداً متسلطاً إلى حد ما، وقد شعر الطفل سيجموند فرويد بالخوف تجاه هذا الأب وبالحب أكثر تجاه الأم.

وهذا الخوف من الأب والانجذاب نحو الأم هو ما أسماه فرويد بعد ذلك عقدة أوديب Oedipus Complex، وكان سيجموند فرويد واحداً من ثمانية أطفال، ولكنه برز من بينهم بالتفوق العقلي الذي شجعته الأسرة بكل الأساليب الممكنة، ثم التحق بمدرسة الجمنزيم (وهي المدرسة الثانوية التي تعد الطلاب للالتحاق بالجامعة)، وكان يصغر أقرانه بعام كامل، كما أنه كان طالباً لامعاً ينجح بتفوق ظاهر، وإلى جانب ذلك كان متعدد الاهتمامات، يقرأ عن التاريخ والحضارة، والعلاقات بين البشر، وعن التاريخ العسكري، وقد أيقظت نظرية النشوء والارتقاء لداروين اهتماماته العلمية إلى حد بعيد، ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة الطب وهو لم يقصد بذلك أن يكون طبيباً بقدر قصده إلى الاتجاه إلى البحث العلمي.

وقد بدأ دراسته في جامعة فينا عام 1873م وقد استغرق في دراسته ثماني سنوات، وذلك لتنوع الدراسات التي كان يهتم بها والتي لا تتصل بالطب، وخلال تدريبه الطبي بدأ بحوثه على الكوكايين وقد تعاطى هذه المادة بنفسه وشجع خطيبته وأصدقاءه على تعاطيها في الحدود الطبية وفي خدمة البحث العلمي وقد تبين له أن الكوكايين يخفف مما كان يشعر به من اكتئاب ومما يعانيه من اضطراب مزمن في الهضم، ومما يجدر ذكره أنه لم يتعاط الكوكايين بعد انتهاء تدريبه الطبي.

وقد أراد فرويد أن يستمر في البحوث داخل إطار الجامعة ولكن معهد بروكه الذي كان يعمل به لم يشجع اتجاه فرويد، وذلك بسبب ظروفه المالية حيث كان فقيراً، وبناءً على ذلك اضطر فرويد إلى ممارسة مهنة الطب، وكان هذا معناه أن يمارس العمل الإكلينيكي

الطبي الذي لم يهتم به اهتماماً كافياً أثناء دراسته الجامعية لانشغاله في البحوث ومن خلال تدريبه العملي في المستشفى اتجه إلى التخصص في أمراض الأعصاب مثل الشلل وأمراض الكلام وإصابات المخ عند الأطفال.

وقد حصل فرويد على درجته الجامعية عام 1881م وفي السنة التالية عمل طبيباً للأعصاب، وفي عام 1882م خطب فتاة تسمى مارتابرنايز التي كانت فقيرة مثله وقد أجل زواجهما عدة مرات بسبب المتاعب المالية وبعد أربع سنوات من الخطبة تزوجا، وقد اضطر فرويد بعد الزواج إلى الاقتراض عدة مرات وإلى بيع ممتلكاته الشخصية لمواجهة متطلبات الحياة، ثم تحسن موقفه المالي بعد ذلك، ولكنه وزوجته لم ينسيا أيام العوز، وأنجبت منه زوجته ستة أطفال وكان عمله يستغرق منه وقتاً طويلاً بحيث لم يتوفر له إلا وقت قليل لرؤية زوجته ورعاية أطفاله.

وفي خلال تلك السنوات نشأت صداقة بين فرويد وبين بروير (1842–1925م) وهو طبيب عاش في مدينة فينا، وقد استفاد فرويد من علاقته وصداقته مع بروير شيئاً كثيراً على المستوى العلمي وعلى المستوى الشخصي وكان بروير يشرك فرويد في مناقشة الحالات المترددة على عيادته وبينها حالة «آنا»، وهي حالة شهيرة في التحليل النفسي، وكانت «آنا» امرأة في الحادية والعشرين من عمرها، تتميز بالجاذبية والذكاء، وكانت تعاني من أعراض هستيرية حادة مثل الشلل وفقدان الذاكرة والغثيان واضطراب الرؤية واضطراب الكلام، وقد وجد بروير أن المريضة «آنا» عندما تكون تحت التنويم المغناطيسي فإنها تتذكر بعض الخبرات ذات العلاقة بالأعراض الهستيرية التي تعاني منها، كما أن التحدث عن هذه الخبرات أثناء جلسات التنويم من شأنه أن يخفف شيئاً من هذه الأعراض الهستيرية.

ومن الأعراض التي عانت منها «آنا» أنها في فترة من الفترات لا تستطيع شرب الماء رغم شعورها بالعطش، وتحت التنويم تذكرت أنها شعرت بتقزز من الماء في مرة سابقة حيث شاهدت كلباً تقززت من منظره أثناء شربها الماء، وبعد رواية هذه الحادثة أثناء علاج بروير لها أصبحت تشرب الماء بلا صعوبة واختفت الأعراض الهستيرية ولم تعد مرة ثانية إليها، وقد استمر علاج «آنا» سنة كاملة، وقد عبرت «آنا» عن التحدث أثناء العلاج بأنه بمثابة غسيل مخ أو حديث الشفاء وقد شعرت زوجة بروير بالغيرة بسبب العلاقة التي نشأت بين بروير و «آنا»، حيث أبدت «آنا» ما يسمى بلغة التحليل النفسي الطرح الإيجابي Positive trasnsferance أي أنها نقلت مشاعر الحب تجاه أبيها إلى بروير، وبعد ذلك اعتبر هذا الطرح

في عرف أصحاب مدرسة التحليل النفسي ضرورة وجزءً من العلاج، ولكن بروير مع ذلك اعتبر هذا الموقف من «آنا» موقفاً مهدداً مما دعاه إلى إيقاف العلاج، وبعد ساعات قليلة من معرفة «آنا» بأن بروير أوقف علاجها بدت عليها أعراض هستيرية أنهاها بروير أثناء التنويم المغناطيسي ثم ترك فينا وسافر مع زوجته إلى مدينة البندقية في إيطاليا لقضاء شهر عسل جديد.

وقد تناولت أقلام كتاب التحليل النفسي حالة «آنا» بالكثير وربما بأكثر مما تستحق، ولكن مهما يكن من أمر فإن علاج هذه الحالة كان نقطة انطلاق بالنسبة للتحليل النفسي لأنها قدمت فرويد إلى ما يسمى حديث الشفاء وهو ما يعد جديداً في هذه الحالة.

وفي عام 1885م سافر لعدة شهور إلى فرنسا حيث التقى بالطبيب الفرنسي شاركو وثمة حادث مهم وقع أثناء إقامته في باريس، ذلك أنه في أحد اللقاءات بين فرويد وشاركو، بيّن شاركو أن الهستيريا مرض يصيب الرجال وليس النساء فقط، كما كان يسود الاعتقاد في ذلك الوقت، وبعد سنة من عودته من باريس تعرض لموقف ذكّره بأهمية الأساس الجنسي في الاضطرابات التي يعاني منها المريض حيث طلب منه أحد الأخصائيين في أمراض النساء علاج إحدى المريضات التي كانت تنتابها نوبات من القلق بسبب حياتها الجنسية غير الموفقة مع زوجها.

وقد استخدم فرويد التنويم المغناطيسي والتنفيس Catharsis وذلك في التعامل مع مرضاه، وبالتدريج أصبح أقل اقتناعاً بالتنويم المغناطيسي بالرغم من أن التنويم كان ناجحاً في إزالة الأعراض، ولكن التنويم لم يكن يستطيع أن يصل بالمريض إلى الشفاء التام، ذلك لأن المرضى الذين عولجوا بالتنويم حدثت لهم العديد من النكسات وظهور أعراض جديدة هذا بالإضافة إلى أن عدداً كبيراً من المرضى العصابيين لا يمكن تنويمهم بسهولة أو حتى بعمق.

لهذه الأسباب مجتمعة ترك فرويد جانبا التنويم المغناطيسي كأسلوب في العلاج، ولكنه لم يترك الأسلوب التنفيسي، وبعد ذلك توصل إلى ما يمكن تسميته أهم خطوة في تطور التحليل النفسي وهو التداعي الحر Free association وفي هذا التداعي الحر أو الطليق يجلس المريض مسترخياً على أريكة ويشجعه المحلل على التحدث بحرية وتلقائية، ويعبر صراحة عن أفكاره مهما كانت غريبة أو سخيفة. وقد هدف فرويد من ذلك إلى استدعاء الذكريات أو الأفكار المكبوتة والتي يحتمل أن تكون سبب السلوك اللاسوي عند المريض،

ومن خلال التداعي الحر وجد فرويد أن ذكريات مرضاه تتناول مرحلة الطفولة كما أن بعض هذه الكريات المكبوتة تتعلق بأمور جنسية، وبذلك أصبح فرويد متنبهاً إلى أهمية الأمور الجنسية في حياة مرضاه.

وفي عام 1895م نشر بروير وفرويد كتاباً بعنوان «دراسات عن الهستيريا» وهو يعد تقريباً نقطة انطلاق مدرسة التحليل النفسي ولكن هذا الكتاب لم يلق الرواج على المستوى العام وإن لقي اهتماماً طيباً من الهيئات العلمية داخل النمسا وخارجها، ولكن بروير كان غير راغب في نشر هذا الكتاب لاحتواء الأجزاء التي حررها فرويد على بعض الإشارات إلى نظريته في الجنسية، وفي حوالي 1898م حدثت القطيعة بين بروير وفرويد بسبب اختلاف آرائهما حول النظرية الجنسية.

ومع ذلك فقد اقتنع فرويد في ذلك الوقت بأهمية الجنس ودوره في إحداث العصاب وذلك من ملاحظته مرضاه، ومن عجب أن فرويد الذي أشار إلى أهمية الجنس الحاسمة في الحياة النفسية للإنسان كان اتجاهه حيال ممارسة الجنس اتجاهاً سلبياً وكثيراً ما أشار إلى أخطاء ممارسة الجنس حتى بالنسبة للأسوياء، ونصح بالارتقاء فوق هذه النزعة الحيوانية، ذلك أن ممارسة الجنس تستهلك الطاقة الجسمية والنفسية، وفي عام 1897م وهو لم يتجاوز الأربعين إلا قليلاً أشار إلى أنه هجر الجنس بصورة نهائية.

وفي عام 1897م اهتم فرويد بدراسة موضوع الأحلام لأنه رأى أن أحلام مرضاه مادة ذات أهمية بالغة في تفسير ما يعانون من اضطرابات واعتقد فرويد بأن أحداث الحلم لا يمكن أن تكون بلا معنى بل إن لها دلالات معينة وأن هذه الأحداث نتيجة نشاط في اللاشعور وهذه الفكرة التي تدور حول رمزية الأحلام ودلالتها ليست من ابتكار فرويد هي موجودة في تراث الشعوب القديمة، كما أن فرويد اهتم بتحليل أحلامه، ثم أصدر عام 1900م كتابه الواسع الشهرة تفسير الأحلام حيث يعد الآن أهم كتب فرويد على الإطلاق وفي هذا الكتاب أشار لأول مرة إلى عقدة أوديب مستنداً بصفة رئيسية إلى طفولته هو، وقد قرأ أحد الشبان هذا الكتاب وانجذب إلى التحليل النفسي الفرويدي لفترة من الزمن، وأصبح هذا الشاب فيما بعد من رجالات هذه المدرسة الكبار وهو يونج.

ومن الكتب المهمة التي أصدرها فرويد كتاب «ثلاثة مقالات في النظرية الجنسية» أصدره عام 1905م، وبعد صدور هذا الكتاب بثلاث سنوات طلب منه بعض مريديه أن

الذكريات المكروهة أو المستهجنة، وعلى هذا فهو يرى أن المقاومة تعني أن العلاج يسير في الاتجاه الصحيح، وقد أكد فرويد على أهمية معاونة المريض على تخطي هذه المقاومة خلال الجلسات العلاجية.

وفكرة المقاومة هذه أدت إلى صياغة فرويد لمفهوم الكبت repsslom وهو بمثابة نبذ الأفكار والذكريات المؤلمة وترحيلها من منطقة الشعور إلى اللاشعور والكبت في نظر فرويد هو التفسير الوحيد للمقاومة، وعلى المعالج أن يساعد المريض على استحضار هذه المواد المكروهة المكبوتة في اللاشعور إلى الشعور بحيث يستطيع المريض أن يواجهها وأن يتعايش معها.

وكذلك اعتقد فرويد أن الأحلام هي في بعض الأحوال إرضاء للرغبات المكبوتة، وعلى ذلك فإن حقيقة الحلم هي أكثر تعقيداً مما قد يبدو في الظاهر وهذا يشار إليه في قول فرويد إن الحلم هو تحقيق رغبة، وكما للحلم معناه الظاهر فإن له المعنى الباطن وهو الذي يهتم به فرويد، كما أن الأحداث هذه الأحلام ووقائعها ورمزيات معينة على المعالج النفسي أن يفسرها في إطار دراسته لحياة المريض ولكن هناك بعض الأحلام لا تكون بسبب المكبوتات والصراعات ولكن لأسباب أخرى عارضة مثل درجة حرارة حجرة النوم أو الإفراط في الطعام في وجبة العشاء، وعلى هذا فإن كل الأحلام لا تتضمن بالضرورة الأمور الرمزية.

وقد أشار فرويد كذلك إلى التحليل النفسي للمحلل النفسي وبيّن أن المحلل قبل أن يتعرض لعلاج المرضى لا بد أن يخضع لفترة من التحليل والتدريب تبلغ عامين، وقد آمن فرويد بشدة أن التحليل النفسي يجب أن يكون مهنة مستقلة عن الطب، ومع هذا فإن فرويد يرى نفسه عالماً وباحثاً أكثر منه محللاً نفسياً.

ثانيا: المنظمات النفسية

كان فرويد أول من صور تفاعل العوامل البيولوجية مع العوامل الاجتماعية في تكوين الشخصية ونموها، وهو يرى أن للشخصية جوانب ثلاثة أو منظمات ثلاث هي: الهو، الأنا، الأنا الأعلى.

1. الهو Id

هو منبع الطاقة البيولوجية والنفسية، التي يولد الفرد مزوداً بها فهو يضم الدوافع الفطرية الجنسية والعدوانية والتي ترجع إلى ميراث النوع البشري كله أي إلى طبيعة الإنسان

الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحوير هو جانب لا شعوري عميق ليس بينه وبين العالم الخارجي الواقعي صلة مباشرة لذا فهو لا يعرف شيئاً عن الأخلاق والمعايير الاجتماعية، كما أنه لا يعرف شيئاً عن الزمان والمكان، فالطفل الرضيع هو محض يصرخ ويرفس ويبكي ويتبول متى شاء وحيث شاء وكيف شاء والهو يسير طبقاً لمبدأ اللذة أي يندفع إلى إشباع دوافعه اندفاعاً عاجلاً كاملاً بكل صورة وبأي ثمن.

2. الأنا Ego

هو جانب من الشخصية يتكون بالتدريج من اتصال الطفل بالعالم الخارجي الواقعي عن طريق حواسه فالطفل الصغير يرى اللهب جذاباً فيلمسه فيشعر بالألم فيتعلم أن يتجنب اللهب وكذلك يتعلم عن طريق السمع أن هناك أصواتاً تعني الخطر فيتفادى مصدرها أو يقي نفسه منها وعن طريق صلته بالعالم الخارجي الذي يتمثل أكثر ما يتمثل في الأم يتعلم أنه لا يستطيع أن يظفر بما يريد وأن هناك ضروباً من السلوك تعود عليه بالشر وأخرى تعود عليه بالخير كما أنه يدرك أن الإرضاء الفوري لحاجاته أمر متعذر أو مستحيل التنفيذ فيبدأ في تعلم الانتظار والاحتمال إلى حين وعلى هذا النحو يتكون الأنا وينمو بتأثير الخبرات المؤلمة والتربية واللعب فيقلل من غلواء الهو واندفاعه ويعمل على ضبطه وتوجيهه فهو بذلك يحمي الطفل من الأخطار التي تهدد كيانه إذا انساق لمطالب الهو في غير حذر فوظيفته إذن وقائية وهو في هذا أشبه بلحاء الشجرة فهو جزء منها جف وتصلب بفعل عوامل الجو الخارجية ليحمي الشجرة.

والأنا هو جهاز الإشراف والضبط على ما نأتيه من أفعال فهو مشرف على الجهاز الحركي الإرادي وعن طريقه تتحقق الدوافع؛ أولا تتحقق ومعنى هذا أن للأنا وجهين وجه يطل على الدوافع الفطرية الغرزية في الهو وآخر يطل على العالم الخارجي عن طريق الحواس ووظيفته هي التوفيق بين مطالب الهو وبين الظروف الخارجية.

وأنا الطفل الصغير ضعيف فج لذا وجب علينا حمايته حتى يقوى أناه أما أنا الراشد السوي الناضج فهو يسير على مبدأ الواقع وليس على مبدأ اللذة بحيث إنه يتحمل المتاعب العاجلة في سبيل الذات الآجلة.

3. الأنا الأعلى Super Ego

تتلخص تربية الطفل منذ عهد مبكر جداً من حياته في صراع دائم بين ما يريده لنفسه وبين ما يريده الآخرون أو يقررونه له وللوالدين أساليبهما الخاصة في الثواب والعقاب أثناء

هذه الفترة ووسط هذا الجو يرى الطفل أنه مضطر إلى أن يكف نفسه عن كثير مما يشتهي أو أن يقوم بأعمال كثيرة قد لا يميل إليها بطبعه وذلك بقصد تجنب استهجان الكبار وعقابهم له وهكذا تسير عملية التعلم والتطبيع الاجتماعي فإذا بـه أصبح يراعي العادات المرعية في الطعام والملبس والنوم والإخراج، على هذا النحو تتبلور في نفس الطفل وبالتدريج وعلى غير قصد منه أوامر الوالدين وأفكارهما عن الصواب والخطأ عن الخير والشر عن الحق والباطل: تتبلور على شكل سلطة داخلية تقوم مقام الوالدين حتى في غيابهما فيهما يقومان به من نقد وتوجيه وثواب وعقاب وهكذا تضطره عملية التطبيع الاجتماعي أن يقيم حارساً من نفسه هذا الحارس هو الرقيب النفسي هو الأنا الأعلى أو الضمير فبعد أن كان الطفل يأتي بالمباح ويمتنع عن المحظور خوفاً من سلطة خارجية أصبح يحمل بين جنبيه مستشاراً خلقياً يرشده إلى ما يجب عمله وينهاه عما لا يجب عمله ويحكم له بالصواب إن أصاب وبالخطأ إن أخطأ ويجازيه راحة وسروراً إن فعل ما يرضاه ويعذبه بوخز الضمير إن حاد عما يريد.

والأنا الأعلى لا شعوري إلى حد كبير وحيث أنه يتكون ويكتسب أثناء الطفولة لذا يكون أثره عميق باقٍ في حياته كلها وكما ينمو الضمير ويتطور كذلك يتوقف نموه فإن تعطل نموه ظل متصفاً بصفات طفلية منها القسوة ومجافاة المنطق.

صفوة القول أن الأنا الأعلى:

- من حيث تكوينه هو جملة القيم والمعايير والمعتقدات والمبادئ الأخلاقية التي يستخدمها الفرد في الحكم على دوافعه وسلوكه.
- وهو من حيث وظيفته هو جانب الشخصية الذي يوجه وينفذ ويوقع العقاب، فهو سلطة تشريعية قضائية تنفيذية في وقت واحد.
- أما من حيث هو قوة محركة فيمكن تعريفه بأنه استعداد لا شعوري دافع مانع رادع قائم على أساس من الخوف والحب والاحترام.

ثالثاً: اللذة والواقع

أ- مبدأ اللذة

الإنسان في نظر فرويد يبحث عن اللذة ويتجنب الألم والكائن «الإنسان» يشعر بالتوتر ويحاول جاهداً تجنب هذا الألم والتوتر، والوصول إلى اللذة والاسترخاء.

مبدأ اللذة ينظر إليه على أنه نزعة فطرية لدى الإنسان تحدد الأسلوب الـذي يخفـض به توتراته النفسية ومن هنا فإن أشكال السلوك التي من شأنها أن تزيد هذا التوتر وتكبت في جب اللاشعور وحياة الطفل الصغير وبخاصة في تلك السن التي يسعى فيها لإشباع غرائزه وحاجاته الطبيعية تخضع لمبدأ اللذة.

2. مبدأ الواقع

والمبدأ الثاني لتفسير سلوك الإنسان هو مبدأ الواقع. الإنسان ليس فقـط يبحـث عـن اللذة ولكنه مرتبط بما يحدده الواقع الذي يكشف له أنه في لحظة مـا عليـه أن يؤجـل لذاتـه العاجلة المباشرة من أجل لذة أخرى آجلة أكثر أهمية من تلك العاجلة.

ومن الواضح أن سلوك الراشد الكبير وإن كان يبحث عـن اللـذة إلا أنـه واقعـي في بحثه مما يؤدي بالإنسان إلى أن يستغني عن العاجلة مقابل لـذة آجلـة، مثـال ذلـك أنـك أيهـا القارئ الكريم تجلس إلى المنضدة تطالع هذه الصفحات وهو أمر فيه بعض المشقة ولا جدال في أن الذهاب إلى السينما أو المسرح أكثر إمتاعاً وأكثر لذة، من الـذي يمنعـك أن تـذهب إلى السينما أو المسرح؟ يقول فرويد إنك إنسان يحكمـه الواقـع ذلـك أنـك ترغـب في المـذاكرة والاستعداد للامتحان بغرض النجاح والحصول على الدرجة العلمية التي تصبو إليها وهـو هدف تحقيقه أهم بكثير من الاستمتاع بسهرة في السينما أو المسرح، مبدأ اللذة فطري غريزي في بني آدم. ومبدأ الواقع مبدأ مكتسب، وهذان المبدءان المتقـابلان كأنهمـا قانونـان ديناميـان يحكمان سلوك الإنسان.

رابعا: الحب والموت

من الطريف أن نذكر أن فرويد شرح نظريته في تفسير العـدوان في خطـاب حـرره إلى أينشتين عالم الفيزياء المشهور وذلك في عام 1932م في بداية بزوغ نجم النازية في ألمانيا وكـان أينشتين يطلب من فرويد أن يفسر أسباب الحرب، ويـرى فرويـد أن العـدوان دافـع فطـري غريزي في بني آدم وهذا الدافع هو المحرك الأساسي للحروب التي سادت منذ فجـر التـاريخ حتى اليوم، ويشرح فرويد نظريتـه فيقـول إنـه يمكـن تقسيم دوافـع الإنسان إلى مجمـوعتين أساسيتين من الدوافع، الأولى: دوافع الحب والبناء ويسميها «الأيروس: كلمـة يونانيـة تعـني الحب» وهذه المجموعة من الدوافع تحفز الإنسان علـى البنـاء والتـآخي والتـشييد والتعـاون وإقامة الثوابت الحضارية ولكن -من أسف- لـيس بالحب وحده يحيا الإنسان ولكن بـالموت أيضاً، إذ توجد مجموعة أخرى من الـدوافع يـسميها فرويـد «الثنـاتوس: أي المـوت» وهـذه

الدوافع تشجع على العدوان والدمار والحرب وتدفع الإنسان الى أن يحول الحياة إلى اللاحياة أي أن الثاناتوس يعمل في اتجاه معاكس لاتجاه الأيروس.

ويذكر فرويد أن دوافع الهدم والموت أقوى كثيراً من دوافع الحب والبناء وهذه نظرة تشاؤمية متوقعة من شخص يهودي عاش في معقل اضطهاد اليهود وهي ألمانيا النازية ودوافع الثاناتوس تؤدي إلى الهلاك والدمار وتحفز إلى الحرب وندعو لها ونحن نعرف جميعاً أضرار الحرب وتبعاتها وهي سفك الدماء وإزهاق للأرواح فيما لا طائل من ورائه ولا خاسر فيها ولا رابح ولكن كلا الطرفين من الخاسرين، وإذا كان ذلك كذلك فلماذا لا نمتنع عنها بقول فرويد، نحن نعلم عن ويلات الحرب الشيء الكثير ولكننا عاجزون تماماً عن الابتعاد عنها.

ويعرف فرويد المبالغات الأسطورية في نظريته هذه فيقول آينشتين أن هذه الفكرة قد تبدو شبيهة بالأساطير ولكن ليست القوانين التي توصلت إليها في مجال الفيزياء أشبه بالأساطير كذلك.

خامسا: عقدة أوديب، عقدة الذنب، عقدة النقص

1. عقدة أوديب

في أساطير اليونان القديمة أن «أوديب» كان طفلاً لأحد الملوك، فتكهن أحد المنجمين بأنه سيقتل أباه ويتزوج من أمه، فأمر الملك بنبذ ابنه في العراء، فلما كبر أوديب التقى بأبيه في إحدى رحلاته، ولم يكن يعرف أحدهما الآخر. ولأمر ما تنازعا فقتل أوديب أباه ثم مضى حتى بلغ مدينة أبيه فتزوج ملكتها وهي أمه دون أن يعرفها أيضاً (هي أسطورة طويلة جداً لا مجال لذكرها لضيق المقام) وقد استعار فرويد اسم هذه الأسطورة فأطلقه على مأساة شبيهة بما يعانيه الطفل الإنساني إبان طفولته الباكرة في صلته بوالديه، سماها عقدة أوديب، وهي عقدة ذات خطر كبير عند أصحاب مدرسة التحليل النفسي، إذ أنها ذات صلة وثيقة بتكوين ضمير الفرد وخلقه كما أنها في نظرهم حجر الزاوية ونواة الاضطرابات النفسية.

وتفصيل ذلك أن الطفل خلال الثلاث السنوات والأربع الأولى من حياته تكون علاقته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتتعقد، والطفل الذكر يحب والديه على حد سواء غير أنه لا يلبث أن يزداد تعلقه بأمه وحبه لها كما تأخذ بوادر العزوف عن أبيه تدب في نفسه هذا الموقف الغريب المكون من حب الأم والتعلق بها والعزوف عن الأب يسمى «الموقف الأوديبي» وبما أنه يتألف من عواطف ومشاعر كريهة غير مستساغة فسرعان

ما يلقه الكبت فتكون من ذلك عقدة أوديب ويحدث عكس ذلك على وجه التقريب لدى الطفلة الأنثى وتسمى عقد الكترا.

فعقدة أوديب تنشأ من رغبة مكبوتة لدى الطفل الذكر في الاستحواذ على الأم والغيرة من الأب.

وهذا الموقف الأوديبي تتم تصفيته بناءً على ما يلقاه الطفل من تربية سليمة رشيدة وعلى ما يلقاه في هذه المرحلة من حسن تصرف الأبوين، فالطفل الذي لم يتعرض للحرمان الشديد أثناء عملية الرضاعة ولم يفطم من ثدي الأم فطاماً عنيفاً ولم تفرض عليه عملية ضبط المثانة والأمعاء بطريقة عنيفة يستطيع أن يجتاز هذه المرحلة الأوديبية بسلام، أما الطفل الذي فرض عليه الحرمان والكبح الشديد إزاء هذه العمليات فأكبر الظن ألا يجتازها بسلام.

ومن مظاهر عقدة أوديب وعقدة الكترا في سلوك الكبار ما يلي:

أ. أن يتزوج الشخص من امرأة تكبره في السن أو تشبه أمه تماماً.

ب. خصام ظاهر أو باطن مع أبيه أو مع كل ما يمثل الأب من سلطة.

ج. أن تشعر الفتاة أن جميع الرجال ليسو أهلاً ولا كفئا للزواج منها لأنهم ليسوا مثل أبيها أو كما يقول المثل العربي «كل فتاة بأبيها معجبة».

د. تغار الزوجة غيرة شديدة شاذة على زوجها لأنه بديل للأب، بل لقد اعتقد فرويد أن هذه العقدة كأنها عامة عند جميع الناس وثمة تعليق على هذه العقدة وما صاحبها من مبالغات فيما يلي:

- أن فرويد عمم بعض حالات المرضى الذين بدت عليهم هذه العقدة على بقية البشر وهذا التعميم هو من قبيل التعميمات غير المبررة والخطأ.
- أن هذه العقدة غالباً ما تصفى من تلقاء نفسها بانشغال الطفل في مرحلة الطفولة الوسطى بتعلم المناشط الحياتية والذهاب إلى المدرسة.
- إن الدراسات التجريبية بينت أن عقدة أوديب ما تزال فرضية لم تثبت صحتها.
- ربما أن شهرة هذه العقدة راجعة إلى كثرة ما كتب عنها من قصص أدبية وأعمال سينمائية.

2. **عقدة الذنب**

استعداد لا شعوري يقسر الفرد على الشعور الشاذ بالذنب وعلى القيام بأعمال لعقاب نفسه وإذلالها وتنشأ هذه العقدة من تربية تسرف في لوم الطفل وتأنيبه وعقابه

وإشعاره بالذنب من كل ما يفعل أو تمعن في تهويل أخطائه، وتهوين حسناته، مما يؤدي إلى تضخم خبيث في ضميره، والضمير هو السلطة النفسية التي تنتقدنا وتعاقبنا إذا انحرفنا عما نرفضه، فإذا بهذا الضمير الصارم قد أخذ يحاسب الفرد على اللمم وكأنه كبائر الإثم والفواحش يحاسبه على السهوة والهفوة ويعاقبه على اللفتة والحركة، وإذا بالفرد قد أصبح شديد العقاب لنفسه شديد السخط على ما يفعله أو يفكر فيه، يرى في أهون أخطائه ذنوباً لا تغتفر ويلوم نفسه على أمور لا يلومه عليها أحد، وينشأ عنده شعور غامض موصول بأنه مذنب أثم حتى إن لم يكن أتى شيئاً يستحق العقاب وهو شعور خفي لا يعرف الفرد له أصلاً ولا سبباً وفي هذه الحالة يقال أن الفرد يعاني من عقدة ذنب.

3. عقدة النقص

استعداد لا شعوري ينشأ من كبت الشعور بالنقص أو صراع لا شعوري بين الرغبة في الظهور والخوف من الفشل ويجب التمييز بينهما وبين الشعور بالنقص، فهذا الشعور حالة يدركها الفرد إدراكاً مباشراً ويعترف بها، وهو ينشأ من نقص جسمي أو عقلي أو اجتماعي أو اقتصادي حقيقي أو متوهم وهو شعور غير شاذ بل قد يكون إيجابياً في بعض الأحيان يدفع الواحد منا على إصلاح عيوبه ويحفزه على التقدم والارتقاء أي يبعث الفرد على التعويض (الموقف البناء) وتبدو مظاهر هذا الشعور في ارتباك وخجل من المواقف الاجتماعية خاصة تلك التي تتطلب المنافسة أو النقد.

أما عقدة النقص فهي أمر لا يفطن المرء إلى وجوده ولا يعرف منشأه بل نراه لا يعترف بنقصه، وعقدة النقص تدفع الفرد إلى سلوكيات لسان حالها يقول (أنا غير ناقص)، مثل الزهو الشديد أو الوقار المصطنع أو ميل شديد للسيطرة والعدوان والاستعلاء وغير ذلك من مظاهر التعويض المسرف، كما يبدو السلوك الناتج عن هذه العقدة في التفاخر الكاذب والتباهي الزائف والاختلاق والكذب أو التحذلق في الكلام أو النظر في الرأي (النقص او الشعور أو العقدة، من إنجازات أدلر، وتحدثنا عنها هنا).

سادساً: الحيل النفسية

إن لم يوفق الفرد إلى حل المشكلة التي تواجهه بطرق إيجابية واقعية ظل في حالة من التوتر الانفعالي الموصول ولجأ إلى أساليب ملتوية سلبية خادعة تخفف عنه بعض ما يعانيه ويكابده من تأزم نفس وما أكثر الحيل النفسية التي يصطنعها الناس خلاصاً من هذه المواقف الأزمة.

ونبادر إلى القول إن هذه الحيل النفسية يلجأ إليها الناس جميعاً الصغار والكبار، المرضى والأسوياء، وهذه الحيل يعمل أغلب عملها على المستوى اللاشعوري وهذه الحيل على ثلاثة أنواع نتحدث عنها باختصار فيما يلي:

1. الحيل الخداعية

هي حيل تتلخص في التمويه على المشكلة والدوافع المحبطة وإنكارها أو التنصل منها أو عدم الاعتراف بها أو استبعادها قاطبة من مستوى الشعور، وهذه الحيل الخداعية هي:

أ. الكبت Repression

الكبت بمعناه العام هو استبعاد دافع أو فكرة أو صدمة انفعالية أو حادثة أليمة من حيز الشعور إلى اللاشعور وكبت الحوادث أو الصدمات يعني نسيانها نسياناً تاماً، أما كبت الدافع فيعني إنكار وجوده والعزوف عن التحدث عنه أو تذكره أو التفكير فيه والرغبة في عدم مواجهته، وينجم عن كبت الدافع منعه من التعبير الصريح عن نفسه، هنا تكون للكبت وظيفتان في الحياة النفسية للإنسان، الأولى: هي وسيلة دفاعية وقائية لأنه يقي الفرد مما تعافه نفسه وما يسبب له الضيق والقلق وما يتنافى مع مثله الاجتماعية والخلقية والجمالية وما يمس احترامه لنفسه أي أنه وسيلة لخفض التوتر النفسي. الثانية: منع الدوافع الثائرة المحظورة خاصة الدوافع الجنسية والعدوانية من أن تفلت من زمام سيطرة الفرد. وإن كان للكبت هذه الفوائد الظاهرة إلا أنه خداع النفس، فالذي يكبت شعوره بالنقص لا يعترف بهذا الشعور ولا يعترف بنقصه، وهذا يمنعه من تقويم هذا النقص بل قد يتحول هذ الشعور بالنقص إلى عقدة نقص كأن عملية الكبت حيلة ساذجة غشيمة كحيلة النعامة حين تفاجأ بخطر فتدفن رأسها في الرمال ظناً منها أنها ما دامت لا ترى الخطر فالخطر غير موجود، إنها حيلة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

وفرق بين القمع والكبت، فالقمع هو الاستبعاد الإرادي المؤقت للدوافع من حيز الشعور، والقمع هو ضبط النفس بمنع الدوافع والانفعالات من التعبير عن نفسها تعبيراً صريحاً كأن يقمع المرء، وسر مظاهر غضبه من رئيسه فعملية القمع شعورية من يأتيها يكون على بينة بها ورغبة وتعمد وشعور واضح جلي أما الكبت فعملية لا شعورية تصدر عن الفرد دون قصد أو إرادة منه.

زبدة القول إن القمع عملية شعورية إرادية والكبت عملية تلقائية لا شعورية وفي القمع نشعر بالدافع ونعترف بوجوده أصلاً، ولكن من جهة أخرى فإن تكرار قمع الدوافع

قد يؤدي إلى الكبت وإن الكبت في عهد الطفولة أشيع من القمع بكثير لأن القمع يتطلب مجهوداً وضبطاً للنفس لا يقدر عليها الطفل.

والكبت كذلك هو أول حيلة للتخفيف من القلق بخداع الذات وهو يجعل الفرد يعمى عن عيوبه وينكر نقائصه، وبهذا يحفظ له كبرياءه واحترامه لنفسه غير أنه حيلة ساذجة خرقاء لأن هذه الدوافع المكبوتة ما تزال فاعلة نشطة في لاشعور الإنسان، تؤذيه وتشعره بالقلق الموصول الذي لا يعرف له سبباً.

ولنذكر كذلك أن الكبت العنيف يستنفد جزءاً كبيراً من طاقة الفرد النفسية فلا يبقى له إلا القليل من هذه الطاقة لمواجهة مشكلات الحياة ولذا فإن من شب على كبت عنيف شب واهناً ضعيفاً فإن ضغطت عليه الدنيا خارت قواه.

ب. التبرير Rationalization

هو أن ينتحل الفرد سبباً معقولاً لما يصدر عنه من سلوك خاطئ أو معيب أو عما يحتضنه من آراء ومعتقدات وعواطف ونيات حين يسأله الغير أو حين يسأل هو نفسه، هو تقديم أعذار تبدو مقنعة معقولة ولكنها ليست الأسباب الحقيقية، فالتلميذ المتخلف يبرر تخلفه بصعوبة المقررات أو يغش في الامتحان على أساس أن الامتحان ليس وسيلة عادلة لاختبار الكفايات، ومن الآباء من يبررون عقابهم الشديد لأبنائهم بأن ذلك لتأديب الأبناء بينما الواقع أن الدافع الحقيقي هو تصريف غضب الآباء، ونحن نبرر عدم ذهابنا للطبيب بكثرة أعمالنا ولكن الدافع الحقيقي هو الخوف من الذهاب.

ومن الناس من يرون الاستكانة وإذلال النفس تواضعاً ومن الناس من يرى التواكل توكلاً ومنهم من يرى البخل حرصاً ومنهم من يرى المجون مرحاً ومنهم من يرى الفوضى حرية، إنها مسميات طيبة لأشياء مرذولة، والتبرير له صور عدة منها اعتذار الفرد عن فشله في الحصول على شيء بأنه لا يميل إلى هذا الشيء أو يكرهه فيكون مثله كمثل الثعلب الذي عجز عن بلوغ العنب فادعى أنه لا يحب العنب وهذا الأسلوب في الاعتذار اسمه «العنب الحصرم».

وعكس هذا النوع من التبرير هو قبول الواقع المر والرضا به بحجة أنه لا بد منه أو أنه خير الأمور دون أن يبذل الفرد جهداً لتغيير الحال، ويسمى هذا الأسلوب التبريري بأسلوب «الليمون الحلو» حيث يتخفف به الفرد من عجزه وقعوده واستسلامه، ويخدع نفسه بأنه غير عاجز أو كسول أو فاتر الهمة ولسان حاله يقول «الفقر حشمة» وتلك حيلة العاجز أو حيلة

من لا حيلة له، وهنا يجب التمييز بين التبرير والكذب، ففي الكذب يدرك الفرد السبب الحقيقي لسلوكه لفشله مثلاً، لكنه يتعمد التحريف، فالكذب محاولة مقصودة لخداع الغير لا تتضمن خداع الذات، أما التبرير فهو خداع للذات حيث يعتقد الفرد ويؤمن بأن ما يدعيه هو الحق، والتبرير مثل الكبت حيلة لاشعورية غير مقصودة تصدر عن الفرد بصورة آلية تلقائية لا تسبقها رؤية أو تفكير.

زبدة القول إن التبرير حيلة يدفع بها الفرد عن نفسه ما يؤذيها ويسبب لها القلق، هو حيلة يتنصل بها الفرد من عيوبه ومثالبه ويموه عنها، وهو حيلة يلجأ إليها كل فاشل أو مقصر ومعتد أو مخطئ، كما أنه حيلة مشاعة بين الكبار والصغار خاصة بين من تناقض أفعالهم ما لديهم من مبادئ خلقية.

ويبدو التبرير على نحو صارخ في هذاءات المرضى بالأمراض العقلية، فالمريض الذي يؤمن بأن زوجته تكيد له وتعمل على قتله يحرف كل فعل يصدر عنها حتى ينسجم مع هذاءاته، إن أحسنت سلوكها فإن سلوكها الحسن هذا قناع تخفي وراءه ما تدبر من خطط ضده، وإن هي قدمت له الطعام فلا بد أنها دست فيه السم للتخلص منه، وإن قال له قائل إن هذا لا يتفق مع الواقع فهذا القائل شريك لزوجته في مؤامراتها على حياته.

ج. الإسقاط Projection

هو حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الشخص عيوبه ومناقصه ورغباته المكروهة ومخاوفه المكبوتة إلى غيره من الناس والأشياء وذلك تنزيهاً لنفسه وتخفيفاً عما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب، فترى الكاذب أو الحقود أو الأناني ينسب الكذب والجحود والأنانية إلى الآخرين.

وكثيراً ما يكون ارتياب الفرد في الناس وعدم ثقته فيهم إسقاطاً لارتيابه في نفسه وعدم ثقته فيها.

والإسقاط شائع عند الناس جميعاً بدرجات مختلفة، فكثيراً ما تنسب التأخر في الحضور إلى ازدحام المواصلات، ورداءة الخط إلى نوع القلم، والفشل في المشروعات إلى الحظ، وصدق الشاعر الذي يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وكما يقول المثل العامي «عجبي على جمل يمشي ويجري وراء يشوف عيوب الناس وعيوبه لم يرَ».

على جائزة نوبل) أو يؤدي العبادات بينما يتسم سلوكه في عمله التجاري بالغش (على أساس المثل الذي يقول هذه نقرة وهذه نقرة).

وإن الشخص الذي يفعل ذلك ليعمى عن رؤية هذه التناقضات الصارخة في سلوكه وكذلك ترى المحب لا يرى في محبوبه إلا الصفات الحميدة فقط أما غير ذلك فلا يكاد يدركها بل لا يعترف بها أصلاً.

والعزل شبيه بالكبت في أنه خداع للذات غير أنه يختلف عن الكبت في أن الفرد في حينة العزل يشعر بوجود الطرفين المتصارعين لكنه لا يدرك الصلة بينهما أو لا يدرك ما بينهما من تناقض.

وبالعزل نستطيع تفسير هذيان المصاب باضطراب عقلي الذي يعتقد أنه قائد كبير ومع ذلك يقوم بأعماله اليومية في المستشفى عن طيب خاطر فيقوم بمسح الأرض وتمهيد الأسرة دون أن يزعجه ذلك على الإطلاق، أو ذلك الذي يعتقد أنه أغنى أهل الأرض ومع ذلك يستجدي سيجارة من زوار المستشفى.

2. **الحيل الهروبية**

تتلخص هذه الحيل في تجاهل الصراع أو الأزمة أو استصغارها أو تناسيها أو إدارة الظهر لها إلى غير ذلك من أساليب الهروب المادية والسيكولوجية.

ومن ذلك الإسراف في القراءة هرباً من الهموم أو الالتجاء إلى النوم فراراً من المشكلات أو تعاطي المخدرات هرباً من الواقع أو إضاعة الوقت والمال في لعب القمار هرباً من مواجهة مشكلات الحياة، فوسط ضروب الحرمان والصراع يجد بعض الناس في هذا الهروب ملاذاً من سجن الواقع وعزاء وسلوى إلى حين.

ونذكر طرفاً من هذه الحيل الهروبية فيما يلي:

أ. **أحلام اليقظة Daydreams**

أحلام اليقظة هي قصص يرويها الإنسان لنفسه بنفسه عن نفسه، هي نوع من التفكير الارتغابي الذي لا يحفل بالقيود المنطقية أو الواقعية التي تسيطر على التفكير العادي وتستهدف هذه الأحلام إرضاء رغبات وحاجات لم يستطع الفرد إرضاءها في عالم الواقع، فيها تبنى القصور في الهواء وتوضع الخطط الوهمية للمستقبل الزاهر الذي ينشده الحالم ويعجز عن بلوغه، ترى فيها الضعيف يحلم بالقوة والفاشل يحلم بالنجاح والفقير يحلم بالغنى، وقد يضع الفرد نفسه بطلاً لرواية يؤلفها بنفسه لنفسه عن نفسه ينعم في ثناياها بما

ينعم به الأبطال من عظمة أسطورية، فيها يركب الحالم سفينة السندباد ويمتلك مصباح علاء الدين ويحوز خاتم سليمان ويركب البساط السحري يجوب به الآفاق، من هنا كانت هذه الأحلام صمام أمن للرغبات المكبوتة أو هي نوع من التعويض الوهمي والعزائي.

وأحلام اليقظة ظاهرة طبيعية عادية لا ضرر منها إذا لجأ إليها الفرد بمقدار، كما أنها ليست دائماً من النوع العابث العقيم فقد تحفز الفرد على أن يجد ويجتهد ليحقق شيئاً منها، أما إذا ازحمت الحياة النفسية وامتصت جزءاً كبيراً منها أمست ضارة بالفرد وخيمة العاقبة، فقد يؤدي الإسراف فيها إلى التباس الواقع بالخيال، أو يصبح اللجوء إليها ديدن الفرد فيعفي نفسه من السعي والكد في الحياة مكتفياً بممارسة هذه الأحلام وتصبح أمراً خطيراً، متى آثر الاحتماء بها وأصبح ملكاً لها بدل أن تكون هي ملك له، وأحلام اليقظة نشاط ذهني شائع في جميع مراحل العمر، ولكنه أكثر شيوعاً في الطفولة والمراهقة ورغم كونها نشاطاً ذهنياً مشاعاً- إلا أنها دليل خطر وبيان ذلك أنها تستنفد شطراً كبيراً من حياة المصابين بالاضطرابات النفسية والعقلية كأن الجنون هو حلم يقظة مستمر.

ونذكر هنا أن أحلام النوم هي مثل أحلام اليقظة إرضاء وهمي خيالي لرغبات محبطة مكبوتة أو غير مكبوتة وأن الأحلام ليست خليطاً جزافياً بل هي نشاط لاشعوري منظم وغرضها حماية النوم وحراسته، فقد يحلم الجائع أو العطشان أن يأكل ويشرب، فهذا الحلم يجعله يستمر في النوم دون حاجة لأن يستيقظ ليأكل ويشرب، وهكذا.

ب. النكوص Regression

هو تراجع الفرد إلى أساليب طفلية أو بدائية من السلوك والتفكير حين تعترضه مشكلة أو موقف محبط، فإذا به يستبدل بالطرق المعقولة لحلها طرقاً يبدو فيها تهلهل التفكير وغلبة الانفعال فترى المناقش الرزين الهادئ يلجأ حين يفحم إلى الصياح والمكابدة والمنجاج وإذا به أضحى عاجزاً عن الفهم.

والنكوص حيلة لاشعورية أي غير مقصودة تتيح لمن يمارسها إرضاءً وهمياً وخلاصاً من القلق والتوتر الذي تحدثه المشكلة، ومن مظاهره السب والصراخ والغضب والتمارض والغيرة الطفلية والحسد والعناد والبكاء عند الارتطام بالمشكلات والإعراض عن الزواج خوفاً من تحمل تبعاته والإسراف في الحنين إلى الماضي أو أيام زمانه خاصة لدى من كانت طفولتهم يغشاها الأمن والطمأنينة.

والنكوص غير مقصور على الكبار فالطفل في السادسة من عمره قد يلجأ إلى الإكثار من العناد أو يأخذ في مص أصابعه أو التبول اللاإرادي إذا رأى أن أخاه الأصغر قد استأثر بعطف أبويه وعنايتهما من دونه، فهو ينكص إلى الماضي لعله يصيب شيئاً من الحنان المفقود.

بيد أن كل نكوص عند الكبار لا ينبغي اعتباره شاذاً متى كان عابراً موقوتاً فالبكاء لأم يعاني طفلها الصغير من مرض خطير أمر عادي ومتوقع، ويبدو النكوص واضحاً لدى كثير من الناس في حالة المرض الجسمي، فترى المريض أصبح كالطفل كثير السخط والتبرم شديد الغضب والتركيز في نفسه، إلا أن النكوص أكثر ظهوراً في الاضطرابات النفسية والعقلية إذ يتخذ أشكالاً عدة مثل التهجم والصراخ الصبياني والعناد والاندفاع والذعر من أشياء تافهة.

3. الحيل الاستبدالية

هي حيل لا شعورية تقوم على استبدال السلوك السوي بسلوك لا سوي وتتخذ صوراً شتى منها:

أ. التعويض الزائد Overcompensation

يطلق على مجموعة الاستجابات المسرفة أو السخيفة التي يحاول بها الفرد التخفيف من عقدة نقص، إنه نوع من التعويض يتجاوز الحدود المعقولة حتى ليبدو متكلفاً أو سخيفاً أو مضاداً للمجتمع، ويبدو أن الأحداث الجانحين يرتكبون ما يرتكبون من عدوان على الناس أو الممتلكات نتيجة لعقدة نقص في بعض الأحيان فإذا بالحدث يهرب من البيت أو يسرق أو يعتدي أو يتحدى العرف حتى ليثبت لنفسه وللناس أنه غير ضعيف وأن لديه من القوة ما يستطيع أن يتحدى به القانون.

كما يتخذ التعويض الزائد صوراً كثيرة منحرفة، منها أن يصطنع الفرد ضروباً من السلوك المتكلف السخيف طمعاً في جذب الانتباه أو ذراً للرماد في العيون باختلاق قصص كاذبة والتباهي والتفاخر بأعمال عظيمة أو الخروج على الناس بأفكار مغربة أو التحذلق في الحديث.

ب. التقمص Identification

هو اندماج شخصية الفرد في شخصية فرد آخر أو في شخصية جماعة نجحت في الظفر بالأهداف التي يفتقدها، للتخفيف من صراع نفسي، فنحن نميل إلى تقمص من ينعمون بما حرمناه حين نقرأ عنهم أو نفكر فيهم أو نشاهدهم على المسرح، فقد تتقمص الفتاة شخصية

الممثلة التي تحبها فتقلدها في مشيتها وكلامها وملابسها أو يتقمص الطفل شخصية أبيه أو أن يتقمص الفتى شخصية النادي الذي ينتمي إليه أو الجماعة التي ينتمي إليها ويتعصب لها أو يتقمص الرجل شخصية مهنته أو بلدته.

والتقمص أسلوب سوي للتوافق يصطنعه جميع الناس، والحب من أقوى الدوافع التي تدفع إلى التقمص وكذلك الإعجاب دافع إلى التقمص.

ويبدو التقمص واضحاً في هذيان المصابين بأمراض عقلية حين يعتقد الواحد منهم أنه نابليون بونابرت فيلبس ثيابه ويحاكي مشيته ويتخذ أسلوبه في الأمر والنهي.

ج. العدوان Aggression

هو إيذاء الذات أو الغير أو ما يرمز إليهما وهو يقترن دائماً بانفعال الغضب، وللعدوان صور شتى، منها العدوان عن طريق العنف الجسمي والعدوان باللفظ بالكيد والإيقاع والتشهير وقد يتخذ أشكالاً أخف مثل عصيان الطفل أوامر والديه أو تضييق المعلم على تلاميذه وإسرافه في عقابهم، أو يبدو العدوان في الغمز أو التندر حين تتم النكتة اللاذعة عن عداء دفين، وهذا هو العدوان المباشر، وثمة مفهوم آخر يتصل بالعدوان هو العدوان المزاح وبيان ذلك أنه إن حالت عقبات دون العدوان المباشر على مصدر الإحباط بأن كان مصدر الإحباط شخصاً محبوباً أو مرهوب الجانب تحول العدوان وانصب على أول كبش فداء يلقاه الفرد في طريقه إنساناً كان أو حيواناً أو جماداً، فالطفل الغاضب من مدرسه قد يضرب طفلاً آخر أصغر منه أو يحطم الأثاث والأب الغاضب من رئيسه قد يصب جام غضبه على أولاده، والجماعة التي يحكمها رئيس مستبد قد تختار واحداً منها يجعلونه كبش الفداء وشماعة تعلق عليها أخطاء الجميع وهذا يدل على أن الإنسان ليس كائناً منطقياً بل كائناً سيكولوجياً أي أنه يريد استعادة توازنه بأية طريقة ودون النظر إلى من ينصرف إليه عدوانه.

سابعاً: مراحل نمو الشخصية

اعتقد فرويد أن الاضطرابات العصابية التي يبديها مرضاه إنما تأصلت في مرحلة الطفولة المبكرة، وعلى هذا فقد اتجه إلى الاهتمام بتلك المرحلة وأثرها في النمو النفسي وتكوين الشخصية وقد اعتقد أن شخصية الراشد توضع معالمها أساساً في السنوات الخمس الأولى.

وقد توصل فرويد إلى نظرية في تحديد النمو النفسي الجنسي تتمثل في المراحل الآتية:

1. **المرحلة الفمية Oral Stage**: وهي تستغرق السنة الأولى من حياة الطفل، ويكون الفم هو المنطقة الشهوية ويكون تحقيق الإرضاء عن طريق المص.
2. **المرحلة الأستية Anal stage**: وهذه المرحلة تمتد من سن سنتين إلى ثلاث سنوات حيث تكون الأغشية في المنطقة الأستية هي مصدر اللذة.
3. **المرحلة القضيبية Phallic stage**: وهذه المرحلة تمتد من سن أربع سنوات إلى خمس سنوات أو ست سنوات، حيث يكون لمس الأعضاء التناسلية هو مصدر الإحساس باللذة.
4. **مرحلة الكمون Latency stage**: وهي تبدأ من أواخر السادسة إلى الثانية عشرة تقريباً، حيث تقل أهمية الدوافع الجنسية وينشغل الطفل بتعلم المناشط والمهارات الجديدة.
5. **المرحلة التناسلية Genital stage**: حيث المراهقة وما بعدها، بحيث تحصل أعمق مشاعر اللذة من العلاقات الجنسية الغيرية، ومن الناحية المثالية فإن المرحلة التناسلية تبلغ قمتها بالزواج وممارسة العلاقات الجنسية مع الشخص المحبوب وتربية الأطفال نتاج هذا الحب وعلاقته.

وقد ذكر فرويد أن المراحل الثلاث الأولى ذات أثر حاسم على شخصية الإنسان وعلى سلوكه، وعلى سبيل المثال الشخص الذي لم يحصل على الإرضاء الكافي في المرحلة الفمية يحاول تعويض ذلك بالإسراف في تناول الطعام ويقال إن «البيدة» قد ثبت على المرحلة الفمية، وبوجه عام فإن كل مرحلة من هذه المراحل لها بعض المتطلبات وتثير بعض الصراعات، ومن أهم هذه الصراعات التي تثار أثناء المرحلة القضيبية الموقف «الأوديبي» حيث يعتقد فرويد أن كل طفل يعيد تمثيل «الدراما الأوديبية» من جديد، فهو يتجه بالحب نحو الأم ويتجه بالكراهية نحو المنافس القوي –الأب– واخشى ما يخشاه الطفل أن يقوم هذا الأب باستئصال قضيبه (أي إخصائه) وهذا القلق خشية الإخصاء يجعل الطفل يتجه بالحب الرقيق نحو الأم ويتوحد بالأب.

ثامناً: الآلية والحتمية في نظرية فرويد

تأثر فرويد تأثراً شديداً بالتفكير الميكانيكي الآلي الذي كان يسود علم وظائف الأعضاء في ألمانيا، ومن النظرة الأولى فإن فكرة الآلية والحتمية قد تبدو غير منسجمة مع

فكرة فرويد عن الدوافع الخبيئة التي تحرك السلوك أو الفكر بحيث يمكن أن نرجعه إلى الإرادة الحرة، فهناك دائماً سبب لكل حدث ودافع وراء كل سلوك هذا الدافع إن لم يكن شعورياً فهو لاشعوري.

وفي عام 1895م عمل فرويد بحماسة في مشروع لعلم النفس العلمي حيث حاول أن يبين الجانب العلمي في علم النفس وأن الظواهر النفسية لها الخصائص نفسها التي تتصف بها عمليات فسيولوجيا الجهاز العصبي، وبالرغم من أن فرويد لم يستطع أن يمضي قدماً في هذا المشروع إلا أنه بقي متمسكاً بفكرة حتمية السلوك الإنساني.

تاسعا: الصراع بين التحليل النفسي وعلم النفس

إن التحليل النفسي يمثل خطاً خارج علم النفس التقليدي، وكون مدرسة التحليل النفسي رائداً ونظاماً كانت من خارج علم النفس، فقد أدى هذا إلى تأخير قبولها جزءاً من جسم علم النفس، ومن أخطر الأمور التي أدت إلى صراع بين التحليل النفسي وبين علم النفس بوجه عام أن الطريقة التي توصل بها فرويد إلى نظريته وطرائقه في البحث، أدت بعلماء النفس التقليديين إلى رفض دخول فرويد في زمرتهم، ومثال ذلك فإن فونت رفض بشدة فكرة اللاشعور في علم النفس لأن عمله العلمي كان منصباً على العناصر البنائية للشعور وقد قال فرويد قولاً عظيماً في مواجهة علم النفس التقليدي حيث قال: لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأن علم النفس القديم قتله مذهبي، ولكن علم النفس القديم هذا غير واع بهذه الحقيقة وما زال يدرس كالعادة.

أضف إلى ذلك أن التعليم والتدريب الذي تلقاه فرويد كان في مجال الطب وليس في مجال علم النفس، وهناك بالطبع مقاومة بدهية من أصحاب علم النفس التقليدي لهذا الغازي الجديد –في ذلك الوقت– والقادم من مجال الطب، وفوق هذا كله فإن هدف علم النفس التقليدي كان هدفاً علمياً بحتاً وهو دراسة السلوك الإنساني بقصد التعرف إلى قوانينه، أما هدف التحليل النفسي فكان هدفاً تطبيقياً عملياً، وهو شفاء المرضى الذين يعانون من الاضطرابات النفسية.

عاشرا: نقد وتقييم لنظرية فرويد

النقد الذي وجه إلى فرويد ونظرياته أوسع وأكثر من أن يحتويه كتاب خاص –وهو كم كبير من النقد– وقد أتى هذا النقد من مصادر متعددة بعضها من داخل علم النفس

وبعضها من خارجه، وسوف يتركز الحديث النقدي على بعض الملاحظات التي وجهت إلى نظرية فرويد من داخل علم النفس.

وأولى هذه الملاحظات أن فرويد جمع مادته العلمية التي توصل منها إلى نظرياته من مرضاه، وهم تحت حالة التنويم المغناطيسي أو حالة الاستسلام للتحليل النفسي، وهذه حالات مؤقتة يكون الإنسان فيها على غير طبيعته تماماً بل إن جمع المادة العلمية بهذه الطريقة يدل على عدم الكفاءة المنهجية، ذلك أن فرويد لم يسجل حرفياً أقوال مرضاه ولكنه فضل أن يجمع مادته العلمية من بعض ملاحظاته المكتوبة، ومن بقائه عدة ساعات مع مرضاه.

ومن المتوقع أن قدراً كبيراً من أقوال المرضى قد ضاعت أو اختصرت أو تبدلت والقول في هذا المقام إن مادة فرويد العلمية -وهي أقوال مرضاه- هي ما تذكره فرويد من أقوال هؤلاء المرضى، وقد يكون الجزء المتذكر أقلها أهمية والجزء المنسي أكثرها أهمية، إلى جانب الشك في أن فرويد من المحتمل أن يكون قد وجهته مفاهيمه النظرية أو بقول آخر إن فرويد سمع وتذكر ما يريد سماعه أو تذكره، وبالطبع فمن المفروض أن ملاحظات فرويد مضبوطة، ولكن إلى أي مدى من الدقة والانضباط؟ ومهما يكن من أمر فإذا افترضنا دقة متناهية في ملاحظات فرويد وتسجيله لمادته العلمية -وهي أقوال المرضى- فهل أقوال هؤلاء المرضى صحيحة؟ ويعرف الطالب المبتدئ في علم النفس أن الاضطرابات النفسية والعقلية من شأنها أن تشوش الإدراك والأحكام فهل من الممكن أن تكون هذه الإدراكات والأحكام المشوشة صالحة لمادة علمية لنظرية كبرى في علم النفس؟

أما الملاحظة الثانية فهي: كيف تخضع المبادئ الكثيرة التي قال بها فرويد للدراسة التجريبية؟ مثلاً مبدأ اللذة أو مبدأ الواقع أو الموقف الأوديبي، هناك صعوبة بالغة في تصور ضبط تجريبي تختبر فيه هذه المبادئ اختباراً علمياً يقنع الباحث العلمي المدقق.

أما الملاحظة الثالثة فهي التداخل الواضح بين المفاهيم التي أوردها في نظريته (مثل اللاشعور والشعور والشعور والهو والأنا والأنا الأعلى)، ذلك أن لغة العلم هي لغة تتوخى فيها الدقة والتحديد، وكيف يبيح فرويد لنفسه أن يصوغ نظرية في الشخصية الإنسانية قائمة على مجموعة من الحالات المرضية اللاسوية.

أما الملاحظة الرابعة فهي تدور حول ما لاحظه تلاميذ فرويد من شروخ في نظريته، فانشقوا عنه مكونين مذاهب لا فرويدية تقدم أفكاراً جديدة ورؤية جديدة، وهم موضوع

الحديث في الصفحات القادمة، ولم يقتصر الأمر على المنشقين فقط، بل ظهر عدد من العلماء منضمين -بقدر أو بآخر- تحت اللواء الفرويدي معدلين ومبدلين قدراً من مفاهيمه الأساسية، مكونين مذاهب فرويدية جديدة، ويضم معسكر المنشقين أمثال يونج وأدلر وهورناي وفروم، أما معسكر المعدلين فيضم أمثال ألبورت وأريكسون، ونتحدث عن المعدلين في فصل لاحق.

الملخص

يعد اسم فرويد واسم مدرسة التحليل النفسي من أكثر الأسماء شيوعاً لدى عامة الناس.

فرويد شخصية لجومية، وهناك علماء في مستوى فرويد بل أقوى غير معروفين إطلاقاً خارج علم النفس واهتمت مدرسة التحليل النفسي بدراسة السلوك اللاسوي الذي تجاهلته المدارس الأخرى والتي ركزت دراستها على الإحساس والإدراك والتعلم من حيث كونها موضوعات رئيسة في علم النفس.

وهناك بعض الفلاسفة الذين أشاروا إلى مفاهيم تبناها التحليل النفسي بعد ذلك منهم العالم الألماني هربارت فيما أسماه عتبة الشعور حيث رأى أن الأفكار التي توجد دون العتبة هي لا شعورية وأنها عندما توجد في الشعور لا بد أن تكون منسجمة مع بقية الأفكار الموجودة في الشعور، ولكن الأفكار غير المنسجمة أو غير المتجانسة فإنها تكره على الخروج من الشعور.

سيجموند فرويد (1856– 1939م)

حركة التحليل النفسي تعتمد على جهد رجل واحد هو فرويد ولد في 6 مايو 1856م في مدينة مورافيا وهي جزء من تشيكوسلوفاكيا الآن لأب يهودي كان يعمل في تجارة الأخشاب ونزح الأب من مورافيا إلى ليبزج ثم إلى فينا حيث كان عمر فرويد 4 سنوات وقد بقي فرويد في فينا مدة تقرب من 80 عاماً.

وكان فرويد الأب يكبر الأم بحوالي 20 عاماً، وكان جامداً متسلطاً إلى حد ما، وقد شعر الطفل سيجموند بالخوف تجاه هذا الأب، ويحب أكثر تجاه الأم، وهذا ما سُمي بعد ذلك «عقدة أوديب».

وكان سيجموند واحداً من ثمانية أطفال، ولكنه برز من بينهم بالتفوق العقلي التي شجعته الأسرة بكل الأساليب الممكنة ثم اتجه إلى دراسة الطب ليس كطبيب ولكن كباحث، وبرز في جامعة فينا وبقي في الدراسة 8 سنوات وفي عام 1881م حصل على درجته الجامعية وفي العام التالي عمل طبيباً للأعصاب.

وقد تزوج وأنجب من زوجته 6 أطفال وكان عمله يستغرق منه وقتاً طويلاً حيث لم يتيسر له وقت إلا القليل لرؤية زوجته ورعاية أبنائه، وفي خلال تلك السنوات نشأت صداقة

بينه وبين بروير وهو طبيب نفسي في مدينة فينا وقد استفاد فرويد من علاقته وصداقته مع بروير شيئاً كثيراً.

وفي عام 1885 سافر لعدة شهور إلى فرنسا حيث التقى بالطبيب الفرنسي شاركوه وثمة حادث هام وقع أثناء إقامته في باريس، ذلك أنه في إحدى اللقاءات بين فرويد وشاركوه بيّن شاركوه أن الهستيريا مرض يصيب الرجال وليس النساء فقط كما كان يسود الاعتقاد في ذلك الوقت ، واستعمل فرويد التنويم المغناطيسي والتنفيس وذلك في التعامل مع مرضاه واتبع أسلوب التداعي الحر وفي هذا التداعي الحر أو الطليق يجلس المريض مسترخياً على أريكة ويشجعه المحلل على التحدث بحرية وتلقائية ويعبر صراحة عن أفكاره مهما كانت غريبة أو سخيفة.

وفي عام 1895 نشر بروير وفرويد كتاباً بعنوان ودراسات عن الهستيريا ويعد هذا الكتاب نقطة انطلاق مدرسة التحليل النفسي.

وفي حوالي عام 1898 حدثت قطيعة بين فرويد وبروير بسبب اختلافهما حول آراء فرويد في النظرية الجنسية.

وفي عام 1897 اهتم فرويد بدراسة موضوع الأحلام وما فيها من رمزية ودلالة ثم أصدر عام 1900 كتابه الواسع الشهرة في تفسير الأحلام الذي يعد أهم كتب فرويد.

وفي بداية القرن العشرين بدأ الناس يعرفون فرويد ومذهبه معرفة واسعة ودعته جامعة كلارك في أمريكا لزيارتها 1909 وقابل في هذه الجامعة فحول علماء النفس في ذلك الوقت من أمثال ويليام جيمس وجيمس ماكين كاتل وتيتشنر ومنح الدكتوراه الفخرية من تلك الجامعة.

وفي عام 1911 تفرق عن فرويد تلميذاه يونج وأدلر وكون كل منهما مدرسة مستقلة. وفي عام 1923 تبين أنه يعاني من سرطان في الفم وأجريت له أكثر من 30 عملية جراحية.

ولحق الاضطهاد النازي بفرويد عندما قفز هتلر إلى السلطة عام 1932 وكان موقف النازي عدائياً صريحاً تجاه التحليل النفسي فأحرقت كتب فرويد في شهر مايو 1933 في حضور جمع غفير من الناس.

وفي عام 1938 غزا النازي النمسا، وفرّ فرويد إلى إنجلترا وعلى الرغم من أن إنجلترا أحسنت استقباله إلا أن حالته الصحية كانت متدهورة وأسلم الروح في 23 سبتمبر 1939.

ويمكن أن نوجز مذهب فرويد في النقاط الآتية:

1. **التحليل النفسي طريقة للعلاج**

عندما يمارس التداعي الحر مع المريض فإنه يصل في وقت معين إلى نقطة لا يرغب أو لا يستطيع فيها أن يواصل رواية قصة حياته ويعتقد فرويد أن هذه المقاومة معناها أن المريض استدعى إلى ذاكرته وقائع أو فظائع أو أحداث فظيعة مخجلة وهنا أثار فرويد مفهوم الكبت وهو نبذ الأفكار والذكريات المؤلمة وترحيلها من منطقة الشعور إلى اللاشعور، وكذلك اعتقد فرويد أن الأحلام في بعض الأحوال هي إرضاء للرغبات المكبوتة وقد أشار فرويد كذلك إلى التحليل النفسي للمحلل النفسي، وبيّن أن المحلل قبل أن يتعرض لعلاج المرضى لا بد أن يخضع هو فترة للتحليل والتدريب تبلغ عامين. وقد آمن فرويد واعتقد بشدة أن التحليل النفسي يجب أن يكون مهنة مستقلة عن الطب، ومع ذلك فإن فرويد يرى نفسه عالماً وباحثاً أكثر منه محللاً نفسياً.

2. **المنظمات النفسية**

كان فرويد أول من تصور تفاعل العوامل البيولوجية مع العوامل الاجتماعية في تكوين الشخصية ونموها وهو يرى أن الشخصية لها ثلاثة جوانب هي:

أ. الهو: هو منبع الطاقة البيولوجية والنفسية التي يولد بها الإنسان وهو يضم الدوافع الفطرية والجنسية والعدوانية والتي ترجع إلى ميراث النوع البشري كله وإلى طبيعة الإنسان الحيوانية قبل أن يتناولها المجتمع بالتهذيب والتحويل ومبدأ اللذة.

ب. الأنا: جانب من الشخصية يتكون بالتدريج من اتصال الطفل بالعالم الخارجي الواقعي عن طريق حواسه فالطفل يرى اللهب جذابا فيلمسه فيشعر بالألم فيتعلم أن يتجنب اللهب ويتعلم عن طريق السمع أن هناك أصواتاً تعني الخطر فيتفادى مصدرها، والأنا يتكون وينمو بتأثير الخبرات والتربية ويعمل على ضبط الهو وهو جزء من الهو انفصل عنه واستقل عنه أشبه بلحاء الشجرة جزء منه يطل على العالم الخارجي وجزء منه يطل على الهو.

ج. الأنا الأعلى: تتلخص تربية الطفل منذ عهد مبكر جداً من حياته في صراع دائم بين ما يريده لنفسه وبين ما يريده له الآخرون.

وتقوم عملية التطبيع الاجتماعي بدورها في تعليم الطفل كيف يراعي العادات المرعية في الطعام والشراب على شكل سلطة داخلية تقوم مقام الوالدين حتى في غيابهما ذلك أن

الأنا الأعلى هو الضمير فبعد أن كان الطفل يأتي بالمباح ويمتنع عن المحظور خوفاً من سلطة خارجية أصبح يحمل في جانبيه مستشاراً خلقياً يرشده إلى ما يجب عمله وينهاه عما لا يجب ويحكم له بالصواب إن أصاب وبالخطأ إن أخطأ.

3. اللذة والواقع

مبدأ اللذة

الإنسان في نظر فرويد كائن يبحث عن اللذة ويتجنب الألم ومبدأ اللذة نزعة فطرية لدى الإنسان تحدد الأسلوب الذي تخفض به توتراته النفسية سلوك الراشد وإن كان يبحث عن اللذة، إلا أنه واقعي في بحثه مما يؤدي بالإنسان الى يستغني عن لذاته العاجلة مقابل لذات آجلة، مثلاً هل تذاكر الدروس أم تنصرف إلى اللهو واللعب حيث اللهو واللعب لذة عاجلة ومذاكرة الدروس فيها شيء من الجهد ولكن النجاح والتخرج لذة آجلة فأنت شخص يعتمد على مبدأ الواقع فينصرف عن التليفزيون أو السينما ويتجه إلى الدراسة.

4. الحب والموت

يمكن تقسيم دوافع الإنسان إلى مجموعتين أساسيتين:

أ. الأولى: دوافع الحب والبناء ويسميها الإيروس وهي دوافع تحفز الإنسان على البناء والتآخي والتشييد وإقامة الثوابت الحضارية ولكن ليس بالحب وحده يحيا الإنسان بل بالموت أيضاً.

ب. الثانية: دوافع الموت وتسمى الثاناتوس وهي دوافع تشجع على العدوان والدمار والحرب وتدفع الإنسان أن يحول الحياة إلى لاحياة أي أن الثاناتوس يعمل في اتجاه معاكس للإيروس.

5. عقدة أوديب وعقد أخرى

أ. عقدة أوديب

في أساطير اليونان القديمة ان أوديب كان طفلاً لأحد الملوك فتنبأ وتكهن بعض المنجمين أن هذا الطفل سوف يقتل أباه ويتزوج أمه، فعمل الملك على رمي ابنه في العراء، فلما كبر أوديب التقى بأبيه في إحدى رحلاته ولم يكن أي منهما يعرف الآخر، وكان هناك نزاع فقتل أوديب أباه، وتحقق الشق الأول من النبوءة، ثم مضى حتى وصل مدينة أبيه فتزوج من أمه وهي الملكة دون أن يعرفها، وهي أسطورة طويلة لا مجال لشرحها.

والطفل في السنوات الأولى من حياته تكون علاقته العاطفية والاجتماعية بوالديه قد أخذت تنمو وتنعقد والطفل الذكر يحب والديه على حد سواء غير أنه لا يلبث أن يزداد تعلقه بأمه وحبه لها والغيرة من أبيه ويسمى هذا بالموقف الأوديبي الذي بلغه انكبت فيتحول إلى عقدة أوديب ويحدث عكس ذلك عند الأنثى على وجه التقريب عند الطفلة الأنثى وتسمى عقدة اليكترا.

وتبدو مظاهر عقدة أوديب وعقدة اليكترا في سلوك الكبار كما يلي:

أن يتزوج الشخص بامرأة تشبه أمه لدرجة كبيرة، وأن تشعر الفتاة بأن جميع الرجال ليسوا أهلاً لها ولا كفئا للزواج بها وكما يقول المثل العربي «كل فتاة بأبيها معجبة».

وهذه العقدة غالباً ما تصفى من تلقاء نفسها بانتقال الطفل من مرحلة الطفولة المتأخرة لتعلم المناشط الحياتية والذهاب إلى المدرسة.

لقد بنيت الدراسات التجريبية ان عقدة اوديب هي فرضية لم تثبت صحتها ولكن شهرتها فاقت الوصف.

ب. عقدة الذنب

استعداد لاشعوري يقسر الفرد على الشعور الشاذ بالذنب ناتج عن تربية تسرف في ضرب الطفل وتأنيبه وعقابه وتهوين حسناته وتهويل سيئاته مما يؤدي إلى تضخم خبيث في ضميره فنرى ضميره يعاقبه دائماً على الهفوة ولا تخلو حياة الإنسان دائماً من الهفوات فيشعر بالذنب دائماً وأبداً حتى وإن لم يكن قد أتى شيئاً يستحق العقاب.

ج. عقدة النقص

استعداد لا شعوري ينشأ من كبت الشعور بالنقص ومن الرغبة في الظهور والخوف من الفشل.

الشعور بالنقص شعور بناء لأنه يدفع الإنسان إلى الكمال وإصلاح العيوب أما عقدة النقص فهي أمر لا يفطن المرء إلى وجوده ولا يعرف منشأه بل تراه لا يعترف بنقصه، وعقدة النقص تدفع صاحبها إلى سلوكيات يقول لسان حالها أنا غير ناقص (فكرة النقص من صياغة أدلر).

6. **الحيل النفسية**

ثلاث أنواع:

أ. **الحيل الخداعية: ومنها:**

- الكبت: هو استبعاد دافع أو فكرة أو صدمة أو حادثة أليمة من حيز الشعور إلى اللاشعور، فيه نتهم الآخرين قبل أن يتهمونا ونلومهم قبل أن يلومونا.

وفرق بين القمع والكبت، فالقمع استبعاد إرادي مؤقت للدوافع من حيز الشعور وهو ضبط النفس يمنع الدوافع والانفعالات من التعبير عن نفسها تعبيراً صريحاً كأن يقمع الفرد مظاهر وغضبه من رئيسه فعملية القمع شعورية وإن من يأتيها يكون على بينة منها.

أما الكبت فعملية لاشعورية تصدر عن الفرد دون قصد أو إرادة منه والكبت خداع للذات يجعل الفرد يعمى عن رؤية عيوبه وينكر نقائصه والكبت العنيف يستنزف جزءاً كبيراً من طاقة الفرد النفسية.

- التبرير: وهو أن ينتحل الفرد سبباً معقولاً لما يصدر عنه من سلوك خاطئ أو معيب وتقديم أعذار تبدو مقنعة معقولة لكنها ليست الأسباب الحقيقية، من الناس من يرى الاستكانة وإذلال النفس تواضعاً ومن الناس من يرى التواكل توكلاً ومنهم من يرى البخل حرصاً ومنهم من يرى المجون مرحاً، مسميات طيبة لأشياء مرذولة.
- الإسقاط: حيلة لاشعورية تتلخص في أن ينسب الشخص عيوبه ومناقصه ورغباته المكروهة إلى غيره من الناس والأشياء، والإسقاط شائع عند الناس جميعاً فكثيراً ما ننسب التأخر في الحضور لزحام المواصلات، ورداءة الخط إلى نوع القلم.
- التكوين العكسي: هو اصطناع سلوك أو اتجاه يناقض ويموه على ما لدى الفرد من أفكار ورغبات لاشعورية محظورة أو مكروهة كاصطناع الفرد مظهرا الشجاعة وهو خائف في أعماق نفسه ومظهرا التأدب والتلطف إزاء شخص يكن له العداوة والبغضاء، وكم من مستبشر ضاحك يخفي وراء ذلك انطواءً دفيناً، ومن أمثلة التكوين العكسي إسراف الوسواسي في غسل يديه عشرات المرات في اليوم الواحد وهذا مجرد رد فعل على دوافع ونيات آثمة قذرة تنطوي عليها أعماق نفسه.

- العزل: حيلة لاشعورية يتم بها فصل الأفكار والدوافع والمعتقدات وضروب السلوك المتناقضة في مقصورات منعزل بعضها عن بعض فقد يكون الشخص ودوداً مع أصدقائه قاسياً مع أبنائه أو يؤدي العبادات بينما يغش في التجارة والشخص الذي يفعل ذلك يعمى عن رؤية التناقضات التي في سلوكه، وبالعزل نستطيع تفسير السلوك المصاب باضطراب عقلي كالذي يعتقد أنه قائد كبير ومع ذلك يقوم بمسح الأرض وتمهيد الأسرة في المستشفى دون أن يزعجه ذلك على الإطلاق، وذلك الذي يعتقد أنه أغنى أهل الأرض ومع ذلك يستجدي سيجارة من زوار المستشفى.

ب. الحيل الهروبية: ومنها:

- أحلام اليقظة: هي قصص يرويها الفرد لنفسه بنفسه عن نفسه، نوع من التفكير لا يحفل بالقيود المنطقية أو الواقعية، يحلم الفقير بالثروة والقزم بالعملقة والفاشل بالنجاح.

وأحلام اليقظة أمر مباح إذا لجأ الفرد إليها بمقدار وكانت مقدمة للتحقيق أما إذا أسرف فيها فإنها تؤدي إلى التباس الواقع بالخيال ويصبح اللجوء إليها ديدناً للفرد.

وأحلام اليقظة نشاط ذهني مشاع في جميع مراحل العمر ولكنها أكثر شيوعاً في مرحلة الطفولة والمراهقة ورغم كونها نشاطا ذهنيا مشاعا إلا أنها دليل خطر، ذلك أنها تستنفد قدراً كبيراً من طاقة الفرد النفسية ونذكر هنا أن أحلام النوم مثل أحلام اليقظة وهي إرضاء وهمي وخيالي لرغبات محبطة ومكبوتة.

- النكوص: يتراجع الفرد إلى أساليب طفلية أو بدائية من السلوك والتفكير حين تعترضه مشكلة أو موقف محبط فإذا به يستبدل بالطرق المعقولة لحلها طرقا يبدو فيها تهلهل التفكير وغلبة الانفعال. ومن مظاهر النكوص السب والصراخ والغضب والمرض والغيرة الطفلية والتحاسد.

ج. الحيل الاستبدالية: ونذكر منها:

- التعويض الزائد: يطلق على مجموعة من الاستجابات المسرفة أو السخيفة التي يحاول بها الفرد التخفيف من عقدة النقص وهو نوع من التعويض يتجاوز الحدود المعقولة حتى لا يبدو متكلفاً أو سخيفاً أو مضاداً للمجتمع، كما يتخذ التعويض الزائد صوراً كثيرة منحرفة مثل اختلاق القصص الكاذبة والتباهي والتفاخر بأعمال عظيمة لم يأتِ أيا منها.
- التقمص: وهو اندماج شخصية الفرد في شخصية فرد آخر أو شخصية جماعة نجحت في الظفر بالأهداف التي يفتقدها فتتقمص الفتاة شخصية الممثلة التي تحبها أو تتقمص

شخصية أمها أو يتقمص الفتى شخصية أبيه أو شخصية مدرسه ويقلده في حركاته وأسلوبه في الحديث.

- العدوان: هو إيذاء الذات أو الغير، وهو يقترن دائماً بانفعال الغضب ويبدو العدوان في الغمز واللمز أو التندر وهناك العدوان المزاح ويبان ذلك أنه إذا حالت عقبات دون العدوان المباشر على مصدر الإحباط بأن يكون مصدر الإحباط شخصاً محبوباً أو مرهوب الجانب تحول العدوان وانصب على أول كبش فداء يلقاه الفرد في طريقه، فالأب الغاضب من رئيسه قد يعاقب أبناءه.

7. **مراحل نمو الشخصية**

أ. المرحلة الفمية: وهي تستغرق السنة الأولى من حياة الطفل ويكون الفم هو المنطقة الشهوية.

ب. المرحلة الأستية: وهذه المرحلة تمتد من سنتين إلى 3 سنوات حيث تكون الأغشية في المنطقة الأستية هي مصدر اللذة.

ج. المرحلة القضيبية: هذه المرحلة تمتد من سن 4 إلى 5 أو 6 سنوات حيث يكون لمس الأعضاء التناسلية هو مصدر اللذة.

د. مرحلة الكمون: هي تبدأ من أواخر السادسة 6: 12 تقريباً، حيث ينشغل الطفل بتعلم المناشط والمهارات الجديدة.

هـ. المرحلة التناسلية: حيث المراهقة وتبلغ قمتها بالزواج.

8. **الآلية والحتمية**

تأثر فرويد تأثيراً شديداً بالتفكير الميكانيكي الآلي الذي كان يسود علم وظائف الأعضاء في ألمانيا.

9. **الصراع بين التحليل النفسي وعلم النفس**

رفض علماء النفس دخول فرويد في زمرتهم مثلاً "فونت" رفض فكرة اللاشعور في علم النفس لأن عمله العلمي كان منصباً على العناصر البنائية للشعور.

هدف علم النفس التقليدي هدف علمي بحت لدراسة السلوك الإنساني بقصد التعرف إلى قوانينه أما هدف التحليل النفسي فكان هدفاً تطبيقياً عملياً وهو شفاء المرضى الذين يعانون من الاضطرابات النفسية.

10. نقد وتقييم نظرية فرويد

توجه النقد إلى نظرية فرويد على النحو التالي:

جمع فرويد مادته العلمية التي توصل منها إلى نظرياته من مرضاه، وهم في حالة من التنويم المغناطيسي أو حالة الاستسلام للتحليل النفسي، وهذه حالة مؤقتة يكون الإنسان فيها على غير طبيعته، وهل أقوال هؤلاء المرضى صحيحة، ويعرف الطالب المبتدئ في علم النفس أن الاضطرابات النفسية والعقلية من شأنها أن تشوش الإدراك والأحكام فهل من الممكن أن تكون هذه الإدراكات والأحكام المشوشة صالحة كمادة علمية لنظرية كبرى في علم النفس؟ كيف تخضع المبادئ الكثيرة التي قال بها فرويد للدراسة التجريبية مثل مبدأ الواقع ومبدأ اللذة والموقف الأوديبي؟

التداخل واضح بين المفاهيم التي وردت في نظريته مثل اللاشعور والقبشعور والشعور والهو والأنا والأنا الأعلى.

أسئلة للمناقشة

1. هل أثرت أحداث حياة فرويد الشخصية على نظريته؟
2. «حالة (آنا) من الحالات الشهيرة في علم النفس»، اشرح هذه الحالة وعلق عليها؟
3. بيّن التفاعل بين الهو والأنا والأنا الأعلى كقوى في نظرية الشخصية عند فرويد؟
4. فرق بين:
   أ. الشعور واللاشعور؟
   ب. القمع والكبت؟
   ج. التبرير والكذب؟
5. اكتب مذكرات مختصرة عن:
   أ. الإسقاط؟
   ب. الكبت؟
   ج. أحلام اليقظة؟
6. تحدث عن عقدة أوديب. وبيّن هل هي فرضية أم حقيقة علمية؟
7. هل تصلح المادة التي جمعها فرويد من مرضاه أساساً لنظرية علمية؟ اعرض رأيك ودلل عليه؟



الفصل الثاني

يونج وعلم النفس التحليلي

السيرة الذاتية لـ كارل يونج (1875-1961م)

نظر فرويد إلى يونج في وقت من الأوقات على أنه خليفته على كرسي مدرسة التحليل النفسي وأسماه الأمير المتوج. ولكن في عام 1914م حدث الانشقاق وكون يونج مدرسة مستقلة باسم «مدرسة علم النفس التحليلي» Analytical Psychology.

ولد يونج في إحدى القرى بشمال سويسرا، وكانت طفولته تتميز بالانعزالية والشقاء وكان أبوه قسيساً شك في إيمانه وأصيب بالحزن والقلق، وكانت أمه تعاني من بعض الاضطرابات الانفعالية، وكانت الأسرة التي عاش فيها يونج أسرة غير سعيدة، وقد تعلم منذ نعومة أظافره ألا يثق بوالديه أو بالناس، ونتيجة لحياته تلك اتجه بالاهتمام إلى عالمه الداخلي من الأحلام والخيالات.

وعندما التحق يونج بالجامعة اتجه إلى دراسة علم الحياة، وفي عام 1900م حصل على إجازته في الطب من جامعة بازل السويسرية، وقد انجذب إلى الطب النفسي، وكان أول عمل التحق به هو العمل طبيباً في عيادة الطب النفسي بجامعة زيورخ، وكان يوجهه في تلك العيادة بولر وهو طبيب نفسي كان مهتماً بدراسة الفصام، وفي عام 1905م عين محاضراً للطب النفسي في جامعة زيورخ ولكنه بعد عدة سنوات ترك هذا العمل ليوجه جهوده لعلاج المرضى ولإجراء البحوث ونشرها، وقد اهتم يونج بأعمال فرويد بعد قراءته لتفسير الأحلام حيث وصف هذا الكتاب بأنه إحدى الروائع وفي عام 1906 بدأت المراسلات بين الطرفين وذهب يونج عام 1907 لمقابلة فرويد ومن الطريف أن الرجلين عندما تقابلا لأول مرة تحدثا لمدة ثلاث عشرة ساعة متواصلة في إعجاب متبادل، وفي عام 1909 سافر يونج مع فرويد إلى أمريكا في احتفالات جامعة كلارك وخلافاً لمعظم مريدي فرويد فإن يونج حرص على تكوين سمعته العلمية ليكون شخصية مستقلة ولم يكن مجرد تابع في ذلك فرويد، بل كانت له مواقف نقدية وإن لم تعلم في سنين علاقتهما الأولى حرصاً على هذه العلاقة من

ناحية وحرصاً على حركة التحليل النفسي من ناحية أخرى، وفي عام 1911 أصبح يونج أول رئيس لجمعية المحللين النفسيين الدولية رغم معارضة شديدة مع أعضاء الجمعية إلا أن فرويد اعتبر أن تعيين شخص من المسيحيين في هذا المنصب سوف يخفف من الطابع اليهودي الذي سيطر على التحليل النفسي في ذلك الوقت، وقد دأب الأعضاء في تلك الجمعية على معارضة يونج.

وفي عام 1911 اختلف يونج مع فرويد حول مفهوم الليبيدو وافترق الرجلان عام 1914 حيث استقال يونج من جمعية المحللين النفسيين الدولية، وقد اهتم يونج بدراسة الأساطير واهتم كذلك بدراسة أساليب التفكير عند البدائيين في العشرينيات، ثم عين أستاذاً في جامعة زيورخ ولكنه استقال بسبب ظروفه الصحية عام 1942م.

في عام 1944 تم إنشاء كرسي علم النفس الطبي في جامعة بازل ولكن حالته الصحية لم تمكنه من الاستمرار أكثر من عام واحد ومع ذلك بقي يدرس حتى توفي عام 1961م، وقد نشر العديد من الكتب أهمها إطلاق الأنماط النفسية الذي أصدره عام 1933م وهو كتاب كلاسيكي واسع الشهرة كما نال العديد من الجوائز منها ميدالية الشرف من جامعة هارفارد، وما زال يلقى الاهتمام والاحترام في الدوائر العلمية في جميع أنحاء العالم.

ويمكن عرض آراء يونج في النقاط التالية:

أولاً: الطاقة النفسية Psycho energy

يستخدم يونج تعبير الليبدو لمعنيين:

الأول: طاقة الحياة، والثاني: أن القوة التي تمد النفس بالوقود أو الطاقة اللازمين، ومن خلال هذه الطاقة النفسية نقوم بأفعال مثل الإدراك والتفكير والإحساس، والطاقة النفسية لها دور كبير في تفعيل قدرة الجسم على ممارسة أنشطته الفسيولوجية

ويعرف فرويد الليبدو وفي حدود المفاهيم الجنسية، ولكن يونج يعرف الليبدو على أنها الطاقة العامة للحياة والتي يكون الجنس أحد جوانبها وهناك ثلاثة مبادئ ترتبط بمفهوم الليبدو أو الطاقة النفسية:

1. مبدأ الأضداد Opposites

تقوم الحياة على ثنائيات التعامل بين الأضداد وبدون هذه الأضداد تكون الحياة لا معنى لها.

2. مبدأ التكافؤ Equivalence

ومعنى هذا المبدأ أن النقص في طاقة من طاقات الجسم لتعويض لهذا الفاقد يظهر فائضاً في جانب آخر أو جوانب أخرى فعندما نفتقد الاهتمام بجانب معين أو شخص معين يتوجه اهتمامنا إلى مجال آخر أو شخص آخر.

3. مبدأ الانتقال Entropy

ومعنى هذا المبدأ أنه إذا كانت مادة شديدة الحرارة، الماء مثلاً، وأضيف إليه قدر من الماء البارد فسوف تلتقي الحرارة مع البرودة وسوف تنخفض درجة الحرارة ونفس الأمر بالنسبة للطاقة النفسية والطاقة الجسمية إذ تؤثر كل منهما على الأخرى تأثيراً متبادلاً وهذه القوانين الثلاثة مشتقة من الفيزياء.

ثانيا: قوى الشخصية

حدد يونج قوى النفس أو الشخصية كما يلي:

1. الأنا

هو العقل الواعي وجزء من النفس مختص بعمليات التفكير والإدراك والتذكر وهو مسؤول عن أفعالنا اليومية التي نمارسها وهذا الأنا مسؤول عن إضفاء معاني التجانس والوحدة والاستمرار في هذا العالم من حولنا.

الأنا هو مركز الشعور وهو أقرب إلى شعورنا بأنفسنا والأنا طريق الاتصال بالواقع ويقدم يونج تعبيريه الشهيرين الانبساط والانطواء على أنهما قوتان أساسيتان في نظريته.

2. الاتجاه الانبساطي

يحب مجالسة الناس والاختلاط بهم، والشخص يميل إلى الامتداد الاجتماعي ويحب الحفلات والرحلات وقد يميل إلى العدوانية في بعض الأحوال.

3. الاتجاه الانطوائي

يكره الاختلاط بالناس ويحب العزلة، يعاني من الخجل.

وبعد أن وضع يونج مصطلحي الانطواء والانبساط لاحظ أنهما مناسبان لتقسيم الطريقة التي سيستجيب بها الشخص لأحداث الحياة وأشار إلى أربع وظائف كما يلي:

أ. التفكير والإحساس الشعوري Thinking and Feeling

وهما يقومان بتنظيم المعلومات وتصنيفها إلى أقسام أو فئات أو كتل معلوماتية والإحساس الشعوري يحكم على الأشياء بأنها محبوبة أو مكروهة سارة أو ضارة والتفكير هو الحكم على أمر ما أنه خطأ أو صواب.

ب. الإحساس والحدس Sensing and intuiting

إنهما يقومان بممارسة الخبرات والإحساس يؤدي إلى أداء عمل معين وكأنه مصور ماهر يصور منظراً والحدس لا يحدث نتيجة مثير خارجي ولكن يحدث نتيجة التخمين الصحيح.

ثالثاً: الأنماط النفسية Psychological types

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الفرد قابل أن يكون على أحد الاتجاهين وإذا الوظائف أربعة فإن يونج يستخرج ثمانية أنماط للشخصية على النحو التالي:

1. النموذج المنبسط المفكر: يميل أصحاب هذا النموذج إلى قمع الإحساسات وإلى اللااجتماعية أو الجمود والأفكار والآراء.

2. النموذج المنبسط الشعوري: ويميل أن يكون في حالة مزاجية طيبة يتمسك بالقيم والتقاليد التي نشأ عليها ويكون حساس لأي نقد من الآخرين.

3. النموذج المنبسط الإحساس: صاحب هذا النموذج أو النمط يركز على تحقيق السعادة لنفسه وللآخرين وعادة ما يرحب بالخبرات الجديدة وهو متوجه بشدة نحو الواقع وقابل للتكيف مع الآخرين.

4. النموذج المنبسط الحدسي: اعتقد يونج أن هذا النمط أو النموذج ناجح في الإدارة والأعمال التجارية بسبب القدرة الفائقة على انتهاز الفرص مع الابتكار ويشجع الآخرين ويستقبل الأفكار الجديدة.

5. النمط أو النموذج المنطوي المفكر: وصاحب هذا النموذج يجد صعوبة في التعامل مع الآخرين، يبدو عليه البرود والفكر، ومواجهة الأفكار العملية.

6. النمط المنطوي الشعوري: وصاحب هذا النمط أو النموذج يتسم بالسيطرة على الانفعالات ويبدو وكأنه شخص غامض هادئ قليل الاعتبار لأفكار الآخرين.

7. صاحب هذا النمط شارد عن الجماعة إلى جانب أنه ينظر إلى الحياة على أنها متعة إلى جانب أنه شديد الحساسية يركز على ما يرد إليه من الحواس الخمس.
8. النمط المنطوي الحدسي: صاحب هذا النمط يركز على الحدس ولذا فإن صلته بالواقع ضعيفة، وهو شخص لا يفهمه الآخرون وتبدو عليه العزلة.

رابعا: تطور الشخصية

تأخذ نظرية يونج في اعتبارها تصور الشخص لمستقبله أو سعيه لهذا المستقبل، وقد انتقد يونج فكرة فرويد وإصراره على اعتبار أحداث الماضي هي الأساس لتفسير الشخصية ورأى يونج أن الجنس البشري في نمو وتطور مستمرين.

كما أن شخصية الفرد هي نتيجة أمرين، الأمر الأول: الأعمال التي ينجح في تحقيقها، الأمر الثاني: الأعمال التي لم ينجح في تحقيقها، ونمو الشخصية وتطورها إنما هو رهن بالتقدم في المجالات المختلفة.

ولكن يونج أشار كذلك إلى أن التطور الممكن أن يتراجع أو أن يستمر في التراجع إلى الخلف بعيداً عن البيئة الخارجية ويستطيع الإنسان حل مشكلة التراجع أو توقف النمو بأن يعيد ترتيب المواد المختزنة في لاشعورية الفردي من خلال الاستفادة من تجارب الآخرين.

وتأخذ نظرية يونج في اعتبارها تصور الشخص لمستقبله أو سعيه لهذا المستقبل:

1. **من مرحلة الطفولة حتى منتصف العمر**

يختلف يونج عن فرويد على أن هذا الأخير أعطى مرحلة الطفولة الأهمية القصوى أما يونج فيرى أن الطفل ليس له إلا حاجات بيولوجية وليس لديه مشكلات سيكولوجية؛ لأنه لم تتكون لديه الأنا الواعية، ولا تزيد اهتمامات الطفل عن الطعام والشراب والإخراج والنوم.

ويبدأ الأنا في التكوين بعد مرحلة الطفولة المبكرة وما يطلق عليه "شخصية الطفل" ما هو إلا "انعكاسات لشخصية الوالدين عليه، لذا فإن الوالدين يلعبان دوراً أساسياً في تكوين شخصية الطفل، وهما اللذان يستطيعان تيسير أو تعسير نمو شخصيته، والوالدان يحاولان فرض شخصيتيهما على الطفل بقصد أن يكون امتداداً لهما أو يتوقعان أن تكون شخصيته خالية من العيوب التي يعانيان هما منها، ويتجه الأنا عند الطفل إلى النمو والتطور فقط عندما يستطيع الطفل نفسه أن يميز بين الآخرين وبين الأشياء المحيطة به، وباختصار عندما يقول الطفل أنا.

2. **مرحلة العقد الثاني للطفل من 11 سنة إلى 20 سنة**

يقوم بالعديد من المناشط التي تمده وتجهزه مثل إكمال التعليم، والالتحاق بالعمل أو الزواج وتكوين أسرة.

3. **مرحلة وسط العمر حتى الشيخوخة، تحدث تغيرات درامية في مرحلة وسط العمر بين 35-40**

وهذه المرحلة مهمة جداً في نظر يونج (كانت هذه المرحلة حافلة بالمشكلات والمرض سواء عند يونج كشخص أو عند والديه)، وعند سن الأربعين يكون الشخص قد كون أسرة وأصبح جزءاً من المؤسسة التي ينتمي إليها أي التي يعمل بها سواء أكانت شركة صناعية أو إدارة حكومية أو أهلية وبالطبع ينجح البعض ويفشل البعض الآخر، والناجحون يعيشون حياة هادئة سعيدة، بينما الفاشلون يركبهم الهم والغم وتفقد الحياة معناها بالنسبة لهم.

ويرى يونج أن الجزء الأول من حياة الفرد هو الجزء الذي قبل وسط العمر يركز الفرد فيها على العالم الخارجي ووقائع الحياة مثل التعليم والالتحاق بالعمل إلى غير ذلك.

أما في الجزء الثاني فيهتم بالعالم الداخلي حيث تتعدل الاتجاهات من الانبساط إلى الانطواء.

خامساً: التشخيص Individuation

حالة نفسية ناتجة عن تكامل الأوجه الشعورية واللاشعورية في الشخصية والاتجاه نحو الشخص في نظر يونج أمر فطري ولادي ودور البيئة هو تشجيع الطفل أو تثبيطه ومن أمثلة دور البيئة العلاقة بين الطفل والمستوى التعليمي للفرد.

ويقصد أن يحقق التشخص فإن الأشخاص في منتصف العمر يجب أن يتخلوا عن سلوكيات وقيم الجزء الأول من العمر وعليهم كذلك أن يستحضروا المواد اللاشعورية بحيث تكون واضحة جلية أمامهم بل ويجب أن يستمعوا إلى أحلامهم وخيالاتهم وهو ما أسماه يونج الخيال الخارق وأن يعبروا عن هذا الخيال في الفنون المختلفة من كتابة أو رسم، كذلك لا يتبعون التوجيه العقلاني الذي ساد الجزء الأول من العمر وهذا هو الطريق الوحيد لكي تتكشف ذواتهم الحقيقية.

ويرى يونج أنه جدير بالفرد الذي يقتحم المواد أو القوى اللاشعورية الشعور الواعي لديه أن لا يسمح لهذه القوة اللاشعورية أن تسيطر عليه، والشخص السوي من الناحية

النفسية لا تسيطر عليه القوى الشعورية أو اللاشعورية أو اتجاه الانبساط أو الانطواء أو أي وظيفة أو نمط من الأنماط، بل تجمع هذه القوى عند الشخص السليم نفسياً في توازن وانسجام.

ومن الأهمية بمكان أن يتبين أن الشخص سوف يهدم أو يضعف بعض الصور القديمة مثل القناع ورغم إن الأفراد في وسط العمر يلعبون العديد من الأدوار مما يستلزم وجود القناع إلا أنهم سوف يرون ويوقنون بأن القناع قد غير من شخصياتهم بسبب استخدامه في تعامنهم مع الآخرين حيث لا يعود ارتداء القناع ممكناً في ذلك الوقت ويتطور الأمر بحيث يخلعون القناع وتظهر أمام الآخرين ذواتهم الحقيقية وفي ذلك يجب أن يكون على وعي بأن الظل هو أحد الأنماط أو الصورة القديمة بجوانبه المختلفة وأن يعرفوا الجانب الأسود منه وليس معنى ذلك أن يستسلموا لهذه الجوانب السيئة بل يكونون على علم بها وجاهزين لمقاومتها.

وخلال الجزء الأول من العمر فإن الأفراد ينحون جانباً من الجوانب السوداء والمعيبة فيهم عن طريق القناع ويرغبون أن يعرف الناس عنهم جوانب الخير فقط بل يحاولون إخفاء الجوانب المعيبة والسيئة عن أنفسهم وليس عن الآخرين فقط ومن الأدلة على اكتمال الشخصية عند يونج ألا يتحرج الرجل من أن يكون رقيقاً (الرقة عامة من صفات الأنوثة) ولا تتحرج المرأة من ممارسة الشدة (الشدة عادة من صفات الرجولة).

وهذا معناه تقبل الأفراد بفكرة الثنائية الجنسية وهذا العامل يعد أكبر تغيير في نظرة الشخص إلى نفسه، والمرحلة الأخيرة عند يونج هي مرحلة الشيخوخة ولم يكتب شيئاً مهماً عن هذه المرحلة ولكنه يقول إن مرحلة الشيخوخة يقوى فيها أثر اللاشعور، وبالنسبة للشيخوخة فإن يونج يرى أن تدهور القيم الدينية ضار جداً بالأشخاص المسنين لأن هذه القيم الدينية تعد حياة بعد الموت فيها ثواب وعقاب وهذا ما يلزم المسنين من الناحية النفسية.

سادساً: اللاشعور

مفهوم اللاشعور مفهوم أساسي في نظريات التحليل النفسي أتى به فرويد وأخذ به يونج مع تعديلات نعرفها توا.

قسم يونج اللاشعور إلى قسمين: الشخصي والجمعي.

1. اللاشعور الشخصي Personal unconscious

يتكون من الدوافع والرغبات والمدركات الغامضة والتجارب العديدة التي عايتها الفرد في حياته ونسيت أو كبتت.

إن الأحداث التي توجد في اللاشعور الشخصي يمكن أن تستدعي إلى وعي الشعور وقد نسيت أو كبتت هذه المواد التي تكون اللاشعور الشخصي إما لأنها تافهة أو أنها مسيئة إلى الشخص.

كل الخبرات الموجودة في اللاشعور الشخصي وكأنه خزانة مملوءة بالملفات ومن السهل فتح هذه الخزانة وأخذ الملفات للاطلاع عليها وإعادتها ثانية إلى الخزانة، على هذا الأساس الخزانة قابلة للفتح.

ويحتوي اللاشعور الشخصي على العقد، والعقدة هي مجموعة من الانفعالات والرغبات تجمعت حول موضوع ما، مثل أن يكون الفرد مشوقاً بالسلطة أو المكانة الاجتماعية معنى ذلك أنه مشغول بأمر السلطة والمكانة الاجتماعية انشغالاً تاماً بما قد يضر بمصالحه هو والشخص المصاب بعقدة القوة تراه عندما يركب سيارته فإنه يقودها بسرعة فائقة بحيث يكون مصدر فزع للآخرين.

يقول يونج بالحرف الواحد:«إن الشخص لا يمتلك العقدة بل العقدة هي التي تمتلكه».

وعادة ما لا يتنبه الشخص المصاب بالعقدة إليها ولا إلى السلوكيات الصادرة عنها. والعقدة غالباً تكون ضارة في نظر يونج ومؤدية إلى المرض النفسي أو العصاب. ولكنها أيضاً قد تكون محفزة وداعية إلى الإنجازات فإذا كانت كذلك فبها ونعمت.

2. اللاشعور الجمعي Collective

مصطلح اللاشعور الجمعي هو مصطلح أدخله يونج إلى علم النفس وكان محل جدل وخلاف وفي نظر يونج فإنه في مقابل اللاشعور الشخصي يمكن أن يوجد اللاشعور الجمعي فإنه إذا سلمنا بأن لكل فرد لاشعور شخصي فليس من المانع أن يسلم بوجود لاشعور جمعي وإذا كان اللاشعور الشخصي هو جماع خبرات الشخص فإن اللاشعور الجمعي هو جماع خبرات أجيال البشر منذ العصور الموغلة في القدم حتى الآن، ويحتوي اللاشعور الجمعي كذلك على كل الخبرات التطورية التي مرت بالإنسان وكونت أساس شخصيته واللاشعور الجمعي يوجه السلوك الحاضر ونحن لا نتذكر الخبرات الموجودة في اللاشعور الجمعي

وليست حاضرة في أذهاننا هذه الخبرات وقد اعتقد يونج أن اللاشعور الجمعي يؤثر في الشخصية وهو خزان هائل يحتوي على خبرات الأجيال الحالية والماضية وما يصل إلى هذا الجيل من تراث الأجيال السابقة ومن المهم أن نلاحظ أننا لا نرث هذه الخبرات الجماعية فنحن لا نرث الخوف من الثعابين السامة، ولكننا نرث استعدادا لهذا الخوف، ومن مظاهر اللاشعور الجمعي وجود خبرات أساسية وعالمية عند جميع الشعوب مثل صورة الشيطان وصورة الشر ناهيك عن تشابه القصص مثل قصص روميو وجولييت الأوروبية يقابلها قصة قيس وليلى العربية، وقد توصل إلى هذه الفكرة التي توجد في اللاشعور الجمعي أن الأم في كل زمان ومكان تعتني بأولادها أقصى عناية وتطعمهم من جوع وتأمنهم من خوف وتغني لهم الأغاني المناسبة دون أن تتقابل مع أمهات من أجيال سابقة أو من بلاد أخرى.

سابعا: الأنماط القديمة أو الصور العتيقة Archetypes

من الخبرات التي يحتويها اللاشعور الجمعي يعبر عنها ما أسماه يونج الصور القديمة أو الأنماط العتيقة وهي صور من الخبرات العالمية تكون جزءا مهما في نظرية الشخصية عند كارل يونج، وهذه الخبرات تكررت ملايين المرات عبر الدهور الطويلة مثل شدة الألم، النصر والهزيمة، والمرض، ويقول يونج إن من أهم الصور العتيقة في اللاشعور الجمعي على فكرة القناع Persons، وهو القناع الذي يرتديه الممثلون في العصور القديمة على وجوههم لإعطاء انطباع عن الأدوار التي يقومون بها، وإذا ما أهتم علم النفس عند استقصاء موضوع القناع أنه في حذر بالغ بأن هذا القناع يعطي انطباعاً مخالفاً لحقيقة الشخص عندما يلبس قناعي الزهد والطهارة وهو أحد شياطين الإنس والجن وفي تصور المؤلف أن فكرة القناع فكرة رمزية ذلك اننا في حياتنا اليومية لا نلبس قناعاً ولكن اصطناع تعبيرات انفعالية على الوجوه يعطي انطباعاً مخالفاً للواقع عن أنفسنا ورغم فائدة القناع فإنه يكون ضاراً للفرد،وقد نصدم بعد كشف القناع بأهوال عن الفرد بينما القناع الذي يصطنعه طيباً أو شفافاً بالغ الشفافية.

ثامنا: الأنيما والأنيموس Anima & Animus

الأنيما هي المظاهر الأنثوية عند الرجل، والأنيموس هي المظاهر الذكرية عند الأنثى.

ويرى يونج على المستوى البيولوجي أن كل جنس من ذكر أو أنثى يفرز هرموناته الخاصة بجنسه إلى جانب بعض هرمونات الجنس الآخر وعلى المستوى السيكولوجي فإن كل جنس هو على صفات أو خصائص من الجنس الآخر.

وعلى هذا فإن نفسية الرجل فيها بعض خصائص من الأنثى والمقابل فإن نفسية المرأة تظهر فيها بعض خصائص الذكرية وهذا راجع فيما يرى يونج إلى التعايش المستمر والاختلاط الدائم بين الجنسين.

تاسعا: الظل Shadow

هو الجانب المظلم من الذات وسوف نشرح كلمة الذات توا.

والظل هو: الجزء الداخلي الوحشي ويتضمن المناشط والرغبات المحظورة غير الأخلاقية، وعندما نتورط في أمر من الأمور أو في فعل من هذه الأفعال فإننا نقول شيئا ما دفعني إلى ذلك، وهذا الشيء أي الظل هو الجزء البدائي الوحشي من شخصيتنا.

هذا معناه أن اللاشعور الجمعي هو مستودع الخبرات السابقة ويحتوي على الظل وهو الجانب الوحشي البدائي من الإنسان.

عاشرا: الذات Self

الذات هي أهم صورة عتيقة في نظر يونج وتتكون من كل المظاهر اللاشعورية وتعطي وحدة لبقية الهيكل البنائي للشخصية.

والذات تحاول تحقيق التكامل بقصد الوصول إلى الواقعية والفاعلية، ويعتقد يونج أن تحقيق الذات يكون بالانسجام والتكامل بين أوجه الشخصية ويتم هذا في منتصف العمر.

معنى هذا أن الذات تعتبر أهم جزء في شخصية الإنسان، وتمثل وحدة وتجانسا في الشخصية وهي كذلك أحد الأنماط القديمة ومعناها تكامل الشخصية، وهي نقطة التوازن في منتصف الطريق بين المتقابلين الشعور واللاشعور وتحقيق وجود الذات أمر لا يتم إلا في منتصف العمر كما سبقت الإشارة به.

أما تحقيق الذات الكامل والنهائي فلا يتم إلا لقلة من البشر وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، يونج كان من المؤمنين بالله ﷻ، خلافاً لمعظم علماء التحليل النفسي.

ولا تبدأ الذات في التكون إلا في وسط العمر، وتحقيق الذات يقوم على تحسب للمستقبل والأهداف والخطط المتصلة به، وكون الشخص ناجحا أو واقعيا في الحياة لا يقوم إلا على تحقيق الذات.

الحادي عشر: تداعي المعاني Word associations

من المهم أن نذكر أن يونج أعد اختباراً لتداعي المعاني كأداة تشخيصية واستخدمه للكشف عن العقد النفسية عند مرضاه في هذه الطريقة، طريقة تداعي المعاني تقرأ قائمة من الكلمات على المريض يستجيب إلى كل كلمة منها بأول كلمة تخطر على باله وقام يونج بقياس الفرق الزمني بين الكلمة المثير وكلمة الاستجابة وذلك ما يصاحب من تطورات فسيولوجية.

وتوصل يونج من دراسته في هذا المجال إلى أنه إذا حدث تأخر في الاستجابة مع تطورات فسيولوجية فإن الكلمة المحدثة لهذا التأثر هي بمثابة مفتاح شخصية الفرد وسوف نعاود الحديث عن اختبار تداعي المعاني في موضوع آخر من هذا الكتاب.

الثاني عشر: نقد وتعليق

كان يونج من أول المنشقين على فرويد وقدم نظرية مختلفة عن التحليل النفسي الفرويدي وسميت مدرسته مدرسة علم النفس التحليلي وله في علم النفس إنجازات معتبرة منها تداعي المعاني حيث كان أول من أشار إلى فكرة تداعي المعاني وحولها إلى اختبار النفس الذي ما زال قائماً في الساحة السيكولوجية، كما أضاف يونج إلى علم النفس العديد من المفاهيم الباقية حتى الآن مثل الانطواء، الانبساط، الأنماط السلوكية.

كان يونج أول عالم نفسي يؤكد على أهمية المستقبل في تحديد السلوك، وكان هو أول من لفت الانتباه إلى مرحلة وسط العمر وتأثر ماسلو وأركسون بهذه الفكرة، وفكرة وسط العمر فكرة مهمة في الأوساط السيكولوجية عن المعاصرة.

يبدو أن أسلوب يونج كان صعباً في الكتابة، يذكر شولتز أن أسلوب يونج أصعب بكثير من أسلوب فرويد وأدلر مما جعل الناس تنصرف عن مؤلفاته.

كما توجه إليه النقد بسبب إشارته إلى أهمية الدين، وهذه الأمور خاصة بالفكر الغربي، لأن الفكر الغربي يتنكر للدين بوجه عام.

ملخص يونج

هو عالم النفس السويسري صاحب مدرسة علم النفس التحليلي والمنشق عن فرويد بعد علاقة وثيقة بينهما عاش طفولة غير سعيدة ودرس بالجامعة واتجه إلى دراسة علم الحياة، وحصل على درجة علمية في الطب من جامعة بازل بسويسرا واتجه إلى العمل بالطب النفسي، واهتم بأعمال فرويد بعد قراءته كتاب تفسير الأحلام، وقابل فرويد عام 14907م.

وفي عام 1909 سافر يونج مع فرويد إلى أمريكا في احتفالات جامعة كلارك وفي عام 1911 اختلف مع فرويد حول مفهوم الليبدو وافترق الرجلان عام 1914 وتوفي عام 1961.

من أهم كتبه الأنماط النفسية. ونعرض آراءه في النقاط الآتية:

1. **الطاقة النفسية**

يستخدم يونج تعبير الليبيدو أو الطاقة النفسية بمعنيين، المعنى الأول: طاقة الحياة، والمعنى الثاني: أنه القوة التي تمد النفس بالوقود أو الطاقة اللازمين، ومن خلال هذه الطاقة النفسية نقوم بأفعال مثل الإدراك والتفكير والإحساس، وهناك ثلاثة مبادئ ترتبط بمفهوم الليبيدو أو الطاقة النفسية هي مبدأ الأضداد ومبدأ التكافؤ ومبدأ الانتقال وكلها مشتقة من الفزياء.

2. **قوى الشخصية**

حدد يونج قوى النفس والشخصية كما يلي:

أ. الأنا: والأنا عنده هي العقل الواعي وجزء من النفس تختص بعمليات التفكير والإدراك والتذكر والأنا هو مركز الشعور والأنا طريق الاتصال بالواقع.

ب. الانطواء والانبساط: الانبساطي يحب مجالسة الناس والاختلاط بهم وهو يشخص يميل إلى الامتداد الاجتماعي، أما المنطوي فهو يكره الاختلاط بالناس ويحب العزلة ويعاني من الخجل.

وأشار يونج إلى أربع وظائف كما يلي:

أ. التفكير والإحساس الشعوري: وهما يقومان بتنظيم المعلومات وتقسيمها إلى أقسام أو فئات أو كتل معلوماتية.

ب. الإحساس والحدس: يقومان بممارسة الخبرات والإحساس يؤدي إلى أداء عمل معين وكأنه مصور ماهر والحدس لا يحدث نتيجة تأثير خارجي ولكنه يحدث نتيجة تخمين صحيح.

3. **الأنماط النفسية**

هي ثمانية على النحو التالي:

أ. النموذج المنبسط المفكر.

ب. النموذج المنبسط الشعوري.

ج. النموذج المنبسط الإحساسي.

د. النموذج المنبسط الحدسي.

هـ. النموذج المنطوي المفكر.

و. النموذج المنطوي الشعوري.

ز. النموذج المنطوي الإحساسي.

ح. النموذج المنطوي الحدسي.

4. **تطور الشخصية عند يونج**

إن شخصية الفرد هي نتيجة أمرين:

أ. الأمر الأول: الأعمال التي ينجح في تحقيقها.

ب. الأمر الثاني: الأعمال التي لم ينجح في تحقيقها.

وتأخذ نظرية يونج في اعتبارها تصور الشخص لمستقبله أو سعيه لهذا المستقبل:

أ. من مرحلة الطفولة حتى منتصف العمر: يرى يونج أن الطفل ليس له إلا حاجات بيولوجية وليس لديه مشكلات سيكولوجية لأنه لم يكون لديه الأنا الواعية ولا تزيد اهتمامات الطفل عن الطعام والشراب والإخراج والنوم ويلعب الوالدان دوراً أساسياً في تكوين شخصية الطفل وهما اللذان يستطيعان تيسير أو تعسير نمو شخصيته والوالدان يحاولان فرض شخصيتهما على الطفل بقصد أن يكون امتداداً لهما أو يتوقعان أن تكون شخصيته خالية من العيوب التي يعانيان هما منها ويتجه الأنا عند الطفل إلى النمو عند يستطيع أن يميز بين نفسه وبين الآخرين.

ب. مرحلة وسط العمر حتى الشيخوخة: وهذه المرحلة مهمة جداً في نظر يونج وعند سن الأربعين يكون الشخص قد كون أسرة وأصبح جزءا من المؤسسة التي ينتمي إليها أي التي يعمل بها وبالطبع ينجح البعض ويفشل البعض الآخر، الناجحون يعيشون حياة عادئة سعيدة والفاشلون يركبهم الهم والغم.

5. التشخص

هو حالة نفسية ناتجة عن تكامل الجوانب الشعورية واللاشعورية في الشخصية والاتجاه نحو التشخص في نظر يونج أمر فطري ولادي ودور البيئة تشجيع الطفل أو تثبيطه.

ويقصد أن يتحقق التشخص في منتصف العمر يجب أن يتخلوا عن سلوكيات وقيم الجزء الأول من العمر وعليهم كذلك أن يستحضروا المواد اللاشعورية بحيث تكون واضحة جلية أمامهم بحيث يكتشفون ذواتهم الحقيقية.

الشخص السوي من الناحية النفسية عند يونج لا تسيطر عليه القوى الشعورية أو اللاشعورية أو اتجاه الانبساط أو الانطواء أو أي وظيفة أو نمط من الأنماط بل تجمع هذه القوى عند الشخص السليم نفسياً في توازن وانسجام وخلال الجزء الأول من العمر فإن الأفراد ينحون جانباً من الجوانب السوداء والمعيبة فيهم عن طريق القناع بل يحاولون إخفاء هذه الجوانب المعيبة والسيئة عن أنفسهم وليس عن الآخرين فقط.

6. اللاشعور

يقسمه يونج إلى قسمين:

أ. اللاشعور الشخصي: يتكون من الدوافع والرغبات والمدركات الغامضة والتجارب العديدة التي عاينها الفرد في حياته ونسيت أو كبتت والأحداث التي توجد في اللاشعور الشخصي يمكن أن تستدعى إلى وعي الشعور، وهذه المواد التي تكون اللاشعور الشخصي إما لأنها تافهة أو أنها منسية إلى الشخص ويحتوي اللاشعور الشخصي على العقد والعقدة هي مجموعة من الانفعالات والرغبات تجمعت حول موضوع ما قبل أن يكون الفرد متشوقاً للسلطة أو المكانة الاجتماعية ومنشغلاً بها انشغالاً يضر بمصالحه.

ب. اللاشعور الجمعي: هو جماع حضارات أجيال البشر منذ العصور الموغلة في القدم حتى الآن ويحتوي اللاشعور الجمعي كذلك على كل القدرات التطورية التي مرت بالإنسان وكونت آثار شخصيته.

واللاشعور الجمعي يوجه السلوك الحاضر وهو خزان هائل يحتوي على خبرات الأجيال الحالية والماضية.

من مظاهر اللاشعور الجمعي وجود خبرات أساسية وعالمية عند جميع الشعوب مثل صورة الشيطان وصورة الخير وصورة الشر ناهيك عن تشابه القصص مثل قصة روميو وجوليت بالأوروبية تقابلها قصة قيس وليلى بالعربية.

7. الأنماط القديمة والصورة العتيقة

من الخبرات التي يحتويها اللاشعور الجمعي ما أسماه يونج بالصور القديمة أو الأنماط العتيقة وهي صور من الخبرات العالمية تكون جزءا مهما من نظرية الشخصية عند يونج، وهذه الخبرات تكررت ملايين المرات عبر الدهور الطويلة ويقول يونج أن من أهم الصور العتيقة في اللاشعور الجمعي فكرة القناع وهو القناع الذي يرتديه الممثلون في العصور القديمة على وجوههم لإعطاء انطباع عن الدور الذي يقومون به: فقد يلبس الشخص قناعاً من الزهد والطهارة وهو أحد شياطين الإنس والجن، وقد يصدم بعد كشف القناع بأحوال عن الفرد بينما القناع الذي يصطنعه كان طيباً أو شفافاً.

8. الأمينا الأمينوس

الأمينا هي العناصر الأنثوية عند الرجل والأمينوس هي العناصر الذكرية عند الأنثى، ويرى يونج أنه على المستوى البيولوجي فإن كل جنس من ذكر أو أنثى يفرز هرمونات الجنس الآخر إلى جانب الهرمونات الخاصة بجنسه وكذلك الأمر على المستوى السيكولوجي فإن كل جنس يشتمل على صفات أو خصائص من الجنس الآخر وهذا راجع إلى التعايش المستمر والاختلاط الدائم بين الجنسين.

9. الظل

الجانب المظلم من الذات وهو الجزء الداخلي الوحشي ويتضمن المناشط والرغبات المحظورة غير الأخلاقية، وهو الجانب البدائي من الإنسان.

10. الذات

هي أهم صورة عتيقة في نظر يونج وتتكون من كل المظاهر اللاشعورية وتعطي وحدة لبقية الهيكل البنائي للشخصية، والذات تحاول تحقيق التكامل بقصد الوصول إلى الواقعية والانفعالية وهي نقطة التوازن في منتصف الطريق بين المتقابلين الشعور واللاشعور وتحقيق تكامل الذات أمر لا يتم إلا في منتصف العمر.

11. تداعي المعاني

من المهم أن نذكر أن يونج أعد اختباراً لتداعي المعاني كأداة تشخيصية مستخدمة للكشف عن العقد النفسية عند مرضاه، وفي هذه الطريقة تقرأ قائمة من الكلمات على المريض يستجيب إلى كلمة منها بأول كلمة تخطر على باله وإذا حدث تأخر في الاستجابة فإن الكلمة المحدثة لهذا التأخر لها حساسية خاصة عند المريض.

12. تعليق

كان يونج أول المنشقين على فرويد وتوصل إلى فكرة تداعي المعاني، وكان أول من أكد على أهمية المستقبل في تحديد السلوك، وكان أول من لفت الانتباه إلى مرحلة وسط العمر، ولكن أسلوبه في الكتابة كان صعباً فلم يقبل عليه القراء.

أسئلة للمناقشة

1. كيف أثرت حياة يونج على نظريته العلمية؟
2. .شرح معنى الليبيدو عند يونج؟
3. "الأنماط النفسية عند كارل يونج"، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
4. تحدث عن مراحل تطور الشخصية عند يونج مبيناً خصائص كل مرحلة؟
5. اشرح مفهوم التشخص عند يونج مبيناً جانب الابتكار في هذه الفكرة؟
6. الانبساط والانطواء من ابتكارات يونج، بيّن أثر هذه الفكرة على علم النفس المعاصر؟
7. تداعي المعاني من ابتكارات يونج، تحدث عن اختبارات تداعي المعاني عبر تاريخ القياس النفسي؟



الفصل الثالث

أدلر وعلم النفس الفردي

سيرة الفرد أدلر الذاتية (1870-1937)

ولد أدلر في فينا لأسرة غنية لكن طفولته كانت غير سعيدة بسبب سوء صحته وغيرته من أخيه الأكبر وشعوره بالضآلة والمهانة ورفض أمه له.

بالرغم من هذه البداية غير الواعدة وربما بسببها عمل بجد واهتمام حتى حقق لنفسه قدراً كبيراً من الاحترام والتقدير اللذين لم يلقهما في أسرته.

وفي البداية كان أدلر تلميذا متخلفا إلى درجة أن أحد المدرسين قال لأبيه أن أدلر التلميذ لا يصلح إلا لصناعة الأحذية ولكن بالتصميم والمثابرة انتقل أدلر من القاع إلى قمة الترتيب بين أقران فصله الدراسي.

ومن الناحية الاجتماعية والأكاديمية عمل بجد ليتجاوز نواحي نقصه وتحقيق النجاح. ويمكن أن فكرة الشعور بالنقص تكون هي نقطة مركزية في نظريته إلى تجاربه في الطفولة المبكرة.

التحق أدلر بكلية الطب جامعة فينا وحصل على درجته العلمية 1895م وبدلاً من أن يواصل الاهتمام بطب العيون الذي درسه اتجه إلى الطب النفسي.

وفي عام 1902 بدأ لقاءاته مع فرويد، وبعد عدة سنوات توصل أدلر إلى نظريته في الشخصية وهي تختلف عن نظرية فرويد في نواحٍ كثيرة وفي عام 1911 انتقد بصراحة موقف فرويد من نظريته.

رغم أن فرويد نصّب أدلر في 1910م رئيساً لجمعية فينا للتحليل النفسي محاولاً بذلك تقريب وجهات النظر بينه وبين أدلر ولكن كان لا مفر من الخلاف واستقال أدلر من جمعية فينا للتحليل النفسي وانفصل رسمياً عن الاتجاه الفرويدي وقد خدم في الجيش النمساوي خلال الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب اتجه إلى إقامة وتنظيم عيادات الإرشاد النفسي في مدارس فينا.

عُرف مذهب أدلر في علم النفس الفردي في أوروبا وأمريكا وسافر إلى أمريكا 1926م حيث لقي ترحيباً شديداً.

وفي عام 1934 عين أستاذاً لعلم النفس الطبي في كلية الطب لمدينة نيويورك وتوفي في أسكتلندا أثناء جولة علمية 1937، وعرف أدلر بصاحب مدرسة علم النفس الفردي وأشهر مؤلفاته علم نفس الفرد أصدره عام 1927 ونعاه فرويد بعد وفاته بأنه عالماً نفسياً لـه قدره وفضله رغم معارضته حركة التحليل النفسي.

وسوف نناقش نظرية أدلر في النقاط الآتية:

أولا: الشعور بالنقص Inferiority feelings

الشعور بالنقص من التغيرات التي صاغها أدلر ولقيت قبولاً لدى علماء النفس بل لدى عامة الناس.

الشعور بالنقص جزء من نظرية أدلر بل ربما أهم جزء في هذه النظرية (سبق عرض موضوع النقص عند أدلر عند الحديث عن العقد النفسية عند فرويد).

الشعور بالنقص: هو حالة عامة عند الناس جميعاً وليست إشارة إلى اضطراب نفسي، واعتبر أدلر أن مشاعر النقص هي أساس كل نشاط إنساني هادف إلى النمو والتطور وهو ناتج عن محاولات الفرد المختلفة بقصد تعويض هذا النقص سواء أكان هذا النقص حقيقياً أو متوهماً وبقصد التصدي لهذا الشعور بالنقص فإن الفرد يحاول جاهداً تحقيق أعلى الدرجات.

وتبدأ مشاعر النقص منذ الطفولة ذلك لأن الطفل ضعيف لا حول له ولا قوة معتمداً تماماً على الآخرين وقد ظن أدلر أن الطفل يكون واعياً بعجزه وبأن والديه يفوقانه قوة ولذلك يستسلم للأمر الواقع ويستسلم للكبار ويتولد لديه الشعور بالنقص تجاه هؤلاء الكبار.

كما يرى أدلر أن مشاعر النقص توصف بأنها مهمة ومفيدة بل وضرورية ولكن ما الذي يحدث إذا عجز الطفل عن تعويض الشعور بالنقص؟ هذا السؤال يجيب عليه أدلر بأنه تتولد لدى الطفل في هذه الحالة عقدة النقص وهي عجز الفرد عن مواجهة مشكلاته وحلها حلاً بناءً (سنتحدث عن هذه العقد بعد قليل).

وقد لاحظ أدلر أن هذه العقدة موجودة عند بعض المرضى الراشدين منذ طفولتهم وهذه العقدة تظهر عند الأطفال في ثلاثة وجوه:

- أولها: النقص العضوي الفعلي.
- ثانيها: التدليل المسرف.
- وثالثها: الإهمال.

والطفل الذي يعاني من قصور عضوي، مثلاً الطفل ضعيف الجسم قد يركز على تقوية جسمه وعضلاته بحيث يصبح رياضياً، ولأمثلة عديدة، فقد تفوق طه حسين في الأدب، والكتابة هي مهنة تعتمد أصلاً على الإبصار وهو كفيف.

ومثال آخر ديموستين خطيب اليونان الشهير الذي كان يشكو من عقدة في لسانه ولكنه تدرب وواصل التدريب حتى أصبح أخطب أهل قومه.

وهل ننسى الموسيقار الشهير بتهوفن الذي ألف أعظم أعماله الموسيقية بعد أن أصابه الصمم التام.

ما يجدر ذكره أنه إذا لم يوفق الفرد إلى التعويض الموفق فإن الأمر يتحول إلى التعويض الزائد وما يرتبط به من عقدة النقص ويوضح ذلك فيقول: إن التعويض الموفق تعويضاً إيجابياً بناءً مثل تعويض طه حسين الكفيف بالتفوق في مهنته التي تعتمد على البصر وهي مهنة الكتابة والأدب مثال على التعويض الزائد، شاعر آخر كفيف كان يعوض عن نقصه بسوء الأدب والسب والهجاء والسخرية من الناس هذا الشاعر هو بشار بن برد (عاش في العصر العباسي).

إذن ما ارتباط التعويض الموفق السوي بالشعور بالنقص، والتعويض الزائد المسرف بعقدة النقص.

إفساد الطفل بالتدليل يؤدي إلى أن يشعر الطفل أنه مركز العالم وأن هذا العالم قد خلق من أجله وأن الآخرين مسخرون لخدمته وهذا يسمى مركزية الذات.

ولكن مركزية الذات ينقشع ضبابها عندما يذهب الطفل إلى المدرسة ويتعامل بالجملة كفرد من الأفراد أو كطفل من الأطفال ولذلك فإن المدرسة قد تكون خبرة صدمية للطفل العادي ولكنها خبرة مفيدة بل وضرورية للطفل المدلل.

ثانيا: الأهداف الوهمية Fictional Finalism

ومن اعتقاد أدلر أن الماضي له قيمة في حياة الإنسان إذ هو الذي يحدد أسلوب الحياة لكن اعتقد كذلك أن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما يحركه الماضي، فالمستقبل هو الذي يشكل ما الذي يفعله الإنسان في أية خطة وأهداف الإنسان في هذه الحياة متعددة وأهم هذه الأهداف تحقيق الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ومشرب ومسكن، ولكن بعض الناس يتخذون من هذه الحاجات الأساسية صورة رمزية أو وهمية مثل نظرة المراهق إلى السيارة فهو يمتلكها ليس لأنها وسيلة مواصلات لكنها كمظهر للتباهي والبذخ والتفاخر وتصبح السيارة هدفاً في ذاتها بعد أن كانت ضرورية أي أنها أصبحت غاية بعد أن كانت وسيلة.

والأهداف الوهمية بالغة الأهمية في حياة الإنسان لأنها تكون بمثابة حافز يدفع الفرد إلى بذل مجهود بقصد الوصول إلى هذه الأهداف وتحقيقها.

ثالثا: أسلوب الحياة Style Of Life

أسلوب الحياة مبدأ أساسي للفرد عند أدلر يفسر لنا أسلوب الحياة، وهناك فرق بين كل شخص عن الآخر في هذا الأسلوب، ذلك أن الشخص من أجل أن يبلغ السيطرة على مشاعر النقص أو القصور عنده فمن الضروري أن يتخذ أسلوباً محدداً في حياته وهذا الأسلوب المحدد المعين للسلوك والذي يرسمه الشخص طول حياته وهو ما أطلق عليه أدلر أسلوب الحياة.

وأسلوب الحياة ليس أمراً فطريا ولكنه مكتسب من البيئة أو محصل منها وأسلوب الحياة هذا نتاج قوتين: قوة داخلية وقوة خارجية بيئية تساعد أو تعوق أو تعيد تشكيل الاتجاه المرغوب فيه، ولهذا يكون أسلوب الحياة مميزا للشخص ولا نجد شخصين لهما أسلوب حياة واحد وأسلوب الحياة يتكون في سن مبكرة في الطفولة عند الخامسة أو السادسة تقريباً وأسلوب الحياة الذي تكون إبان هذه المرحلة لا يتغير أبداً ولكن الذي يلحقه التغيير، وكثيراً ما يلحقه التغيير، فهو صور التعبير الذي يتخذها الفرد لبلوغ غايته.

ويرى أدلر أن ثمة عوامل تجعل أسلوب الحياة غير متكيف في نواحي القصور أو العلل البدنية مثل الطفولة المدللة المتسامحة إلى حد الإفساد أو النبذ والإهمال الشديد في الطفولة.

وهناك أربع أنماط أو اتجاهات يرى أدلر أنها تحكم أسلوب الحياة وهي:

1. التسيدي Dominent: وصاحب هذا النمط ليس عنده وعيٌ أو اهتمام اجتماعي ويتصرف دون اعتبار للآخرين.

   وقد تتفاقم صفات هذا النموذج أو النمط فيتجه إلى مهاجمة الآخرين أو يكون مادياً أو طاغياً

   وفي حالة عدم تفاقمه يكون الشخص مدمناً للخمر أو للمخدرات هذا بجانب محاولات الانتحار.

2. العام Gatting: يتوقع صاحب هذا النمط أن يحصل على كل شيء من الآخرين ويكون معتمداً عليهم وهذا أكثر الأنماط شيوعاً

3. التجنبي Avoiding: صاحب هذا النمط لا يبذل أدنى محاولة لمواجهة مشكلات الحياة وهذا الأسلوب هو تجنب الهزائم أي انسحابي.

   ويرى أدلر أن هذه الأنماط الثلاثة ليس لديها القدر الكافي من الاهتمام الاجتماعي، هذا الاهتمام الذي يتمثل في النمط الرابع.

4. الاجتماعي Sociality: وصاحب هذا النمط يستطيع أن يتعامل مع الناس ويتصرف طبقاً لمقتضى الحال ويتعامل بتفاعل مع مشكلات الحياة اليومية

رابعا: الاهتمام الاجتماعي

اعتقد أدلر أن الإنسان يتأثر بالعوامل الاجتماعية أكثر من تأثره بالعوامل الفسيولوجية وقدم مفهوم الاهتمام الاجتماعي الذي اعتبره فطرياً ولادياً وهذا الاهتمام الاجتماعي تكون قوته بحسب الخبرات الاجتماعية الأولى للطفل، ولا يمكن للفرد أن يخلع نفسه نهائياً ولا يمكن للشخص أن يعيش بمعزل عن الآخرين، ومنذ فجر التاريخ عاش الناس في تجمعات بشرية مثل الأسرة والقبيلة والشعب، ولا يمكن للشخص أن يعيش منعزلاً عن الآخرين إذا أراد أن يتعامل مع الآخرين ويواجه حياته معهم.

ومنذ الميلاد نجد الرضيع نفسه في حاجة إلى الآخرين خاصة الأم، وبعد ذلك يدخل في اهتمامه بقية أفراد الأسرة ثم أفراد آخرين من خارج الأسرة.

ويؤكد أدلر على أهمية دور الأم في تنمية الاهتمام الاجتماعي لدى الطفل وعليها أي على الأم أن تعلم الطفل مفاهيم بناءة مثل التعاون والشجاعة والطفل الذي ينظر

للآخرين بريبة وعداء سوف يعالج مشكلات حياته عندما يكبر من نفس منظور الأشخاص الذين لا توجد لديهم مشاعر الاهتمام الاجتماعي سوف يكون أولادهم من المنحرفين والمرضى النفسيين.

خامسا: الترتيب الولادي

يعتبر أدلر العالم النفسي الوحيد الذي وضع تصورا شاملا ومتكاملا لأثر الترتيب الولادي على الشخصية وبين ذلك فيما يلي:

1. الطفل الأول

يجد الطفل الأول في نفسه موقفا يغبط عليه إذ غالباً ما تكون فرحة الأبوين به فرحة شديدة، ناهيك عن فرحة الأهل والأقارب. ويلقى الطفل الأول القدر الكافي من الرعاية والاهتمام من والديه خاصة الأم.

ونتيجة لذلك يكون الطفل الأول سعيداً آمناً حتى يأتي الطفل الثاني والذي يمثل للطفل الأول خبرة صدمية؛ لأن الثاني ينزل الأول من العرش أي ينحيه من العرش كما يقول أدلر، ويستأثر هذا الثاني بجزء كبير من الاهتمام من الوالدين وكل الأطفال الأول يعانون من هذه الخبرة الصدمية ولكن الأمر مختلف بالنسبة للأطفال الأول الذين نقوا من آبائهم التدليل الزائد، فإن المأساة تكون شديدة وعظيمة إذا كان الطفل الأول لقي هذا التدليل الزائد، كما يدخل في الاعتبار السن الذي يكون فيه الطفل إذ كلما كان الطفل كبيراً كانت الوطأة أقل، مثلاً طفل الثامنة لا يتأثر كثيراً مثل طفل السادسة.

وتظهر على الطفل الأول عند قدوم الثاني أمارات سلبية مثل الحدة وثورة الغضب والعناد ورفض الطعام أو عصيان الوالدين وغير ذلك من الأمور الصبيانية.

وقد لاحظ أدلر أن الطفل الأول يميل عند مرحلة الرشد إلى التسلط والجمود ومن ملاحظات أدلر على مرضاه أن معظم المنحرفين هم من الأطفال الأول.

وهذا رأي أدلر وقد لا يشاركه المؤلف هذا الرأي.

2. الطفل الثاني

ما الذي تخبئه الأيام لهذا الطفل الثاني لأن موقف الطفل الثاني له خصوصية ومن خصوصيات هذا الموقف أن هذا الطفل الثاني لا ينعم بكمية الحنان والعطف والرعاية والحفاوة التي ينعم بها الطفل الأول.

وهو كذلك لا يعاني مشاعر خيبة الأمل الناتجة عن تنحيه عن العرش ومما يذكر أن أدلر توصل إلى أفكاره حول موضوع الترتيب الولادي من خبرته الذاتية حيث كان هو الطفل الثاني في الأسرة ومن مشاهدته الأطفال المرضى النفسيين الذين كان يعالجهم ويتميز الطفل الثاني بما يلي:

المنافسة مع الطفل الأول، وقد تكون هذه المنافسة شديدة في بعض الأحيان، وتكون كذلك عند الطفل الثاني رغبة وميل في التفاعل، ويميل إلى الاختلاط بالآخرين.

3. **الطفل الأصغر**

الطفل الأصغر أو آخر العنقود لا تكون لديه مشكلة التنحي عن العرش ويكون دلوع الأسرة لاسيما وأن كان إخوته الآخرين يكبرونه سناً.

وهذا الطفل تكون لديه رغبة التفوق على إخوانه الكبار، كما أنه يكون سريع الإيقاع، فإن الأطفال الصغار والأواخر تكون لديهم إنجازية عالية لأي مجال يعملون به، ويحدث العكس إذا كان هذا الطفل الأصغر مدللاً تدليلاً شديداً إلى درجة الإفساد، فإنه يبلغ الرشد ويصبح كأنه لا يصلح لشيء لأنه عاجز عن التعامل مع الآخرين لأن خبرته في الطفولة كانت صفراً أو كانت سلبية.

4. **الطفل الوحيد**

أما الطفل الوحيد فحالته حال، إذ يعاني من الصدمات عندما يخرج من دائرة الأسرة لأن الأسرة تركز عليه وتعطيه الرعاية الزائدة والعناية الفائقة ولكنه خارج الأسرة يعامل كشخص عادي فيصاب بالإحباط ويتوقع الطفل الوحيد الاستجابة لجميع رغباته واستحسان جميع أفعاله.

سادساً: صورة الإنسان عند أدلر

صورة الإنسان عند أدلر تختلف اختلافاً شديداً عنها عند فرويد، إذ يقدم أدلر صورة براقة مضيئة مليئة بالأمل للإنسان ويرى أنه أقرب إلى الفهم أن نقول إن البشر قادرون على التحكم في أنفسهم لا أن نقول إن الشخصية وسماتها هي نتيجة خبرات الطفولة والدوافع الغريزية كما يقول فرويد.

إن الصورة التي يرسمها أدلر للإنسان صورة فيها قدر كبير من التفاعل والتفاؤل والأمل والبشر في نظره قادرين على تحقيق الأمور التي يرونها صواباً.

5. نوجه النقد إلى المادة العلمية التي نشرها في كتبه، يقول هذا النقد: إن جزءاً من هذه المادة العلمية بل جزءاً كبيراً منها ما هو إلا تكرار لما قاله في محاضرات عامة وفي رأينا أي رأي المؤلف أنه إن صح هذا فإنه لا يطعن في أدلر كعالم كبير.
6. يرى البعض أن فكرة أسلوب الحياة بالصورة التي عرضها أدلر فكرة يعوزها الوضوح والتنقيح.
7. تقديراً لأدلر تصدر مجلة علمية ربع سنوية من جمعية علم النفس الأدلري الأمريكية أي أن هناك جمعية باسمه حتى الآن.

الملخص

ولد أدلر (1870-1937) في فينا، طفولته غير سعيدة، كمعظم منظري الشخصية انشق عن فرويد وكوّن مدرسة باسم علم النفس الفردي، وكان فاشلاً في الدراسة، ولكنه استجمع قواه وتفوق وعوض الشعور بالنقص تعويضاً موفقاً وليس زائداً.

التحق بكلية الطب في فينا، وحصل على درجته العلمية 1895، وبدلاً من أن يواصل الاهتمام بطب العيون اتجه إلى الطب النفسي.

ونجمل مذهبه في النقاط الآتية:

1. **الشعور بالنقص**

هو من التعبيرات التي صاغها أدلر ولاقت قبولاً لدى علماء النفس بل لدى عامة الناس جميعاً وليس إشارة إلى اضطراب نفسي.

واعتقد أدلر أن مشاعر النقص هي أساس كل نشاط إنساني يهدف إلى النمو والتطور، لطفل يشعر بالنقص لأنه يعتمد على والديه وهذه المشاعر مفيدة ومهمة وضرورية بالنسبة للطفل، وقد يتولد لدى الطفل في بعض الأحوال عقدة النقص، وقد لاحظ أدلر أن هذه العقدة موجودة لدى بعض المرضى والطفل الذي يعاني من قصور عضوي مثلاً الطفل ضعيف الجسم قد يركز على تغيير جسده بحيث يصبح رياضياً وقد نسوق أمثلة كثيرة على ذلك، فقد تفوق طه حسين في الكتابة وهي مهنة تعتمد على الإبصار وهو كفيف، التعويض الموفق يرتبط بالشعور بالنقص والتعويض الزائد يرتبط بعقدة النقص.

2. **الأهداف الوهمية**

اعتقد أدلر أن الماضي له قيمة في حياة الإنسان وهو الذي يحدد أسلوب حياته ولكنه اعتقد أيضاً أن الإنسان تحركه توقعاته للمستقبل أكثر مما يحركه الماضي وأهداف الإنسان في هذه الحياة متعددة وأولها الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ومشرب ومسكن ولكن بعض الناس يتخذ من هذه الحاجات الأساسية صورة رمزية أو وهمية مثل نظرة المراهق إلى السيارة فهو يمتلكها ليس لأنها وسيلة مواصلات ولكن كمظهر للتباهي والتفاخر فأصبحت غاية بعد أن كانت وسيلة.

3. **أسلوب الحياة**

هو أسلوب معين من السلوك وهو ليس أمراً فطريا ولكنه مكتسب من البيئة، وهو نتاج قوتين: قوة داخلية موجهة وقوة خارجية بيئية، وأسلوب الحياة يتكون في سن مبكرة

عند الخامسة أو السادسة تقريباً، ومتى تكون لا يتغير ولكن الذي يلحقه التغيير هو صور التعبير التي يتخذها الفرد لبلوغ غايته.

أشار أدلر الى أن هناك عوامل تجعل أسلوب الحياة غير متكيف، وهي نواحي القصور أو العلل البدنية والطفولة المدللة والنبذ والإهمال، وهناك أربع أنماط تحكم أسلوب الحياة وهي:

أ. **التسيدي**: وصاحب هذا النمط ليس عنده وعيٌ أو اهتمام اجتماعي ويتصرف دون اعتبار للآخرين.

ب. **العام**: يتوقع صاحب هذا النمط أن يحصل على كل شيء من الآخرين.

ج. **التجنبي**: صاحب هذا النمط لا يبذل أدنى محاولة لمواجهة مشكلات الحياة، وهذه الأنماط الثلاثة في نظر أدلر عليها تحفظات.

د. **الاجتماعي**: وصاحب هذا النمط يستطيع أن يتعامل مع الناس طبقاً لمقتضى الحال.

4. **الاهتمام الاجتماعي**

اعتقد أدلر أن الإنسان يتأثر بالعوامل الاجتماعية أكثر من تأثره بالعوامل الفسيولوجية، ولا يمكن للفرد أن يخلع نفسه نهائياً من المجتمع ومنذ فجر التاريخ عاش الناس في تجمعات بشرية مثل الأسرة والقبيلة والشعب ومنذ الميلاد يجد الرضيع نفسه في حاجة للآخرين خاصة الأم وبعد ذلك يدخل في اهتمامه بقية أفراد الأسرة ثم أفراد آخرين من خارج الأسرة.

5. **الترتيب الولادي**

أ. الطفل الأول في موقف يحسد عليه وغالباً ما تكون فرحة الأبوين به كبيرة، ويكون في حالة من السعادة حتى يأتي الطفل الثاني الذي ينزله عن عرشه، وتظهر على الطفل الأول عند قدوم الثاني أمارات سلبية مثل الحدة والغضب والعناد ورفض الطعام وعصيان الوالدين وغير ذلك من الأمور الصبيانية.

ب. الطفل الثاني: لا ينعم بكمية الحنان والرعاية والعطف الذي ينعم بها الطفل الأول ولكنه لا يعاني من مشاعر خيبة الأمل الناتجة عن تنحيه عن العرش إذا جاء طفل جديد.

ج. الطفل الأصغر: لا تكون لديه مشكلة التنحي عن العرش ويكون دلوع الأسرة، وهذا الطفل تكون لديه الرغبة في التفوق على إخوانه الكبار كما أنه يكون سريع الإيقاع.

د. الطفل الوحيد: فحالته حال، إذ يعاني من الصدمات عندما يخرج من دائرة الأسرة؛ لأن الأسرة تركز عليه وتعطيه الرعاية الزائدة والعناية الفائقة، أما خارج الأسرة فهو يعامل كشخص عادي فيعاني من الإحباط.

6. صورة الإنسان عند أدلر

يقدم صورة متفائلة عن فرويد لأن كل شخص في نظره منفرد لا يتكرر، كل إنسان له إرادة حرة، ويعتبر أدلر أن خبرات الطفولة ذات أهمية بالغة في صياغة أسلوب الحياة.

مفهوم الاهتمام الاجتماعي يعكس تصور أدلر للبشر على أن لديهم الاستعداد لإقامة مجتمع يقوم على التماسك.

7. تعليق

استقبلت نظرية أدلر بما تستحقه من حفاوة لأنه خففت من غلواء الفرويدية التي قيدت الإنسان وجعلته أسير الغرائز والقوى اللاشعورية.

أدخل إلى علم النفس والعلوم الإنسانية تعبير النقص سواء الشعور أو العقدة، وما زال هذا مقبولا، وكان أول عالم نفسي يتحدث عن الترتيب الولادي وأهميته في الأسرة على شخصية الطفل.

انتقده فرويد على أن مادته العلمية مادة ضعيفة ويمكن أن تستوعب وتقرأ كلها في أسبوعين فقط وهذا استخفاف من فرويد بأدلر.

أسئلة للمناقشة

1. هل أثرت حياة أدلر الشخصية على نظريته في الشخصية، وضح ذلك؟
2. الشعور بالنقص مفهوم محوري عند أدلر، بين ذلك؟
3. «الاهتمام الاجتماعي وأهميته عند أدلر»، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟



الفصل الرابع

كارين هورناي

السيرة الذاتية لـ كارين هورناي (1885-1952م)

ولدت كارين هورناي في مدينة هامبرج بألمانيا، كان أبوها يعمل بحاراً ويتصف بالميل إلى التقوى والهدوء، بعكس أمها التي كانت تصغره بسنين عديدة، وكانت امرأة متمردة مرحة، وكانت طفولة هورناي أبعد من أن تكون طفولة هينة لينة حيث عانت من رفض أمها لها، إذ فضلت عليها أخاها الأكبر، وكذلك عاملها أبوها معاملة جافة من شأنها تقليل قيمتها، مما يترتب على ذلك أنها شعرت شعوراً قوياً بأنها لا قيمة لها، ويبدو أن الحاجة إلى الحب في مرحلة الطفولة أثرت على هورناي أيما تأثير لنظريتها في القلق.

وقد حصلت على الماجستير من جامعة فريبورج في ألمانيا 1913م ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة 1932 وخلال حياتها الأكاديمية عملت بمعهد برلين للتحليل النفسي ومعهد شيكاغو للتحليل النفسي وكذلك عينت عميدة للجمعية الأمريكية للتحليل النفسي منذ عام 1941م حتى وفاتها وقد أثرت على حركة التحليل النفسي تأثيراً مهماً، وأصدرت العديد من الكتب التي لاقت الاهتمام والرواج، ومن أشهر الكتب التي ألفتها كتاب «الشخصية العصابية، في هذا العصر» أصدرته عام 1936م، و «طرق جديدة في التحليل النفسي» أصدرته عام 1939م، وكتاب «العصاب والنمو الإنساني» 1950م.

وقد اختلفت هورناي مع النظرية الفرويدية في نقاط عديدة حيث اعتقدت بأن العديد من الافتراضات الفرويدية الأساسية كانت نتيجة لطبيعة العصر الذي عاش فيه فرويد، وأن الأخلاقيات وقيم السلوك بوجه عام تغيرت كثيراً كما صاغت هورناي نظريتها في أمريكا حيث كانت الحياة مختلفة بصورة واضحة عن أوروبا.

وقد عارضت هورناي فرويد قوله إن تطور نمو الشخصية يعتمد على قوة من الدوافع الغريزية غير قابلة للتغيير وكذلك عارضت رأيه في الأهمية البارزة للدافع الجنسي.

أضف إلى ذلك أنها رفضت القول بعمومية النظرية الأوديبية، ومفهوم الليبيدو، وهذا كله بالإضافة إلى معارضتها رأي فرويد في أن المرأة تعاني ما أسماه فرويد حسد القضيب Penis enpy، وقالت هورناي أن الرجل يعاني من حسد الرحم Womp enpy لعدم قدرته على الإنجاب.

ونعرض نظرية كارين هورناي في النقاط التالية:

أولا: الأمن والرضا

وافقت هورناي على فكرة فرويد والتي تؤكد على أهمية مرحلة الطفولة في تكوين الشخصية ولكن هورناي أكدت على أهمية العوامل الاجتماعية في التأثير على الشخصية وليست العوامل البيولوجية كما كان يرى فرويد واعتقدت هورناي أن الطفل يحتاج إلى الرضا من جهة، والأمن من جهة أخرى، والأمن والرضا دافعان فطريان غريزيان وإن كان الأمن أهم من الرضا.

والطفل والراشد يحتاج إلى تحقيق أدنى مستوى من الرضا في تلبية الطعام والشراب والجنس والنوم وغير ذلك.

أما العامل الحاسم المؤثر في تكوين الشخصية في نظر هورناي فهو الحاجة إلى الأمن والتحرر من الخوف.

وإلى أي حد يشعر الطفل بالأمن وانعدام الخوف فإن هذه المشاعر تؤثر على شخصيته. والشعور بالأمن عند الطفل يعتمد بصورة أساسية على المعاملة التي يلقاها من الوالدين.

وحرمان الطفل من العطف والحب يجعله يشعر بالعداوة بسبب سلوكيات مثل:

1. **تصرفات خطأ من الوالدين.**
2. الوعود الزائفة التي لا تنفذ.
3. تفضيل طفل آخر.
4. العقاب الشديد أو غير المبرر، وهذا الموقف من شأنه إشعار الطفل بالعجز أو عدم المساندة كما أن شعور الطفل بالخوف من والديه أمر يجب تجنبه.

ثانيا: القلق الأساسي

القلق الأساسي هو المفهوم المحوري عند هورناي، وهو الشعور بالوحدة والعجز حيال عالم معاد، وهذا الشعور سائد ومتزايد.

وهذا القلق الأساسي يشعر الطفل بأنه صغير تافه في عالم مملوء بالغش والخداع وهناك مجموعة من العوامل التي توجد في بيئة الطفل تؤدي إلى الشعور بانعدام الأمن ومن أهمها: السيطرة الشديدة والإهمال أو عدم الاحتراس.

القلق الأساسي حالة تجعل الفرد يشعر بأنه عديم القيمة وعديم الأهمية ويعيش في عالم معادٍ له.

وهناك أساليب للتوافق مع هذا الأمر على النحو التالي:

استدرار العطف من الآخرين وكأن لسان حاله يقول إذا كنت تحبني فلن تؤذيني، وحتى يضمن استمرار ولاء الآخرين أو عطفهم فإنه يتصرف طبقاً لما يرغبون، وبذلك تحل صراعاتهم معه، لسان حاله يقول إذا كان لديّ قوة فلا يستطيع أحد أن يؤذيني، وهذا نمط أو أسلوب يفترض أن العالم كله صرع، فالحل الأمثل أن يحجم هذا الصراع نهائياً، لسان حاله يقول إذا ابتعدت فلن يؤذيني شيء فعن طريق الابتعاد أو التجنب جسمياً ونفسياً يمكن أن يحل صراعاته.

ثالثا: الحاجات العصابية Neurotic Needs

هناك حاجات يريد الفرد أن يحققها، هذه الحاجات على النحو التالي:

1. الحاجة إلى الحب.
2. الحاجة إلى السيادة.
3. الحاجة إلى توسيع مجال الحياة.
4. السلطة.
5. الاستقلال.
6. المكانة الاجتماعية.
7. العجب بالذات.
8. الطموح والإنجاز.

9. الاستقلال والاكتفاء بالذات.

10. الاكتمال.

وترى هورناي أن كل شخص لديه هذه الحاجات بدرجة ما، وكل منا يشعر بحاجة أو أكثر من هذه الحاجات، وهي حاجات عادية ولكنها تسمى عصابية إذا صاحب إرضاءها المبالغة والإسراف أو الغلو وهناك ثلاثة نماذج للتعامل مع هذه الحاجات العصابية العشر على النحو التالي:

أ. الشخصية المسايرة (التحرك نحو الناس): تتميز الشخصية المسايرة بالحاجة الدائمة إلى أن تكون محبوبة أو مرغوبة ويحتاج إليها الآخرون ويتجه صاحب هذه الشخصية إلى الآخرين. هؤلاء الآخرون قد يكونون شخصاً آخر مثل الصديق أو الزوج، ويتجه صاحب هذه الشخصية إلى طاعة الآخرين.

ب. الشخصية العدوانية (التحرك ضد الناس): أصحاب هذه الشخصية يختلفون تماماً عن الشخصية المسايرة بل على العكس منها ويتعاملون مع الناس على أساس أن العالم مليء بالشر والكراهية وأن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا غابة، شعار الناس فيها (كل أو أنت مأكول).

ج. الشخصية الشاردة (التحرك بعيداً عن الناس): أصحاب هذه الشخصية لا يختلطون بالآخرين ولا يحملون حباً ولا كرهاً ولا يتعاملون مع الناس إلا في أضيق الحدود ويكونون على مسافة اجتماعية بينهم وبين أفراد المجتمع الآخرين، وبسبب هذه الانفصالية تراهم يحاولون جاهدين أن يكون لديهم الاكتفاء الذاتي حتى لا يضطرون إلى طلب العون من الغير بل يعولون أنفسهم بأنفسهم.

ويسود عند العصابيين أحد الأنماط أو أحد الأساليب الثلاثة، ومع ذلك فالأسلوبان الآخران حاضران بدرجة أو بأخرى مع النمط السائد، فالشخص العدواني يحتاج أحياناً أن يكون مسايراً أو يكون شارداً منفصلاً عن الآخرين، ولكن النمط السائد عند الشخص هو الذي يحكمه.

والصراع هو التضاد أو التضارب بين هذه الأساليب الثلاثة، وهذا الصراع هو قلب العصاب، والجميع يعاني هذا الصراع سواء الأسوياء أو العصابيين، والفرق بين الأسوياء والعصابيين هو قوة هذا الصراع أو شدته، فهو شديد عند العصابيين، محدود عند الأسوياء، وهناك فرق آخر بين العصابيين والأسوياء، هذا الفرق يتضح في أن العصابي جامد لا

يستطيع التكيف مع المواقف ولا يستطيع التكيف طبقاً لمقتضى الحال، لكن الأسوياء يستطيعون تكييف سلوكياتهم حسب الظروف والأحوال.

رابعا: صورة الذات المثالية

لكل فرد صورة عن ذاته سواء أكان عصابياً أو سوياً، وبالنسبة للشخص السوي فإن صورة الذات تكون مبنية على أساس تقدير موضوعي دقيق لقدراته الشخصية وإمكانياته الحالية والمستقبلية ناهيك عن نواحي القصور لديه وصورة الذات تعطي مظهر التكامل والانسجام بين السمات المختلفة للشخصية.

وبالنسبة للعصابيين فإن صورة الذات قائمة على أساس غير موضوعي وتقييم غير دقيق لقدرات الفرد وإمكانياته ورغم التشويه الذي يلحق بهذه الصورة إلا أن العصابي مستمسك بها أشد الاستمساك، وصورة الذات عند العصابي فيها قدر كبير من التحريف نحو المثالية، أي يتصور نفسه ليس كما هو عليه في الواقع ولكن كما يجب أن يكون، وصورة الذات عند الأسوياء مرنة وقابلة للتعديل طبقاً للخبرات سواء سارة أو ضارة. ولكنها عند العصابيين يستعصي على التغيير وذلك بسبب ما يتسم به العصابي من جمود أو تحجر.

خامسا: علم النفس النسائي أو سيكولوجية المرأة

عارضت هورناي رأي فرويد في المرأة، فكان هذا الأمر خروجاً عن الخط الفرويدي، وذلك أن فرويد ادعى أن المرأة مصابة بما أسماه حسد القضيب، وأن هذه الفكرة استوحاها فرويد من مريضاته العصابيات وهو مصدر غير مأمون، كما اعتقد فرويد أن الأنا الأعلى عند النساء ضعيف بسبب صراعات الموقف الأوديبي، هذه النقطة ليست واضحة عند فرويد ويرى أيضاً أن النساء ينظرن إلى أنفسهن وكأنهن رجال تم إخصاؤهن.

كارين هورناي بعد أن مارست التحليل النفسي لسنوات طويلة لعدد من الرجال والنساء قالت بأنها لاحظت على المرضى من الرجال ما أسمته حسد الرحم، وكذلك تشير إلى أن الرجال يحسدون النساء على الحمل ورعاية الأطفال والأمومة بوجه عام، هذا ناهيك عن إرضاع الطفل من الثدي، كل هذه الأمور لا يأتيها الرجال فيحسدون النساء عليها، وترى هورناي أن حسد الرحم عند الرجل هو سبب مشاعر النقص عند الرجال بحيث يقللون من قيمة المرأة.

وعن عقدة أوديب اختلفت هورناي مع فرويد وقالت أنها ليست لها أساس جنسي كما قال فرويد، ورغم اطلاع فرويد على اعتراضات هورناي على عقدة أوديب ونظريته الجنسية عامة، إلا أنه لم يغير رأيه ولم يقتنع بما قالته هورناي، ومما لا شك فيه أن عالما كبيرا مثل فرويد لم يقبل بما تغيره من الصنف الثاني أو الثالث بالنسبة له، ولا يقبل منها أي توجيهات، وله قول مأثور -أي فرويد-: إن هورناي قديرة ولكنها مخادعة.

سادسا: التعليق

رغم أن نظرية هورناي نظرية قوية إلا أنها لا تستطيع أن تقف في صف فرويد ويونج ولكنها متأخرة عنهما، ومن مزايا هذه النظرية أنها قابلة للانطباق على الأفراد.

يقال إنها باعت أكثر من نصف مليون نسخة من الطبعات الشعبية من كتبها، وأهم جزء في نظريتها هو ما كتبته عن سيكولوجية المرأة، ويقال إن أفكارها منسجمة مع الحضارة الأمريكية أكثر من انسجامها مع الحضارة الأوروبية.

كذلك قدمت كارين هورناي العديد من المفاهيم التي صارت جزءا من جسم علم النفس مثل القلق الأساسي والحاجات العصابية.

ورغم أنها من زمرة مدرسة التحليل النفسي الفرويدية إلا أنها خرجت عنها في كثير من الأحيان، ومن أهم ما يدلل على خروجها عن هذه المدرسة أنها قللت من أهمية العوامل البيولوجية في تكوين الشخصية وقدمت عليها العوامل الاجتماعية، ورغم تأكيد هورناي على العوامل الاجتماعية إلا أنها لم تشفع رأيها بالأدلة المتوفرة التي تؤيد هذا الرأي في مجال الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع.

وفي الختام نقول إن نظرية هورناي متفائلة بالنسبة للبشر على عكس التشاؤم الفرويدي، فهي ترى أن الإنسان لا تحكمه العوامل البيولوجية بل تحكمه العوامل الاجتماعية، وعند حديثها عن الصراع قالت: إن الصراع والقلق موجودان فعلاً ولكن عند بعض الناس وليس كل الناس.

وهي ترى في الظروف العادية أن الطفل سوف ينمو بصورة سوية ويكون عند الرشد شخصاً فعالاً ومحققاً لذاته، كما ترى أننا نستطيع أن نتحكم في أنفسنا ونعدل من سلوكياتنا.

الملخص

كارين هورناي عالمة نفس أمريكية، ألمانية الأصل، درست في جامعة فريبورج في ألمانيا، حصلت على الماجستير عام 1913، ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة عام 1932. وكانت عميدة للجمعية الأمريكية للتحليل النفسي منذ عام 1941 حتى وفاتها.

وقد اختلفت مع النظرية الفرويدية في نقاط عديدة، حيث اعتقدت بأن الافتراضات الفرويدية كانت نتيجة لطبيعة العصر الذي عاش فيه فرويد وأن الأخلاقيات وقيم السلوك بوجه عام قد تغيرت كثيراً. كما صاغت نظريتها في أمريكا حيث كانت الحياة مختلفة بصورة واضحة عن أوروبا.

ونعرض نظريتها في النقاط الآتية:

1. **الأمن والرضا**

وافقت هورناي على فكرة فرويد التي تؤكد على أهمية مرحلة الطفولة في تكوين الشخصية، والشعور بالأمن عند الطفل يعتمد بصورة أساسية على المعاملة التي يلقاها من الوالدين وحرمانه من العطف والحب يجعله يشعر بالعدوة، وهذا الشعور يتسبب فيه التصرفات الخطأ من الوالدين والوعود الزائفة التي لا تنفذ وتفضيل طفل آخر والعقاب الشديد غير المبرر.

2. **القلق الأساسي**

وهو مفهوم يدل على الشعور بالوحدة والعجز حيال عالم معاد وهو شعور شائع ومتزايد، والقلق الأساسي حالة يشعر الفرد فيها بأنه عديم القيمة وعديم الأهمية.

3. **الحاجات العصابية**

هناك حاجات يريد الفرد أن يحققها وهي على النحو الآتي:

أ. الحاجة إلى الحب.

ب. الحاجة إلى السيادة.

ج. الحاة إلى توسيع مجال الحياة.

د. السلطة.

ه. الاستقلال.

و. المكانة الاجتماعية.

ز. العجب بالذات.

ح. الطموح والإنجاز.

ط. الاستقلال والاكتفاء بالذات.

ي. الاكتمال.

وترى هورناي أن كل شخص لديه هذه الحاجات وهي حاجات عادية ولكنها تسمى عصابية إذا صاحبَ إرضاءها المبالغة والإسراف والغلو وهناك ثلاثة نماذج للتعامل مع هذه الحاجات العصابية على النحو التالي:

أ. نموذج الشخصية المسايرة: تتميز الشخصية المسايرة بالحاجة الدائمة بأن تكون محبوبة من الناس، ويتجه صاحب هذه الشخصية إلى الآخرين.

ب. نموذج الشخصية العدوانية: أصحاب هذه الشخصية يتعاملون مع الناس على أساس أن العالم مليء بالشر والكراهية.

ج. نموذج الشخصية الشاردة: التحرك بعيداً عن الناس وأصحاب هذه الشخصية يكتفون بأنفسهم ولا يرغبون في طلب العون من الآخرين والشخص العصابي جامد في تفكيره لا يستطيع التكيف مع المواقف ولا يستطيع التصرف طبقاً لمقتضى الحال ولكن الأسوياء يستطيعون تكييف سلوكهم حسب الظروف والأحوال.

4. صورة الذات المثالية

لكل فرد صورة عن ذاته وبالنسبة للشخص السوي فإن صورة الذات تكون مبنية على أساس تقدير موضوعي دقيق لقدراته الشخصية.

وبالنسبة للعصابي فإن صورة الذات قائمة على أساس غير موضوعي وتقييم غير دقيق لقدراته، ورغم هذا التحريف فإن العصابي مستمسك بها أشد الاستمساك.

5. علم النفس النسائي أو سيكولوجية المرأة:

ادعى فرويد أن المرأة مصابة بما سماه حسد القضيب، وكان رد هورناي بأنها مارست التحليل النفسي سنوات طويلة وقد لاحظت على المرضى من الرجال ما أسمته حسد الرحم مقابل حسد القضيب، ومعناها أن الرجال يحسدون النساء على الحمل ورعاية الأطفال والأمومة بوجه عام.

6. تعليق

يقال إن هورناي باعت أكثر من نصف مليون نسخة من الطبعات الشعبية من كتبها، ويقال إن أفكارها منسجمة مع الحضارة الأمريكية أكثر من انسجامها مع الحضارة الأوروبية، كذلك قدمت كارين هورناي العديد من المفاهيم التي صارت جزءا من جسم علم النفس مثل القلق الأساسي والحاجات العصابية، ونظرية هورناي متفائلة بالنسبة للبشر على عكس التشاؤم الفرويدي، فهي ترى أن الإنسان لا تحكمه العوامل البيولوجية بل تحكمه العوامل الاجتماعية وعند حديثها عن الصراع قالت إن الصراع والقلق موجودان فعلاً، ولكن عند بعض الناس وليس كل الناس.

أسئلة للمناقشة

1. هل أثرت السيرة الذاتية لكارين هورناي على نظريتها؟
2. القلق الأساسي والحاجات العصابية من المفاهيم التي أدخلتها كارين هورناي في جسم علم النفس، بيّن ذلك؟
3. تحدث عن صورة الذات عند كارين هورناي؟
4. «مساهمات كارين هورناي في علم النفس النسائي»، اكتب مقالة مختصرة تحت هذا العنوان؟

الفصل الخامس

هنري موراي Murray

السيرة الذاتية لـ هنري موراي (1893 – 1988)

عالم نفس أمريكي، حصل على الدرجة الجامعية الأولى من جامعة هارفارد، فالماجستير والدكتوراه من جامعة كولومبيا، وعين أستاذاً في هارفارد، وبقي فيها حتى اعتزاله عام 1964، وكان نشيطاً في إجراء البحوث، وينسب إليه أحد الاختبارات الكبيرة وهو اختبار TAT.

وأسس على نظريته اختبار CAT واختبار جاكسون وسوف نتحدث عن هذه الاختبارات بالتفصيل في موضع قادم من هذا الكتاب.

الأحداث المهمة في حياته: حصل على جائزة التميز من الجمعية النفسية الأمريكية والمؤسسة النفسية الأمريكية.

ونلخص نظريته في النقاط الآتية:

أولاً: علم نفس الشخصية Personology

يؤكد موراي على أنه يقدم نظرية ليست نهائية بل مؤقتة وقابلة للتعديل، ذلك أن الشخصية موضوع بالغ التشابك والتعقيد، ولا يمكن أن نقول فيه قولاً نهائياً، ويبنيه على أساس أن العمليات النفسية عنده قائمة على العمليات الفسيولوجية، ويلخص ذلك في عبارة إذا لم يوجد المخ فلا توجد الشخصية No brain No personality.

كل شيء في الشخصية يوجد في المخ: الإحساسات: الحالات الشعورية، التذكريات، واللاشعوريات، وكذلك معتقداتنا، واتجاهاتنا، ومخاوفنا، وقيمنا، إن معقل كل شيء في الشخصية هو في المخ.

يؤكد موراي على ما يسميه المبدأ الشامل ومعنى هذا المبدأ أن موراي يرى أن الناس يحاولون أن يخففوا التوترات سواء أكانت سيكولوجية أو فسيولوجية وليس يطلب من

الإنسان خلوه من التوترات لأن الخلو من التوترات حالة بائسة، ذلك أن البشر يحتاجون دائماً إلى استثارة النشاط والحركة، وكل ما من شأنه أن يجعل للحياة نكهة، بمعنى أننا نطلب زيادة التوتر أكثر مما نطلب نقصانه.

الطبيعة الممتدة للشخصية

يرى موراي أن طبيعة الشخصية طبيعة ممتدة، ذلك أن الشخصية تتطور عبر الزمن وذلك أن دراسة الأحداث أو الوقائع السابقة في حياة الفرد أمر ضروري لفهم شخصيته، كما أشار موراي إلى تفرد كل شخص عن بقية الأفراد، وأشار كذلك الى أن كل شخص يشبه بعض الأفراد، وأنه يشبه كل الأفراد. **ثلاثة مستويات: يشبه كل الناس، ويشبه بعض الناس، ولا يشبه أحد من الناس.**

ثانياً: الهو، الأنا، الأنا الأعلى، مثال الأنا

هنري موراي اشتق من فرويد بعض أفكاره:

1. الهو Id

مستودع الغرائز، وهو الطاقة التي توجه السلوك، وهو مستقر دوافع الإنسان، وهو إلى جانب ذلك مستودع الغرائز التي يعتبرها المجتمع مشروعة أو ضرورية مثل الحب والتعاطف، ويؤكد موراي على دور البيئة الاجتماعية في جميع الأحوال.

2. الأنا Ego

الأنا هو الحاكم العقلاني للشخصية وله دور كبير في توجيه السلوك وهو يحتوي على ذكاء الفرد وقدرته الإدراكية.

3. الأنا الأعلى Super Ego

يتشكل خلال مراحل النمو المختلفة ويتأثر بثقافة المجتمع وجماعة الرفاق.

ونذكر بتعريف الأنا الأعلى بأنه قوى ضابطة رابطة تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، إنه قوة ناتجة عن التربية والتنشئة الاجتماعية.

4. مثال الأنا Ego Ideal

وهو يحتوي على المثال الذي يريد الإنسان أن يكونه أو يتمثل به، ويوحد به الصورة التي يجب أن يكون عليها، ومثال الأنا هو أحسن ما يكون عليه الفرد وطموحاته وآماله وأحلامه.

ثالثا: الحاجات Needs

يبدي مؤرخ علم النفس الشهير شولتيز إعجابه بنظريته موراي في الحاجات التي هي قلب نظرية موراي في الشخصية، وهي في نظر شولتيز أكمل نظرية في الحاجات عبر تاريخ علم النفس كله، ونحن نشاركه هذا الرأي، وهذه النظرية ليست وليدة دراسات أجريت على المرضى أو اللاأسوياء، وهي ليست مجرد اجتهاد نظري من موراي بل جاءت نتيجة دراسات متعمقة على الأشخاص الأسوياء.

والحاجة عند موراي مكون افتراضي وهي لها أساس فسيولوجي وتشتمل على قوى فسيولوجية كيميائية في المخ الذي ينظم ويوجه كل القدرات العقلية والإدراكية لدى الفرد وتنبع الحاجات من المناشط الداخلية مثل الجوع والعطش أو من الأحداث في البيئة المحيطة وسواء أكان هذا المصدر أو ذاك فإن الحاجة تؤدي إلى حدوث توتر لدى الكائن الحي الذي يريد أن يخفف هذا التوتر لإرضاء هذه الحاجة، فالحاجة تحفز وتوجه السلوك.

ويسمي موراي (20) حاجة على النحو التالي:

1. **السيادة Dominance**: هي السيطرة على البيئة المحيطة للإنسان وجعل الآخرين يتعاونون معنا وجعل الآخرين يتبعون وجهة نظرنا.
2. **المراعاة والاهتمام Deference**: هي إعجاب بشخص ناجح والاستسلام بيسر إلى نفوذ شخص آخر.
3. **الاستقلال Autonomy**: أن يكون الفرد متحرراً من الضغوط تاركاً القيود ومقاوماً للإكراه والإجبار وأن يكون مستقلاً ويتصرف طبقاً لما يراه وطبقاً لما يرغب فيه، وأن يتحدى الأعراف البالية.
4. **العدوان Aggression**: بمعنى الانتصار على بقية الخصوم والحرب والهجوم وأن يؤذي أو يقتل الآخر وأن يحط من شأنه ويسفهه.
5. **الحطة Abasement**: الاستسلام التام والخضوع لقوى خارجية وتقبل النقد والعقاب واللوم والاستسلام القدري والإقرار بالضعة والنقص والخطأ ولوم الذات والتقليل من شأنها والبحث عن المصاعب والمتاعب والمعاناة وكأنها مصدر للمتعة.

6. **الإنجاز Achievement**: أن يأتي الأمور الصعبة بكفاءة وأن يسيطر على الأفكار كما يستطيع أن ينظم الأمور الموجودة في بيئته والأشياء والأشخاص وأن يتجاوز الآخرين ويتفوق عليهم.
7. **الجنس Sex**: أن تكون له علاقات شهوية أو ممارسات جنسية.
8. **الإحساسية Sentience**: البحث عن اللذات الحسية والاستمتاع بها.
9. **الاستعراضية Exhibition**: وهو أن يسعى الشخص إلى أن يرى ويسمع وإعطاء الانطباعات عنه وأن يثير الآخرين ويجذبهم ويمتعهم ويسليهم وأن يسحرهم أو يصدمهم.
10. **اللعب Play**: أن يسلك سلوكاً لا هدف له إلا الفكاهة أو التسلية.
11. **الانتماء Affillation**: هو الاقتراب من أشخاص مرغوب فيهم والتعامل معهم، وعادة ما يتشابهه هؤلاء الأفراد وكأن الطيور على أشكالها تقع مع التمسك بعرى الصداقة.
12. **الرفض Rejection**: أن يكون الشخص مبتعداً عن الآخر هاجراً له وأن يصده ويزجره.
13. **طلب العون Succornce**: أن يطلب الشخص الحماية والرعاية والاهتمام والحب والفهم والإرشاد وأن يكون لديه شخص يحتمي به ويلوذ به في الملمات.
14. **التربية Nurturance**: تقديم العطف والحنان لشخص صغير أو ضعيف يحتاج إلى ذلك أو شخص معوق أو مصاب بضعف عقلي أو مرض عقلي.
15. **التجنب In avoidance**: وهو تجنب الإذلال والابتعاد عن المواقف التي تؤدي إلى احتقار الآخرين والإحجام عن التصرف خوفاً من الفشل.
16. **الدفاعية Dependence**: حماية الذات من اللوم والإهانة والنقد مع إخفاء الأخطاء.
17. **المضادة Counter action**: وهي أن نطمس أو نمحو الإذلال بقوة وشدة وأن نهزم العجز ونقمع الخوف ونهزم الصعوبات والعقبات وأن نحافظ على احترام الذات والفخر والاعتزاز بها.
18. **تجنب الأذى Harm avoidance**: هو تجنب الألم والأذى الجسمي والمرض والهرب من المواقف الخطرة واتخاذ الاحتياطات اللازمة حيال الأخطار.
19. **النظام Order**: مرتب يضع كل شيء في مكانه، يراعي النظافة والترتيب والنظام.

20. **الفهم Understanding**: يسأل عن الموضوعات العامة ويستطيع الإجابة عنها إذا سئل، ويهتم بالنظريات ويحلل الوقائع والأحداث وأن يناقش ويجادل ويعمل المنطق والعقل ويظهر الاهتمام بالمنجزات في العلوم والرياضيات والفلسفة.

ولا يقطع موراي بأن كل هذه الحاجات موجودة عند كل شخص. ومع ذلك فإن بعضنا يخبرها جميعاً على الأقل على مدى حياته.

رابعا: تصنيف الحاجات

يصنف موراي الحاجات إلى:

1. الحاجات الأولية

وهي التي تنبع من الجسم وإرضاؤها ضروري لبقاء الكائن الحي مثل الماء والهواء والطعام والجنس.

2. الحاجات الثانوية

وهي التي تنشأ وتقوم على أساس الدوافع الأولية ولكن ليست لها صلة بالجانب الجسمي وهي أقل أهمية بالنسبة للكائن الحي وتهتم بالإرضاءات العقلية والانفعالية وتتضمن معظم الحاجات التي ذكرت في النقطة السابقة.

خامسا: الضغوط

الضغوط الواقعة على الفرد في البيئة المحيطة يقسمها موراي إلى:

1. ضغوط Alpha press

وهي وصف موضوعي للمواقف في بيئة الفرد، مثل لكي يلتحق الطالب بكلية الطب لا بد له من مجموع درجات معينة و الحصول على هذا المجموع يمثل بالنسبة للطالب ضغطا موضوعيا.

2. ضغوط Beta Press

هي الطرق التي يفسر بها الإنسان الضغوط، مثل أن يقول إن لم أحصل على درجات تؤهلني لدخول كلية الطب فأنا فاشل، فنجد أن ألفا بريس تجربة موضوعية وبيتا بريس تجربة ذاتية.

سادساً: العقد

التزم موراي بالمنهج الطولي في دراسة الشخصية مؤكداً على أهمية الطريق التطوري للفرد، وقام عمله على أساس إحياء المذهب الفرويدي مع إجراء بعض التعديلات والتوسيعات عليه، وهو مثل فرويد على أهمية الأحداث في الطفولة المبكرة، ومثال لذلك أن مرحلة الطفولة المبكرة تنقسم إلى خمس مراحل وهذه المراحل تترك بصماتها على شخصية الفرد في صورة ما أسماه موراي العقد، وهي سلوكيات ناتجة عن أثر المراحل الخمس والتي تؤثر لاشعورياً على تطور الفرد بعد ذلك.

وكل شخص يمر بهذه المراحل الخمس وتتكون لديه هذه العقد الخمس ولا توجد مشكلة في ذلك اللهم إلا إذا شطت إحدى هذه المراحل عن حد قول موراي، فإن الشخصية عند ذلك لا تنمو نمواً طبيعياً ويتأثر طبقاً لذلك نمو الأنا والأنا الأعلى وهذه العقد الخمس على النحو التالي:

1. عقدة الاحتجاز Claustreal complex

حياة الجنين في رحم الأم آمنة مطمئنة وعقدة الاحتجاز البسيطة تبدو في الرغبة في البقاء في أماكن ضيقة دافئة مظلمة بحيث يكون في مأمن وقد تعني البقاء صباحاً تحت أغطية الفراش الدافئة، ومثل هؤلاء الناس المصابون بهذه العقدة يكونون سلبيين يعتمدون على الآخرين، ويتوجهون إلى سلوكيات الماضي، وهذه الرغبة في العودة إلى الماضي، كأنه يريد أن يعود إلى الحياة في الرحم، ويمكن لهذه العقدة كذلك أن تشعر الفرد بعدم الأمن والتي تؤدي به إلى الخوف من الأماكن المفتوحة والخوف من السقوط والخوف من الإذلال.

2. العقدة الفمية Oral complex

هذه العقدة الفمية هي خليط من نشاطات الفم والبعد عن الاتجاهات السلبية والحاجة إلى المساندة والحماية والمظاهر السلوكية في هذه العقدة تتضمن المص والتقبيل والتماس الطعام والشراب والحاجة إلى الحب والتعاطف كما يمكن أن تسمى العقدة الفمية بالعقدة الفمية العدوانية وتشتمل على الأفعال العدوانية مثل الرفض والبصق والسب والتهكم والعض ويمكن أن تسمى كذلك العقدة الفمية الرافضة التي تشتمل على التغيير أو كونه صعب الإرضاء بالنسبة للطعام بسبب إفراطه فيه والعقدة الفمية الرافضة تشتمل على الجشع أو كون الشخص صعب الإرضاء بالنسبة للطعام بسبب إفراطه أو قلة تناول الطعام بسبب التقبيل والخوف من تلوث الفم والرغبة في تفادي الاعتماد على الآخرين.

3. العقدة الشرجية Ana complex

حيث يكون الانشغال والاهتمام بالبراز والمواد المشابهة مثل الطين والصلصال وما شابه من القاذورات ويصبح العدوان من سلوكيات هذه العقدة ويبدو من السلوكيات إسقاط الأشياء أو إطلاق النار أو المفرقعات وهذا النموذج من الأشخاص يكون قذراً غير منظم.

4. عقدة البول Urethral complex

وهذه العقدة كان أول من قال بها هو موراي، وترتبط بالطموح الزائد والاستعراضية وحب الذات مع تاريخ في التبول اللاإرادي، وتسمى عقدة إيكاروس، وهو شخصية أسطورية يونانية طار عالياً قريباً من الشمس بحيث ذابت الشموع التي تمسك بأجنحته وهوى مثل إيكاروس، فإن هذا الشخص سوف يسرف في أحلام اليقظة والبعد عن الواقع وعاقبته الفشل أو السقوط.

5. العقدة الجنسية أو الإخصاء

وهي ببساطة خشية الطفل من استئصال قضيبه بسبب ميوله الجنسية الطفلية وعقاب الوالدين للطفل لهذا السبب.

الملخص

هنري موراي عالم نفس أمريكي، أستاذ في هارفارد ينسب إليه اختبار تفهم الموضوع TAT. ونظريته تتلخص في النقط الآتية:

1. **علم نفس الشخصية**

العمليات النفسية عنده قائمة على العمليات الفسيولوجية ويلخص ذلك في عبارة إذا لم يوجد المخ فلا توجد شخصية، كل شيء في الشخصية يوجد في المخ: الإحساسات والحالات الشعورية والذكريات واللاشعوريات وكذلك معتقداتنا واتجاهاتنا ومخاوفنا وقيمنا، إن معقل كل شيء في الشخصية هو في المخ.

طبيعة الشخصية عنده طبيعة ممتدة تتطور عبر الزمن كما أشار إلى تفرد كل شخص عن بقية الأفراد. اشتق بعض أفكاره من فرويد، والشخصية مقسمة عنده إلى:

2. **الهو، الأنا، الأنا الأعلى، مثال الأنا**

أ. الهو: مستودع الغرائز وهو الطاقة التي توجه السلوك.

ب. الأنا: الأنا في نظر موراي هو الحاكم العقلاني للشخصية وله دور كبير في توجيه السلوك وهو يحتوي على ذكاء الفرد وقدرته الإدراكية.

ج. الأنا الأعلى: وهو يتشكل خلال مراحل النمو المختلفة ويتأثر بثقافة المجتمع وجماعة الرفاق.

د. مثال الأنا: وهو يحتوي على المثال الذي يريد الإنسان أن يكون ويتمثل به.

3. **الحاجات**

الحاجة عند موراي مكون افتراضي لا أساس فسيولوجي، وتشتمل على قوى فسيولوجية كيميائية في المخ الذي ينظم ويوجه كل القدرات العقلية والإدراكية وتنبع الحاجات من المناطق الداخلية مثل الجوع والعطش ومن الأحداث في البيئة المحيطة، والحاجة تؤدي إلى وجود توتر لدى الكائن الحي الذي يريد أن يخفف هذا التوتر لإرضاء هذه الحاجة. والحاجات على النحو التالي:

أ. السيادة: وهي السيطرة على البيئة المحيطة بالإنسان.

ب. المراعاة والاهتمام: وهي إعجاب بشخص ناجح.

ج. الاستقلال: أن يكون الفرد متحرراً من الضغوط.
د. العدوان: الانتصار على بقية الخصوم.
ه. الحطة: الاستسلام والخضوع لقوى خارجية وتقبل النقد.
و. الإنجاز: أن يأتي الأمور الصعبة بكفاءة.
ز. الجنس: أن تكون له علاقات شهوية أو ممارسات جنسية.
ح. الإحساسية: البحث عن الذات الحسية والاستمتاع بها.
ط. الاستعراضية: أن يسعى الشخص إلى أن يرى ويسمع ويثير الآخرين ويؤثر فيهم.
ي. اللعب: أن يسلك سلوكاً لا هدف له إلا الفكاهة والتسلية.
ك. الانتماء: هو الاقتراب من أشخاص مرغوب فيهم والتعامل معهم.
ل. الرفض: أن يكون الشخص مبتعداً عن الآخرين هاجراً لهم.
م. طلب العون: أن يطلب الشخص الحماية والرعاية والاهتمام وأن يكون لديه شخص آخر يهتم به.
ن. التربية: تقديم العطف والحنان لشخص صغير أو ضعيف.
س. التجنب: وهو تجنب الإذلال والابتعاد عن المواقف التي تؤدي إلى احتقار الآخرين.
ع. الدفاعية: حماية الذات من اللوم أو الإهانة.
ف. المضادة: هزيمة العجز وقمع الخوف وتجاوز الصعوبات والعقبات.
ص. تجنب الأذى: تجنب الألم والأذى الجسمي والهرب من المواقف الخطرة.
ق. النظام: مرتب يراعي النظام والنظام.
ر. الفهم: يسأل عن الموضوعات العامة ويستطيع الإجابة عنها إذا سئل ولا يقطع موراي بأن كل هذه الحاجات موجودة عند كل شخص ومع ذلك فإن بعضنا يخبرها جميعاً على الأقل على مدى حياته.

4. تصنيف الحاجات

يصنفها موراي إلى:

أ. الحاجات الأولية الضرورية لبقاء الكائن الحي مثل الماء والهواء والطعام والجنس.

ب. الحاجات الثانوية: وهي التي تنشأ على أساس الدوافع الأولية ليس لها صلة بالجانب الجسمي ولمعظم الحاجات التي ذكرت في النقطة السابقة.

5. الضغوط

تنقسم الضغوط إلى:

أ. ضغوط ألفا: وصف موضوعي للمواقف في بيئة الفرد.

ب. ضغوط بيتا: هي الطريق التي يفسر بها الإنسان الضغوط.

- ألفا بريس: تجربة موضوعة.
- بيتا بريس: تجربة ذاتية.

6. العقد

التزم موراي بالمنهج الطولي في دراسة الشخصية وقسم مرحلة الطفولة المبكرة إلى خمس مراحل وهذه المراحل تترك بصماتها على شخصية الفرد في صورة ما أسماه موراي العقد وكل شخص يمر بهذه المراحل الخمس وتتكون لديه العقد ولا توجد مشكلة في ذلك إلا إذا شطت إحدى هذه المراحل وهذه العقد الخمس على النحو التالي:

أ. **عقدة الاحتجاز**: حياة الجنين في رحم الأم آمنة مطمئنة وعقدة الاحتجاز تبدو في الرغبة في البقاء في أماكن ضيقة دافئة مظلمة تشبه الحياة الجنينية في رحم الأم.

ب. **العقدة الفمية**: هذه العقدة هي خليط من نشاطات الفم والمظاهر السلوكية في هذه العقدة تتضمن المص والتقبيل والتماس الطعام والشراب والحاجة إلى الحب والتعاطف كما تشمل هذه العقدة الفمية على الأفعال العدوانية مثل الرفض والبصق والسب والتهكم.

ج. **العقدة الشرجية**: حيث يكون الاهتمام والانشغال بالبراز والمواد المشابهة مثل الطين والصلصال وما شابه من القاذورات ويكون الشخص عدوانياً.

د. **عقدة البول**: وهذه العقدة كان أول من قال بها موراي وترتبط بالطموح الزائد والاستعراضية وحب الذات مع تاريخ للتبول اللاإرادي.

هـ. **العقدة الجنسية (عقدة الإخصاء)**: وهي ببساطة خلق الطفل خشية استئصال القضيب وذلك بسبب الميول الجنسية الطفلية وعقاب الوالدين لهذا السبب.

أسئلة للمناقشة

1. المخ والشخصية، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة طبقاً لنظرية موراي؟
2. اشرح نظرية موراي في الحاجات وعلق عليها؟
3. اشرح نظرية موراي في الضغوط؟
4. اشرح المراحل أو العقد الخمس عند موراي؟



الفصل السادس

إريك إريكسون Erikson

السيرة الذاتية لـ إريك إريكسون (1902 – 1994)

هو عالم نفسي أمريكي ألماني الأصل، درب على التحليل النفسي الفرويدي على يد ابنة فرويد (آنا) وقد درس الشخصية من وجهة نظر التحليل النفسي إلا أنه أضاف إلى نظرية فرويد أمرين:

1. الأمر الأول زيادته لمراحل النمو على أساس أن الشخصية تظل تنمو في جميع المراحل العمرية.
2. الأمر الثاني: هو التأكيد على أثر الحضارة والتاريخ والمجتمع على الشخصية.

من أهم الكتب التي ألفها «الطفولة والشخصية» الذي أصدره عام 1964م ثم «الهوية والشباب» و«الأزمات» الذي أصدره عام 1968.

ونعرف نظرية إريكسون في النقاط التالية:

أولاً: أزمات الهوية Identity Crisis

يعرف إريكسون بالمفهوم الذي صاغه بأزمات الهوية، وهو فكرة ربما ترجع إلى أزمات الهوية التي عاناها هو شخصياً خلال مراحل حياته، والأزمة الأولى تتعلق بإريكسون في سنين حياته الأولى حيث خلط بين اسم جده واسم أبيه.

والأزمة الثانية في سن المدرسة حيث اعتبر نفسه ألمانياً حيث رفضه زملاء الدراسة الألمان على أساس أنه يهودي وكذلك رفضه زملاء الدراسة اليهود بسبب شقرته ومظهره الآري.

والأزمة الثالثة عندما تجول في أوروبا في شبابه يبحث عن الهوية وعندما بلغ الخامسة والعشرين وصل إلى فينا حيث تلقى تدريباً في التحليل النفسي وتزوج، وهكذا وجد هويته الشخصية والمهنية.

لم يحصل على درجة البكالوريوس أو الماجستير أو الدكتوراه ولكنه ثقف نفسه بنفسه ثم ذهب إلى أمريكا حيث حاضر في جامعة هارفارد أم الجامعات، وأصبح من أكبر المحللين النفسيين المعاصرين.

ثانيا: نمو الشخصية

نظرية إريكسون هي نظرية تطورية حيث تشير إلى أن نمو الشخصية يكون على مراحل تستمر مدى الحياة.

والنقطة المركزية في نظريته هي البحث عن الذات وتحقيق الهوية وقد قسم إريكسون حياة الإنسان إلى ثماني مراحل من التطور النفسي الاجتماعي وكل مرحلة تشير الى صراع معين يتطلب الحسم.

وتقوم هذه الصراعات لأن البيئة من شأنها أن تثقل كاهل الفرد بمتطلبات جديدة وقد سمى إريكسون هذه التحديات البيئية الأزمات وكل مرحلة من مراحل النمو وما يصاحبها من تحد من شأنها أن تحدث تغييراً في شخصية الفرد حيث يختار بين أسلوبين للتصرف: الأسلوب التكيفي والأسلوب غير التكيفي، عندما تحل كل أزمة بصورة مرضية فإن الفرد تكون لديه القدرة الكافية للتعامل مع المراحل التالية من مراحل النمو.

ثالثا: مراحل النمو

1. المرحلة الأساسية الفمية

تبدأ من الميلاد حتى سن سنة وتسير على مبدأ الثقة مقابل الشك وهي متوازية مع المرحلة الفمية عند فرويد، ويكون الطفل معتمداً تماماً على الأبوين للحماية خاصة الأم، وفي هذه المرحلة يكون للفم الأهمية المركزية ويقول إريكسون إن الطفل يحب ويعيش معتمداً على فمه والعلاقة بين الطفل والبيئة الخارجية هي علاقة بيولوجية في المحل الأول وفي نفس الوقت اجتماعية لأنها علاقة بين الطفل وأمه وهي التي تحدد إلى أي اتجاه الثقة أو الشك سوف يتجه.

وإذا منحت الأم الطفل الحنان والعطف والحماية فإن الطفل سوف يثق بالعالم من حوله وفي المقابل إذا كانت الأم مهملة غير معتنية بالطفل فإن هذا يؤدي إلى اتجاه سلبي عن العالم الخارجي ويتخذ موقفاً مناوئاً في مواجهة هذا العالم.

2. المرحلة الشرجية العضلية

مبدأها الاستقلال المقابل للشك أو الخجل خلال العام الثاني والثالث من حياة الطفل فإن الأطفال يحققون بسرعة النمو على مستوى القدرات العقلية ويتحركون ويلعبون ويكونون سعداء بالاتصال مع الآخرين، وفي هذه المرحلة تتاح للطفل أول فرصة للاختيار بين السلوكيات المختلفة (في حدود سنه وخبرته) ويمارس الأطفال هواياتهم المستقلة بالرغم من أنهم لا يزالون معتمدين على والديهم إلا أنهم يرون أنفسهم قوى مستقلة وإلى أي حد وإلى أي مدى يتحقق لهم ذلك أي أنهم مستقلون، وذلك تبعاً لسلوك الوالدين الذي يشجع هذا الاستقلال أو يثبطه، والنقطة الأولى التي تثير التصادم بين الآباء والأبناء هي تدريب التواليت أي التدريب على إخراج البول والبراز حيث يجب أن يتعلم الطفل كيف يأتي ذلك في المكان المناسب وفي الوقت المناسب وعندما لا يتمكن الأطفال من وضع إرادتهم موضع التنفيذ فإنهم سوف يشعرون بالخجل في علاقاتهم مع الآخرين وسوف يشعرون بالشك في أنفسهم.

3. المرحلة القضيبية الحركية

ومبدأها المبادأة مقابل الشعور بالذنب وهي تقع بين 3 إلى 5 سنوات حيث تكون العديد من القدرات العقلية والحركية قد تكونت ويريد الطفل أن يقوم ببعض الأعمال وقد يصمم على ذلك وهكذا تقوى المبادأة ونجد مظهراً آخر من هذه المرحلة وهو رغبة الطفل الذكر في الاستحواذ على الأم والغيرة من الأب ورغبة الطفلة الأنثى في الاستحواذ على الأب والغيرة من الأم (الموقف الأوديبي عند فرويد)، كيف يتصرف الوالدان حيال هذه الأمور؟

إذا عوقب الطفل وحدث كف لهذه المبادرات فإن الطفل سوف يشعر بأن هذه المبادرات ضارة ويتنامى لديه شعور بالذنب يستمر في مراحل حياته المستقبلية.

4. مرحلة الكمون

النشاط مقابل الشعور بالدونية والمرحلة تقع بين 6 و 11 سنة، وهي تقع بعد أن يلتحق الطفل بالمدرسة ونقصد بالمدرسة المدرسة الابتدائية وهي بيئة جديدة ومختلفة عن المنزل والطفل يصبح متعرضاً لتأثيرات وضغوط من خارج المنزل وهو يحصل على التقدير على إنجاز الأعمال سواء في المدرسة أو البيت وفي كل المواضع من البيت أو المدرسة فإنه يبدو على الطفل الكفاءة في الأعمال ويكون سلوكه منظماً وليس عشوائياً.

وفي هذه المرحلة كذلك يظهر بوضوح الفروق بين الجنسين في الميول والاهتمامات فنجد البنات يهتمن بالمطبخ والحياكة والأولاد يعملون نماذج السيارات والطائرات، وإذا لم يلقَ الأطفال التقدير والتشجيع في هذه المرحلة وقوبلت إنجازاتهم بالاستهزاء والاحتقار والرفض فإنه من المحتمل أن يتنامى لديهم الشعور بالدونية وعدم الكفاءة أما إذا قدم دعم وتدعيم للطفل فإنه يواصل تأثيراً إيجابياً على سلوكه وإنجازاته التي صنعها بيده ويشعر شعوراً إيجابياً بالمنافسة ويتشجع إلى أن يحقق المزيد من الإنجازات.

5. المراهقة: تحديد الشخصية مقابل ارتباك الدور

مرحلة المراهقة من 12 سنة إلى 18 سنة، وهي مرحلة تثير إشكاليات عديدة حيث يتساءل الفرد عن ذات الأنا Ego Identity حيث يطلب الشخص أن تكون صورته الذاتية صورة تتصل بالماضي وتتطلع إلى المستقبل وهذه الصورة عن الذات تشكل فكرة ذات الأنا.

وإن تشكيل شخصية الفرد هي مهمة شاقة حيث على المراهق أن يتعرف إلى مختلف الأدوار والأفكار يختار منها ما يناسبه.

ويعتبر إريكسون أن مرحلة المراهقة هي مرحلة وسط بين الطفولة والرشد والذين يجتازون مرحلة المراهقة هذه بسلام فإنه يكون عندهم شعور بالثقة بالذات أما الذين لا يجتازونها بسلام فإنهم يعانون من الشعور بأزمة الهوية Identity Crisis ومعناها الفشل في تحقيق ذات الأنا وقد ينحرفون إلى الجنوح كما أشار إريكسون إلى أثر الجماعات الاجتماعية التي ينضوي تحتها الفرد في تطوير ذات الأنا التي تتميز بالثبات.

6. الرشد المبكر: مبدأها الود مقابل العزلة

وهي المرحلة السادسة من تطور الشخصية وتمتد من نهاية المراهقة حتى بداية منتصف العمر من 18 إلى 35 حيث يحقق الفرد الاستقلال عن الأسرة وغيرها من المؤسسات المسيطرة عليه بما فيها المدرسة ويتصرف كراشد ناضج مسؤول يجد لنفسه عملاً يثبت من خلاله أنه شخص إنتاجي ويكون كذلك علاقاته مع الآخرين بما فيها العلاقات الجنسية ممثلة في الزواج.

7. الرشد: مبدأها التضحية أو النشاط مقابل الخمول

في المرحلة السابعة يجد الفرد نفسه في مرحلة وسط العمر من 35-55 سنة تقريباً ويرى إريكسون أن الفرد في هذه المرحلة من النمو في احتياج إلى شيء أكثر من الود مع

الآخرين وأن يشترك بنشاط وفاعلية في تعليم وإرشاد الجيل الجديد وهذه تحتاج إلى نشاط خارج المحيط الضيق لأسرة الشخص وهذه تتسع لكي تشتمل على الأجيال المستقبلية.

ويعتقد إريكسون أن المؤسسة الإنسانية سواء أكانت مؤسسات حكومية أو أهلية مدنية أو عسكرية تحرص على وتشجع النشاط وعندما لا يمارس هذا السلوك في وسط العمر فإن الفرد يصاب بالخمول والكسل والتراخي وعدم القدرة على التقدم للأمام.

8. **الشيخوخة: مبدأ تكامل الأنا مقابل اليأس**

هي المرحلة الأخيرة من العمر ومبدؤها تكامل الأنا والشعور باليأس وفي هذا الصدد يكون تقاعد الفرد عن عمله ويتعرض لشعور بالوحدة والخواء النفسي، وعندما ينظر الفرد في مرحلة الشيخوخة إلى عمره فيما أفناه ويراجع حياته بما فيها من سراء ومن ضراء وإحباطات ونجاحات وهنا قد يقبل الفرد نفسه وهذا القبول إشارة إلى تكامل الأنا وعلى العكس من ذلك إذا وجد الفرد حياته وكأنها ما هي إلا محاولات فاشلة وفرص ضائعة وعدم الحظ والندم على ما فات، انتابته مشاعر المرارة والحسرة بحيث يؤدي ذلك إلى اليأس.

رابعا: تعليق

كانت مساهمات إريكسون في مجالات التحليل النفسي ذات تأثير على ميادين أخرى مثل ميدان التربية وميدان العمل الاجتماعي كما أن مؤلفاته ذات شعبية واسعة بين أوساط المتخصصين والمثقفين.

والنظرية الشخصية عند إريكسون مثلها مثل معظم نظريات الشخصية لا يمكن التحقق من صدقها من الناحية التجريبية أو المختبرية بصدد تحديد مفاهيمها، وعدم وجود الاختبارات التي تقيس هذه المفاهيم.

كما تواجه إلى هذه النظرية النقد بأنها تنطبق على الذكور أكثر من الإناث إلا أن تقسيمه لمراحل النمو لاقى قبولاً حسناً لدى عدد كبير من علماء النفس وعدد كبير من المحللين النفسيين لأنها أفادتهم في فهم مراحل نمو الإنسان.

كما قام إريكسون بإنجاز مهم حيث دعا الى تطبيق نظريته على مراحل النمو النفسي عند بعض رجال من الزعماء الكبار مثل هتلر والمهاتما غاندي وجورج برناردشو وماكسيم جوركي ومارتن لوثر كنغ إلى جانب دراسته السلوكية والإنثروبولوجية عن قبائل الهنود الحمر.

وقد توجه النقد إلى أن الدراسات التي أجراها عن الزعماء الكبار هؤلاء مثل المهاتما غاندي وماكسيم جوركي وهتلر يمكن الطعن في هذه الدراسات لأن التاريخ النفسي مجرد وجهة نظر شخصية من جانب الباحث تتسم بالبعد عن الموضوعية وعدم إمكان التحقق من نتائجها.

ويفترض إريكسون أن التاريخ النفسي لا يقدم حقائق ثابتة في حياة الفرد ولكنه رؤية للباحث وقد يبدو على أنه أشبه بالأسطورة في تفسيراته ولكنه مع ذلك يقر بصعوبة الأمر وما تفرضه دراسته من آراء قد يختلف بشأنها وهذا بالطبع راجع لطبيعة كتابات إريكسون.

الملخص

إريك إريكسون عالم نفسي أمريكي، ألماني الأصل، تأثر بفرويد إلا أنه أضاف إلى نظريته أمرين:

- الأمر الأول: زيادته لمراحل النمو على أساس أن الشخصية تظل تنمو في جميع المراحل العمرية.
- الأمر الثاني: التأكيد على أثر الحضارة و التاريخ والمجتمع والشخصية.

ونظريته في النقاط الآتية:

1. أزمة الهوية: ربما ترجع إلى حياة أريكسون الشخصية حيث إنه في سن المدرسة اعتبر نفسه ألمانياً حيث رفضه زملاء الدراسة الألمان على أساس أنه يهودي، وكذلك رفضه زملاء الدراسة اليهود بسبب شقرته ومظهره الآري، لم يحصل على درجة بكالوريوس أو ما جستير أو دكتوراه ولكنه ثقف نفسه بنفسه ثم ذهب إلى أمريكا حيث حاضر في أم الجامعات هارفارد وأصبح من أكبر المحللين النفسيين المعاصرين.
2. نمو الشخصية: نظريته نظرية تطورية وتنمو الشخصية على مراحل تستمر مدى الحياة وكل مرحلة تثير صراعاً معيناً يتطلب الحسم وتقوم هذه الصراعات لأن البيئة من شأنها أن تثقل كاهل الفرد بمتطلبات جديدة ولقد سمي إريكسون هذه التحديات الأزمات.
3. مراحل النمو

أ. المرحلة الأساسية الفمية: تبدأ منذ الميلاد حتى سن سنة وتسير على مبدأ الثقة مقابل الشك وإذا منحت الأم الطفل الحنان والعطف والحماية فإن الطفل سوف يثق في العالم من حوله وفي المقابل إن كانت الأم مهمة اتخذ موقفاً سلبياً من هذا العالم.

ب. المرحلة الشرجية العضلية: مبدأها الاستقلال مقابل الشك أو الخجل خلال العام الثاني والثالث من حياة الطفل، فإن الأطفال يحققون سرعة النمو على مستوى القدرات العقلية ويرون في أنفسهم قوى مستقلة وهذا الاستقلال قد يشجعه الأبوان أو يثبطانه. والنقطة التي تثير التصادم بين الآباء والأبناء هي تدريب التواليت وإخراج البول والبراز في المكان المناسب وفي الوقت المناسب.

ج. المرحلة القضيبية الحركية: مبدأها المبادأة مقابل الشعور بالذنب وهي تقع بين 3-5 سنوات وأهم ما في هذه المرحلة هو هدف الطفل الذكر في الاستحواذ على الأم والغيرة من الأب، وهدف الطفلة الأنثى في الاستحواذ على الأب والغيرة من الأم، نفس الموقف الأوديبي.

د. مرحلة الكمون: مبدأها النشاط مقابل الشعور بالدونية وهي تقع بين 6، 11 سنة بعد أن يدخل الطفل المدرسة الابتدائية، وفي هذه المرحلة تظهر بوضوح الفروق في الميول والاهتمامات فنجد البنات يهتمين بالمطبخ والخياكة والأولاد يعملون نماذج للسيارات والطائرات، وإذا لم يلقَ الأطفال التشجيع والتقدير في هذه المرحلة يتنامى لديهم الشعور بالدونية.

ه. المراهقة: مبدأها تحديد الشخصية مقابل ارتباك الدور وهي من 12-18 سنة يتساءل الفرد فيها عن ذات الأنا حيث يطلب الشخص صورة ذاتية مثالية وعلى المراهق أن يتعرف على مختلف الأدوار والأفكار ويختار منها ما يناسبه. المراهقة مرحلة مهمة والذين يجتازونها بسلام يكون عندهم شعور بالثقة، أما الذين لا يجتازونها بسلام فإنهم يعانون من شعور بأزمة الهوية ومعناها الفشل في تحقيق ذات الأنا.

و. الرشد المبكر: مبدأها الود مقابل العزلة وتبدأ من 18-35 سنة، يحقق فيها الفرد الاستقلال عن الأسرة ويتصرف بحرية.

ز. الرشد: مبدأها النفعية أو النشاط مقابل الخمول والفرد في هذه المرحلة يشعر بالرغبة في تعليم أشياء للجيل الجديد، يعتقد إريكسون أن المؤسسة الإنسانية سواء كانت مؤسسات حكومية أو أهلية تحرص على وتشجع النشاط وعندما لا يدعم السلوك في وسط العمر فإن الفرد يصاب بالخمول والكسل.

ح. الشيخوخة: مبدأها تكامل الأنا مقابل اليأس وهي المرحلة الأخيرة من العمر، عندما ينظر الفرد في مرحلة الشيخوخة عن عمره فيما أفناه ويراجع حياته بما فيها من سراء وضراء، هنا قد يقبل الفرد نفسه، وهذا القبول إشارة إلى تكامل الأنا وعلى العكس إذا وجد الفرد حياته ما هي إلا محاولات فاشلة وفرص ضائعة فإن ذلك يؤدي إلى اليأس.

تعليق

نظرية إريكسون مثلها مثل معظم نظريات الشخصية لا يمكن التحقق من صدقها من الناحية التجريبية أو المختبرية كما توجه النقد إلى هذه النظرية أنها تنطبق على الذكور أكثر من الإناث إلا أن تقسيمها لمراحل النمو لاقى قبولاً حسناً لدى عدد كبير من علماء النفس وعدد كبير من المحللين النفسيين لأنها أفادتهم في فهم مراحل النمو الإنساني.

كما قام إريكسون بتطبيق هذه النظرية على مراحل النمو على شخصيات كبيرة مثل المهاتما غاندي وهتلر وجورج وبرناردشو.

وهذه الكتابة تمثل ما يسمى التاريخ النفسي وهي نظرة إلى أحداث التاريخ من وجهة نظر عالم النفس وهو موضوع بالغ الأهمية والتعقيد.

أسئلة للمناقشة

1. أزمة الهوية عند إريكسون، ناقش هذه العبارة؟
2. تحدث عن مراحل نمو الشخصية عند إريكسون؟
3. بين أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين نظرية إريكسون ونظرية فرويد في الشخصية؟

الفصل السابع

إريك فروم

السيرة الذاتية لـ إريك فروم Fromm (1900-1980)

درس فروم علم الاجتماع وعلم النفس ثم تدرب على التحليل النفسي وأصبح من أشهر المحللين النفسيين.

ولد في مدينة فرانكفورت بألمانيا من أبوين عصابيين، حيث عاني والده من القلق، وعانت والدته من الاكتئاب، وفي سن الثانية عشرة: صدم عندما شاهد حادث انتحار لأحد أصدقاء العائلة، وبعد سنوات قليلة صدمته أحداث الحرب العالمية الأولى وما حملته من وحشية ودمار، ولكي يفهم السلوك اللاعقلاني اتجه إلى دراسة الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وحصل على درجته العلمية عام 1922 من جامعة هيدلبرج الألمانية، وتدرب على التحليل النفسي في معاهده المتخصصة في ميونخ وبرلين وسافر إلى الولايات المتحدة عام 1934م، وحاضر في جامعة شيكاغو ثم انتقل إلى مدينة نيويورك حيث افتتح عيادة خاصة للتحليل النفسي، هذا إلى جانب قيامه بالتدريس في العديد من الجامعات الأمريكية، إلى جانب قيامه بالتدريس بالجامعة القومية بالمكسيك، حيث أسس قسماً للطب النفسي في كلية الطب بتلك الجامعة، وبعد اعتزال عام 1965م بقي على صلاته العلمية بجامعة المكسيك وببعض الجامعات الأمريكية، وفي عام 1974م سافر إلى سويسرا وبقي هناك حتى وفاته.

ومن أهم الكتب التي ألفها فروم كتاب "الهروب من الحرية" الذي أصدره عام 1941م وكتاب "قلب الإنسان" الذي أصدره عام 1964م.

ويمكن تلخيص مذهب فروم في النقاط التالية:

أولا: أثر المجتمع على الفرد

من أول الاهتمامات الأساسية عند فروم دراسة أثر المجتمع على الفرد، حيث اعتقد أن الأنظمة السياسية الحديثة -ويقصد فروم المجتمع الغربي- لم تمد الفرد بالأمان الذي يحتاج

حيث إننا نجحنا في تحرير أنفسنا من الاعتماد على البيئة الطبيعية ولكن ليجد كل منا نفسه منعزلاً عن أفراد المجتمع الآخرين.

ويرى فروم أننا عندما نتدرج في مراحل النمو من الطفولة إلى المراهقة ثم إلى الرشد فإن الفرد يحقق الاستقلال، ولكن تحقيق الاستقلال هذا يكون على حساب الشعور بالأمن، كما أن المجتمع يتجه نحو مزيد من الحركة والتعقيد وإلغاء الشخصية الفردية مما يؤدي إلى فقد العلاقات الآمنة مع الجماعات الأساسية مثل الأسرة والعشيرة أو القرية التي ينتمي إليها، هذا كما فقدنا العلاقات الآمنة مع الطبيعة نفسها، مما أورثنا الشعور بالوحدة والتفاهة.

وعلى هذا يرى فروم أننا نهرب من هذه الحرية إلى وجود أكثر أمناً، كما يرى أن القوة الدافعة في الإنسان ليس في إرضاء الدوافع الغريزية بل في تحقيق ما أسماه فروم الاعتمادية Dependence، وفي كتابه «الهروب من الحرية» الذي كتب أثناء سيادة النظام النازي في ألمانيا – أشار فروم الى ان النازية تجتذب الناس لأنها قدمت لهم أسلوباً للعودة إلى الاعتمادية وإلى الشعور بالأمن، ويرى فروم أن الطبيعة الإنسانية تحددها العوامل الاجتماعية الحضارية وليست العوامل البيولوجية.

ثانيا: التسلطية والإنسانية

حيث يرى أن من بين الأنظمة التي من خلالها نستطيع تحقيق الأمن هي التسلطية والإنسانية ذلك أن التسلطية authoritrianiscm تؤدي بالمجتمع إلى الانصياع إلى مجموعة من المبادئ الجامدة، التي تؤدي إلى حالة من العبودية والاسترقاق، كما رأى أن المجتمع الذي يمنع الفرد من تحقيق إمكانياته يولد في الفرد شعوراً بالكراهية تجاه المجتمع، أما الحل الأمثل في نظر فروم فهو الإنسانية Humanism حيث يتحد الأفراد تحت مظلة من الحب ويشارك بعضهم بعضاً في العمل مستمسكين بأهداف التعاون المشترك بحيث يشعر الفرد بالاقتراب من الآخرين، ومن ثم ينتفي شعوره بالوحدة والعزلة.

ثالثا: حاجات الفرد

ومن الشعور بالوحدة والعزلة تنشأ لدى الفرد حاجات خمس هي: الحاجة إلى معنى الشخصية الفردية، والحاجة بالشعور للانتماء للمجتمع وبأن له جذوراً فيه، والحاجة إلى تجاوز الطبيعة الحيوانية للإنسان والتحول إلى كائنات إنسانية خلاقة، والحاجة إلى تكوين علاقة آمنة مع الآخرين، وأخيراً الحاجة إلى إطار مرجعي ثابت.

كما لاحظ فروم أن المجتمع لا يقدم الوسائل الكافية لتحقيق هذه الحاجات، بل إن المؤسسات السياسية والاجتماعية تثير العديد من الصراعات، ذلك أنها ترضي بعض الحاجات على حساب الحاجات الأخرى، هذا إلى جانب أن التوحد الزائد بالقومية من شأنه أن ينازع تحقيق الحاجة إلى معنى الشخصية الفردية.

ويقدم فرويد أساليب عدة للخلاص من الشعور بالعزلة والشعور بفقدان الأمن الذي يشيع حسب اعتقاده في المجتمعات الغربية الحديثة، وأشار إلى ذلك في كتابه "قلب الإنسان" حيث أشار إلى أساليب دينامية للتوجيه Orientations، وهذه الأساليب التوجيهية هي:

1. التوجيه التقبلي receptive orientation: حيث يعتقد الأفراد أن الأسلوب الوحيد لكي يحصلوا على ما يريدون من حاجات مادية أو عاطفية هو أن ينالوها من مصدر خارجي، وهكذا يصبح الأفراد الذين يتخذون هذا التوجيه التقبلي استسلاميين ومعتمدين على الغير، ويتوقع الواحد منهم من الناس أن يهتموا به ويساعدوه.
2. التوجيه الاستغلالي exploitative orientation: حيث يتبدى هذا التوجيه الاستغلالي في السلوك العدواني، ويتوقع الأفراد الذين يتخذون هذا التوجيه أن يساعدهم الناس، بل يحاولون استغلال الناس بالحيلة أو بالإكراه، متخذين في حياتهم فلسفة شعارها "القوة هي الحق".
3. التوجيه الادخاري hoarding orientation: ويبدو هذا التوجيه في اتخاذ موقف إدراكي مضمونه: أن العالم الخارجي مصدر تهديد مما يؤدي إلى فقد الثقة بالآخرين، فالشخص الادخاري يميل إلى التملك والادخار ولا ينفق إلا القليل ولا يحقق له الشعور بالأمن إلا حيازة الأموال والعقارات.
4. التوجيه طبقاً للسوق marketing orientation: وهذا التوجيه يعكس التصور الرأسمالي، حيث يكون النجاح بمدى تقبل الناس لما يقدمه الفرد من خدمات أو مدى الرضا الذي يحصل عليه ممن يستوظفونه، ويلعب الفرد عدة أدوار بهدف أن يبيع نفسه أكثر مما يهدف إلى تحقيق إمكاناته، فمعيار النجاح حسب هذا التوجيه هو مدى نجاح الشخص في ساحة السوق وليس كفاءته الشخصية.
5. التوجيه المنتج productive orientation: التوجيهات الأربعة السابقة توجيهات مرضية، أما الشخص السوي في نظر فروم فهو الذي يبدي توجيهاً منتجاً، حيث يحقق الفرد

إمكانياته، ويصل إلى أهدافه دون أن يسيء للآخرين، ودون أن يسيء الآخرون له، وهذا يتم عن طريق «المساهمات المبتكرة» سواء في مجال عمله ومهنته أم في مجال أسرته أم في مجال المجتمع بوجه عام.

رابعا: تعليق

وثمة تعقيب على نظرية فروم نقول فيه: إن فكرة فروم تدور حول علاقة الفرد بالمجتمع، وهو متفائل فيما يخص قدرتنا على تشكيل مجتمع يساعدنا على تحقيق ذواتنا من حيث نحن كائنات بشرية، وهذه الفكرة تروق للكثيرين لأنها تعطي الأمل في تطوير المجتمع إلى الأفضل.

هذا وقد توجه النقد إلى فروم لعدم تقديمه دلائل تجريبية على الفرضيات التي اتخذها، كما توجه النقد إلى نقده للمجتمع الغربي. وذلك لأن المجتمع الغربي ينعم بقدر كبير من التقدم والرخاء والرفاهية.

ومهما يكن من أمر فإن كتابات فروم تتميز بالبساطة والسهولة بحيث لقيت رواجاً عند القارئ العادي إلى جانب رواجها في مجال علم النفس أيضاً.

الملخص

درس فروم علم الاجتماع وعلم النفس ثم تدرب على التحليل النفسي وأصبح من أشهر المحللين النفسيين في العالم.

ولد في مدينة فرانكفورت في ألمانيا وحصل على الدرجات العلمية في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس عام 1922م.

سافر إلى الولايات المتحدة 1943، ومن أهم كتبه «الهروب من الحرية» ويمكن تلخيص نظرية فروم في النقاط التالية:

1. أثر المجتمع على الفرد: اعتقد فروم أن الأنظمة السياسية الحديثة في المجتمع الغربي لم تمد الفرد بالأمان الذي يحتاج إليه. وعندما تتدرج في مراحل النمو من الطفولة إلى المراهقة إلى الرشد فإن الفرد يحقق الاستقلال ولكن على حساب الشعور بالأمن فيهرب من الحرية إلى وجود أكثر أمناً. ويرى فروم أن النازية قدمت للناس أسلوباً للاعتمادية.
2. التسلطية والأنانية: حيث يرى التسلطية تؤدي بالمجتمع إلى الانصياع إلى مجموعة من المبادئ الجامدة أما الحل فهو الإنسانية حيث يتحد الأفراد تحت مظلة من الحب ويشارك بعضهم بعضاً في العمل مستمسكين بأهداف التعاون المشترك.
3. حاجات الفرد: تنشأ للفرد حاجة إلى معنى الشخصية الفردية والحاجة بالشعور للانتماء للمجتمع والحاجة إلى تجاوز الطبيعة الحيوانية والحاجة إلى تكوين علاقة آمنة مع الآخرين وأخيراً الحاجة إلى إطار مرجعي ثابت، ويقدم فروم أساليب توجيهية للخلاص من الشعور بالعزلة والشعور بفقدان الأمن وهي:
   - التوجه القبلي: هذا التوجه يتوقع الواحد من الناس أن يهتموا به ويساعدوه.
   - التوجه الاستغلالي: يحاول أصحاب هذا التوجه استغلال الناس بالحيلة أو بالإكراه.
   - التوجه الادخاري: يميل إلى الادخار والتملك ولا ينفق إلا القليل ولا يحقق له الشعور بالأمن إلا حيازة الأموال.
   - التوجه طبقاً للسوق: هذا التصور الرأسمالي أي أن النجاح فيه هو مدى نجاح الشخص في ساحة السوق وليس كفاءته الشخصية.

- التوجه المنتج: التوجهات الأربعة السابقة توجهات مرضية أما التوجه السوي في نظر فروم فهو التوجه المنتج حيث يحقق الفرد إمكانياته ويصل إلى أهدافه دون أن يسيء إلى الآخرين.

تعليق

توجه النقد إلى فروم لعدم تقديمه دلائل تجريبية أو الفرضيات التي اتخذها وتوجه النقد إلى نقده المجتمع الغربي لأن المجتمع الغربي ينعم بقدر كبير من التقدم والرخاء وليس به أية مشكلات قوية.

أسئلة للمناقشة

1. هل أثرت حياة فروم على فكره؟ بيّن ذلك؟
2. تحت عنوان «الهروب من الحرية»، اكتب مقالة مختصرة؟
3. تحدث عن الأساليب التوجيهية عند فروم؟



الباب الثاني

المنحى السلوكي

الفصل الأول: المدرسة السلوكية

الفصل الثاني: نظرية المثير والاستجابة

الفصل الثالث: ألبرت بندورا



الفصل الأول

المدرسة السلوكية

Behaviorism

مقدمة

هي أشهر المدارس الأمريكية قاطبة، وقد أطلق عليها هذا الاسم مؤسسها الأول واطسون. وقد لعبت السلوكية دوراً مهما في مجال علم النفس فقط، ولكن في الحياة الثقافية الأمريكية بوجه عام، حيث كان تأثيرها يضارع تأثير التحليل النفسي المستورد من أوروبا.

وثمة أمور ساعدت على ظهور السلوكية لتكون مدرسة أمريكية في علم النفس وهذه الأمور هي:

- الأمر الأول: يتمثل في الاتجاهات السابقة التي نادت بالموضوعية، حيث لم يكن واطسون أول من نادى بذلك، إذ أن هناك تاريخاً طويلاً من العلماء الذين طالبوا بهذه الموضوعية، وأغلبهم من الفلاسفة، فمثلاً ديكارت الذي اتخذ أول خطوات في سبيل القول بالموضوعية في علم النفس طبق التفسيرات الميكانيكية على النفس وعلى الجسم معاً.

وبالإضافة إلى ديكارت لمان المفكر الفرنسي أوجست كونت (1798-1857) يعد مؤسس الحركة الوضعية، إذ اعتقد بأن المعلومات التي تأتينا عن طريق الملاحظة الموضوعية هي وحدها التي يمكن أن تتصف بالصدق، وعلى هذا فإن الاستبطان الذي يعتمد على الشعور الخاص لا يمكن أن يمدنا بالمعرفة الصحيحة، كما أنكر كونت بشدة العقل الفردي، وانتقد كذلك منهج البحث الذي يعتمد على الذاتية، وقال: لكي تلاحظ فإن عقلك يجب أن يتوقف عن العمل والنشاط ولكن هذا العمل والنشاط هو الذي ترغب في أن تلاحظه إذا اتبعت منهج الاستبطان، وإذا لم تكن تستطيع أن توقف النشاط العقلي فإنك لن تستطيع أن تلاحظ، وحتى لو افترضنا أنك استطعت أن توقف نشاط العقل فماذا تلاحظ؟ لا شيء بالطبع، وكان لـ أوجست كونت تأثير بالغ على

من عاصره أو جاء بعده من المفكرين، حيث شاعت بينهم الرغبة في إقامة جميع العلوم على أسس موضوعية.

- الأمر الثاني: وهو ظهور الاهتمام بعلم نفس الحيوان، وكان هذا بسبب ظهور نظرية النشوء والارتقاء عند دارون، وتأثيرها على علم النفس بوجه عام، وعلم النفس الوظيفي بوجه خاص، وقد أعطت نظرية النشوء والارتقاء هذه دفعة هائلة لدراسة علم نفس الحيوان الذي يعد الأساس الأول في نظرية واطسون السلوكية.

وقد تطور علم نفس الحيوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة بتأثير نظرية النشوء والارتقاء، وكان لهذه النظرية تأثير كبير على المفكرين الإنجليز، ولكنها لقيت معارضة شديدة من رجال الدين، وكان الاعتراض الأول هو باتجاه فكرة دارون بالاستمرارية العقلية بين الإنسان والحيوانات الدنيا، وكانت الإجابة القوية في مجابهة الاعتراضات التي أثيرت ضد النظرية هي محاولة البرهنة على هذه الاستمرارية العقلية، مما جعل من علم نفس الحيوان ضرورة لا محيص عنها، وكان هناك طريق واحد للدفاع عن نظرية دارون وهي الإبانة عن وجود العقل عند الكائنات تحت البشرية، وذلك لبيان الاستمرارية بين عقل هذه الكائنات تحت البشرية والعقل البشري.

هذا وقد بدأ دارون هذه المعركة بنفسه، وكان ذلك في مؤلفه «التعبير عن الانفعال عند الإنسان والحيوان» والذي أصدره عام 1872م، وكانت فكرته الأساسية في هذا المؤلف أن السلوك الانفعالي أو الجوانب الانفعالية عند الإنسان هي ميراث من سلوك كان مفيداً في وقت ما بالنسبة للحيوان ولكنه غير مفيد الآن بالنسبة للإنسان.

ومما يجدر ذكره أن لوب درس واطسون عدة مقررات في جامعة شيكاغو، مما لفت أنظار هذا الأخير إلى علم نفس الحيوان أكثر وأكثر.

- الأمر الثالث: هو الوظيفة الأمريكية، حيث كانت هذه الوظيفة الأمريكية هي القوة الثالثة التي أدت إلى ظهور السلوكية، فقد كان عدد السيكولوجيين الذين يتبعون المدرسة الوظيفية يميلون ميلاً شديداً إلى الاتجاه الموضوعي، وعلى سبيل المثال موقف كاتل الذي قال: «إنه ليبدو لي أن كل البحوث التي أجريتها في المختبر لا تعتمد على الاستبطان، وذلك كما هو حال البحوث في الفيزياء وعلم الحيوان»، وحتى وليم مكدوجل خصم واطسون العنيد عرف علم النفس بأنه العلم الموضوعي للسلوك، رغم أنه كان يمثل المدرسة الغرضية كما هو معروف.

- الأمر الرابع: هو الأثر الهائل للمدرسة الروسية العملاقة في علم النفس، وهي مدرسة المنعكس الشرطي التي أسسها العالم الفسيولوجي إيفان شثنوف (1829-1905) وطورها بافلوف وبخترف، ومن العجيب حقاً أن نذكر أن شثنوف يطابق الجوانب نفسها عند واطسون في موضوعيته، ولا ننسى بالطبع فضل شثنوف في السبق الزمني.

وبعد هذه المقدمة نتحدث عن أهم رجالات المدرسة السلوكية في النقاط التالية:

اولاً: جون واطسون (1878- 1958)

ولد جون واطسون في كارولينا الشمالية، وحصل على شهادة الماجستير من جامعة فورمان عام 1900م بعد دراسة جامعية لمدة خمس سنوات، ثم جذبته الدراسة في جامعة شيكاغو بتأثير من جون ديوي، واتجه إلى دراسة علم النفس التجريبي تحت تأثير أنجل كما درس الفسيولوجيا على يد لوب، وبعد ثلاث سنوات حصل على الدكتوراه عام 1903م.

وعندما كان واطسون في شيكاغو كانت دراساته منصبة على المفحوصين من الحيوانات، ذلك أنه كره أن تكون تجاربه على مفحوصين من البشر، لأنه كان يكره أن يكون هو مفحوصاً، كما أنه كان يرى أن الموقف التجريبي على مفحوصين من البشر هو موقف مصطنع وغير طبيعي، أما بالنسبة للمفحوصين من الحيوانات فإن واطسون كان يفضله، وكان يستطيع عن طريقه التوصل إلى الملاحظات العلمية الدقيقة.

وكانت رسالته في الدكتوراه تطبيقات في مجال علم نفس الحيوان، وكان أنجل من بين المشرفين عليها، وكانت تتناول دراسة الارتباط بين زيادة تعقد وتطور السلوك وزيادة الغمد النخاعي medullation في الجهاز العصبي المركزي.

وفي عام 1908 قبل واطسون وظيفة الأستاذية في جامعة هوبكنز الأمريكية حيث أكمل دراساته التجريبية العملية على الحيوانات وذلك بالتعاون مع يركز (الذي عمل لفترة قصيرة في كلية الطب بجامعة هوبكنز) حيث درس القدرات البصرية لدى الحيوان.

وفي هذا الوقت بدأ واطسون التفكير بطريقة أكثر موضوعية، وتركز اهتمامه في دراسة الحيوان، وفي عام 1912م نشرت له مقابلة بعنوان «علم النفس من وجهة نظر السلوكية»، وقد ظهرت هذه المقالة نفسها بعد ذلك بعام واحد في مجلة «المراجعات السيكولوجية» وفي هذا المقال أشار واطسون إلى أن علم النفس كما تراه السلوكية هو فرع تجريبي بحت من العلوم الطبيعية، وهدفه النظري هو التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه.

وفي عام 1914م أصدر واطسون كتابه الأول «السلوك: مقدمة في علم النفس المقارن» وتبين أن واطسون تجاهل بافلوف في طبعته الأولى، ثم عاد في طبعة تالية وأشار إليه واحتضن بعضاً من آرائه.

وفي عام 1919م نشر واطسون كتاباً ثانياً تحت عنوان «علم النفس من وجهة نظر السلوكية» وكان هذا الكتاب استكمالاً لأسلوبه في البحث، حيث توسعت طرق البحث الموضوعية لتشمل مشكلات السلوك الإنساني.

وفي عام 1920م طلق زوجته وتزوج من فتاة أخرى، وكان موقف الرأي العام تجاه هذا الزواج بالغ الحساسية، وطلب منه الاستقالة من الأستاذية في جامعة هوبكنز، وكان ساخطاً على التدخل في شؤونه الشخصية، وعمل بعد ذلك في مجال الإعلان ولعدة سنوات تالية استمر في إلقاء المحاضرات في مدينة نيويورك، ونشر الموضوعات السيكولوجية، وفي عام 1925م أصدر كتاباً عن «السلوكية» وهو تجميع لعديد من المحاضرات، ولم يصدر شيئاً ذا قيمة بعد منتصف العشرينيات لهذا الرجل، الذي كان له تأثير أيما تأثير على علم النفس.

ومهما يكن من أمرنا –نخالفه أو نوافقه– فإننا لا نملك إلا الأسف على فقدان علم النفس لرجل لامع نشيط من رجالاته، انزوى ونفي من المحيط السيكولوجي، وهو بعد في الثانية والأربعين من عمره، بينما كان من خيرة رجالاته، وفي مثل سن اعتزال واطسون بدأ عدد كبير من السيكولوجية في الظهور، ولو قدر له أن يستمر في إنتاجه العلمي وعمله الأكاديمي فربما كان للسلوكية شأن آخر.

ويمكن أن نوجز موقف واطسون في علم النفس في النقاط الآتية:

1. تعريف علم النفس

حيث يعرف واطسون علم النفس على أنه ذلك الفرع من العلم الطبيعي الذي يتخذ السلوك الحيواني أو السلوك الإنساني موضوعاً له، هذا السلوك الذي يبدو في الأفعال أو الأقوال سواء المتعلمة أو غير المتعلمة، ويرى واطسون أن أفعالنا هي سلوك، وكذلك فإن التحدث مع النفس أي التفكير هو نموذج موضوعي للسلوك، شأنه في ذلك شأن لعب كرة القاعدة «البيسبول».

وتتميز سلوكية واطسون بعلامتين رئيسيتين:

أ. التنبؤ بالاستجابة على أساس معرفة المثير.

ب. التنبؤ بالمثير على أساس معرفة الاستجابة.

ولفظ المثير والاستجابة من الألفاظ الرئيسة التي استخدمها واطسون مراراً، إذ يرى أنه لا يمكن أن نصف شيئاً من السلوك دون استخدام لفظي المثير والاستجابة، ويعني بالمثير أي حاصل في البيئة بوجه عام أو أي تغيير فيها، كأن تمنع الطعام عن الحيوان أو تمنعه عن بناء عشه، ونعني بالاستجابة ما يفعله الحيوان مثل الابتعاد أو الاقتراب من مثير ضوئي أو القفز عند سماع الأصوات، وقد تكون الاستجابة أكثر تعقيداً مثل بناء ناطحة سحاب ورسم الخطط وإنجاب الأطفال.

2. **مسلمات علم النفس**

حيث حددها واطسون بصورة صريحة فيما يأتي:

أ. السلوك مكون من عناصر للاستجابة، ويمكن تحليل السلوك بنجاح وذلك بوساطة مناهج البحث العلمية الموضوعية.

ب. السلوك مكون أساساً وكلياً من إفرازات غدية وحركات عضلية، وهو على هذا خاضع للعمليات الفسيوكيميائية.

ج. إن هناك استجابات فورية من نوع ما لكل مثير، وكذا فإن كل استجابة لها نوع ما من المثير، وعلى ذلك فإن هناك حتمية بين المثير والاستجابة.

د. العمليات الشعورية حتى وإن وجدت، لا يمكن دراستها علمياً، وإن المزاعم القائلة بالعمليات الشعورية تمثل موقفاً أشبه بالاتجاه بالتفسير بالقوى فوق الطبيعية.

3. **موقف واطسون من الغريزة**

ويتضح هذا الموقف في أن واطسون لا يعترف بمفهوم الغريزة، وفي نظره فإن كل مظاهر السلوك التي تبدو غريزية في ظاهرها هي استجابات متعلمة، فالتعلم هو أساس فهم تطور السلوك الإنساني حيث كان واطسون سلوكياً متطرفاً، وذهب إلى أبعد من مجرد إنكار الغريزة، بأن أنكر الخصائص الوراثية والإمكانيات والطاقات والمواهب من أي نوع، تلك الأشياء التي تبدو وكأنها وراثية، وهذا التأكيد على التأثير السيادي للبيئة وأنه بالإمكان تدريب الطفل على أي شيء نريده، كان هذا التأكيد سبباً في لفت الأنظار إلى واطسون.

4. **موقف واطسون من التعلم**

حيث يرى أنه لا غرائز ولا إمكانيات موروثة، وأن مرحلة المراهقة هي نتيجة للمتعلم الإشراطي في الطفولة، ومن هنا فإن التعلم يلعب دوراً أساسياً في المدرسة السلوكية، وقد تحمس واطسون للإشراط الكلاسيكي عند بافلوف، وهام في الوقت نفسه قانون الأثر عند

ثورانديك، ولم ينتبه إلى التقارب بين قانون التدعيم عند بافلوف وقانون الأثر عند ثورنديك، هذا إلى جانب أن واطسون أكد على أهمية الحداثة والتكرار في التعلم.

5. موقف واطسون من الانفعالات:

حيث يرى أن الانفعالات هي ببساطة استجابات جسمية لمثير معين، والمثير (مثل وجود خطر ما) يؤدي إلى تغيرات جسمية داخلية: وإلى الاستجابة المتعلمة المناسبة لهذا المثير، وليس في هذا شيء من الإدراك الشعوري للانفعال أو مجموعة إحساسات من الأعضاء الداخلية، وهو يرى أن كل انفعال يؤدي إلى تغيرات ميكانزم الجسم البشري، وخاصة في الجهازين الغدي والحشوي.

وقد درس واطسون المثيرات التي تؤدي إلى استجابات انفعالية عند الأطفال وأشار إلى ثلاثة من الانفعالات عدها الانفعالات الأساسية عند البشر وهي الخوف والغضب والحب، والخوف تؤدي إليه الأصوات المزعجة أو الفقد المفاجئ للمساندة، أما الغضب فيحدث نتيجة إعاقة حركة الجسم، أما الحب فيحدث نتيجة ملاطفة الجسم والربت والطبطبة، أما الاستجابات الانفعالية الأخرى فهي تقوم على أكتاف تلك الانفعالات الأساسية وذلك من خلال الإشراط، هذا وقد برهن واطسون على نظريته تلك من خلال تجربته على الطفل ألبرت وهو يبلغ من العمر أحد عشر شهراً، حيث أحدث له إشراطاً بالخوف من الحيوانات والأشياء البيضاء، إذ أحدث صوتاً مزعجاً أثناء تقديم الحيوان الأبيض له، وكانت مجرد رؤية الحيوان بعد ذلك تبعث الخوف عند ألبرت، وانتقل هذا الخوف إلى أشياء أخرى لها لون أبيض بالتعميم، وقد رأى واطسون أن الانفعالات سواء في مرحلة الطفولة أو المراهقة تتكون بالإشراط.

6. موقف واطسون من التفكير

حيث يرى أن التفكير هو لا شيء سوى سلوك حركي ضمني، كما أشار إلى أن التفكير، شأنه في ذلك شأن بقية الوظائف النفسية، هو سلوك حركي حسي من نوع ما، ودلل على ذلك بأن سلوك التفكير متضمن حركات الكلام الصامت الذي نتحدث به إلى أنفسنا، وأشار إلى أن العلاقات الأساسية لهذا الكلام الصامت هي حركات الحنجرة واللسان، وهكذا أشار واطسون إلى أن الحنجرة أداة للتفكير، وبالإضافة إلى حركات الحنجرة فثمة حركات أخرى تشير إلى عملية التفكير وهي إيماءات الوجه وتكشيراته وهز الكتفين، وهي كلها ترمز إلى ردود أفعال لمواقف مختلفة.

ومن أهم الأدلة التي تعزز نظرية واطسون أن معظمنا - إن لم يكن كلنا- يحادث نفسه أثناء عملية التفكير، ولكن ثمة وجه آخر لهذا الدليل وهو أن عملية محادثة الذات أثناء التفكير هي عملية استبطانية، حيث يرفض واطسون الاستبطان، ومن الصعب أن يبرهن مستخدماً الاستبطان على صحة فكرة للمدرسة السلوكية، ذلك أن السلوكية مطالبة بأن تقيم برهاناً على وجود حركات الكلام الضمنية، ولذلك بذلت محاولات لدراسة وتسجيل حركة اللسان والحنجرة أثناء التفكير، وهذه الدراسات أسفرت عن وجود بعض حركات لليد والأصابع أثناء التفكير، ورغم عدم قوة الأدلة إلا أن واطسون مضى إلى الاعتقاد بوجود حركات دالة على التفكير وأنه يوماً ما سوف تتطور وسائل القياس التي تكشف عنها بصورة جيدة.

ونختم هذا الحديث عن واطسون بأن نذكر أنه لقي قبولاً عظيماً ليس من علماء النفس وحدهم، بل من عامة الناس كذلك، وذلك بسبب آرائه القوية الجريئة، وكان تأثير واطسون غلاباً لأنه طالب بعالم قائم على السلوك العلمي المضبوط المتحرر من الخرافات والاعتقادات الزائفة، ومن أشهر أقواله التي يعرفها عامة الناس خارج علم النفس: «أعطني إثني عشر من الأطفال العاديين الأصحاء وسوف أقوم بتربيتهم وبتنشئتهم بطريقتي وسآخذ أي واحد منهم بطريقة عشوائية وأدربه ليكون طبيباً أو محامياً أو فناناً أو تاجراً أو حتى شحاذاً أو لصاً، وذلك بغض النظر عن مواهبهم وميولهم وقدراتهم ووراثتهم». وبالطبع لم يعطه أحد أولئك الأطفال الذين طلبهم ليمكن لنا التحقق مما قاله، ومما يجدر ذكره في هذا المقام رأي واطسون من أن العلماء منذ مئات السنين يتكلمون عن أثر الوراثة وأهميته بالنسبة لأثر البيئة دون أن يكون لديهم دليل على ما يقولون.

وبالرغم من أن الحياة الإنتاجية العلمية التي عاشها واطسون استمرت أقل من عشرين عاماً، إلا أنه أثر أيما تأثير على علم النفس مما يجعلنا نضعه في مصاف كبار علماء النفس، كما كان واطسون المثال الأمثل لطبيعة العصر التي كانت تهدف إلى التغيير، ليس في علم النفس فقط بل في فروع العلوم الإنسانية والطبيعية، ذلك أن القرن التاسع عشر شهد تحولاً هائلاً، أما القرن العشرون فقد شهد تحولاً يكاد يكون خيالياً، وساد الظن أثناء هذا الانفجار المعرفي أن العلم مع تطوره يمكنه أن يعالج كل مشكلات البشرية، وقد ساعدت سلوكية واطسون علم النفس الأمريكي في الوصول إلى الموضوعية في دراسة السلوك، وبالرغم من أن واطسون لم يحقق كل أهدافه العلمية فقد بقيت السلوكية قوة فعالة مؤثرة في علم النفس الحديث.

ثانياً: إدوارد تولمان Tolman (1886–1959)

أمريكي، وهو من السلوكيين الجدد، وتعد السلوكية الجديدة امتداداً طبيعياً لسلوكية واطسون، حيث استمرت ثلاثين عاماً تقريباً ابتداءً من عام 1930 إلى 1960، وفي هذه الفترة من الاستقرار وجد في هذه المدرسة شخصيات رائدة يعرفها كل طلاب علم النفس، على رأسهم تولمان ومنهم هل وجوثري وأخيراً عالم السلوكية العملاق سكنر.

ويعد تولمان أحد أعمدة المدرسة السلوكية، وقد اتجه أساساً إلى دراسة الهندسة، ولكنه تحول إلى علم النفس، وقد درس علم النفس في جامعة هارفارد حيث حصل على الدكتوراه عام 1915م، وقبل ذلك وفي صيف عام 1912م عمل مع أحد ثلاثي الجشطلت وهو كوفكا في ألمانيا، كما تدرب كذلك على طريقة فونت وتشنر في الدراسة باستخدام منهج الاستبطان طبقاً لأسلوب المدرسة البنائية، ثم تعرف تولمان بسلوكية واطسون وكان هذا التعرف بمثابة مثير عظيم يبعث على الراحة كما وصف ذلك هو نفسه.

وبعد حصوله على درجته العلمية عمل بجامعة نورثوسترن ثم انتقل إلى جامعة كاليفورنيا في بيركلي عام 1918م حيث قام بتدريس علم النفس المقارن وأجرى مجموعة من البحوث في موضوع تعلم الحيوان وبالذات على الفئران، وأصبح سلوكياً ولكن بصورة تختلف عن سلوكية واطسون.

وقد انقطع عن عمله العلمي في بيركلي مرتين: الأولى خلال الحرب العالمية الثانية حيث عمل بمكتب الخدمات الاستراتيجية في عام 1944، 1945، والثانية في المدة من 1950 – 1953 حيث اشتغل بأعمال علمية، منها تدريسه بجامعتي هارفارد وشيكاغو.

ويمكن أن نوجز موقف تولمان في علم النفس في النقاط التالية:

1. سلوكية تولمان القصدية

حيث أعلن عن هذه السلوكية في أول كتبه «السلوك القصدي Purposive behavior عند الإنسان والحيوان» والذي أصدره عام 1932م، ويبدو مذهبه لأول وهلة وكأنه مزاوجة بين مصطلحين متعارضين، هما القصد والسلوك، ذلك لأن إضفاء القصدية على الكائن الحي تعني وجود الشعور لديه، وبالطبع فإن المدرسة السلوكية ترفض مصطلحاً عقلياً مثل الشعور.

هذا وقد أوضح تولمان سواء في كتابه هذا أو في بحوثه الأخرى أنه سلوكي سواء في موضوع بحثه أو في منهج بحثه، وأنه لا يعود بعلم النفس إلى مفهوم الشعور، كما رفض بحدة

الاستبطان الذي قالت به البنائية، وهو مثل واطسون ليس لـه اهتمام بما يسمى التجارب الداخلية والتي لا يمكن إخضاعها للملاحظة الموضوعية، ومع ذلك فإن تولمان لم يكن سلوكياً واطسونياً ذلك لأن الرجلين يختلفان في نقطتين أساسيتين:

أ. النقطة الأولى: هي أن تولمان لم يكن مهتماً بدراسة السلوك في مستوياته الجزئية أو في صورة مثير واستجابة، وخلافاً لواطسون لم يكن مهتماً بوحدات عناصر السلوك مثل نشاط الأعصاب أو العضلات أو الغدد، وكان تركيزه على جماع السلوك، أي الاستجابة العامة للكائن الحي، ولهذا فإن مذهبه يجمع بين مفاهيم السلوكية ومفاهيم الجشطلت.

ب. النقطة الثانية: هي قول تولمان بغرضية السلوك، وهذا القول يمثل ركناً أساسياً في نظريته، وهذه الغرضية في السلوك يمكن تعريفها في عبارات سلوكية موضوعية دون الرجوع إلى الاستبطان أو مفهوم الخبرة الشعورية. ويرى تولمان أن من البديهي أن يكون السلوك موجهاً بدافع، ومثال ذلك أن القطة تريد أن تخرج من الصندوق المحير. وكذلك يتعلم الفأر السير في المتاهة، ويدرس الكائن الإنساني الموسيقى، وهو يرى في كل هذه الأنواع من السلوك روائح نفاذة للغرض، وكل السلوك موجه نحو تحقيق هدف معين، ويتم تعلم الوسائل من أجل تحقيق الغايات. مثال ذلك الفأر يجري خلال دروب المتاهة في سبيل هدف معين وفي كل مرة تقل أخطاؤه، وهنا يتعلم الفأر، أي أن حقيقة التعلم عند الفأر وعند الإنسان أيضاً هي دليل سلوكي موضوعي على وجود الغرض، ويجب أن نلاحظ هنا أن تولمان يتعامل مع استجابات الكائن الحي، وأن مقاييسه في حدود تغير الاستجابة السلوكية نتيجة التعلم، واستجابات الكائن الحي هنا هي بيانات موضوعية يتخذها أساساً لنظريته.

ومما يجدر ذكره أن نظرية تولمان كانت موضع نقد غلاة السلوكية الواطسونية، على أنها تقوم على افتراض مفهوم الشعر عند الكائن الحي وهو مفهوم ترفضه السلوكية بطبيعة الحال، ورد تولمان بقوله: إنه لا يعنيه إذا كان الكائن الحي يشعر أم لا، ذلك أن هذه الخبرة الشعورية - إن وجدت - لا تؤثر على استجابات الكائن الحي، وهذا لأنه منهم - فقط - بالاستجابات السلوكية الصريحة، ويرى تولمان في هذا الصدد أنه إذا كان ثمة وعي أو شعور بالهدف فإن ذلك أمر خاص بالكائن الحي، ولا يخضع للأدوات الموضوعية للعلم؛ لأن أي شيء لا يمكن ملاحظته من خارج الكائن الحي لا يدخل في نطاق العلم.

2. العوامل المتداخلة

حيث يرى بعض مؤرخي علم النفس أن أهم إسهام قدمه تولمان إلى علم النفس هو مفهوم العوامل المتداخلة، حيث اعتقد تولمان من حيث كونه عالماً سلوكياً، أن الأسباب المؤدية إلى السلوك، والسلوك الناتج عن هذه الأسباب، يمكن أن تكون محل ملاحظة موضوعية وتعريف إجرائي، وقال في بيان ذلك: إن أسباب السلوك تتكون من خمسة متغيرات مستقلة هي:

أ. المثيرات البيئية Environmental Stimuli (S).

ب. الحوافز الفسيولوجية Physiological Drive (P).

ج. الوراثة Heredity (H).

د. التدريب السابق Previous Training (T).

هـ. السن Age (A).

وبين المتغيرات المستقلة والسلوك النهائي، سلم تولمان بوجود عدد من العوامل المتداخلة وهي غير ملحوظة، والتي هي المحددات الفعلية للسلوك، وهي أيضاً العمليات الداخلية التي تربط بين المثيرات السابقة، والاستجابة التي تتم ملاحظتها، وعلى هذا فإن العبارة التي تقول (المثير – الاستجابة) يجب أن تعاد صياغتها بحيث تكون (المثير – الكائن الحي – الاستجابة) والعوامل المتداخلة هي تلك العوامل الموجودة في الكائن الحي، والتي تؤدي إلى استجابة معينة لمثير معين.

ولكن هذه العوامل المتداخلة لا يمكن ملاحظتها موضوعياً، فهي ليست بذات فائدة للعلم إلا إذا ربطت بصورة واضحة بكل من المتغيرات المستقلة وبالمتغير التابع أي السلوك، والمثال على ذلك المتغير المتداخل هو "الجوع"، والذي لا يمكن مشاهدته في الكائن الإنساني أو في حيوانات التجارب، ومع ذلك فإن الجوع يمكن إرجاعه إلى متغير تجريبي موضوعي مثل طول الوقت المستغرق منذ أن أكل المفحوص آخر مرة، ويمكن كذلك أن يرجع إلى استجابة موضوعية مثل كمية الأكل التي يمكن أن يأكلها المفحوص والسرعة التي يلتهمها بها، وهكذا فإن هذا المتغير المتداخل غير القابل للملاحظة، يمكن دراسته تجريبياً وتكميمياً.

هذا وقد قدم تولمان مفهوم المتغير المتداخل حتى يكون لدى علم النفس أسلوب لعمل تقريرات موضوعية دقيقة عن الحالات الداخلية والعمليات التي يمكن ملاحظتها

ويقول آخر فإن فكرة المتغيرات المتداخلة هي أسلوب لجعل هذه الحالات الداخلية مفيدة في علم النفس بحيث يمكن دراستها.

3. نظرية التعلم

حيث كانت بحوث تولمان في موضوع التعلم حافزاً للباحثين التاليين له، وتمثل مركزه المتاز في هذا المجال، وقد اعتقد تولمان أن سلوك الإنسان والحيوان (ما عدا الانعكاسات والأفعال المنعكسة البسيطة) يمكن تعديلها من خلال الخبرة، وهكذا يلعب التعلم دوراً أساسياً في نظريته السلوكية، كما أن تولمان قد رفض قانون الأثر الذي قال به ثورندايك وقال إن الثواب والعقاب ليس لهما دور في التعلم، وإن وجد فهو دور ضئيل، ومقابل ذلك قال تولمان بنظرية معرفية في التعلم والتي يؤدي فيها الأداء المتصل إلى تكوين ما يسمى صيغة علامة Sign Gestalt، وصيغ العلامة هي علامات متعلمة بين المفاتيح الموجودة في البيئة وبين توقعات الكائن الحي، كما يرى تولمان أن الحيوان يعرف جزءاً من بيئته.

ولندرس فكرة تولمان ونحن نلاحظ فأراً جائعاً داخل متاهة، فنرى الحيوان يتحرك أحياناً نحو مسارات صحيحة وأحياناً أخرى نحو مسارات خطأ، وبالصدفة يكتشف الطعام، وفي المحاولات التالية يرى تولمان أن سلوك الفأر يزيد عليه وجود غرض واتجاه لهدف السلوك وفي كل عملية اختيار تتأكد نقط للتوقعات حيث يتوقع الفأر أن اختيارات متعددة من بين المفاتيح الموجودة في بيئته المتاهة سوف تؤدي إلى الطعام، وعندما تتأكد توقعات الفأر بأن يجد الطعام فعلاً فإنه يحدث تقوية لما أسماه تولمان (صيغة العلامة) ومن نقط الاختيار المتاحة أمام الفأر في المتاهة، تتكون خريطة معرفية فيما يرى تولمان. وهذا النموذج -أي الخريطة المعرفية للمتاهة- هو ما يتعلمه الحيوان، ويسمى مجموعة من المهارات الحركية، وهذا معناه أن الفأر يكون معرفة بالمتاهة أو بأية بيئة أخرى يوضع فيها، ويتكون في مخه شيء أشبه بخريطة الموقع، وهذه الخريطة تمكنه من المضي من أية نقطة من البيئة الموضوع فيها، إلى نقطة أخرى دون أن يكون محكوماً بسلسلة من الحركات البدنية الثابتة.

ومما يجدر ذكره أن تولمان عمل في مختبره لمدة ثلاثين عاماً دارساً ومؤكداً على نظريته تلك في تعلم الحيوان، وقد أثر تولمان على علم النفس تأثيراً شديداً وإن لقي معارضة من بعض غلاة السلوكيين بسبب بعض المفاهيم العقلية في نظريته.

ثالثا: كلارك هل (1884- 1952)

أمريكي، ويلقى هل تقديراً كبيراً في علم النفس المعاصر وهو من العلماء الكبار الذين اهتموا باستخدام المنهج العلمي في علم النفس. وقليل من علماء النفس من استطاع أن يفهم الرياضة والمنطق الصوري مثل هل، كما أنه استخدم الرياضة في علم النفس بصورة لا يمكن أن يجاريه فيها أحد.

ومما يذكر أن هل أثناء طفولته وشبابه كان فريسة للمرض الذي كان ينتابه باستمرار، كما أنه عانى من ضعف الإبصار طول حياته، وقد أصيب بشلل وهو في سن الرابعة والعشرين مما أدى إلى عجز إحدى ساقيه، وكانت أسرته فقيرة مما اضطره إلى ترك الدراسة ليحصل على لقمة العيش. ولكنه مع ذلك كان ذا طاقة هائلة وقدرة فائقة على مواجهة الصعوبات.

وقد حصل على الدكتوراه من جامعة وسكونسن عام 1918م حيث كان يدرس هندسة المناجم، ولكنه تحول عنها إلى علم النفس، وكانت اهتماماته الأولى واسعة، ثم اتجه بعد ذلك إلى الدراسات في موضوع التعلم، وقد تعلم في جامعة وسكونسون من عام 1916م إلى 1929م حيث انتقل بعد ذلك إلى معهد العلاقات الإنسانية بجامعة ييل.

من أوائل الدراسات التي أصدرها هل دراسته حول التنويم والإيحائية التي أصدرها عام 1933، ومما يجدر ذكره أنه اهتم بدراسة أعمال العالم الروسي بافلوف مما لفت نظره إلى دراسة المنعكس الشرطي والتعلم، وفي عام 1940م أصدر مع خمسة من زملائه كتاب «النظرية الرياضية الاستنباطية للتعلم بالاستظهار»، وبالرغم من أن هذا الكتاب اعتبار في وقته مساهمة أساسية في علم النفس فإنه كان عسير الفهم لدرجة أنه لم يقرأه إلا قلة قليلة من الناس. أما المساهمة الثانية التي قدمها هل إلى علم النفس فهي كتابه الشهير «مبادئ السلوك» الذي أصدره عام 1943م، حيث كان يسير الفهم إلى حد ما، وفي هذا الكتاب عرض هل إطاراً مرجعياً من الاتساع بحيث يشمل كل نواحي السلوك، وبنشر هذا الكتاب اتخذ مذهب هل مركزاً مهماً في ميدان التعلم في أمريكا، وأثار في هذا الكتاب العديد من المناقشات والبحوث وأصبح هل مبرزاً بصورة واضحة، ثم أصدر كتابه الأخير «نسق السلوك» في عام 1952م وهو الكتاب الذي مات قبل أن يقرأ تجارب طباعته، ونشر بعد وفاته.

ونعرض لأهم جوانب نظرية هل في النقاط الآتية:

1. **النقطة الأولى: الإطار المرجعي للسلوك**

حيث اعتقد هل بأن السلوك الإنساني هو نتيجة تفاعل مستمر بين الكائن الحي والبيئة، وأن المثيرات التي تصطنعها البيئة والاستجابات السلوكية التي يتخذها الإنسان هي حقائق مؤكدة، ولكن هذا التفاعل يقع في نطاق أوسع من مفهوم المثير والاستجابة.

وأن المضمون الأوسع أو الإطار المرجعي هو تكيف الكائن الحي لبيئته الفريدة، وأن استمرار الكائن الحي في الحياة إنما يكون بسبب تكيفه البيولوجي، وكان هل يهدف إلى بناء علم نفس سلوكي لا مكن فيه لمفاهيم مثل الشعور والغرض أو أية فكرة عقلية من هذا القبيل، حيث حاول في سلوكيته أن يحول كل مفهوم سيكولوجي إلى مصطلح فيزيقي.

كما اعتبر هل أن السلوك الإنساني أوتوماتيكي دوري، وأن ملاحظة السلوك يجب أن تكون موضوعية تماماً بعيدة كل البعد عن الذاتية.

2. **النقطة الثانية: منهج البحث في علم النفس**

حيث يرى هل أن قوانين السلوك يجب أن تصاغ بلغة الرياضة الدقيقة، ويعد التكميم حجر الزاوية في سلوكية هل، وعلى السيكولوجيين أن يفكروا باستخدام الأسلوب الرياضي، وعلى هذا الأساس يتقدم علم النفس، وقد حدد هل أربعة أساليب يمكن أن تكون مفيدة للعلم وهي: الملاحظة البسيطة، والملاحظة المنظمة والمنضبطة، والاختبار التجريبي للفروض، وأخيراً الطريقة الفرضية والاستنباطية، وبهذه الطريقة الأخيرة يستطيع علم النفس أن يصبح موضوعياً شأنه شأن العلوم الطبيعية.

3. **النقطة الثالثة: الدوافع**

حيث عدّ هل أن أساس وجود الدافع هو إرضاء الحاجات البيولوجية، ويقوم الدافع بسبب الحاجة، وقوة الدافع يمكن تقديرها بواسطة متغيرات مثل: الحرمان، القوة، الشدة، وقرر كذلك أن الحرمان يؤدي إلى استفزاز الدافع، والدافع ليس محركاً للسلوك ولكنه مقو له، أما تحريك السلوك فإنه يكون عن طريق المثيرات البيئية.

ويرى هل أن هناك نوعين من الدوافع الأولية وهي التي ترتبط بالحاجات البيولوجية للكائن الحي، مثل الحاجة إلى الطعام والشراب والهواء والنوم والجنس والراحة من الألم، وهذه أمور أساسية للكائن الحي حتى يستطيع مواصلة الحياة، أما المجموعة الأخرى فهي الدوافع الثانوية أو الدوافع المتعلمة، وهي التي ترتبط بالمواقف أو المثيرات الموجودة في البيئة

والتي ترتبط بتحقيق الدوافع الأولية ثم تصبح هي نفسها دوافع، مثال ذلك أن الشخص قد تلسعه حرارة الفرن، وعملية الحرق هذه تؤدي بالكائن الحي إلى التماس دوافع الخلاص من الألم أو تجنب الألم، ولكن المثير الذي يرتبط بهذا الموقف وهو الفرن يبقى مثيراً للخوف المتعلم ويبقى مثيراً لتجنب الألم، وهذا دافع متعلم لتجنب الألم، وهناك العديد من الدوافع المتعلمة، ذلك أن التعلم يلعب دوراً هاماً في نظرية هل.

4. **النقطة الرابعة: التعلم**

حيث تقوم نظرية هل، على أساس الدافعية، وقد يكون هذا مثيراً للدهشة باعتباره من علماء السلوكية، ولكن التعلم عنده هو آلية تسمح للكائن الحي بإرضاء حاجاته، وذلك في ضوء مدى وتنوع مجهوداته.

وثمة جزء مهم في نظرية هل في التعلم وهو المزاوجة بين قانون الأثر عند ثورندايك والإشراط عند بافلوف حيث اعتقد أن التعلم يمكن أن يفسر بمبادئ مثل الحداثة والتكرار والتدعيم، ويقول هل عن مبدأ التدعيم: إنه عندما تحدث علاقة بين المثير والاستجابة يصاحبها إرضاء لحاجة من الحاجات، فإن من المتوقع إذا تكرر موقف المثيل والاستجابة أن يتكرر الإرضاء وتكون الرابطة بين المثير والاستجابة عند هل راجعة إلى إرضاء الحاجة، وعلى هذا فإن حجر الزاوية في نظرية التعلم عند هل هو أن التدعيم إنما يكون بإرضاء الحاجات الأساسية.

كما أشار هل إلى أن العلاقة بين المثير والاستجابة إنما يقويها عدد من التدعيمات، وسمى قوى العلاقة بين المثير والاستجابة بقوة العادة، والتي تشير إلى استمرارية التدعيم، ولا يمكن أن يحدث التعلم في غياب التدعيم الذي من شأنه أن يحقق إرضاء الحاجات.

وبالطبع فإن هذه العجالة التي عرضت فيها نظرية هل هي اختصار شديد لأهم مساهماته في علم النفس، وقد لقيت أعماله حظاً كبيراً من التقدير، وقدراً كبيراً من النقد أيضاً، وقد وجهت إلى نظريته اعتراضات أهمها: عدم عمومية هذه النظرية، وكذلك ما شاب محاولته التكميمية من قصور في أن التكميم غير قابل للتعميم على جميع موضوعات علم النفس، كما وجه النقد إلى فرضياته على أساس أنها فرضيات غير دقيقة، وأن نظريته بوجه عام فيها الكثير من الاختلافات والفجوات.

وبالرغم من ذلك فإن هذه الاعتراضات لم تقلل من أهمية هل وعظيم مكانته في علم النفس، فقد أسدى هذا الرجل إلى علم النفس خدمات جليلة منها أنه أجرى بحوثاً كثيرة

بالغة الدقة، وذلك بقصد الوصول إلى نظريته، ثم بقصد تدعيم هذه النظرية، كما أسهم في إضفاء الصياغات الموضوعية على دراسات علم النفس ناهيك عن براعته في صياغة نظريته، مما يعد درساً مستفاداً لطلاب علم النفس، وهو في مجال الصياغة التنظيرية بين علماء القمة بلا جدال.

رابعاً: بورهوس سكنر Skinner (1904-1990)

يعد سكنر وجهاً من وجوه علم النفس المعاصر، وتشتمل اهتماماته على مجالات واسعة، ولسنوات عديدة كان سكنر قائد السلوكية الأمريكية بلا منازع.

ولد سكنر عام 1904م في مدينة صغيرة شمال شرقي بنسلفانيا، وبقي في تلك المدينة حتى ذهب إلى الجامعة، ويقول عن البيئة التي عاش فيها طفولته أنها: «دافئة هادئة»، وقد التحق بالمدارس الثانوية نفسها التي تعلم فيها والده. ويقال إنه أحب المدرسة حباً جماً، وكان دائماً أول طالب يصل كل صباح، كما كان له اهتمامات في طفولته ومراهقته حيث كان يصنع الطوافات والمقاليع والمزالج، وكان شديد الاهتمام بدراسة الحيوان بالإضافة إلى أنه كان يحتفظ بعدد من الحيوانات الأليفة مثل السلاحف والضفادع والسحالي، إلى جانب اهتمامه الخاص بالحمائم الذي ظهر فيما بعد، أضف إلى ذلك أنه كتب عدداً كبيراً من القصص والمقالات الأدبية.

وقد حصل على درجته الجامعية في اللغة الإنجليزية، حيث أراد أن يكون كاتباً، ولكنه بعد أن عمل بالكتابة لمدة سنتين قرر «أنه ليس لديه شيء يقوله» ثم قرأ -أثناء اطلاعاته الواسعة- أعمال واطسون وبافلوف لأنه كان مهتماً بالدراسة النظرية والأدبية لسلوك الإنسان، ثم قرر أن يتجه إلى الدراسة العلمية لهذا السلوك والتحق بجامعة هارفارد لدراسة علم النفس في برنامج الدراسات العليا، ولم يكن قد سبق له أن درس أي مقرر في علم النفس في أية جامعة، ومن أجل إتمام دراساته العليا قيد نفسه بقيود شديدة، حيث كان يستيقظ في السادسة صباحاً ويذاكر حتى موعد الإفطار ثم يذهب إلى قاعة الدراسة وإلى مختبرات الجامعة وإلى المكتبة بدون فترات راحة، إلا عدة دقائق، ويستمر في الدراسة والمذاكرة حتى التاسعة مساءً حيث يذهب للنوم، وظل طوال فترة الدراسة لا يستمتع بمقتضيات الوقت المتاحة للشباب، وبعد سنتين حصل على الدكتوراه عام 1931م، وقد اهتم في دراسته للدكتوراه بفرض مؤداه أن الفعل المنعكس هو ارتباط بين مثير واستجابة بلا زيادة أو إضافة.

ومن أهم معالم حياته العلمية أنه قام بالتدريس في جامعة مينسوتا في المدة 1936-1945 وفي جامعة انديانا في المدة من 1945-1947 وفي عام 1947م عاد إلى جامعة هارفارد.

ومن أهم مؤلفاته:

أ. سلوك الكائن الحي، أصدره عام 1938م.

ب. العلم والسلوك الإنساني، أصدره عام 1953م.

ج. السلوك اللفظي، أصدره عام 1957م.

د. الحرية والكرامة، أصدره عام 1971م.

وذلك بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات العلمية.

ويمكن أن نوضح نظرية سكنر في النقاط الآتية:

1. النقطة الأولى: مقدمة عامة

حيث يشبه سكنر في وجوه عديدة واطسون وتظهر روح واطسون في كتابات سكنر، والنسق الذي يقول به سكنر هو نوع من السلوكية الوصفية وهو في طبيعته نظام لا نظري، وجعل اهتمامه هو وصف السلوك أكثر من شرحه وتفسيره، وهو يتناول السلوك الذي يمكن إخضاعه للملاحظة، ويعتقد سكنر أن عمل البحث العلمي هو إقامة علاقات وظيفية بين ظروف المثير المنضبطة تجريبياً وبين استجابة الكائن الحي.

وفي كتابه "العلم والسلوك الإنساني" قال سكنر: إن الكائن الحي الإنساني هو عبارة عن آلة، ومثله مثل أية آلة أخرى، يتصرف الكائن الإنساني الحي من خلال قوانين وأساليب وذلك في استجابته للقوى الخارجية أو المتغيرات التي تؤثر عليه، وعلى هذا فإن سكنر لا يهتم أبداً بتنظير أو تأمل ما يحدث داخل الكائن الحي ولا يتضمن برنامجه دراسة القوى الداخلية سواء وصفت بأنها عوامل متداخلة أو عمليات فسيولوجية، ومهما يحدث بين وقوع المثير ووقوع الاستجابة فإنه لا يمثل شيئاً ذا قيمة علمية بالنسبة لسلوكية سكنر، وقد سميت هذه السلوكية الوصفية البحتة بأسلوب الكائن الحي الفارغ empty organism، إذ ليس هناك شيء داخل الكائن له فائدة أو ضرورة لشرح السلوك، ذلك أن الكائن الحي معرض لتأثيرات قوى البيئة أي قوى العالم الخارجي وليست قوى توجد في أنفسنا.

وبالرغم من أن مذهب سكنر مذهب لا نظري فإنه لا يعارض التنظير كلية بل يعارض التنظير الفج في غياب المعلومات المؤكدة الكافية، وفي مقابلة أجريت معه عام

1968م قال إنه يهدف إلى الوصول إلى نظرية عامة للسلوك البشري، تأتي بمجموعة من الحقائق، وسأكون مهتماً بتبني مثل هذه النظرية.

وخلافاً لعدد كبير من السيكولوجيين المعاصرين فإن سكنر لا يؤمن باستخدام أعداد كبيرة من المفحوصين ودراسة نتائجهم إحصائياً، بل يهتم بالدراسة المركزة على مفحوص واحد.

2. **النقطة الثانية: الإشراط الإجرائي**

حيث يعرف طلاب علم النفس جميعاً صندوق سكنر كما يعرفون نظريته في التعلم بالإشراط الإجرائي operant conditioning مقابل ما أسماه سكنر التعلم بالسلوك المستجيب respondent behavior حيث أنه في الموقف الإشراطي عند بافلوف فإن مثيراً معيناً تصاحبه استجابة، وذلك بشرط التدعيم وتكون الاستجابة السلوكية محددة بواسطة موقف مشتمل على مثير ملحوظ.

ولكن الإشراط الإجرائي الفعال من ناحية أخرى يحدث دون مثير خارجي ملحوظ، وتكون استجابة الكائن الحي وكأنها تلقائية بحيث لا ترجع هذه الاستجابة إلى مثير ملحوظ وليس معنى ذلك أنه ليس هناك بالتحديد مثير يؤدي إلى استجابة، ولكن معناه أنه ليس هناك مثير يمكن اعتباره سبباً عندما تحدث الاستجابة.

وفرق بين كلب بافلوف وفأر سكنر، إن الكلب في تجربة بافلوف لا يمكنه إلا أن يستجيب عندما يقدم المجرب له المثير ولا يستطيع الكلب أن ينصرف من تلقاء نفسه ليحد من المثير، ولكن سلوك الفأر في صندوق سكنر له دور فعال في الحد من المثير الطعام، إذ عندما يضغط الفأر على القضيب، فإنه يتلقى الطعام، أو لا يحصل على الطعام إلا إذا ضغط على القضيب، وهكذا يطلق سكنر على التعلم عند كلب بافلوف السلوك المستجيب بينما يطلق على تعلم فأره التعلم الإجرائي.

ويرى سكنر أن التعلم الإجرائي أقرب إلى أن يكون ممثلاً للتعلم الإنساني في مواقف الحياة اليومية، ولأن السلوك هو غالباً إجراءات متنوعة فإنه يجب في دراساتنا لعلم النفس أن نهتم بدراسة الإشراط الإجرائي.

والتجربة الكلاسيكية عند سكنر عبارة عن قضيب في صندوق سكنر يوضع فيه فأر حرم من الطعام، ويسمح له بالتجول داخل الصندوق، وأثناء تجواله هذا يصطدم -عاجلاً أو آجلاً- بقضيب يتصل برافعة متصلة هي الأخرى بمستودع لحبات من الطعام بحيث تسقط

واحدة من هذه الحبات –عند حركة القضيب– أمام الفأر، وبعد عدد قليل من التعزيزات يحدث الإشراط، ومن الملاحظ هنا أن سلوك الفأر في البيئة –وهو الضغط على الرافعة– أمر أساسي في توفير الطعام، أما سرعة الاستجابة أو سرعة الضغط على القضيب في تجربة صندوق سكنر فإنه يتم تسجيلها على ورقة بواسطة مؤشر.

ومن هذه التجربة الأساسية اشتق سكنر ما أسماه قانون الاكتساب Law of acquisition والذي يقول إن قوة الإشراط الإجرائي تزيد دائما يستتبعه مثير معزز، وبالرغم من أهمية الممارسة في إيجاد سرعات عالية لضغط الفأر على القضيب إلا أن التعزيز هو العامل الأساسي، وأن الممارسة وحدها لن تزيد سرعة لجوء الفأر إلى الضغط على القضيب، بل إن كل ما تفعله الممارسة هو تمهيد الفرصة لكي يحدث التعزيز أثره.

ويعرف سكنر الدافع في حدود عدد ساعات حرمان الفأر من الطعام، هذا وقد قام سكنر وتلاميذه بدراسات عن مختلف موضوعات التعلم وتتضمن دراساتهم أثر العقاب في اكتساب الاستجابة وأثر التدعيم وانطفاء الاستجابة والتعزيز والتعميم، كما استخدم سكنر الحمائم في دراساته للتعلم والإشراط الإجرائي، وكذلك الآدميين حيث كانت دراسة الإشراط الإجرائي عندهن تتضمن حل المشكلات وذلك عن طريق السلوك اللفظي.

3. النقطة الثالثة: جداول التدعيم

حيث يعد سكنر مبرزاً في دراسة ما يسمى جداول التدعيم أو جداول التعزيز Schedules of Reinforcement ذلك أن الضغط على القضيب الحديدي في صندوق سكنر يؤكد أهمية التعزيز في السلوك الإجرائي، وفي هذا الموقف فإن سلوك الفأر يدعم في كل ضغطة على القضيب، ذلك أن الفأر يتلقى الطعام في كل مرة يضغط فيها بطريقة صحيحة على القضيب، ومع ذلك فإن التعزيز في العالم الواقعي ليس من قبيل التأمل أو التفكير العلمي، بل من ضرورة عملية، ذلك لكي يكون التعزيز متقطعاً، وهناك أمثلة على ذلك في أن الطالب لا يحصل على تقديرات مرتفعة في كل اختبار، وكذلك يعمل الموظف رغم أنه لا يحصل على علاوة في كل مناسبة، إذن كيف يتأثر السلوك بهذه التعزيزات المتقطعة؟ أتكون جداول التعزيز –أي ربط التعزيزات بجداول زمنية– مؤثرة على السلوك؟ وقد عمل سكنر سنوات طويلة في الإجابة على هذه الأمثلة.

هذا وقد ظهر الاهتمام بدراسة الجداول الزمنية للتعزيز ليس من التأمل أو التفكير العلمي، بل من ضرورة عملية، ذلك أنه حدث عجز في أحد الأيام في حبات الطعام وسائل

سكنر نفسه ماذا لو عزز الفأر بحبة الطعام، كل دقيقة بغض النظر عن عدد الاستجابات التي يأتيها الفأر بلمس القضيب؟

وفي مجموعة من الدراسات قام بمقارنة بين التعلم عن طريق التدعيم لكل استجابة، وعن طريق التدعيم في فترات زمنية محددة، وهو ما أسماه سكنر التعزيز في فترات محددة Fixed Interval Reinforcement، حيث يعطى التعزيز مرة كل دقيقة أو مرة كل أربع دقائق، والنقطة الأساسية هي أن التعزيز لا يعتمد على استجابة الحيوان، بل يعتمد على انقضاء فترة زمنية معينة، ومثال ذلك الأجر المدفوع للعامل كل شهر أو كل أسبوع، فالأجر هنا يدفع ليس نظير عدد معين من الوحدات الإنتاجية (أي الاستجابات) بل نظير عدد معين من الأيام أو الأسابيع التي تنقضي.

وقد تبين بالبحث أنه كلما كانت الفترة بين كل تعزيز وآخر قصيرة فإن الحيوان يستجيب بصورة أسرع، وبالمقابل فعندما تكون الفترة بين التعزيزات أطول فإن سرعة الاستجابة تقل بصورة واضحة.

كما درس سكنر ما أسماه التعزيز المثبت النسبة Fixed ratio reinforcement وفي هذه الحالة يقدم التعزيز ليس بناءً على فترة زمنية محددة بل بناءً على عدد من الاستجابات سابقة التحديد بحيث يحدد الحيوان متى سوف يتم التعزيز؟ هل بعد حدوث عشر استجابات أو عشرين استجابة؟ وليس من الغريب أن الحيوانات كانت تستجيب في نموذج التعلم المثبت النسبة بصورة أسرع من نموذج التعلم بحسب قوائم الفترات الزمنية المحددة.

4. النقطة الرابعة: السلوك اللفظي

حيث اهتم سكنر بدراسة السلوك اللفظي Verbal behavior وهو المجال الوحيد الذي أقر فيه بوجود فوارق بين الإنسان والفأر، ويرى سكنر أن الأصوات التي تصدر من الكائن الحي وتمثل الكلام هي استجابات يمكن تعزيزها عن طريق كلام الآخرين أو إيماءاتهم، وذلك بالأسلوب نفسه الذي يعزز به سلوك الفأر التجارب بواسطة الطعام.

ويتطلب السلوك اللفظي في نظر سكنر موقفاً فيه شخصان أحدهما متحدث، والآخر مستمع، والمتحدث يأتي باستجابات وهي الأصوات، والمستمع -بسلوكه الذي يتضمن التعزيز أو عدم التعزيز أو الرد المتضمن الاستهجان- يتحكم في الاستجابات التالية للمتحدث ومثال ذلك إذا استعمل المتحدث كلمة أو عبارة معينة، ومن سماع هذه الكلمة أو العبارة ابتسم المستمع وقال هذا حسن فإن هذا يزيد من احتمال أن يستعمل المتحدث

الكلمة نفسها مرة ثانية، أما إذا قام المستمع عند سماع هذه الكلمة أو العبارة بإبداء تكشيرة في الوجه أو رد تهكمي أو استهجان من أي نوع، فإن هذا يزيد من احتمال عدم لجوء المتحدث إلى استخدام الكلمة نفسها أو العبارة في المستقبل.

ويمكن ملاحظة هذا الموقف عندما يتعلم الأطفال الصغار التحدث إذ يشاهدون ويسمعون ردود أفعال الآباء وهم ينطقون الكلمات بطريقة خطأ، أو يتفوهون بكلمات نابية، ومن هنا يتعلمون تحدث اللغة من الآباء.

ولا بد بعد هذا العرض الموجز لمذهب سكنر من التعرض له بشيء من التعليق، ذلك أن سكنر لقي -كما لقي رجالات السلوكية- قدراً كبيراً من التقدير وقدراً كبيراً من النقد، وكان موقفه حيال منتقديه هو التجاهل وعدم الاهتمام، ولقد قال مرة عندما قرأ عرضاً لأحد كتبه، قرأت جزءا من هذا العرض ولم أكمل الباقي، ذلك أنه عرض أخطأ هدفه، وأن لا أرد على من ينتقدوني بل لا أهتم بقراءة ما يكتبون، وهناك الكثير من الأشياء المفيدة التي أشغل وقتي بها، وهذه الأشياء أكثر نفعاً من أن أصحح سوء الفهم لديهم.

ومن أهم الأمور التي وجه النقد فيها إلى سكنر تركيزه على دراسة التعلم بواسطة صندوق سكنر، ذلك لأن هناك مجالات أخرى للتعلم أهملها سكنر تماماً، ومهما يكن من أمر الانتقادات الموجهة إليه إلا أن علم النفس الأمريكي المعاصر تأثر بأعماله أيما تأثير بحيث يمكن القول بأنه من أبرز وجوه علم النفس الأمريكي، إن لم يكن أبرزها على الإطلاق.

وقد لقي سكنر تقديرات علمية عديدة منها أن الجمعية الأمريكية لعلم النفس منحته عام 1958م جائزة المساهمة المتميزة على أساس أنه عالم مبتكر متحمس، كذلك منح عام 1968م الميدالية القومية للعلوم وهي أعلى تشريف تمنحه حكومة الولايات المتحدة للمساهمات العلمية المتميزة، إلى جانب أنه منح عام 1971م الميدالية الذهبية من المؤسسة الأمريكية لعلم النفس، وهذا كله دليل على قدر هذا الرجل ومكانته في علم النفس، وبوفاته أصبحت المدرسة السلوكية بلا أب يحميها ولا يوجد في الساحة السيكولوجية سواء على المستوى الأمريكي -أو العالمي- من هو قادر على شغل الفراغ الذي حدث بوفاة عملاق علم النفس المعاصر!!

ملخص السلوكية

السلوكية هي أشهر المدارس الأمريكية قاطبة وقد أطلق عليها هذا الاسم مؤسسها الأول واطسون وقد لعبت السلوكية دوراً مهماً ليس في مجال علم النفس فقط ولكن في الحياة الثقافية الأمريكية بوجه عام، حيث كان تأثيرها يضارع تأثير التحليل النفسي المستورد من أوروبا.

ممهدات السلوكية

ثمة أمور ساعدت على ظهور السلوكية وتكون المدرسة الأمريكية في علم النفس وهذه الأمور هي:

- الأمر الأول: يتمثل في الاتجاهات السابقة التي نادت بالموضوعية، حيث إن هناك تاريخا طويلا من العلماء طالبوا بهذه الموضوعية قبل واطسون منهم ديكارت وأوجست كونت.
- الأمر الثاني: هو ظهور الاهتمام بعلم نفس الحيوان وكان هذا بسبب ظهور نظرية النشوء والارتقاء عند داروين، ومن أهم مبادئ هذه النظرية الاستمرارية بين الإنسان والحيوان أو الاستمرارية بين عقل هذه الكائنات تحت البشرية والعقل البشري وألف في هذا المجال داروين كتابه التعبير عن الانفعال عند الإنسان والحيوان.
- الأمر الثالث: هو المدرسة الوظيفية الأمريكية حيث كانت هذه المدرسة تميل ميلاً شديداً إلى الاتجاه الموضوعي.

الأمر الرابع: هو الأثر الهائل للمدرسة الروسية العملاقة في علم النفس وهي مدرسة المنعكس الشرطي التي أسسها العالم الفسيولوجي إيفان سيتشانوف وطورها بافلوف وبختريف.

جون واطسون

حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو 1903م وفي عام 1912 نزلت له مقالة بعنوان علم النفس من وجهة نظر السلوكية وفي هذا المقال أشار واطسون إلى أن علم النفس كما تراه السلوكية هو فرع تجريبي بحت من العلوم الطبيعية، وهدفه النظري هو التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه.

نوجز موقف واطسون في علم النفس في النقاط التالية:

1. يعرّف واطسون علم النفس بأنه ذلك الفرع من العلم الطبيعي الذي يتخذ السلوك الحيواني أو السلوك الإنساني موضوعاً له، هذا السلوك الذي يبدو في الأفعال والأقوال سواء المتعلمة أو غير المتعلمة وتتميز سلوكية واطسون بعلامتين رئيسيتين:
   1. التنبؤ بالاستجابة على أساس معرفة المثير.
   2. التنبؤ بالمثير على أساس معرفة الاستجابة.

ولفظ المثير والاستجابة من الألفاظ الرئيسية التي يستخدمها واطسون مراراً، والمثير هو أي حصر في البيئة بوجه عام أو أي تغيير فيها.

ونعني بالاستجابة ما يفعله الحيوان مثل الابتعاد أو الاقتراب من مثير ضوئي أو القفز عند سماع الأصوات. وقد تكون الاستجابة أكثر تعقيداً مثل بناء ناطحات السحاب.

2. مسلمات علم النفس عند واطسون:
   أ. السلوك مكون من عناصر الاستجابة ويمكن تحليل السلوك بنجاح وذلك بواسطة مناهج البحث العلمية الموضوعية.
   ب. السلوك مكون أساساً وكلياً من إفرازات غدية وحركات عضلية.
   ج. إن هناك استجابة فورية من نوع ما لكل مثير.
   د. إن العمليات الشعورية إن وجدت لا يمكن دراستها علمياً.
3. موقف واطسون من الغريزة: أنكر واطسون مفهوم الغريزة وقال إن كل مظاهر السلوك التي تبدو غريزية هي استجابة متعلمة.
4. موقف واطسون من الانفعالات: حيث يرى أن الانفعالات هي ببساطة استجابة جسمية لمثير معين، والانفعالات الأساسية عند البشر ثلاثة:
   1. الخوف: تؤدي إليه الأصوات المزعجة أو الفقد المفاجئ للمساندة.
   2. الغضب: يحدث نتيجة إعاقة حركة الجسم.
   3. الحب: يحدث نتيجة ملاطفة الجسم والربت والطبطبة.

5. موقف واطسون من التفكير: حيث يرى أن التفكير هو لا شيء سوى سلوك حركي ضمني كما أشار إلى أن التفكير شأنه في ذلك شأن بقية الوظائف النفسية سلوك حركي حسي من نوع ما.

تولمان

حصل على الدكتوراه من جامعة هارفارد أم الجامعات عام 1915، ويتلخص موقفه في علم النفس في النقاط الآتية:

1. سلوكية تولمان القصدية: يبدو مذهبه لأول وهلة كأنه مزاوجة بين مصطلحين متعارضين هما القصد والسلوك وذلك لأن إضفاء القصدية على الكائن الحي تعني وجود الشعور لديه وبالطبع فإن المدرسة السلوكية ترفض مصطلحاً عقلياً مثل الشعور.
2. العوامل المتداخلة: حيث يرى بعض مؤرخي علم النفس أن أهم مساهمة قدمها تولمان إلى علم النفس هي مفهوم العوامل المتداخلة وأن السلوك يتكون من خمسة متغيرات مستقلة هي:

   أ. المثيرات البيئية.

   ب. الحوافز الفسيولوجية.

   ج. الوراثة.

   د. التدريب السابق.

   ه. السن.

   وعلى هذا يجب تعديل العبارة التي تقول المثير الاستجابة يجب أن تعدل بحيث تكون المثير - الكائن الحي - الاستجابة. والعوامل المتداخلة هي تلك الموجودة في الكائن الحي والتي تؤدي لاستجابة معينة لمثير معين.
3. نظرية التعلم: قدم تولمان نظرية معرفية في التعلم وهي التي يؤدي فيها الأداء المتصل إلى تكوين ما يسمى صيغة العلامة. وصيغة العلامة هي علامات متعلمة بين المفاتيح الموجودة في البيئة وبين توقعات الكائن الحي، كما يرى تولمان أن الحيوان يعرف جزءاً من بيئته فالفأر في المتاهة يسير أحياناً نحو مسارات صحيحة وأحياناً أخرى نحو مسارات خاطئة، وبالصدفة يكتشف الطعام وتتكون لديه صيغة علامة أو خريطة معرفية للمتاهة بحيث يكون الفأر عارفاً للمتاهة كبيئة يعيش فيها وتتكون في مخه أشبه بخريطة الموقع.

كلارك هل

عالم نفس أمريكي، حصل على الدكتوراه من جامعة ويسكونسن عام 1918م حيث كان يدرس هندسة المناجم ولكنه تحول عنها إلى علم النفس.

نلخص جوانب نظرية هل في النقاط الآتية:

1. الإطار المرجعي للسلوك: حيث اعتقد بأن السلوك الإنساني هو نتيجة تفاعل مستمر بين الكائن الحي والبيئة وأن المثيرات التي تصطنعها البيئة والاستجابات السلوكية التي يتخذها الكائن الحي أو الإنسان هي حقائق مؤكدة. ومعنى ذلك أن الإطار المرجعي هو تكيف الكائن الحي لبيئته الفريدة كما اعتقد هل أن السلوك الإنساني سلوك أوتوماتيكي دوري وأن ملاحظة السلوك يجب أن تكون موضوعية تماماً بعيدة كل البعد عن الذاتية.
2. مناهج البحث في علم النفس: يرى هل أن قاعدة السلوك يجب أن تصاغ بلغة الرياضة الدقيقة أي بلغة الأرقام، وقد حدد هل أربعة أساليب يمكن أن تكون مفيدة للعلم وهي:
   أ. الملاحظة البسيطة.
   ب. الملاحظة المنظمة أو المنضبطة.
   ج. الإطار التجريبي للفروض.
   د. الطريقة الفرضية والاستنباطية.
3. الدوافع: أساس وجود الدوافع هو إرضاء الحاجات البيولوجية ويقوم الدافع بسبب الحاجة ويرى هل أن هناك نوعين من الدوافع الأولية التي ترتبط بالحاجات البيولوجية للكائن الحي مثل الحاجة إلى الطعام والشراب والهواء والنوم والجنس والراحة من الألم وهذه الأمور أساسية للكائن الحي حتى يستطيع مواصلة الحياة. أما المجموعة الأخرى من الدوافع فهي الدوافع الثانوية أو المتعلمة.
4. التعلم: تقوم نظرية هل على أساس الدافعية والتعلم عنده آلية تسمح للكائن الحي بإرضاء حاجاته وذلك في ضوء مدى وتنوع مجهوداته.

أشار هل إلى أن العلاقة بين المثير والاستجابة إنما يقويها عدد من التدعيمات ويسمى قوى العلاقة بين المثير والاستجابة بقوة العادة.

سكنر

عالم نفس أمريكي حصل على درجة جامعية في اللغة الإنجليزية ثم انصرف عن الكتابة بعد قراءته أعمال واطسون وبافلوف وقرر أن يتجه إلى الدراسة العلمية لهذا السلوك أي: علم النفس فالتحق بجامعة هارفارد لدراسة علم النفس، حصل على الدكتوراه عام 1931م.

ونوضح نظرية سكنر في النقاط الآتية:

1. مقدمة: يشبه سكنر في جوانب عديدة واطسون، ويقول إن الكائن الحي الإنساني هو عبارة عن آلة ومثله مثل أية آلة أخرى يتصرف الكائن الإنساني من خلال قوانين وأساليب وذلك في استجابته للقوى الخارجية والمتغيرات التي تؤثر عليه.
2. الإشراط الإجرائي: حيث يعرف طلاب علم النفس جميعاً صندوق سكنر كما يعرفون نظريته في التعلم بالإشراط الإجرائي مقابل ما أسماه سكنر التعلم بالسلوك المثير حيث إنه في المواقف الشرطية عند بافلوف فإن مثيراً معيناً تصاحبه استجابة معينة.

فرق بين كلب بافلوف وفأر سكنر: فالكلب في تجربة بافلوف لا يمكنه إلا أن يستجيب عندما يقدم المدرب المثير له ولا يستطيع الكلب أن يتصرف من تلقاء نفسه ليحد من المثير ولكن سلوك الفأر صندوق سكنر له دور فعال للحد من مثير الطعام إذ عندما يضغط الفأر على القضيب فإنه يتلقى الطعام أو لا يحصل على الطعام إلا إذا ضغط على القضيب وهكذا يطلق سكنر على التعلم عند كلب بافلوف السلوك المستجيب بينما يطلق على التعلم عند فأره التعلم الإجرائي ويرى سكنر أن التعلم الإجرائي أقرب أن يكون ممثلاً للتعلم الإنساني في مواقف الحياة اليومية وأن السلوك غالباً هو إجراءات متنوعة.

التجربة الكلاسيكية عند سكنر

عبارة عن قضيب في صندوق سكنر وضع فيه فأر حرم من الطعام يسمح له بالتجول داخل الصندوق وأثناء تجواله هذا يصطدم بقضيب عاجلاً أو آجلاً متصل بأخرى بمستودع لحبات الطعام بحيث تسقط واحدة من حبات الطعام عند حركة القضيب أمام الفأر وبعد عدد قليل من التعزيزات يحدث الإشراط.

أما سرعة الاستجابة بالضغط على القضيب في صندوق سكنر فإن هذا يتم تسجيله على ورقة بواسطة مؤشر.

ويعرف سكنر الدافع في حدود عدد ساعات حرمان الفأر من الطعام، وقد قام سكنر وتلاميذه بدراسات عن موضوعات التعلم مثل التدعيم والانطفاء والتعزيز والتعميم.

1. جداول التدعيم أو التعزيز: إن دراستنا لجداول التدعيم أو التعزيز تكونها بالضغط على قضيب حديد في صندوق سكنر يؤكد أهمية التعزيز في السلوك الإجرائي وفي هذا الموقف فإن سلوك الفأر يدعم في كل ضغطة على القضيب ذلك أن الفأر يتلقى الطعام في كل مرة يضغط فيها بطريقة صحيحة على القضيب، وقد تبين أنه كلما كانت الفترة بين كل تعزيز وآخر فترة قصيرة فإن الحيوان يستجيب بصورة أسرع، وبالمقابل فعندما تكون الفترة بين التعزيزات أطول فإن سرعة الاستجابة تقل بصورة واضحة.

2. السلوك اللفظي: اهتم سكنر بدراسة السلوك اللفظي وهو المجال الوحيد الذي أقر فيه بوجود فوارق بين الإنسان والفأر ويرى أن الأصوات التي لا تصدر من الكائن الحي وتمثل الكلام كاستجابات يمكن تعزيزها عن طريق كلام الآخرين أو إيماءاتهم، وذلك بالأسلوب نفسه الذي يعزز به سلوك فأر التجارب بواسطة الطعام، ويتطلب السلوك اللفظي في نظر سكنر شخصين أحدهما يتحدث والآخر يستمع والمتحدث يأتي باستجابات وهي الأصوات والمستمع بسلوكه الذي يتضمن التعزيز أو عدم التعزيز أو الرفض المتضمن الاستهجان الاستهجان يتحكم في الاستجابات التالية للمتحدث ومثال ذلك يستعمل المتحدث كلمة أو عبارة معينة ومن سماع هذه العبارة أو الكلمة يبتسم المستمع وقال هذا حسن، فإن هذا يزيد من احتمال أن يستعمل المتحدث نفس الكلمة مرة ثانية أما إذا قام المستمع عند سماع هذه الكلمة أو العبارة بإبداء تكشيرة في الوجه أو رد تهكمي أو استهجان من أي نوع فإن هذا يزيد من احتمال عدم استخدام المتحدث الكلمة نفسها أو العبارة في المستقبل.

ويمكن ملاحظة هذا الموقف عندما يتعلم الأطفال الصغار التحدث إذ يشاهدون ويسمعون ردود أفعال آبائهم وهم ينطقون الكلمات بطريقة خطأ أو يتفوهون بكلمات نابية وهنا يتعلمون التحدث.

أسئلة للمناقشة

1. ما العوامل التي ساعدت على ظهور المدرسة السلوكية؟
2. نظرة واطسون إلى الإنسان، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
3. اشرح نظرية تولمان في فرضية السلوك؟
4. كيف يفسر هل السلوك الإنساني؟
5. استخلص من أعمال سكنر نظريته في الشخصية؟



الفصل الثاني

نظرية المثير والاستجابة

اولا: جون دولارد (1900-1980)

أمريكي، ولد في ويسكونسن، حيث حصل على درجته الجامعية الأولى عام 1922، وعلى الدكتوراه في علم الاجتماع عام 1931 من جامعة شيكاغو، ثم قام بتدريس علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا في جامعة ييل، ومن أهم ملامح سيرته العلمية أنه تلقى تدريباً على التحليل النفسي في معهد برلين للتحليل النفسي واستمر اهتمامه بالتحليل النفسي والعمل الإكلينكي والعلوم الاجتماعية خلال حياته الأكاديمية.

ثانيا: نيل ميلر (1907-.....)

أمريكي، ولد في ويسكونسن، حصل على الدكتوراه من جامعة ييل عام 1950، ثم عمل بنفس الجامعة وقامت علاقة في ذلك الوقت بينه وبين هل ودولارد وتدرب على التحليل النفسي في معهد فينا للتحليل النفسي.

وفي عام 1966 انتقل إلى جامعة وكفولار وأثناء تواجده في جامعة ييل ساهم في إرساء نظرية المثير والاستجابة خاصة في موضوع الدوافع وأصبح شخصية علمية لامعة في مجال التعلم.

ومن أبرز الأحداث في سيرته العلمية أنه عين رئيساً لجمعية علم النفس الأمريكية عام 1951.

شارك هذان العالمان في صياغة نظرية المثير والاستجابة وتنسب إليهما وتعرف باسم نظرية دولارد وميلر وقد أصدرا أعمالا مشتركة كثيرة أهمها الإحباط والعدوان عام 1939 والتعلم الاجتماعي والمحاكاة عام 1941 والشخصية والعلاج النفسي عام 1950.

ثالثا: نظرية المثير والاستجابة في الشخصية

يولد الطفل لا حول له ولا قوة ولكنه مزود بعدد من الدوافع الأولية مثل الجوع والعطش وليس لديه أية دوافع أخرى مثل الموجودة عند الراشدين، هذه الدوافع التي تميز الراشد كشخصية في مجتمع معين أو ينتمي إلى طبقة اجتماعية معينة مهتمة محدودة طبقاً للدوافع المهمة مثل الرغبة في الحصول على المال، ومثلاً الطموح أن يكون فناناً أو طالب علم أو ما يشعر به الفرد من ذنب أو ما يعانيه من مخاوف كل هذا من البيئة.

ونناقش جوانب نظرية المثير والاستجابة في النقاط التالية:

1. البناء Structure

لفظ الاستجابة هو مفتاح نظرية المثير والاستجابة ويرى هيل أن الرابطة بين المثير والاستجابة تسمى العادة Habit وبناء الشخصية أو تكوينها هو في جوهره مجموعة من العادات التي تعلمها الكائن الحي أو الفرد.

وكذلك بالنسبة لفكرة هِل عن الدوافع يعرف بأنه مثير قوي إلى درجة أن يدفع السلوك ويحركه.

وهناك فرق بين الدوافع الأولية الولادية الفطرية وبين الدوافع الثانوية المكتسبة ذلك أن الدوافع الأولية ترتبط بظروف فسيولوجية عند الكائن الحي أما الدوافع الثانوية فهي متعلمة مكتسبة.

ومن الدوافع الهامة المكتسبة دافعا القلق والخوف وهما قائمان على أساس دافع فطري هو الألم (أو الاستعداد الفطري عند الإنسان للشعور بالألم بسبب مثيرات بيئية والخوف من الممكن أن يتعلمه الكائن الحي بسرعة من مواقف محدودة).

2. نمو الشخصية

تفسر نظرية المثير والاستجابة التعلم على أنه تجميع تراكمي لعادات تكونت وارتبطت ببعضها البعض في ترتيب (تدرجي) تبعاً لأهمية كل منها وتفسير دولارد وميلر للتعلم الاجتماعي قائم على مفهوم التقليد imitation كما أن عملية التلقين تعتمد على التدعيم الإيجابي للسلوك فنرى طفلاً يسمع أباه يفتح باب الشقة فيسارع إليه، ويرحب به، هنا يعطيه والده بعض الحلوى، وعندما تشاهد أخته الصغرى ذلك فإنها تقلد أخاها لتحصل هي الأخرى على الحلوى، ومن خلال عملية التعميم تقلد السلوكيات الأخرى الخاصة

بأخيها وتؤكد دراسات هل على أهمية المكافأة في عملية تربية الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية ومثال ذلك أنه في إحدى دراسات هل عن تربية الأطفال تبين أن أعلى الأطفال في السمات الإيجابية كانت عند الأطفال الذين تتسم أمهاتهم بعلاقات الدفء والحب ولكنها أي الأم في ذات الوقت تستخدم أسلوب التلميح بالكف عن مظاهر الحب والحنان كأسلوب لضبط الأمور.

وتؤكد نظرية المثير والاستجابة على أهمية التعلم أو اكتساب صفات الشخصية من خلال الروابط بين المثير والاستجابة وطبقاً لما يقدمه الوالدان من ثواب أو عقاب على السلوكيات المختلفة للأطفال هذا بالإضافة إلى ما يقدمه الآخرون المحيطون بالطفل من ثواب أو عقاب على نواحي السلوك المختلفة.

3. الاضطراب النفسي

كان دولارد وميلر من السابقين في ربط مبادئ نظرية التعلم بموضوع الشخصية خاصة موضوع السلوك اللاسوي وفي هذا السياق أكدا على أهمية مفاهيم الدافع وصراع الدوافع والقلق والتدعيم.

وأكد دولارد وميلر على أهمية تعلم الأطفال الأساليب المقبولة اجتماعياً لإرضاء الدوافع خاصة تلك الدوافع المتصلة بتعلم الطعام والشراب وتدريب الحمام Toilet training والسلوك الجنسي والسلوك العدواني، وعندما يدرجون في النمو أي الأطفال فإنهم قد يرتكبون بعض الأخطاء في طريقة إرضاء الدوافع وهنا يكون العقاب من الوالدين ونتيجة هذا العقاب فإن الطفل يتكون لديه دافع الخوف في علاقته بأحد المثيرات.

4. أنواع الصراع

1. صراع الإقدام والإحجام: خلال عملية النمو قد يحدث أن نفس المثير يؤدي إلى استجابات مختلفة ويؤدي ذلك إلى ما يسمى صراع الإقدام والإحجام، مثل شاب يريد مغازلة فتاة هذا إقدام ولكنه يخاف من توبيخها له فهذا إحجام.

ويرى دولارد وميلر أن صراع الإقدام والإحجام من المصادر الأساسية للعصاب نتيجة لهذا الصراع، وما يصاحبه من قلق يتكون عرض من شأنه أن يخفف القلق ويريح الشخص من الضغوط التي يؤدي إليها الصراع ويعطي دولارد وميلر مثالاً لحالة فتاة 23 سنة حدثت لها مخاوف لا أساس لها أي مخاوف مرضية أو مخاوف شاذة ذلك أنها كانت حريصة على عدد ضربات قلبها لأنه في ظنها أن قلبها سوف يتوقف إن هي أغفلت

إحصاء معدل ضرباته، وبدأت متابعتها عندما أصيبت بحالة إغماء وهي تتسوق من أحد المحال التجارية، هنا حدث لها خوف من الخروج وحدها من المنزل، ولقد فسر دولارد وميلر هذه الأعراض على أنها مظاهر للصراع حول الخوف من الجنس وعندما كانت هذه الفتاة تسير في الشارع وحدها ينتابها الخوف من الإغواء الجنسي وتشعر أن شخصاً ما سوف يحاول مواقعتها جنسياً، وحدث بالنسبة لهذه المرأة أو الفتاة أن ازدياد الرغبة الجنسية أدت إلى الشعور بالقلق والشعور بالذنب بحيث كان من الضروري البقاء في المنزل وعدم الخروج منفردة إلى الشارع، كما أن إحصاء عدد ضربات القلب رغم كذلك لأن عملية إحصاء ضربات القلب جعلها تركز في هذه المهمة بحيث لا يكون لديها متسع من الوقت لكي تفكر في موضوع الجنس، وهذه الحالة تبين لنا كيف يفسر دولارد وميلر السلوك حيث يستعملان المصطلحات الخاصة بهم (الدافع وصراع الدافع والقلق والتدعيم) والحالة السابقة تدل على كيفية تأثير صراع الإقدام الإحجام في أحداث المرض النفسي.

ب. صراع الإقدام الإقدام: هو اختيار الشخص لأحد أمرين كلاهما حلو أو كلاهما لذيذ، مثال أن يختار الشخص بين أمرين أن يذهب لمشاهدة فيلم أو يذهب إلى المسرح أو تختار الفتاة بين عريسين متقدمين كلاهما من الأغنياء ومن الناجحين وهذا الصراع نادر في الحياة.

ج. صراع الإحجام الإحجام: يختار الإنسان بين أمرين كلاهما شر أو أحلاهما مر، كأن تختار الزوجة البقاء مع زوج تكرهه أو تطلق منه وتشرد أبناءها، كلا الأمرين صعب.

5. **الحاجات الأولية والتعلم**

يبدأ الطفل الوليد حياته وهو مزود بمجموعة من الحاجات الفطرية الأولية مثل الحاجة إلى الطعام والماء والأكسجين والدفء ورغم أن هذه الحاجات فطرية إلا أن السلوكيات التي ترتبط بها متعلمة مكتسبة ومثال ذلك عملية الرضاعة فإن مص الثدي عند الطفل هو استجابة عندما تحك الأم حلمة الثدي في فم الطفل فيلقم الثدي ويأخذ في الرضاعة كعملية فطرية.

وبوجه عام فإن الدوافع الفطرية طريقة إرضاءها مكتسبة، فمثلاً نفضل بعض الأطعمة على بعض، تناول الطعام فطري، وتفضيل بعض الأطعمة على بعض أمر مكتسب، فالشعب الفرنسي وهو من أرقى شعوب العالم يفضل أكل الضفادع التي تنفر منها

نحن المصريين أشد النفور ونتأفف أشد التأفف ونفضل عليها طبقا من الفول المدمس اللذيذ الذي نتناوله بالهنا والشفاء. المسألة مجرد تعلم دافع إرضاء الطعام هو هو وتعلم طريقة إرضاء الدافع تختلف.

ونكمل المثال ونقول أن ثمة شعوب تشرب الماء القراح وثمة شعوب تشرب العصير أو النبيذ إلى غير ذلك. الحاجة الفطرية هي هي ولكن أسلوب إرضائها تختلف من حضارة إلى أخرى.

وما يقال عن الطعام يقال عن الأمور الأخرى مثل الملابس أو المسكن أو القيم، فهي تختلف من مجتمع إلى آخر.

ومعظم سلوكيات الإنسان دوافع مكتسبة قائمة على أساس الدوافع الفطرية وقد بين دولارد وميلر فكرة قيام الدوافع المكتسبة على أكتاف الدوافع الفكرية كما يتضح من الأمثلة السابقة.

ويبدو أن البشر يحاولون جهد المستطاع أن يحققوا أهدافاً مثل جمع المال والإحسان وتحقيق الذات والمنافسة ويبين دولارد وميلر كيف تحولت هذه الحاجات الأولية إلى دوافع توجه سلوكيات الناس.

الافتراض الأساسي عند مدرسة المثير والاستجابة أن السلوك مكتسب متعلم وهذا السلوك يمكن أن يحكم عليه من أربعة عوامل تشترك فيها الشخصيات جميعاً السوية وغير السوية، هذه العوامل الأربعة هي:

1. الدافع Drive.
2. المشعر Cue.
3. الاستجابة Response.
4. التدعيم Reinforcement.

ولكي نتعلم لا بد أن نريد شيئاً want وأن نلاحظ شيئاً notice وأن نفعل شيئاً do وأن نحصل على شيء get، أي أنه لكي نتعلم يجب أن نريد وأن نلاحظ وأن نفعل ثم نحصل ونذكر مثالاً عن أحد حيوانات التجارب في المختبر النفسي، هذا الحيوان يدفعه دافع الجوع، وهنا ينشغل بالبحث عن الطعام حتى يتفق له أن يرى رافعة -الرافعة هنا مهدي- هنا استجابته تكون أولاً طبعاً بالصدمة فيضغط على الرافعة صدفة بحيث تسقط أمامه حبة من

الطعام يلتهمها فرحاً وفوراً، هذا الإرضاء للدافع يعتبر مكافأة وتدعيما، وعندما يجوع الفأر مرة ثانية فإنه في أغلب الأحوال سيقوم بالضغط على الرافعة أو القضيب حتى يتلقى الطعام ذلك أن الارتباط بين المثير المشعر هو القضيب أو الرافعة والاستجابة هذه الرابطة قد تم تقويتها، وفي الحالات الثانية سوف يتجه الفأر فوراً إلى الضغط على القضيب او الرافعة ليحصل على الطعام.

ونوضح ذلك مرة ثانية فنقول أن دولارد وميلر يريان أن المثير القوي سواء كان داخلياً أو خارجياً سوف يستثير الكائن الحي للرد على هذا المثير أو الاستجابة طبقاً له أو الاستجابة حياله وكلما كان المثير قوياً كلما كانت قوة الاستجابة أو كلما قوي المثير كلما قويت قوته الدافعة ومثير خفيف مثل الصوت المنخفض لا يمكن أن يحرك السلوك مثل الصوت المرتفع، ومن الأمثلة على المثيرات القوية تقلصات المعدة أو الأمعاء أو ما يسمى بالمغص. والمغص الكلوي الناتج عن وجود حصوات بالكلى أو التهاب بها أو الضوضاء العالية بما يتجاوز 100 ديسيبل و 120 ديسبل وعندما يكون أي مثير قوياً يكون دافعاً مثل الجوع والعطش والتعب والألم الجسمي، والجنس هي الأسس الأولية للدوافع وهذه المثيرات هي دوافع أولية ولادية وقوة الدوافع الأولية ترتبط بمدى إرضاء هذه الدوافع وكلما كان الحرمان منها شديداً كلما كان الدافع قوياً.

أما المشعر أو مثير الشخص للاستجابة حيث تحدد المشعرات أو المهديات متى يستجيب وأين يستجيب وأي الاستجابات سوف يختار.

ومثلاً بالنسبة للأطفال في المدرسة عندما يدق جرس الفسحة أو جرس الاستراحة وعند ذلك يترك الأطفال دروسهم ويبادرون إلى فتح حقائبهم وتناول ما فيها من أطعمة وأشربة.

والمشعرات والمهديات أو المثيرات Cues قد تكون سمعية أو بصرية أو شمية وإلى جانب ذلك قد يختلف المثير في شدته وهذا الاختلاف في الشدة هو نفسه أحد المهديات أو المشعرات وإذا كان ثمة تأثير قوي فإنه يتحول إلى أن يكون دافعاً وهذا معناه أن المثير يمكن أن يكون دافعاً وأن يكون في نفس الوقت مشعراً يحرك الشخص ويوجهه في نفس الوقت فوجود الطعام أمام أي شخص جائع هذا مثير يتحول إلى دوافع لتناول الطعام ومشعراً في نفس الوقت بأن يتناوله هنا والآن مثلاً هذه الاستجابة.

6. الصراع العصابي Neurotic conflict

مثل فرويد اعتبر دولارد وميلر أن الصراع أساس كل سلوك عصابي، وعند فرويد فإن الصراع العصابي يحدث بسبب التصادم بين الدوافع الغريزية التي تتطلب الإرضاء وبين الموانع التي تحول إرضاء هذه الدوافع من الموانع التي أقامها المجتمع وقد طبق دولارد وميلر نفس الفكرة على نظرية المثير والاستجابة.

ومن وجهة نظر دولارد وميلر أن الخوف الشديد (القلق هو دافع متعلم يؤدي إلى الصراع) وهو استجابة لدوافع أخرى قوية مثل الجنس والعدوان وعندما يبدأ شخص عصابي في سلوك يؤدي إلى تحقيق التوتر الناتج عن دوافع الجنس أو العدوان يتولد لديه شعور شديد بالخوف.

حالة هانز: إعادة نظر

عارض السلوكيون النظرية الفرويدية في العصاب حيث فسروا العصاب من خلال مفاهيم التعلم، وتفسير فرويد للعصاب يدور على النحو التالي:

دوافع غريزية تتطلب إرضاء فوريا وبما أن التعبير عن هذه الدوافع الغريزية يؤدي إلى عقاب شديد فإن ذلك يؤدي إلى قلق الطفل حيال دوافعه ويحاول أن يكبتها أو يقمعها حتى يخفض القلق فإن الطفل قد يلجأ إلى بعض الحيل النفسية مثل الإسقاط أو التبرير أو أحلام اليقظة، وفي العصاب فإن هذه الحيل تتحطم على صخرة الواقع ثم تعبر عن نفسها في صور عديدة مثل المخاوف الشاذة أو الأفكار القهرية أو الأفعال القهرية وتكون أساس العصاب في سنوات الطفولة الأولى، ومثل ذلك حالة الطفل هانز الصغير وهي حالة شهيرة، طفل في الخامسة من عمره ظهرت عنده حالة خوف مرضي تجاه الخيول حيث انتابه خوف من أن الحصان سوف يعضه بعد رؤيته لحصان يجر عربة حيث انزلق الحصان وسقط على الأرض في شارع قريب من منزله وظهرت الفوبيا على شكل أنه يرفض الخروج من المنزل وفسر فرويد هذه المخوفة الشاذة على أساس أنها نتيجة لصراعات داخلية عند الطفل وهذه الصراعات ناتجة عن رغبته في أن يحل محل أبيه ويمتلك أمه ويتزوجها وهذه الرغبات خلقت لديه الخوف أن يقوم الأب بإخصائه ويمثل الحصان الأب الذي يخشاه.

إن تفسير السلوكية هذه الحالة يقوم على أساس أنه لا توجد صراعات داخلية أو أية أمور من هذا الشكل، إن هانز شاهد حصاناً يقع من الشارع وهذا كان أمراً كافياً لتخليق الخوف عند الطفل الصغير (عمره 5 سنوات) ومن ثم فقد عمم هذا الخوف على بقية

الأحصنة بحيث نتج عن ذلك سلوك تجنبي وهكذا فإن عملية إشراطية بسيطة يمكن أن تفسر المخوفة الشاذة التي عند هانز لأن الحصان كان جزءاً من الخبرة المخيفة وأصبح الحصان مثيراً إشراطياً للقلق وعمم الخوف على الأحصنة الأخرى أو المواقف الأخرى.

يمكن لنا من دراسة حالة هانز الصغير من أوضح الأمثلة في تفسير استجابة القلق التي تحدث عند الإنسان الذي يمر بخبرة صدمية أو بخطر محدق، ومن الأحداث التي تخلف قلقاً حادث قتل أحد الأشخاص أو خبرات ساحات المعارك الحربية أو تحطم إحدى الطائرات وهلاك من فيها.

وبعد كل خبرة صدمية فإن الفرد أكثر احتمالاً أن يستجيب بالقلق للخبرات الأليمة التي سوف تحدث في المستقبل ومثال ذلك نزلاء معسكرات النازي الذين نجوا من القتل عاشوا سنوات طويلة من عمرهم بالغي الحساسية لأي مثير فيه شيء من التهديد وكانت تظهر عليهم علامات سلوكية سنية كاستجابة على المواقف المهددة بالقلق واضطرابات النوم وهذا من شأنه أن يعيد الفكرة التي تقول إن القلق استجابة الخوف المتعلمة واستجابة الخوف المتعلمة هذه أو المكتسبة تستعصي على الانطفاء هذا تفسير مدرسة المثير والاستجابة.

الملخص

جون دولارد

عالم نفس أمريكي، تدرب على التحليل النفسي في معهد برلين للتحليل النفسي وهو أستاذ بجامعة هل.

ميل ميلر

عالم نفس أمريكي، تدرب على التحليل النفسي في معهد فينا للتحليل النفسي، ساهم مع دولارد في إنشاء نظرية المثير والاستجابة.

نظرية المثيرة والاستجابة

تناقش نظرية المثير والاستجابة في النقاط الآتية:

1. البناء: بناء الشخصية هو في جوهره مجموعة من العادات التي تعلمها الكائن الحي أو الفرد والعادة رابطة بين مثير واستجابة.
2. الدافع مثير قوي يحرك السلوك: هناك دوافع أولية ولادية فطرية وهناك دوافع ثانوية مكتسبة.
3. نمو الشخصية: تفسر نظرية المثير والاستجابة التعلم على أنه تجميع تراكمي لعادات تكونت وارتبطت بعضها ببعض في ترتيب هرمي.
4. تؤكد دراسات هل على أهمية المكافأة في عملية تربية الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية وتؤكد نظرية المثير والاستجابة على أهمية التعلم أو اكتساب صفات الشخصية من خلال الروابط بين المثير والاستجابة.
5. الاضطراب النفسي: كان دولارد وميلر من السابقين في ربط مبادئ نظرية التعلم بموضوع الشخصية، وأكد دولارد وميلر على أهمية تعلم الأطفال الأساليب المقبولة اجتماعياً لإرضاء الدوافع خاصة تلك المتعلقة بتعلم الطعام والشراب وتدريب الحمام.
6. أنواع الصراع: خلال عملية النمو تحدث صراعات هي:

أ. صراع الإقدام والإحجام: مثل شاب يريد مغازلة فتاة هذا إقدام، ولكنه يخاف من توبيخها له هذا إحجام.

ب. صراع الإقدام الإقدام: مثل اختيار الشخص بين أمرين كلاهما حلو أو كلاهما سار.

ج. صراع الإحجام الإحجام: يختار الفرد بين أمرين كلاهما شر أو أحلاهما مر.

ويرى دولارد وميلر أن صراع الإقدام الإحجام من المصادر الأساسية للعصاب، ويعطي دولارد وميلر مثال لحالة فتاة في سن 23 سنة حدثت لها مخاوف شاذة حيث كانت حريصة على عدد ضربات قلبها لأن في ظنها أن قلبها سوف يتوقف إن هي أغفلت إحصاء معدل ضرباته وكانت هذه الفتاة عندما تسير في الشارع وحدها ينتابها الخوف من الإغواء الجنسي وتشعر أن شخصاً ما سوف يحاول مواقعتها جنسياً وحدث لها شعور بالقلق الشديد بحيث كانت لا تخرج منفردة إلى الشارع.

7. الحاجات الأولية والتعلم: يبدأ الطفل الوليد حياته وهو مزود بمجموعة من الحاجات الفطرية الأولية مثل الحاجة إلى الطعام والماء والأكسجين برغم أن هذه الحاجات فطرية إلا أن السلوكيات المرتبطة بها متعلمة مكتسبة تناول الطعام فطري وتفضيل بعض الأطعمة على بعض أمر مكتسب فالشعب الفرنسي يفضل أكل الضفادع التي تنفر منها نحن المصريين، وما يقال عن الطعام يقال عن الأمور الأخرى مثل الملابس أو المسكن أو القيم، فهي تختلف من مجتمع إلى آخر.

ومعظم سلوكيات الإنسان عوامل مكتسبة قائمة على أساس الدوافع الفطرية وهذا هو المبدأ الأساسي عند مدرسة المثير والاستجابة.

إن السلوك المكتسب والمتعلم ممكن أن نحكم عليه من أربعة عوامل تشترك فيها:

أ. الدافع.

ب. المثير.

ج. الاستجابة.

د. التدعيم.

ولكي نتعلم لا بد أن نجد شيئاً وأن نلاحظ شيئاً وأن نفعل شيئاً وأن نحصل على شيء، ومثال لذلك حيوان التجارب في المختبر، فأر يشعر بالجوع فهنا ينشغل بالبحث عن الطعام حتى يرى الرافعة وهي هنا مهدي ومشعر هنا استجاباته تكون طبقاً للصدفة حيث يضغط على الرافعة فتسقط حبة الطعام أمامه وأغلب الظن أنه عندما يشعر بالجوع فإنه سيقوم بالضغط على الرافعة مرة ثانية.

ويرى دولارد وميلر أن المثير القوي سواء أكان داخلياً أو خارجياً سوف يستثير الكائن الحي للرد على هذا المثير أو الاستجابة طبقاً له وكلما كان المثير قوياً كلما كانت قوة الاستجابة. وعندما يكون أي مثير قوياً يكون دافعاً مثل الجوع والعطش والتعب والألم الجسمي وهذه المثيرات هي دوافع أولية ولادية أما المشعر فهو مثير الشخص للاستجابة بحيث تحدد المشعرات أو المهديات متى نستجيب أو لا نستجيب وأي الاستجابة سنختار.

والمشعرات والمهديات أو المثيرات قد تكون سمعية أو بصرية أو شمية والمثير يمكن أن يكون دافعاً وأن يكون في نفس الوقت مشعراً يحرك الشخص ويوجهه في نفس الوقت فوجود الطعام أمام شخص جائع هذا مثير يتحول إلى دافع بتناول الطعام ومشعر في نفس الوقت بأن يتناوله هنا، والآن مثلاً هذه استجابة.

8. الصراع العصابي

حالة هانز: إعادة نظر

عارض السلوكيون النظرية الفرويدية في العصاب حيث فسرو العصاب من خلال مفاهيم التعلم.

تفسير فرويد أن ثمة الدوافع الغريزية تتطلب الإرضاء الفوري ولكن التعبير عنها يؤدي إلى عقاب شديد لذا يؤدي إلى كف الطفل حيال دوافعه ويحاول أن يكتبها أو يلجأ إلى الحيل النفسية مثل الإسقاط والتبرير وأحلام اليقظة، وفي العصاب فإن هذه الحيل تتحطم على صخرة الواقع ثم تعبر عن نفسها في صور عديدة من المخاوف الشاذة أو الأفكار القهرية؛ مثال ذلك حالة الطفل هانز وهو طفل في الخامسة من عمره ظهر عليه خوف مرضي تجاه الخيول حيث انتابه الخوف من أن حصان سوف يعضه، بعد رؤيته لحصان يجر عربة وانزلق وسقط على الأرض، وظهرت الفوبيا على شكل أنه يرفض الخروج من المنزل، وفسر فرويد هذه المخوفة الشاذة على أنها نتيجة صراعات داخلية عند الطفل، وهذه الصراعات نتيجة عن رغبته في أن يحل محل أبيه ويمتلك أمه ويتزوجها.

أما تفسير السلوكية لهذه الحالة فيقوم على أساس أنه لا توجد أمور من هذا القبيل، إن هانز شاهد حصاناً يقع في الشارع كان أمراً كافياً لتخليق الخوف عند الطفل الصغير (عمره 5 سنوات) ويعمم عامل الخوف على بقية الأحصنة بحيث نتج السلوك التجنبي وهو خوف الخروج من المنزل.

ويعد كل خبرة صدمية فإن الفرد أكثر احتمالاً أن يستجيب بالقلق للخبرات الأليمة التي سوف تحدث في المستقبل ومثال ذلك نزلاء معسكرات النازي الذين نجوا من القتل عاشوا السنوات الباقية من عمرهم بالغي الحساسية لأي مثير فيه شيء من التهديد وكانت تظهر عليهم علامات سلوكية سلبية كاستجابة على المواقف المهددة بالقلق واضطرابات النوم.

أسئلة للمناقشة

1. كيف يتكون بناء الشخصية في نظرية المثير والاستجابة؟
2. الصراع النفسي وأنواع: تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
3. هل نصنف نظرية المثير والاستجابة في إطار المدرسة السلوكية؟ وكيف؟
4. تحدث عن الصراع النفسي عند دولارد وميلر؟
5. اشرح حالة الفتاة التي كانت تعاني من المخاوف الشاذة الواردة في هذا الفصل؟



الفصل الثالث

ألبرت بندورا

مقدمة: السلوكية والثورة المعرفية

أشار واطسون إلى أن علم النفس عليه أن يتخلى عن كل إشارة إلى مفهوم الشعور، وكان هذا نداءً قوياً وناجحاً، وقد استبعد أتباع واطسون مفهوم العقل ومفهوم العمليات الشعورية والمصطلحات العقلية بعامة من علم النفس، وهذا أدى كما يقول العالم الإنجليزي سيرل بيرت Burt (1883-1971م) إلى أن علم النفس كما فقد روحه وعقله يوشك أن يفقد شعوره.

وهكذا بتأثير السلوكية المتشددة أصبحت كلمات مثل الرغبة والمشاعر والصورة الذهنية والعقل والشعور مستبعدة تماماً من علم النفس، وكأنها أصبحت محرمات لا يتلفظ بها علماء السلوكية إلا في مجال التنديد والنقد، ومثال ذلك سكنر الذي أنشأ سلوكيته مكوناً نظرية عن الكائن الحي دون أن يهتم بما يمكن أن يكون داخل هذا الكائن الحي، ولسنوات طويلة خلت كتب علم النفس -التي حررها رجالات السلوكية- من الإشارة إلى العقل وإلى الشعور.

ومع ذلك ورغم طغيان الطنين السلوكي، ظهرت دلائل على أن علم النفس قد يستعيد شعوره حيث ظهرت بعض الدعوات للعودة إلى مفاهيم مثل العقل ومثل الشعور، ناهيك عن أن رئيس جمعية علم النفس الأمريكية «ولبرت مكيشي» قال في إحدى خطبه التي ألقاها عام 1976م: «إن مفهوم علم النفس قد تغير، ويتمثل هذا التغير في العودة إلى مفهوم الشعور» وعلى ذلك فإن صورة علم النفس عن الطبيعة الإنسانية أصبحت إنسانية أكثر منها ميكانيكية.

كما أن هلجارد في مؤلفه الشهير «مقدمة في علم النفس» يتجه إلى تعريف علم النفس بأنه العلم الذي يدرس السلوك والعمليات العقلية.

وهذه الحركة المسماة بالثورة المعرفية ظهرت حوالي 1960، ولكنها كانت ضعيفة، ومما ذكر أن جثري الذي كان في بداية حياته سلوكياً متحمساً اتجه في أواخر حياته إلى التخني عن النموذج الآلي في علم النفس، وأشار إلى أن مفهوم المثير لا يمكن أن يفسر دائماً في حدود المصطلحات الفيزيائية، كما أن الحركات الظاهرة للكائن الحي يجب ألا تفسر على أنه مجرد حركات في المكان بل يجب في نظر جثري أن نصف المثير الذي نتعامل معه في علم النفس في حدود المصطلحات الإدراكية أو المعرفية، وليس في حدود المصطلحات الفيزيائية، وعلى هذا فإن مفهوم المثير يشير إلى معنى الكائن الحي المستجيب، وعلى ذلك فإنه لا يمكن لعالم النفس أن يتعامل مع «معاني» مصطلحات علم النفس من خلال المصطلحات السلوكية الجامدة، لأن مثل هذه المصطلحات تتعلق بعمليات عقلية أو عمليات شعورية.

ولنا أن نتساءل: كيف حدث تطور من التمسك الحرفي بالسلوكية الجامدة إلى الاتجاه نحو التفسير المعرفي؟ لأن ذلك تطور مهم في تاريخ علم النفس، إن جواب هذا السؤال هو في «طبيعة العصر» ذلك أن العلم -شأنه في ذلك شأن الكائن الحي- يتوافق ويتكيف طبقاً لتغيرات ومتطلبات البيئة وظروف الحياة.

إذن ما طبيعة العصر التي أدت إلى الثورة المعرفية في السلوكية؟ ينظر بعض مؤرخي علم النفس إلى الفيزياء على أساس أنها النموذج الذي احتذاه علم النفس في العصر الحديث، ذلك أنه في بداية القرن العشرين حدثت تطورات في الفيزياء على يد بعض العلماء وعلى رأسهم أينشتين، هذه التطورات أدت إلى رفض أفكار نيوتن عن النموذج الميكانيكي في الفيزياء، هذا النموذج الذي اتخذه علم النفس نبراساً منذ فونت حتى سكنر، ولكن هذا النموذج الميكانيكي والقائم على الفصل النهائي بين الملاحظ والعالم الخارجي سقط نهائياً في علم الفيزياء، وحل محله نموذج جديد له صدى في علم النفس، ومضمون هذا النموذج أنه لا يمكن أن نفهم هذا العالم دون أن نزعجه، وهكذا فإن الفجوة المصطنعة بين الملاحظ والشيء الذي يلاحظ، أو بين العالم الداخلي والعالم الخارجي، أو بين عالم الخبرة وعالم المادة، هذه الفجوة قد تم تخطيها، حيث تحول اهتمام البحث العلمي من التركيز على المعرفة العلمية المستقلة عن الكون إلى التركيز على ملاحظاتنا عن الكون، ومعنى هذا أن العالم تحول من الملاحظة المستقلة إلى الملاحظة المباشرة.

وعلى هذا فإن النموذج المثالي عن حقيقة موضوعية بالإطلاق أصبح نموذجاً لا يمكن الوصول إليه، وأصبحت الفيزياء الآن تتميز باعتقاد سائد مؤداه أن ما نسميه المعرفة

الموضوعية هي في نهاية الأمر ذاتية؛ لأنها تعتمد على الملاحظ، ومن هنا يمكن القول إن كل المعارف ذاتية، ومثل هذا الموقف يذكرنا برأي قال به باركلي بأن المعارف ذاتية لأنها تعتمد على الشخص الذي يلاحظها.

هذا وقد قاوم علم النفس السلوكي نجاح هذا النموذج الفيزيائي لمدة تقارب الخمسين عاماً، معتمداً على تصور صاغه بأن نموذج علم النفس هو علم يدرس دراسة موضوعية، ولكن يبدو أن السلوكية تستسلم لطبيعة العصر وتعدل نموذجها لعلم النفس -كما ستظهر حركة جديدة هي علم النفس الإنساني- مركزة على الإنسان وشعوره، ومستجيبة لنموذج الفيزياء الجديد، ومن أظهر الأمثلة على تأثير الثورة المعرفية في السلوكية نظرية بندورا في السلوكية الاجتماعية.

البرت بندورا (1925-...)

ولد في إحدى مدن محافظة البرتا في كندا ولا نعرف شيئاً عن طفولته إلا النزر اليسير ولا يمكننا الحكم فيما إذا كانت تجاربه الحياتية في الطفولة والمراهقة قد أثرت على نظريته أو لم تؤثر.

التحق بندورا بجامعة كولومبيا ولكنه حصل على الدكتوراه من جامعة إيوا عام 1952 وقضى سنة واحدة في مركز للإرشاد النفسي بولاية كنساس الأمريكية ثم التحق بجامعة ستانفورد الشهيرة بحيث بقي هناك، ومن أشهر المناصب التي تولاها رئاسة الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA عام 1973، ونعرض نظريته في النقاط الآتية:

أولا: التعلم بالملاحظة

يرى بندورا أن التعلم يمكن من خلال الملاحظة أكثر مما يحدث أثناء التدعيم ومع ذلك فإنه لا ينكر أثر التدعيم المباشر في الاشتراط البسيط أو المباشر، والذي تستمر فيه بالمحاولة والخطأ حتى تصل إلى الاستجابة الصحيحة، هذه طريقة غير صحيحة لتعلم المهارات مثل السباحة أو قيادة السيارة، ذلك أن الشخص قد يغرق أو يتسبب في قتل إنسان آخر نتيجة صدمه بالسيارة، وذلك بانتظار التدعيم، فمعظم التعلم الإنساني يتم حسب بندورا بالملاحظة.

وهناك بعض السلوكيات لا يتم تعلمها إطلاقاً إلا عن طريق التمذج أو التعلم بالتقليد، ومنها تعلم اللغات وبالذات من حيث النطق فإن تعلم النطق عبارة عن عملية

تقليد وملاحظة ليس إلا، ومن خلال التنمذج نلاحظ سلوك النموذج، والتنمذج هو التعلم بالملاحظة وهما كلمتان مترادفتان.

كان بندورا قد قارن بين سلوكيات أداء مجموعتين من الأطفال: أطفال عدوانيين وأطفال مسالمين، وتبين صحة الفكرة أن الأطفال العدوانيين تنمذجوا بآباء عدوانيين والأطفال المسالمين تنمذجوا بآباء مسالمين.

كذلك فكرة منع الكف المثال أوضح من التعبير فالشخص إذا وجد في جمع حاشد من الناس فإنه يقوم بأفعال لا يأتيها وهو منفرد وذلك انسياقاً مع جمعه الحاشد فإنهم إذا ارتكبوا المخالفات لأنه يرى الآخرين يرتكبونها أي يلاحظ الآخرين ويقلدهم التعلم بالملاحظة.

والعديد من البحوث في نظر بندورا أشارت إلى أن الأطفال المراهقين يتصرفون بالعدوان عند مشاهدتهم السلوك العدواني، هذا معناه أن السلوك العدواني قابل للتعلم عن طريق الملاحظة أو المشاهدة (سنعود لهذه النقطة بعد عدة صفحات).

من دراسة لأثر النموذج على سلوك الأفراد تم إجراء تجربة عرض فيها فيلم فيه مناظر لنساء عاريات على مجموعتين من الشباب، المجموعة الأولى عرض عليها الفيلم مع التركيز على مناطق الإثارة مثل الفخذين والثديين، ونفس الفيلم عرض على مجموعة أخرى مع عدم التركيز على هذه المناطق بل بعرض الخلفية العامة للصورة، وبعد انتهاء عرض الفيلم عرضت على أفراد المجموعتين لقطات من الفيلم وبكاميرا خاصة (لا نعرف كيف تشغل وكيف تعمل) درست حركات العين لطلاب المجموعتين وتبين أن طلاب المجموعة الأولى والتي ركز فيها الفيلم على مناطق الإثارة الشهوية في الجسم (الثديين والفخذين) ركزوا أنظارهم على هذه المناطق أيضاً، أما أفراد المجموعة الثانية فقد نظروا إلى المشاهد نظرة عامة، وهذا يدل في نظر بندورا على أن التنمذج يتحكم في العملية الإدراكية كذلك.

وبناءً على بحوثه المتعمقة توصل بندورا إلى أن السلوك الإنساني سواء أكان طيباً أو سيئاً سوياً أو مرضياً هو نتيجة التقليد، فالأطفال يستجيبون كما يشاهدون الكبار.

أما الأشخاص المنحرفون عن المجتمع سواء أكانوا من المجرمين أو السيكوباتيين هم أشخاص تعلموا بالتقليد والتنمذج ولكنهم اتخذوا نماذج سيئة فنشأوا على شاكلتها، وكان بندورا حريصاً على أن تكون النماذج التي يتنمذج بها الشباب الأمريكي نماذج طيبة.

وأشار مراراً إلى الآثار السيئة التي تعرضها الأفلام السينمائية العنيفة والتي تظهر بها الميديا الأمريكية.

ولا توجد حدود تحدد كمية السلوكيات التي يمكن تعلمها من خلال التنمذج مهما كانت هذه السلوكيات غريبة أو خطأ، فالطفل يرى أباه يخاف من الظلام فيخاف مثله، ويتعلم الخوف من الظلام، ويرى أباه يكذب فيكذب مثله، ويتعلم الكذب، ويرى أباه يصلي فيتعلم أن يصلي مثله، ولذلك يرى بندورا أن التحكم إنما يكون في النموذج أو المثال وليس في الأشخاص وهذه مقولة مهمة جداً أي أن التحكم يكون في الأمثلة أو في النماذج.

ثانيا: صفات النموذج

واضح من السياق السابق أن النموذج هو الشخص الذي نقلده أو الشخص الذي نتبعه الشخص الذي نتنمذج به، ومن المتوقع أن نظريات النموذج تؤثر على جذب الانتباه، ومن ثم التقليد، ومن الطبيعي أن ننجذب إلى شخص يوافق طباعنا وقيمنا دون شخص لا تتوفر له هذه السمات، وصفات أخرى للنموذج مثل السن أو النوع ذكرا كان أو أنثى، فمثلاً نفضل التنمذج بشخص من نفس نوعنا من الذكر أو الأنثى أكثر من نوع آخر والطفل ينجذب لنموذج من سن 6 أكثر من انجذابه لنموذج من سن 16 لأنه مقارب له في السن.

من صفات النموذج **المركز الاجتماعي**، تحكي بعض الدراسات كما يذكر شولتز عن تجربة طريفة: مارة يعبرون طريقاً والإشارة حمراء عندما يرون شخصاً أنيقاً يعبرها بينما لا يعبرون نفس الطريق إذا حدث وأن عبره شخص في ملابس رثة وفي الحالتين كان النموذج الذي يعبر الطريق هو نفس الشخص مع اختلاف الملابس أي عندما كانت ملابسه رثة لم يقلدوه وعندما كان أنيقاً قلدوه.

ثالثا: صفات الملاحظة

الملاحظ هو الشخص الذي يلاحظ السلوك ويقلده أي المقلد أو المتنمذج بالسلوك وله صفات وخصائص تؤثر كثيراً في التنمذج وبعض الناس الذين يتسمون بضعف الثقة في النفس هم أكثر احتمالاً أن يقلدوا سلوك الآخرين وسلوك النموذج كما أن القابلية الشديدة للإيحاء تؤثر في احتمال أن يقلد الملاحظ النموذج، كذلك تدني نسبة الذكاء يمكن أن تؤدي إلى أن الملاحظ يتأثر بالنموذج، هذا إلى جانب عوامل أخرى، كما أنه إذا كانت النتائج المترتبة على التنمذج نتائج إيجابية كلما كان ذلك أدعى إلى أن الملاحظ يقلد النموذج، أما إذا كانت النتائج عكسية فإنه لن يقبل على تقليد النموذج.

رابعاً: عملية التعلم بالملاحظة

درس بندورا بعمق عملية التعلم بالملاحظة وتوصل إلى أن هذه العملية تحكمها العناصر الآتية:

أ. العمليات الانتباهية

من البديهي أن شرط الانتباه إلى النموذج أمر أساسي فإن الشخص لا بد أن يركز الانتباه في النموذج حتى تحصل عملية التقليد أو لتنمذج، وفي واقع الحياة وفي المختبر فإن عملية الانتباه انتقائية تختلف من شخص لآخر ومن موقف إلى آخر.

ب. عملية الاسترجاع

عملية ضرورية لعملية التنمذج. فلكي يتنمذج شخص بنموذج ما يجب الانتباه إلى هذا النموذج، فإن الفرد الملاحظ لا بد أن يتذكر المظاهر السلوكية التي يتنمذج بها أما إذا كان الشخص الملاحظ عاجزاً على أن يتذكر هذه المظاهر السلوكية فإنه سيكون عاجزاً عن التنمذج، ومن أجل أن نسترجع فعلينا أن نستدخل بطريقة أو بأخرى ما شاهدناه، وهذا معناه أن بندورا يدخل العنصر المعرفي في عملية التنمذج هذه نقطة هامة.

ويفترض بندورا أن هناك نظامين يحكمان هذا الأمر: الخيالي واللفظي. وعندما يشاهد الملاحظ النموذج فإن هذا الملاحظ يكون صوراً من السهل عليه استرجاعها وصورا يتم تركيبها، هذا هو الجزء الخيالي، أما اللفظي فإن الملاحظ يمكن أن يصف النموذج وما يعمله بنفسه وصفاً لفظياً.

ج. الإنتاج

نترجم النقطة السابقة إلى مثال ننظر في مهارة معقدة في قيادة السيارة: إن الحركات الأساسية يمكن ملاحظتها ومعرفتها من ملاحظة أي سائق، ولكن في القيادة الفعلية سيقع الملاحظ أو متعلم القيادة في العديد من الأخطاء ذلك أن ترجمة التصور إلى واقع عملية تؤدي إلى أخطاء في أوجه عملية التعلم ولا نكتفي بمجرد الملاحظة في هذا المثال، فإن المطلوب تحسين السلوك بمزيد من التدريب.

د. العوامل الدافعية

لا تعلم دون دافع، هذا مبدأ سيكولوجي مهم، مهما كانت المدرسة التي ينتمي إليها العالم، ذلك أن الدوافع هي محركات السلوك ومحفزاته والدفع طاقة نفسية جاهزة للعمل.

وإن التعلم بالملاحظة ينحول سريعاً إلى واقع في حالة وجود الدافعية.

هـ. التدعيم الذاتي Self Reinforcement

هو تدعيم يقدمه الفرد لنفسه، ونضرب لذلك مثلاً: أنا الشخص المتواضع مؤلف هذا الكتاب، سوف يأتي تدعيم ذاتي بعد عدة أشهر وهي مدة طباعة الكتاب وتوزيعه على الطلاب والزملاء، سيأتيني تدعيم أياً كان نوعه سلبياً أو إيجابياً، ولكن أثناء تأليف هذا الكتاب فإنني عندما أنجز صفحة أو فصلا منه أقرأه جيداً لكي أحكم عليه قبل أن يحكم عليه الآخرون، فقد أرى فيه نقصاً كبيراً فأعيد كتابة هذا الفصل من جديد، وقد أرى فيه أخطاء بسيطة أبادر إلى تصحيحها، وقد أراه في المستوى الذي أرتضيه لنفسي فأشعر بالسرور والاطمئنان والرضا عن الذات، هذا هو التدعيم الذاتي: شعور بالراحة النفسية والسرور والاطمئنان والرضا.

ويرى بندورا أن التدعيم الذاتي أمر أساسي في تفسير سلوكياتنا وكما هو واضح من المثال السابق لا بد أن يكون هناك مستوى معين أرتضيه لنفسي ولا أرضى بأقل منه، هذا المستوى قد يكون حافزاً للإجادة، فأنا لا أرضى لكتابي أن يكون غير مفهوم أو غير مقروء من الطلاب.

و. الكفاءة الذاتية

وتعني شعور الفرد بذاته وكفاءته، إلى جانب شعوره بتقدير الذات وثراء الذات في التعامل مع الحياة. وهي أن الكفاءة الذاتية تعمل على إنجاز الأعمال وكلما تحسن أداؤنا زاد إحساسنا بالكفاءة الذاتية والعكس صحيح إذ ساء الأداء قل إحساسنا بالكفاءة الذاتية.

وقد يكون النموذج الذي يتمنلج به الفرد مسرفاً في العلو عن إمكانيات الشخص بحيث يحاول أن يصل إلى مستوى النموذج وما هو ببالغه مهما أعاد الكرة مرة ومرة، وهؤلاء الأشخاص كأنهم يعاقبون أنفسهم بشدة وما العقاب إلا إصابة باليأس وخيبة الأمل والاكتئاب.

أما الأشخاص الذين يتسمون بالكفاءة الذاتية الضعيفة فإنهم قد يلجأون إلى تناول الكحول هرباً من الواقع أو يلقون أنفسهم في أحلام اليقظة وما هي إلا قصص يرويها الشخص لنفسه بنفسه عن نفسه يحلم فيها الفقير بالثروة والضعيف بالقوة والفاشل بالنجاح وسوقة الناس وعامتهم على أساس أنهم أهل العلم والفضل وهي حيلة لا جدوى منها.

الأشخاص من ذوي الضعف في الكفاءة الذاتية لا يستطيعون السيطرة على الأحداث والظروف المحيطة بهم ونتيجة لذلك يعتقدون أن أي جهد يبذلونه هو مجهود ضائع وعديم الجدوى مما يزيدهم قعوداً على قعودهم أما الأشخاص ذوي الكفاءة الذاتية العالية فهم على العكس منهم حيث يعتقدون أنهم قادرون على السيطرة على وقائع حياتهم وعندهم نظرة تفاؤلية عن أنفسهم، وهم مستقلون وينظرون إلى مستقبلهم نظرة طيبة ويتوقعون لأنفسهم النجاح في تخطي عقبة الحياة كما أنهم ناجحون في تخطي العقبات وعندهم ثقة بأنفسهم ولا تعنيهم الأفكار الموحية بالعجز وعدم الكفاءة الموجودة عند ذوي الكفاءة الذاتية الضعيفة وهم يبذلون بالغ الجهد في سبيل تحقيق أهدافهم ويتقبلون التحدي وينجحون في تجاوز التحديات وهم على العكس من ذوي الكفاءة الذاتية الضعيفة والكفاءة الذاتية مؤثرة على جميع خبرات الحياة تقريباً في اختيار الشخص لدراسته ومهنته مثلاً وكلما زادت الكفاءة الذاتية كلما كان المدى واسعاً في اختيار المهنة لأن الفرد يكون لديه استعداد للنجاح في أعمال كثيرة كما أن الكفاءة الذاتية العالية تقلل من الوقت الذي يستغرقه الفرد في الحصول على عمل كما تؤثر على كفاءة الجهاز الجسمي في المواقف العلاجية وكلما كان العلاج ناجحاً كلما تحسن شعور الفرد بالكفاءة الذاتية.

والخبرات الطيبة أو السارة أن نرى أشخاصاً نجحوا في أدائهم الوظيفي فمثلاً نجد ذوي الكفاءة الذاتية العالية لسان حالهم يقول إذا كان هذا الشخص قادراً على النجاح فأنا قادر على النجاح أنا كذلك ولكن العكس صحيح أيضاً ذلك أن الخبرات الضارة مثل مشاهدة أشخاص فشلوا في أدائهم الوظيفي وفشلوا في أعمالهم التجارية فإن ذوي الكفاءة الضعيفة يقولون إذا كان هذا الفرد قد فشل فأنا سوف أفشل كذلك.

والإقناع اللفظي وهو أن نخبر الأشخاص أنهم يمتلكون قدرة على تخيل ما يرونه يمكن كذلك أن ينعكس أو يقوي الشعور بالكفاءة الذاتية، ومن المهم أن نذكر أن من الضروري أن يخبر الشخص بقدراته وذكائه بطريقة موضوعية، ويقال له أنه يستطيع كذا ولا يستطيع كذا، فمن غير المعقول مثلاً أن نقول لشاب طوله 150سم أنه بإمكانه أن يحترف كرة السلة.

وفي نظر بندورا أنه من الممكن تحسين الشعور بالكفاءة الذاتية بأساليب هي:

1. تعريض الأشخاص لخبرات ناجحة.
2. تعريف الأشخاص بنماذج ناجحة.
3. ممارسة الإقناع اللفظي من أنهم لائقون للنجاح في مهن كثيرة.

4. زيادة اللياقة البدنية عن طريق الريجيم أو التمرينات الرياضية.

ويذكر شولتز أن بندورا نجح في تطبيق هذه المبادئ أو هذه الوصايا على الأفراد المستفيدين من خدماته النفسية في أمور مثل:

- العزف الجيد على الآلات الموسيقية.
- السهولة في التعامل مع الجنس الآخر.
- اكتساب مهارات الرياضيات والحاسب الآلي.
- الكف عن التدخين.
- مواجهة المخاوف الشاذة.

خامساً: تعديل السلوك

إذا كان التمذج هو أساس الطريقة التي نتعلم به سلوكياتنا فإنه يكون كذلك الطريقة التي نعدل بها هذه السلوكيات وقد استخدم بندورا التنمذج لعلاج المخاوف الشاذة وغيرها من الاستجابات الانفعالية المشتطة وفي إحدى الحالات كان أحد الأطفال الصغار يخاف من الكلاب ويقف الطفل بعيداً عن القفص الموجود به الكلب وهنا قام النموذج بتدليل الكلب وملاعبته والنموذج هو الرجل الذي نتمذج به وهنا خفف الطفل من خوفه من الكلاب.

وفي دراسة شهيرة لبندورا عن الثعابين استطاع أن يعالج الخوف من الثعابين عند مفحوصين من الراشدين ولقد شاهد المفحوصين فيلماً يتلاعب فيه الأطفال والراشدون مع الثعابين ثم أعطوا ثعابين من البلاستيك ثم لمسوا ثعباناً حقيقياً ولبس مفحوص في يديه قفازات وأمسك الواحد منهم بوسط الثعبان بينما شخص آخر هو النموذج بالطبع يمسك برأس الثعبان وذيله. وقد يستغرب القارئ من اهتمام بندورا من الخوف من الثعابين وعلاج ذلك الخوف، ولكن إحصاءات عام 1988 بينت أن 41٪ من الشعب الأمريكي يخافون من الثعابين ومن الحالات الغريبة التي شفيت حالة السيدة التي كانت ترفض ارتداء العقد حول رقبتها لأنه يشبه الثعبان.

هذا إلى جانب الكوابيس التي كانت تشتمل على ثعابين قد قلت أو انقطعت (من سياق حديث شولتز نعرف أن الثعابين منتشرة في الريف الأمريكي)، إن المخاوف الشاذة ضارة فمثلاً الشخص الذي يخاف من العناكب يصاب بالخوف عندما يشاهد أحد هذه العناكب أو حتى صورة لها ويحدث لديه تسارع في ضربات القلب وتسارع في التنفس

وشعور بتقلصات وآلام في منطقة الصدر وهذا خوف مرضي من شأنه أن يؤثر على شعورنا بالكفاءة الذاتية.

سادساً: مطاولة: العنف والتلفزيون

أبدى بندورا تخوفه من الأثر السلبي للأفلام العنيفة على المشاهدين من الأطفال والمراهقين وليسمح لنا القارئ العزيز بأن نتدخل في هذا الموضوع لأهميته بالنسبة لدارس علم النفس بوجه عام ودارس علم الشخصية بوجه خاص.

قيل إن العدوان فطري غريزي في بني آدم وقيل إن العدوان متعلم مكتسب من البيئة ولنا على القولين ملاحظة نوجزها في عبارة تقول إن العدوان فطري في بني آدم ولكن البيئة توجهه أو تحجمه أو تنشطه أو تحفزه وقديماً قتل قابيل ابن آدم ﷺ أخاه هابيل وكانت حادثة القتل الأولى في العالم وكانت ليس على مثال سابق من عنم قابيل إذن أن يقتل؟

ومع ذلك تدور العديد من الملاسنات حول العدوان والتلفزيون، وهل يؤدي التلفزيون وبرامج العنف فيه كثيرة إلى استفزاز العدوانية وتنشيطها؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال قام مؤلف هذا الكتاب بإعداد مقالة بعنوان العمليات والحيل النفسية وعلاقتها بوسائل الإعلام وبالذات التلفزيون، وقدمت هذه المقالة إلى ندوة الطفل ووسائل الإعلام بكلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض عام 1991.

في هذه المطاولة من المقال المشار إليه سنفهم بعض المعلومات عن موضوع التنمذج بالعدوان من برامج التلفزيون فنقول:

1. التنمذج هو أسلوب يقوم على الاستدماج وتعلم الأساليب السلوكية المختلفة وذلك عن طريق المشاهدة وتدخل تحت التنمذج عملية التقليد وعملية التعلم بالملاحظة أو المشاهدة.

ب. يتهم التلفزيون بأنه إحدى الوسائل التي عن طريقها يتنمذج أفراد المجتمع بالسلوك العدواني ويذكر أحد علماء النفس الأمريكيين والتر ميشيل في كتابه الكلاسيكي عن الشخصية أن الأطفال يبدون قدراً أكبر من السلوك العدواني تجاه الآخرين بعد مشاهدة أفلام العنف التي يعرضها التلفزيون وذلك بالمقارنة بمجموعة أخرى من الأطفال الذين يشاهدون البرامج العادية خالية من أعمال العنف، كما أن مداومة مشاهدة العنف في التلفزيون تجعل من السلوك العدواني أمراً عادياً ومألوفاً.

ويؤكد ميشيل على أن مشاهدة العنف في التلفزيون لها أثر فعال في تعلم السلوك العدواني وأن أثر المشاهد العنيفة يفوق كثيراً أثر الإحباط الذي يقول به بندورا.

ج. تشير دراسات اجانشل ومبرز» التي يعرضها كتابهما المعتبر عن الشخصية للأثر الفعال للعنف التلفزيوني على إذكاء السلوك العدواني وعما يريداه دراسته لإحدى محطات الإعلام الأمريكية وتمت في هذه الدراسة مقابلة إذاعية لعدد 100 من المراهقين مرتكبي جرائم العنف وتتلخص نتائج الدراسة فيما يأتي:

- ذكر 22 من هؤلاء المراهقين مجرمي العنف أنهم قلدوا الأساليب الإجرامية التي شاهدوها في التلفزيون.
- ذكر 19 منهم أن مشاهدتهم للتلفزيون أوحت لهم بارتكاب مجموعة من الجرائم لم تكتشف.
- ذكر 22 غير المذكورين في النقطة الأولى أنهم كانوا ينوون ارتكاب جرائم مثل التي شاهدوها في التلفزيون.
- ذكر أكثر من 50 أن مشاهدتهم للتلفزيون قد غيرت من موقفهم واتجاهاتهم نحو الجريمة بحيث أصبحت أكثر قبولاً لديهم.

وقد تكون هذه النتائج راجعة إلى رغبة هؤلاء الشبان المنحرفين في جعل التلفزيون كبش فداء لهم أو شماعة يعلقون عليها أخطاءهم أو لعلهم يجدون مبرراً لجرائمهم أو تخفيف شعورهم بالذنب، هذا إن توفر لديهم هذا الشعور أصلاً، ولكن هذا لا يمنع من القول المؤكد إن مشاهدة العنف في التلفزيون من الأمور المؤثرة في توجيه السلوك نحو الجريمة.

د. تشير العديد من الدراسات الى أن حوالي 8 من كل 10 أفلام تعرض من برامج التلفزيون في الولايات المتحدة الأمريكية تتضمن مناظر تقوم على العنف كما أن 60٪ من الشخصيات في هذه الأفلام تمارس أعمالاً عدوانية كما يذكر أن الطفل الأمريكي يشاهد عدة آلاف من حوادث القتل والعنف والعدوان في التلفزيون.

يدلي «ماك أدمز» برأيه في موضوع العنف والتلفزيون في كتابه المعروف عن الشخصية حيث يشير مراراً إلى قضية العنف والتلفزيون وهو يتصور أنها قضية بالغة الإزعاج ذلك أن الطفل الأمريكي يقضي ما متوسطه 40 ساعة اسبوعياً في مشاهدة التلفزيون كما أنه يشاهد منذ بداية مشاهدته التلفزيون في مرحلة الطفولة حتى مرحلة المراهقة ما يقارب 18 ألف حادث قتل وهو رقم مهول يجعل القتل وكأنه لعب أطفال وهذا الرقم تجري دراسته في

المعهد الوطني للصحة النفسية في الولايات المتحدة التي أجريت عام 1982 ويذكر مالك أدامز سيلاً من البحوث أجريت خلال العقدين الماضيين عن العنف التلفزيوني وعلاقته بالسلوك العدواني ونتائج هذه البحوث على النحو التالي:

1. ثمة علاقة إيجابية بين مشاهدة أفلام العنف في التلفزيون وبين زيادة السلوك العدواني.
2. تفيد الدراسة التي تجرى في مختبرات علم النفس أن الأطفال الذين يميلون إلى العدوان بعد مشاهدة أفلام العنف خلافاً لحالتهم بعد مشاهدتهم لأفلام عادية ومشاهدة أفلام الجنس التي تتضمن مشاهدة العنف الجنسي مثل السادية Sadism (حيث يشعر الشخص السادي باللذة من جراء إلحاق الأذى الجسمي والنفسي بالشريك أثناء المواقعة الجسمية) ومثل المازوخية Masochism (وهي مقابلة للسادية حيث يشعر الشخص المازوخي باللذة من جراء إلحاق الأذى الجسمي والنفسي به من قبيل الشريك أثناء المواقعة الجنسية) وكذلك مثل الاغتصاب وهذا كله يجعل هذه السلوكيات الجنسية غير السوية أمراً مقبولاً من المشاهدين مما يترتب عليه إضعاف لضوابط الأخلاقية عند مشاهدة هذه الأمور المستهجنة من الناحية الأخلاقية والاجتماعية والقانونية.
3. يشير مالك أدامز إلى أخطر الدراسات التي أجريت في هذا الموضوع (وهي دراسة بالغة الشهرة أجراها آرون ومساعدوه واستمرت ما يزيد عن عشرين عاماً وبدأت عام 1960 ونشرت نتائجها على مراحل في الثمانينات من القرن العشرين الماضي) وفي هذه الدراسة قام الباحثون بمقابلة ودراسة عينات من الأطفال في مستويات عمرية مختلفة من 7: 9 سنوات بلغ حجم العينة 870 طفلاً من تلاميذ الصف الثالث الابتدائي في إحدى مناطق مدينة نيويورك وكان الفحص السيكولوجي الذي أجري على هؤلاء الأطفال هو قياس السلوك العدواني ومظاهره سواء في المدرسة أو في الحياة اليومية ثم تحديد الذين يتميزون بالعدوانية الزائدة ومظاهرها مثل الاعتداء على الآخرين أو ممارسة البلطجة وتمت مقابلة أولياء الأمور بالنسبة لعدد كبير منهم وذلك بخصوص دراسة مظاهر السلوك العدواني في البيئة المنزلية خارج المدرسة.

وقد أجريت على أفراد هذه العينة دراسة تتبعية بعد حوالي سنة من إجراء الدراسة الأولى ثم دراسة تتبعية أجريت عندما بلغ أفراد العينة حوالي 19 سنة ثم دراسة تتبعية ثالثة عندما بلغ هؤلاء الأفراد حوالي 30 سنة ولقد تبين من هذه الدراسة الأثر الحاسم لمشاهدة العنف والجريمة في التلفزيون في التوجه نحو السلوك العدواني وكان الارتباط بين مشاهد

أفلام الجريمة والعنف وارتكاب الجرائم دالاً واضحاً وذلك بين الذكور والإناث على السواء وإن كان في الذكور أكثر ارتباطاً.

ومن المفيد أن نذكر أن أرون أجرى دراسة مماثلة في فنلندا وأستراليا وبولندا بخصوص مشاهدة الجريمة والعنف في التلفزيون والتوجه نحو السلوك الإجرامي، وكانت النتائج متطابقة مع ما توصل إليه في الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس مجموعة من تلاميذ الصفوف الثلاثة الأولى من المدرسة الابتدائية وقد صاحب هذا السلوك العدواني عند هؤلاء التلاميذ تدني مستوى الذكاء وتدني مستوى التحصيل، هذا إلى جانب سوء توافقهم مع زملائهم في الصف الدراسي بالإضافة إلى رفض والديهم لهم، ولجوء الأسرة إلى العقاب البدني القاسي كعلاج لمروق هؤلاء الأطفال.

وفي ختام هذه المطاولة نقول إن البحوث تجمع على العلاقة الوثيقة بين مشاهدة أفلام الجريمة وتشجيع السلوك العدواني وكذلك يمكن القول أن هناك علاقة دائرية بين مشاهدة العنف التلفزيوني والتوجه نحو السلوك الإجرامي بحيث أن الشخص العدواني يميل شعورياً ولاشعورياً إلى أفلام العنف ثم إن أفلام العنف هذه تؤجج من عدوانيته وتحفزها وتدله على أساليب العنف والجريمة، إذن هناك علاقة تبادلية ودائرية بين مشاهدة العنف والسلوك العدواني.

والرأي الذي نوقن به من خلال عرض هذه المطاولة أن أفلام العنف تشجع وتحفز الدافع العدواني وتفتح عين المشاهد خاصة الطفل على أساليب العدوان وأدواته، ولكن هذه الأفلام العنيفة لا تخلق العدوانية عند البشر ذلك أن تلك العدوانية جبلية متأصلة فيهم من قتل للبشر وإفساد في الأرض وسفك الدماء قبل أن يعرف التلفزيون بل قبل معرفة أية وسيلة من وسائل الإعلام الحديثة، إن العدوان جزء من طبيعة البشر وديدنهم ولكن أغلب العلماء لا يعلمون.

وقد أعددنا هذه المطاولة لاعتقادنا كما قلنا سابقاً بأهمية موضوع العنف التلفزيوني وأثره على السلوك الإجرامي ذلك أن بندورا حذر من هذا التأثير ونحن نحذر منه والبحوث التي وردت في المطاولة تؤكد على التحذير منه.

الملخص

مقدمة: السلوكية والثورة المعرفية

أشار واطسون إلى أن علم النفس عليه أن يتخلى عن كل إشارة لمفهوم الشعور وكان هذا نداءً قوياً وناجحاً، وقد استبعد واطسون مفهوم العقل ومفهوم العمليات الشعورية والمصطلحات العقلية العاملة من أجل النفس، وهذا أدى كما يقول العالم الإنجليزي سيرل بيرت إلى أن علم النفس كما فقد روحه وعقله يوشك أن يفقد شعوره.

وهكذا بتأثير السلوكية المتشددة أصبحت الكلمات مثل الرغبة والمشاعر والصور الذهنية والعقل والشعور مستبعدة تماماً من علم النفس وكأنها أصبحت محرمات لا يتلفظ بها علماء السلوكية إلا في مجال التنديد والنقد.

ورغم هذا الطنين السلوكي ظهرت دلائل على أن علم النفس يمكن أن يستعيد شعوره حيث ظهرت بعض دعوات العودة إلى مفاهيم مثل الشعور وهذه الثورة تسمى الثورة المعرفية التي ظهرت حوالي عام 1960، ولكنها كانت ضعيفة.

البرت بندورا

عالم نفس أمريكي، ولد في كندا، حصل على الدكتوراه من جامعة أيوا عام 1952، ثم التحق بجامعة ستانفورد وبقي هناك.

نعرض نظريته في النقاط التالية:

1. **التعلم بالملاحظة**

يرى بندورا أن التعلم يمكن من خلال المشاهدة أكثر مما يحدث أثناء التدريب، فمثلاً قيادة السيارة أو السباحة، ذلك أن الشخص قد يغرق أو يتسبب في قتل إنسان آخر نتيجة صدمه بالسيارة وذلك بانتظار التدعيم، فمعظم التعلم الإنساني يتم حسب بندورا بالملاحظة إنما بعض السلوكيات لا يتم تعلمها إطلاقاً إلا عن طريق التنمذج أو التعلم بالتقليد مثلاً تعلم اللغات بالذات من حيث النطق فإن تعلم النطق عبارة عن عملية تقليد وملاحظة ليس إلا.

وقال بندورا بأن السلوكيات بين نوعين من الأطفال، أطفال عدوانيين وأطفال مسالمين وتضح أن الأطفال العدوانيين تنمذجوا بآباء عدوانيين والأطفال المسالمين تنمذجوا بآباء مسالمين.

وفي دراسته يؤثر النموذج على سلوك الأفراد فقد أجرى تجربة عرض فيها فيلماً فيه مناظر نساء عاريات على مجموعة من الشباب المجموعة الأولى عرض عليها فيلماً مع التركيز على مناطق الإثارة الثديين والفخذين.

ونفس الفيلم عرض على مجموعة أخرى مع عدم التركيز على هذه المناطق بل يعرض لقطات عامة للصور، وعن طريق كاميرات خاصة تصور حركات العين تبين أن طلاب المجموعة الأولى التي ركز فيها الفيلم على المناطق الشهوية في الجسم ركزوا نظرهم على هذه المناطق أيضاً. أما المجموعة الثانية فقد نظروا للمشاهد نظرة عامة وهذا يدل في نظر بندورا على أن التنمذج يتحكم في العملية الإدراكية كذلك، فالسلوك الإنساني نتيجة التقليد والتنمذج.

2. صفات النموذج

النموذج هو الشخص الذي نقلده أو الشخص الذي نتبعه أو الشخص الذي نتمذج به، ومن الطبيعي أن ننجذب إلى شخص يوافق طباعنا وقيمنا أو يتقارب في السن معنا.

3. صفات الملاحظة

الملاحظ هو الشخص الذي يلاحظ السلوك ويقلده أو المقلد أو المتنمذج بالسلوك وله صفات تؤثر على عملية التنمذج مثل الثقة بالنفس والقابلية الشديدة للإيحاء وتدني نسبة الذكاء، كل هذا يؤدي إلى سرعة التنمذج.

4. عملية التعلم بالملاحظة

تحكم هذه العملية العناصر الآتية:

أ. العمليات الانتباهية: من البديهي أن الانتباه إلى النموذج أمر أساسي.

ب. عملية الاسترجاع: هي عملية ضرورية لعملية التنمذج فلكي يتنمذج شخص بنموذج ما يجب الانتباه إلى هذا النموذج ويجب أن يكون النموذج في الذاكرة.

يدخل بندورا العنصر المعرفي في عملية التنمذج وهذه نقطة مهمة.

ج. الإنتاج: مثال قيادة السيارة، فالحركات الأساسية لقيادة السيارة يمكن ملاحظتها ومعرفتها من ملاحظة أي سائق، ولكن في القيادة الفعلية سيقع الملاحظ أو متعلم القيادة في العديد من الأخطاء.

د. العوامل الدافعية: التدعيم الذاتي هو تدعيم يقدمه الفرد لنفسه فأنا بشخصي المتواضع مؤلف هذا الكتاب أثناء إعداده أقرأ صفحاته وفصوله وأحكم عليها قبل أن تقرأها أنت أيها القارئ الكريم، فإذا شعرت أنها مناسبة للمستوى الذي أرتضيه لنفسي فإنني أشعر بالسرور والراحة، والرضا هذا هو التدعيم الذاتي.

ه. الكفاءة الذاتية: تعني الكفاءة الذاتية شعور الفرد بذاته وكفاءته إلى جانب شعوره بتقدير الذات وثراء الذات في التعامل مع الحياة والأشخاص من ذوي الضعف في الكفاءة الذاتية لا يستطيعون السيطرة على الأحداث والظروف المحيطة بهم ونتيجة لذلك يعتقدون أن أي جهد يبذلونه هو مجهود ضائع عديم الجدوى مما يزيدهم قعوداً على قعودهم، أما الأشخاص ذوي الكفاءة الذاتية العالية فهم على العكس يعتقدون أنهم قادرون على السيطرة على وقائع حياتهم وعندهم نظرة تفاؤلية عن أنفسهم وناجحون في تخطي العقبات وعندهم ثقة بالذات.

ومن الضروري أن يخبر الشخص بقدراته وذكائه بطريقة موضوعية ويقال له أنه يستطيع كذا ولا يستطيع كذا، فمن غير المعقول أن نقول لشاب طوله 150سم أنه بإمكانه أن يحترف في كرة السلة. وفي نظر بندورا فإنه من الممكن تحسين الشعور بالكفاءة الذاتية بأساليب هي:

- أولاً: تعريض الشخص لخبرات ناجحة.
- ثانياً: تعريض الشخص لنماذج ناجحة.
- ثالثاً: ممارسة الإقناع اللفظي من أنهم لائقون للنجاح في مهن كثيرة.

5. تعديل السلوك

إذا كان التنمذج هو أساس الطريقة التي نتعلم بها سلوكياتنا فإنه يكون كذلك الطريقة التي نعدل بها هذه السلوكيات مثل عالم النفس الذي أزال خوف أحد الأطفال من الكلاب، وفي دراسة شهيرة لبندورا عن الثعابين استطاع أن يعالج الخوف من الثعابين عند الأطفال والراشدين، حيث شاهد المفحوصون فيلماً يتلاعب فيه الأطفال والراشدين مع الثعابين ثم أعطوا ثعابين بلاستيك ثم عرضت عليهم ثعابين حقيقية وأمسك واحداً من المفحوصين بالثعبان من بينما النموذج يمسك برأسه وذيله.

6. مطاولة

العنف والتلفزيون: ونلخص موضوع العنف والتلفزيون في النقاط التالية:

أ. يتهم التلفزيون بأنه أحد الوسائل التي يتنمذج بها أفراد المجتمع بالسلوك العدواني لأن مشاهد العنف في التلفزيون لها أثر فعال في تعلم السلوك العدواني.

وفي دراسة لمائة من المراهقين مرتكبي جرائم العنف ذكر 22 منهم أنهم قلدوا الأساليب الإجرامية التي شاهدوها في التلفزيون وذكر 19 منهم أن مشاهدتهم للتلفزيون أوحت لهم بارتكاب مجموعة من الجرائم لم تكتشف.

تشير العديد من الدراسات أن حوالي 8 من كل 10 أفلام تعرض في برامج التلفزيون تتضمن مشاهد تقوم على العنف وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية.

ب. يقضي الطفل الأمريكي ما متوسطه 40 ساعة أسبوعياً في مشاهدة التلفزيون، كما أنه يشاهد منذ بداية مشاهدته للتلفزيون في مرحلة الطفولة والمراهقة ما يقارب 18 ألف حادث قتل وهو رقم مهول يجعل القتل وكأنه لعبة أطفال.

يميل الأطفال العادون إلى العدوان بعد مشاهدة أفلام العنف خلافاً لحالتهم بعد مشاهدتهم الأفلام العادية.

دراسة هامة أجريت في أمريكا على أطفال من سنوات عمرية مختلفة من 7: 9 سنوات، بلغ حجم العينة 870 طفلاً من تلاميذ الصف الثالث الابتدائي في إحدى مناطق مدينة نيويورك وكان الفحص السيكولوجي الذي أجري على هؤلاء الأطفال هو قياس السلوك العدواني وأجريت على أفراد هذه العينة دراسة تتبعية بعد حوالي سنة من إجراء الدراسة الأولى ثم دراسة تتبعية ثانية عندما بلغ أفراد العينة حوالي 19 سنة ثم دراسة تتبعية ثالثة عندما بلغ هؤلاء الأفراد حوالي 30 سنة، وقد تبين من هذه الدراسة الأثر الحاسم لمشاهدة أفلام العنف في التوجه نحو السلوك الإجرامي.

ونفذ أرون مثل هذه الدراسة مرة أخرى في فنلندا وأستراليا وبولندا، وكانت النتائج متطابقة من حيث أثر مشاهدة أفلام الجريمة والعنف في التلفزيون في التوجه نحو السلوك الإجرامي.

أسئلة للمناقشة

1. (الثورة المعرفية في علم النفس المعاصر) تحت هذا العنوان، اكتب مقالة مختصرة؟
2. التنمذج مفهوم أساسي عند بندورا، وضح ذلك؟
3. عرف مفهومي التدعيم الذاتي والكفاءة الذاتية عند بندورا؟
4. كيف يمكن تعديل السلوك من وجهة نظر بندورا؟
5. هل هناك علاقة بين مشاهدة العنف في التلفزيون وبين العدوان؟ مثل لما تقول؟

الباب الثالث

المدرسة الإنسانية



الفصل الأول

إبراهام ماسلو وعلم النفس الإنساني

مقدمة عن المدرسة الإنسانية

علم النفس الإنساني والمدرسة الإنسانية تسمى تجاوزاً القوة الثالثة باعتبار أن القوة الأولى هي التحليل النفسي والقوة الثانية هي السلوكية ومع ذلك فإن علم النفس الإنساني ما زال أضعف من أن يناطح هاتين القوتين.

والمدرسة الإنسانية أو علم النفس الإنساني ما يزال جديداً بحيث لا يمكن اعتباره مدرسة رئيسية في علم النفس ذلك بأنه لم يصبح بعد كياناً في جسم علم النفس ومع ذلك فإننا لا يمكن أن نتجاهل علم النفس الإنساني ونحن بصدد دراسة نظريات الشخصية لأن علم النفس الإنساني من حيث كونه قوة جديدة ظهر منذ ما يقرب من أربعة عقود والمدة هذه شأنها تعد مهمة إذا قدرنا أن تاريخ علم النفس الحديث بدأ منذ حوالي قرن وربع من الزمان أو ما يزيد قليلاً عن ذلك.

وهم يدعون للتعرض بالدراسة إلى المدرسة الإنسانية أو علم النفس الإنساني لأنه أصبح مصدر جاذبية لعدد كبير من علماء النفس وخاصة الشباب منهم ومما يجدر ذكره أن علم النفس الإنساني له جذور تاريخية عند بعض العلماء هذا بالإضافة إلى مساهمة قطبيه ماسلو وروجرز.

وعلم النفس الإنساني له أصوله التاريخية التي يمكن أن نتبناها في بداية عصر النهضة عند المفكر والشاعر الإيطالي الكبير فرانسيسكو بيترارش Betrarch (1304-1374).

وتعني الإنسانية أساساً التخلي عن الأفكار العقيمة التي سادت العصور الوسطى في أوروبا والتي تنظر إلى الإنسان نظرة تقلل من قيمته وتهدر من إنسانيته.

والإنسانية في أول عهدها حركة فلسفية أدبية تؤكد على دراسة قوى الإنسان وإمكانياته وقيمه وحاجاته وهي في دراستها تستشعر التفاؤل بالإنسان وما يمتلك من إمكانيات.

كما أن الأفكار الأساسية في علم النفس الإنساني يمكن أن نجد لها جذوراً عند العلماء والفلاسفة السابقين كما هو الحال في معظم مدارس علم النفس، ومن هذه الأفكار الأساسية التأكيد على أهمية الخبرة الشعورية والوحدة بين طبيعة الإنسان وسلوكه، والاعتقاد في وجود الإرادة الحرة والمبادأة عند الإنسان، وكذلك تأكيد القدرة الخلاقة عند الفرد، ومثل هذه الأفكار توجد عند علماء النفس القدامى، وعلى سبيل المثال فإن برينتانو انتقد الاتجاه الآلي من دراسة علم النفس وأشار إلى أن علم النفس يدرس الشعور من حيث كونه فعلاً، وأن الشعور له نوعية كلية وليس مجرد محتوى سلبي للجزئيات وكذلك عارض وليم جيمس الاتجاه الآلي في دراسة علم النفس وحث على تركيز الدراسة في علم النفس على الشعور وعلى الفرد ككل.

كما أشارت مدرسة الجشطالت إلى وجوب الاتجاه نحو دراسة كلية للشعور كما أن عدداً من علماء التحليل النفسي مثل أدلر وهورني وفروم عارضوا فكرة الحتمية الفرويدية، تلك الحتمية التي تقررها القوى البيولوجية والقوى النفسية اللاشعورية وهذه الانشقاقات عن التحليل النفسي الفرويدي بشرت بأفكار جديدة مثل المبادأة وحرية الإرادة وتأثير جميع المراحل العمرية في تكوين الشخصية، وكذلك فإن اعتبار الشخصية هي قوة خلاقة تستطيع أن تشكل نفسها.

ومما لا شك فيه أن طبيعة العصر لعبت دوراً في قيام علم النفس الإنساني حيث تضمنت طبيعة العصر عدم الارتياح وعدم الرضا تجاه التفسيرات الآلية التي ازدحم بها علم النفس وقد أظهر علم النفس الإنساني تنديداً بالآلية التي أظهرت الإنسان وكأنه حيوان يتصرف بالحتمية استجابة لمثيرات وخبرات الطفولة المبكرة.

كذلك ساد الاعتقاد بأن الحضارة الغربية بعامة والحضارة الأمريكية بخاصة قد قللت من إنسانية الإنسان، وأهدرت فرديته، بحيث أصبح ترساً صغيراً في الآلة الاجتماعية الكبيرة، وأصبحت النظرة للفرد على أنه مجموعة من الأرقام والإحصائيات وليس على أنه إنسان.

إن تلك الحضارة الغربية قللت الشعور بذاتية الفرد وقللت من قدرته على تغيير حياته بحيث أصبح المجتمع بما فيه من بيروقراطية عملاقة بمثابة قدراً متسلطاً على الفرد، يلغي حريته، ويقيد حركته، وهذا كله أدى إلى زيادة الشعور بالاغتراب سواء أكان اغتراب الفرد عن مجتمعه أو اغترابه عن نفسه، وكل هذه الصيحات ضد تجريد الإنسان من إنسانيته على

أيدي القوتين العظميين في علم النفس التحليل والسلوكية، مهدت الطريق لظهور علم النفس الإنساني من حيث كونه قوة ثالثة.

وعلى هذا قام علم النفس الإنساني في مواجهة التحليل النفسي والسلوكية، وقبل أن نتعرض للدراسة للنقاط الأساسية في علم النفس الإنساني ننظر أولاً في المواقف التي يعرضها علم النفس الإنساني، ذلك أن علم النفس الإنساني يعتقد أن السلوكية تتخذ منهجاً يتسم بالقصور في فهم الطبيعة البشرية وهذا المنهج يوصف بأنه مصطنع وضيق وعقيم وأن التركيز السلوكي على دراسة السلوك الظاهر جرد الإنسان من إنسانيته وجعله أشبه ما يكون بفأر أبيض كبير أو حاسب إلكتروني بطيء.

ويرى علماء النفس الإنسانيون أن التفسير السلوكي للمثير والاستجابة صورة غير كاملة عن طبيعة الإنسان، كما أن الاتجاه إلى التكميم والموضوعية أمر مرفوض لأن الإنسان ليس آلة وليس كياناً حاوياً.

كما يرى الإنسانيون أن هذا الكم الهائل من البحوث التي أجريت على السلوك الظاهر ليس ذا فائدة تذكر في فهم طبيعة الإنسان ولا في توضيح ما يعانيه من مشكلات.

كما توجه الإنسانيون بالنقد إلى النظرية الفرويدية على أساس الاتجاه الحتمي الذي تحتذوه وتقليلها لدور الشعور كما توجه أسلوب النقد إلى فرويد لاقتصاره على دراسة الأشخاص المضطربين المصابين بالعصاب أو الذهان ومن ثم فإنه إذا ركزت مدرسة التحليل النفسي دراستها على المرضى النفسيين والعقليين، فكيف يمكن لعلم النفس أن يتوصل إلى معرفة الخصائص والصفات البناءة للإنسان؟

هذا وقد أشار ماسلو إلى أن علم النفس يتجاهل خصائص الإنسان ومميزاته الإيجابية مثل الفرح والرضا والقناعة والبهجة والرحمة والكرم ذلك أن علم النفس يهتم بالتركيز على الجوانب المظلمة والجوانب المريضة من الشخصية الإنسانية ويتجاهل قواها وفضائلها.

إن التركيز على دراسة هؤلاء من المعتوهين والمعوقين وغير الأصحاء من شأنه أن يوصلنا إلى فلسفة معوقة وعلم نفس معوق.

وفي مقابل علم النفس مثل الذي تقول به السلوكية أو يقول به التحليل النفسي قام علم النفس الإنساني في ليكون قوة ثالثة.

ويرى الإنسانيون أن تتخذ اتجاهاً جديداً وإطاراً واضحاً لعلم النفس بدلاً من أن نتخذ علم نفس جديد على الإطلاق، فهم لا يريدون إنشاء مدرسة جديدة من فكر العلم النفسي ولكنهم يريدون تشكيل القوى الموجودة الآن في علم النفس والإضافة إليها.

وقد اعترف ماسلو أن دراسة موضوع سلوك المرضى منذ عقود ضروري لفهم الطبيعة الإنسانية ولكن هذه الموضوعات الضيقة لا يمكن أن تكون هي المجال الوحيد لعلم النفس.

هذا وقد نشرت الجمعية الأمريكية لعلم النفس الإنساني عام 1972 مجموعة من المبادئ لهذه القوة الجديدة وهذه المبادئ هي:

1. الاهتمام بخبرات الفرد لأنها ظاهرة أساسية في دراسة الإنسان على أن يكون من بين كل التفسيرات النظرية والسلوك الظاهر أمران ثانويان بعد خبرات الفرد ومعنى تلك الخبرة بالنسبة للإنسان.
2. التأكيد على أهمية الخصائص الإنسانية المميزة مثل الاختيار والابتكار وتحقيق الذات في مقابل اعتبار الإنسان مجرد كائن آلي.
3. التأكيد على قيمة الإنسان وكرامته مع الاهتمام بتنمية القوى والإمكانيات الموجودة عند الإنسان.
4. إن فهم الطبيعة الإنسانية لا يمكن التوصل إليه من الاعتماد على الدراسات التي تجرى على الحيوان إذ أن الإنسان ليس مجرد فأر أبيض كبير.
5. إن الموضوعات التي تم اختيارها للدراسة يجب أن تكون ذات معنى بالنسبة للوجود الإنساني ولا يكون اختيار الموضوعات فقط لمجرد صلاحيتها للدراسة العلمية وسهولة التكميم.
6. ويجب أن تكون هناك استمرارية واتصال بين ما يسمى علم النفس البحث وعلم النفس التطبيقي وإن محاولة الفصل بينهما أمر بالغ الضرر لكل منهما.

إبراهام ماسلو Maslow (1908– 1970)

عالم نفس أمريكي، حصل على الدكتوراه من جامعة ويسكونسن 1934م واشتغل بتدريس علم النفس وقدم علم النفس الإنساني من خلال دراساته عن تحقيق الذات وترتيب الدوافع ومن أهم مؤلفاته:

- مبادئ علم نفس الشواذ أصدره عام 1941.
- والدافعية والشخصية أصدره عام 1954.

إلى جانب عدد من الكتب والمقالات، ويسمى ماسلو الأب الروحي لعلم النفس الإنساني، وهو الذي أطلق شرارة هذا المذهب والذي أعطاه شكله الأكاديمي وبغرض الوصول إلى فهم أقصى لإمكانيات الكائن الإنساني، درس ماسلو عينة صغيرة لأكثر الناس تكاملاً بحيث يستطيع أن يعرف كيف يختلف هؤلاء عن المرضى أو عن العاديين، ومن هذه الدراسة توصل إلى نظرية في الشخصية تركز على الدافع للنمو والتطور وتحقيق الذات والوفاء بكل ما لدى الإنسان من إمكانيات وطاقات.

ولم تبدأ دراسات ماسلو عن تحقيق الذات خلال برنامج للقياس النفسي أو البحث ولكن ببساطة استجابة لشغف ماسلو.

ومن بين المؤثرين على ماسلو عالم الجشتالطي الشهير فولتيمر والعالمة الأنثروبولوجية الأمريكية روث بندكت، وكان ماسلو سلوكياً متحمساً ولكن الذي حدث أن السلوكية أغفلت في تفسيراتها عوامل مهمة.

وقام ماسلو بدراسة الشخصيات حيث درس العديد منها وحاول أن يجد السمات التي تجمع بين هذه الشخصيات وقام خلال هذه العملية بدراسة عن طلاب الجامعة بين منها أنهم لا يوجد منهم من تحقيق ذاته إلا واحد من كل 300 فرد أي حوالي 3 في الألف وتحول إلى دراسة الذين حققوا ذواتهم في مرحلة وسط العمر وكبار السن وكانت نسبة الذين حققوا ذواتهم في هذه الفئة 1٪ تقريباً وقد درس ماسلو شخصيات عامة من الذين حققوا ذواتهم من أمثال جيفرسون وروزفلت الرئيسان الأمريكيان الأسبقان وأينشتين عالم الفيزياء الشهير.

ونناقش نظرية ماسلو في النقاط الآتية:

أولا: الدوافع والحاجات

افترض ماسلو أن الحاجات الإنسانية مرتبة ترتيباً هرمياً على أساس قوتها وشدتها وعلى الرغم من أن جميع حاجات البشرية فطرية إلا أن بعضها أكثر قوة من بعض وأكثر إلحاحاً وضغطاً.

ووضع ماسلو الحاجات الإنسانية في سلم هرمي مبين فيه الحاجات الدنيا والحاجات العليا والحاجات الدنيا أسفل السلم والحاجات العليا أعلاه والحاجات الدنيا تتماثل مع

حاجات الحيوان أما الحاجات العليا فهي خاصة بالإنسان والحاجات العليا هي حاجات تظهر متأخرة نسبياً للفرد ورغم أهميتها فهي ليست ضرورية لبقاء الفرد أو النوع ومع ترقي الفرد في سلم الحاجات تقل المظاهر الحيوانية في سلوكه وتتضح الجوانب الإنسانية وهذه الحاجات التي قال بها ماسلو على مستويات خمسة ولا تظهر حاجات المستوى الثاني إلا إذا أرضيت حاجات المستوى الأول ولا تظهر حاجات المستوى الثالث إلا إذا أرضيت حاجات المستوى الثاني وهكذا، وهذه الحاجات تترتب في السلم على النحو التالي:

أ. **الحاجات الفسيولوجية Physiological Needs**: وهي الحاجات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً ببقاء الفرد، ويشترك فيها الإنسان مع الحيوان، وتشمل هذه الحاجات الفسيولوجية الحاجة إلى الطعام والشراب والتزاوج والإخراج والنوم وإذا لم تشبع واحدة من هذه الحاجات الفسيولوجية فإنها تبقى مسيطرة سيطرة تامة على حياة الفرد ولا يهدأ حتى تشبع وإذا لم تشبع هلك.

ويعطينا ماسلو مثالاً طريفاً حيث يقول إنه بالنسبة للشخص الجائع فإن المدينة المثالية بالنسبة له هي التي يوجد بها الطعام والشراب أما إذا أشبع الإنسان حاجاته الفسيولوجية ظهر المستوى الثاني من الحاجات وهي حاجات الأمن.

ب. **حاجات الأمن Safety Needs**: وهذه الحاجات الأمنية تتمثل في الحاجة إلى الاستقرار والحماية والنظام والتحرر من الخوف والقلق وعندما ترضى هذه الحاجات يشعر الفرد وكأنه يعيش آمناً ومطمئناً في دعة وسكون في بيئة متحررة من أسباب الخوف والخطر.

ج. **حاجات الحب والانتماء Love and Belonging Needs**: إذا أشبعت الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن يطلب الإنسان المزيد فيطلب أن يحب وأن يكون محبوباً وإذا حرم من إرضاء حاجات الحب والانتماء شعر بالوحدة والخواء وأنه يعيش في جزيرة منعزلة أو صحراء جرداء.

د. **حاجات التقدير Esteem Needs**: إنه لذو حظ عظيم ذلك الذي أرضى المستويات الثلاثة السابقة من سلم الحاجات، لقد أرضيت الحاجات الثلاثة الفسيولوجية والأمنية والعاطفية فهل من مزيد؟ نعم، تلح عليه الحاجة إلى التقدير سواء تقديره هو نفسه أو تقدير الآخرين له، وهذا التقدير إنما يتأتى بفعل مساهمات الشخص في المصالح الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه. أما النقص في إشباع حاجات التقدير فإنه يؤدي إلى الشعور بالقصور وضعف الهمة.

هـ. **حاجات تحقيق الذات Self Actualization Needs**: هي قمة الإرضاءات الإنسانية حيث يحقق الفرد ذاته ويؤكد هويته، وقد أجرى ماسلو بعض الدراسات على الأفراد الذين وصلوا إلى تحقيق الذات وتبين له أنه تجمع بينهم عدة خصائص سنتحدث عنها في النقطة القادمة إن شاء الله.

ثانيا: تحقيق الذات

هو أعلى مستوى يصل إليه الإنسان في نموه النفسي بعد تحقيق الحاجات الأربع الأدنى، فهو الحاجة الخامسة في هرم ماسلو كما بينا في النقطة السابقة.

وخصائص الأفراد الذين حققوا ذواتهم هي خصائص إيجابية وهي:

أ. **إدراك بالغ الكفاءة بالواقع**: محققو الذات عادة ما يكونون قادرين على إدراك العالم من حولهم بوضوح وموضوعية، وهذا الإدراك لا تشوهه العوامل الذاتية مثل المخاوف أو الحاجات ويدركون الحقائق كما هي ويمتازون بدقة الأحكام باختصار فإنهم ينظرون إلى العالم دون تحيز.

ب. **تقبلهم لذواتهم وذوات الآخرين**: حيث يتقبلون جوانب الكمال بالإضافة إلى جوانب النقص دون تحريف أو تشويه بجانب الكمال دون الشعور بالخجل أو النقص.

ج. **المبادأة والبساطة وكأنه على سجيته**: المحققون لذاتهم يتميزون بالصراحة والاستقامة ويكونون على طبيعتهم دون تصنع وعادة لا يخفون مشاكلهم وعواطفهم وإلى جانب ذلك فهم فرديون في أفكارهم ومثلهم.

د. **التركيز على حل المشكلات لأعلى الذات**: محققو ذواتهم كأنهم في مهمة مقدسة يؤدون عملهم بجهد طاقتهم وقد اعتقد ماسلو أنه من المستحيل أن يكون شخص محققاً لذاته إلا وهو متفان في عمله.

محققو الذات يعملون بجد ويجدون في هذه الجدية لذتهم ومشاهدة الانخراط في العمل الجاد فإنهم يرضون ما يسميه شولتز «Meta Needs ما وراء الحاجات»، والمقصود من ذلك أنهم يعملون بجد ليس طمعاً في المال أو السلطة ولكنهم يعملون من أجل تحقيق ذواتهم، مثال ذلك الفنانون والأدباء الذين عندهم أموال كثيرة ومع ذلك ما زالوا يعملون.

هـ. **الرغبة في الاستقلال:** محققو ذواتهم يرغبون في العزلة وليست العزلة هي العزلة المرضية ولكن ضمناً على وقتهم في أن ينفقوا هذا الاستقلال في غير أوجهه الصحيحة، بحيث يعتمدون على أنفسهم ولا يحبون أن يكونوا عالة على الآخرين، وقد يتصور الآخرون أنهم غير اجتماعيين (هناك العديد من الأشخاص من كبار الأطباء مثلاً من الصعب أن يجدوا وقتاً يمارسون فيه حياة اجتماعية عادية من الذهاب إلى النادي أو زيارة الأقارب والأصدقاء أو ممارسة الهوايات، هذا كله بالنسبة لهم صعب وقد يظن البعض أنهم منطوون على أنفسهم ولكن عزلتهم راجعة لأن وقتهم ضيق وثمين ولا يقدر بمال كبير).

و. **الانغماس الدائم:** محققو ذواتهم لهم القدرة على رؤية العالم من حولهم بمزيج من التعجب والانشراح والرهبة والدهشة فالشخص السليم نفسياً تراه يستمتع بشروق الشمس وغروبها ويستمتع بالورود في كل مرة يراها فيها أو في كل مرة يرى فيها هذه الأشياء وكأنه يراها لأول مرة.

ز. **تجربة القمة:** الذين أشبعوا ذواتهم ترى لهم لحظات من الزهو والامتنان والفرح الشديد وهنا يشعر الفرد بالقوة وكأنه عمل عملاً فذاً أو كأنه أتى بالترياق من العراق.

ح. **الاهتمام الاجتماعي:** استخدم ماسلو هذا التعبير عن أدلر ليدلل به على أن الذين حققوا ذواتهم تراهم شديدي التعاطف مع الآخرين مع أنهم يصيبهم الاكتئاب أو الإحباط بسبب تصرفات بعض السفهاء من الآخرين إلا أنهم لا يؤدي بهم ذلك إلى ردود الفعل ويبقى على حالهم من حب البشر وحب الإنسانية كما يوصف أحدهم وكأنه يتصرف حيال الآخرين وكأنه أخ أكبر لهم.

ط. **العلاقات بين شخصية – أي مع الآخرين- :** رغم أن دائرة أصدقائهم ليست كبيرة إلا أن الصداقة مع محققي ذواتهم لها خصوصية إذ تتميز بالقوة والعمق وأصدقاؤهم على شاكلتهم طبقاً للمثل الذي يقول الطيور على أشكالها تقع، كما أن محققي ذواتهم يجتذبون المعجبين والصنائع ومن الواضح أن الانجذاب والإعجاب يكون من طرف واحد وليس إعجاباً متبادلاً.

ي. **الابتكارية:** ليس من المستغرب أن هؤلاء المحققين لذواتهم يتسمون بقدر كبير من الابتكارية رغم أنهم قد لا ينتجون فنوناً مبتكرة فقد لا يكون المحقق لذاته فناناً أو كاتباً ولكنهم يبدون الأصالة في جوانب حياتهم المختلفة.

ك. **الشخصية الديمقراطية:** محققو ذواتهم يتميزون أنهم يتسمون بالصبر والتحمل ويتقبلون الناس بغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو دينهم وهم مستعدون للاستماع إلى وجهات النظر الأخرى ومستعدون أن يتعلموا من الآخرين ويتصرفون باستعلاء على غيرهم ممن هم أقل منهم علماً، ولكن يتصرفون حيال الآخرين بقدر كبير من الكياسة والحصافة طبقاً لمقتضى الحال.

ل. **مقاومة الثقافة السائدة:** محققو الذات هؤلاء الأصحاء نفسياً هم ذاتيو التوجه مستقلون ويكتفون بأنفسهم، وعلى ذلك فإن لديهم من الحرية لمقاومة الضغوط الاجتماعية الواقعة عليهم وأن يتصرفوا طبقاً للخط الذي اتخذوه لأنفسهم وهم على ذلك لا يبدون ثورة على التراث الاجتماعي السائد ولا يتخطون القواعد الأخلاقية الموجودة ولكن من ناحية أخرى تحكمهم طبيعتهم الخاصة ولا تحكمهم الثقافة السائدة. ويقول شولتز إن هذه قائمة مدهشة من الخصائص وبالطبع لا أحد تنطبق عليه هذه الصفات في كل الأوقات اللهم إلا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

قلنا إن ماسلو هو مؤسس علم النفس الإنساني ونقول إنه ليس باستطاعة مؤرخ علم النفس أن يحدد أثر علم النفس الإنساني على علم النفس الحديث والمعاصر، نعم إنه قوى جديدة تحاول أن تجمع أطرافها، ولكن علم النفس الإنساني لم يصبح بعد مدرسة قوية تأخذ مكانها بين مدارس علم النفس العريقة، وقد يجادل مجادل في أن عدم احتلال علم النفس الإنساني مركزه في أن يكون مدرسة مرموقة إنما يرجع إلى حاجة هذه القوة الثالثة إلى رجل عظيم يستطيع أن يتحدث عن أهدافها ومفاهيمها من مركز قوي كما فعل فرويد بالنسبة للتحليل النفسي وكما فعل واطسون بالنسبة للسلوكية ذلك أن ماسلو وروجرز رغم مكانتهما العلمية لا يستطيعان أن يقفا نداً لهذين العالمين الكبيرين.

وفي نهاية الأمر فإن الأمر قائم بالنسبة لهذه القوة الثالثة «علم النفس الإنساني» إذ تنطق باسمها مجلة علمية أسست 1961 باسم مجلة علم النفس الإنساني كما تكونت جمعية باسم الجمعية الأمريكية لعلم النفس الإنساني عام 1962 كما أنشئ في الجمعية الأمريكية لعلم النفس قسم لعلم النفس الإنساني 1971 ولعل إنشاء مثل هذا القسم اعتراف صريح بأهمية علم النفس الإنساني بالنسبة لعلم النفس بوجه عام ولعلم النفس الأمريكي بوجه خاص.

الملخص

علم النفس الإنساني والمدرسة الإنسانية تسمى تجاوزاً القوة الثالثة باعتبار أن القوة الأولى هي التحليل النفسي والثانية السلوكية، ومع ذلك فإن علم النفس الإنساني ما زال أضعف من أن يناطح هاتين القوتين.

ولا يمكن أن نهمل علم النفس الإنساني ونحن نتحدث عن نظريات الشخصية وعلم النفس الإنساني ظهر كقوة جديدة منذ حوالي أربعة عقود وتعنى الإنسانية أساساً بالتخلي عن الأفكار العقيمة التي سادت العصور الوسطى في أوروبا والتي تنظر إلى الإنسان نظرة تقلل من قيمته وتهدر من إنسانيته.

تؤكد الإنسانية على أهمية الخبرة الشعورية والوحدة بين طبيعة الإنسان وسلوكه والاعتقاد في وجود الإرادة الحرة وتأكيداً للقدرة الخلاقة عند الإنسان، أعترض عدد كبير من علماء التحليل النفسي مثل أدلر وهورناي وفروم على فكرة الحتمية الفرويدية تلك الحتمية التي تقررها القوة البيولوجية والقوة النفسية اللاشعورية، وهذه الانشقاقات عن التحليل النفسي الفرويدي بشرت بأفكار جديدة في تكوين الشخصية.

ساد الاعتقاد بأن الحضارة الغربية عامة والحضارة الأمريكية خاصة قللت من إنسانية الإنسان وأهدرت فرديته بحيث أصبح ترساً صغيراً في آلة الاجتماعيات الكبيرة.

وتوجه علم النفس الإنساني بالنقد إلى السلوكية لأنها اتبعت منهجاً مصطنعاً في دراسة السلوك الظاهر الذي يجرد الإنسان من إنسانيته وحوله إلى فأر أبيض كبير أو حاسب إليكتروني بطيء.

كذلك اتجهوا بالنقد إلى النظرية الفرويدية على أساس الاتجاه الحتمي الذي تتخذه وتقليلها من دور الشعور، كما توجه أسلوب النقد إلى فرويد لاقتصاره على دراسة الأشخاص المضطربين المصابين بالعصاب أو الذهان.

وفي مقابل علم النفس الذي تقول به السلوكية ويقول به التحليل النفسي قام علم النفس الإنساني ليكون قوة ثالثة.

إبراهام ماسلو

يسمى ماسلو الأب الروحي لعلم النفس الإنساني وهو الذي أطلق شرارة هذا المذهب وأعطاه شكله الأكاديمي.

ونناقش نظرية ماسلو في النقاط الآتية:

1. **الدوافع والحاجات:**

افترض ماسلو أن حاجات الإنسان مرتبة ترتيباً سلميا على النحو التالي:

أ. الحاجات الفسيولوجية وهذه الحاجات التي ترتبط ارتباطاً شعورياً ببقاء الفرد ويشترك فيها الإنسان والحيوان وهي الحاجة إلى الطعام والشراب والتزاوج والإخراج والنوم وإذا لم تشبع واحدة من هذه الحاجات الفسيولوجية تبقى مسيطرة حتى تشبع وإذا لم تشبع هلك الكائن الحي.

ب. حاجات الأمن: تتمثل في الحاجة إلى الاستقرار والحماية والنظام والتحرر من الخوف والقلق.

ج. حاجات الحب والانتماء: إذا أشبعت الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن يطلب الإنسان أن يحب وأن يكون محبوباً.

د. حاجات التقدير: بعد إشباع الحاجات الثلاثة تلح الحاجة إلى التقدير، سواء تقديره لنفسه أو تقدير الآخرين له.

ه. حاجات تحقيق الذات: هي قيمة الإرضاءات الإنسانية حيث يحقق الفرد ذاته ويؤكد هويته.

2. **تحقيق الذات**

وهو أعلى مستوى يصل إليه الإنسان في نموه النفسي والأفراد الذين حققوا ذواتهم لهم خصائص إيجابية هي:

أ. إدراك بالغ الكفاءة بالواقع بدون تشويه وموضوعية ويدركون الحقائق كما هي.

ب. تقبلهم لذواتهم وذوات الآخرين حيث يتقبلون جوانب الكمال وجوانب النقص دون تشويه أو تحريف.

ج. المبادأة والبساطة: المحقق لذاته يكون على سجيته فلا يخفي مشكلاته أو عواطفه.

د. التركيز على المشكلات لأعلى الذات: محققو ذواتهم كأنهم في مهمة مقدسة يؤدون عملهم بأقصى جهد ممكن.

ه. الرغبة في الاستقلال: يرغبون في العزلة ولكن ليست العزلة المرضية ولكن ضناً بوقتهم الثمين أن يفقدوه في غير أوجهه الصحيحة.

و. الانغماس الدائم: محققو ذواتهم لهم القدرة على رؤية العالم من حولهم بمزيج من الدهشة والتعجب والانشراح.

ز. تجربة القمة: يشعر الشخص المحقق لذاته كأنه أتى بالترياق من العراق.

ح. الاهتمام الاجتماعي: إنهم شديدو التعاطف مع الآخرين.

ط. العلاقات البين شخصية أي مع الآخرين: والصداقة معهم تتميز بالقوة والعمق.

ي. الابتكارية: يبدون الأصالة في التفكير.

ك. الشخصية الديمقراطية: محققو ذواتهم يتميزون بأنهم يتسمون بالصبر و لتحمل ويتقبلون الناس بغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو دينهم.

ل. مقاومة الثقافة السائدة: محققو الذات لا تحكمهم الثقافة السائدة وإن كانوا لا يثورون عليها.

أسئلة للمناقشة

1. لماذا يعتبر ماسلو مؤسس المدرسة الإنسانية؟
2. اشرح باختصار نظرية ماسلو للدوافع؟



الفصل الثاني

كارل روجرز

كارل روجرز Rogers (1902–1987)

مقدمة

أمريكي ولد في الولاية الأمريكية اليونوس عام 1902، وتربى في جو متشدد في الأخلاق والدين، وكان والداه من الذين يهتمون بتربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة نفسية اجتماعية سليمة طيبة تقوم على احترام العمل احتراماً شديداً.

وتميز روجرز بأمرين: الأول التركيز على الأخلاقية والمثالية، والثاني احترام طرق البحث العلمي.

بدأ روجرز في ويسكونسن في مجال الزراعة ثم تحول إلى علم النفس حيث التحق بكلية المعلمين في جامعة كولومبيا، وهي مؤسسة علمية لها سمعة عالية، حيث حصل على الدكتوراه عام 1931، ووصف تجربته في مجال علم النفس كشخص غارق في مفاهيم فرويد الدينامية في التحليل النفسي وبين المفاهيم الجامدة (هاردوير) السائدة آنذاك في كلية المعلمين في جامعة كولومبيا، وخلال سيرته العلمية حاول كارل روجرز التنسيق بين هذين الاتجاهين في انسجام واتساق بمعنى أن روجرز حاول دائماً تطبيق المنهج الموضوعي على موضوعات إنسانية تتسم بالذاتية.

يقول روجرز في كتابه تكوين الشخصية On Becoming A Person: العلاج النفسي هو محاولة تتسم بالذاتية ولكن هذه الخبرات الذاتية يجب أن ينظر إليها بموضوعية والهدف الذي أسعى إليه هو الوصول إلى قوانين تحكم السلوك وتكون هذه القوانين موضوعية. وفي عام 1968 كون روجرز مركزاً لدراسة الشخصية اسمه مركز دراسة الشخص.

ومن الأحداث المهمة في حياته أنه ترأس جمعية علم النفس الأمريكية عامي 1946 و1947، ومنح جائزتي الإنتاج المتميز، واحدة عام 1956 وواحدة عام 1972، وفي كتاب

تكون الشخص On Becoming A Person اتخذ روجرز لنفسه منهجاً يدور حول النواحي الآتي:

أ. في علاقاته بالآخرين تبين له أن تصرف الشخص خلافاً لواقعه هو من الأمور السلبية.

ب. من الأهمية بمكان أن تفهم الشخص الآخر.

ج. الخبرة بالنسبة لروجرز هي السلطة العليا.

د. الحياة في مجملها عمليات تغير ولا يبقى فيها أمر إلا واحتمال التغير قائم فيه.

ونلخص مذهب كارل روجرز في النقاط الآتية:

أولا: نظرة روجرز إلى الشخص

طبقاً لروجرز فإن طبيعة البشر إيجابية وتتجه حركة الإنسان نحو تحقيق الذات Self Actualization، وقد علمتنا الديانات المختلفة كما يرى روجرز وعلى رأسها المسيحية أن الإنسان خطاء و آثم وجاء فرويد وأشار إلى أن الإنسان تحكمه دوافع غريزية وحشية بدائية وعدوانية وقال روجرز أنه إذا اعتبرنا الأسود حيوانات مفترسة إلا أن لها في الواقع مزايا تحجم هذه الوحشية فالأسد يقتل فريسته فقط عندما يكون جائعاً ولا يقتل لمجرد القتل.

ويرى روجرز أن على عالم النفس أن يكتشف الجوانب الإيجابية في الإنسان وأن يكتشف هذه الإيجابيات إلى أعمق درجة ممكنة.

وعند روجرز نجد احترامه للإنسان سواء في نظريته في الشخصية أو في نظريته في العلاج المعقود على المستفيد Client Centered Theory، وخلافاً لمدرسة التحليل النفسي التي تركز على اللاشعور والدوافع الغريزية والنمو النفسي الجنسي فإن كارل روجرز يؤكد على أهمية الإحساسات والمشاعر وتحقيق الذات وعملية التغيير، وسنوضح ذلك في نقاط قادمة.

ثانيا: الذات Self

ثمة مفهوم أساسي في نظرية روجرز هو الذات، ومفهوم الذات يمثل نمطاً من الإدراكات يتسم هذا النمط بالتنظيم والتكامل، ورغم أن الذات تتغير إلا أنها تبقى منتظمة ومتكاملة والذات ليست شخصاً صغيراً بداخلنا والذات لا تفعل شيئاً والأفراد لا تكون لديهم ذوات تحكم أو تتحكم في سلوكهم بل إن الذات هي التي تمثل مجموعة متسقة من المدركات وهي نموذج من الخبرات والمدركات حاضراً في الوعي بحيث يكون شعورياً واعتقد

روجرز أن مثل هذا التعريف هو تعريف مناسب لغرض البحث العلمي إما كون الذات تشتمل على مواد لا شعورية فإنه لا يمكن دراسته دراسة موضوعية والذات المثالية Ideal Self وهي مفهوم الذات الذي يتمنى الفرد أن يكون عليه وهو يشتمل على الإدراكات والمعاني التي يقدرها الفرد تقديراً عالياً.

ثالثاً: طريقة التصنيف The qsort Technique

وهو أسلوب يستخدم في قياس الشخصية على أساس مجموعة من العبارات وأسماء السمات ويصنف المفحوص نفسه على كل عبارة مميزة أو غير مميزة.

وفي أسلوب q sort أو تصنيف Q يعطى المفحوصون مجموعة من البطاقات كل بطاقة تشتمل على عبارة تصف أحد خصائص الشخصية، فمثلاً بطاقة كتب عليها أكون الصداقات بسهولة وبطاقة كتب عليها من الصعب علي أن أعبر عن الغضب إلى غير ذلك، ويطلب من المفحوصين أن يقرؤو ما هو مكتوب على البطاقة (عدد البطاقات 100) ثم يصنفون البطاقات طبقاً لأكثر العبارات انطباقاً عليهم إلى أدنى العبارات انطباقاً عليهم، ويطلب من المفحوصين ترتيب البطاقات بحيث يبدؤون بالبطاقات التي تحتوي على عبارات تنطبق عليهم بشدة إلى التي لا تنطبق عليهم إلا قليلاً. وصياغة اختبارات Q sort تقوم على أساس أن المفحوص يصنف بعض العبار ت على أساس أنها أكثر انطباقاً عليه أو لا تنطبق عليه، أي على أساس أن هذه العبارة تصف صورة الذات المثالية أكثر إلى عبارة تصف الطرف الآخر من المتصل.

رابعاً: تحقيق الذات Self Actualization

بمعنى أن الكائن الحي يميل إلى إثبات وجوده وتحفيز حياته وقد اختار روجرز دافعاً واحداً بدلاً من عدة دوافع وبقي مدة حياته العلمية على هذا التصور لكن مفهوم إثبات الذات أو تحقيق الذات مفهوم بالغ التجريد ولم يخضع للقياس الموضوعي ومعنى هذا الكلام أو روجرز يرى أن الدافع الوحيد للإنسان هو دافع تحقيق الذات ويتضمن مفهوم تحقيق الذات ميل الفرد إلى التطور من كائن صغير إلى كائن كبير من كائن مستعين بغيره إلى كائن مكتفٍ بنفسه وكائن ينتقل من الجمود إلى المرونة وحرية التعبير كما يتضمن مفهوم تحقيق الذات التحول من كينونة Entity بسيطة إلى كينونة مركبة لما يتضمن ميل الفرد إلى خفض توترات الحياة اليومية كما يؤكد على أهمية الرضا والسرور الناتجين عن المناشط التي يمارسها الكائن الحي.

خامساً: الانسجام والتوافق الذاتي

أكد روجرز على أهمية الانسجام بين الذات والخبرة الحياتية اليومية وذلك بغرض أن يصل الفرد إلى التماسك، وهو الخلو من الصراع ومعظم السلوكيات التي يأتيها الكائن الحي لا بد أن تكون منسجمة مع الذات ومع الخبرة وقد توسع عالم آخر هو لكي Lucky وقد أضاف مفهوم التماسك الذاتي Self Consistency وطبقاً لِلكي فإن الكائن الحي لا يسعى للحصول على اللذة أو لا يهدف للحصول على اللذة أو تجنب الألم ولكن الكائن الحي يبحث عن هدف هو بناء الذات هنا يكون الفرد نظاماً قيماً ويكون هذا النظام مركزه الذات ويرى لكي أن الناس صادقين فقط بالنسبة لأنفسهم أي أنهم لا يكذبون على أنفسهم ولا يخدعونها ويتصرف الأفراد بطريقة متفقة مع فكرتهم عن أنفسهم طبقاً لمفهوم الذات حتى لو كان ذلك لا يؤدي إلى مكافأتهم، وهكذا فإذا اعتبر الإنسان أو الفرد نفسه ضعيفاً في الهجاء فإنه سيتصرف طبقاً لإدراكه هذا، مثال شخص ضعيف في الهجاء أي لا يستطيع أن يكتب اللغة بسهولة يخطئ في النحو والبلاغة والإملاء إذا كانت عنده هذه الأخطاء فإنه يتحاشى أن يوضع في موقف يحتاج فيه إلى استخدام اللغة.

وإذا كان ضعيفاً في مهارات الحساب فإنه يتخوف من المواقف التي يكون مضطراً فيها إلى حل مسائل حسابية.

سادساً: حالات الانسجام والعمليات الدفاعية

هل يمكن أن يعاين الفرد الانسجام أو عدم الانسجام أو بالأحرى عدم الانسجام بين الذات والخبرة بالواقع، إن كان ذلك يمكن أن يحدث فما الأساليب أو الآليات التي يتخذها الفرد لتحقيق الانسجام بين الذات والواقع طبقاً لروجرز؟ نحن نعاين حالة من عدم الانسجام بين الذات والواقع، مثلاً إذا كنت شخصاً محباً للبشر ولا تكره أحداً ولكنك محاط بمن يكرهونك هنا حالة من عدم الانسجام بين الذات والواقع وهذه الحالة تؤدي إلى ارتباك وتوتر داخلي، والشخص في هذه الحالة معرض لمشاعر القلق.

والشخص الذي عنده مفهوم ذات مضمونة أنه لا يكره أحداً سوف يتعرض للقلق بسبب مشاعر الكراهية المتجهة إليه من الآخرين مهما كانت قوة هذه المشاعر أو ضعفها.

وعادة ما نكون على وعي بخبرتنا ونسمح بتمرير هذه الخبرات إلى الشعور ومع ذلك فقد نلاحظ أن إحدى هذه الخبرات وكأنها مؤدية إلى صراع بين الخبرة وبين مفهوم الذات ولن نسمح لها بالوصول إلى الشعور، وهذه الحالة تسمى التلبس أو التجاهل Subsection.

وهناك حيلتان نلجأ إليهما: الأولى تحريف معنى الخبرة، والثانية إنكار وجود الخبرة وحيلة الإنكار تؤدي إلى الحفاظ على بناء الشخصية من التهديد.

ويفيد التحريف بأنه يسمح للخبرة أن تمر إلى الوعي ولكن في صورة محرفة بحيث تكون متسقة مع الذات.

سابعا: الحاجة إلى التقدير الإيجابي

تشير الدراسات إلى أن الخبرات التي لا تتسق مع مفهوم الذات يتم تجاهلها أو إهمالها والحاجة إلى التقدير الإيجابي معناها عند روجرز الحاجة إلى الدفء والحب والاحترام والتعاطف والتقبل وتظهر عند الطفل حاجات مثل الحب والحنان وإذا قدم لهذا الطفل هذا لتقدير الإيجابي غير المشروط فإنه لا يكون ثمة حاجة إلى إنكار الخبرات.

ولتوضيح ذلك فنقول إن روجرز يعتقد كما وضحنا سابقاً أن القوة الدافعة الأساسية عند الإنسان هي تحقيق الذات رغم أن هذا الدافع نحو تحقيق الذات دافع ولادي إلا أن التعلم والخبرات التي يتعرض لها الفرد تؤثر على هذا الدافع ومن الأهمية بمكان في نظر روجرز علاقة الطفل بأمه لأن هذه العلاقة من شأنها أن تؤثر على الشعور بالذات وعندما ترضي الأم حاجة الطفل إلى الحب والتي يسميها روجرز الاهتمام الإيجابي Positive Regard فإن الطفل ينشأ غالباً على شخصية سوية وعندما تجعل الأم بذل الحب والتفاهم مشروطاً بما يتهجه من سلوك لائق فإن الطفل سوف يستدخل في اتجاه الأم ويكون ما أسماه روجرز إشراطات الجدارة Condition of Worth.

وفي هذا الموقف يشعر الطفل في ظل ظروف أو شروط معينة ويحاول عدم الإتيان بتلك السلوكيات التي تؤدي إلى غضب الأم أو عدم إرضائها، ونتيجة لهذا كله يرى روجرز بأن الذات لا يسمح لها بالنمو الكامل لأنه لا يتاح لها التعبير عن كل مظاهر جوانبها.

وهكذا فإن المطلب الأساسي من أجل صحة نفسية سوية هو أن يتلقى الطفل الاهتمام الإيجابي بأسلوب غير إشراطي بحيث تبدي الأم حبها وتقبلها للطفل بغض النظر عن سلوكه وفي هذه الحالة فإن الطفل لا يكون إشراطات الجدارة وبالتالي لا يضطرب إلى كبت أو قمع أي مظهر من مظاهر ذاته النامية Emerging Self وفي هذه الحالة فقد يمكن للطفل الوصول إلى تحقيق الذات.

إن هدف تحقيق الذات في نظر روجرز هو الوصول إلى أعلى مستوى من الصحة النفسية وهي حالة يسميها روجرز كمال الوظيفة والفرد الكامل الوظيفة يتميز بالانفتاح

على كل الخبرات والتجارب ويميل إلى أن يعيش في كل لحظة من وجوده كما يتميز بإحساسه بالحرية في الفكر والعمل هذا إلى جانب قدر كبير من الابتكارية.

ثامنا: تحقيق الذات وعلاقته بالنمو النفسي السوي

إن اهتمام روجرز بأن هل يسمح للطفل أن ينمو بصورة طبيعية وبحالة من الانسجام بحيث يكون محققاً لذاته او بالأحرى يكون الطفل بحالة من عدم الانسجام وممارسات الدفاعيات مثل التجاهل والتشويه.

إن النمو النفسي السوي للذات إنما يحدث في مناخ يكون فيه الطفل مقبولاً من قبل والديه حتى ولو اعترضا على بعض سلوكياته.

وهذه النقطة قد تأكدت من قبل الأطباء النفسيين وعلماء النفس ومثال ذلك أحد الأبوين يقول للطفل أنا اكرهك فرق بين آخر يقول للطفل أنا اكره بعض أفعالك وهذا الأخير يعامل الطفل رغم أخطائه بعكس الأول الذي يشعر الطفل بالكراهية، هذه الكراهية سوف تؤدي بالطفل إلى حالة من الكراهية تتناقض مع الصورة التي رسمها لنفسه بنفسه من أنه يحب ولا يحب، وهذا يؤدي إلى إنكار وتحريف هذه المشاعر عن الحب.

تاسعا: المرض النفسي

الشخص السوي في نظر روجرز هو ذلك الذي يستطيع أن يستدخل الخبرات ويجعلها جزءا من بنائه الذاتي.

وبالنسبة لهذا الشخص السوي هناك انسجام أو تآلف أو توافق بين الذات والخبرات وفي مقابل ذلك فإن الشخص العصابي معنى مفهوم الذات عنده قد بني بشكل لا يتناسب مع أستقبال الخبرات.

والشخص المضطرب نفسياً أو سيء التوافق سوف لا يتعامل مع الخبرات اليومية لأنها يكرهها أو يشوهها.

وقد ميز روجرز بين أنواع وأنماط السلوكيات الدفاعية مثلاً في حيلة التبرير يلجأ الفرد إلى تحريف السلوك ليكون متعاطفاً مع الذات ومن ناحية أخرى هي أحلام اليقظة Fantasy فالشخص الحالم قد يتصور أنه زوج أجمل امرأة في العالم أو أن كل الفتيات معجبة به وينكر أي خبرة أخرى مخالفة.

هذا وقد فسر كارل روجرز المرض النفسي في إطار العلاقات المضطربة بين الذات والخبرات.

عاشراً: العلاج النفسي

من خلال عمله مع المستفيدين من خدمات العلاج النفسي تأكد روجرز من أن طريقته المسماة العلاج المعقود على المستفيد يمكن أن تغير الناس الذين لا يدركون مشاعرهم إدراكاً مناسباً بحيث يستطيعون أثناء العلاج أو بعده أن يكونوا على صلة ووعي بمشاعرهم مع قدر كبير من المرونة والانفتاح.

كان كارل روجرز بالغ الحساسة في موضوع تحسين الصحة النفسية لأكبر عدد ممكن من البشر وباشر العمل مع مجموعات شجعت على أن يعرفوا المزيد عن أنفسهم لذلك تعلموا كيف يواجه بعضهم بعضاً ويذكر شولتز أن عدة ملايين انتظموا في هذه المجموعات خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين (عدة ملايين رقم لا يكاد يصدق) وكل مجموعة كانت مكونة من 8: 15 فرداً يقابلون عدة مقابلات تتراوح بين 20: 60 ساعة وكانت كل جماعة تبدأ بصورة عفوية وبدون أجندة وبدون رئيس والأفراد من الأخصائيين النفسيين الذين راعوا هذا الأسلوب سماهم روجرز الميسرين Facilitators أو المسهلين وكانت مهمتهم قاصرة على تهيئة الجو لأفراد الجماعات أن يتحدثوا بحرية وطلاقة ويركزون على خبراتهم الخاصة كما كانت مهمتهم أن يسهلوا على أفراد الجماعة الوصول إلى الاستبصار بالذات وأن يكونوا أكثر كفاءة وجاهزية وسمي هذا الأسلوب الجماعات المتقابلة ويقال أن العلاج بهذا الأسلوب يتضمن إحدى عشر مرحلة على النحو التالي:

1. المرحلة الأولى: لأنه لا توجد تعليمات من الميسرين أو بالأحرى المشرفين كي يحددوا ما الذي على الأفراد فعله أو قوله فإن يكون ثمة شعور بالارتباك والحيرة أو التردد وبالتدريج فإن أفراد الجماعة يفهمون بأن الاتجاه الذي يسير فيه العمل إنما يأتي منهم أنفسهم لا من خارج الجماعة.
2. المرحلة الثانية: مقاومة التعبير الذاتي يكون الأعضاء في مبدأ الحال كارهين لكشف أنفسهم وهذا راجع إلى ضغوط خارجية لأن الإنسان قد يكشف عن أشياء تصور من الناحية الاجتماعية أنها خطأ.
3. المرحلة الثالثة: وصف الخبرات السابقة: يبدأ الأفراد في الحديث عن المشكلات التي واجهتهم في حياتهم فمثلاً شخص يتحدث عن المتاعب الأسرية وشخص آخر يتحدث

نظرة روجرز إلى الأفراد

هذه النظرة التفاؤلية فإنه يتبع ذلك أنه ينظر إلى المجتمع بنفس النظرة ويرى روجرز أن كل ما هو مناسب لتسهيل تحقيق الذات بالنسبة للفرد هو نفسه مناسب للأفراد الآخرين الذين يتعامل معهم ذلك أن الحافز الفطري الموجود لدى الفرد في أن يحقق إمكانياته لا يفيد الفرد فقط بل يفيد المجتمع ولذلك فإن الرفاهية الاجتماعية تتبع تحقيق الفرد لذاته.

الثاني عشر: العلاج المعقود على المستفيد

هو واحد من أهم أساليب العلاج النفسي والإرشاد النفسي وقد ابتكره روجرز في الأربعينيات من القرن العشرين وقام أساساً على خبرته العلمية وهذه الطريقة أي العلاج المعقود على المستفيد قائمة على أساس أن توفير مناخ سيكولوجي مناسب وصحي فهذا سيؤدي إلى أن الأفراد سوف يمارسون ذاتياً بينهم وبين أنفسهم قدراً كبيراً من فهم الذات وسوف يسلكون سلوكاً موجهاً ذاتياً أي نابع من الشخص نفسه وليس من القيم الخارجية.

في عام 1957 نشر مقالة بعنوان الشروط الضرورية للعلاج الهادف إلى تغيير وتطوير الشخصية وموجز هذا المقال أن هناك ثلاث من الصفات يجب أن يتصف بها المعالج:

أ. الأصالة.

ب. التقبل والرعاية: بمعنى تقبل المستفيد والاستجابة البناءة حيال المستفيد غير المشروطة.

ج. الفهم القائم على أساس المشاركة الوجدانية أو التعاطف.

ويهدف العلاج المعقود على المستفيد إلى تحسين معرفة الفرد لذاته وإلى تحسين ثقته بنفسه وزيادة فهمه للعلاقات مع الآخرين وتقدم الخبرات سواء كانت سارة أو ضارة والرغبة المتزايدة في التخلي عن الأهداف الجامدة والتحلي بروح تقبل النقد وإمكانية تعديل الأهداف وزيادة الحساسية وتنمية الرغبة في أن يكون الشخص قادراً على التأثير في الآخرين.

الملخص

روجرز، عالم نفس أمريكي، بدأ في مجال الزراعة بجامعة ويسكونسن ثم تحول إلى علم النفس حيث التحق بكلية المعلمين جامعة كولومبيا، التي حصل منها على الدكتوراه عام 1931.

ترأس جمعية علم النفس الأمريكية عامي 1946 و 1947 ومنح جائزة الإنتاج المتميز عام 1956 ومرة أخرى عام 1972.

وفي كتاب تكون الشخص اتخذ روجرز لنفسه منهجاً يدور حول النواحي الآتية:

أ. تصرف الشخص خلافاً لواقعه هو من الأمور السلبية.

ب. من الأهمية بمكان أن يفهم الشخص الآخر.

ج. الخبرة بالنسبة لروجرز هي السلطة العليا.

د. الحياة في مجملها عمليات تغير.

ونلخص مذهب كارل روجرز في النقاط الآتية:

1. **نظرة روجرز إلى الشخص**: طبقاً لروجرز فإن طبيعة البشر إيجابية وتتجه حركة الإنسان نحو تحقيق الذات، وقد علمتنا الديانات المختلفة أن الإنسان خطاء وجاء فرويد وأشار إلى أن الإنسان تحكمه دوافع غريزية وحشية. ويرى روجرز أن عالم النفس ينبغي أن يكتشف الجوانب الإيجابية في الإنسان ويؤكد روجرز على أهمية الإحساسات والمشاعر وتحقيق الذات وعملية التغير.

2. **الذات**: مفهوم الذات هو نمط من الإدراكات يتسم بالتنظيم والتكامل وهي نموذج من الخبرات والمدركات حاضرة في الوعي، أما كون الذات تشتمل على مواد لا شعورية فإن هذا لا يمكن دراسته دراسة موضوعية.

3. **طريقة التصنيف Q**: وهو أسلوب يستخدم في قياس الشخصية على أساس مجموعة من العبارات وأسماء السمات ويصنف المفحوص نفسه على كل عبارة على أساس أنها مميزة له أو غير مميزة له حيث يعطى المفحوص مجموعة من البطاقات، كل بطاقة كتب عليها يكون الصفات بسهولة، يقرأها المفحوص ويقرر إلى أي مدى تنطبق عليه، وعدد البطاقات 100، ويطلب من المفحوصين ترتيب البطاقات بحيث يبدؤون

بالبطاقات التي تحتوي على عبارات تنطبق عليهم بشدة إلى التي لا تنطبق عليهم إلا قليلاً.

4. **تحقيق الذات**: اعتقد روجرز أن الإنسان كائن يسير قدماً إلى الأمام وتحكمه الرغبة في تحقيق الذات وإثبات الوجود وتحفيز الحياة واختبر واختبار روجرز دافعاً واحداً ويبقى على هذا التصور طول حياته العلمية حيث الدافع الوحيد في نظره هو تحقيق الذات بمعنى أن يجد الإنسان في نفسه ميلاً إلى التطور من كائن صغير إلى كائن كبير، من كائن مستعين بغيره إلى كائن مكتفٍ بنفسه.

5. **الانسجام والتوافق الذاتي**: أكد روجرز على أهمية الانسجام بين الذات والخبرة الحياتية اليومية وبغرض أن يصل الفرد إلى التماسك وهو الخلو من الصراع، وأضاف لُكي مفهوم التماسك الذاتي، وطبقاً لِلُكي فإن الكائن الحي يبحث عن هدف هو بناء الذات ويكون نظاماً قيماً مركزه الذات، ويرى لُكي أن الناس صادقون بالنسبة لأنفسهم لا يكذبون عليها.

6. **حالات الانسجام والعمليات الدفاعية**: يتساءل روجرز هل يمكن أن يعاني الفرد من عدم الانسجام بين الذات والخبرة بالواقع. ذلك ممكن أن يحدث، فما هي الأساليب أو الآليات التي يتخذها الفرد لتحقيق الانسجام بين الذات والواقع، فمثلاً إذا كان شخصاً محباً للبشر ولا يكره أحداً ولكنه محاط بمن يكرهونه هذه حالة من عدم الانسجام بين الذات والواقع.

عادة ما نكون على وعي بخبرتنا ونسمح بتمرير هذه الخبرات إلى الشعور ومع ذلك قد نلاحظ أن إحدى هذه الخبرات وكأنها مؤدية إلى صراع بين الخبرة ومفهوم الذات ولا نسمح لها بالوصول إلى الشعور وهذه الحالة تسمى التلبس.

7. **الحاجة إلى التقدير الإيجابي**: معناها الحاجة إلى الحب والدفء والاحترام والتعاطف والتقبل وإذا قدم للطفل هذا التقدير الإيجابي غير المشروط فإنه لن يكون ثمة حاجة إلى إنكار الخبرة.

القوة الدافعة عند الإنسان هي تحقيق الذات رغم أن هذا الدافع إلى تحقيق الذات دافع ولادي إلا أن التعلم والخبرة يؤثران على هذا الدافع فعندما ترضي الأم حاجة الطفل إلى الحب والتي يسميها روجرز الاهتمام الإيجابي فإن الطفل ينشأ غالباً على شخصية سوية ويستدخل اتجاه الأم، ويكون ما أسماه روجرز إشراطات الجدارة وفي هذا الموقف

بشعر الطفل بذاته، وفي ظل ظروف أو شروط معينة فيحاول عدم الإتيان بالسلوكيات التي تؤدي إلى إغضاب الأم ومن أجل صحة نفسية سوية ويستدخل اتجاه الأم ويكون ما أسماه روجرز إشراطات الجدارة وفي هذا الموقف يشعر الطفل بذاته وفي ظل ظروف أو شروط معينة فيحاول عدم الإتيان بالسلوكيات التي تؤدي إلى إغضاب الأم ومن أجل صحة نفسية سوية يجب أن يتلقى الطفل الاهتمام الإيجابي بأسلوب غير إشراطي بحيث تبدي الأم حبها وتقبلها للطفل بغض النظر عن سلوكه وفي هذه الحالة فإن الطفل لا يكون إشراطات الجدارة وبالتالي لا يضطر إلى كبت أو قمع أي مظهر من مظاهر ذاته النامية وفي هذه الحالة يمكن للطفل الوصول إلى تحقيق الذات.

8. **تحقيق الذات وعلاقته بالنمو النفسي السوي:** إن النمو النفسي للذات إنما يحدث في مناخ يكون فيه الطفل مقبولاً من قبل والديه حتى لا يعترضا على بعض سلوكياته ومثال ذلك أحد الوالدين يقول للطفل أنا أتركك، فرق بين آخر يقول للطفل أنا أكره بعض أفعالك، وهذا الأخير يعامل الطفل رغم أخطائه بعكس الأول الذي يشعر الطفل بالكراهية، وهذه الكراهية سوف تؤدي بالطفل إلى حالة تتناقض مع الصورة التي رسمها لنفسه بنفسه من أنه يحب ولا يحب.

9. **المرض النفسي:** الشخص السوي في نظر روجرز هو الذي يستطيع أن يستدخل الخبرات ويجعلها جزءا من بنائه الداخلي أو الذاتي وبالنسبة للشخص السوي هناك توافق بين الذات والخبرات والشخص العصابي أو المريض النفسي معنى مفهوم الذات عنده بُني بشكل لا يتناسب مع استقبال الخبرات، والشخص المضطرب نفسياً لا يتعامل مع الخبرات اليومية لأنه يكرهها أو يشوهها، ففي أحلام اليقظة الشخص الحالم يتصور أنه زوج أجمل امرأة في العالم، أو يتصور أن كل الفتيات معجبات به، وينكر أية خبرة أخرى مخالفة، والمرض النفسي يفسر في إطار العلاقات المضطربة بين الذات والخبرات.

10. **العلاج النفسي:** يمكن للمستفيدين من طريقة العلاج المعقودة على المستفيد أن يحسنوا صلتهم بالواقع مع قدر من المرونة والانفتاح مكونين جماعات علاجية كل جماعة مكونة من 8: 15 فرداً، يتعرضون للقاءات تتراوح بين 20: 60 ساعة، وكانت كل جماعة تبدأ بصورة عفوية، وبدون أجندة، وبدون رئيس، والأفراد من الأخصائيين النفسيين الذين رعوا هذا الأسلوب سماهم روجرز الميسرين أو المسهلين وكانت مهمة الميسرين أو

المسهلين الوصول بالجماعة إلى الاستبصار بالذات، وسُمي هذا الأسلوب الجماعات المتقابلة، وتتضمن المراحل التالية:

أ. المرحلة الأولى: لا توجد تعليمات معينة لكل جماعة، هناك شعور بالتردد وارتباك بحيث يفهمون أن الاتجاه الذي يسير فيه العمل إنما يأتي من عندهم.

ب. المرحلة الثانية: يكون الأعضاء في مبدأ الحال كارهين لكشف أنفسهم.

ج. المرحلة الثالثة: وصف الخبرات السابقة ويتحدثون عن المشكلات التي واجهتهم.

د. المرحلة الرابعة: التعبير عن المشاعر السلبية.

ه. المرحلة الخامسة: الاستكشاف لعناصر الشخصية.

و. المرحلة السادسة: التعبير عن المشاعر المتبادلة في الجماعة.

ز. المرحلة السابعة: الطاقة العلاجية حيث يستجيب أفراد المجموعة لمتاعب الآخرين.

ح. المرحلة الثامنة: تقبل الذات وأن يتعرف أفراد المجموعة إلى جوانب في شخصياتهم كانوا غافلين عنها ويجنحوا إلى التغيير.

ط. المرحلة التاسعة: تحطيم المواجهة والتشدد حيال من لا يكشف عن ذاته.

ي. المرحلة العاشرة: يتسلم أو يستقبل الفرد التغذية الراجعة من خلال جلسات الحوار، هذه التغذية الراجعة عن كيف يدركه الآخرون بحيث تكون صورته عن ذاته قريبة من الواقع.

ك. المرحلة الحادية عشرة: التحدي أو المواجهة: يواجه الأفراد بعضهم بعضاً، خلال انعقاد الدورة العلاجية، ويسود جو من الغضب والنقد وهذه المواجهات هامة.

11. طبيعة الإنسان عند روجرز: نظرية روجرز في الشخصية تعطي صورة طيبة عن الطبيعة الإنسانية، تصور الإنسان عن أنه مطلق الحرية في حد ذاته، ولا يوجد جانب في الشخصية يحكمه أو تحكمه الحتمية، وقد سلم روجرز بأهمية الطفولة في تشكيل شخصية الإنسان، ولكنه أكد على أهمية المراحل التالية وإن كانت مرحلة الطفولة مهمة فإن المراحل التالية أهم، ونحن لدينا رغبة في تنمية كل ما يتصل بتحقيق ذواتنا.

ولم يفقد روجرز يوماً ثقته بالإنسان ونظرته التفاؤلية، والإنسان ليس كائناً يميل للصراع مع الآخرين وليس محكوماً بالسنوات الخمس الأولى من العمر، وليس محكوماً بالدوافع

العدوانية والجنسية والاضطرابات النفسية مثل النكوص وغيره من الحيل النفسية ليست قاعدة في سلوك الإنسان. نظرة روجرز إلى الأفراد هي نفسها نظرته إلى المجتمع.

ويرى روجرز أن كل ما هو مناسب لتحقيق الذات بالنسبة للفرد هو نفسه مناسب بالنسبة للأفراد الآخرين.

12. **العلاج المعقود على المستفيد**: أحد أساليب العلاج النفسي والإرشاد النفسي قائم على أساس توفير مناخ سيكولوجي مناسب وصحي فإن الأفراد سوف يمارسون ذاتهم بينهم وبين أنفسهم قدراً كبيراً من فهم الذات.

وهناك ثلاث صفات يجب أن يتصف بها المعالج النفسي:

أ. الأصالة.

ب. تقبل المستفيد.

ج. الفهم القائم على أساس المشاركة الوجدانية أو التعاطف.

أسئلة للمناقشة

1. دور روجرز في علم النفس الإنساني، تكلم عن ذلك؟
2. «العلاج النفسي عند روجرز»، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
3. كيف تقيم نظرية روجرز؟

حاشية

الظاهراتية

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سادت في علم النفس الألماني مدرستان مهمتان: الأولى هي مدرسة فونت البنائية التي تدرس الخبرة الشعورية بواسطة الاستبطان وترى أن المحتوى العقلي يعتمد على الخبرة الحسية، أما المدرسة الأخرى فهي مجموعة من العلماء كانوا على شيء من الخلاف مع فونت مثل برنتانو وستمف وكذلك مدرسة فرزبورج التي تزعمها كولبة حيث مهد هؤلاء العلماء للظاهراتية Phenomenology.

والظاهراتية تتعلق بدراسة الظواهر، والظاهرة من الناحية اللغوية هي ما يظهر للمشاهد أو الملاحظ، وتعني الظاهراتية بأنه يجب عند الدراسة أن تؤخذ الظواهر من حيث كونها تدرس في ذاتها بطريقة مباشرة، بغض النظر عن أسبابها ومصاحباتها، والدراسة الظاهراتية من حيث كونها أسلوباً في علم النفس تؤكد على الخبرة كما يعانيها الفرد، وهي تعارض أي تحليل من شأنه تحطيم الحادثة النفسية إلى شظايا متناثرة.

وعلى ذلك فإنه بالنسبة للظاهراتية، فإن الخبرة المباشرة الفورية هي نقطة البداية بالنسبة لفهم الأحداث النفسية، والدراسة الفورية معناها أن ندرس الظاهرة في وقت حدوثها نفسه بدون أن تجري تحريفات بسبب التفاعل العقلي، ويتمثل هذا التفاعل في نسيان أجزاء من الظاهرة أو المبالغة في تقدير أجزاء أخرى، أي أن الباحث قد يهتم بالجوانب التي تؤيد مذهبه العلمي أو الفلسفي، ويهمل الجوانب التي لا تؤيده.

ومثال للدراسة الظاهراتية، أنه في حالة وقوع شخص ما في الحب فإن هناك مجموعة من المشاعر والأفكار والعواطف التي يعانيها، ويمكن وصف هذه المشاعر والأفكار والعواطف في مظاهر معينة مثل زيادة ضربات القلب أو احمرار الوجه أو التوتر أو الارتباك من حضور الشخص المحبوب، كما أن المحب يميل إلى تضخيم مزايا المحبوب والتقليل من عيوبه، بل قد يميل إلى اعتبار هذه العيوب بمثابة مزايا.

إن الظاهراتية ترى أن محاولة تحليل عاطفة الحب ووصفها بطريقة تحليلية تفصيصية أمر مرفوض، لأن هذا التحليل من شأنه البعد عن حقيقة هذه العاطفة، إن الظاهراتية تطالب أن تكون الدراسة هي الوصف الحر المباشر عن طريق المعاينة الذاتية أو المعاناة

الذاتية، وإلى جانب ذلك ترى الظاهراتية أن هناك فرقاً بين الخبرة الفعلية عن طريق المعاينة والمباشرة وبين الدراسة التحليلية لهذه الخبرة لأن التحليل من شأنه تشويه هذه الخبرة.

ولا يفوتنا أن نذكر أثر جوته Geothe (1739-1832م) شاعر ألمانيا وأديبها العظيم على انتشار الأفكار الظاهراتية في الفكر الألماني، حيث كانت له أعمال أدبية كثيرة أعظمها على الإطلاق كتاب فاوست الذي صدر الجزء الأول منه عام 1808م والثاني بعيد وفاته عام 1932م، وفي هذا الكتاب يعطي جوته وصفاً رائعاً لمراحل الحياة والفن الشعري والأدبي، وكذلك وصفاً لآرائه الفلسفية، وتبدو في هذا الكتاب محاولة جوته الوصول إلى المعرفة الكاملة والخبرة المباشرة لظواهر الحياة، وكان لهذا الكتاب أثر بالغ على الثقافة العامة في ألمانيا عامة، وعلى المشتغلين بالفلسفة وعلم النفس خاصة.

ومن أهم علماء هذا المذهب:

ادموند هوسرل Husserl (1859-1938م)

ألماني وهو مؤسس المذهب الظاهرياتي المعاصر، ولد في مورافيا (تشيكوسلوفاكيا الآن) وقد درس في ليبزج على يد فونت، كما درس الرياضيات في فينا، ووقع تحت تأثير برنتانو، واشتغل هوسرل بتعليم الفلسفة في جامعة جوتنجن من عام 1900 حتى 1916م، حيث تركها إلى كرسي الفلسفة بجامعة فريبورج، وبقي في هذا الكرسي إلى اعتزاله في 1928م.

ومن أهم الأعمال التي أصدرها كتابان عن الظاهراتية، أصدر الأول عام 1913م، وأصدر الثاني عام 1928م.

ويرى هوسرل أن ثمة مبدأين أساسيين يتخذهما في فلسفته الظاهراتية:

- المبدأ الأول: أنه يجب التحرر من كل رأي سابق على أساس أن ما ليس مبرهناً ببرهان قاطع صحيح فلا قيمة له، وهي حالة قريبة من شك ديكارت، ولكن الشك عند هوسرل يؤدي به أن يضع بين قوسين الأشياء الموجودة في العالم الخارجي، وذلك لكي يحصر نظره في خصائصها الجوهرية كما هي ماثلة في الشعور.
- المبدأ الثاني: أنه يجب الذهاب إلى الأشياء نفسها، أي إلى الأشياء الظاهرة في الشعور ظهوراً بيناً، مثل الألوان أو الأصوات، فهذه الأشياء الظاهرة مدركة بحدس خاص ولا سبيل إلى تفتيتها أو تحليلها، وهي مدركة بصورة مباشرة.

وهدف هوسرل هو التوصل إلى فلسفة للعلوم ومنهج للبحث، على أن تكون هذه الفلسفة وهذا المنهج في غاية الدقة، كما للطرق الأمبريقية، ولكن بشرط ألا يؤدي إلى تفتيت موضوع الدراسة إلى عناصر، وقد ميز هوسرل بين فرعين عامين للمعرفة:

- الفرع الأول: يتضمن دراسة خبرة الشخص عن العالم الفيزيقي الخارجي والذي يؤدي بالفرد إلى الاتجاه نحو البيئة، وسمّى هوسرل هذا الفرع بالعلوم الطبيعية التقليدية.
- الفرع الثاني: وهو الفلسفة موضوع لدراسة خبرة الفرد حينما يتجه إلى داخل ذاته، أو داخل نفسه، والمساهمة الأساسية التي أتى بها هوسرل هي أن على علم النفس أن يوصل أو يقنطر Bridge بين هذين الفرعين ويدرس خبرات الفرد الناتجة عن الاتجاه إلى العالم الخارجي وخبراته الناتجة عن الاتجاه إلى داخل الذات.

ويرى هوسرل أن الشعور لا يوجد في إطار مفهوم مجرد، أو في صورة مخزن للذكريات، بل إنه يرى أن الشعور هو كون الشخص على وعي بشيء ما، فالشعور هو خبرة الشخص بموضوع، ويؤكد هوسرل أن كل فعل شعوري يهدف إلى موضوع ما، ولدراسة الشعور قدم هوسرل منهجاً سمّاه الاختزال الظاهرياتي Phenomenological Reduction وهو ليس منهجاً تجزيئياً يفتت الحادثة النفسية إلى أجزاء، بل إنه منهج يقوم على الغوص في المادة اللاصقة لمكونات التجربة أو اختراقها.

وقد أثرت آراء هوسرل على بعض المعاصرين له من فلاسفة الظاهراتية مثل هيدجر كما أثر على بعض الفلاسفة اللذين مزجوا بين الظاهراتية والوجودية مثل ميرلو – بونتي.

مارتن هيدجر Heidgger (1889- 1976م)

هو من مساعدي هوسرل في جامعة فريبورج الألمانية والذين وسعوا المذهب الظاهراتي، ولد في بادن بألمانيا والتحق في بداية حياته بالعمل قسيساً في مدينة فريبورج، وعندما قرأ بعض دراسات برنتانو اهتم بدراسة الفلسفة، وفي عام 1914م حصل على درجته الجامعية وكانت رسالته الجامعية بعنوان «نظرية الحكم في علم النفس»، وبعد ذلك بقليل أصبح مساعداً لفيلسوف الظاهراتية هوسرل، وكانت علاقته بالنازي منذ عام 1933م مضطربة وفيها تناقض بين التأييد والمعارضة.

ومؤلفه الرئيسي الكينونة والزمن Being and Time، أصدره عام 1927م، كانت فيه بذور معارضته لأستاذه هوسرل، ذلك أن هوسرل رأى أن الفلسفة الظاهراتية تدرس الشعور بينما يرى هيدجر أن الفلسفة الظاهراتية هي دراسة الكينونة، ذلك أن الناس

مغتربون عن كينونتهم الحقيقية، والظاهراتية عند هيدجرد تساعد على عودة الناس إلى كينونتهم، وعلم النفس في نظره هو دراسة كينونة Being الأفراد التي تتضح في حالاتهم الشعورية، فالإنسان يوصف بأن له حالة شعورية، بل هو الحالة الشعورية نفسها، إن الإنسان هو الفرح، إن الإنسان هو الحزن، والوجود الإنساني يجب أن يكون هدفه فهم كينونته بحيث نستبين زيف التجربة أو حقيقتها.

وثمة مزج بين الظاهراتية والفلسفة الوجودية ظهر في مجال علم النفس المعاصر تحت اسم علم النفس الوجودي الظاهرياتي Existential Phenomenological Psychology وهو اتجاه يهتم أكثر ما يهتم بمجال العلاج النفسي.

والوجودية Existentialism هي حركة فلسفية في القرن العشرين، ترى أن الإنسان هو الذي يختار أفعاله وهو أيضاً مسؤول عنها، وهي لذلك تؤكد على أن الوجود سابق على الماهية بالنسبة للإنسان، أي أن الإنسان يوجد أولاً ثم يحقق ماهيته وخصائصه بعد ذلك، وهي كذلك تركز على الفرد وعلى علاقته بالوجود الذي يعيش فيه، والوجودية لها تأثير شديد على الفكر الأدبي في الفلسفة والأدب والمسرح.

ومن أشهر فلاسفة الوجودية وأكثرهم ضجيجاً وإنتاجاً الفيلسوف الفرنسي سارتر Sarter (1905–1980) الذي اشتغل إلى جانب الفلسفة بالآداب، وتعكس أعماله الأدبية والفلسفية نظرته إلى الإنسان على أنه صانع وجوده، ومختار أفعاله، ومن أشهر أعماله العلمية الوجود والعدم الذي أصدره عام 1943م، وله رواية شهيرة بعنوان الغثيان أصدرها عام 1938م، ومما يذكر أنه رفض جائزة نوبل للأدب، التي رشح لها عام 1964م.

ومن المزيج بين الوجودية والظاهراتية نخرج علم النفس الوجودي الظاهرياتي بعدة مبادئ أهمها:

1. كل إنسان ينظر إليه على أنه فرد له كينونته في هذا العالم، ذلك أن وجود كل إنسان هو وجود فريد من نوعه متميز عن الآخرين. وهذا الوجود الفردي يعكس إدراكات الفرد واتجاهاته وقيمه.
2. إن الفرد يجب أن يعامل على أنه نتاج تطوره ونموه الذاتي الشخصي، وليس مجرد حالة أو مثال ضمن تعميمات واسعة، وعلى هذا فإن علم النفس يجب أن يهتم بالخبرات الشخصية.

3. إن الفرد يتحرك خلال حياته محاولاً أن يواجه ما يقوم بـه المجتمـع مـن محـو لشخـصيته، وهذا المحو من شأنه أن يؤدي إلى الاغتراب والشعور بالوحدة والقلق.

ميرلو بونتي Merleau Ponty (1908- 1961م)

فرنسي من أشهر الشخصيات في الحياة الثقافية في فرنسا في الربـع الثـاني مـن القـرن العشرين، وقد تلقى تعليماً ذا مستوى عالٍ في الفلسفة والعلوم التجريبية، وقام بالتدريس في أرقى المعاهد الفرنسية. وفي عام 1927م التقى بالفيلـسوف الوجودي سارتر وأسس معه مجلـة العصور الحديثة، والتي تهتم بنشر مقالات في الموضوعات الفلسفية والـسياسية والفنيـة، وفي عام 1952م اختلف مع سارتر حـول بعـض المـسائل الفلـسفية والآراء الـسياسية، وفي العـام نفسه تبوأ أستاذية كرسي الفلسفة بكلية فرنسا College de France أرقى المعاهـد الفرنـسية وأكثرها عراقة، وهو أصغر شخص سناً يعين في هذا المنصب.

ومن أشهر أعماله العلمية كتاب ظاهراتية الإدراك الذي أصدره عـام 1944م، حيـث ذكر مارلو بونتي أن علم النفس هو دراسة الفرد والعلاقة بين الشعور وبين الطبيعـة، ولـيس الإنسان في نظره هو مجرد كائن له مشاعر تدرسها الفسيولوجيا وعلم النفس التجريبي، ولكن علم النفس في نظره يقوم على دراسة اتجاه الفرد وعزمه وانتباهه نحو البيئة.

يضع مارلو بونتي ثلاثة أسئلة رئيسة في مواجهة علم النفس الحديث هي:

- هل الإنسان كائن إيجابي أم كائن استجابي؟
- هل يتحدد نشاط الإنـسان من داخل الفرد أو من خارجه؟
- هل النشاط النفـسي للإنسان له سبب أو أصل داخلي في الفرد؟ وهل يستطيع العلـم أن يروض الخبرة الذاتية بحيث يستطيع أن يدرسها؟

وقد اعتقد مارلو – بونتي أن الخبرات الإنسانية لا يمكن أن تدرسـها الفـسيولوجيا أو علم النفس التجريبي، بل على العكس يجب أن يكون موضوع علم النفس الخبرة الذاتيـة أو الشخصية والتي تقع للفرد ولا تكون موضوع دراسة تجريبية، وعلى هذا فإن مـنهج البحـث الصحيح في علم النفس هو دراسة الإدراكات الداخلية للشخص، وهذا يمكن التوصـل إليـه فقط باتباع الأسلوب الظاهرياتي.

وإذا وضعنا الظاهراتية والوجودية الظاهراتية في الميزان نجد أن هذه الحركات المسماة بالجديدة، ليست بالجديدة كل الجدة، لأن الأفكار الظاهراتية والوجودية والـتي أكـدت علـى

أهمية الشعور وأهمية الإنسان وجدت عند فلاسفة وعلماء كثيرين، من أمثال برنتانو وفونت وتتشنر بل وجدت بعض الأفكار الوجودية عند القدماء من أمثال سقراط وأفلاطون.

وفي تقدير المؤرخ المدقق لعلم النفس أن هذه الحركة المسماة بالجديدة هي محاولة –غير ناجحة– للعودة بعلم النفس من العصر التجريبي إلى العصر الأرائكي الفلسفي، نعم إن علم النفس التجريبي وخاصة السلوكي عليه بعض المآخذ مثل التركيز على دراسة السلوك الظاهر، والنظر إلى الكائن الحي نظرة آلية، لكن هذه الحركة المسماة بالجديدة لم تعط شيئاً يمكن الاستفادة منه غير أسلوب وصفي أقرب إلى أسلوب الشعراء والأدباء منه إلى أسلوب علماء النفس، وأثارت المشكلات العديدة في مواجهة علم النفس دون أن تقدم الحلول الواضحة لهذه المشكلات.

الباب الرابع

مدرسة السمات



الفصل الأول

أولبرت

سيرة أولبرت الذاتية (1897-1967)

أولبرت عالم نفس أمريكي درس في جامعة هارفارد أرقى جامعات أمريكا وأرقى جامعات العالم ثم بعد ذلك عمل في جامعات برلين وهامبرج وكامبرج وعاد بعد ذلك إلى الولايات المتحدة سنة 1924م حيث عمل بالتدريس في جامعة هارفارد السابق ذكرها ومن أشهر أعماله العلمية كتابه الذي أصدره سنة 1937م بعنوان الشخصية تفسير نفسي وكتابه الذي أصدره عام 1961م بعنوان النموذج والنمو في الشخصية وهو إلى جانب ذلك صاحب فضل على علم نفس الشخصية حيث جعل أولبرت من دراسة علم الشخصية موضوعاً يلقى الاحترام والتقدير.

كانت طفولته عادية خلافاً لعدد كبير من منظري الشخصية، ربما يكون هذا السبب الذي من أجله كانت نظرة أولبرت لموضوع الشخصية تتسم بنظرة عقلية أكاديمية ولم تتخذ وجهة محدودة من خلال تجارب الحياة الشخصية، أو من خلال ممارسة التحليل النفسي، ومما يجدر ذكره أن أولبرت في مبدأ حياته العلمية قابل فرويد في فينا قد خرج أولبرت من هذه المقابلة أن التحليل النفسي يركز على الدوافع أو الجوانب اللاشعورية ويميل إلى إهمال الدوافع والجوانب الشعورية المؤثرة على السلوك ولذلك فإن أولبرت يقلل من أهمية الدور الذي يلعبه اللاشعور في التأثير على الشخصية إلا في حالات مرضى العصاب.

ولا يتفق أولبرت مع فرويد في إضفاء الأهمية الشديدة على مرحلة الطفولة المبكرة وما فيها من صراعات وأثر هذه المرحلة على حياة الفرد حيث يرى أولبرت أن حياة الفرد تتأثر بالخبرات الحالية والآمال المستقبلية أكثر من تأثرها بالماضي.

وهناك اختلاف أساسي آخر إذ يرى أولبرت أن الأساس الوحيد ليس هو دراسة العصابيين كما فعل فرويد بل هو دراسته إلى الأسوياء وكما أنه خلافاً لفرويد لا يرى أن السواء والعصاب متصلان بل إن السواء والعصاب لا تشابه بينهما وعلى هذا لا يوجد أساس للمقارنة بينهما.

ونناقش نظرية أولبرت في النقاط الآتية:

أولا: طبيعة الشخصية

استعرض أولبرت حوالي خمسين تعريفاً للشخصية حتى وصل إلى التعريف الذي اتخذه هو:

1. الشخصية: هي التنظيم الدينامي للشخصي والتي تشتمل على الأنظمة النفسية والجسمية التي تحدد سلوك وفكره.
2. تنظيم دينامي معناه أن الشخصية دائماً في حالة من النمو والتغيير أي دينامية. كذلك يتغير شكل التنظيم كما تتغير أوجه الشخصية النفسي الجسمي؛ لأن الشخصية تتكون من عنصرين النفس والجسم يعملان كوحدة منتظمة.
3. الشخصية ليست نفسية تماماً ولا بيولوجية تماماً، إنما خليط من الاثنين تحدد سلوك الفرد، إن كل الوراثة تمد الشخصية بالمادة الخام، وهذه المادة الخام تتشكل أو تتحدد بواسطة الظروف البيئية للفرد، ويقر أولبرت بعنصري الشخص والموقف.
4. المادة الخام في نظر أولبرت تتكون من البناء الجسمي والذكاء والمزاج. ويشمل المزاج على الحالة الانفعالية العامة ومدى قابليته للاستثارة ومدى استجاباته الانفعالية.
5. وفي دراسة الشخصية يجب أن تتفاعل مع الحالات الفردية أي (البحث الفردي) مقابل البحث الجمعي الذي تدرس فيه أعداد كبيرة بالطرق الإحصائية المناسبة.
6. وثمة نقطة مضافة بالنسبة لفكرة أولبرت عن الشخصية أنها ليست في نظره أمراً متصلاً بل سلاسل متقطعة وليس هناك اتصال أو استمرارية بين الطفولة والمراهقة، فالطفل تقوده دوافعه الغريزية البدائية وتتسبب دائماً في إطار ردود الفعل بينما يتصرف الراشد خلافاً لذلك، معنى ذلك أنهما شخصيتان مختلفتان، هناك عالم الطفولة وعالم آخر للرشد. الأول يغلب عليه الطابع البيولوجي، أما الثاني يغلب عليه الطابع السيكولوجي.

ثانيا: سمات الشخصية

للسمات خصائص متميزة، يمكن أن تقاس على متصل، وهذه السمات تتصف بما يأتي:

1. أن السمات أمور حقيقية وليست مجرد افتراضات نتخذها لتفسير السلوك.
2. أن السمات موجودة داخل كلامنا.

3. السمات تحدد أو تسبب في السلوك وهي ليست مجرد استجابات لمثيرات.
4. السمات ليست معزولة بعضها عن بعض: فإن كل سمة ترتبط بسمات أخرى ارتباطاً إحصائياً، ومن ذلك العدوانية والكراهية والاثنان مرتبطان ببعضهما.

ثالثاً: العادات والاتجاهات

للعادات تأثير فعال في السلوك، وما علينا إلا أن ننظر إلى سلوكياتنا اليومية لنعرف مدى تحكم العادة في السلوك، العادة تؤدي إلى استجابة معينة إزاء مثير معين.

يعطي أولبرت مثالاً لطفل صغير يتعلم استخدام الفراشة لتنظيف الأسنان وبعدة مدة ليست بالطويلة سرعان ما يعتاد الطفل استخدام الفرشاة لتنظيف أسنانه، ولا يحتاج إلى التفكير فيها -أي في عملية التنظيف-، ولا يمكن فصل مفهوم العادة عن مفهوم الاستجابة.

تختلف الاتجاهات عن السمات في أن الاتجاهات تكون مع أو ضد أو بالتفضيل أو بالكره أو بمعنى آخر سلبية أو إيجابية الاتجاهات رفض أو قبول، ولا تحتوي السمة على رفض أو قبول.

رابعاً: نماذج السمات

وهي ثلاثة نماذج:

1. سمات أساسية: هي أكبر السمات عمومية عند الشخص وأكثرها قوة، وتؤثر كثيراً على الشخص مثل عاطفة رئيسة كغلو في الوطنية أو الشوفونية.
2. سمات مركزة: حفنة من الأوصاف تسم الشخص وعددها يتراوح بين خمسة وعشرة عند الشخص العادي مثل العدوان أو رثاء الذات.
3. سمات ثانوية: وهي سمات ليست ثابتة وليست مستديمة ونادراً ما تظهر على الشخص وغالباً لا يعرفها إلا الأقربون إلى الشخص.

خامساً: نظرية الشخصية

اعتقد أولبرت أن المشكلة المركزية في أي نظرية للشخصية هي في تناول هذه النظرية لموضوع الدوافع، وقال أولبرت: أن النظريات التي عالجت الموضوع لم تفسر الدوافع التفسير الكافي والصحيح بما فيها نظريته هو.

ويعطي أولبرت أربعة اعتبارات لتكون نظرية الدوافع مقبولة، هذه الاعتبارات هي:

1. الاعتبار الأول: تركز النظرية على وقتية الدوافع كما تركز على الحاضر في دراسة الشخصية بمعنى تركز على الفورية كجزء مركزي في نظرية الدوافع.

إن الحالة الحاضرة الآن للشخص هي الأساس في الحكم على الشخصية وليس تدريب التواليت الذي تلقاها في الطفولة المبكرة، فالماضي مضى وفات ولم يعد فعالا ومؤثرا.

2. الاعتبار الثاني: أن تكون نظرية تعددية بمعنى أنها تكون بعدد من الدوافع، إن الدوافع الإنسانية كثيرة ومتشعبة ومن غير الممكن أن تفسرها إلى عدد قليل مثل طلب اللذة أو تخفيف التوتر أو الحاجة إلى الأمن.

3. الاعتبار الثالث: أن تأخذ النظرية في اعتبارها أهمية العمليات المعرفية، وتوجه أولبرت إلى تلك النظريات مثل فرويد التي تتحدث عن الدوافع من وجهة نظر العمليات اللاشعورية، واعتبر أن من الضروري أخذ موضوع معرفية الدافع في الاعتبار وما الذي يريده الفرد ويسعى في سبيل تحقيقه وأهم مفتاح مفاهيم شخصية الفرد سلوكه الحاضر، ويربط أولبرت بين الحاضرة والمستقبل لا بين الحاضر والماضي.

4. الاعتبار الرابع: التعريف القائم على كون الدافع أمر ملموس أكثر من كونه أمر مجرد والوصف الملموس ضروري في فهم الدافع.

سادساً: الاستقلال الوظيفي Functional Autonomy

تقول هذه الفكرة عند أولبرت أن الدافع لا يرتبط ارتباطاً وظيفياً بأي خبرة من خبرات مرحلة الطفولة، وأن الدافع أمر مستقل عن الظروف التي يظهر فيها، ومثال ذلك أن الشجرة لا تعود تعتمد على البذرة التي نمت عليها، وعلى هذا فإن الشخص الذي يبلغ مبلغ الرشد بمثابة مقرر أموره.

مثال ذلك أن الراشد عند بدء حياته العملية فإنه يبذل جهداً أكبر في عمله حتى يحقق قدراً من المال والآمال، وقد يستمر في بذل الجهد رغم أنه حقق آماله الأولى، ومن هذا يتضح أن الدوافع لا يمكن أن نفسرها بالرجوع إلى مرحلة الطفولة، ولكن يجب أن نفسر الدوافع في إطار السلوك الحاضر، ونوضح ذلك بطريقة أخرى فنقول الاستقلال الوظيفي للدوافع مبدأ يقول أن الدوافع لدى الفرد الراشد ليس لها علاقة بخبراته السابقة أي أن الدافع أصبح مستقلاً عن الظروف الأصلية التي أحاطت به، مثال ذلك شاب يدرس في

الجامعة وهو فقير وثراء يجتهد ويجتهد حتى يتخرج ويحقق ثروة كبيرة تكفيه طوال حياته ومع ذلك تراه ما زال يعمل بنفس الجدية، مع أن لديه كماً كبيراً من المال، هذا الدافع جعله يعمل بجد واجتهاد، الدافع هنا وهو العمل بجدية أصبح مستقلاً عن المصدر الأصلي الذي تسبب فيه وهو الفقر.

وتشبيه آخر لفكرة الاستقلال الوظيفي، أن الطفل الصغير الذي ينمو تدريجياً معتمداً على والديه ولكن بالتدريج يصبح مستقلاً استقلالاً وظيفياً عنهما ومحدداً لذاته وعلاقته بالماضي تصبح علاقة منفصمة، وبين بين الماضي رابطة تاريخية وليست رابطة وظيفية.

ومثال ثالث، البحار الذي ترك البحر بعد أن كان مصدر رزقه، ولكن ما زال يحن إليه، إلا أنه ليس وسيلة لكسب الرزق، ولكن البحار صار ثرياً واستغنى عن البحر، لكنه يحن إلى البحر وأصبح حب البحر غاية في ذاته.

وليست كل الدوافع مستقلة وظيفياً، وهناك عمليات ليست مستقلة وظيفياً منها على سبيل المثال:

1. الحوافز البيولوجية: ذلك أن الإنسان منذ المهد إلى اللحد خاضع لدوافع بيولوجية كالحاجة إلى الطعام والهواء والماء والإخراج.
2. الفعل المنعكس: مثل رمش العين أو سحب الركبة عند الضغط عليها، إنها استجابات آلية حركية لا تقبل إلا التعديل البسيط.
3. التكوين الجبلي للفرد: وهي المادة الخام للشخصية ومكونة من ثلاثة عناصر هي: الجسم، والذكاء، والمزاج.

سابعاً: الأنوية أو الذات المتفردة Proprium

تنظم جميع مظاهر الشخصية الضرورية والهامة بالنسبة للحياة الانفعالية للفرد وتكون أنوية كل شخص فريدة بحيث تميزه عن الآخرين وتجمع اتجاهات وإدراكات ونوايا كلٍّ في موحد، وتمر الأنوية بالمراحل الآتية أثناء نموها:

1. الذات البدنية: حيث يكون الطفل واعياً ببدنه، مثلاً يميز بين أصابعه وبين الأشياء التي يمسكها بهذه الأصابع.
2. الذات الشخصية: حيث يشعر الطفل بذاته الشخصية حيث يرى نفسه كائناً مستقلاً عن الآخرين.

3. تقدير الذات: حيث يظهر هذا الطفل ميلاً إلى أن يبدي الآخرون إعجابهم به بما يأتيه من أعمال مثل المحافظة على نظافة ملابسه.

المراحل الثلاثة الأولى هذه تقابل الثلاث سنوات الأولى من حياة الطفل، ويرى أولبرت أن هذه المراحل الثلاث هامة وعلى الوالدين ألا يحبطوا رغبات الطفل في اكتشافات البيئة من حوله وألا تعطل نمو تقدير الذات عنده وتنمو لديه مشاعر الغضب.

4. امتداد الذات: وهي الزيادة في وعي الطفل بذاته والآخرين وتحديد الأشياء التي تخصه وتراه يتكلم عن أشياء تخصه فيقول مدرسي، قلمي، كتابي.

5. صورة الذات: تتكون لدى الطفل صورة لذاته وصورة للآخرين وهذه الصورة عن الذات والآخرين تتكون من التعامل مع الأبوين علماً بأن المرحلة الرابعة والخامسة تقع من 4 سنوات إلى ست سنوات.

6. الذات ككائن عاقل: وهذا يحدث عندما يحقق الطفل أنه له قدرات ذاتية يستطيع التعامل مع المشكلات وحلها وأنه يرى نفسه كائناً عقلانياً منطقياً، هذا يتحقق عندما يدرك الطفل وجوده وأهدافه البعيدة وتطلعاته.

ثامناً: الشخصية في الطفولة

يرى أولبرت أنه لا يوجد اتصال بين شخصية الطفل وشخصية المراهق أو الراشد، بل يوجد انفصال بينهما، إن شخصية الراشد تتعلق بالحاضر والمستقبل أكثر من تعلقها بالماضي.

ووصف أولبرت الطفل بأنه كان يتصف بالأنانية المطلقة ونفاذ الصبر والرغبة في اللذة والاعتماد على الآخرين.

المادة الخام عند الطفل هي الذكاء والحالة المزاجية والجسمية وليس لديه من الخصائص ما يمكن أن نسميه شخصية ويتصرف الطفل طبعاً لما تمليه عليه دوافعه الغريزية وردود أفعاله خاصة تحقيق أكبر قدر من اللذة وأقل قدر من الألم ومن الأهمية بمكان الشعور بالأمن والأمان بوجه خاص وإذا نجح الطفل في الحصول على هذه الحاجات الأمنية فإنه ينشأ نشأة حسنة.

تاسعا: الشخصية في الرشد

في سنوات الرشد يتحول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن سيكولوجي وتطلق دوافع الطفولة طلاقاً باتاً.

وبالنسبة للأطفال الذين تحبط حاجاتهم فإنهم عندما يصلون راشدين يصيبهم الشعور بانعدام الأمن ويميلون إلى العدوان وإلى مشاعر الغيرة بالإضافة إلى التمركز حول الذات وتصبح الدوافع المستقلة لهم عند دافع الطفولة بل تسمى دوافع الطفولة وصراعاتها عند الراشدين حيث يتوقف نمو الأنوية.

هذا الشخص في نظر أولبرت مريض نفسي، أما لخصائص النظرية السوية في مرحلة الرشد فهي:

1. امتداد الشعور بالذات إلى أشخاص ومناشط خارج الذات.
2. العلاقات الدافئة مع الآخرين مثل علاقات الحب والمودة.
3. الاتزان الانفعالي ومن مظاهره تقبل الذات.
4. إدراك الواقع وتطوير المهارات والالتحاق بالعمل المناسب.
5. موضوعية الذات وهي فهم واستفسار بالذات بالإضافة إلى وجود روح الفكاهة.
6. فلسفة الحياة حيث يتخذ الفرد فهم منهج أو فلسفة لحياته حيث تتوجه كل مظاهر حياته نحو الأهداف المستقبلية وبتحقق هذه النقاط السابقة يصبح الشخص مستقلاً عن طفولته وقادراً على مواجهة الحاضر دون أن يكون ضحية أو سجين مرحلة الطفولة.

عاشرا: صورة الإنسان عند أولبرت

قال أولبرت: عندما ينمو الإنسان فإن صلته بالماضي تنفصم عراها.

بهذه العبارة يبين أولبرت موقفه من الإنسان، ذلك أن الإنسان السوي يتخلص من الماضي أما الإنسان غير السوي فهو لا يستطيع أن يتخلص من هذا الأمر.

عرض أولبرت صورة للإنسان الراشد يتسم بالتفاؤل، فنحن ننظر إلى الحاضر ونتطلع إلى المستقبل. ويؤكد أولبرت على فكرة الإرادة الحرة ويقول إن سمات الشخصية تتحكم في السلوك ومتى تكونت السمات فإنه من الصعب تفسيرها.

وبالنسبة لموضوع الطبع والتطبيع فإن أولبرت يرى أن الشخصية تتأثر بكل من الوسط والبيئة والوراثة مسؤولة بحد كبير عن جزء من شخصيتنا لأن الوراثة تمد الشخصية بالمادة الخام، ولكن هذه المادة الخام يتم تشكيلها حسب البيئة.

وغاية الإنسان ليس تخفيف التوتر بل زيادته حيث نكون مضطرين إلى البحث عن إحساسات جديدة وتحديات جديدة، وعندما نتغلب على مجموعة من الصعوبات نبحث عن مجموعة أخرى نتغلب عليها هي الأخرى، نحن محتاجون دائماً إلى أهداف جديدة تجذبنا فنشد إليها الرحال وهذا من شأنه أن يقوي شخصية الإنسان مع قدر معين ومقبول من التوتر.

ويذكر شولتز Shultz أن تلاميذ أولبرت الذين درسوا واحتكوا به سنوات طويلة قالوا أنه كان مثالاً أمثل لنظريته التفاؤلية للإنسان وكان محباً للبشر داعياً لهم.

الحادي عشر: القيم

القيم هي الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل على الموضوعات أو الأشياء، والقيم تصور سائد مستمر يؤدي إلى نوع من السلوك له هدف وغاية كما أن نسق القيم عند الشخص يمثل معلماً هاماً من شخصيته.

واعتقد أولبرت أن كل واحد منا يمتلك درجة ما من القيم، ولكن تغلب على الشخص قيمة أو اثنتان من هذه القيم، وهذه القيم على النحو التالي:

1. النظرية: يهتم صاحبها باكتشاف الحقائق ويتميز بالنظرة العقلانية والمنطقية للحياة.
2. الاقتصادية: يهتم صاحبها بما هو مفيد ومربح وعملي.
3. الجمالية: يهتم بخبراته الفنية والجوانب الجمالية في الأشياء.
4. الاجتماعية: يهتم بالعلاقات الإنسانية يميل إلى الخيرية وحب البشر.
5. السياسية: يهتم بسلطته الذاتية ويميل إلى السيطرة في جميع الجوانب وليس في الجوانب السياسية فقط.
6. الدينية: يهتم بالأمور الروحية وفهم الكون المحيط به.

الثاني عشر: السلوك المعبر

السلوك المعبر هو الجوانب السلوكية المختلفة التي تعبر عن شخصية الفرد وسماته مقابل السلوك التعاملي الذي هو سلوك موجه نحو هدف، هذا السلوك يتسم بأنه يتحدد طبقاً للمواقف وعادة ما يؤدي إلى تفسير في بيئة الفرد.

بينما السلوك المعبر مختلف تماماً فهو يتميز بأنه يعكس الخصائص الأساسية في الشخصية ومن الصعب جداً أن يتغير وليس له غرض معين بالذات بالإضافة إلى أن الفرد يأتيه دون تدبر أو وعي ويضرب أولبرت لنا مثالاً بمحاضرة نحضرها فنرى المحاضر يتبع نمطيْ السلوك المعبر والتعاملي.

السلوك التعاملي هو المادة العلمية الموجودة في المحاضرة أما السلوك المعبر فيبدو أنه محاضر يتحدث بسرعة وبطء بصوت جهوري أو صوت خفيض أو يمشي ذهاباً وإياباً أو يجلس، هذه كلها مظاهر من شخصية المحاضر.

وفي نظر أولبرت يمكن الحكم عن شخصية الفرد من تغيرات الوجه ومن الصوت وحركات اليد والإيماءات.

وتشير الدراسات أنه يمكن الاستدلال من تعبيرات الوجه على الانفعالات بل يقال إن هناك ستة انفعالات يعبر عنها قسمات الوجه: الدهشة، الخوف، الغضب، التقزز، السعادة، الحزن، وإن التعبيرات عن هذه الانفعالات من خلال قسمات الوجه معروفة من دراسات "كمن الذي قال أن شعوب غينيا الجديدة وهي شعوب معزولة تفهم تعبيرات الوجه عند الأمريكيين وأن الأمريكيين يفهمون تعبيرات الوجه عند سكان غينيا الجديدة بمعنى أنها عالمية مما يدل على الأصل الوراثي لها. وزبدة القول إن أولبرت يقول إننا نستطيع أن نحكم على الحالة الانفعالية للإنسان من تعبيرات وجهه والحالة الانفعالية هي جزء من شخصيته.

الثالث عشر: القياس

من الأساليب البحثية التي استخدمها أولبرت في بحوثه ما أسماه طريقة الوثيقة الشخصية Personal Document Technique، وهي طريقة تقوم على دراسة المذكرات اليومية للأفراد والسير الذاتية والخطابات أو أي شيء آخر مسجل كتابة أو شفوياً عن الشخص.

واعتبر أولبرت أن تلك الوثائق تكشف بطريقة وثيقة ودقيقة عن معلومات عن الشخص وتعطينا بيانات تتعلق بجوانب حياتية ومن أشهر الحالات التي عرضها أولبرت في استخدام هذا المنهج حالة جيني، وهي سيدة في منتصف العمر جمع لها 30 خطاباً خلال 12 سنة، وتوصل أولبرت من دراسة هذه الخطابات أنها متمركزة حول الذات، غير مستقلة، تعتمد على الغير، عميقة الانفعالات، محبة للفنون، عدوانية.

ولكن مؤرخ علم النفس الشهير شولتز يتساءل ما الدليل على صحة هذه الأوصاف بالنسبة لجيني؟ وقد أجرى أحد تلاميذ أولبرت واسمه بيج دراسة تحليلية باستخدام الحاسب الآلي على خطوات جيني، وكان أسلوب البحث باختصار وضع كل كلمة من الكلمات التي أتت في الخطابات تحت عنوان العدوان كلمة كره، كلمة غضب... وعبارات مثل تعاون، أخوة، تعاطف، حب... وهكذا، وقد تبين أن البحث الذي استخدم الباحث الآلي أدى إلى نتائج قريبة من نتائج أولبرت ولكنها ليست مطابقة لها تماماً.

الملخص

أولبرت عالم نفس أمريكي درس في جامعة هارفارد أرقى جامعات أمريكا وأرقى جامعات العالم ثم بعد ذلك عمل في جامعات برلين وهامبرج وكامبرج وعاد بعد ذلك إلى الولايات المتحدة حيث عمل بالتدريس في جامعة هارفارد السابق ذكرها ومن أشهر أعماله العلمية كتابه «الشخصية تفسير نفسي» وكتابه «النموذج والنمو في الشخصية».

ونناقش نظريته في النقاط الآتية:

1. طبيعة الشخصية: استعرض أولبرت خمسين تعريفاً للشخصية إلى أن وصل للتعريف التالي:

الشخصية هي التنظيم الدينامي للشخص وتشتمل على الأنظمة النفسية والجسمية التي تحدد سلوك الفرد وفكره.

واعتقد أولبرت أن الطفل تقوده دوافعه الغريزية البدائية وتسبب دائماً في إطار ردود الفعل بينما يتصرف الراشد خلافاً لذلك، معنى ذلك أنهما شخصيتان مختلفتان: هنالك عالم للطفولة وعالم آخر للرشد.

2. سمات الشخصية: للسمات خصائص تتصف بما يأتي: أن السمات أمور حقيقية وليست مجرد افتراضات تتخذها لتفسير السلوك وأن السمات موجودة داخل كل منا وهي ليست معزولة بعضها عن بعض.

3. العادات والاتجاهات: للعادات تأثير فعال على السلوك وما علينا إلا أن ننظر إلى سلوكياتنا اليومية لنعرف مدى تحكم العادة في السلوك وتختلف الاتجاهات عن السمات بأن الاتجاهات تكون مع أو ضد كما أن السمة لا تحتوي على رفض أو قبول.

4. نماذج السمات: يوجد ثلاثة للنماذج هي:

أ. سمات أساسية: وهي أكبر السمات عمومية عند الشخص وأكثرها قوة وتؤثر كلياً على الشخص مثل عاطفة رئيسة حالية مثل الغلو في الوطنية أو الشوفونية.

ب. سمات مركزة: وهي حفنة من الأوصاف تسم الشخص وعددها يتراوح بين خمسة وعشرة عند الشخص العادي مثل العدوان أو رثاء الذات.

ج. سمات ثانوية: وهي سمات ليست ثابتة وليست مستديمة ونادراً ما تظهر على الشخص وغالباً لا يعرفها إلا الأقربون إلى الشخص.

5. نظرية الشخصية: اعتقد أولبرت أن المشكلة المركزية في أي نظرية للشخصية هي في تناول هذه النظرية لموضوع الدوافع، وقال إن نظريتي التي عالجت الموضوع لم تفسر الدوافع التفسير الكافي ويعطي عدة اعتبارات لتكون نظرية الدوافع مقبولة:
   أ. أن تركز النظرية على وقتية الدوافع.
   ب. أن تكون النظرية تعددية.
   ج. أن تأخذ النظرية في اعتبارها العمليات المعرفية.
   د. التعريف القائم على كون الدافع أمر ملموس أكثر من كونه أمر مجرد والوصف الملموس ضروري في فهم الدافع.
6. الاستقلال الوظيفي: تقول هذه النظرية أن الدافع لا يرتبط ارتباطاً وظيفياً بأي خبرة من خبرات مرحلة الطفولة وأن الدافع أمر مستقل عن الظروف التي يظهر فيها. ومثال ذلك أن الشجرة لا تعود تعتمد على البذرة التي نبتت منها، ومعنى ذلك أن الاستقلال الوظيفي للدافع مبدأ وسط، كما أن الدوافع لدى الفرد الراشد ليس لها علاقة بخبراته السابقة، وأن الدافع أصبح مستقلاً عن الظروف الأصلية التي أحاطت به.

مثال ذلك شاب يدرس في الجامعة وهو فقير وتراه يجتهد ويجتهد حتى يتخرج ويحقق ثروة كبيرة تكفيه طول حياته ومع ذلك يعمل بنفس الجدية مع أن عنده كماً كبيراً من المال، هنا استغل الحصول على المال كدافع عن الفقر الذي صاحب هذا الدافع.

وهناك عمليات ليست مستقلة وظيفياً، منها على سبيل المثال الحوافز البيولوجية مثل الحاجة إلى الطعام والهواء والماء والإخراج، والفعل المنعكس كرمش العين وسحب الركبة عند الضغط عليها.

7. الأنوية أو الذات المتفردة: وهي تنظيم جميع مظاهر الشخصية الضرورية و الهامة بالنسبة للحياة الانفعالية للفرد وتكون أنوية كل شخص فريدة بحيث تميزه عن الآخرين.

وتمر الأنوية بالمراحل الآتية:
   أ. الذات البدنية: حيث يكون الطفل واعياً ببدنه يميز بين الأشياء التي يمسكها وبين أصابعه التي تمسك بهذه الأشياء.
   ب. الذات الشخصية: حيث يرى الطفل نفسه كائناً مستقلاً عن الآخرين.

ج. تقدير الذات حيث يظهر هذا الطفل ميلاً إلى أن يبدي الآخرون إعجابهم به وما يأتيه من أعمال كالمحافظة على نظافة الملابس.

د. وهذه المراحل الثلاث تقابل الثلاث سنوات الأولى في حياة الطفل.

ه. امتداد الذات: وهي زيادة وعي الطفل بذاته.

و. صورة الذات: تتكون لدى الطفل صورة لذاته وصورة للآخرين علماً بأن المرحلة الرابعة والخامسة تقع بين أربع إلى ست سنوات.

ز. الذات ككائن عاقل: وهذا يحدث عندما يتحقق الطفل من أن له قدرات ذاتية يستطيع مواجهة المشكلات بها.

8. الشخصية في الطفولة: يرى أولبرت أنه لا يوجد اتصال بين شخصية الطفل وشخصية المراهقة والراشد؛ بل يوجد انفصال بينها لأن شخصية الراشد تتعلق بالحاضر والمستقبل أكثر من تعلقها بالماضي، والمادة الخام عند الطفل هي الذكاء، والحالة المزاجية والجسمية وليس لديه من الخصائص ما يمكن أن تسميه شخصية.

9. الشخصية في الرشد: في سنوات الرشد يتحول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن سيكولوجي وتطلق دوافع الطفولة طلاقاً باتاً.

10. صورة الإنسان عند أولبرت: قال أولبرت عندما ينمو الإنسان فإن صلته بالماضي تنفصل عن ما ورائها، ومعنى هذا، أن الإنسان السوي يتخلص من الماضي خلافاً للإنسان غير السوي، ويؤكد أولبرت على فكرة الإرادة الحرة، ويقول أن سمات الشخصية تتحكم في السلوك وكأنه يقول بالحتمية وغاية الإنسان ليس تخفيف التوتر ولكن زيادته بحيث نكون مضطرين إلى البحث عن إحساسات جديدة وعندما نتغلب على مجموعة من الصعوبات أخرى لا نتغلب عليها.

11. القيم: القيم هي الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل على الموضوعات أو الأشياء، والقيم تصور سائد مستمر يؤدي إلى نوع من السلوك له هدف وغاية كما أن نسق القيم عند الشخص يمثل معلماً مهماً من شخصيته.

واعتقد أولبرت أن كل واحد منا يمتلك درجة ما من القيم، ولكن تغلب على الشخص قيمة أو اثنتان من هذه القيم، وهذه القيم على النحو التالي:

1. النظرية: يهتم صاحبها باكتشاف الحقائق ويتميز بالنظرة العقلانية والمنطقية للحياة.

ب. الاقتصادية: يهتم صاحبها بما هو مفيد ومربح وعملي.

ج. الجمالية: يهتم بخبراته الفنية والجوانب الجمالية في الأشياء.

د. الاجتماعية: يهتم بالعلاقات الإنسانية يميل إلى الخيرية وحب البشر.

هـ. السياسية: يهتم بسلطته الذاتية ويميل إلى السيطرة في جميع الجوانب وليس في الجوانب السياسية فقط.

و. الدينية: يهتم بالأمور الروحية وفهم الكون المحيط به.

12. السلوك المعبر: السلوك المعبر والجوانب السلوكية التي تعبر عن شخصية الفرد وسماته مقابل السلوك التعاملي الذي هو سلوك موجه نحو هدف، ومثال السلوك التعاملي المادة العلمية الموجودة في المحاضرة، أما السلوك المعبر فيبدو أن المحاضر يتحدث ببطء أو بسرعة أو بصوت جهوري أو صوت خفيض، وليكن الحكم على شخصية الفرد من تعبيرات الوجه والصوت وحركات اليد والإيماءات، وتشير الدراسات إلى أن يمكن الاستدلال من تعبيرات الوجه على الانفعالات، ومن الدهشة والخوف والغضب والتقزز والسعادة والحزن، وتشير دراسات اكمن إلى أن شعوب غينيا الجديدة يفهمون تعبيرات الوجه عند الأمريكيين وأن الأمريكيين يفهمون تعبيرات الوجه عند سكان غينيا الجديدة مما يدل على الأصل الوراثي لها.

13. القياس: من الأساليب البحثية التي استخدمها أولبرت في بحوثه ما أسماه طريقة الوثيقة الشخصية، وهي طريقة تقوم على دراسة المذكرات اليومية للأفراد والسير الذاتية والخطابات أو أي شيء آخر مسجل كتابة أو شفوياً عن الشخص.

ومثال ذلك حالة جيني وهي سيدة في منتصف العمر جمع لها أولبرت 304 خطاباً خلال 12 سنة، وتوصل أولبرت من دراسة هذه الخطابات أنها متمركزة حول الذات، غير مستقلة، تعتمد على الغير، عميقة الانفعالات، محبة للفنون، عدوانية.

أسئلة للمناقشة

1. (الخلاف بين فرويد وأولبرت) تحدث عن جوانب هذا الخلاف؟
2. عرف خصائص السمات عند أولبرت؟
3. اشرح ما المقصود بنماذج السمات عند أولبرت؟
4. ما رأيك في موقف أولبرت من نظرية الشخصية والدوافع؟
5. اشرح باختصار فكرة الاستقلال الوظيفي عند أولبرت؟
6. اشرح مراحل النمو عند أولبرت؟
7. (الطفولة والمراهقة عند أولبرت)، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
8. تحدث عن صورة الإنسان عند أولبرت؟
9. اشرح ما المقصود بالسلوك التعاملي والسلوك المعبر عند أولبرت؟
10. حالة جيني التي ذكرها أولبرت، تكلم عنها؟



الفصل الثاني

ريموند كاتل

السيرة الذاتية لـ ريموند كاتل (1905-1998)

كاتل عالم نفسي أمريكي ولد في إنجلترا قضى فترة الطفولة والمراهقة في سعادة وهناء ولم يعكر صفو حياته شيء (خلافاً لمعظم منظري الشخصية) وكانت أسرته متسامحة في تربية أبنائها وكان كاتل الطفل يقضي وقتاً طيباً مع أصدقائه خارج المنزل حيث يلعبون بالألعاب المحببة إليهم وبالسباحة والتجديف.

وكان كاتل في التاسعة من عمره عندما دخلت بريطانيا الحرب العالمية الأولى وكونت هذه الحرب لديه خبرات مزعجة إذ تم إنشاء مستشفى قريب من منزله وشاهد بأم عينيه المصابين في المعارك وهم ينقلون وبعضهم في حالات سيئة للمستشفى.

في سن 16 التحق بجامعة لندن لدراسة الكيمياء والفيزياء حيث حصل على البكالوريوس في سن 19 سنة بدرجات الشرف العالية، ولكن أثناء تواجده في لندن اهتم بالعلوم الإنسانية وأصبح شديد الاهتمام بالأمراض الاجتماعية وفي نفس الوقت أيقن أن تخصصه في الكيمياء والفيزياء لا يفيده في هذا المجال وقرر أن يتجه إلى دراسة علم النفس وكان هذا قراراً شجاعاً لأن سوق علم النفس في هذا الوقت كانت راكدة والتحق بالدراسة في جامعة لندن في تخصص علم النفس تحت إشراف عالم النفس الكبير تشارلز سبيرمان، حصل على الدكتوراه عام 1929 ثم عمل في جامعة إكستر Exeter، وفي عام 1937 دعاه العالم الكبير «إدوارد ثورنديك» إلى زيارة علمية في مختبر علم النفس في جامعة كولومبيا لمدة سنة وكانت فرصة هائلة بحيث هونت عليه ترك وطنه الأم رغم تعلقه به والدليل على ذلك أنه في السنة الأولى من سفره تعرض إلى نوبات من الحزن بسبب فراق بلده والحنين إلى الوطن، وفي عام 1939 عين أستاذاً بجامعة كلارك، وفي عام 1941 عين أستاذاً بأم الجامعات هارفارد حيث كان يعمل في المختبر لساعات طويلة في اليوم.

وله مؤلفات كثيرة حوالي 400 مقالة و35 كتاباً وسوف نناقش هنا العالم الكبير في أحد أعماله العلمية في موضع قادم من هذا الكتاب.

ونناقش جانباً من أعمال كاتل في النقاط الآتية:

أولاً: السمات

يتميز كاتل بأنه أعطانا تحليلاً حول مفهوم السمات وهي عوامل الشخصية ويتم تحديدها عن طريق التحليل العاملي.

والسمات تمثل الوحدة والأساس في بناء شخصية الفرد ومن خلال معرفة دقيقة بسمات الفرد فإنه يمكن التنبؤ بما سوف يفعله الفرد في المواقف المختلفة شخصية الفرد هي نموذج أو نسق من السمات أو مجموعة من السمات.

اعتبر كاتل أن السمات تكوين افتراضي مستخرج من الملاحظة الموضوعية للسلوك الظاهر ورغم أنها تكوين افتراضي إلا أنها تمثل العناصر الأساسية في الشخصية وهي ضرورية وهامة عندما نحاول تفسير السلوك.

تصنيفات السمات حسب كاتل على النحو التالي:

1. **التصنيف الأول**

أ. السمة العامة Common Trait: وهي تلك التي يمتلكها الناس جميعاً بدرجة أو بأخرى مثل القدرة العامة أو الذكاء وهو سمة عامة كل فرد يمتلكها رغم الاختلاف في نسب الذكاء، وهذه السمة العامة موجودة عند جميع الناس على أساس خلفية الوراثة.

ب. السمة المتفردة Unique Trait: وهي سمة تخص شخصاً بعينه أو مجموعة قليلة من الأفراد وهذه السمات تظهر في الميول والاتجاهات فقليل من الناس يفضلون قيماً معينة أو اتجاهات بالذات.

2. **التصنيف الثاني**: ونقسمها إلى سمات قدرة ومزاج وسمات دينامية، على النحو التالي:

أ. سمات القدرة: هي السمات التي تصف مهارات الفرد وكفاءته في العمل من أجل تحقيق الأهداف ومثالها الذكاء.

ب. سمات مزاجية: وهي سمات الأسلوب العام الذي يستجيب به الفرد حيال مؤثرات البيئة وهي تتضمن كون الشخص جسوراً أو وقحاً أو سهل المنال أو قلقاً

ج. سمات دينامية: وهي التي تتعلق بميول الفرد أو دوافعه مثل الطموح والرغبة في اكتساب المعرفة.

3. **التصنيف الثالث**: وهناك طريقة ثالثة لتصنيف السمات تنقسم إلى:

أ. السمات الظاهرة أو السطحية: سمات سطحية مثل القلق والمخاوف الشاذة تتحد مع بعضها لتكون سمة العصاب والعصابية، فالعصابية سمة ناتجة عن تجمع عدد من السمات الأخرى وليست قاصرة على عنصر واحد. والسمات السطحية ليست ثابتة ويعتبر كاتل أن ليس لها أهمية تذكر في فهم شخصية الفرد.

ب. السمات المصدرية: السمات المصدرية عند كاتل هي العوامل الشخصية التي تنتج من التحليل العاملي والسمات المصدرية يقسمها إلى:

- السمات التكوينية أو الجبلية: وهي سمات تعتمد على الجهاز الفسيولوجي للكائن الحي فمثلاً تناول الخمر يؤدي إلى سلوكيات مثل الإهمال والرغي وتقطع الحديث أو تعثره.
- السمات البيئية: وهي تابعة لتأثير البيئة الاجتماعية والبيئة الفيزيقية وهي مكتسبة محصلة متعلمة وتمثل نسقاً معيناً كأنه ختم المجتمع على الفرد، فمثلاً الشخص الذي نشأ في بيئة عسكرية ترى تصرفاته تختلف عن الشخص الذي نشأ في بيئة موسيقية فنية.

ويرى كاتل أن شخصية الإنسان هي نتاج تفاعل عاملي الوراثة من جهة والبيئة من جهة أخرى.

ثانيا: عوامل الشخصية

كشفت دراسات التحليل العاملي عند كاتل 16 عاملاً على النحو التالي:

1. التحفظ مقابل الدفء.
2. الغباء مقابل الذكاء.
3. التأثرية مقابل الثبات الانفعالي.
4. الاستكانة مقابل تأكيد الذات.
5. الوقار مقابل المرح.
6. النفعية مقابل يقظة الضمير.

7. الخجل مقابل المغامرة.
8. الحدة مقابل الرقة.
9. الثقة مقابل الشك.
10. العملي مقابل الخيالي.
11. الوضوح مقابل الدهاء.
12. الارتباك مقابل الفهم.
13. المحافظة مقابل التجديد.
14. التوجه طبقاً للجماعة مقابل التوجه الذاتي.
15. الانفلات مقابل الانضباط.
16. الاسترخاء مقابل التوتر.

وسوف نعيد دراسة هذه العوامل بالتفصيل في مرحلة قادمة من هذا الكتاب.

ثالثاً: الدوافع

يستخدم كاتل كلمة erg بمعنى الطاقة وهي كلمة مشتقة من كلمة يونانية بمعنى الطاقة وتستخدم عند كاتل بمعنى الدافع أو الدافع الغرزي حيث يعتبر هذين المصطلحين الدافع والدافع الغرزي بالغين من الغموض أو التجريد مبلغاً كبيراً.

الطاقة هي مصدر السلوك والطاقة أمر فطري والطاقة أساس الدافعية وموجهة الدفعية نحو أهداف معينة وهناك بالطبع أعداد كبيرة من السلوكيات التي تؤدي إلى أهداف ولكن تبقى الطاقة ضرورية ومهمة.

وقد تأدى كاتل إلى وجود 11 طاقة عند الإنسان وهي:

1. حب الاستطلاع.
2. الجنس.
3. الاجتماعية.
4. الحماية.
5. تأكيد الذات.
6. الأمن.

7. الجوع.
8. الغضب.
9. التقزز.
10. الاستغاثة.
11. الخضوع.

رابعا: الوراثة والبيئة

اهتم كاتل بدراسة أثر كل من الوراثة والبيئة على سلوك الإنسان وتشكيل شخصيته وكانت الدراسة على الأطفال التوائم الذين تربوا في نفس البيئة أو في نفس الأسرة وكذلك عن الأطفال التوائم الذين تربوا في بيئتين مختلفتين أو في أسر مختلفة.

وقد أكدت دراسات كاتل هذه أهمية الجانب الوراثي بالنسبة لبعض السمات مثل الذكاء الذي بين كاتل أن نسبة الوراثة فيه نسبة كبيرة تبلغ 80٪ بينما يختلف الأمر بالنسبة للسمات الأخرى (لن نسترسل في ذكر نتائج بحوثه لأنها كثيرة متشعبة بل ومضنية) ولكن زبدة القول في دراسة أثر البيئة على الفرد لا يدرس البيئة المباشرة التي يعيش فيها الفرد فقط، بل درس البيئة بالمعنى الواسع، البيئة الاجتماعية والثقافية وأثرها على الفرد.

وهو يرى أنه لكي ندرس شخصية الفرد فإننا من الضروري أن ندرس عوامل معينة مثل الذين يؤمن به والمدرسة التي اختلف إليها وجماعات الرفاق الذين ينتسب إليهم.

خامسا: مراحل نمو الشخصية

يقسم كاتل مراحل النمو النفسي إلى المراحل الآتية:

1. الطفولة: منذ الميلاد وحتى السادسة، ويتأثر الطفل فيها تأثراً شديداً بوالديه وبخبرات تدريب التواليت والفطام Weaning وتتكون بذور الاتجاهات ويقوى الأنا ويقوى الأنا الأعلى وكاتل ليس تابعاً لفرويد ولكنه يلتقي معه في أهمية هذه المرحلة.
2. الطفولة المتأخرة: بين 6-14 سنة، حيث ينمو الاتجاه نحو الاستقلال عن الوالدين والتوحد مع الرفاق.

3. المراهقة: من 14-23 سنة، وهي أكثر المراحل من حيث مشكلاتها حيث تظهر فيها الاضطرابات النفسية والعقلية والجناح كما يظهر الصراع من أجل الاستقلال عن السلطة الأبوية وعن قبضة الأسرة.
4. الرشد: من 23-50 سنة، حيث العمل والزواج وتكوين الأسرة، حيث تكون الشخصية قد تكونت ونضجت وتبلورت.
5. الشيخوخة: حيث خريف العمر وفيها قد يفقد المسن زوجته أو أحد أصدقاءه ويعتزل العمل إلى التقاعد وقد يتزوج أبناؤه ويستقلون عنه مادياً و اجتماعياً أو قد يودعوه إحدى دور المسنين تخلصاً منه.

سادسا: طبيعة الإنسان عند كاتل

تعريف الشخصية عن كاتل يقول: (الشخصية هي دراسة ذلك المكون الذي يسمح بالتنبؤ بسلوك الشخص في مواقف معينة).

هنا يقر كاتل بأن السلوك يمكن التنبؤ به وعندما نعرف السمات التي تتكون منها الشخصية فإننا نستطيع أن نتنبأ بسلوكيات الشخص في موقف معين أو في مواقف معينة ومتى استطعنا أن نتنبأ بسلوكياته استطعنا أن نتحكم فيها.

ولا تقوم فكرة التنبؤ إلا بناء على فكرة اتساق السلوك أي أن ما حدث سابقاً يحدث لاحقاً إذا توفرت نفس الظروف، فالزوجة تستطيع أن تتنبأ بتصرفات زوجها في موقف معين وهذا التوقع وهذا التنبؤ مبني على أساس خبراتها السابقة كأن السلوك محتوم وكأن كاتل يعلي الحتمية على الإرادة الحرة للإنسان.

ويؤكد كاتل على أهمية مرحلة الطفولة كما سبق ذكره وهي فترة التكوين حيث تكون الاتجاهات الأساسية وينمو الأنا الأعلى ويتبدى الشعور بالأمن والميل إلى العصابية كل هذا في مرحلة الطفولة حتى سن 6 سنوات ومع ذلك فنحن لسنا سجناء أو رهائن تلك المرحلة.

وبالنسبة لموضوع الطبع والتطبع والوراثة والبيئة فإن كاتل يرى ان كليهما مؤثرات على الفرد فالسمات الجبلية تحددها الوراثة بينما توجد سمات أخرى مكتسبة، وهناك سمات عامة تنطبق على جميع الأشخاص في حضارة ما، وهناك سمات تفردية يتميز بها كل فرد.

عند الحديث عن حياة كاتل ذكرنا أنه تحول من دراسة العلوم إلى دراسة الاجتماعيات وفي سنوات شبابه كان متفائلاً بخصوص طبيعة الإنسان وعلى قدرة الإنسان في حل المشكلات الاجتماعية كما يرى دراسة العقل الإنساني أمر أساسي لفهم الجوانب الاجتماعية.

الملخص

كاتل عالم نفس أمريكي، ولد في إنجلترا في سن 16، التحق بجامعة لندن لدراسة الكيمياء والفيزياء حيث حصل على البكالوريوس في سن 19 بدرجات الشرف العالية.

ولكن أثناء تواجده في لندن اهتم بالعلوم الإنسانية وأصبح شديد الاهتمام بالأمراض الاجتماعية واتجه إلى دراسة علم النفس بجامعة لندن تحت إشراف عالم النفس الكبير تشارلز سبيرمان.

حصل على الدكتوراه عام 1929 وعمل في جامعة إكستر، وفي عام 1937 ذهب إلى أمريكا، وفي عام 1941 عُين أستاذاً بأم الجامعات هارفارد.

وناقش أعماله في النقاط الآتية:

1. السمات

هي عوامل الشخصية التي يتم تحديدها عن طريق التحليل العاملي وهي تمثل الوحدة والأساس في بناء شخصية الأفرد. ومن خلال معرفة دقيقة بسمات الفرد فإنه يمكن التنبؤ بما سوف يفعله في المواقف المختلفة.

ويصنف كاتل السمات كما يلي:

أ. التصنيف الأول

- الصفة العامة: وهي تلك الصفة التي يمتلكها الناس جميعاً بدرجة أو بأخرى مثل القدرة العامة أو الذكاء.
- السمة المنفردة: وهي سمة تخص شخصاً بعينه أو مجموعة قليلة من الأفراد.

ب. التصنيف الثاني

- سمات القدرة: تلك السمة التي تصف مهارات الفرد وكفاءته في العمل.
- سمات مزاجية: وهي سمات الأسلوب العام الذي يستجيب به الفرد حيال مؤثرات البيئة.
- سمات دينامية: وهي التي تتعلق بميول الفرد أو دوافعه.

ج. التصنيف الثالث

- السمات الظاهرة أو السطحية: مثل القلق أو المخاوف الشاذة، والسمات السطحية ليست ثابتة وليس لها أهمية تذكر.
- السمات المصدرية: هي العوامل الشخصية التي تنتج من التحليل العاملي وهي قسمان:
  - السمات التكوينية أو الجبلية التي تعتمد على الجهاز الفسيولوجي للكائن الحي.
  - السمات البيئية: وهي تابعة لتأثير البيئة الاجتماعية.

2. عوامل الشخصية

كشفت دراسات التحليل العاملي عند كاتل عن 16 عاملاً على النحو التالي:

أ. التحفظ مقابل الدفء.

ب. الغباء مقابل الذكاء.

ج. التأثرية مقابل الذكاء الانفعالي.

د. الاستكانة مقابل تأكيد الذات.

ه. الوقار مقابل المرح.

و. النفعية مقابل يقظة الضمير.

ز. الخجل مقابل المغامرة.

ح. الحدة مقابل الرقة.

ط. الثقة مقابل الشك.

ي. العملي مقابل الخجلي.

ك. الوضوح مقابل الدهاء.

ل. الارتباك مقابل الفهم.

م. المحافظة مقابل التجديد.

ن. التوجه طبقاً للجماعة مقابل التوجه الذاتي.

س. الانفلات مقابل الانضباط.

ع. الاسترخاء مقابل التوتر.

3. الدوافع

الطاقة عنده أساسها الدافعية وموجهة الدافعية نحو أهداف معينة، وقد تأدى كاتل إلى وجود 11 طاقة عند الإنسان وهي:

1. حب الاستطلاع.
2. الجنس.
3. الاجتماعية.
4. الحماية.
5. تأكيد الذات.
6. الأمن.
7. الجوع.
8. الغضب.
9. التقزز.
10. الاستغاثة.
11. الخضوع.

4. الوراثة والبيئة

أهتم كاتل بدراسة أثر الوراثة والبيئة على سلوك الإنسان وتشكيل شخصيته وتبين لديه أهمية الجانب الوراثي فيمن الذكاء مثلاً أن تبلغ نسبة الوراثة فيه 80٪ وكن الأمر يختلف بالنسبة للسمات الأخرى.

5. مراحل نمو الشخصية

أ. الطفولة: منذ الميلاد حتى السادسة، يتأثر الطفل فيها تأثراً شديداً بوالديه ويقوى الأنا ويقوى الأنا الأعلى.

ب. الطفولة المتأخرة: بين 6-14 سنة، حيث ينمو الاتجاه نحو الاستقلال عن الوالدين.

ج. المراهقة: بين 14-23 سنة، يظهر فيها الصراع من أجل الاستقلال عن السلطة الأبوية.

د. الرشد: من 23-50 سنة، حيث العمل والزواج وتكوين الأسرة. .

ه. الشيخوخة: خريف العمر، حيث اعتزال العمل والتقاعد.

طبيعة الإنسان عند كاتل

نعرف السمات التي تتكون منها الشخصية فإننا نستطيع أن نتنبأ بسلوكيات الشخص في موقف معين أو في مواقف معينة ومتى استطعنا أن نتنبأ بسلوكياته استطعنا أن نتحكم فيها.

وبالنسبة لموضوع الطبع والتطبع والوراثة والبيئة فإن كاتل يرى أن كليهما مؤثرات على الفرد، فالسمات الجبلية تحددها الوراثة بينما نوجد سمات أخرى مكتسبة، وهناك سمات عامة تنطبق على جميع الأشخاص في حضارة ما، وهناك سمات تفردية يتميز بها كل فرد.

أسئلة للمناقشة

1. كيف يصنف كاتل السمات؟
2. تحدث عن فكرة عوامل الشخصية عند كاتل؟
3. كاتل والتحليل العاملي، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
4. نظرية الدوافع عند كاتل، ما رأيك في هذه النظرية؟

الباب الخامس

المدرسة الإسلامية

الفصل الأول: الشخصية في القرآن الكريم

الفصل الثاني: الشخصية في الحديث

الفصل الثالث: الشخصية عند الغزالي



الفصل الأول

الشخصية في القرآن الكريم

عندما يفكر الناس في الشخصية، فإنهم يرونها عادة باعتبارها التأثير الذي يحدثه الفرد في الآخرين أو يرونها باعتبارها أهم الانطباعات التي يتركها الفرد في الآخرين كأن يرونه مثلاً شخصاً عدوانياً أو شخصاً مسالماً، أما علماء النفس فإنهم حينما يدرسون الشخصية فإنهم ينظرون إليها باعتبارات الأبنية والعمليات النفسية الثابتة التي تنظم خبرات الفرد وتشكل أفعاله واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها، والتي تميزه عن غيره من الناس، وبعبارة أخرى، إن الشخصية هي التنظيم الدينامي في الفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفريد في توافقه مع بيئته، فعلماء النفس حينما يدرسون الشخصية، ينظرون إلى الفرد ككل متكامل، يعمل ويستجيب كوحدة تنتظم وتتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية والنفسية، وتحدد سلوكه واستجاباته بطريقة يتميز بها عن غيره من الناس[1].

وقد جاء في القرآن الكريم وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من مخلوقات الله، كما جاء فيه أيضاً وصف لبعض الأنماط أو النماذج العامة للشخصية الإنسانية التي تتميز ببعض السمات الرئيسية، وهي أنماط عامة وشائعة تكاد نراها حتى اليوم في مجتمعنا، وفي جميع المجتمعات الإنسانية بعامة.

ونجد في القرآن أيضاً وصفاً للشخصية السوية، والشخصية غير السوية، ووصفاً للعوامل المكونة لكل من السواء وعدم السواء في الشخصية.

ولكي نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً وصحيحاً يجب أن ندرس بدقة العوامل المختلفة التي تحدد الشخصية، وحينما يدرس علماء النفس المحدثون هذه العوامل المحددة للشخصية، فإنهم يدرسون عادة العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية، وهم

---

(1) لمعرفة مزيد عن تعريف الشخصية انظر: ريتشارد س. لازاروس: الشخصية، ترجمة سيد محمد غنيم، ومراجعة محمد عثمان نجاتي: بيروت: دار الشروق، 1981: ص19-22؛ محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص392-396.

يهتمون عادة في دراسة العوامل البيولوجية بدراسة أثر الوراثة والتكوين البدني وطبيعة تكوين الجهاز العصبي والجهاز الغدي، وحينما يدرسون تأثير العوامل الاجتماعية على الشخصية فإنهم يهتمون عادة بدراسة خبرات الطفولة وبخاصة في الأسرة، وطريقة معاملة الوالدين، كما يهتمون أيضاً بدراسة تأثير الثقافات الفرعية، والطبقات الاجتماعية، والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، وجماعات الرفاق والأصدقاء على شخصية الفرد، إن العوامل المحددة للشخصية إذن يمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيسيتين: عوامل وراثية، وهي عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته، وعوامل بيئية وهي عوامل منبعثة من البيئة الخارجية الاجتماعية والثقافية، وحينما يدرس علماء النفس المحدثون محددات الشخصية المنبعثة من طبيعة تكوين الفرد ذاته، فإنهم يقصرون اهتمامهم على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية فقط، متناسين أو مغفلين الجانب الروحي من الإنسان، وذلك تماشياً مع أسلوبهم في البحث العلمي الذي يقتصر على دراسة ما يمكن ملاحظته وإخضاعه للبحث في المختبرات العلمية، ولذلك يهمل علماء النفس المحدثون دراسة الجانب الروحي من الإنسان وأثره على الشخصية.

ولعل لعلماء النفس المحدثين الذين يتبعون في بحوثهم المنهج الموضوعي التجريبي بعض العذر في عدم تعرضهم للجانب الروحي في الإنسان، وذلك لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي، غير أن عجزهم عن تناول الجانب الروحي في الإنسان بالبحث العلمي الموضوعي لا ينبغي أن يؤدي بهم إلى إغفال ذلك الجانب الروحي من الشخصية إغفالاً تاماً في محاولتهم فهم شخصية الإنسان، وفهم أسباب سلوكه في سوائه أو انحرافه، إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراستهم للشخصية قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان، وفي محاولة معرفتهم للعوامل المحددة للشخصية السوية وغير السوية، كما أدى ذلك أيضاً إلى عدم اهتدائهم إلى الطريقة المثلى في العلاج النفسي لاضطرابات الشخصية، وقد لاحظ إريك فروم المحلل النفسي قصور علم النفس الحديث وعجزه عن فهم الإنسان فهماً صحيحاً بسبب إهماله دراسة الجانب الروحي في الإنسان، يبدو ذلك واضحاً في قوله: «... إن التقليد الذي يعد السيكولوجيا دراسة لروح الإنسان دراسة تهتم بفضائله وسعادته، هذا التقليد نبذ تماماً، وأصبح علم النفس الأكاديمي في محاولته لمحاكاة العلوم الطبيعية والأساليب المعملية في الوزن والحساب، أصبح هذا العلم يعالج كل شيء ما عدا الروح، إذ حاول هذا العلم أن يفهم مظاهر الإنسان التي يمكن فحصها في المعمل، وزعم أن الشعور، وأحكام القيمة، ومعرفة الخير والشر، ما هي إلا

تصورات ميتافيزيقية تقع خارج مشكلات علم النفس، وكان اهتمامه ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلاً من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة، وهكذا أصبح علم النفس علماً يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح، وكان معنياً بالميكانيزمات، وتكوينات ردود الأفعال، والغرائز، دون أن يُعنى بالظواهر الإنسانية المميزة أشد التمييز للإنسان: كالحب والعقل والشعور والقيم»[1].

إننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً واضحاً بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية، سواء أكانت مادية أو روحية، أو اجتماعية وثقافية، أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية، والعوامل الاجتماعية والثقافية فقط، وإهمال أثر الجانب الروحي في الإنسان، فإن من شأن ذلك أن يعطينا صورة غير واضحة وغير دقيقة للشخصية.

أولا: تكوين الإنسان

لقد أخبرنا القرآن كيف خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح، فبعد أن مر التراب بعدة مراحل من التكوين: من تراب إلى طين، إلى حمإ مسنون، إلى صلصال كالفخار[2]، نفخ الله تعالى فيه من روحه فخلق آدم عليه السلام.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ [ص: 71-72]. ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 28-29].

---

(1) إريك فروم: مرجع سابق، ص...

(2) أشار الله تعالى إلى مراحل خلق آدم في مواضع مختلفة من القرآن فقال تعالى في موضع أنه خلقه من تراب، وفي موضع آخر من طين، وهو ينشأ من اختلاط التراب بالماء، وفي موضع آخر من حمأ مسنون وهو الطين الذي يتغير بفعل الهواء، وفي موضع آخر من طين لازب وهو الطين المتماسك الذي يمكن تشكيله، وفي موضع آخر من صلصال من حمأ مسنون وهو الطين الذي ييبس ويجف ويسمع له صوت صلصلة إذا قرع، وفي موضع آخر من صلصال كالفخار وهو الطين الذي وصل إلى تمام جفافه كما يحدث من تحويل الطين إلى فخار بفعل النار. انظر أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني: مرجع سابق، ص17، 18، ومحمد متولي الشعراوي: مرجع سابق، ص 117.

وجاءت كلمة «الروح» في القرآن بعدة معان[1]، وإن معنى الروح الذي ورد في الآيات التي تشير إلى خلق آدم هو: «روح منه تعالى يكون به استعداد الإنسان لمعاني الصفات، وموالاة الحق»[2]. «هو عنصر علوي يتضمن استعداد الإنسان لتحقيق معالي الأمور، وأقدس الصفات... فهو الذي يؤهله للارتفاع فوق مستوى الحيوان، ويقرر له أهدافه وغاياته العليا في الحياة، ويرسم له خطوط مناهجه، ويضيف إلى بشريته النزوع إلى مصدر القيم والمعارف التي تجعل له حقيقة إنسان»[3].

وبهذا النوع من التكوين يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات، فهو يشارك الحيوان في معظم الخصائص الجسمية وما يتطلبه حفظ الذات والبقاء من دوافع وانفعالات وقدرة على الإدراك والتعلم، ولكنه يتميز عن الحيوان بخصائص روحه التي تجعله ينزع إلى مستويات عالية من الكمال الإنساني، ولهذا كان الإنسان أهلاً لخلافة الله في الأرض، وباختصار نستطيع أن نقول إن ما يميز الإنسان عن الحيوان هو قبسة الروح من الله ﷻ التي خصته بالاستعداد لمعرفة الله والإيمان به وعبادته، وتحصيل العلوم وتسخيرها في عمارة الأرض، والتمسك بالقيم والمثل العليا في سلوكه الفردي والاجتماعي.

ولا توجد الروح والمادة في الإنسان منفصلتين أو مستقلتين إحداهما عن الأخرى، وإنما هما ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته، ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنساني بأكمله، المكون من امتزاج عنصري المادة والروح.

ثانياً: الصراع النفسي

إن الإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع، كما يتضمن أيضاً صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه. وقد يحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع، فتجذبه أحياناً حاجاته وشهواته البدنية، وتجذبه أحياناً أخرى حاجاته وأشواقه الروحية، ويشعر الإنسان بالصراع في نفسه بين هذين الجانبين

---

(1) «الروح» جاءت في القرآن بعدة معان شرحها ابن القيم في كتابه «الروح»، وشرحها عنه بتصرف البهي الخولي في كتابه: «آدم عليه السلام».

(2) البهي الخولي: مرجع سابق، ص22.

(3) المرجع السابق، ص32، 33.

من شخصيته، ويشير القرآن إلى حالة الصراع النفسي بين الجانبي المادي والروحي في الإنسان في قولــه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 37-41].

ويشير القرآن أيضاً إلى هذا الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه تعالى خروج قارون على قومه في زينته مما جعل بعض الناس يتمنون أن يكون لهم ما لقارون من ثروة، فيرد عليهم البعض الآخر بأن ما عند الله خير وأبقى. ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: 79-80].

ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه لانفضاض بعض المسلمين من حول النبي ﷺ حينما سمعوا بأنباء وصول قافلة محملة بالمؤونة إلى المدينة. ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: 11].

ولعل مشيئة الله ﷻ قد اقتضت أن يعاني الإنسان -من بين ما يعانيه من مشاق الحياة- هذا الصراع النفسي بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: 4].

ولعل مشيئة الله تعالى قد اقتضت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقي والأساسي الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة، فمن استطاع أن يوفق بين الجانبي المادي والروحي في شخصيته، وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن، فقد نجح في هذا الاختبار، واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة، وأما من انساق وراء شهواته البدنية وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختبار، واستحق أن يجازي على ذلك بالشقاء في الدنيا وفي الآخرة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: 9]. ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

(١٠)﴾ [التغابن: 5]. ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧)﴾ [الأعلى: 9 – 17]. ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)﴾ [الملك: 2].

ولقد شاءت رحمة الله تعالى وحكمته أن يمد الإنسان بجميع الإمكانيات اللازمة لحل هذا الصراع، واجتياز هذا الاختبار الصعب، بأن وهبه العقل ليميز به بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، كما أمده سبحانه بحرية الإرادة والاختيار ليستطيع أن يبت في أمر هذا الصراع، وأن يختار الطريق الذي يريده لحل هذا الصراع، وإن حرية إرادة الإنسان، وحريته في اختيار الطريق الذي يحل به هذا الصراع إنما يمثلان أساس مسؤوليته وحسابه.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ [البلد: 10]. ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾ [الإنسان: 3]. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: 7 – 10]. ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤)﴾ [الأنعام: 104]. ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ (٢٩)﴾ [الكهف: 29]. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [فصلت: 46]. ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)﴾ [المدثر: 32 – 47].

إن في طبيعة تكوين الإنسان إذن استعداداً لفعل كل من الشر والخير، استعداداً لاتباع أهوائه وشهواته البدنية، والاستغراق في الاستمتاع بملذاته الحسية ورغباته الدنيوية، واستعداداً للتسامي إلى أفق الفضيلة والتقوى والمثل الإنسانية العليا، والعمل الصالح، وما يحققه ذلك من سكينة وسعادة روحية، ومن الطبيعي أن تتضمن طبيعة الإنسان وقوع الصراع بين الخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة، بين طاعة الله ومعصيته، وإن الاختبار الحقيقي للإنسان في هذه الحياة هو ما تتجه إليه إرادته، وما يقع عليه اختياره، هل سيختار طريق الخير أم طريق الشر، طريق طاعة الله أم معصيته؟ هل سينساق وراء أهوائه وشهواته

ومتع الحياة الدنيوية، ويغفل عن ذكر الله، وينسى اليوم الآخر، أم هل سيتحكم في أهوائه وشهواته، ويقوم بتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية؟

وحينما يختار الإنسان الملذات الدنيوية، وينساق وراء أهوائه وشهواته، وينسى ربه واليوم الآخر، إنما يصبح في معيشته أشبه بالحيوان، بل أضل لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه الله تعالى به على الحيوان. ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 43-44].

والإنسان الذي يعيش هذا النوع من المعيشة يكون غير ناضج الشخصية ويكون أشبه بالطفل الذي لا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته، ولم تقو إرادته بعد، ولم يتعلم بعد كيف يتحكم في أهوائه وشهواته، فينساق وراء إشباعها، ويصبح خاضعاً لتوجيه "النفس الأمارة بالسوء" ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:3].

وفي هذا المعنى جاء في الأثر: "اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، فمن آدبها أو قمعها آمن ظلمها"[1].

وحينما يبلغ الإنسان مرتبة أعلى من الكمال الإنساني، يبدأ ضميره في الاستيقاظ فيستنكر ضعف إرادته وانقياده لأهوائه وشهواته وملذات الحياة الدنيوية مما يوقعه في الخطيئة والمعصية، فيشعر بالذنب، ويلوم نفسه على ما فرد منها، ويتجه إلى الله تعالى مستغفراً تائباً، فإنه يصبح في هذه الحالة تحت تأثير "النفس اللوامة". ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: 1-2].

وإذا أخلص الإنسان بعد ذلك في توبته، وأخلص في تقربه لله تعالى بالعبادات والأعمال الصالحة، والابتعاد عن كل ما يغضب الله، وتحكم تحكماً كاملاً في أهوائه وشهواته وقام بتوجيهها إلى الإشباع بالطريقة التي حددها الشرع فقط، فحقق بذلك التوازن التام بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، فإنه يصل إلى أعلى مرتبة من الكمال الإنساني، وهي المرتبة التي تكون فيها نفس الإنسان في حالة اطمئنان وسكينة، وينطبق عليها وصف "النفس

---

(1) أبو القاسم الحسن بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني: مرجع سابق، ص88، 89.

المطمئنة». ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30].

ويمكن أن نتصور هذه المفاهيم الثلاثة للنفس، وهي النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة على أنها حالات تتصف بها شخصية الإنسان في مستويات مختلفة من الكمال الإنساني التي تمر بها أثناء صراعها الداخلي بين الجانبين المادي والروحي من طبيعة تكوينها، فحينما تكون شخصية الإنسان في أدنى مستوياتها الإنسانية بحيث تسيطر عليها الأهواء والشهوات والملذات البدنية والدنيوية، فإنها تكون في حالة ينطبق عليها وصف النفس الأمارة بالسوء، وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات الكمال الإنساني حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية، فإنها تصبح في الحالة التي ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة، وبين هذين المستويين مستوى آخر متوسط بينهما يحاسب فيه الإنسان نفسه على ما يرتكب من أخطاء، ويسعى جاهداً عن للامتناع عن ارتكاب ما يغضب الله ويسبب له تأنيب الضمير، ولكنه لا ينجح دائماً في مسعاه، فقد يضعف أحياناً ويقع في الخطيئة ويطلق على الشخصية في هذا المستوى النفس اللوامة.

ويجدر بنا أن نشير إلى أنه بعد نزول القرآن بنحو أربعة عشر قرناً من الزمان جاء سيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسي بنظرية في الشخصية ميز فيها ثلاثة أقسام للنفس نلمس في بعض وظائفها بعض أوجه الشبه بمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة الواردة في القرآن، وإن كانت توجد أيضاً اختلافات كبيرة بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس في القرآن وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد، ذهب فرويد إلى أن للنفس ثلاثة أقسام هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى[1].

«والهو» في رأي فرويد هو ذلك الجزء من النفس الذي يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن، وهو يطيع «مبدأ اللذة» ويهدف دائماً إلى الإشباع من غير مراعاة للمنطق أو الأخلاق أو الواقع، والهو بهذا المعنى يشبه إلى حد ما مفهوم «النفس الأمارة بالسوء».

و«الأنا الأعلى» هو ذلك الجزء من النفس الذي يتكون من التعاليم التي يتلقاها الفرد من والديه ومدرسيه ومن قيم الثقافة التي ينشأ فيها، ويصبح قوة نفسية داخلية تحاسب الفرد

---

(1) سيجموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، ط4، بيروت: دار الشروق، 1982، ص 14-17.
سيجموند فرويد: معالم التحليل النفسي، ترجمة محمد عثمان نجاتي، ط5، بيروت: دار الشروق، 1983، ص 46-48.

وتراقبه وتنقده وتهدده بالعقاب، وهو ما يعرف عادة بالضمير، ويرى فرويد أن الأنا الأعلى يمثل ما هو سامٍ في الطبيعة الإنسانية، وهو بهذا المعنى يشبه إلى حد ما مفهوم «النفس اللوامة».

و«الأنا» هو ذلك الجزء من النفس الذي يقبض على زمام الرغبات الغريزية المنبعثة من الهو ويسيطر عليها، فيسمح بإشباع ما يشاء منها، ويؤجل ما يرى تأجيله، ويكبت ما يرى ضرورة كبته مراعياً «مبدأ الواقع» أو العالم الخارجي بما يتضمنه ذلك من قوانين وقيم وأخلاق وتعاليم دينية، ويقوم الأنا في رأي فرويد بالتوفيق بين الهو، والواقع أو العالم الخارجي، والأنا الأعلى، بحيث يسمح بإشباع رغباته الغريزية في الحدود التي يسمح بها الواقع، ويحد من تطرف الأنا الأعلى بحيث لا يجعله يسرف في النقد والتهديد بالعقاب بدون مبرر معقول، وإذا نجح الأنا في وظيفته التوفيقية أمكن للإنسان أن يتحقق للإنسان الاتزان والسواء والصحة النفسية، وعلى ذلك فإننا نستطيع أن نجد شبهاً بين النتيجة التي يؤدي إليها نجاح الأنا في وظيفته وما يحققه للإنسان من اتزان وسعادة، وبين حالة «النفس المطمئنة» التي يصل إليها الإنسان بالتغلب على أهوائه، وبتحقيق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية، مراعياً في ذلك «مبدأ الواقع» الذي يفرضه نظام الحياة في المجتمع المسلم من القيام بالعبادات المفروضة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل الصالح، واتباع قواعد الأخلاق الإسلامية.

ويجدر بنا أن نشير أيضاً إلى أوجه الاختلاف بين هذه المفاهيم الثلاثة للنفس كما وردت في القرآن وبين أقسام النفس الثلاثة في نظرية فرويد، فمفاهيم النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة حالات مختلفة تتصف بها النفس أثناء صراعها الداخلي بين الجانب المادي والجانب الروحي في شخصية الإنسان، وهي ليست أقساماً مختلفة للنفس، كما أنها لا تكون أثناء مراحل نمو معينة يمر بها الإنسان، أما مفاهيم «الهو»، و«الأنا»، و«الأنا الأعلى» فهي في نظرية فرويد أقساماً مختلفة للنفس، كما أنها تتكون في مراحل مختلفة من نمو الطفل. «فالهو» هو نفس الطفل عقب ميلاده مباشرة، إذ يكون الطفل واقعاً كلية تحت تأثير متطلباته الغريزية، ثم تحت تأثير العالم الخارجي يبدأ يتكون من «الهو» جزء متميز عنه هو «الأنا»، وهو الذي يقوم بالتحكم في الغرائز المنبعثة من «الهو» مراعياً مقتضيات الواقع والعالم الخارجي. ومن التعاليم والنواهي التي يتلقاها الطفل من والديه والثقافة التي ينشأ فيها يتكون «الأنا الأعلى»، وهو الضمير الذي يحاسبه ويلومه ويؤنبه على ما يقوم به من أخطاء، ويقوم بين هذه

الأقسام الثلاثة صراع يحاول فيه الأنا أن يوفق بين متطلبات الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي، فإذا نجح في ذلك كان الإنسان سوياً ومتمتعاً بالصحة النفسية.

وبينما يقع الصراع النفسي في نظرية فرويد بين أقسام النفس الثلاثة، فإنه يقع وفقاً لتصوير القرآن لطبيعة تكوين الإنسان، بين الجانب المادي والجانب الروحي من شخصية الإنسان، وتنشأ تبعاً لنتيجة هذا الصراع حالات النفس الثلاث: النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة، والنفس المطمئنة.

ثالثا: التوازن في الشخصية

لقد أشرنا من قبل إلى أن الحل الأمثل للصراع بين الجانبين البدني والروحي في الإنسان هو التوفيق بينهما، بحيث يقوم الإنسان بإشباع حاجاته البدنية في الحدود التي أباحها الشرع، ويقوم في الوقت نفسه بإشباع حاجاته الروحية، ومثل هذا التوفيق بين حاجات البدن وحاجات الروح يصبح أمراً ممكنا إذا ما التزم الإنسان في حياته التوسط والاعتدال، وتجنب الإسراف والتطرف سواء في إشباع دوافعه البدنية أو الروحية، فليس في الإسلام رهبانية تقاوم إشباع الدوافع البدنية وتعمل على كبتها، كما ليس في الإسلام إباحية مطلقة تعمل على الإشباع التام للدوافع البدنية، وإنما ينادي الإسلام بالتوفيق بين دوافع كل من البدن والروح، واتباع طريق وسط يحقق التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك أثناء كلامنا عن الصراع النفسي في الفصل الأول الخاص بالدوافع في القرآن. ويشير القرآن إلى ضرورة تحقيق هذا التوازن في الشخصية بقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۝٧٧﴾ [القصص: 77].

وفي هذا المعنى قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «ليس خيركم من عمل لدنياه دون آخرته، ولا من عمل لآخرته وترك دنياه، وإنما خيركم من عمل هذه وهذه»[1].

وحينما يتحقق هذا التوازن بين البدن والروح تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الحقيقية الكاملة والتي تمثلت في شخصية النبي صلوات الله عليه وسلامه الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة، والحيوية الجسمية الفياضة، فكان يعبد ربه حق عبادته في صفاء وخشوع كاملين، كما كان يعيش حياته البشرية كغيره من البشر يشبع حاجاته البدنية في الحدود التي رسمها الشرع،

(1) محمد جواد مغنية: فلسفة الأخلاق في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1977، ص 194، 195.

ولذلك فهو يمثل الإنسان الكامل، والشخصية الإنسانية النموذجية الكاملة التي توازنت فيها جميع القوى الإنسانية البدنية منها والروحية[1].

رابعا: الشخصية السوية

يتبين لنا مما تقدم أن الشخصية السوية في الإسلام هي الشخصية التي يتوازن فيها البدن والروح، وتشبع فيها حاجات كل من البدن والروح، إن الشخصية السوية هي التي تُعنى بالبدن وصحته وقوته، وتشبع حاجاته في الحدود التي رسمها الشرع، والتي تتمسك في نفس الوقت بالإيمان بالله، وتؤدي العبادات، وتقوم بكل ما يرضي الله تعالى، وتتجنب كل ما يغضبه، فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوي، وكذلك فإن الشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه ويضعفه بالرهبانية المفرطية والتقشف الشديد، وينزع إلى إشباع حاجاته وأشواقه الروحية فقط، هو أيضاً شخص غير سوي، وذلك لأن كلاً من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالف الطبيعة الإنسانية ويعارض فطرتها، ولذلك فلا يمكن أن يؤدي أي من هذين الاتجاهين إلى تحقيق ذاتية الإنسان الحقيقية، كما لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي.

خامسا: أنماط الشخصية في القرآن

حاول المفكرون في عصور التاريخ المختلفة، كما حاول علماء النفس في العصر الحديث دراسة أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين شخصيات الناس، وقاموا بعدة محاولات لتصنيف الناس إلى عدة أنماط من الشخصية، يتميز كل نمط منها بمجموعة معينة من الصفات أو السمات المميزة، وقد اتجه بعضهم إلى تصنيف الناس إلى أنماط على أساس خصائص التكوين الجسمي، وذهبوا إلى أن الناس الذين يقعون تحت نمط من هذه الأنماط الجسمية للشخصية يتشابهون في سماتهم النفسية، واتجه البعض الآخر إلى تصنيف الناس إلى أنماط نفسية على أساس تشابههم في سماتهم النفسية[2].

وتصنيف الناس إلى أنماط من الشخصية يقع تحت كل نمط منها الأشخاص المتشابهون في سماتهم، إنما هي محاولة تساعد على وصف الناس وتفسير سلوكهم. فإذا قلنا، مثلاً إن

---

(1) محمد قطب: في النفس والمجتمع، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 1962، ص 62، 63.

(2) لمعرفة مزيد من نظريات الأنماط في الشخصية ،نظر: ريتشارد س. لازاروس: الشخصية، مرجع سابق، ص 62–67؛ محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص 398–405

شخصاً معيناً ينتمي إلى نمط معين، فإننا نستطيع بناءً على ذلك وصف هذا الشخص وتفسير سلوكه، كما نستطيع أن نتوقع نوع السلوك الذي يمكن أن يصدر منه في مواقف معينة.

ونحن نجد في القرآن تصنيفاً للناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون. ولكل نمط من هذه الأنماط الثلاثة سماته الرئيسية العامة التي تميزه عن النمطين الآخرين. وتصنيف القرآن للناس على أساس العقيدة يتمشى مع أهداف القرآن من حيث هو كتاب عقيدة وهداية. ثم إن هذا التصنيف يشير إلى أهمية العقيدة في تكوين شخصية الإنسان، وفي تحديد سماته المميزة له، وفي توجيه سلوكه على نحو معين خاص يتميز به. كما يشير هذا التصنيف أيضاً إلى أن العامل الأساسي في تقييم الشخصية، في نظر القرآن، هو العقيدة والتقوى. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: 13].

وقد أشار القرآن إلى هذه الأنماط الثلاثة من الناس: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون في مواضع كثيرة. فقد أشار إليهم، مثلاً في مطلع سورة البقرة. فذكر المؤمنين في أربع آيات (2-5)، وذكر المنافقين في آيتين (6-7)، وذكر المنافقين في ثلاث عشرة آية (8-20)، وأشار إليهم أيضاً في سور أخرى كثيرة، كما أفرد لكل منهم سورة سماها باسمهم هي سورة «المؤمنون»، و«الكافرون»، و«المنافقون».

ووصف القرآن كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة بسمات خاصة يعرف بها، ويتميز بها عن النمطين الآخرين من الناس، وسنحاول فيما يلي أن نذكر أهم السمات التي يتميز بها كل نمط من هذه الأنماط الثلاثة من الناس كما جاء في القرآن.

1. المؤمنون

ذكر الله ﷻ المؤمنين في كثير من الآيات في معظم سور القرآن، ووصف سلوكياتهم في كثير من مجالات حياتهم: في عقيدتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وعلاقاتهم مع غيرهم من الناس، وفي علاقاتهم الأسرية، وفي حبهم لطلب المعرفة، وفي حياتهم العملية وسعيهم في طلب الرزق، وفي سماتهم البدنية. فإذا جمعنا سمات المؤمنين التي وردت في القرآن وحاولنا تصنيفها لأمكن أن نصنفها إلى تسعة مجالات عامة رئيسية من مجالات السلوك هي:

أ. سمات تتعلق بالعقيدة.

ب. سمات تتعلق بالعبادات.

ج. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

د. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية.

هـ. سمات خلقية.

و. سمات انفعالية وعاطفية.

ز. سمات عقلية ومعرفية.

ح. سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية.

ط. سمات بدنية.

ويضم كل مجال من هذه المجالات العامة الرئيسية لسمات المؤمنين مجموعة أخرى من السمات الفرعية الكثيرة التي يتعلق كل منها بناحية خاصة معينة من السلوك. وتبين القائمة التالية مجموعات السمات الفرعية التي تتضمنها المجالات العامة الرئيسية لسمات المؤمنين الذي ذكرناها سابقاً.

أ. **سمات تتعلق بالعقيدة:** الإيمان بالله، وبرسله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر، والبعث والحساب، والجنة والنار، والغيب، والقدر.

ب. **سمات تتعلق بالعبادات:** عبادة الله، وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وتقوى الله، وذكره دائماً، واستغفاره، والتوكل عليه، وقراءة القرآن.

ج. **سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية:** معاملة الناس بالحسنى، الكرم والإحسان، التعاون، التماسك والاتحاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، العفو، الإيثار، الإعراض عن اللغو.

د. **سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية:** الإحسان بالوالدين وبذي القربى، حسن المعاشرة بين الأزواج، رعاية الأسرة والإنفاق عليها.

هـ. **سمات خلقية:** الصبر، الحلم، الصدق، العدل، الأمانة، الوفاء بعهد الله وعهد الناس، العفة، التواضع، القوة في الحق وفي سبيل الله، عزة النفس، قوة الإرادة، التحكم في أهواء النفس وشهواتها.

و. **سمات انفعالية وعاطفية:** حب الله، الخوف من عذاب الله، الأمل في رحمة الله، حب الناس وحب الخير لهم، كظم الغيظ والتحكم في انفعال الغضب، عدم الاعتداء على

الغير وعدم إيذائهم، عدم حسد الغير، عدم العجب بالنفس، الرحمة، لوم النفس والشعور بالندم في حالة ارتكاب ذنب ما.

ز. **سمات عقلية ومعرفية**: التفكير في الكون وخلق الله، طلب المعرفة والعلم، عدم اتباع الظن وتحري الحقيقة، حرية الفكر والعقيدة.

ح. **سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية**: الإخلاص في العمل وإتقانه، السعي بنشاط وجد في سبيل كسب الرزق.

ط. **سمات بدنية**: القوة، الصحة، النظافة، الطهارة.

إننا إذا فكرنا في مجموعة هذه السمات التي وصف القرآن بها المؤمنين، فإننا نستطيع أن نتمثل في أذهاننا صورة دقيقة نابضة بالحياة للإنسان المؤمن الذي يؤمن بربه إيماناً صادقاً، ويعبده حق عبادته، ويتمسك في حياته الخاصة وحياته الأسرية والاجتماعية وفي عمله المهني بالمثل الإنسانية العليا وبالأخلاق الفاضلة الكريمة، ويكون في عمله مثال الإخلاص والأمانة والإتقان، إن صورة الإنسان المؤمن الذي يصفه لنا القرآن إنما هي صورة الإنسان الكامل في هذه الحياة في حدود الإمكانيات البشرية، والتي يريد الله ﷻ منا أن نسعى بكل جهدنا إلى تحقيقها في أنفسنا، ولقد قام النبي ﷺ بتربية الرعيل الأول من المؤمنين على أساس هذه السمات فغير شخصياتهم تغييراً كاملاً، وكوّن منهم رجالاً مؤمنين حقاً استطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بقوة شخصياتهم، ونبل أخلاقهم، وعلوّ هممهم، وكريم الصفات والمثل العليا التي تعلموها من القرآن والسنة.

إن صورة الإنسان المؤمن الذي ترسمه في أذهاننا مجموعة هذه السمات التي وردت في القرآن في وصف المؤمنين إنما تكون لنا نموذجاً للإنسان المؤمن يجب أن نعمل على تحقيقه واقعياً في حياتنا. كما يجب أن نعمل على تنشئة أطفالنا عليها حتى تصبح سمات رئيسية عميقة الجذور في شخصياتهم، وبهذه الطريقة وحدها يمكن تكوين المجتمع الإسلامي السليم.

وليست هذه السمات مستقلة بعضها عن بعض في شخصية المؤمن، بل إنها تتفاعل فيما بينها وتتكامل، وتشترك جميعها في توجيه سلوك المؤمن في جميع مجالات حياته، ولذلك يبدو سلوك المؤمن متناسقاً سواءً في علاقته مع ربه، أو في علاقته مع الناس، أو في علاقته مع نفسه. وتلعب السمات المتعلقة بالعقيدة دوراً أساسياً ومركزياً في توجيه سلوك الإنسان في جميع مجالات حياته، بحيث يصبح إيمان الإنسان بعقيدة التوحيد، وإيمانه بالبعث والحساب السمات الرئيسية السائدة في شخصيته، والتي تؤثر في جميع السمات الأخرى للشخصية

وتوجهها. فالمؤمن الأمين في علاقته مع ربه يكون أيضاً أميناً في علاقاته مع نفسه وفي علاقاته مع الناس الآخرين كما يكون أميناً أيضاً في عمله، إن المؤمن الذي يخشى ربه ويتقيه ويخلص في عبادته لربه يكون أيضاً في جميع علاقاته مع نفسه ومع الناس مراعياً مرضاة الله، وآملاً في ثوابه، وخائفاً من غضبه وعقابه، وهكذا يمتد إيمانه بالله تعالى وعبادته له إلى جميع مجالات سلوكه في الحياة، فيكون حسب توجيهه لنفسه عبادة، وحسن معاملته للناس ومحبتهم وإسداء الخير لهم عبادة، وحسن أدائه لعمله وإخلاصه فيه عبادة.

وليس جميع المؤمنين في مستوى واحد من التقوى، ولكنهم يختلفون فيما بينهم في درجة تقواهم، وقد ذكر القرآن ثلاث درجات أو فئات للمؤمنين: الظالمون لأنفسهم، والمقتصدون، والسابقون بالخيرات. ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر: 32].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات، ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات»[1]. ويقول القرطبي إن «الظالم لنفسه» هو الذي عمل الصغائر. و«المقتصد» هو الذي يعطي الدنيا حقها والآخرة حقها، و«السابق بالخيرات» هم السابقون من الناس كلهم[2]. وفي تفسير الجلالين إن «الظالم لنفسه» هو المقصر في العمل، و«المقتصد» هو الذي يعمل به أغلب الأوقات، و«السابق بالخيرات» هو الذي يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل[3].

---

(1) تفسير ابن كثير، ج3، ص 554، 555.

(2) تفسير القرطبي، ج14، ص340. ويقول القرطبي: إن هذه الآية نظير قوله تعالى في سورة الواقعة «وكنتم أزواجاً ثلاثة»... «فمنهم ظالم لنفسه» أصحاب المشأمة، «ومنهم مقتصد» أصحاب الميمنة، «ومنهم سابق بالخيرات» السابقون من الناس كلهم.

(3) تفسير الجلالين، ص367.

2. الكافرون

أشار القرآن إلى الكافرين في كثير من الآيات، ووصفهم بسمات رئيسية يتميزون بها. ويمكن تلخيص سمات الكافرين التي وردت في القرآن فيما يلي:

أ. **سمات تتعلق بالعقيدة**: عدم الإيمان بالتوحيد، وبالرسل، وباليوم الآخر، وبالبعث والحساب.

ب. **سمات تتعلق بالعبادات**: يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

ج. **سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية**: يقطعون صلة الرحم

د. **سمات خلقية**: نقض العهد، الفجور واتباع الأهواء والشهوات، الغرور، التكبر.

هـ. **سمات انفعالية وعاطفية**: كراهيتهم للمؤمنين وحقدهم عليهم، وحسدهم لهم على ما أنعم الله به عليهم.

و. **سمات عقلية ومعرفية**: جمود التفكير والعجز عن الفهم والتعقل، الختم والطبع على قلوبهم، التقليد الأعمى لمعتقدات وتقاليد الآباء، خداع النفس.

إن الصورة التي يرسمها القرآن لشخصية الكافرين هي أنهم لا يؤمنون بعقيدة التوحيد، ولا بالرسل والكتب المنزلة، ولا باليوم الآخر والبعث والحساب، ولا بالجنة والنار، وهم يقلدون ما كان عليه آباؤهم من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل. وهم أشخاص قد تجمد تفكيرهم وعجزوا عن إدراك حقيقة التوحيد التي يدعو إليها الإسلام. ولذلك وصفهم القرآن بقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۝﴾ [البقرة:7].

ويهم يحسدون المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم، ويحقدون عليهم ويكرهونهم، ويسخرون منهم ويؤذونهم، وينفقون أموالهم في مقاومتهم ومقاومة دعوة الإسلام. وهم في كراهيتهم للمؤمنين وفي إيذائهم لهم لا يراعون صلة الرحم والقرابة، وهم ينقضون العهد، ويتملكهم الغرور والاستكبار. وهم أشخاص ماديون نفعيون، يهتمون بمتع الدنيا وملذاتها، ولذلك فهم يعيشون عيشة الفجور والفسوق والانغماس في إشباع أهوائهم وشهواتهم.

وقد رأينا أثناء كلامنا عن المؤمنين أن الإيمان بعقيدة التوحيد، وبالبعث والحساب في الآخرة كان من السمات الرئيسية في شخصية المؤمنين التي أثرت تأثيراً كبيراً في جميع سماتهم الأخرى، وكانت بمثابة القوة المحركة والموجهة لها في سياق معين من السلوك الخاص الذي

قال ابن كثير في تفسير ذلك: «قال الحسن البصري: ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهي إلى الله عز وجل. عن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس فحدّث بحديث عجيب، فتعجب رجل فقال: الحمد لله، فوق كل ذي علم عليم، فقال ابن عباس: بئس ما قلت، الله العليم فوق كل عالم، يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا، والله فوق كل عالم»[1].

وبما أن الناس مختلفون في استعداداتهم وقدراتهم، وفي ظروفهم الاجتماعية والثقافية وخبراتهم الشخصية فإننا لا شك نتوقع وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم. ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء:84][2].

واختلاف الناس في الاستعدادات والقدرات البدنية والعقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدرتهم على العمل والكسب، وتحصيل العلم، وتحري الحق والعدل، وتختلف تبعاً لذلك واجباتهم ومسؤولياتهم. ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: 286]. ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:62]. ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق:7].

ومن الواضح أن إشارة القرآن إلى وجود الفروق الفردية، وإلى أن الفرد لا يكلف إلا ما في وسعه وطاقته إنما هو الفكرة الأساسية فيما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق الفردية بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات لتنظيم عملية التعليم بحيث يوجه كل فرد إلى نوع التعليم المناسب لاستعداداته وقدرته، وهذا هو الهدف من عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة. ويستعين علماء النفس المحدثون أيضاً بقياس الفروق الفردية بهدف تحسين عملية التوجيه المهني والاختيار المهني بحيث يمكن وضع كل فرد في العمل المناسب لاستعداداته وقدراته.

ونجد في الحديث النبوي أيضاً إشارة إلى تأثير العوامل الوراثية وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا في الحُجز[3] الصالح فإن العرق دساس»، وفي قوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن»[4]. ونجد في

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص 257-258.

(2) أي كل يعمل على طبيعته أو طريقته. انظر تفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين.

(3) الحُجز يعني المنبت الصالح.

(4) إبراهيم دسوقي مرعي: الطفولة في الإسلام. القاهرة: دار الاعتصام، 1979، ص20

الحديث النبوي أيضاً إشارة إلى تأثير العوامل البيئية وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1].

ثامناً: نمو الإنسان في القرآن

يُعنى علم النفس بدراسة المراحل المختلفة التي تمر بها عملية نمو الطفل، والخصائص العامة التي تميز هذه المراحل، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها، مما يجعلنا أكثر فهماً لشخصية الطفل، وأكثر قدرة على توجيهه وتربيته.

ولا يُعنى علم النفس بدراسة مراحل نمو الطفل منذ ساعة ميلاده فقط، وإنما يُعنى أيضاً بدراسة مراحل نموه قبل الميلاد وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، والعوامل المختلفة الوراثية والبيئية التي يمكن أن تؤثر في تكوين الجنين ونموه. وقد استعان علم النفس كثيراً في دراسته للنمو في مرحلة قبل الميلاد بنتائج البحوث في علم الأجنة.

النمو قبل الميلاد

أشار القرآن الكريم في أسلوبه المعجز في إيجازه ودلالته إلى مراحل نمو الجنين منذ بداية الحمل حتى وقت الميلاد وذلك في الآيات التالية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ﴾ [المؤمنون: 12 - 14]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ[2] إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ (5) ﴾ [الحج: 5]. ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ (6) ﴾ [الزمر: 6].

يشير القرآن الكريم في هذه الآيات إلى مراحل نمو الجنين في الرحم منذ بداية الحمل حينما تقوم إحدى الخلايا المنوية للأب بتخصيب بويضة الأم الناضجة مكونة بذلك ما

---

(1) المرجع السابق، ص 39، 40.

(2) «ونقر في الأرحام ما نشاء»، يعني نقر في الأرحام ما نشاء من الأجنة فيكتمل نموها فتولد حية. ومنها ما لا يكتمل نموه فيسقط.

يسمى بالبذرة أو اللاقحة، وهي ما عبر عنه القرآن «بالنطفة». ثم تبدأ البويضة المخصبة في التكاثر بطريقة الانقسام، ويزداد عدد خلاياها، ولكنها لا تتغير تغييراً محسوساً في الحجم خلال الأسبوعين الأولين[1]، وتكوّن في ذلك الوقت ما يشير إليه القرآن «بالعلقة»[2].

ثم تنتقل البويضة المخصبة من المبيض متجهة إلى الرحم وتلتصق بجداره، وتبدأ الأغشية الجنينية في التكوين، ويمتد الحبل السري الذي يصل البويضة المخصبة بالأم لتلقي الغذاء من دم الأم. وهنا تصبح العلقة مضغة[3]. وتبدأ بعد ذلك أجهزة الجسم في التكوين أو التخلّق، وهو ما يشير إليه القرآن بقوله: ﴿مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[4]. وتمتد هذه الفترة وتمتد هذه الفترة من حياة الجنين من نهاية الأسبوع الثاني إلى نهاية الشهر الثاني حيث تبدأ المرحلة التي يطلق عليها علماء الأجنة مرحلة الجنين[5]، تمييزاً لها عن المرحلة السابقة وهي مرحلة المضغة[6]. ومرحلة الجنين مرحلة نمو سريع، يزداد فيه حجم الجنين بسرعة. وتتغير نسب أعضائه حتى يصل الجنين إلى تمام نموه في نهاية الحمل[7]. وفي بداية مرحلة

---

(1) اعتمدنا في وصف مراحل نمو الجنين على: فؤاد البهي السيد: الأسس النفسية للنمو، ط4. القاهرة: دار الفكر العربي، 1975، ص 90-100. وحامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكولوجية النمو. الكويت، 1977، ص 41-58.

(2) يذهب المفسرون القدماء إلى أن العلقة هي الدم الجامد. غير أن البحوث الحديثة في علم الأجنة تبين أنه لا توجد في البويضة الملقحة حديثاً خلايا دموية. وعندما تنتقل البويضة الملقحة في المرحلة التي تسمى العلقة إلى الرحم في نهاية الأسبوع الثاني وتلتصق بجداره، تبدأ الأغشية الجنينية في التكوين. ويمتد منها الحبل السري الذي يصل البويضة بالأم، وتبتدئ عملية التغذية من دم الأم. يبدأ حينئذ فقط يدخل الدم في العلقة حول اليوم الثامن عشر تقريباً. انظر: فؤاد البهي السيد: مرجع سابق، ص 91، ومحمد إسماعيل إبراهيم: مرجع سابق، ص 407.

(3) في تفسير القرطبي: المضغة هي لحمة قليلة قدر ما يمضغ. وفي المعجم الوسيط: المضغة القطعة التي تمضغ من لحم وغيره.

(4) في تفسير القرطبي: (قال) الفراء: مخلقة: تامة الخلق، وغير مخلقة: السقط. (وقال) ابن الأعرابي: مخلقة: قد بدأ خلقها، وغير مخلقة: لم تصور بعد. (وقال) ابن زيد: المخلقة التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين، وغير مخلقة: التي لم يخلق فيها شيء... (وقال) ابن عباس: المخلقة: ما كان حياً، وغير المخلقة: السقط... تفسير القرطبي، ج11، ص 6-13.

(5) Fetus Stage.

(6) Embryonic Stage.

(7) فؤاد البهي السيد: مرجع سابق، ص 91-93.

الجنين تبدأ الخلايا العظمية في التكوّن، وتحل محل الخلايا الغضروفية التي كانت موجودة من قبل في المرحلة السابقة من النمو.

ويحاط الجنين وهو في الرحم بغشاء، يسمى «الكيس الأمنيوني»[1]، مملوء بسائل ملحي يقوم بعدة وظائف مهمة للجنين من بينها وقايته من الهزات العنيفة ومن تأثيرات الجاذبية[2].

وقد أشار القرآن إلى ذلك في الآيات التي ذكرناها سابقاً من سورة «المؤمنون» بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون:13]، وفي قوله أيضاً في سورة المرسلات: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات:21-23].

ويذهب المفسرون إلى أن الظلمات الثلاث التي جاء ذكرها في القرآن في سورة الزمر التي ذكرناها سابقاً، إنما تشير إلى ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[3]. وفي أحد التفسيرات الحديثة أنها تشير إلى: المبيض، وقناة فالوب، والرحم[4].

النمو بعد الميلاد

يولد الطفل ضعيفاً في حاجة إلى من يرعاه ويعتني به حتى ينمو ويكبر. ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته، ولكن تأخذ سرعة النمو تبطئ تدريجياً مع تقدم العمر، وتبدو الحياة هادئة مستقرة قبل فترة المراهقة. وما أن تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغيرات قوية وسريعة عضوية وتشريحية ونفسية. ثم تهدأ سرعة هذه التغيرات في نهاية مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التي تكتمل فيها عملية النمو، وتعود الحياة مرة أخرى إلى الهدوء والاستقرار. ومع أن الراشد يكون قد بلغ تمام النضج في نموه الجسمي، ونمو قدراته العقلية إلا أنه يستمر في تعلم خبرات جديدة، وفي اكتساب المعرفة والخبرة والحكمة حتى يصل إلى مرحلة الشيخوخة، فتأخذ قوته الجسمية في الاضمحلال، وتبدأ قدراته العقلية في الضعف.

وقد أشار القرآن إلى مراحل النمو التي يمر بها الإنسان بعد الميلاد من الطفولة إلى الشيخوخة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ

---

(1) The amnion.

(2) حامد عبد العزيز الفقي: مرجع سابق، ص 51.

(3) تفسير القرطبي ج15، ص 235، 236.

(4) محمد إسماعيل إبراهيم: مرجع سابق، ص 105.

﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: 67]. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: 54].

ويظهر على بعض الشيوخ في حوالي سن السبعين نوع من الاضطراب السلوكي والعقلي يتميز بضعف الذاكرة، وعدم القدرة على التركيز الذهني، والخلط بين الماضي والحاضر، والحقيقة والخيال، والعجز عن إصدار الأحكام العقلية، كما يفقدون السيطرة على انفعالاتهم واندفاعاتهم فيبدو سلوكهم في الأغلب طفلياً. ويطلق على هذه الحالة من الاضطراب السلوكي والعقلي «ذهان الشيخوخة». قد بينت الدراسات الحديثة أنه يحدث عادة في هذا السن المتأخر من عمر الإنسان نوع من التدهور في أنسجة الدماغ. ومما يساعد على سرعة حدوث هذا التدهور تصلب الشرايين الذي يسبب قلة الأكسجين الذي يصل إلى الأنسجة العصبية بالدماغ مما يقلل من قدرة الدماغ على أداء وظائفه.

وتوجد فروق فردية بين الناس في مدى تأثرهم بضعف الشيخوخة، وظهور أعراض ذهان الشيخوخة عليهم. فمن الشيوخ من يظل محتفظاً بقدر كبير من قدرته العقلية، ومنهم من تضعف قدرته العقلية كثيراً، وتظهر عليه أعراض ذهان الشيخوخة. ويبدو أن بعض العوامل الوراثية، والعوامل المتعلقة بحالة الأوعية الدموية، وحالة الغدد الصماء مما يسهم في حدوث ذهان الشيخوخة. وقد بينت بعض الدراسات أن بعض المسنين يعانون من تلف خطير في الدماغ دون أن يفقدوا قدرتهم على التفكير المنطقي السليم مما دفع بعض علماء النفس إلى القول بأن الشيخوخة، فيما يبدو، تعتمد على قدرة الفرد على تقبل فقدان كفايته العقلية، وعلى مهارته في التكيف لمواقف الضغط. فالشخص الذي يتقبل أعراض الشيخوخة يكون أحسن قدرة على التكيف للمتغيرات التي تحدث في الشيخوخة وعلى مواجهتها. والشخص الذي يثيره ضعف كفايته العقلية وعدم قدرته على التذكر يصبح شخصاً مبلبلاً وغير متزن[1].

وقد أشار القرآن إلى حالة الاضطراب السلوكي والعقلي الذي تنتاب بعض الأفراد في مرحلة الشيخوخة في الآية التي سبق أن ذكرناها من سورة الحج: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ

---

(1) محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص 517.

لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: 5][1].

فبعد أن أشار القرآن في هذه الآية إلى مراحل النمو قبل الميلاد من نطفة إلى علقة إلى مضغة قام بذكر مراحل النمو بعد الميلاد من الطفولة إلى الرشد حيث يكتمل النمو ويبلغ الإنسان أشده وكمال نضجه، ثم إلى الشيخوخة حيث يبدأ الإنسان في الضعف جسمياً وعقلياً. وأشار القرآن أيضاً في هذه الآية إلى ما ينتاب بعض الناس في مرحلة الشيخوخة من اضمحلال قدراتهم العقلية، وما يظهر عليهم من أعراض ذهان الشيخوخة.

وقد أشار القرآن أيضاً في مواضع أخرى إلى هذه الحالة من الاضطراب السلوكي والعقلي التي تنتاب بعض الشيوخ. ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [النحل: 70]. ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [التين: 4-6][2]. ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يس: 68].

النمو الحسي للوليد

بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أن حساسية شبكية العين للضوء تكون ضعيفة عند الميلاد، وهي تنمو حتى تصل إلى كمال نضجها الوظيفي تقريباً في نهاية العام الأول من عمر الطفل. ولا يستجيب الوليد عقب ولادته مباشرة للأضواء الشديدة، ولكنه يبدأ منذ اليوم الثاني يتعلم تدريجياً أن يستجيب للأضواء المختلفة بغمض العينين أو بإلقاء رأسه إلى الوراء في حركة آلية لتجنب الأضواء الشديدة. وبسبب نقص التكوين الشبكي لدى الوليد فإن صور الأشياء لا تبدو له واضحة حتى الشهر السادس من عمره حينما يتم التكوين الشبكي في عينيه[3]. وتتحرك عينا الوليد في أول الأمر في تتبعهما للأشياء الساكنة أو

---

(1) «أرذل العمر» هو الهرم والشيخوخة وما يصاحبها من نقص القوة الجسمية والعقلية. و «لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً» أي اضمحلال القدرة العقلية والرجوع إلى حالة الطفولة، فلا يعلم ما كان يعلم من قبل من الأمور. انظر تفسير القرطبي، ج 9، ص 140؛ [14]، وج 11، ص 6-13.

(2) في تفسير الجلالين (ص 514): «(ثم رددناه) في بعض أفراده (أسفل سافلين) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمنين عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (إلا) أي لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) مقطوع. وفي الحديث: (إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل)».

(3) فؤاد البهي السيد: مرجع سابق، ص 122.

المتحركة حركات غير متناسقة. فقد تنظر عينه اليمنى إلى شيء ما، بينما تنظر عينه اليسرى إلى شيء آخر مما يبدو للناظرين أن بعيني الوليد حولاً. ثم تزداد بالتدريج قدرة الطفل على تحريك عينيه حركات متناسقة، فتتحرك عيناه معاً في اتجاه واحد عند تحديقه في شيء ما[1].

وبينما لا يستطيع الوليد أن يرى الأشياء بوضوح إلا في النصف الثاني من العام الأول من عمره، فإننا نلاحظ أنه يستجيب للأصوات الحادة العالية، وإن كان لا يستجيب للأصوات الخافتة الضعيفة. ويمر أيضاً الإدراك السمعي للوليد بمراحل نمو، فيأخذ بالتدريج يميز بين الدرجات المختلفة للأصوات المتباينة، ثم تأخذ قدرته على التمييز السمعي تتطور تطوراً سريعاً ابتداءً من السنة الثالثة بعد الميلاد حتى تصل إلى كمال نضجها بعد سن الثالثة عشر بقليل[2].

وعلى ضوء هذه المعلومات التي توصلنا إليها من الدراسات الفسيولوجية الحديثة التي بينت أن الوليد لا يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح في المرحلة المبكرة من عمره، بينما يستطيع سماع الأصوات الشديدة، نستطيع أن نفهم الحكمة في مجيء كلمة «السمع» قبل كلمة «الأبصار» في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78].

ولعلنا نستطيع أيضاً أن نفهم من نتائج الدراسات الفسيولوجية التي أشرنا إليها سابقاً، والمتعلقة بعدم تناسق حركتي العينين عند الوليد عند النظر إلى الأشياء، تفسيراً لإشارة القرآن إلى حاسة السمع بصيغة المفرد. بينما أشار إلى حاسة البصر بصيغة الجمع. وفضلاً عن ذلك. فإن ذكر «الأبصار» في صيغة الجمع، بينما يذكر «السمع» في صيغة المفرد إنما يشير إلى عدة حقائق أخرى قد سبق أن أشرنا إليها أثناء كلامنا عن «الحواس في القرآن» في الفصل الخاص «بالإدراك الحسي في القرآن».

ويلاحظ أيضاً أن ذكر الأفئدة في الآية السابقة قد جاء بعد ذكر حاستي السمع والبصر، ولعل ذلك لأن قدرة الطفل على الإدراك العقلي والتمييز تبدأ في الظهور في مرحلة تالية من النمو بعد أن تكون حاستا السمع والبصر وكذلك الحواس الأخرى قد بدأت في النمو من قبل.

---

(1) المرجع السابق: ص 121-123.

(2) المرجع السابق: ص 124.

ملخص الشخصية في القرآن

جاء في القرآن الكريم وصف للشخصية الإنسانية وسماتها العامة التي يتميز بها الإنسان عن غيره من المخلوقات.

كما جاء فيه أيضاً وصف لبعض الأنماط العامة للشخصية الإنسانية ونجد أيضاً في القرآن وصف للشخصية السوية والشخصية غير السوية ووصف للعوامل المكونة للسواء وعدم السواء في الشخصية.

ويدرس علماء النفس المحدثون محددات الشخصية ويركزون على جانبين جانب الوراثة وجانب البيئة مغفلين الجانب الروحي من الإنسان لأنهم لا يعرفون كيف يتناولونه بالبحث العلمي الموضوعي.

إن إغفال علماء النفس المحدثين للجانب الروحي من الإنسان في دراساتهم للشخصية قد أدى إلى قصور واضح في فهمهم للإنسان.

ويرى شيخنا نجاتي أننا لا نستطيع أن نفهم شخصية الإنسان فهماً واضحاً بدون أن نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية البيولوجية والاجتماعية والروحية والجانب الروحي هو الذي يعتني به شيخنا نجاتي.

ونناقش تصور نجاتي لموضوع النفس الإنسانية في القرآن من خلال النقاط الآتية:

تكوين الإنسان

أخبرنا القرآن عن خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح حيث نفخ الله تعالى من التراب بعد أن أصبح صلصالاً كالفخار فنفخ فيه من روحه فخلق آدم ﷺ، وإن هذا النوع من التكوين يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات فهو يشارك الحيوان في معظم الخصائص الجسمية وما يتطلبه حفظ الذات والبقاء من دوافع وانفعالات وقدرة على الإدراك والتعلم ولكنه يتميز عن الحيوان بالخصائص الروحية التي تجعله ينزع إلى معرفة الله ﷻ وعبادته والتشوق إلى الفضائل والمثل العليا التي ترتفع به إلى مستويات عالية من الكمال.

الصراع النفسي

إن الإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع كما يتضمن أيضاً صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله ﷻ.

ويشير القرآن أيضاً إلى الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان في وصفه تعالى لخروج قارون على قومه في زينته مما جعل بعض الناس يتمنون أن يكون لهم ما لقارون من ثروة ويرد عليهم البعض الآخر بأن ما عند الله خير وأبقى ولعل مشيئة الله تعالى قد اجتازت أيضاً أن يكون أسلوب الإنسان في حل هذا الصراع هو الاختبار الحقيقي والأساسي الذي وضعه الله تعالى للإنسان في هذه الحياة.

فكما استطاع الإنسان أن يوفق بين الجانبين المادي والروحي في شخصيته وأن يحقق بينهما أكبر قدر مستطاع من التناسق والتوازن نجح في هذا الاختبار واستحق أن يثاب على ذلك بالسعادة في الدنيا وفي الآخرة.

وأما من انساق وراء شهوته البدنية وأغفل المطالب الروحية فقد فشل في هذا الاختبار واستحق أن يجازى على ذلك بالشقاء في الدنيا والآخرة ولقد شاءت رحمة الله تعالى أن يمد الإنسان بجميع الإمكانيات اللازمة لحل هذا الصراع بأن وهبه العقل ليميز به بين الخير والشر وبين الحق والباطل.

إن في طبيعة تكوين الإنسان استعداداً لفعل كل من الخير والشر استعداداً لاتباع شهواته البدنية واستعداداً للعمل الصالح والتسامي إلى أفق الفضيلة ومن الطبيعي أن تتضمن طبيعة الإنسان وقوع صراع الفضيلة والرذيلة بين طاعة الله ومعصيته.

وحين يختار الإنسان الملذات الدنيوية وينساق وراء أهوائه وشهواته وينسى ربه واليوم الآخر مما يصبح في معيشته أشبه بالحيوان بل أضل لأنه لم يستخدم عقله الذي ميزه ربه به عن الحيوان.

وهناك مفاهيم ثلاثة للنفس وهي: النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة. النفس الأمارة بالسوء هي الاستسلام للأهواء والشهوات والملذات البدنية والدنيوية.

وحينما تبلغ الشخصية أعلى مستويات الكمال الإنساني حيث يحدث التوازن التام بين المطالب البدنية والروحية فإنها تصبح النفس المطمئنة كما ينطبق عليها وصف النفس المطمئنة. وبين هذين المستويين مستوى آخر مستوى فيه يحاسب الإنسان نفسه على ما ارتكب من أخطاء.

ويقارن نجاتي بين الحالات الثلاثة للنفس في القرآن الكريم وهي الأمارة بالسوء والنفس اللوامة والنفس المطمئنة بنظرية فرويد في الهو والأنا والأنا الأعلى ويبين أن التصور الإسلامي أدق كثيراً جداً من تصور فرويد.

التوازن في الشخصية

الحل الأمثل للصراع بين الجانبين البدني والروحي في الإنسان هو التوفيق بينهما حيث يقوم الإنسان بإشباع حاجته البدنية في الحدود التي أباحها الشرع ويقوم في الوقت نفسه بإشباع حاجته الروحية وهذا أمر ممكن إذا التزم الإنسان في حياته التوسط والاعتدال.

فليس في الإسلام رهبانية تقاوم إشباع الدوافع البدنية وتعمل على كبتها كما ليس في الإسلام إباحية مطلقة تعمل على الإشباع التام للدوافع البدنية الشخصية.

الشخصية السوية

هي في الإسلام التي يتوازن فيها البدن والروح وتشبع فيها حاجاتهما فالشخص الذي ينساق وراء أهوائه وشهواته شخص غير سوي والشخص الذي يكبت حاجاته البدنية ويقهر جسمه خضوعاً للرهبانية شخص غير سوي كذلك وذلك لأن كلاً من هذين الاتجاهين المتطرفين يخالفان الطبيعة الإنسانية ويعارض فطرتها ولذلك لا يمكن أن يؤدي بها إلى بلوغ كمالها الحقيقي.

أنماط الشخصية في القرآن

يصنف القرآن الناس على أساس العقيدة إلى ثلاثة أنماط هي: المؤمنون والكافرون والمنافقون.

وتصنيف القرآن للناس على أساس العقيدة يبين أهمية العقيدة في تكوين شخصية الإنسان وفي تحديد سماته المميزة له وتفصيل ذلك فيما يلي:

1. المؤمنون

ذكر الله ﷻ المؤمنين في معظم سور القرآن الكريم ووصف سلوكياتهم في كثير من مجالات حياتهم في عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم وعلاقاتهم مع غيرهم من الناس ومن علاقاتهم الأسرية وفي حبهم لطلب المعرفة وفي حياتهم العملية وفي سعيهم لطلب الرزق وفي سماتهم البدنية.

ويصنف نجاتي سمات المؤمنين إلى تسعة مجالات عامة من مجالات السلوك هي:

أ. سمات تتعلق بالعقيدة.

ب. سمات تتعلق بالعبادات.

ج. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية.

د. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية.

ه. سمات خلقية.

و. سمات انفعالية وعاطفية.

ز. سمات عقلية ومعرفية.

ح. سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية.

ط. سمات بدنية.

- إن السمات التي تتعلق بالعقيدة منها: الإيمان بالله وبرسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار والغيب والقدر.
- أما السمات التي تتعلق بالعبادات منها: عبادة الله وأداء الفرائض من صلاة وصيام وزكاة وجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وتقوى الله وذكره دائماً واستغفاره والتوكل عليه وقراءة القرآن.
- سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية منها: معاملة الناس بالحسنى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية منها: الإحسان بالوالدين وذوي القربى وحسن المعاشرة بين الأزواج.
- سمات خلقية منها: الصبر والحلم والصدق والعدالة والأمانة والوفاء بالعهد والعفة والتواضع.
- سمات انفعالية وعاطفية منها: حب الله والخوف من عذاب الله والأمل في رحمة الله وحب الناس وكظم الغيظ ولوم النفس.
- سمات عقلية ومعرفية مثل: التفكير في الكون وخلق الله وطلب المعرفة والعلم وعدم اتباع الظن وتحري الحقيقية.
- سمات تتعلق بالحياة العملية والمهنية منها: الإخلاص في العمل وإتقانه والسعي بنشاط وجد في سبيل كسب الرزق.
- سمات بدنية مثل: القوة والصحة والنظافة والطهارة.

وإذا فكرنا في مجموع هذه السمات التي وصف بها القرآن المؤمن فإننا نتوصل إلى صورة نابضة لحياة الإنسان المؤمن وصورة الإنسان الكامل وقد قام النبي ﷺ في تربية الرعيل

الأول من المؤمنين على أساس هذه السمات فغير شخصياتهم تغييراً كاملاً وكون منهم رجالاً مؤمنين استطاعوا أن يغيروا وجه التاريخ بقوة شخصياتهم ونبل أخلاقهم وعلو هممهم وكريم الصفات والمثل العليا التي تعلموها من القرآن والسنة.

وليست هذه السمات مستقلة بعضها عن بعض في شخصية المؤمن بل إنها تتفاعل فيما بينها وتتكامل وتشترك جميعها في تغيير سلوك المؤمن في جميع مجالات الحياة.

وتلعب السمات المتعلقة بالعقيدة دوراً أساسياً ومركزياً في توجيه سلوك الإنسان في جميع مجالات حياته بحيث يصبح إيمان الإنسان بعقيدة التوحيد وإيمانه بالبعث والحساب السمات الرئيسية السائدة في شخصيته.

2. الكافرون

أشار القرآن إلى الكافرين في كثير من الآيات ويمكن تلخيص سمات الكافرين التي وردت في القرآن فيما يلي:

أ. سمات تتعلق بالعقيدة: وهي عدم الإيمان بالتوحيد وبالرسل وباليوم الآخر وبالبعث والحساب.

ب. سمات تتعلق بالعبادات: يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم.

ج. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية: الظلم وهم عدوانيون في تصرفاتهم نحو المؤمنين ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

د. سمات تتعلق بالعلاقات الأسرية: حيث يقطعون صلة الرحم.

هـ. سمات خلقية: نقض العهد والفجور واتباع الشهوات والغرور والتكبر.

و. سمات انفعالية وعاطفية: كراهيتهم للمؤمنين وحقدهم عليهم وحسدهم لهم.

ز. سمات عقلية ومعرفية: جمود التفكير والعجز عن الفهم والتعقل والتقليد الأعمى لمعتقدات وتقاليد الآباء.

الصورة التي يرسمها القرآن لشخصية الكافرين أنهم لا يؤمنون بعقيدة التوحيد ولا بالرسل ولا الكتب المنزلة ولا اليوم الآخر ولا البعث ولا الحساب ولا الجنة ولا النار وهم يحسدون المؤمنين على ما أنعم الله به عليهم ويحقدون عليهم ويكرهونهم ويسخرون منهم ويؤذونهم وينفقون أموالهم في مقاومتهم ومقاومة دعوة الإسلام.

3. المنافقون

هم فئة من الناس ضعاف الشخصية ومترددون لم يستطيعوا أن يتخذوا موقفاً صحيحاً من الإيمان وأهم سماتهم التي وردت في القرآن هي:

أ. سمات تتعلق بالعقيدة: حيث أنهم لم يتخذوا موقفاً محدداً من عقيدة التوحيد فهم يظهرون الإيمان إذا وجدوا بين المسلمين ويظهرون الشرك إذا وجدوا بين المشركين.

ب. سمات تتعلق بالعبادات: حيث يؤدون العبادات رياء وعلى غير اقتناع وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى.

ج. سمات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية: يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف يعملون على إثارة الفتن بين صفوف المسلمين.

د. سمات خلقية: مثل ضعف الثقة بالنفس ونقض العهد والرياء والجبن والكذب واتباع الأهواء.

ه. سمات انفعالية وعاطفية: الخوف فهم يخافون من كل من المؤمنين والمشركين، الجبن والخوف من الموت يجعلهم يتخلفون عن القتال مع المسلمين.

و. سمات عقلية ومعرفية: التردد والريبة وعدم القدرة على الحكم واتخاذ القرار.

إن هذه السمات التي يصف بها القرآن المنافقين تعطينا صورة واضحة لشخصية المنافق والسمات الرئيسية لشخصيته وهي: تردده بين الإيمان والكفر وهو جبان إذ ما دعي إلى الاشتراك في القتال تملكه الخوف وتخلف عن القتال متنحلاً كثيراً من الأعذار وهو يحاول دائماً خداع الناس وهذه الصورة صورة حية دقيقة تنطبق بدقة على نمط معين من الناس يوجدون في جميع المجتمعات ونستطيع أن نعرفهم بوضوح من هذه السمات التي يتميزون بها.

الحيل العقلية في القرآن

الحيل العقلية هي سلوك دفاعي يلجأ إليه الإنسان لوقاية نفسه من الشعور بالقلق الذي ينتابه إذا ما عرفت دوافعه الحقيقية الكامنة في نفسه والتي يحاول إخفاءها بالالتجاء إلى الحيل العقلية.

أشار القرآن إلى ثلاثة أنواع من الحيل العقلية كان المنافقون يقومون بها وهي:

1. الإسقاط: حيلة عقلية يقوم فيها الفرد بإسقاط حالته النفسية ودوافعه وعيوبه وأخطائه على الغير فيدركها فيهم بدلاً من أن يدركها في نفسه والمنافقون كانوا يضمرون العداء

للمسلمين وصورهم القرآن بأنهم يحسبون كل صيحة عليهم بمعنى أنهم يحسبون كل صيحة يسمعوها تصدر عن المسلمين إنما هي موجهة ضدهم ويظنون أن المسلمين يريدون أن يبطشوا بهم وذلك تعبير عما يضمرونه من شعور عدائي تجاه المسلمين.

2. التبرير: حيلة دفاعية يحاول بها الإنسان تبرير دوافعه وأفعاله غير المقبولة بأن يعطيها تفسيراً يكون مقبولاً فإذا أفسدوا في الأرض قالوا إنما هم يقصدون الإصلاح وهم بذلك إنما يقومون بتبرير أفعالهم تبريرات تبدو مقبولة ومعقولة خلافاً للحقيقة.

3. تكوين رد الفعل: حيلة دفاعية يتخذ فيها الفرد سلوكاً يكون مضاداً لسلوك آخر يريد إخفاءه فقد يبدي كثيراً من المجاملة والأدب في معاملة شخص معين كوسيلة دفاعية يخفي بها كرهه له وشعوره العدائي نحوه. وقد كان المنافقون يلجؤون إلى هذه الحيلة العقلية فكانوا يحسنون الكلام مع المسلمين ويظهرون حبهم وإعجابهم بهم بقصد إخفاء ما تضمره نفوسهم لهم من كراهية وعداء.

الفروق الفردية في القرآن

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ﴾ [الأنعام: 165] يشمل كل أنواع الفروق بين الناس سواء أكانت وراثية أو مكتسبة سواء كانت بدنية أو نفسية أو عقلية.

والناس مختلفون في استعداداتهم وقدراتهم وفي ظروفهم الاجتماعية والثقافية وخبراتهم الشخصية فيتوقع وجود اختلافات كثيرة في سلوكهم، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: 84]، واختلاف الناس في الاستعداد والقدرات البدنية والعقلية يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف قدرتهم على العمل والكسب وتحصيل الرزق وفي قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286] إشارة القرآن إلى وجود الفروق الفردية، وإلى أن الفرد لا يكلف إلا ما في وسعه وطاقته إنما هو الفكرة الأساسية فيما وصل إليه علم النفس الحديث من الاهتمام بقياس الفروق الفردية بين الأفراد في الاستعدادات والقدرات لتنظيم عملية التعليم بحيث يوجه كل فرد إلى نوع التعليم المناسب لاستعداداته وقدراته، وهذا هو الهدف من عملية التوجيه التربوي في التربية الحديثة.

نمو الإنسان في القرآن

يُعنى علم النفس بدراسة المراحل المختلفة التي تمر بها عملية نمو الطفل والخصائص العامة التي تميز هذه المراحل.

النمو قبل الميلاد

أشار القرآن الكريم إلى مراحل نمو الجنين حتى وقت الميلاد كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المؤمنون: 12-14].

النمو بعد الميلاد

يولد الطفل ضعيفاً في حاجة إلى من يرعاه ويُعنى به حتى ينمو ويكبر ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته ثم تأتيه مرحلة الطفولة التي تنقسم إلى جزئين: طفولة مبكرة وطفولة متأخرة، ثم المراهقة بما فيها من مشكلات، ثم الرشد والشيخوخة، وقد أشار القرآن الكريم لمراحل النمو من الطفولة إلى الشيخوخة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [غافر: 67].

ويظهر على بعض الشيوخ في حوالي سن السبعين نوع من الاضطراب السلوكي والعقلي تتميز بضعف الذاكرة وعدم القدرة على التركيز الذهني ومع ذلك توجد فروق فردية بين الناس في مدى تأثرهم بضعف الشيخوخة كما في الآية التي تقول من سورة الحج: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: 5].

النمو الحسي للوليد

بينت المعلومات التي توصلنا إليها من الدراسات الفسيولوجية الحديثة أن الوليد لا يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح في المرحلة المبكرة من عمره بينما يستطيع سماع الأصوات الشديدة ويستطيع أن يفهم الحكمة في مجيء كلمة السمع قبل كلمة الإبصار في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: 78].

أسئلة للمناقشة

1. كيف تتكون الشخصية حسب تصوير القرآن الكريم؟
2. الصراع النفسي أمر أساسي في الحياة، بين موقف القرآن الكريم من ذلك؟
3. التوازن النفسي أساسي في شخصية الإنسان، كيف وضح القرآن الكريم ذلك؟
4. الشخصية السوية في القرآن، تحت هذا العنوان اكتب مقالة مختصرة؟
5. تحدث عن أنماط الشخصية كما وردت في القرآن الكريم؟
6. تحدث عن بعض الحيل العقلية التي وردت في القرآن الكريم؟



الفصل الثاني

الشخصية في الحديث الشريف

إن جميع بحوث علماء النفس، مهما تباينت مجالاتها، واختلفت ميادينها، إنما تدور حول محور أساسي، وتحاول الوصول إلى هدف رئيسي هو فهم الشخصية الإنسانية. ولكي نستطيع فهم الشخصية الإنسانية فهماً سليماً يجب أن نعرف جميع المقومات التي تساهم في تكوينها، والعوامل التي تحددها وتؤثر فيها. وقد بذل علماء النفس المحدثون كثيراً من النظريات، ولكنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يتفقوا جميعاً حول نظرية واحدة مقبولة تمدنا بفهم سليم وواضح وشامل للشخصية. وذلك لأن كلاً منهم ينظر إلى الشخصية من زاوية معينة تتفق مع وجهة نظره إلى الإنسان، ويركز اهتمامه على بعض النواحي المعينة من السلوك الإنساني. ثم إنهم جميعاً، باستثناء مدرسة التحليل النفسي، يضعون نظرياتهم في الشخصية على أساس نتائج الدراسات والبحوث المختلفة التي تناولت نواحي متعددة من السلوك الإنساني الذي أمكن إخضاعه لمناهج البحث العلمية الموضوعية. وكثير من هذه الدراسات يتناول مظاهر سطحية وهامشية من السلوك الإنساني الذي يمكن ملاحظته وقياسه وإخضاعه للبحث التجريبي. وهي تغفل في الأغلب أيضاً دراسة النواحي الهامة الرئيسية والجوهرية من السلوك الإنساني، تلك النواحي التي تتعلق بالجانب الروحي من الإنسان. إن اقتصار علم النفس الحديث على المنحى المادي والموضوعي، والالتزام بمنهاج البحث الموضوعية في دراسة الإنسان، لم يمكننا حتى الآن من فهم الإنسان فهماً سليماً، ومن الحصول على معرفة دقيقة وصحيحة عن الشخصية ولذلك، فمن الضروري أن تكون لنا مناهج أخرى جديدة تمكننا من دراسة النواحي الروحية التي لم يتمكن علماء النفس المحدثون حتى الآن من دراستها دراسة جادة. وإلى أن يتيسر لنا ذلك، فمن الضروري أن نستعين بما أمدتنا به الديانات السماوية، وما أخبرنا به الأنبياء والرسل من حقائق عن الإنسان، وهي حقائق لا يتطرق إليها الشك، لأنها صادرة من الله تعالى خالق الإنسان، وهو أعلم بطبيعته، وحقيقة تكوينه. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

وقد جاء في القرآن الكريم كثير من الحقائق التي تتعلق بتكوين الإنسان، وسمات شخصيته، والعوامل التي تؤثر فيها وتسبب انحرافها ومرضها، وطرق تهذيبها وعلاجها، وقد سبق أن تناول المؤلف ذلك في كتابه «القرآن وعلم النفس». كما جاء في الحديث النبوي أيضاً كثير من المعلومات عن طبيعة الإنسان وفطرته، والعوامل التي تؤثر في سلوك الإنسان وتسبب انحرافه عن فطرته السليمة، وطرق تهذيبه ووقايته من الانحراف. وغير ذلك من الحقائق عن الشخصية الإنسانية، مما قد تناولنا بعض في الفصول السابقة، ومما سوف نتناول بعضه الآخر في الفصول التالية.

أولا: فطرة الإنسان

وصف القرآن الكريم كيف خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح. فقد سوّى الله تعالى آدم من طين ونفخ فيه من روحه. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: 72].

وذكر الحديث أيضاً تكوين الإنسان من مادة وروح. فعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم يُجمع خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَك فينفخ فيه الروح... الحديث»[1].

فالإنسان إذن يجمع في طبيعة تكوينه بين كل من صفات المادة وصفات الروح، بين صفات الحيوان وصفات الملائكة، بين الحاجات والدوافع البدنية الغريزية الضرورية لحياته وبقائه والتي يشارك فيها الحيوان، والحاجات والدوافع الروحية الضرورية لارتقائه النفسي والروحي، ولتحقيق كماله الإنساني الذي استحق من أجله أن يفضّله الله تعالى على سائر مخلوقاته، وأن يجعله خليفته في الأرض.

ويولد الإنسان على الفطرة، وهي الدين الحنيف، والاستعداد لمعرفة الله وتوحيده، والميل إلى الحق، والاستعداد لفعل الخير، والسلامة من الانحرافات. فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه... الحديث»[2].

---

(1) أخرجه البخاري في بدء الخلق، ومسلم في أول كتاب القدر (النووي، ج1، ص 363، الحديث رقم 397/1).

(2) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي (ناصف، ج5، ص 190). سبق أن ذكرنا هذا الحديث في الفصل الأول أثناء كلامنا عن دافع التدين.

إن هذا الاستعداد الفطري يحتاج في إظهاره إلى التربية والتهذيب والتعليم. وقد يتعرض الطفل لمؤثرات بيئية غير صالحة تنحرف به عن فطرته السليمة، وتوجهه وجهات غير صالحة. فكما أن في الإنسان استعداداً فطرياً لمعرفة الحق وفعل الخير، فهو أيضاً قابل، تحت تأثير بعض الظروف الأسرية والاجتماعية غير الصالحة التي ينشئها فيها، لأن يطمس فيه هذا الاستعداد الفطري لمعرفة الحق وفعل الخير، فيميل إلى الباطل وفعل الشر. ولذلك قال الرسول ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة...»، غير أنه تحت تأثير الأسرة والعوامل الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها قد ينحرف إلى اليهودية، أو النصرانية أو المجوسية، وقال الرسول ﷺ أيضاً راوياً عن ربه: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم... الحديث»[1].

إن الإنسان بفطرته يميز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، كما أن فيه استعداداً، بما وهبه الله تعالى من حرية الإرادة، لاختيار طريق الخير أو طريق الشر، قال الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:10]. ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:3]. وقال الرسول ﷺ: «إن الحرام بيّن والحرام بيّن... الحديث»[2].

فالإنسان يدرك بفطرته الحلال والحرام، الحق والباطل، الخير والشر، الفضيلة والرذيلة. وعن وابصة بن معبد، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «جئت تسأل عن البر؟» قلت: نعم، فقال: «استفت قلبك، وإن البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك»[3].

فالإنسان يميل بفطرته إلى فعل الخير ويطمئن عليه، وإذا حاك بنفسه أو جال بخاطره فعل الشر شعر بالتردد وعدم الاطمئنان، وكره أن يطلع الناس عليه. فالنفس تشعر بالفطرة بما تحمد عاقبته، وما يذم فعله. وهذه الفطرة تنمو وتزدهر بالتربية الصالحة، وتخبو وتختفي بالتربية السيئة. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: 7-10].

---

(1) أخرجه مسلم في صفة الجنة (ناصف، ج5، ص 76-77).

(2) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي (الشيباني، ج4، ص 138).

(3) أخرجه أحمد والدارمي في مسنديهما (النووي، ج1، ص 505-506).

ثانياً: التوازن في الشخصية

لكل من البدن والروح حاجات تتطلب الإشباع. فالبدن يحتاج إلى الغذاء والماء، والنوم، وتجنب الحرارة والبرودة والألم، ويحتاج إلى أليف من الجنس الآخر، وغير ذلك من الحاجات البدنية الضرورية لحياته وبقائه، والتي تكلمنا عنها من قبل في الفصل الأول الخاص بالدوافع في الحديث. وللروح أيضاً حاجاته الخاصة به، فهو يتشوق إلى معرفة الله تعالى وعبادته والتقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحة. وقد يقع الصراع بين متطلبات كل من البدن والروح، ويعجز الإنسان عن تحقيق قدر معقول من التوازن بينهما، فقد يميل إلى الإسراف في إشباع دوافعه البدنية، وملذاته الحسية، ويغفل عن إشباع حاجاته الروحية؛ أو قد يميل إلى الإسراف في حاجاته الروحية، ويهمل إشباع حاجاته البدنية. وفي كلتي الحالين يحدث انحراف عن الفطرة السليمة، ويختل التوازن في شخصية الإنسان. وقد سبق أن تناولنا موضوع الصراع النفسي بين الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان في الفصل الأول الخاص بالدوافع، وذكرنا أنه يمكن حل هذا الصراع، وتحقيق التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان عن طرق التوسط والاعتدال في إشباع كل من دوافعنا البدنية والروحية، وعن طريق الابتعاد عن الإسراف والغلو في إشباع كل منهما.

إن الإسلام يدعو إلى تحقيق التوازن بين الجانبين المادي والروحي في الإنسان، وهو أمر يتفق مع طبيعة الإنسان وفطرته، ويؤدي إلى التحقيق الأمثل للذات الإنسانية. ومما يدل على عناية الإسلام بتحقيق التوازن بين البدن والروح، أنه يقر ترك بعض الفرائض والتكاليف إذا كان في أدائها ضرر بالبدن. فالإسلام مثلاً يقر ترك فريضة الصوم في حالة المرض أو في حالة مشقة السفر، كما يقر ترك الوضوء إذا كان استعمال الماء مضراً بصحة المريض، أو إذا كان الإنسان في حاجة لشرب الماء حفظاً لحياته من الموت.

ومما يدل أيضاً، على عناية الإسلام بتحقيق التوازن بين البدن والروح، أنه يعتبر العمل عبادة، فمن سعى في سبيل كسب قوته، وإعالة والديه وزوجته وأولاده، فهو في سبيل الله. ففي قيام الإنسان بالعمل لكسب قوته وقوت أهله تحقيق لإشباع حاجات بدنية ودنيوية، وفيه أيضاً تحقيق لإشباع حاجات روحية أيضاً. كان الرسول ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فرأوا شاباً ذا جَلَد وقوة قد خرج مبكراً يسعى فقالوا: ويح هذا الشاب. لو كان شبابه وجلده في سبيل الله! فقال ﷺ: «لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة، ويغنيها عن الناس، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو

ذرية ضعاف يُعينهم ويكفيهم، فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان»[1].

ثالثاً: الفروق الفردية

توجد فروق فردية كثيرة بين الناس، في ألوانهم، وألسنتهم، وفي قدراتهم البدنية والعقلية، وفي قدرتهم على التعلم، وفي سماتهم الشخصية المختلفة. وقد لاحظ المفكرون هذه الفروق من قديم الزمان. وقام علماء النفس المحدثون بوضع مقاييس دقيقة لقياسها من أجل تحقيق أهداف تربوية ومهنية، حيث يمكن على أساس معرفة هذه الفروق توجيه كل فرد إلى نوع التعليم المناسب لقدراته، ووضع كل فرد في العمل الملائم له.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الفروق الفردية بين الناس، سواء أكانت فروقاً فطرية وراثية، أم كانت فروقاً مكتسبة. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: 22]. ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: 32].

وأشار الحديث أيضاً إلى الفروق الفردية بين الناس. فعن أبي موسى أن الرسول ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزْن، والخبيث والطيب»[2].

ويشير هذا الحديث إلى اختلاف الناس في ألوانهم، وفي طباعهم وأخلاقهم. وكما توجد في الأرض مناطق مختلفة الألوان، ومناطق سهلة مستوية، ومناطق وعرة صعبة الاجتياز، فكذلك توجد بين الناس فروق في اللون: فمنهم الأحمر والأبيض والأسود، وما بين ذلك من درجات هذه الألوان؛ وكذلك توجد بينهم فروق في الطباع والأخلاق والاستعدادات المزاجية والانفعالية، فمنهم حسن الطبع والخُلُق، ليّن العريكة، سهل المعاملة؛ ومنهم من هو سيء الطبع والخُلُق، فظ خشن في تعامله مع الناس. ويشير الحديث إلى أن

---

(1) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاث من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (تخريج زين الدين العراقي، مرجع سابق، ج2، ص 61، هامش رقم 4).

(2) أخرجه الترمذي بسند صحيح (ناصف، ج4، ص 39).

الفروق بين الناس في الألوان، وفي الطبع والاستعدادات المزاجية والانفعالية فروق جبلية، أي أنها ترجع إلى فروق في التكوين البدني. وقد أثبتت الدراسات الحديثة وجود فروق تشريحية في بشرة الناس تسبب اختلاف ألوانهم، كما أثبتت أيضاً انتقال الألوان إلى النسل وفقاً لقوانين الوراثة التي توصل إليها مندل Mendel. وأثبتت الدراسات الحديثة أيضاً: مثل دراسات إيفان بافلوف Ivan Pavlov وكلفن هول Calvin Hall على الحيوانات أن الفروق في الاستعدادات المزاجية والانفعالية ترجع إلى فروق في التكوين البدني والتشريحي هذه الحيوانات. فوجد بافلوف مثلاً أن سلوك الكلاب الانفعالي يختلف باختلاف تكوينها البدني. فبعضها يثور ويهيج بشدة في بعض المواقف، بينما يظل بعضها الآخر في نفس هذه المواقف هادئاً وكأنه لا يبالي. فقد وجد بافلوف مثلاً أن الكلاب الرفيعة الضيقة الصدر تميل في بعض المواقف العصبية في المختبر السيكولوجي إلى الثورة والهياج الشديد، بينما تميل الكلاب الممتلئة الجسم والقصيرة في هذه المواقف إلى الذهول، كما تميل إلى النعاس. ووجد كلفن هول فروقاً بين الفئران البيضاء في شدة الخوف إذا تعرضت لمواقف مخيفة، كما وجد استمرار وجود هذه الفروق في الاستعداد الانفعالي في نسل هذه الفئران. وبينت الدراسات التشريحية التي أجريت على هذه الفئران وجود فروق تشريحية. فقد وُجد أن حجم الغدد الكظرية والدرقية والنخامية في الفئران شديدة الخوف أكبر منها في الفئران الأخرى الأقل خوفاً.

ونحن نلاحظ أيضاً وجود مثل هذه الفروق في الاستعدادات المزاجية الانفعالية بين الناس. فمن الناس من هو سريع الانفعال، شديد التهيج، ومنهم من هو كثير الهدوء، بطيء الانفعال. ولا شك أن جزءاً كبيراً من هذه الفروق يرجع إلى فروق في التكوين البدني وفي طبيعة تكوين الجهازين العصبي والغدي [1]. ولكن من المعروف الآن أيضاً أن للتعلم دوراً في تكوين الفروق الانفعالية بين الناس. فالانفعالات التي تدعم في مواقف معينة، تثبت وتُتعلم، ويميل الإنسان فيما بعد إلى إظهار هذه الانفعالات في مثل هذه المواقف.

وقد أشار الرسول ﷺ أيضاً إلى الفروق بين الناس في الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الرسول ﷺ: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[2].

(1) محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية، مرجع سابق، ص 108-109.

(2) أخرجه الشيخان وأبو داود (ناصف، ج5، ص 81).

فكما أن معادن الأرض من فضة وذهب وغيرهما من المعادن الأخرى تختلف في طبيعة تركيبها وخصائصها وقيمتها، فكذلك الناس يختلفون في طبيعة جبلاتهم، وفي طباعهم وأخلاقهم وخصائصهم وقدراتهم البدنية والعقلية، ومن كان من الناس في مستوى عال وطيب في هذه الصفات في الجاهلية، فإنه سيظل محتفظاً بمستواه العالي والطيب في الإسلام إذا تفقه في الدين. ويشير هذا الحديث أيضاً مثل الحديث السابق إلى الفروق الفطرية الوراثية بين الناس، التي ترجع إلى طبيعة تكوينهم الجبلي، على أن تشبيه الناس بالمعادن لا يعني، فيما أرى، القول بأن الفروق الفردية بين الناس إنما ترجع فقط إلى الوراثة، وإنما قد استخدم التشبيه في هذا الحديث، فيما يبدو لي، لمجرد إعطاء مثال واقعي يبين أن من هو فاضل من الناس في الجاهلية، سيبقى فاضلاً أيضاً في الإسلام إذا تفقه في الدين، مثلما هو الشأن بالنسبة لمعدني الفضة والذهب، فإنهما سيحتفظان دائماً بقيمتهما بالنسبة إلى المعادن الأخرى. فنص الحديث لا ينفي، فيما أرى، أن يكون بعض الفروق بين الناس مكتسبة أيضاً بالتربية وظروف التنشئة الاجتماعية للفرد. فاستخدام هذا التشبيه في هذا الحديث إنما هو لتوضيح معنى استمرار وجود الفروق بين الناس، ولتقريبه إلى الإفهام، كعادة الرسول ﷺ في ضرب الأمثال لتجسيد المعنى وتصويره في صورة محسوسة واقعية يسهل فهمه واستيعابه. وقد سبق أن أشرنا إلى الأمثال في الحديث في الفصل الخامس الخاص بالتعلم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم»[1]. وعن أبي هريرة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم... الحديث»[2].

وقول الرسول ﷺ: «فافعلوا منه ما استطعتم»، إنما يشير إلى مراعاة الرسول ﷺ للفروق بين الصحابة، ولذلك كان يطلب منهم أن يفعل كل منهم ما يستطيع على حسب إمكاناته وقدراته.

رابعاً: الفروق في الذكاء

توجد فروق بين الناس في الذكاء. والذكاء أو القدرة العقلية العامة يتضمن عدة قدرات عقلية، مثل الفهم، والتذكر، كما يتضمن أيضاً القدرة على التعلم. بل إن بعض

(1) أخرجه الشيخان (ناصف، ج1، ص 42).

(2) أخرجه الشيخان والترمذي (ناصف، ج1، ص 44).

علماء النفس قد عرفوا الذكاء بأنه القدرة على التعلم. وقد أشار الحديث إلى وجود فروق بين الناس في الذكاء. فمن الناس من يتعلم بسرعة، ويفهم ويعي جيداً ما يسمع من العلم، ويحتفظ به جيداً ويستطيع أن يتذكره ويعلمه للغير. ومنهم لا يتعلم بسهولة، ولا يحتفظ جيداً بما يسمع، ولا يستطيع تذكره وتعليمه للغير. عن أبي موسى أن الرسول ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا. وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"[1].

لقد وصف الرسول ﷺ في هذا الحديث الفروق بين الناس في القدرة على التعلم والفهم والتذكر، وهي قدرات تدخل في مفهوم الذكاء، وصنف الناس بالنسبة للذكاء إلى ثلاثة أصناف. فمنهم من هو مثل الأرض الطيبة قادر على تحصيل العلم وحفظه والعمل به وتعليمه للغير، فينفع به نفسه وينفع به غيره، ومنهم من هو مثل الأرض الجدباء (وهي الأرض الصلبة التي لا تشرب الماء)، قادر على حفظ العلم ونقله إلى غيره فينفعه دون أن ينتفع هو نفسه به، ومنهم مثل القيعان (وهي الأرض المستوية الملساء التي لا نبات فيها) وهم من لا ينتفعون بالعلم، ولا يحفظونه لينقلوه إلى الغير. وأشار الرسول ﷺ إلى الفروق بين الناس في الذكاء حينما قال عليه الصلاة والسلام: "نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم"[2].

في هذا الحديث إشارة واضحة إلى الفروق الفردية بين الناس في قدراتهم العقلية، مما يوجب على من يقوم بتوجيههم وتعليمهم، سواء كانوا أنبياء أم معلمين ومربين أن يراعوا هذه الفروق. فيكلمون كل فرد أو يعلمونه، على قدر مستوى قدراته العقلية. وقد وضع الرسول ﷺ بهذا الحديث قاعدة تربوية مهمة أخذ بها المربون المسلمون، كما يأخذ بها أيضاً المربون في العصر الحديث.

(1) أخرجه الشيخان (النووي، ج2، ص 95، الحديث رقم 3/ 1379؛ ناصف، ج1، ص 67).

(2) أخرجه أبو داود عن عائشة (تخريج زين الدين أبي الفضل العراقي، مرجع سابق، ج1، ص 57، هامش رقم 2).

وعن معاوية أن الرسول ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وإنما أنا قاسم والله يُعطي... الحديث»[1]. ففي هذا الحديث يقول الرسول ﷺ إنه يقسم الشريعة بين الناس ويبينها لهم، وإن الله تعالى يعطي كل واحد منهم الفهم كما أراد له. ومن أراد الله تعالى له خيراً أعطاه من الذكاء والفهم ما يمكنه من التفقه في الدين. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

خامساً: الفروق في الاستثارة الانفعالية

وأشار الحديث إلى الفروق بين الناس في استثارة انفعال الغضب، وصنف الناس بالنسبة إلى ذلك إلى ثلاثة أصناف. فمنهم من هو بطيء الغضب، لا يغضب إلا نادراً، وإذا غضب فإنه يرجع عن غضبه ويعود إلى هدوئه سريعاً، وهذا هو أفضل الناس. ومنهم من يكون سريع الغضب، يغضب لأتفه الأسباب ويكون سريع الرجوع عن الغضب، وسريع العودة إلى هدوئه. ومنهم من يكون سريع الغضب، وإذا غضب يستمر في غضبه ولا يرجع عنه بسهولة، ولا يعود إلى هدوئه إلا بعد فترة طويلة، وهذا هو أسوأ الناس وشرهم.

عن أبي سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال: «.. ألا وإن منهم (بني آدم) البطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك. ألا وإن منهم سريع الغضب بطيء الفيء. ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء. ألا وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء...»[2].

سادساً: أثر الوراثة والبيئة في الفروق الفردية

أجرى علماء النفس المحدثون كثيراً من البحوث التي تهدف إلى تحديد أثر كل من الوراثة والبيئة في الفروق الفردية. وقد حاول بعض هذه البحوث إثبات أهمية عامل الوراثة، وحاول بعضها الآخر إثبات أهمية البيئة. غير أن الرأي النهائي الذي وصل إليه علماء النفس من نتائج جميع البحوث في هذا المجال هو أن عاملي الوراثة والبيئة يتفاعلان معاً في إيجاد الفروق الفردية في السمات الإنسانية، وأنه من الصعب أن نفصل فصلاً تاماً بين أثر كل منهما. وتغيرت مشكلة البحث بعد ذلك إلى محاولة معرفة القدر النسبي الذي يساهم به كل من الوراثة والبيئة في تحديد سلوك الإنسان وسماته. ويبدو أن الوراثة تساهم بالدور

(1) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي (ناصف، ج1، ص 61).

(2) أخرجه الترمذي في الفتن: ج9، ص 43. وأحمد، ج3، ص 19. سريع الفيء: سريع الرجوع عن الغضب.

الأكبر في تحديد السمات البدنية كالطول والوزن والقوة، وبعض السمات العقلية كالـذكاء، ولو أننا لا نستطيع، في نفس الوقت، استبعاد أثر البيئة أيضاً في هذه السمات. فـإن مـا يلقـاه الفرد من البيئة من عناية بالتغذية والـصحة والتـدريب الرياضـي لـه أثـر كبير في إظهـار الإمكانات الوراثية في هذه النواحي. كما أن ما يلقاه الفـرد مـن عنايـة بـالتعليم والتعـرض لكثير من المؤثرات الحسية والعقلية، والتدريب على كثير من المهارات، لـه أثـر كـبير في نمـو ذكائه. ويبدو كذلك أن العوامل البيئية من تعلم وتدريب هي الأهم في الفروق الفردية فيما يتعلق بالمعارف والمهارات والحرف، والعلوم التي تحتاج إلى تدريب خاص طويل، ولو أننا لا نستطيع في هذه الحالات أيضاً إغفال أثر الوراثة نهائياً، وبخاصة في تحديد المستوى النهائي من التفوق والمهارة التي يصل إليها الفرد بالتدريب [1]. وقد أشار الرسول ﷺ في بعض أحاديثه إلى أثر كل من الوراثة والبيئة في الفروق الفردية.

أثر الوراثة

أشار الرسول ﷺ إلى أثر الوراثة في الفروق الفردية في الحديث الذي ذكر فيه أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وقد سبق أن ذكرنا هذا الحديث، وتناولناه بالشرح والتعليق في بداية كلامنا عن الفروق الفردية في هذا الفصل. وعن أبي هريرة قـال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود. فقـال: «هـل لـك إبل؟» قال: نعم، قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيهـا مـن أورق؟» قـال: إن فيهـا لوُرْقاً، قال: «فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعة عِرْق، قال: «وهذا عسى أن يكون نزعة عِرْق»[2].

يشير هذا الحديث بوضوح إلى أثر الوراثة في لون الإنسان، كما يشير إلى أن بعض السمات البدنية، مثل اللون، يمكن أن تنتقل بالوراثة إلى الطفل من أحد أجداده، وإن كانت لا تظهر في الوالدين. وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الوراثة هذه الحقيقة، وهي تعرف الآن بالصفات الوراثية المتنحية.

---

(1) محمد عثمان نجاتي: علم النفس الصناعي، ط 3، الكويت: مؤسسة الصباح، 1980، ص 21، 22.

(2) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي (ناصف، ج2، ص 351. والشيباني، ج4، ص172)

وأشار الرسول ﷺ أيضاً إلى أثر الوراثة في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم»[1].

وقد دلت الأبحاث العلمية الحديثة في علم الوراثة على أن الجينات (أو المورثات) في كل من الحيوان المنوي والبويضة اللذين يشتركان في تكوين النطفة الأمشاج هي التي تحدد صفات الجنين الوراثية. فكل من الحيوان المنوي والبويضة عبارة عن نصف خلية تحتوي على 23 كروموسوماً. وحينما يلتقيان ويتم الإخصاب، تتكون النطفة الأمشاج التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ۝﴾ [الإنسان:2].

والنطفة الأمشاج خلية كاملة تحتوي على 46 كروموسوماً، نصفها من الأب ونصفها من الأم. وهي تشتمل على الجينات الحاملة للصفات الوراثية لكل من الأب والأم. وقد لا تظهر بعض الصفات الوراثية للوالدين في الأبناء، ولكنها قد تظهر فيما بعد في الأحفاد، كما حدث في حالة الولد الأسود الذي ولدته زوجة الرجل من بني فزارة الذي وردت قصته في الحديث الذي ذكرناه سابقاً. وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم الوراثة هذه الحقيقة، وهي التي أشار إليها الرسول ﷺ حينما قال: «إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم».

ويشير الرسول ﷺ أيضاً إلى أثر الوراثة في سلوك الإنسان في قوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»[2].

ففي هذا الحديث توجيه إلى العناية في اختيار الزوج زوجه من أصل طيب حتى تأتي من الزواج ذرية طيبة صالحة. ويحتمل أن يشير هذا الحديث أيضاً إلى أهمية أثر البيئة، لأن الاختيار قد يكون على أساس الأصل الطيب من الناحية الوراثية، كما قد يكون أيضاً من الناحية الخلقية والدينية، حتى ينشأ الأطفال في رعاية أم حسنة الأخلاق والدين، تحسن تربيتهم وتنشئتهم نشأة صالحة.

(1) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن محمد علي البار: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ط6، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1986، ص 197.

(2) أخرجه ابن ماجة في النكاح، 46 (ونسنك، ج6، ص 474)

أثر البيئة

تتأثر شخصية الطفل كثيراً بمؤثرات البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها، وبعادات وقيم وسلوك الوالدين، وبأساليبهما في التربية، وبرفاقه، وبمدرسيه، وبوسائل الإعلام المختلفة، وبالأحداث والخبرات المختلفة التي يمر بها في حياته اليومية. ويتعلم الطفل من والديه اللغة التي يتكلم بها، والدين الذي يعتنقانه، كما يتعلم منهما الأخلاق والاتجاهات الفكرية، وكثيراً من سمات شخصيته. وقد أشار الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة ذات الدين حتى تنشئ أولادها تنشئة صالحة، وتغرس في نفوسهم التمسك بالدين ومكارم الأخلاق. قال الرسول ﷺ: «تنكح النساء لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1].

وكما أوصى الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة المتدينة، فكذلك أوصى أيضاً باختيار الزوج الصالح ذي الدين والخُلُق الطيب. قال عليه الصلاة والسلام: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخُلُقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[2].

إن اهتمام الرسول ﷺ بتوجيه أصحابه إلى اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة إنما يدل على اهتمامه بتهيئة الجو الأسري الصالح للطفل لكي ينشأ نشأة سليمة صالحة، يتربى فيها تربية حسنة، ويتعلم فيها من والديه التعاليم الإسلامية الصحيحة، والعادات الحسنة، والأخلاق الحميدة.

وللرفاق والأصدقاء أيضاً تأثير كبير على الطفل والشاب، فالرفيق السيئ الخُلق قد يؤثر تأثيراً سيئاً على من يخالطونه، وكثيراً ما ينحرف بعض الشباب وينزلقون إلى الوقوع في الرذيلة وارتكاب الجرائم تحت تأثير رفاق السوء. وقد ثبت ذلك من كثير من الدراسات التي أجريت حول جُنوح الأحداث وانحرافاتهم. ولذلك كان من الضروري الاهتمام باختيار الرفاق والأصدقاء من ذوي الأخلاق الحسنة، وتجنب رفاق السوء من ذوي الأخلاق السيئة. وقد أشار الرسول ﷺ إلى تأثير الرفاق في سلوك رفاقهم، وأوصى باختيار الرفيق الصالح، وتجنب الرفيق السيئ. فعن أبي موسى أن الرسول ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح

(1) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة، ج2، الحديث رقم 2047. كما أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة والدارمي (ونسنك، ج2، ص 166).

(2) أخرجه الترمذي في النكاح عن أبي هريرة، ج4، ص 305. وابن ماجة في النكاح (ونسنك، ج2، ص 157).

والجليس السيئ كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يُحذِيَك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد فيه ريحاً خبيثة»[1]. وقال الرسول ﷺ أيضاً في هذا المعنى: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[2].

يكتسب الإنسان، كما ذكرنا ذلك من قبل، كثيراً من عاداته وأخلاقه وقيمه واتجاهاته الفكرية من البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها. وإذا استقرت عادات الإنسان وأخلاقه نتيجة الممارسة المتكررة فترة طويلة من الزمن، فإنه يصبح من الصعب بعد ذلك تغيير هذه العادات والأخلاق إلا بمجهود شاق وإرادة قوية. ولذلك، فإنه من الضروري أن يُراعى في تربية الأطفال أن يربوا على الأخلاق الحميدة في الصغر، حتى لا يكتسبون، إذا ما أهملناهم، بعض العادات والأخلاق السيئة التي يصعب بعد ذلك إقلاعهم عنها. وقد أشار الرسول ﷺ إلى تأثير العادات السيئة الثابتة المستقرة في سلوك الإنسان، حيث إنها تجعله يقبل دائماً على القيام بالأفعال السيئة، ويحجم عن القيام بالأفعال الحسنة، دون وعي منه أو إدراك بعاقبة ما يفعل، إذ أنه يفعل ذلك بطريقة تلقائية بحكم العادة. والعكس صحيح أيضاً، فإذا ما تعود الإنسان على الأفعال الحسنة والأخلاق الطيبة، فإنه يكون متهيئاً دائماً لأن تصدر عنه الأفعال الحسنة والأخلاق الطيبة بطريقة تلقائية، وكأن ذلك قد أصبح طبعاً له. وفي هذا المعنى قال الرسول ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أُشربها نُكتَ فيه نُكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكتت فيه نُكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض. والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه...»[3].

وصف الرسول ﷺ في هذا الحديث تأثير الفتن والمؤثرات البيئية السيئة في سلوك الإنسان، فمن قبلها ومال إليها وأحبها وانغمس فيها، تركت في قلبه أثراً كالنقطة السوداء.

---

(1) أخرجه الشيخان وأبو داود (ناصف، ج5، ص 82. والنووي ج1، ص 339، الحديث رقم 4/ 364). نافخ الكير: هو الحداد الذي ينفخ على النار بالكير، ويحذيك: يعطيك.

(2) أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي حديث حسن (النووي، ج1، الحديث رقم 8/ 368).

(3) أخرجه مسلم عن حذيفة، ج2، ص 171-173، وأحمد، ج5، ص 386). نكت نكتة: أي نقط نقطة، الصفا: الحجر الأملس، الذي لا يعلق به شيء. مرباداً: أي أصبح لونه أسود تشوبه غبرة. مجخياً: أي منكوساً مقلوباً لا يعلق به خير ولا حكمة.

فإذا تكرر تعرضه للفتن والمؤثرات البيئية السيئة، وتكرر قبوله لها وميله إليها وانغماسه فيها كثرت النقط السوداء في قلبه حتى أصبح لونه أسود، وهذا تشبيه للحالة التي يكون فيها الإنسان الذي يخبو في قلبه نور الإيمان، وتستحكم فيه العادات السيئة والأخلاق الرذيلة. وقد شبه الرسول ﷺ أيضاً قلب الإنسان في هذه الحالة بالكوز المنكوس المقلوب الذي لا يعلق فيه خير ولا حكمة. أما الإنسان الذي ينشأ منذ الصغر على الفضيلة والأخلاق الحسنة والتمسك بالتقوى، فإنه يكون في مناعة من التأثر بالفتن والمؤثرات البيئية السيئة، مثله في شدة إيمانه وبعده عن الشر والرذيلة مثل الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء من الأوساخ والأدران.

سابعاً: أنماط الشخصية في الحديث الشريف

حاول المفكرون منذ قديم الزمان تصنيف الناس إلى أنماط أو نماذج يتصف كل منها بصفات معينة يتميز بها عن غيره من الأنماط الأخرى للشخصية. ويفيد مثل هذا التصنيف عادة في تبسيط عملية فهم شخصيات الناس. فإذا عرفنا أن شخصاً ما يتصف ببعض الصفات التي يتميز بها نمط معين من أنماط الشخصية، فإننا نقوم بنسبة هذا الشخص إلى هذا النمط، ونسب إليه، تبعاً لذلك، جميع الصفات التي تنتمي إلى هذا النمط.

وقد قام القرآن الكريم بتصنيف الناس على أساس الإيمان إلى ثلاثة أنماط هم: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون [1]. وقام الرسول ﷺ كذلك بتصنيف الناس على أساس الإيمان إلى أربعة أنماط هم: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون، ومن بقلوبهم خليط من الإيمان والنفاق. قال الرسول ﷺ: «القلوب أربعة، قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن، سراجه فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر. وأما القلب المنكوس فقلب المنافق، عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»[2].

(1) تناول المؤلف أنماط الشخصية في القرآن في كتابه «القرآن وعلم النفس»، مرجع سابق، ص220-229.

(2) أخرجه أحمد عن أبي سعيد، ج3، ص 17.

ومن الممكن أن يقسم كل نمط من هذه الأنماط الأربعة الرئيسية تصنيفات فرعية. فالمؤمن مثلاً قد يصنف إلى نمطين فرعيين: مؤمن تقي، ومؤمن فاجر، كما قال الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة: «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي ومؤمن فاجر. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب... الحديث»[1].

ففي هذا الحديث صنف الرسول ﷺ المؤمنين على أساس درجة الإيمان والتقوى إلى صنفين: مؤمن تقي ومؤمن فاجر. وفي حديث آخر صنف الرسول ﷺ الناس على أساس الإيمان إلى نمطين رئيسيين فقط هما: المؤمن والكافر. ثم قسم كل نمط من هذين النمطين الرئيسيين إلى صنفين: المؤمن الذي يولد مؤمناً ويظل متمسكاً بإيمانه حتى يموت، والمؤمن الذي يولد في بيئة كافرة ثم يؤمن ويموت مؤمناً. والكافر الذي يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، والكافر الذي يولد في بيئة مؤمنة ويحيا مؤمناً ثم يرتد عن إيمانه ويموت كافراً. فعن أبي سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال: «.. ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً. ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً. ومنهم من يولد ويحيا مؤمناً ويموت كافراً. ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً... الحديث»[2].

إن تصنيف الناس إلى أنماط على أساس الإيمان، سواء في القرآن أو الحديث، إنما يتماشى مع وجهة نظر الإسلام في أن الإيمان هو القيمة الإنسانية العظمى التي على أساسها تُقوّم شخصية الإنسان، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد أثناء كلامنا عن تقويم الشخصية.

وصنف الرسول ﷺ الناس أيضاً على أساس مزاجهم الانفعالي إلى ثلاثة أنماط:

1. بطيء الغضب سريع الفيء (أي الرجوع عن الغضب).
2. سريع الغضب سريع الفيء.
3. سريع الغضب بطيء الفيء.

وقد سبق أن ذكرنا ذلك أثناء كلامنا عن الفروق الفردية في الاستثارة الانفعالية.

---

(1) أخرجه أبو داود والترمذي (ناصف، ج5، ص 60-61). عُبِّيَّة: بضم فكسر مع التشديد: الكبر والتعظم.
(2) أخرجه الترمذي في الفتن بسند صحيح (ناصف، ج5، ص 289).

ثامناً: تقويم الشخصية

يقوم الإيمان بدور رئيسي في حياة المسلم، فهو الذي يوجهه ويحدد سلوكه سواء في علاقته مع ربه، أو في علاقته مع نفسه، أو في علاقته مع الناس. وهو الميزان الذي يقاس به جميع الأشياء والأعمال، وهو الذي على أساس يصنف الناس إلى أنماط كما بينا ذلك فيما سبق، وهو أيضاً الأساس الذي يُقوّم به الناس. فأفضل الناس من وجهة نظر الإسلام أقواهم إيماناً، وأكثرهم تقوى. فلا أهمية في نظر الإسلام لأي سمة من سمات الإنسان على الإطلاق غير التقوى، فهي وحدها التي تؤخذ في الاعتبار وفي الحساب عند تقويم الناس والمفاضلة بينهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13].

وقال الرسول ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد. ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي. ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى... الحديث»[1].

وعن عقبة بن عامر أن الرسول ﷺ قال: «... ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى...» وفي رواية أخرى: «... ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح... الحديث»[2].

وقد سُئل الرسول ﷺ: من أكرم الناس؟ فقال: «أتقاهم»[3] إن قيمة الإنسان في نظر الإسلام هي إذن في درجة إيمانه وتقواه وعمله وخُلقه، وليست في نسبه، أو فيما يملك من مال، أو فيما له من جاه أو سلطان، أو في حسن شكله ومظهره. قال الرسول ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: «اقرءوا: فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً»[4].

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[5].

---

(1) أخرجه أحمد عن أبي نضرة، ج5، ص 411.

(2) أخرجه أحمد، ج4، ص 145 و 158.

(3) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة (النووي، ج1، ص 403، الحديث رقم 1/ 16)

(4) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة (ناصف، ج4، ص 172).

(5) أخرجه مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة (ناصف، ج1، ص 55).

ملخص الشخصية في الحديث

إن جميع بحوث علماء النفس تدور حول محور أساسي وهو محاولة الوصول إلى هدف رئيسي هو فهم الشخصية الإنسانية ودارت هذه الدراسات حول تناول مظاهر سطحية وهامشية من السلوك الإنساني الذي يمكن ملاحظته وقياسه وهي تغفل دراسة النواحي الهامة والرئيسية والجوهرية من السلوك الإنساني تلك التي تتعلق بالجانب الروحي من الإنسان.

ونتناول موضوع الحديث والشخصية في النقاط الآتية:

فطرة الإنسان

قال رسول الله ﷺ ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

فالإنسان بفطرته يدرك الحلال والحرام والحق والباطل والخير والشر والفضيلة والرذيلة، قال رسول الله ﷺ: استفت قلبك، وإن البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك.

التوازن في الشخصية

البدن يحتاج إلى الغذاء والماء والنوم وتجنب الحرارة والبرودة والألم ويحتاج إلى أليف من الجنس الآخر وإلى غير ذلك من الحاجات البدنية الضرورية لحياته وبقائه.

والروح أيضاً له حاجاته الخاصة به فهو يتشوق إلى معرفة الله تعالى وعبادته وقد يقع الصراع بين متطلبات كل من البدن والروح ويعجز الإنسان عن تحقيق قدر من التوازن بينهما فقد يميل إلى إشباع دوافعه البدنية وإهمال الروحية أو العكس وفي كلي الحالتين يحدث انحراف عن الفطرة السليمة ولذلك اعتبر العمل عبادة فمن سعى في سبيل كسب قوته وإعالة والديه وزوجته وأولاده فهو في سبيل الله.

كان الرسول جالساً مع أصحابه ذات يوم فرأوا شاباً ذا جَلَد وقوة قد خرج مبكراً يسعى فقالوا: ويح هذا الشاب لو كان شبابه وجَلَده في سبيل الله. فقال ﷺ: لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه يكفها عن المسألة فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على والدين ضعيفين أو ذرية ضعافاً ليعولهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان.

الفروق الفردية

توجد فروق كثيرة بين الناس في ألوانهم وألسنتهم وفي قدراتهم البدنية والعقلية وفي قدراتهم على التعلم وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب.

وهناك فروق فردية في الاستعدادات المزاجية الانفعالية بين الناس فمن الناس من هو سريع الانفعال شديد التهيج ومنهم من هو كثير الهدوء بطيء الانفعال ولا شك أن جزءً كبيراً من هذه الفروق ترجع إلى التكوين البدني وإلى الجهازين العصبي والغدي كما أن للتعلم دوراً في تكوين الفروق الانفعالية بين الناس وقد أشار رسول الله ﷺ إلى الفروق بين الناس في حديث أبي هريرة حيث قال: الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام، إذا فقهوا ذلك أن الناس يختلفون في جبلاتهم وفي طباعهم وأخلاقهم وخصائصهم وقدراتهم البدنية والعقلية ومن كان من الناس في مستوى عال وطيب فيه هذه الصفات الجاهلية فإنه سوف يظل محتفظاً بها في الإسلام إذا تفقه في الدين.

الفروق في الذكاء

توجد فروق بين الناس في الذكاء أو القدرة العقلية العامة وقد أشار الحديث الشريف إلى وجود فروق بين الناس في الذكاء فمن الناس من يتعلم بسرعة ويفهم ويعي جيداً ما يسمع من العلم ويحتفظ به جيداً ويستطيع أن يتذكره ويعلمه للغير ومنهم من لا يتعلم بسهولة ولا يحتفظ جيداً بما يسمع ولا يستطيع تذكره وتعليمه للغير.

وصنف الناس بالنسبة للذكاء إلى ثلاثة أصناف:

فمنهم من هو مثل الأرض الطيبة قادر على تحصيل العلم وحفظه والعمل به وتعليمه للغير فينتفع به نفسه وينتفع به غيره.

ومنهم من هو مثل الأرض الجدباء وهي الأرض الصلبة التي لا تشرب الماء قادر على حفظ العلم ونقله إلى غيره فينفعه دون أن ينفع هو بنفسه.

ومنهم مثل القيعان وهي الأرض المستوية الملساء التي لا نبات فيها وهم لا ينتفعون بالعلم ولا يحفظونه لينقلونه إلى الغير.

وأشار الرسول ﷺ للفروق بين الناس في الذكاء حينما قال نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم.

الفروق في الاستثارة الانفعالية

الناس ثلاث أصناف:

منهم ما هو بطيء الغضب لا يغضب إلا نادراً وإذا غضب فإنه يرجع عن غضبه ويعود إلى هدوئه سريعاً وهذا هو أفضل الناس.

ومنهم من يكون سريع الغضب يغضب لأتفه الأسباب ويكون سريع الرجوع إلى عوامل الغضب وسريع العودة إلى هدوئه.

ومنهم من يكون سريع الغضب وإذا غضب يستمر غضبه ولا يرجع عنه بسهولة ولا يعود إلى هدوئه إلا بعد فترة طويلة وهذا هو أسوء الناس وأشرهم.

الوراثة والبيئة والفروق الفردية

دلت نتائج الدراسات التي أجريت في هذا المجال على أن عاملي الوراثة والبيئة يتفاعلان معاً في إيجاد الفروق الفردية في السمات الإنسانية وأنه من الصعب أن نفصل فصلاً تاماً بين أثر كل منهما وبخصوص أثر الوراثة، أشار الرسول ﷺ إلى هذا الأثر في الفروق الفردية في الحديث الذي ذكر فيه أن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض.

جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ قال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسود، فقال: هل لك من إبل؟، قال: نعم، قال: فما ألوانها، قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟، قال: إن فيها لورقاً، قال: فأنى أتاها ذلك؟، قال: عسى أن يكون نزعة عرق. يشير هذا الحديث إلى أثر الوراثة في لون الإنسان كما يشير إلى بعض الصفات البدنية مثل اللون يمكن أن تنتقل الوراثة إلى الطفل من أحد أجداده وإن كانت لا تظهر في الوالدين وهذا معروف في علم الوراثة بالصفات المتنحية.

ويشير الرسول ﷺ إلى أثر الوراثة في سلوك الإنسان في قوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم» ففي هذا الحديث توجيه إلى العناية في اختيار الزوج لزوجته من أصل طيب حتى يأتي من الزواج ذرية طيبة صالحة.

وكما تتأثر الشخصية بالوراثة تتأثر كذلك بمؤثرات البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها الطفل وبعادات وقيم وسلوك الوالدين وقد أشار الرسول ﷺ إلى أهمية تأثير الأسرة في الطفل في قوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» كما أوصى الرسول ﷺ باختيار الزوجة الصالحة المتدينة فقال ﷺ: «تنكح النساء لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

وأوصى باختيار الزوج الصالح في قوله ﷺ إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.

إن اهتمام الرسول ﷺ بتوجيه أصحابه إلى اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة إنما يدل على اهتمامه بتهيئة الجو الأسري الصالح للطفل لكي ينشأ نشأة سليمة صالحة يتربى فيها تربية حسنة ويتعلم فيها من والديه التعاليم الإسلامية الصحيحة والعادات الحسنة والأخلاق الحميدة وللرفاق والأصدقاء تأثير كبير على الطفل والشاب فالرفيق السيئ الخلق يؤثر تأثيراً سيئاً على من يخالطونه وأوصى الرسول ﷺ باختيار الرفيق الصالح وتجنب الرفيق السيئ في قوله ﷺ: إنما مثل الجليس الصالح والجليس السيئ كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد فيه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد فيه ريحاً خبيثة.

يكتسب الإنسان كثيراً من عاداته وأخلاقه وقيمه واتجاهاته الفكرية من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها وقد أشار الرسول ﷺ إلى تأثير العادات السيئة الثابتة في سلوك الإنسان حيث أنها تجعله يقدم دائماً على القيام بالأفعال السيئة ويحجم عن القيام بالأفعال الحسنة ويفعل ذلك تلقائياً بحكم العادة والعكس صحيح فإذا ما تعود الإنسان على الأفعال الحسن والأخلاق الطيبة فإنه يكون متهيئ دائماً لأن تصدر عنه الأفعال الحسنة والأخلاق الطيبة بطريقة تلقائية وكأن ذلك أصبح طبعاً له.

أنماط الشخصية

قام الرسول ﷺ بتصنيف الناس على أساس الإيمان إلى ثلاثة أنماط هم:

المؤمنون، الكافرون، المنافقون، وهم بقلوبهم خليط من الإيمان والنفاق، قال ﷺ القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يظهر، وقلب أغلف مربط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح.

فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه.

كما قسم ﷺ الناس إلى طبقات شتى في الحديث إلا أن بني آدم خلق من طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت

كافراً ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً.

تقويم الشخصية

يقوم الإيمان بدور رئيسي في حياة المسلم فهو الذي يوجهه ويحدد سلوكه سواء في علاقته مع ربه أو في علاقته مع نفسه أو في علاقته مع الناس فلا أهمية في نظر الإسلام لأي سمة من سمات الإنسان على الإطلاق غير التقوى وذلك واضح من قوله ﷺ: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

أسئلة للمناقشة

1. بين كيفية تحقيق التوازن بين البدن والروح في الحديث الشريف؟
2. «الحديث الشريف يؤكد على الفروق الفردية بين الناس»، كيف ذلك؟
3. الوراثة والبيئة في الحديث الشريف، تحت هذا العنوان اكتب مقالة علمية مختصرة؟
4. كيف حدد الحديث الشريف صفات الرفيق الصالح؟
5. كيف حدد الحديث الشريف أنماط الشخصية؟

الفصل الثالث

الغزالي

السيرة الذاتية للغزالي

هو حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد، بن أحمد الغزالي، ولد سنة 450هـ (1058م) في الغزالة، وهي بلدة في جوار طوس من أعمال خراسان. وكان أبوه يغزل الصوف ويبيعه في دكان بسوق الصوافين. فقال فريق من المؤرخين أنه سمي الغزالي (بتخفيف الزاي) نسبة إلى بلده الغزالة، ومهما يكن من أمر فإن اسم الغزالي بتخفيف الزاي هو الذي غلب عليه.

وكان والده رجل خير وصلاح، فلما أحس بدنو أجله وصى بولديه الصغيرين محمد وأحمد صديقاً له من المتصوفة، فرباهما هذا المتصوف تربية دينية صحيحة، ولما نفد كل ما خلفه لهما والدهما من المال نصحهما المتصوف بالدخول في إحدى المدارس التي أسسها نظام الملك -وهو أحد الوزراء المشهورين في دولة السلاجقة- للحصول على قوتهما. وهكذا انقطع الأخوان الصغيران للعلم حتى تفوقا على أقرانهما وبلغا أحسن المراتب.

وقد ظهرت على محمد الغزالي آثار النبوغ منذ سني حداثته، فلم يكد يبلغ أشده حتى تعلم القراءة والكتابة، وطرفا من علوم الدين. حيث قرأ الفقه في طوس على أحمد الرادكاني ثم سافر إلى جرجان عام 465هـ (1072م) للتعمق في الدراسة على ابن نصر الإسماعيلي ثم رجع إلى طوس. ويقول الغزالي إنه بينما كان عائداً إلى طوس قُطع عليه الطريق، وأخذ اللصوص جميع ما معه ومضوا. لكن الغزالي تبعهم وطلب منهم إعادة مخلاته لأن فيها كتبه التي هاجر وتغرب ليجمعها ويدرس ما فيها واسترد المخلاة من اللصوص بعد التوسل والرجاء. فعزم بعد ذلك عندما وصل طوس أن يحفظ ما يقرأ من علم ويستظهر ما في الكتب حتى إذا سلبت منه لم يجزع عليها.

ثم إن الغزالي انتقل بعد ذلك إلى مدينة نيسابور عام 470هـ (1077م) واتصل فيها بإمام الحرمين أبو المعالي الجويني ولزمه حتى وفاته عام 478هـ (1085م). وهناك وفي جوار

إمام الحرمين درس الفقه وعلم الكلام وتعلم الجدل والمنطق وأصولهما وأساليبهما وقرأ شيئاً من الفلسفة فلما مات إمام الحرمين خرج الغزالي من نيسابور إلى العسكر ولقي الوزير السلجوقي نظام الملك فأكرمه وبالغ في الإقبال عليه. وكان بحضرة الوزير جماعة من أفضل العلماء فجرت بينهم وبين الغزالي عدة مناقشات ظهر فيها علمه وتفوقه عليهم فأعجب به نظام الملك ثم رأى أن يستعين به في الدفاع عن عقيدة أهل السنة و الرد على الباطنية فولاه منصب التدريس في المدرسة النظامية في بغداد عام 484هـ (1091م). وأقبل عليه الطلاب إقبالاً منقطع النظير، واتسعت حلقاته وذاع صيته حتى لقب بإمام العراق. وكلفه الخليفة العباسي المستظهر بالله بالرد على الباطنية الذين اشتد أزرهم بظهور ابن الصباح فصنف بعض الكتب في الرد عليهم أهمها «القسطاس المستقيم».

ويظهر من مطالعة كتاب «المنقذ من الضلال» أن الغزالي وقع خلال هذه المرحلة من حياته في أزمة نفسية فكرية هيأت الظروف الملائمة لتفتح شخصيته العلمية ونضجها. فقرأ كتب الفلاسفة، وهو منهمك في تدريس ثلاثمائة من الطلاب في المدرسة النظامية. فاطلعه الله على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم واظب على التفكير فيها بعد فهمها وألف على إثر ذلك كتابين مهمين هما: كتاب «مقاصد الفلاسفة» وكتاب «تهافت الفلاسفة».

أما كتاب «مقاصد الفلاسفة» فقد ألفه الغزالي للبرهنة على أنه محيط بمذهبي الفارابي وابن سينا في الفلسفة تمهيداً للرد عليهما. وقد امتاز هذا الكتاب بالدقة العلمية والحيدة التامة. وربما كان من دوافع تأليف هذا الكتاب طمأنة شكوك الغزالي وتهدئة اضطرابه الباطني وهو كتاب عظيم فيه عرض ممتاز لآراء الفلاسفة، ومن الغريب أن هذا الكتاب ترجم من اللغة اللاتينية في طليطلة عام 450هـ (1145م) بعنوان «منطق الغزالي وفلسفته» ولكن دون ترجمة افتتاحيته وخاتمته (اللتين توضحان موقف الغزالي ضد الفلسفة) فظهر للغربيين وقتئذ بأن هذا الكتاب مشتمل على آراء الغزالي وحسبوه فيلسوفاً من أصحاب الفارابي وابن سينا.

وأما كتاب «تهافت الفلاسفة» فقد ضمنه شكوكه في براهين الفلاسفة، حتى ظهر للناس أن نقده قد وجه إلى الفلسفة ضربة قاسية لا تقوم لها بعدها قائمة. ولكن الواقع غير هذا لأن نقد الغزالي في هذا الكتاب انصب على الفارابي وابن سينا. وكذلك دل الكتاب على أن الغزالي وإن كان يهاجم الفلسفة إلا أنه فيلسوف من طراز رفيع يصدق القول القائل أن الغزالي دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منها فما قدر.

وما أن أنجز تأليف هذين الكتابين حتى اعترته أزمة داخلية غيرت مجرى حياته وهي أزمة شلت نشاطه فقرر اعتزال العمل، وترك الأهل والولد مضحياً بكل شيء في سبيل البحث عن الاطمئنان الداخلي. وفي كتاب «المنقذ من الضلال» وصف مؤثر لهذه الأزمة الداخلية التي جعلته يتخلى عن منصبه في المدرسة النظامية بالرغم من تمسك الولاة به. ويقول الغزالي في هذا الصدد إنه لما لاحظ أحواله وجد أنه منغمس في العلائق التي أحدقت به من مختلف الجوانب، كما أنه لاحظ أعماله وأحسنها التدريس والتعليم، فإذا هو مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة. كما أنه عندما فكر في نيته للتدريس فإذا بها غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشار الصيت، ثم ناداه منادي الإيمان الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر إلا القليل. وظل الغزالي يتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قرابة ستة أشهر أولها رجب 488هـ (1095م). وأصيب بمرض عطله عن التدريس ومن أعراض لهذا المرض الحزن في القلب وضعف الهضم والقوى والأعضاء حتى قطع الأطباء الأمل في العلاج وقالوا إن هذا نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج إلا بأن يتزاح ذلك الهم عن القلب.

وفي قمة هذه الأزمة النفسية التجأ الغزالي إلى الله ﷻ. فأجابه من يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبه الإعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب. ثم غادر بغداد في نفس السنة بعد أن أناب أخاه في التدريس مكانه ودخل الشام وأقام بها تقريباً حوالي سنتين لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة والتأليف فكان يعتكف في أحد مساجد دمشق ، يصعد منارة المسجد طول النهار ويغلق بابها على نفسه. ثم رحل من الشام إلى بيت المقدس ثم إلى الخليل لزيارة قبر إبراهيم ﷺ، ثم إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، ثم على مصر للسفر منها إلى المغرب بغية الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين ولكنه بينما كان يعد عدته للسفر بلغه نبأ وفاة هذا الأمير، فصرف عزمه عن ذلك، واستمر يجول في البلدان والأقطار ويهيم على وجهه في البراري والقفار لابساً الملابس البسيطة الخشنة. حتى لقيه بعض أصحابه فعذله على تلك الحال والتمس منه الرجوع إلى بغداد ومغادرة ما كان عليه فجذبته الهمم ودعوات الأطفال إلى الأوطان فعاد إلى وطنه.

ويظهر أن الغزالي لما عاد إلى طوس لم يستطع أن يستمتع فيها بما كان عزم عليه من الخلوة فكانت حوادث الزمان ومهمات العيال تقطع عليه رياضته الروحية ومجاهداته الصوفية. وبينما هو على هذه الحال أمر بالسفر إلى نيسابور لمعاودة نشر العلم في مدرستها. فاستجاب لذلك وترك العزلة. ويصف الغزالي هذا الموقف في «المنقذ من الضلال» بأن الله

هو الذي قدر له أن يترك العزلة ويعود إلى نشر التعليم. وهو تعالى مقلب القلوب والأحوال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن. وإن عودته إلى نشر العلم ليس عن رغبة في الجاه ولكن عن رغبة في إصلاح نفسه وإصلاح الناس. أي أن رغبته في التدريس كانت خالصة لوجه الله تعالى خالية من الرغبة في متاع الحياة الدنيا وما فيها من جاه وباشر مهمة التدريس من جديد راجياً من المولى تعالى أن يريه الحق حقاً ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه.

وقد حاول الغزالي بعد رجوعه إلى التدريس في نيسابور عام 499هـ (1105م) أن ينهض بأعباء الإصلاح الديني، إلا أن إقامته في نيسابور لم تمتد إلا سنتين عاد بعدها إلى طوس على إثر مصرع فخر الملك ابن نظام الملك. وهناك في طوس أنشأ زاوية للمتصوفين ومدرسة لطلاب الفقه. وانقطع خلال السنوات الأخيرة من حياته للعبادة ومجالسة الصالحين وأهل العلم حتى توفي إلى رحمة الله في 14 جمادي الثانية عام 505هـ (1111م). ومن استعراض سيرته الذاتية نجد أن أزمته النفسية الفكرية ذات أثر بارز في حياته وفكره وإنتاجه العلمي ولذلك سوف نفرد لها النقطة القادمة للحديث عنها تفصيلاً.

والظاهر أن الغزالي لم يترك الكتابة والتأليف في السنوات التي قضاها في التنقل والسفر. فقد كتب في تلك السفرة قسماً كبيراً من كتابه الموسوعي «إحياء علوم الدين» وكثيراً من كتبه الأخرى. وإن القارئ لمؤلفات الغزالي ليحمد له روعة أسلوبه ووضوح فكرته وصراحته ورغبته الحقيقية في الإصلاح. ومن المهم أن نذكر ملاحظة معينة وهي أن الغزالي كان يعرض الفكرة في أكثر من كتاب أو في أكثر من موضع خاصة عندما يتحدث عن موضوع علم النفس.

أما مؤلفات الغزالي فهي كثيرة جداً ومن حسن الحظ أن معظمها منشور ومحقق بصورة طيبة. وبعضها كتب موسوعية ضخمة الحجم مثل «الإحياء» وبعضها كتب متوسطة وبعضها رسائل لا تتعدى بضع صفحات ونذكر بعضها فيما يلي:

1. **كتب الفلسفة والمنطق**

أ. مقاصد الفلاسفة

ب. تهافت الفلاسفة

ج. معيار العلم

د. المنقذ من الضلال

هـ. فيصل التفرقة

و. القسطاس المستقيم

ز. إلجام العوام عن علم الكلام

2. **الكتب النفسية والتربوية**

أ. معارج القدس

ب. منهاج العارفين

ج. أيها الولد

د. روضة الطالبين

هـ. كيمياء السعادة

و. معراج السالكين

3. **الكتب الأخلاقية والصوفية**

أ. إحياء علوم الدين

ب. الرسالة اللدنية

ج. ميزان العمل

د. مشكاة الأنوار

هـ. الرسالة الوعظية

وغير ذلك كثير...

أولا: أزمته الفكرية النفسية

يشرح الغزالي رحلته العقلية الكشفية في محاولته للتعرف على أسس العلوم ومبادئ التفكير السليم. فيذكر لنا في «المنقذ من الضلال» أنه ما زال منذ شبابه حتى بلوغه سن الخمسين يقتحم لجة هذا البحر العميق -بحر المعرفة- ويخوض غمراته خوض الجسور لا خوض الجبان. فكان يتوغل في كل ظلمة ويتهجم على كل مشكلة ويقتحم كل ورطة ويتفحص عقيدة كل فرقة... ويستكشف أسرار مذهب كل طائفة كي يميز بين المحق والمبطل، والمتسنن والمبتدع. لا يغادر باطنياً إلا وأحب الاطلاع على باطنته، ولا ظاهرياً إلا يريد أن يعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا

واجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفياً إلا وحرص على معرفة سر صوفيته. ولا زنديقاً معطلاً إلا وداروراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته. وقد كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور دأبه وديدنه من أول الأمر.

وقد دفع هذا التعطش حجة الإسلام إلى التفكير في وسائل وأدوات تحصيل المعرفة فأحس أول ما أحس بعامل التقليد القوي الفطري يجذب كل شخص إلى ما وجه عليه آباءه وأجداده. فاندفع مع تيار التقليد القاهر الذي لا يدع له أية فرصة للأناة والتفكير. ولكن عقليته الراجحة لم تستسغ هذا التقليد، ووجد أن مبادئ الإسلام تشجع على النظر والتفكير والدراسة. فلفظ وسيلة التقليد ثم فكر فيما يمكن أن يحل محلها فرأى أن الكثير ممن حوله يكتفون -في الإيمان والمعرفة- بوسيلة الحواس. فجعلته ألفته إياها يطمئن إليها بادئ ذي بدء ولم يلبث أن تبين ضعفها هي الأخرى فنفر منها واطمأن إلى العقل. غير أنه لم يلبث أن تبين أن العقل لا يصل إلى كل شيء وأن للعقل له عيوبه وهنا أضطرب تفكيره.

ومن الأمور التي جعلته ينبذ التقليد، ما رآه الغزالي من أن صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصر، وأن صبيان اليهود لا يكون لهم نشوء إلا التهود. وكذلك صبيان المسلمين لا يكون لهم نشوء إلا على الإسلام. وهنا تذكر الغزالي الحديث الشريف المروي عن الرسول ﷺ "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" والمقصود بالفطرة هنا دين الإسلام، ولكن الأبوين قد يعلمانه اليهودية أو النصرانية أو المجوسية. فتحرك باطن الغزالي إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية المختلفة عن حقائق العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين والتمييز بين الحق والباطل.

ويصف الغزالي رحلته العقلية وأزمته المعرفية فيقول أنه رأى أن المحسوسات قابلة للشك فيها. ومثال ذلك حاسة البصر التي هي أهم الحواس. فرأى في هذه الحاسة الأخطاء الكثيرة التي تشكك في كفاءتها مثلاً عندما ننظر إلى الظل نراه واقفاً غير متحرك فنحكم بنفي الحركة عنه. ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة نراه تحرك من مكانه فنعرف أنه متحرك. ونعرف كذلك أنه لم يتحرك بغتة بل بالتدريج ذرة ذرة، بحيث يمكن القول إنه لم يكن أبداً في حالة وقوف كما وهمنا أولاً. كما أننا عندما ننظر إلى كوكب في السماء فنراه صغيراً في حجم الدينار ومقداره بينما الأدلة الهندسية والفلكية تؤكد انه كبير جداً بل ربما أكبر من حجم الأرض في المقدار.

وعند ذلك بطلت الثقة في المحسوسات، فانتقل الغزالي إلى النظر في الثقة بالعقليات التي هي من الأوليات مثل أن العشرة أكثر من الثلاثة، وأن النفي والإثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد، وأن الشيء الواحد لا يكون حادثاً وقديماً وموجوداً ومعدوماً أو واجباً ومحالاً. ولكن الغزالي تأدى إلى الشك في العقليات على أساس أن ثقته بالمحسوسات تزعزت بالأدلة العقلية. ولا مانع كذلك من أن العقليات تكون هي الأخرى محل شك. والدليل على ذلك ما يحدث في المنام حيث يرى النائم أحلاماً ويتخيل أحوالاً ويعتقد أنها حقيقة ثابتة. وبعد الاستيقاظ يعلم أنه لا أساس لهذه المتخيلات أو المعتقدات.

وربما كان تصور الغزالي أن ما يعتقده الشخص في يقظته من حس أو عقل هو حق بالإضافة إلى حالته التي هو فيها. ولكن ألا يمكن أن تطرأ عليه حالة تكون نسبتها إلى اليقظة كنسبة اليقظة إلى المنام. وتكون اليقظة نوماً بالإضافة إليها بحيث أن جميع ما توهم الشخص من أنه حقيقة هي مجرد خيالات لا حاصل لها. والدليل الدال على ذلك ما يدعيه الصوفية من أحوال إذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم التي لهم إذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم يشاهدون أحوالاً لا توافق هذه المقولات.

وهذا الاستفحال في الشك في العقل والحواس أدى إلى أن أصيب حجة الإسلام الغزالي بمرض غريب لازمه لمدة شهرين تقريباً حتى منّ الله عليه بالشفاء ورجعت الضرورات العقلية مقبولة موثوقاً بها. ولم يكن ذلك بنظم دليل وتركيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة العقلية فقد ضيق رحمة الله تعالى وهي واسعة. ومن الواضح من مطالعة «المنقذ من الضلال» أن التجاء حجة الإسلام إلى حصن التصوف إنما هو ناشئ من يأسه من قدرة العقل على كشف كل حقيقة، ومن عدم ثقته بعصمة العقل وبالتالي عدم الرضا بحكمه في كل شيء.

ولا يسبقن إلى الوهم أن الغزالي بذلك كان يستهين بالثقافة أو يرى الاستغناء عن العلوم العقلية، كلا بل هو يوجب الإمعان فيها. وكذلك يؤكد الغزالي أن الصوفي الجاهل حتى وإن انكشفت له بعض الحقائق يسير في كثير من الشؤون على غير هدى فيزل ويضع الأمور في غير نصابها بسبب الجهل. إن حجة الإسلام -رغم تصوفه- رفض أن يقلل من احترام الفكر وإجلال التأمل. فقال إن تنسك الجاهل لا يمكن أن يتطاول مهما مرت عليه السنون إلى التسامي إلى تأمل العالم لحظات قصيرة.

زبدة القول إن الرحلة الفكرية عند الغزالي بدأت بنبذ التقليد والتشكك في الحسيات ثم العقليات. ولكن تداركته الرحمة الإلهية بنور قذف في صدره فرجعت الضرورات العقلية مقبولة موثوق بها ولاذ بالتصوف. ولكن تصوفه لم يكن تصوف الجاهل المنكر للعلم والضرورات العقلية بل تصوف العالم المصدق بالضرورات العقلية المؤمن بأهمية العلم وأهمية الثقافة.

وفي ختام هذا الحديث عن سيرة الغزالي، نذكر أن حجة الإسلام لقي الكثير من الاهتمام من مؤرخي الفكر الإسلامي، سواء من العرب أو المسلمين أو المستشرقين. ونشرت معظم مؤلفاته نشرات محققة تحقيقاً جيداً وألفت عنه الكثير من الكتب، كما تناولته الرسائل العلمية فهو من العلماء المسلمين الذين لقوا شهرة واسعة. وفي تقدير المؤرخ المدقق للدراسات النفسية عند المسلمين أن شهرة حجة الإسلام الغزالي تقارب شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا.

ومن أبلغ مظاهر الاهتمام بحجة الإسلام، مهرجان الغزالي الذي عقد بمدينة دمشق في مارس عام 1961م وذلك بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لميلاده. وقد اشترك في هذا المؤتمر شيوخ الباحثين في التراث الإسلامي. وعرضت في المؤتمر العديد من البحوث التي تناولت الجوانب المختلفة لفكر الغزالي خاصة الجوانب النفسية والفلسفية وقد عولنا على كثير من هذه البحوث في تحرير هذا الباب.

ثانياً: الدوافع والانفعالات

يتحدث الغزالي عن الدوافع والانفعالات وذلك في ضوء نظريته في قوى النفس المختلفة خاصة قوى النفس الحيوانية. وهو يركز الحديث حول الدوافع المؤدية إلى انفعالات ثلاثة هي الغضب والحقد والحسد. وفي حديثه عن هذا الموضوع يحاول الغزالي توجيه علم النفس في العصور الوسطى توجيهاً إسلامياً قلّ أن نجده عند نظرائه من علماء النفس الإسلاميين المشائيين. وليس معنى ذلك أن الغزالي لم يستفد من الفلسفة المشائية، ولكن صب هذه الفلسفة في قالب إسلامي. وقد تقدير المؤرخ المدقق لعلم النفس أن الغزالي هو الوحيد من بين كبار مفكري الإسلامي الذي استطاع أن يوجه الدراسات النفسية توجيهاً إسلامياً. وهذا أمر ليس بمستغرب وذلك لسببين: الأول هو ثقافته وسعة اطلاعه بالعلوم الدينية. والثاني هو إلمامه الدقيق بجوانب الفلسفة اليونانية بوجه عام والمشائية بوجه خاص.

ومعالجته لموضوع الدوافع والانفعالات، خير دليل على قدرته الفائقة على هذا المزج. وقد ناقش ذلك في كتابه الجامع «إحياء علوم الدين» وفي مواضع أخرى من مؤلفاته.

ونجد الغزالي عند معالجته الجوانب الدوافعية والانفعالية يشبه الغضب بالكلب والشهوة بالخنزير والقوة العقلية بالحكيم. وكذلك يشبه الإنسان الغالب على النفس الأمارة بالملك. ويرى سعادة الإنسان في خضوع الغضب والشهوة للعقل. ويرى الغزالي كذلك أن كل إنسان فيه شيء أو جانب من أصول أربعة الربانية والشيطانية والسبعية أو الغضبية والبهيمية. وكل ذلك مجموع في القلب فكأن المجموع في إهاب الإنسان هو الحكيم والشيطان والكلب والخنزير. الخنزير هو الشهوة فإن لم يكن مذموماً بسبب لونه وشكله وصورته بل لجشعه وحرصه. والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري أو الكلب العقور ليس كلباً وسبعاً باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر. وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه، وحرص الخنزير وشبقه. فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر. والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء. والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هو مجبولان عليه. والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح. وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه. إذ بالغضب يكسر ثورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهوراً تحت سياسته.

كأن الغزالي يؤكد على سيطرة الجوانب الحكيمة في الإنسان على الدوافع الدنيا المتمثلة في الغضب أو الشهوة التي هي مطية القوة الشيطانية ونتحدث عن أهم الانفعالات عند الغزالي فيما يأتي:

1. الغضب

يرى الغزالي أن قوة الغضب محلها القلب، ومعنى الغضب -على أساس أنه أهم الانفعالات في نظره- غليان دم القلب بطلب الانتقام. وتتوجه هذه القوة عند فورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها. والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به.

أما أسباب الغضب فهي الزهو والعجب والمزاح والهزال والاستهزاء والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وتكون إزالة الغضب بإزالة أسبابه بمضاداتها مثل أن

نميت الزهو والعجب بالتواضع، أما المزاح والهزل فيزال بالتشاغل بطلب التكاليف الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه، وكذلك الاجتهاد في طلب الفضائل وهكذا.

ويعالج الغضب إذا وقع بما يسميه الغزالي معجون العلم والعمل. ويتضمن العلم خمسة أمور هي:

أ. أن يتفكر الغاضب في ثواب كظم الغيظ والعفو والحلم.

ب. أن يخوف نفسه عقاب الله بأن يقول لنفسه: لو أنفذت غضبي في هذا الإنسان الذي هو أضعف مني فإنني لا آمن أن يُمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة وأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

ج. أن يحذّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام في الدنيا وفي الآخرة.

د. أن يفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره عند الغضب. ويتفكر في قبح الغضب نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي. ومشابهة الحكيم الهادئ التارك الغضب للأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء.

هـ. أن يذكر نفسه أن الأمور تجري على ما يريده الله ﷻ للإنسان، لا ما يريده الإنسان لنفسه.

وأما العمل فيتضمن ثلاثة أمور هي:

أ. القول باللسان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ب. الجلوس إذا كان الغاضب واقفاً، والاضطجاع إذا كان جالساً والاقتراب من الأرض التي خلق منها الإنسان ليعرف أنه من التراب وإلى التراب.

ج. التوضؤ أو الاغتسال بالماء.

2. الحقد

الغضب إذا ألزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال، رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً. ومعنى الحقد على شخص أن يلزم القلب استثقاله والبغض له والنفار عنه، وأن يدوم ذلك ويبقى فالحقد ثمرة الغضب. والحقد يثمر عدة أمور منها الحسد حيث يتمنى الحاقد زوال النعمة عمن يحقد عليه ويفرح بما يصيبه من كرب أو بلاء ويحزن إذا أصابته نعمة أو مسرة. هذا إلى جانب إظهار الشماتة إذا أصابه مكروه. بالإضافة إلى الانقطاع عنه وإفشاء سره والاستهزاء به والاعتداء عليه.

3. الحسد

الحسد نتاج الحقد، والحقد نتاج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله. والحسد لا يكون إلا على نعمه. وفرق بين الحسد والغبطة في أن الحسد أن يكره الفرد النعمة لآخر ويتمنى زوالها عن المنعم عليه، أما في الغبطة فإن الفرد لا يكره النعمة لآخر ولا يتمنى زوالها ولكنه يشتهي لنفسه مثلها. والغبطة تسمى أحياناً المنافسة.

والحسد له عدة أسباب أهمها:

أ. العداوة والبغضاء. وهي من أسباب الحسد. لأن كل من آذاه شخص لسبب من الأسباب أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد. والحقد يقتضي التشفي والانتقام فإن عجز المبغض أن يتشفى بنفسه، أحب أن يتشفى منه الزمان فإذا أصابت عدوه بلية فرح لذلك.

ب. الخوف من أن يتكبر من تأتيه النعمة على أحد أقرانه أو بعضهم فيحقدون عليه خوفاً من احتمال تكبره عليهم.

ج. التزاحم على مقصود واحد، وتكالب كل فرد أن يحصل على هذا المقصود فيحقد على منافسيه في هذا الأمر.

د. حب الرئاسة وطلب الجاه للنفس والرغبة في التفرد بالامتياز وألا يكون له نظير، فإن سمع بنظير أو شخص يحاول أن يكون نظيراً حقد عليه.

والحسد يكون بين الأقران والنظائر فترى التاجر يحسد التاجر أو يحسد الرجل أخاه، بل الإسكافي يحسد الإسكافي. ومنشأ ذلك حب الدنيا لأن الدنيا تضيق على المتزاحمين، أما الآخرة فلا ضيق فيها. لذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه. أما إذا قصدوا بالعلم المال وقع بينهم التحاسد لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر.

وأضرار الحسد تقع في الدين والدنيا. ففي الدين فإن الحاسد شخص ساخط على قضاء الله تعالى وكاره لنعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي رحمته. أما في الدنيا فإن الحاسد يتألم ويتعذب دائماً لأن الأشخاص الذين يعاديهم لا يخليهم الله من النعم فيبقى في غم دائم.

أما علاج الحسد فإن الغزالي يوصي أن يفكر الإنسان في أضرار الحسد ويتأملها ويعقلها. فهو إن فكر فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأت نار الحسد من قلبه وعلم أنه

مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه. ومن العلاج كذلك أن كل ما يوحي به الحسد فليكلف الحاسد نفسه نقيضه. فإن حمله الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه. وأن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع والاعتذار له وهذا أمر شديد المرارة على القلوب ولكن هكذا الدواء طعمه مرّ.

وبعد أن يتحدث الغزالي عن هذه الانفعالات الثلاثة يبين مداخل الشيطان إلى القلب أو كيفية تمكن الدوافع الشيطانية من الإنسان. فيذكر أن القلب أشبه بالحصن والشيطان عدو يريد أن يقتحم هذا الحصن فيملكه ويستولي عليه. ولا يمكن الحفاظ على الحصن إلا بحراسة أبوابه ومداخله.

والأبواب التي يمكن أن يدخل منها الشيطان إلى القلب في نظر الغزالي هي:

أ. الغضب والشهوة ذلك أن الغضب هو غول العقل. وإذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان. وعندما يغضب الإنسان يلعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة.

ب. الحسد والحرص ذلك لأنه إذا كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمه، حيث قيل حبك للشيء يعمي ويصم.

ج. حب التزين من الأثاث والثياب والدار فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ. فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار، وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أفنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره.

د. الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده. فلا يزال يتفكر في حيلة للتودد والتحبب إليه.

هـ. العجلة وترك التثبت في الأمور حيث قيل إن العجلة من الشيطان.

و. الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من دواب وعقار فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فالأموال مثيرة للشهوات ومهما زاد الإنسان فيها فلن يشبع.

ز. البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإنفاق والتصدق ويدعو إلى الكنز.

ح. التعصب للآراء والمذاهب والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستخفاف وذلك مما يهلك الناس جميعاً العباد والفساق فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع وهي من الصفات المرذولة.

ط. سوء الظن بالمسلمين حيث أمرنا الله ﷻ باجتناب ذلك لأن بعض الظن إثم.

ثالثاً: التوجيهات التربوية النفسية

خصص حجة الإسلام كتاب «أيها الولد» وذلك لتوجيه بعض النصائح التربوية النفسية للطالب الذي يلزم معلمه. وهي عبارة عن مجموعة من النصائح تتناول علاقة الطالب بمعلمه وزملائه وبالمجتمع الذي يعيش فيه. وهذه النصائح يمكن أن تعد مادة لميثاق تربوي أخلاقي إسلامي للعلاقة بين الولد ومعلمه.

ويمكن إيجاز هذه النصائح فيما يلي:

أ. أن يعمل بما يعلم لأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، إذ لا فائدة من علم بلا عمل. حيث يرى الغزالي أن النظر دون تطبيق قصور، لأن الإسلام قرن الإيمان بالعمل الصالح، كما أن دليل الإيمان هو القول باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان.

ب. يسترذل الغزالي أن يكون الباعث على طلب العلم نيل عرض الدنيا وجذب حطامها والمباهاة على الأقران والأمثال. لكن القصد الذي يجب على طالب العلم أن ينتهجه إحياء شريعة الإسلام وتهذيب الأخلاق ومقاومة النفس الأمارة بالسوء.

ج. يؤكد الغزالي أن قيمة العلم هي في العمل به فالعلم بدون عمل تضييع كما أن العمل بغير علم يكون على غير أساس وغير دراية.

د. ينصح الغزالي بأن يكون الشرع بمثابة المثال الذي يجب على الولد أن ينتهجه، وينصح باتخاذ طرق الصوفية في السيطرة على شهوات الجسد والنفس بالمجاهدة والرياضة النفسية والروحية. فالمعرفة لا تتأتى لطالب العلم إلا بالمجاهدة البدنية والروحية. وهذه المعرفة الفيضية لا توصف ولا تُعلم لكنها فقط تذاق. ولا يستقيم وصفها بالقول والكتابة وكل ما يكون ذوقياً لا يستقيم وصفه بالقول كحلاوة الحلو ومرارة المر لا يعرف إلا بالذوق.

يؤكد الغزالي أن الفوائد التي يحصلها طالب العلم من العلم هي:

أ. أن يعرف أن العمل الصالح هو الأمر الذي يجب أن يسعى إليه.

ب. عدم الانقياد للأهواء ومخالفة النفس والتشمر إلى مجاهدتها.

ج. أن يبذل محصوله من الدنيا في سبيل الله تعالى فيفرقه بين المساكين ليكون زخراً له عند الله تعالى.

د. العز لا يكون في المال أو في كثرة الأولاد ولكن العز في تقوى الله ﷻ.

هـ. البعد عن حسد الناس فيما أعطوا من مال أو جاه أو علم.

و. عدم معاداة الناس؛ لأن الذي يجب معاداته فقط هو الشيطان الرجيم.

ز. أن يعلم العبد أن رزقه على الله فلا يشتد في طلب القوت والمعاش من شبهة الحرام أو إذلال النفس وتهبيط قدرها.

ح. أن يتوكل الإنسان على الله فهو حسبه ونعم الوكيل، ولا يتكل إلى الأمور المادية مثل الدينار أو الدرهم أو إلى البشر الذين هم عاجزون مثله.

ط. على سالك طريق العلم في نظر الغزالي أن يلزم شيخاً مرشداً مربياً ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسناً. وهنا يورد الغزالي مثالاً تربوياً رائعاً حيث يقول إن معنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك وينزع النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه. ولا بد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده إلى سبيل الله تعالى لأن الله أرسل للعباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله فإذا ارتحل الرسول ﷺ فقد خلف الخلفاء ثم العلماء مكانه حتى يرشدوا إلى الله تعالى.

ويؤكد الغزالي على أن شرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائباً لرسول الله ﷺ أن يكون عالماً متحلياً بالصفات الآتية:

1. الإعراض عن حب الدنيا وحب الجاه.
2. أن يكون من التابعين أو تابعي التابعين.
3. محسناً لرياضة النفس من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم.
4. أن يكون جامعاً لمحاسن الأخلاق، وأن تكون سماته الأخلاقية جامعة الصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار والسكون والتأني.

ومثل هذا الشيخ عزيز المنال نادر الوجود، ولكنه إن وجد، على المريد أن يلزمه ويطيعه ويسمع منه ولا يجادله ولا يناقشه.

5. على طالب العلم كذلك أن يحترز من مجالسة صاحب السوء لأن أصحاب السوء أشبه بشياطين الجن والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً.

6. من طريف ما يوصي به الغزالي الابتعاد عن الرياء، ويرى أن الرياء يتولد من تعظيم الخلق وعلاجه في نظر الغزالي علاج نفسي عقلاني، وهو أن ترى الخلق وتتأملهم مسخرين تحت القدرة الإلهية وأنهم لا حول لهم ولا قوة ومتى عقل الإنسان هذه الفكرة زال عنه الرياء.

7. ينصح الغزالي المتعلم والمريد بعدم العجلة في معرفة ما يشكل عليه وأن يتريث في السؤال. وأن يقبل في هذا المقام نصيحة الخضر ﷺ التي وجهها إلى نبي الله موسى ﷺ: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: 70].

8. ينصح الغزالي طالب العلم بثماني نصائح يدع أربعاً ويؤتي أربعاً: أما ما يدعه فهو:

أ. الابتعاد وبقدر الإمكان عن المناظرة لأن المناظرة فيها آفات كثيرة وإثمها أكبر من نفعها. وهي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكيد والحقد والمباهاة. وإذا كان لا بد من المناظرة فليكن الهدف منها انكشاف الحق سواء على لسانك –أيها الولد– أو على لسان غيرك. واعلم أيها الولد أن الجاهلين هم المرضى قلوبهم والعلماء هم الأطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة، والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح. فحذاقة الطبيب أن يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشتغل فيه بالعلاج لأن في ذلك تضييعاً للعمر. ويواصل الغزالي نصائحه التربوية فيقول إن الحماقة لا تقبل العلاج ذلك أنها أعيت من يداويها.

كما ينصح الغزالي طالب العلم بمراعاة الفروق بين الناس في عقولهم وأفهامهم متمثلا بقول رسول الله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم».

ب. يحذر الغزالي طالب العلم من أن يكون واعظاً ومذكراً لأن في ذلك آفة كبيرة، إلا أن يعمل بما يقول أولاً ثم يعظ الناس به. أما إذا ابتلي بعمل الوعظ والتذكير فعليه أن يمتنع عن التكلف في الكلام بالعبارات والإرشادات والأشعار والمبالغات؛ لأن الله تعالى يبغض المتكلفين، والمتكلف المتجاوز عن الحد يدل على خراب الباطن

وغفلة القلب. وعليه كذلك ألا يكون واعظاً منفراً، ويدعو الناس من الدنيا إلى الآخرة، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الحرص إلى الزهد، ومن البخل إلى السخاء، ومن الغرور إلى التقوى.

ج. ينصح الغزالي الولد بعدم مخالطة الأمراء والسلاطين لأن مخالطتهم وحضور مجالسهم تؤدي إلى مدحهم وثنائهم سواء أكانوا على حق أو على باطل.

د. ينصح الغزالي الولد بألا يقبل شيئاً من عطاء الأمراء وهداياهم حتى وإن علم أنها من الحلال لأن ذلك قد يؤدي إلى الطمع المفسد للدين والمداهنة.

وأما ما يفعله فهو:

أ. أن يعمل طالب العلم معاملته مع الله تعالى.

ب. أن يحب للناس ما يحبه لنفسه.

ج. ينبغي أن تكون ثمرة قراءة العلم هي إصلاح القلب وتزكية النفس.

د. ألا يجمع من الدنيا أكثر من كفاية منه، وذلك حتى لا يتعود على الجشع وحب الدنيا والتكالب على المال.

رابعا: الحاسة الدينية

يرى الغزالي أن الحاسة الدينية موجودة بالفطرة عند جميع الناس، كما يوجد عندهم السمع والبصر والذوق مع أعضائها المناظرة وهي الأذن والعين واللسان. ولكن إدراك الحاسة الباطنة يحتاج إلى أمرين:

- الأول: عدم انشغال النفس بالحس الظاهر وشهوات البدن حتى تتفرغ لحسها الباطن ومن هنا كان طريق الصوفية -وهو الطريق الذي ينصح به الغزالي- هو السبيل إلى التخلص من علائق البدن. وإن التوصل إلى طريق الزهد ليس خاصاً بالأولياء والأنبياء؛ لأنه جوهر أساسي في كل أبناء آدم. وكذلك فإن كل قلب إذا غلبت عليه الشهوات والمعاصي لم يبلغ هذه الدرجة. وإذا لم تغلب عليه الشهوات والمعاصي يبلغ تلك الدرجة؛ ذلك لأن كل مولود يولد على فطرة سليمة فطرة التصديق بالربوبية والإسلام وذلك مصدقاً للحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» فما دامت الربوبية والإقرار بها في فطرة البشر، فلا بد من وجود

حاسة تدركها، إلا إذا تعلق المرء بشهوات البدن فإن هذا التعلق يعطلها. وعلى الإنسان أن يتغلب على تلك الشهوات بمجاهدة النفس ومقاومة هذه الشهوات.

- الثاني: عند النوم يُغلق على المرء باب الحواس الظاهرة، ويفتح له باب الباطن وينكشف له غيب من عالم الملكوت. وفي النوم كذلك تكون النفس في أتم الاستعداد للاتصال بعالم ما وراء الحس ويظهر ذلك في الأحلام. ولكن هذه الحاسة الباطنة أو الطاقة كما يسميها الغزالي لا تفتح أثناء النوم فقط بل تفتح حتى في اليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة وتخلص من الشهوة والأخلاق القبيحة. والطريق إلى ذلك أن يجلس المرء في مكان خالٍ ويعطل طريق الحواس ويذكر الله بقلبه ويداوم على هذا الذكر الجليل وعند ذلك يبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحسنة الجليلة. وقد لاحظ الغزالي أنه لا فرق بين النوم واليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات غير أن الرؤيا في النوم أسهل منها في اليقظة.

مجمل القول أن الحاسة الدينية تعتمد على الإدراك القلبي والذي يتم بإشراق عالم الملكوت على النفس. فتبصر ما فيه من عجائب كما تنعكس الصور في المرآة بشرط أن تكون صقيلة. فالقلب مثل المرآة تنعكس عليها الأمور العلوية، وما هو موجود في اللوح المحفوظ بشرط أن يرفع عنها الحجاب والتي الأوقات التي يرتفع فيها الحجاب وتنفذ عينا القلب إلى ما وراء الحس الظاهر وإلى ما وراء العقل هو النوم؛ لأن النوم يؤثر في سلطان الحواس ويجعلها تفسح الطريق للنور الإلهي فيرى النائم عالم الغيب والملكوت.

ويتصل الإلهام بالحاسة الدينية عند الغزالي والإلهام ثمرة استعداد من العبد وإشراق من أنوار الربوبية وموضع الإلهام هو القلب فالمعلومات تحصل لبعض القلوب بإلهام إلهي ولبعضها الآخر بتعلم واكتساب. وقد يكون الإلهام سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول. وفي هذا تتباين منازل الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء. وأعلى مرتبة هي رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف إلهي في أسرع وقت.

ويفرق الغزالي في «الرسالة اللدنية» بين الإلهام والوحي: فالوحي هو تصريح الأمر الغيبي والإلهام تعريض الأمر الغيبي، والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علماً نبوياً والعلم الذي يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنياً. والعلم اللدني هو الذي لا واسطة في حصوله بين

النفس وبين البارئ ﷻ. والإلهام تنبيه رباني لنفس الإنسان على قدر صفائها وقبولها وقوة استعدادها. والإلهام هو آخر درجة يرتقي إليها البشر خلاف الأنبياء الذين يوحي إليهم. والإلهام يعتمد على القلب فيكون على هذه الجهة حاسة تستشرف الغيب.

إذن الوحي والإلهام والأحلام الصادقة والرؤى التي تحصل في اليقظة كل أولئك نتيجة حاسة دينية مفطورة في الإنسان، يتلقى أو يرى بها عجائب الغيب عن عالم الملكوت. ويتفاوت الناس في مقدار ما يحسون به باختلاف طبائعهم واستعداداتهم ومقدار صفاء قلوبهم وجلائها وصدورهم عن تجربة حية يعيشون فيها تلك الأحوال ويطلعون فيها على ما شاء الله لهم من أسرار.

خامسا: علم النفس الأخلاقي: الفضيلة والسعادة

الغزالي هو المفكر المسلم والفيلسوف الأخلاقي الذي أضاف إلى الفكر اليوناني الشائع في عصره ما في الإسلام من توضيح للعلاقة بين العبد وربه وبين العبد ونفسه. وهذه العلاقة كانت محل اهتمام علماء المسلمين سواء في العصر الذي عاش فيه الغزالي أو قبله أو بعده. ولكن الذي يميز الغزالي أنه في تناول للجانب الأخلاقي عالج ذلك في ضوء نظريته في النفس الإنسانية وقواها.

نعم لقد استفاد الغزالي من آراء فلاسفة اليونان ولكنه عالج هذه الآراء وأعاد صياغتها في ضوء التوجيه الإسلامي للجانب الأخلاقي من شخصية الإنسان المسلم.

وقد اهتم حجة الإسلام بالقوى النفسية وعلاقتها بالسلوك الأخلاقي في مواضع عديدة من مؤلفاته. ولكنه ركز على هذا الجانب الأخلاقي في كتابه الموسوعي الأصولي «إحياء علوم الدين» وفي مؤلفه النفسي «معارج القدس»، ونقصد بعلم النفس الأخلاقي في هذا المقام نظرية الغزالي في قوى النفس الإنسانية وعلاقتها بالسلوك الأخلاقي الذي يوصل الإنسان المسلم إلى الفضيلة والسعادة.

ونناقش موضوع علم النفس الأخلاقي عند الغزالي في النقاط الآتية:

1. تعريف الفضيلة

يعرف الغزالي الفضيلة بأنها الفعل المحمود عقلاً وشرعاً. وحدد المحمود بأنه الوسط كما وصف الطرفين اللذين يقع بينهما هذا الوسط بأنهما رذيلتان مذمومتان. ويشير الغزالي إلى أن الفضائل كثيرة، وهي وإن كانت كثيرة إلا أنه يجملها في أربع وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة. ويربط الغزالي كعالم نفسي بين الفضائل وقوى النفس حيث يرى أن

الحكمة هي فضيلة القوة العقلية، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية، والعفة فضيلة القوة الشهوية. أما العدالة فهي عبارة عن وقوع هذه القوى وما يتبعها من فضائل على الترتيب الواجب فيها بحيث تسيطر القوة العقلية على بقية القوى.

2. أنواع الفضائل

الفضائل هي:

أ. فضيلة الحكمة

حيث يشير الغزالي إلى قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269] وإلى قوله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن». والحكمة هي فضيلة القوة العقلية. وسبق أن قلنا عند الحديث عن قوى النفس أن القوة العقلية تنقسم إلى العقل العملي والعقل النظري. العقل العملي هو الذي يتولى جهة البدن وتدبيره وسياسته. وبالعقل العملي أو القوة العقلية العملية تدرك الخيرات في الأعمال، ويسوس الإنسان بها نفسه ويسوس بها كذلك أهل منزله. والقوة العقلية الثانية هي العقل النظري أو القوى العقلية النظرية ونسبة الحكمة إليها أدق من نسبتها إلى القوة العقلية العملية. وبهذه القوة العقلية النظرية يتلقى الإنسان الحكمة المتمثلة في العلوم اليقينية الصادقة أزلاً أبداً مثل العلم بالله ﷻ وصفاته وملائكته وكتبه ورسله وأصناف خلقه وتدبيره لملكه وأحواله الإبداء والإعادة.

والحكمة كفضيلة للقوة العقلية تكتنفها رذيلتان الخب والبله. الإفراط والزيادة يسميه الغزالي الخب وهو حالة يكون فيها الإنسان ذا مكر وحيلة بإطلاق القوة الغضبية والقوة الشهوية وتركهما تتحركان إلى المطلوب حركة زائدة على قدر الواجب، ويندرج تحت الخب الدهاء والخديعة، أما التفريط أو النقصان فهو البله، وهو حالة للنفس تقصر بالقوة الغضبية وبالقوة الشهوية عن القدر الواجب. ومنشؤه بطء الفهم وقلة الإحاطة بثواب الأفعال وثقابة الرأي وصواب الظن. ويندرج تحت البله الحمق والجنون. ويؤكد الغزالي أن حسن قوة الحكمة هو أن يدرك الإنسان الفرق بين الصدق والكذب والحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال.

ب. الشجاعة

هي فضيلة القوة الغضبية بكونها قوة الحمية. وقوة الحمية منقادة للعقل المتأدب بالشرع في إقدامها. وهي وسط بين رذيلتين التهور والجبن. التهور هو الإفراط أو الزيادة عن

الاعتدال وهو الحالة التي يقدم فيها الإنسان على الأمور الخطرة التي يجب عقلاً الإحجام عنها. ويتصل بالتهور كذلك التقبيح والاستشاطة والتكبر. وأما التفريط فهو الجبن وهو طرف النقصان. وهو كذلك الحالة التي تنقبض بها حركة القوة الغضبية عن القدر الواجب فتنصرف عن الإقدام حيث يجب الإقدام. معنى ذلك أن التهور هو الإقدام لا في محله، وأن الجبن هو الإحجام لا في محله. ومن الشجاعة يصدر الإقدام والإحجام حيث يجب وكيف يجب. وهذا هو الخلق الحسن المحمود وإياه يراد بقوله ﷺ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:29] فلا الشدة في كل مقام محمود، ولا الرحمة في كل مقام محمود بل المحمود ما يوافق معيار العقل والشرع.

ومن الجدير بالذكر أن الغزالي يعطينا مجموعة من التدريبات العلاجية النفسية لترشيد سلوك الفرد فيما يخص فضيلة الشجاعة وينصح الواحد منا أن ينظر في نفسه فإن كان طبعه مائلاً إلى النقصان الذي هو الجبن فليتعاطى أفعال الشجعان تكلفاً ومواظبة عليها حتى تصير له هذه الأفعال طبعاً وخلقاً مع هذه الممارسة. وإن كان مائلاً إلى طرف الزيادة وهو التهور فليشعر نفسه بعواقب الأمور وبعظم أخطارها وليتكلف الإحجام إلى أن يعود إلى الاعتدال أو ما يقرب منه.

والغزالي لا يطلب من الإنسان الاعتدال تماماً ولكن يكفي ما يقرب منه وذلك لبصيرته النافذة في الخصائص النفسية للإنسان ومن ضمنها أنه لا يمكن للإنسان أن يقف دائماً وأبداً على حدود الاعتدال بالضبط، ولكن على هذه الحدود بالتقريب.

ج. العفة

وهي فضيلة النفس الشهوانية وتعني العفة انقياد النفس الشهوانية في يسر وسهولة للقوة العقلية حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب إشارة القوة العقلية. وتكتنفها رذيلتان، الإفراط هو الشره والتفريط هو خمود الشهوة. والشره هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات التي تستقبحها القوة العقلية وتنهى عنها. والخمود هو قصور الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل تحصيله وهما مذموتان ومما يرتبط بالعفة الحياء والتبصر والدماثة والقناعة. والعفة التي هي الوسط محمودة وعلى الإنسان أن يراقب شهوته لأنه الغالب عليها الإفراط لا سيما إلى الفرج والبطن وإلى المال وحب الرياسة وحب الثناء، والتفريط في ذلك نقصان. وعلى المرء أن يعلم الغاية المطلوبة من خلق الشهوة. وهنا يقدم الغزالي مجموعة من النصائح السلوكية تقوم على أساس أن شهوة الطعام خلقت لتحث على تناول الطعام الذي

يعوض بدل ما يتحلل من أجزاء البدن، حتى يبقى البدن سليماً فيتوصل البدن إلى نيل العلوم ودرك حقائق الأمور. ومن عرف هذا كان قصده من الطعام التقوى على العبادة أي أن الطعام وسيلة لا غاية. كما أن شهوة الجماع خلقت لتكون سبباً لبقاء النوع الإنساني فيطلب النكاح للولد وللتحصين لا للإسراف في المتع والمجون.

د. العدالة

هي جملة الفضائل وانتظامها حيث تكون القوة العقلية وفضيلتها الحكمة، والقوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة والقوة الشهوانية وفضيلتها العفة، تكون جميعاً في حالة من الانتظام والتناسب بحيث ترضى جميعاً في توازن وانسجام دون أن تطغى واحدة منها على الأخرى. كما أن فضيلة العدل تعني في نفس الوقت أن تنقاد قوى النفس الدنيا لقواها العليا، أي أن تنقاد القوة الغضبية والقوة الشهوانية للقوة العاقلة. كأن حسن قوة العدل في ضبط الغضب والشهوة تحت سلطان العقل. والعدل في المعاملة وسط بين رذيلتين، والإفراط هو الغبن والتفريط هو التغابن. والغبن هو ظلم الآخرين والتغابن هو التعاون في حق النفس.

3. العلاقة بين قوى النفس والفضائل

ثم يعطينا الغزالي مجموعة من الأمثلة تبين علاقة قوى النفس بعضها مع بعض ثم علاقتها بتحقيق الحياة الخيرة الفاضلة للإنسان وهذه الأمثلة على الوجه التالي:

- **المثال الأول:** مثل نفس الإنسان في بدنه كمثل والٍ في مدينته ومملكته. فإن البدن مملكة النفس وعالمه ومستقره ومدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعمال. والقوة العقلية أو المفكرة بمثابة المشير الناصح والوزير العاقل. والشهوة كعبد سوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة. والغضب والحمية له كصاحب الشرطة. والعبد الجالب للميرة (أي الشهوة) كذاب مكار مخادع خبيث يعمل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل، وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعة. فكما أن الوالي عليه أن يطلب النصح من الوزير العاقل ولا يطلبه من العبد الكذاب المخادع حتى يستقيم حال المدينة. فإن عليه كذلك أن يسوس صاحب الشرطة ويخضعه للوزير العاقل. كذلك الحال في النفس فإنها متى استعانت بالعقل وأدبت القوة الغضبية والقوة الشهوانية صلحت أحوال النفس وحقق الإنسان الفضيلة والسعادة.

- **المثال الثاني**: إن البدن كالمدينة والعقل ملك مدبر لها. والقوى المدركة سواء من الظاهر أو من الباطن أعوانه وأعضاء الجسم هي بمثابة الرعية والشهوة هي النفس الأمارة بالسوء. والغضب عدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته. فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم في هذا الثغر ومرابط فيه. فإن جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يجب حمد أثره. وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره وانتقم منه عند الله ﷺ فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن، ولم تؤد الضالة ولم تجبر الكسير. وهنا يؤكد الغزالي على أهمية مجاهدة الشهوات حتى تستقيم حياة الإنسان ويحقق السعادة والفضيلة.
- **المثال الثالث**: مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه كالكلب. فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح. أما إذا كان الفارس أخرقاً وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً، فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً، ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً فهو خليق بألا ينال ما يطلب. وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته. وجماح الفرس مثل لغلبة شهوته خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثل لغلبة الغضب واستيلائه وغلوائه. وهنا يؤكد الغزالي كذلك أهمية سيطرة الإنسان ممثلاً في قواه العقلية على شهوات البطن والفرج والغضب حتى تستقيم حياته.

في النقاط الثلاث السابقة تعرضنا لتعريف الفضيلة عند الغزالي ثم ذكرنا أنواع الفضائل ثم تحدثنا عن العلاقة بين قوى النفس والفضائل. ونعلق على موقف الغزالي في موضوع الفضيلة فنقول أنه كان في غاية اللباقة وحسن العرض وروعة التصوير أخذ عن أرسطو تحديده للفضيلة بأنها وسط بين طرفين مذمومين، وأخذ عن أفلاطون تحديدها أنها العدالة بين قوى النفس الثلاث الشهوة والغضب والحكمة. أما قوة العدل التي زادها الغزالي فلم تعرف عن أفلاطون إلا على أنها التوازن بين هذه القوى الثلاث لكن الغزالي جعلها قوة رابعة للنفس كما دلل على أن الحكمة من قوى النفس في استدلاله بالآية الكريمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:269].

والأمر المهم في موقف الغزالي ونظرته للفضيلة في القضية الآتية: متى يكون عمل الوسط الذي هو محمود شرعاً وعقلاً فضيلة؟ ومتى يكون الاعتدال بين قوى النفس فضيلة؟

يجيب الغزالي بأنه لا يكون فضيلة إلا إذا كان صادراً عن خلق الإنسان واختياره الحر. والخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير جهد أو روية؛ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء أو الحلم. كأن الغزالي يؤكد أربعة أمور. الأمر الأول فعل الحسن أو القبيح والأمر الثاني القدرة عليهما الأمر الثالث المعرفة بهما والأمر الرابع هيئة للنفس تميل إلى أحد الجانبين وتيسر عليه أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح. إذن الخلق هو الهيئة التي تعد النفس لأن يصدر منها الإمساك والبذل. فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

4. السعادة الإنسانية

اهتم الغزالي بسعادة الإنسان اهتماماً بالغاً وربط بينها وبين الفضيلة فالفضيلة مؤدية إلى السعادة. وقد خصص الغزالي لهذا الموضوع رسالة أسماها «كيمياء السعادة» ويقصد بكيمياء السعادة محاكاة الكيمياء القديمة في تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة. قاصداً بذلك تحويل سلوك الإنسان من سلوك رديء إلى سلوك طيب فاضل لتحقيق السعادة ويبني الغزالي نظريته في السعادة على نفس الأساس الذي ينبني عليه نظريته في الفضيلة وهذا الأساس هو سيطرة القوى العقلية في الإنسان على القوة الغضبية والقوة الشهوانية.

ويشير الغزالي في «كيمياء السعادة» إلى أن الإنسان جمع في باطنه صفات من صفات البهائم ومن صفات السباع ومن صفات الشياطين ومن صفات الملائكة. ولكن جوهر الإنسان هو الروح. ويتأدى الغزالي من ذلك إلى موضوع السعادة فيذكر أن سعادة البهائم في الأكل والشرب والنوم والنكاح. وسعادة السباع في الضرب والفتك. وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل. وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وليس للغضب أو الشهوة إليهم سبيل. إن السعادة عند الإنسان في اعتدال قوتين قوة الشهوة وقوة الغضب فيحتاج الإنسان ليبلغ السعادة أن يكون أمرهما متوسطاً فلا تزيد قوة الشهوة فتخرجه إلى التبلد والمجون فيهلك. أو تزيد قوة فتخرجه إلى التدهور والحمق فيهلك. أما إذا توسطت القوتان بسيطرة القوة العقلية وبإشارة قوة العدالة دل ذلك على طريق الهداية والسعادة.

أما اللذة والسعادة الكبرى عند الغزالي بالنسبة للبشر فهي إنما تكون في معرفة الله ﷻ؛ ذلك لأن سعادة كل شيء لذته وراحته. ولذة كل شيء تكون بمقتضى طبعه وطبع كل شيء ما خلقه له. فلذة العين في مشاهدة الصور الحسنة، ولذة الأذن في سماع الأصوات الجميلة وكذلك سائر الجوارح. أما لذة القلب والروح فهي معرفة الله ﷻ لأنهما مخلوقان

لاستشعار هذه اللذة. معنى ذلك أن سعادة الإنسان ولذته في معرفة الله ﷻ لأن جوهر الإنسان هو الروح والقلب. أما لذات الجسم والجوارح فهي لذات مؤقتة فانية بفناء البدن بل قد تفنى اللذات الجسمية بضعف الجسم وكهولته. أما معرفة الله ﷻ فهي مصدر دائم للسعادة لأنه حتى بعد الموت تبقى روح الإنسان لا يصيبها الموت تنعم بهذه السعادة.

أما من اتبع نفسه هواها وغلبت على حياته الشهوات والرذائل حرم من السعادة وشقي ومني بحسرة كبرى وألم عظيم بعد الموت. وإن اتفق له تحقق شيئاً من اللذات الرخيصة في الحياة الدنيا فهي لا شيء بالقياس إلى ما يلقاه من عذاب في الحياة الآخرة. وهي لا شيء أيضاً من مشاعر اللذة والسعادة التي تعانيها الروح عندما تستشعر معرفة الله ﷻ.

5. السبيل إلى بلوغ الفضيلة والسعادة

السبيل إلى تحقيق الفضيلة والسعادة وبلوغها كما يراه الغزالي هو رياضة النفس مع العبادة. فليست العبادة وحدها بكافية بل لا بد معها من الرياضة النفسية حتى يكون أداء العبادة عن رغبة ومحبة، لا مع استثقال وكراهية. وليست الرياضة وحدها بكافية، بل لا بد معها من العبادة؛ لأن المقصود بالعبادة التأثير على القلب. وبدون العبادة لا تؤثر الرياضة على القلب. فالرياضة والمجاهدة مع العبادة معاً ينشأ عنهما رقة القلب وصفاؤه مع يسر ورغبة في إتيان العمل الفاضل. والرياضة عند الغزالي هي حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب، فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقته أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال. فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه متكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً. ولن ترسخ الأخلاق الدينية ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة، وينعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم منها. وذلك كما قال ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة». ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال، فإن ذلك في نظر الغزالي من باب النقصان. إنما المقصود بالعبادة تأثيرها في القلب، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات.

إذن السبيل الذي رآه الغزالي موصلاً إلى تحصيل الفضيلة والسعادة يمسك فيه بطرف من الدين وطرف من العقل. حيث ربط العبادات في صورتها الإسلامية بمنهج تكوين العادة في الإنسان، وهو ما أسماه الرياضة النفسية والمجاهدة الروحية. وأولى مراحل تكوين العادة هو إدراك العقل لما يطلب أن يكون عادة للإنسان وحمل النفس بالإرادة على الإتيان به. ثم

بعد ذلك تكراره حتى يصبح عادة ويستغنى بعد ذلك عن الإدراك والإرادة. فهو قد ربط هنا بين الدين والعقل كما أوضح أن كلاً منهما يتوقف عليه الطريق السليم لتحصيل الفضيلة.

كما أن الغزالي تحدث كثيراً عن تعديل سلوكيات الإنسان عن طريق المجاهدة حيث تؤدي إلى تكوين العادات المطلوبة والإقلاع عن العادات الأخرى غير المطلوبة. ولعله كان يعرف أن قبول العبادة أيسر لدى النفوس من محاولة الرياضة والمجاهدة بحكم أن العبادة من الدين الذي استقر في النفوس باعتبار أنه عقيدة. أما الرياضة فلأنها متكلفة أول الأمر قد يحجم الناس عنها لسبب أو لغير سبب، ولذلك يؤكد الغزالي أهمية الرياضة والمجاهدة. ومن المهم أن نذكر أن الغزالي كان يرفض القول بجبلية السلوك الإنساني. بل كان يرى أن هذا السلوك مطاوعاً وقابلاً للتغير والتعديل عن طريق التربية الدينية ومجاهدة النفس. وهو يؤكد أن الخُلق (بضم الخاء) الذي هو صورة الظاهر غير قابل للتغيير. أي أنه من الممكن أن يتغير سلوك الإنسان أو خلقه من الخطأ إلى الصواب. وليس من الممكن تغيير خِلقة الإنسان وهيئته من القبح إلى الجمال أو من الطول إلى القصر. وهنا يستشهد الغزالي بحجة قوية دامغة أنه لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت المواعظ والوصايا والتأديبات، وكيف ينكر ذلك في الآدمي وتغيير سلوك البهيمة ممكن إذ ينتقل الفرس من الجموح إلى السلاسة والانقياد والكلب من الوحشية إلى الاستئناس.

وسوف يظهر مفهوم العادة الذي أشار إليه الغزالي في علم النفس الحديث على يد عالم النفس الأمريكي دون ديوي الذي أكد على أن معظم جوانب السلوك الإنساني هي نتيجة تأثير العادة. كما أن قابلية السلوك الإنساني للتعديل سوف تظهر أيضاً في علم النفس الحديث عند علماء المدرسة السلوكية الأمريكية أمثال واطسون وسكنر بل ستكون أساساً لمدرسة علاجية تتبنى ما سمي العلاج السلوكي على يد عالم النفس الأمريكي جوزيف ولبه.

6. غاية العمل الخُلقي

يذكر الغزالي أن غاية الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله ﷻ. فلا يكون شيء أحب إلى العبد من لقاء الله ﷻ. فلا يستعمل جميع ما له إلا على الوجه الذي يوصله إليه. وأن يسخر غضبه وشهوته بأن يكونا موزونين بميزان الشرع والعقل. فالمتعة النفسية والتلذذ الروحي حلقة أخيرة في غاية العمل الخلقي عند الغزالي. وقبل هذه الحلقة حلقة مباشرة، هو أن يغلب على النفس حب الله ﷻ دون حب الدنيا.

وألا يكون شيء أحب إلى النفس من لقاء الله تعالى. إن هذا اللقاء هو قمة السعادة النفسية للإنسان في نظر الغزالي. ويؤكد الغزالي على أهمية تحقيق غاية الأخلاق في أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله ﷻ، ذلك أنه إذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح، فكيف لا تستلذ الحق لوردت إليه والتزمت المواظبة عليه. بل إن ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة -مثل الباطل والقبائح- خارج عن الطبع، يضاهي الميل إلى أكل الطين. فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة. أما ميل الإنسان إلى الحكمة وحب الله ومعرفته وعبادته فهو مثل الميل إلى الطعام والشراب، فإنه مقتضى طبع القلب وهو أمر رباني. أما ميل الإنسان إلى مقتنيات الشهوة فهو غريب من ذاته وعارض على طبعه.

زبدة القول إن الغزالي يرى أن الميل الإنساني الأصلي هو إلى العمل الخلقي المتمثل في الحكمة والخير المؤدين إلى السعادة. أما الميل إلى الشهوة والباطل والقبائح فهو خروج على هذا الميل الأصلي وشذوذ عنه. وبذا فإن من الممكن بل من السهل أن يعود الإنسان الضال إلى فطرته الأولى عن طريق المجاهدات النفسية والتدريبات السلوكية التي تكسبه السلوكيات الحميدة، وتعيده من جديد إلى فطرته الأولى.

الملخص

السيرة الذاتية للغزالي

هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ولد سنة 450هـ 1058م في الغزالة وهي بلدة في جوار طوس من أعمال خراسان وظهرت على الغزالي آثار النبوغ منذ سنين حداثته الأولى.

تعلم الفلسفة وعلم الكلام واختص بالدراسات الإسلامية وهو أول من حاول التوجيه الإسلامي لعلم النفس في موضوع الشخصية، توفي عام 505هـ - 1111م.

ونعرض رؤيته في الشخصية في النقاط الآتية:

الدوافع والانفعالات

ومن أمثلتها:

1. **الغضب**: يرى الغزالي أن قوة الغضب محلها القلب ومعنى الغضب على أساس أنه أهم الانفعالات في نظره غليان دم القلب بطلب الانتقام ولا يغضب القلب الانتقام وتتوجه هذه القوة عند فورانها إلى دافع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به أما مظاهر الغضب عنده فهي الزهو والعجب والمزاح والهزال والاستهزاء والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وتكون إزالة الغضب بإزالة أسبابه بمضاداتها مثل أن تمت الزهو والعجب بالتواضع أما المزاح والهزل فهو يزال بالتشاغل بطلب التكاليف الدينية التي تستوعب العمر كله ويعالج الغضب إذ وقع بما يسميه معجون العلم والعمل ويتضمن العمل الأمور الآتية:

أ. أن يتفكر الغاضب في ثواب الغضب وفي ثواب كظم الغيظ.

ب. أن يخوف الإنسان نفسه بعقاب الله للغاضب والظالم.

ج. أن يحذر نفسه من عاقبة العداوة والانتقام في الدنيا والآخرة.

د. أن يفكر في قبح صورته عند الغضب.

ه. القول بلسان أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

و. التوضؤ والاغتسال بالماء.

2. **الحقد**: الغضب إذا ألزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال واحتقنه فيه فصار حقداً ومعنى الحقد على شخص أن يلزم القلب استثقاله والبغض له.

3. **الحسد**: الحسد نتاج الحقد والحقد نتاج الغضب والحسد له عدة أسباب:

أ. العداوة والبغضاء بين الناس.

ب. التزاحم على مقصود واحد.

ج. حب الرئاسة.

والحسد يكون بين الأقران والنظائر فترى التاجر يحسد التاجر أو يحسد الرجل أخاه والإسكافي يحسد الإسكافي.

وأضرار الحسد تقع في الدين وفي الدنيا ففي الدين فإن الحاسد شخص ساخط على قضاء الله ورحمته وكاره لنعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي رحمته.

أما علاج الحسد فإن الغزالي يوصي أن يفكر الإنسان في أضرار الحسد ويتأملها ويعقلها.

هذه الانفعالات الثلاثة بعد أن يتحدث عنها الغزالي يبين مداخل الشيطان للقلب أو كيفية تمكن الدوافع الشيطانية من الإنسان فيذكر أن القلب أشبه بالحصن والشيطان عدو يريد أن يقتحم الحصن والأبواب التي يمكن أن يدخل منها الشيطان إلى القلب في نظر الغزالي هي:

1. الغضب والشهوة.
2. الحسد والحرص.
3. حب التزين من الأثاث والثياب.
4. الطمع في الناس.
5. العجلة وترك التثبت في الأمور.
6. الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال.
7. البخل وخوف الفقر.
8. التعصب للآراء والمذاهب.
9. سوء الظن بالمسلمين.

التوجيهات التربوية النفسية

خصص الغزالي كتاب أيها الولد لتوجيه بعض النصائح التربوية النفسية للطالب الذي يلزم معلمه ونوجز هذه النصائح فيما يلي:

1. أن يعمل بما يعلم لأن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه إذ لا فائدة من علم بلا عمل.
2. يجب على طالب العلم أن يكون هدفه إحياء شريعة الإسلام وتهذيب الأخلاق ومقاومة النفس الأمارة بالسوء.

ويستفيد طالب العلم من العلم فيما يلي:

أ. عدم الانقياد للأهواء.

ب. أن يبذل محصوله من الدنيا في سبيل الله فيفرقه بين المساكين.

ج. العز لا يكون في المال أو كثرة الأولاد ولكن العز في تقوى الله ﷻ.

د. البعد عن حسد الناس.

هـ. أن يعلم أن رزقه على الله.

و. أن يتوكل على الله فهو حسبه ونعم الوكيل.

وعلى طالب العلم أن يلزم شيخاً مربياً مرشداً ليخرج منه الأخلاق السيئة ويكسبه الأخلاق الحميدة.

يوصي الغزالي بشروط معينة في الشيخ الذي نتخذه معلماً لنا تتوافر فيه الصفات الآتية:

أ. الإعراض عن حب الدنيا وحب الجاه.

ب. أن يكون من التابعين أو تابعي التابعين.

ج. محسناً لرياضة نفسه من قلة الأكل والقول والنوم وكثرة الصلوات والصدقة والصوم.

د. أن يكون جامعاً لمحاسن الأخلاق.

ينصح الغزالي طالب العلم بثماني نصائح يدع أربعة ويأتي أربعة، أما الذي يدعه فهو:

أ. الابتعاد بقدر الإمكان عن المناظرة لأن المناظرة فيها آفات كثيرة وإثمها أكبر من نفعها وهي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد كما ينصح الغزالي طالب

العلم بمراعاة الفروق بين الناس في عقولهم وأفهامهم متمثلاً بقول الرسول ﷺ نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم.

ب. يحذر الغزالي طالب العلم أن يكون واعظاً ومذكراً إلا أن يعمل بما يقول أولاً ثم يعظ الناس.

ج. ينصح الغزالي الولد بعدم مخالطة الأمراء والسلاطين لأن مخالطتهم وحضور مجالسهم تؤدي إلى مدحهم وثنائهم سواء كانوا على حق أو على باطل.

د. ينصح الغزالي الولد بألا يقبل شيئاً من عطاء الأمراء وهداياهم حتى وإن علم أنها من الحلال لأن ذلك يؤدي إلى الطمع المفسد للدين.

الحاسة الدينية

يرى الغزالي أن الحاسة الدينية موجودة بالفطرة عند جميع الكتب كما يوجد عندهم السمع والبصر والتذوق ولكن إدراك هذه الحاسة الباطنة يحتاج الى أمرين:

- الأول: عدم انشغال النفس بالحس الظاهر وشهوات البدن حتى تتفرغ لحسها الباطن ومنها كالطريقة الصوفية وهو الطريق الذي يخلصنا من علائق البدن وينصح بالزهد.
- الثاني: عند النوم يغلق على المرء باب الحواس الظاهرة ويفتح له باب الباطن وينكشف له غيره من عالم الملكوت ويظهر ذلك كله في الأحلام.

الحاسة الدينية تعتمد على الإدراك القلبي فالقلب مثل المرآة تنعكس عليه الأمور العلوية ويتصل الإلهام بالحاسة الدينية عند الغزالي والإلهام هو ثمرة استعداد من العبد وإشراق من أنوار الربوبية، وموضع الإلهام هو القلب وقد يكون الإلهام سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا تتباين منازل الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأعلى مرتبة هي رتبة النبي الذي تنكشف له الحقائق أو أكثرها بكشف إلهي.

ويفرق الغزالي بين الإلهام والوحي فالوحي هو تصريح بالأمر الغيبي والإلهام هو تعريض الأمر الغيبي والعلم الحاصل عن الوحي يسمى علماً نبوياً والعلم الذي يحصل عن الإلهام يسمى علماً لدنياً.

ويذكر الغزالي بالحديث الشريف للرسول ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه» والمقصود بالفطرة هنا هو الإسلام ويؤكد على ارتباط هذا الأمر بالحاسة الدينية عند البشر.

علم النفس الأخلاقي الفضيلة والسعادة

نقصد بعلم النفس الأخلاقي نظرية الغزالي في قوى النفس الإنسانية وعلاقتها بالسلوك الأخلاقي الذي يوصل الإنسان المسلم إلى الفضيلة والسعادة.

ونناقشها في النقاط الآتية:

1. تعريف الفضيلة: الفضيلة هي الفعل المحمود عقلاً وشرعاً وحدد المحمود بأنه الوسط بين أمرين أو بين طرفين كلاهما رذيلة.

2. أنواع الفضائل: ويشير الغزالي إلى أن الفضائل كثيرة مجملها في أربع: الحكمة، الشجاعة، العفة، العدالة.

أ. الحكمة: فضيلة للقوة العقلية وحسن قوة الحكمة أن يدرك الإنسان الفرق بين الصدق و الكذب والحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال.

ب. الشجاعة: فضيلة القوة الغضبية وهو وسط بين رذيلتين التهور والجبن ومن الشجاعة أن يصدر الإحجام والإقدام حيث يجب وكيف يجب وهذا هو الخلق الحسن المحمود وإياه يرادفه قوله ﷻ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:29]، فلا الشدة في كل مقام محمودة ولا الرحمة في كل مقام محمودة بل المحمود هو ما يوافق العقل والشرع.

ج. العفة: فضيلة النفس الشهوانية ومنها الرذيلتان الإفراط هو الشره والتفريط هو خمود الشهوة وبين الغزالي مجموعة من النصائح مثل أن شهوة الطعام خلقت لتحث على تناول الطعام الذي يعوض بدل ما يتحلل من أجزاء البدن حتى يبقى البدن سليماً فيتوصل إلى درك حقائق الأمور ومن عرف هذا كان قصده من الطعام التقوى على العبادة أي أن الطعام وسيلة لا غاية. كما أن شهوة الجماع خلقت لتكون سبباً لبقاء النوع الإنساني فيطلب النكاح للولد وللتحصن لا للإفراط في المتعة والمجون.

د. العدالة: هي جملة الفضائل وانتظامها حيث تكون القوة العقلية وفضيلتها الحكمة والقوة الغضبية وفضيلتها الشجاعة والقوة الشهوانية وفضيلتها العفة تكون جميعاً في حالة من الانتظام والتناسب بحيث ترضى جميعاً في تناسب وانسجام دون أن تطغى واحدة على الأخرى.

العلاقة بين قوى النفس والفضائل

يعطينا الغزالي مجموعة من الأمثلة تبين علاقة قوى النفس بعضها مع بعض ثم علاقتها بتحقيق الحياة الخيرة الفاضلة للإنسان وهذه الأمثلة على الوجه التالي:

- المثال الأول: مثل نفس الإنسان في بدنه كمثل وال في مدينته ومملكته فإن البدن مملكة النفس وعالمه ومستقره ومدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعمال والقوة العقلية أو المفكرة بمثابة المشير الناصح والوزير العاقل والشهوة عبد سوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة والغضب والحمية كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة (أي الشهوة) كالكذب المكار المخادع وعلى الوالي أن يطلب النصح من الوزير العاقل وألا يطلبه من العبد الكذاب المخادع ذلك عليه أن يسوس صاحب الشرطة ويخضعه للوزير العاقل.
- المثال الثاني: إن البدن كالمدينة والعقل ملك مدبر لها. والقوى المدركة سواء من الظاهر أو من الباطن أعوانه وأعضاء الجسم هي بمثابة الرعية والشهوة هي النفس الأمارة بالسوء. والغضب عدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته. فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم في هذا الثغر ومرابط فيه. فإن جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يجب حمد أثره. وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره.
- المثال الثالث: مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه كالكلب. فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح. أما إذا كان الفارس أخرقاً وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً ساءت العاقبة.

والأمر المهم من موقف الغزالي ونظرته إلى الفضيلة أن إتيانها لا بد أن يكون عن إرادة الإنسان واختياره الحر.

ويؤكد الغزالي على أربعة أمور:

- الأمر الأول: فعل الحسن أو القبيح.
- الأمر الثاني: القدرة عليهما.
- الأمر الثالث: المعرفة بهما.
- الأمر الرابع: هل هيئة النفس تميل إلى أحد الجانبين وتسير عليه لأحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

إذن الخلق هو الهيئة التي تعد النفس لأن يصدر منها الإمساك والبذل. فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

السعادة الإنسانية

خصص الغزالي لهذا الموضوع رسالة أسماها «كيمياء السعادة» ويقصد بكيمياء السعادة محاكاة الكيمياء القديمة في تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة قاصداً بذلك تحويل سلوك الإنسان من سلوك رديء إلى سلوك طيب فاضل.

ويذكر الغزالي أن الإنسان جمع في باطنه صفات من صفات البهائم ومن صفات السباع ومن صفات الشياطين ومن صفات الملائكة وسعادة البهائم من الأكل والشرب والنوم والنكاح وسعادة السباع في الضرب والفتك وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وليس للغضب أو الشهوة إليهم من سبيل. إن السعادة عند الإنسان في اعتدال قوتين قوة الشهوة وقوة الغضب.

اللذة والسعادة الكبرى عند الغزالي بالنسبة للبشر إنما تكون في معرفة الله ﷻ وهي مصدر دائم للسعادة.

أما من إتبع نفسه هواها وغلبت على حياته الشهوات والرذائل حرم من السعادة وشقي ومني بحسرة كبرى وألم عظيم بعد الموت.

وإن اتفق له أن يحقق شيئاً من اللذات الرخيصة في الحياة الدنيا فهي لا شيء بالقياس لما يلقاه من عذاب في الحياة الآخرة وهي لا شيء أيضاً من مشاعر اللذة والسعادة التي تعانيها الروح عندما تستشعر معرفة الله ﷻ.

السبيل إلى بلوغ الفضيلة والسعادة

السبيل الذي رآه الغزالي موصلاً لتحصيل الفضيلة والسعادة يمزج فيه بطرف من الدين وطرف من العقل حيث ربط العبادات في صورتها الإسلامية بمنهج تكوين العادة في الإنسان وهو ما أسماها الرياضة النفسية والمجاهدة الروحية وهي أولى مراحل تكوين العادة هو إدراك العقل لما يطلب أن يكون عادة للإنسان وحمل النفس بالإرادة على الإتيان به ثم بعد ذلك تكراره حتى يصبح عادة ويستغني بعد ذلك عن الإدراك والإرادة هو ربط بين الدين والعقل وأوضح أن كل منهما يتوقف عليه الطريق السليم لتحصيل الفضيلة.

كما أن الغزالي كان يرفض القول بجبلية السلوك الإنساني بل كان يرى أن هذا السلوك مطاوع قابل للتغيير والتعديل عن طريق التربية الدينية ومجاهدة النفس وهو يؤكد أن

الخُلق هو صورة الباطل قابل للتغيير أو التعديل بينما الخَلق بفتح الخاء الذي هو صورة الظاهر غير قابل للتغيير أي أنه من الممكن أن يتغير سلوك الإنسان أو خلقه من الخطأ إلى الصواب وليس من الممكن تغيير خلقة الإنسان وهيئته من القبح إلى الجمال ومن الطول إلى القصر.

غاية العمل الخُلقي

يذكر الغزالي أن غاية الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله ﷻ. فلا يكون شيء أحب إلى العبد من لقاء الله ﷻ. فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه. وأن يسخر غضبه وشهوته بأن يكونا موزونين بميزان الشرع والعقل. فالمتعة النفسية والتلذذ الروحي حلقة أخيرة في غاية العمل الخلقي عند الغزالي. وقبل هذه الحلقة حلقة مباشرة، هو أن يغلب على النفس حب الله ﷻ دون حب الدنيا. وألا يكون شيء أحب إلى النفس من لقاء الله تعالى. إن هذا اللقاء هو قمة السعادة النفسية للإنسان في نظر الغزالي.

أسئلة للمناقشة

1. اشرح الأزمة النفسية التي مرت بالغزالي وأثرها على حياته.
2. عرف الغضب وبين أسباب وطريق علاجه عند الغزالي.
3. عرف الحقد وبين أسبابه وطريق علاجه.
4. عرف الحسد وبين أسبابه وعلاجه.
5. تحدث عن التوجيهات التربوية والنفسية عند الغزالي.
6. (الحاسة الدينية موجودة بالفطرة عند جميع الناس). اشرح هذه العبارة من وجهة نظر الغزالي.
7. تحدث عن نظرية الغزالي في الفضيلة.
8. كيف تتحقق السعادة في نظر الغزالي؟



القسم الثالث

قياس الشخصية



الباب الاول

الاختبارات الموضوعية للشخصية



الفصل الأول

اختبار الشخصية المتعدد الأوجه « مينسوتا »

Minnesota Multiphase Personality Inventory (MMPI)

مقدمة

ظهر اختبار الشخصية المتعدد الأوجه لأول مرة في أمريكا عام 1943م وذلك لكي يعطي تقديراً موضوعياً لبعض السمات الرئيسية في الشخصية والتي تؤثر على التوافق الذاتي والاجتماعي للفرد، وتمثل مقاييسه المختلفة وسائل لقياس شخصية الراشدين الذين يجيدون القراءة والكتابة، وقد أعدت أولاً تسعة مقاييس إكلينيكية وسميت باسم الحالات الشاذة أو المشتطة التي تم على أساسها بناء واستخراج هذه المقاييس، والمقاييس هي: توهم المرض، والانقباض أو الاكتئاب، والهستيريا، والسيكوباتي المنحرف، والذكورة – الأنوثة، والبرانويا أو جنون الهذاء، والسيكاثينيا أو الخور النفسي، والفصام، والهوس الخفيف، ثم اشتق بعد ذلك مقياس الانطواء الاجتماعي. هذا إلى جانب أربعة مقاييس صدق هي: الدرجة لا أستطيع أن أقرر، ومقياس الكذب، ومقياس الخطأ، ومقياس التصحيح، وجاري منذ نشر الاختبار وحتى الآن اشتقاق مقاييس جديدة تبلغ عدة مئات.

والاختبار على صورتين: في الصورة الأولى تقدم عبارات الاختبار في بطاقات، وهذه الصورة غير منتشرة، أما الصورة الثانية وهي المعرفة عالمياً فهي على هيئة كتيب وتسمى الصورة الجمعية (وهي المتداولة أيضاً في العالم العربي ومن إعداد عطية هنا، عماد الدين إسماعيل، لويس كامل مليكة) وتحتوي على (550) عبارة بالإضافة إلى (16) عبارة مكررة في كتيب الأسئلة وفي ورقة الإجابة، وقد اقتضى ذلك التكرار التصميم الذي تم إعداده لتصحيح أوراق الإجابة آلياً.

والاختبار من إعداد ستراك هاثاواي Hathaway وهو أخصائي نفسي أمريكي، متعاون مع شارلي ماكنلي Mackinely وهو طبيب نفسي أمريكي، إلى جانب هذين العالمين

توفر العديد من العلماء على الاهتمام بالاختبار وعلى رأسهم داهلستروم Dahlstrom وولش Welsh وجاف Gough.

ومما يجدر ذكره أن تطبيق اختبار الشخصية المتعدد الأوجه يتطلب مهارة مهنية أقل بكثير مما تتطلبه الكثير من وسائل قياس الشخصية، إلا أنه يجب أن نتذكر أن تطبيق أي اختبار للشخصية هو عمل مهني يجب أن يتم بأكبر قدر ممكن من الكفاءة؛ وللاختبار طريقة بسيطة في التطبيق ويمكن للأخصائي النفسي المبتدئ تطبيقه دون عناء.

والأفراد الذين يبلغون السادسة عشرة ومستواهم التعليمي متوسط يستطيعون فهم عبارات الاختبار والإجابة عليها، والاختبار عبارة عن كراسة أسئلة وورقة إجابة، وعلى المفحوص أن يجيب بنعم أو لا على أسئلة الاختبار ويدون ذلك في ورقة الإجابة، وتسمح التعليمات للمفحوص بأن يترك بعض الأسئلة دون إجابة ولكن ذلك يجب أن يكون في أضيق الحدود.

ونتحدث عن مقاييس هذا الاختبار في النقاط الآتية:

أولاً: مقاييس الصدق

1. الدرجة لا استطيع ان اقرر Cannot Say Score

بالرغم من أن هذه الدرجة توضع على الصفحة النفسية وعلى ورقة إجابة الاختبار شأنها في ذلك شأن المقاييس الأخرى إلا أنها لا تعد مقياساً بالمعنى المعتاد، وتسمح التعليمات للمفحوص بأن يقرر أن ثمة عبارات معينة لا تنطبق عليه ومن ثم لا يستطيع الإجابة عنها، وعدد هذه العبارات هو الذي يشكل الدرجة على هذا المقياس.

ولا توجد درجات تائية لهذا المقياس مشتقة من عينة التقنين. ومن المستحسن أن تكون هذه الدرجة اقل ما يمكن، زبدة القول إن أي عبارة تدخل في هذه الدرجة معناه أن عبارة قد حذفت من الاختبار أي ترك المفحوص الإجابة عليها، وهذا الحذف يؤدي إلى الحد أو التقليل من قيمة الصفحة النفسية للمفحوص.

وثمة أسباب عديدة لترك المفحوص بعض العبارات دون إجابة مثل بعض الأفراد الذين يصيبهم الاضطراب أو الانفعال من قراءة العبارات ويستغرقون في تأويل محتوى العبارات ويفرغون عليها دلالات غريبة، أو أحد الأفراد الذين يعانون من الاكتئاب الشديد، فإن إجراء الاختبار يبدو وكأنه إجراء غريب لأنه أمر يتصل بصراعاته وتناقضاته الوجدانية، ولأن المكتئب يرى نفسه أحياناً وكأنه شخص لا أهمية له، أو ينظر إلى الأمور من وجهة نظر

تشاؤمية لذلك يترك عدداً كبيراً من الأسئلة دون إجابة. كما أن المصابين بالبرانويا وما يتخلونه من حيطة وحذر وشك بحيث يرى في بعض العبارات تجسساً عليه فيتركها دون إجابة كما أن عدم وجود دافعية كبيرة عند المفحوص لأداء الاختبار يجعله يهمل الإجابة على بعض العبارات.

2. مقياس الكذب L Lie Score

(15 عبارة)

أعدت عبارات هذا المقياس بحيث يسهل عدها في ورقة الإجابة وتصحح بسهولة ويسر دون استخدام مفتاح للتصحيح، وتدور عبارات المقياس حول مشاعر العدوان والأفكار السيئة أو الشريرة أو الإغراءات ونقص القدرة على التكامل والضبط، وهذه العبارات واضحة ليست غامضة وهي تتضمن أموراً غير مرغوبة اجتماعياً، ومن المفروض أن أغلب الناس سوف يجيبون بأن العبارات تنطبق عليهم بالرغم من أن العبارات تتصل بمشاعر أو أفعال مكروهة.

وقد أعد هذا المقياس لتحديد مدى الصراحة والإفصاح التي يجيب بهما المفحوص على عبارات الاختبار، والدرجة المنخفضة على المقياس تشير إلى رغبة المفحوص في الإقرار بالعيوب والوعي بالذات والاستجابة الاجتماعية ورغبة في الإبانة عن الذات والنضج والسوء، كما أن انخفاض الدرجة على المقياس يشير إلى تمتع المفحوص بالارتياح وعدم الحرج في عرض العيوب الشخصية، أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى اتصاف المفحوص بالدفاعية والحساسية الزائدة، هذا إلى جانب الجمود والسلبية أو فقد الشعور بالأمن ونقص الاستبصار بالذات. وقد يكون ارتفاع الدرجة بسبب سوء تأويل أو فهم بعض العبارات.

3. مقياس الخطأ «ف» «F» Validity Scale

(64) عبارة

من النادر أن يجيب الأشخاص الأسوياء على عبارات المقياس بالصورة التي تصحح بها، أي أن الشخص الذي يحسن فهم وقراءة عبارات القياس يندر أن يجيب عليها في الاتجاه، ودور هذا المقياس حاسم في تقرير صدق الصفحة النفسية.

وتدور عبارات المقياس حول الاعتقادات والأفكار الغريبة أو التبلد وإنكار الروابط الاجتماعية، كما أن مجموعة من العبارات تختص بالعلاقات الأسرية أو تجارب الطفولة ومنها ما يتصل بالدين والاتجاهات نحو القانون ونقص القدرة على ضبط الاندفاعات. وثمة

مجموعة من الأسباب تؤدي إلى ارتفاع الدرجة على المقياس منها تجاهل المفحوص للتعليمات أو عدم فهم العبارات أو محاولة المفحوص الظهور بمظهر غير متكامل أو أنه ينشد الهروب من المسؤولية.

والدرجة المنخفضة على المقياس تشير إلى صفات في المفحوص أهمها الإخلاص والهدوء وعدم الرغبة في التظاهر والاعتدال والبساطة وإمكانية الاعتماد عليه والصبر والشجاعة وقلة الحماس.

والدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى صفات في المفحوص أهمها شدة الانفعال وحب الاستطلاع وتقلب المزاج والانتهازية والتغلب والمكابرة والثرثرة وعدم الثبات.

4. مقياس التصحيح «ك» «K» Correction Scale

(30 عبارة)

أعد هذا المقياس بغرض تعرف اتجاه المفحوص حيال الاختبار، وهذا الاتجاه نحو الاختبار يُظهر ما قد يتسم به المفحوص من الدفاعية الشخصية أو الإقرار بالعيوب والمتاعب.

وتدور عبارات المقياس حول الرغبات المكروهة مثل الرغبة في السب أو التحطيم والعناد وعدم الاهتمام بالنوم والنقد وعدم الاهتمام بالآخرين وعدم الرغبة في الاستسلام والرغبة في التكتم.

وثمة بعض النتائج المهمة على هذا المقياس نجملها فيما يلي:

1. إن المفحوص الذي يجيب على معظم العبارات في الاتجاه التي تصحح به يتصف بالرضا عن الذات.
2. إن المقياس يقيس الجوانب التي يمكن أن تندرج تحت وصف الدفاعية.
3. يرتبط المقياس مع مفهوم قوة الأنا وثبات الذات وحسن الاستجابة للعلاج.

والدرجة المنخفضة على هذا المقياس تشير إلى صفات في المفحوص مثل اليقظة والحذر والكف والمسالمة والاعتزال والضحالة وبطء الإيقاع الشخصي والاستسلام للسلطة والامتثال للتقاليد.

أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى صفات في المفحوص مثل الجسارة والمهارة والعدوانية ونضوج الفكر والحيوية وتعدد الاهتمامات والمبادأة والفجاجة والتسرع إلى جانب الرغبة في جذب الانتباه والاستعراضية ومواجهة المواقف، هذا إلى شدة المراس.

ملحوظة...

هذا المقياس إلى جانب صلاحيته كمقياس صدق، فإن له استخدام إضافي، بحيث تزاد الدرجة الخام على المقياس «ك» أو جزء منها إلى بعض المقاييس الأخرى وذلك لإعطاء هذه المقاييس قوة تشخيصية أكبر، وذلك على النحو التالي:

(مقياس توهم المرض 0.5ك – مقياس السيكوباتي المنحرف 0.4ك – مقياس السيكاثينيا ك كاملة – مقياس الفصام ك كاملة – مقياس الانطواء الاجتماعي 0.2ك) راجع الحاشية «د» كمثال توضيحي.

ثانياً: المقاييس الإكلينيكية

1- مقياس توهم المرض «هـ س» «Hs» Hypochondriasis

(33 عبارة)

هذا المقياس محاولة لقياس خصائص الشخصية التي ترجع إلى النموذج العصابي لتوهم المرض، والأفراد الذين يتم تشخيصهم على أساس أنهم يعانون هذا الاضطراب يبدون خوفاً واهتماماً شاذاً بالوظائف الجسمية، وهذه المخاوف والاهتمامات لا تستند إلى أساس سليم من اضطرابات فعلية في الجسم وهذا القلق يسود حياتهم ويؤثر عليها بشدة، وغالباً ما يحد بصورة خطيرة من مجال نشاطهم وعلاقاتهم، والصورة الكلاسيكية لمتوهم المرض تتضمن التمركز حول الذات والفجاجة وجماعات المحك التي صمم أساسها المقياس تعاني من اضطرابات تدور حول توهم المرض.

وتدور عبارات المقياس حول مختلف الشكاوي الجسمية والشعور بالآلام العامة وشكاوى حول الهضم والتنفس والإبصار والنوم، وكذلك بعض الإحساسات الغريبة، كما تتضمن العبارات شكاوى عن الصحة العامة والمنافسة والقدرة على العمل.

وتشير الدرجة المنخفضة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل اليقظة والمرح والمظهر الطيب والشعور بالمسؤولية واليقظة والذكاء والانفتاح والمبادأة، إلى جانب الخلو من تضخيم الذات أو تضخيم المشاكل.

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الاجتماعية بمعنى حسن المخالطة والصدارة في المواقف الاجتماعية والحماس والعطف والقدرة على معالجة عدة موضوعات إلى جانب الشجاعة واتساع الميول.

ملحوظة...

من المهم أن نذكر أن المريض الجسمي عندما يبدي درجة مرتفعة جداً على المقياس (ما يزيد عن 70 تائية) فإن معنى هذا أنه بحاجة إلى علاج نفسي لأن هذه الدرجة المرتفعة جداً دليل على اهتمام مسرف بالوظائف الجسمية بما يؤدي إلى القلق المؤثر سلباً على حياة المريض الجسمي.

2. مقياس الاكتئاب «د» «D» Depression

(60 عبارة)

صمم هذا المقياس بغرض قياس درجة أو عمق نموذج الأعراض المرضية للاكتئاب، ويتميز الاكتئاب بنظرة متشائمة للحياة والمستقبل وشعور بالقنوط وعدم الجدارة، وبطء في الفكر والعمل وغزارة الأفكار حول الموت والانتحار، والجماعة المرضية الذي صمم على أساسها المقياس أبدت أعراض انقباضية وإن كانت هذه الأعراض ليست شديدة الحدة.

وتدور عبارات المقياس حول مختلف الشكاوى الجسمية والشعور بالآلام العامة وشكاوى حول الهضم والتنفس و الإبصار والنوم، وكذلك تصف العبارات الشعور بعدم الكفاية في أداء العمل بصورة مرضية، وثمة مجموعة أخرى من العبارات تشير إلى أعراض جسمية مثل اضطراب النوم أو اضطراب الهضم.

وتشير الدرجة المنخفضة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل النشاط والكفاءة في العمل والثبات الانفعالي وسرعة التكيف والنشاط والمغامرة والعجب الذاتي الذي يصل إلى حد الصلف.

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل التحفظ والابتعاد الاجتماعي، وعدم الرضا بوجه عام وشدة الانفعال والتعرض للهموم والحيوية، إلى جانب الانعزالية والتبلد والمراوغة وسرعة التقلب الانفعالي وتحمل الآلام والصبر والمسالمة، وذلك بالإضافة إلى الإسراف في ضبط النفس وبطء الإيقاع الشخصي والتردد في اتخاذ القرارات. إلا أنه يتصف بتحمل المسؤولية والضمير الحي ولكن تعوزه الثقة بنفسه.

3. مقياس الهستيريا «هـ ي» Hysteria «Hy»

(60 عبارة)

أعد مقياس الهستيريا للمساعدة في تحديد المرضى الذين يستخدمون الحيل الدفاعية العصابية للهستيريا التحويلية، ويظهر أن هؤلاء المرضى يتخذون من أعراضهم الجسمية وسيلة لمواجهة الصراعات المعقدة أو لتجنب المسؤوليات الجسمية، وهذا الاستغلال للاضطراب العضوي لا يظهر إلا تحت الضغط بينما لا يظهر في الظروف العادية أية مظاهر غير سوية للشخصية، وقد اختيرت عبارات المقاييس على أساس قدرتها التمييزية بين الأسوياء وجماعات من المرضى المصابين بالهستيريا التحويلية.

وتدور عبارات المقياس حول موضوعين رئيسيين الأول الأعراض البدنية أو الجسمية والثاني السهولة واليسر في العلاقات الاجتماعية، هذا إلى جانب عبارات تتضمن إنكار المتاعب وإنكار عدم الكفاية، كما أن بعض عبارات الاختبار هي بمثابة إعلان رافض أن الآخرين أهل للثقة والحب والمسؤولية.

وتشير الدرجة المنخفضة على مقياس الهستيريا إلى صفات في المفحوص مثل الثقة بالنفس مع نقص الجدية في العمل بالنسبة للإناث، أما الذكور فيوصفون بالبرود والمسالمة واتباع التقاليد (لاحظ الفروق بين صفات الذكور والإناث على هذا المقياس خاصة).

أما الدرجة المرتفعة بالنسبة للإناث فإنهن يوصفن بالصراحة والتحمس وإهمال المظهر، وبالنسبة للذكور فهم يوصفون بسداد الحكم والمثابرة والإقدام والجرأة والإقدام الاجتماعي.

4. مقياس الانحراف السيكوباتي «ب د» Psychopathic Deviate «Pd»

(50 عبارة)

أعد هذا المقياس بغرض تحديد خصائص الشخصية للجماعات اللاأخلاقية واللااجتماعية التي تعاني من اضطرابات سيكوباتية في الشخصية، ولهذا سمي المقياس السيكوباتي المنحرف، والسمات الرئيسة المميزة لهذا النموذج -كما هو معلوم- هو التجاهل المستمر للعادات والمعايير الاجتماعية وعدم القدرة على الإفادة من التجارب العقابية والوقوع المتكرر في نفس المشاكل، هذا إلى جانب ضحالة انفعالية في العلاقات بالآخرين، وطالما أن السيكوباتي المنحرف متحرر نسبياً من الصراعات ولا يسفر عن سماته تلك إلا في الظروف الحادة، فإن السيكوباتي المنحرف قد يمضي دون أن يكتشفه أصدقاؤه ومعارفه حتى

يعرض له موقف يتطلب دليلاً على الشعور بالمسؤولية وتقديراً للأنماط الاجتماعية، ومثله في ذلك مثل المصاب بالهستيريا التحويلية تبين عنه وتفضحه المواقف الضاغطة.

وقد تشكلت جماعات المحك التي صمم المقياس على أساسها من الحالات التي تعاني من الاضطرابات النفسية والتي درست بناءً على طلب الجهات القضائية، وذلك نظراً لارتكابها الانحرافات وقد اتخذت هذه الانحرافات أشكال السرقة والكذب والتخلي عن الواجب والاستهتار الجنسي والانغماس الكحولي الزائد دون جرائم القتل.

وعبارات المقياس ذات محتوى واسع وهي تعكس أو تبين تباعد الفرد عن أسرته وتعرضه للصدام مع السلطات المدرسية بوجه خاص والسلطة بوجه عام، وبعض العبارات تتضمن إقراراً صريحاً بما يسمى النقائض الشخصية وانخفاض الروح المعنوية والاضطرابات الجنسية.

وتشير الدرجة المنخفضة على مقياس السيكوباتي المنحرف إلى صفات في المفحوص مثل مجاراة التقاليد وضيق الميول والاهتمامات، إلى جانب الاستسلام للسلطة والمرح واعتدال والمثابرة في العمل والخجل والوداعة ولكن مع عدم الانغماس في المسؤولية.

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات مثل المغامرة والشجاعة والإقدام الاجتماعي وحسن المخالطة والثرثرة، وكذلك صفات مثل العدوانية والسخرية ومحاولة لفت الأنظار.

5. مقياس الذكورة – الأنثوية «م ف» «Mf» Masculinity – Femininity

(60 عبارة)

أعد هذا المقياس بغرض تحديد ظواهر الشخصية التي ترجع إلى الانقلاب الجنسي الذكري مما يرتبط بالشخصية السيكوباتية أو ما قد يسمى أحياناً الاضطراب الجنسي. والأشخاص من هذا النوع يبدون اتجاهات وتفضيلات غير متفقة مع جنسهم وتبدو أنثوية مثل هؤلاء الذكور في قيمهم واتجاهاتهم وميولهم وأساليب التحدث والتعبير، وهذا بالنسبة للذكور. وبالنسبة للإناث فلا توجد دراسة حاسمة. ولكن يشير المقياس بوجه عام إلى تفضيلات غير متفقة مع الجوانب الأنثوية.

وجماعات المحك التي على أساسها حددت عبارات المقياس هي بوجه عام من المنحرفين جنسياً أو المصابين بالمثلية الجنسية.

وتدور عبارات المقياس على الميول إلى مختلف الأعمال والهوايات ومقتضيات الوقت والمناشط الاجتماعية، وكذلك توجد بالمقياس عبارات تتضمن المخاوف والمتاعب والحساسية الشخصية، هذا بالإضافة إلى عبارات تتضمن الجوانب الجنسية.

وتشير الدرجة المنخفضة على المقياس بالنسبة للذكور إلى صفات مثل الثقة بالنفس والتوازن والاستقلال.

وتشير الدرجة المرتفعة على المقياس بالنسبة للذكور إلى معاناة الصراعات الداخلية والاضطراب النفسي، ومع ذلك فثمة صفات إيجابية مثل اتخاذ مواقف صريحة وواضحة تجاه الأمور.

ملحوظة...

أ. لا توجد دراسات شافية عن صفات الإناث على هذا المقياس.

ب. يصحح المقياس بالنسبة للذكور بمقياس خاص بهم، وكذلك بالنسبة للإناث بمقياس خاص بهن.

ج. مقياس الذكورة – الأنوثة صالح فقط في إطار البيئة الأمريكية ولا يصلح بصورته الحالية المثبتة في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه على البيئة العربية والمسلمة، وقد أثبتنا هذا المقياس من منطلق أمانة العرض فقط، وعدم صلاحية المقياس في البلاد العربية والإسلامية راجع إلى الفروق عبر الحضارية الشاسعة في النظر إلى مفهوم الذكورة – الأنوثة بين المجتمعات الإسلامية والمجتمع الأمريكي.

6. **مقياس البرانويا «ب ا» «Pa» Paranoia**

(40 عبارة)

أعد هذا المقياس لكي يبين النموذج المرضي للبرانويا. ومفهوم البرانويا يتضمن مجموعة من الاعتقادات الهذائية، وغالباً ما تتضمن هذاءات موضوعها السلطة والقوة والعظمة، وذلك بالرغم من أن الشخص الذي يبين من هذه الهذاءات قد يظهر وكأنه على علاقة طيبة بالواقع، ومتكامل بالنسبة لعلاقة كل نوع من هذه الهذاءات أو التوهمات مع الهذاءات الأخرى وذلك في إطار البناء الاعتقادي لهؤلاء المرضى، وهم يبدون فهماً وتفسيراً خاطئين لمواقف الحياة اليومية التي تتجاوز قدراتهم وذكاءهم فلا يستطيعون التوافق معها. وهذه السمات الهذائية قد تبدو عند المصابين بالفصام أو الذين يعانون من الاستجابات الانقباضية ونادراً ما تظهر عند الأسوياء.

وجماعات المحك التي على أساسها اشتق هـذا المقياس حـالات شخـصت علـى أنهـا بارانويا خالصة، أو شخصوا على أساس أنها حالات هذائية أو حالات فصام هذائي تـشيع فيه هذاءات الاضطهاد.

وعبارات المقياس تبين عن المراوغة والدفاعية والمرض النفسي واعتقـادات وأفكـار – لا تستند إلى أساس سـليم– مـن وجـود الـضغوط أو المؤامرات، هـذا إلى جانـب عبـارات تتضمن سوء الظن بالناس.

وتشير الدرجة المنخفضـة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل المرح والاتـزان، وحسن المخالطة ولكن مع عدم الثقة بالنفس، إلى جانب التمركز حول الذات.

وتـشير الدرجـة المرتفعـة علـى المقيـاس إلى صـفات في المفحـوص مثـل الحـساسية والانفعاليـة، والاسـتهداف للـهم مـع صـفات أخـرى مثـل الـود، والتعـاطف، والتعـاون، والشجاعة، والمسالمة، والحيوية، وحب العمل.

7. مقياس السكاثينيا او الحواز «ب ت» Psychasthenia «Pt»

(48 عبارة)

أعد هذا المقياس بقصد المساعدة في تحديد أو تشخيص النمـوذج العـصابي للحـواز. ومظاهر الشخصية التي يتضمنها الحواز هي الأفكار الوسواسية والطقوس القهريـة للـسلوك إلى جانب المخـاوف الشاذة والهمـوم وصـعوبات في التركيـز ومـشاعر الـذنب، إلى جانـب التذبذب المسرف في اتخاذ القرارات. ومـن العجيـب أن يـصاحب الحـواز أحيانـاً مـستويات مفرطة في السمو فيما يختص بالمعـايير والمـسائل الأخلاقيـة أو مـستويات الأداء في الأعمـال الذهنية، هذا بالإضافة إلى مشاعر نقد النفس واتجاهات للتقليل من شأنها.

واشتقاق هذا المقيـاس قـائم علـى أسـاس القـوة التمييزيـة لعباراتـه بـين مجموعـات الأسويات ومجموعات المصابين بالأمراض النفسية والعقلية.

وتتضمن عبارات المقياس الوساوس والطقوس القهريـة للـسلوك والمخـاوف الـشاذة والقلق وضـعف الثقـة بـالنفس والـشك في القـدرة الذاتيـة والحـساسية بـلا مـبرر والحـزن والعبوس والجمود.

وتشير الدرجة المنخفضة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل الرغبة في الإنجاز والرغبة في النجاح والحذر والتكيف وتحمل المسؤولية.

وتشير الدرجة المرتفعة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل المسالمة والعاطفية واعتدال المزاج، هذا بالإضافة إلى الفجاجة والغباوة والجمود.

8. مقياس الفصام «س ك» «Sc» Schizophrenia

(78) عبارة

أعد هذا المقياس لقياس النموذج المرضي للفصام، وهو نموذج غير متجانس بدرجة كبيرة ويحتوي على ظواهر سلوكية متعددة مثل الإغراب في السلوك والتفكير والبرود والتبلد وعدم الاهتمام والتباعد عن الآخرين، كما يتصف النموذج المرضي للفصام بظهور الضلالات والهلوسات سواء كانت عابرة أو مؤقتة، قهرية أو دائمة، كذلك يبدو بالنسبة لهذا النموذج المرضي عدم التكيف وانحسار الاهتمام بالناس والأشياء.

وبالنسبة لأسلوب إعداد واشتقاق المقياس، فقد نجح المقياس في التمييز بين الأسوياء وبين المرضى الفصاميين، ويذكر أن إعداد هذا المقياس استغرق وقتاً وجهداً أكثر من أي مقياس آخر.

وتحتوي عبارات المقياس على الأفكار الغريبة والتباعد الاجتماعي، ومغربات الإدراك ومشاعر العدوان التي يتضمنها أي وصف كلاسيكي للفصام، إلى جانب عبارات تعبر عن ضعف العلاقات الأسرية وضحالة في الاهتمامات، وكذلك عبارات تتضمن الإشارة إلى الأمور الجنسية وضعف القدرة على التركيز وضعف القدرة على ضبط التسرع.

وتشير الدرجة المنخفضة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل الاتزان والاستسلامية وتقبل السلطة والتوجيه وضبط النفس والمحافظة على التقاليد.

وتشير الدرجة المرتفعة على المقياس إلى صفات في المفحوص مثل سوء التوافق الانفعالي والاستهداف للهم وعدم الرضا عن النفس، وذلك إلى جانب المعاناة من الصراعات الداخلية والإغراب في السلوك والمكابرة والعناد.

9. مقياس الهوس الخفيف «م ا» «Ma» Hypomania

(46) عبارة

نموذج الشخصية الذي من أجله اشتق هذا المقياس هو اضطراب الهوس الخفيف، وثمة علامات تميز هذا النموذج وهو النشاط الزائد والإثارة الانفعالية وغزارة الأفكار. وهذا النشاط قد يؤدي إلى قدر كبير من الإنجازات التي غالباً ما تنقصها الكفاءة والإنتاجية، وقد تغلب على السلوك في هذه الحالات روح الفكاهة أو المرح ولكنه يكون أحياناً أخرى

ضجراً وتصدر عنه انفجارات مزاجية، وقد تدفع صفات الحماسة والتفاؤل الزائدين بالنسبة لهذا النموذج إلى محاولة القيام بما لا يقدرون عليه فعلاً.

وقد صمم هذا المقياس -أسوة بالمقاييس الأخرى- باستخدام جماعة محك ممن تتوفر فيه خصائص وسمات هذا النموذج المرضي.

وتغطي عبارات المقياس العديد من السمات أو الظواهر الكلاسيكية للهوس الخفيف مثل عبارات وصف الذات بالتضخم والإثارة وارتفاع مستوى النشاط، وبعض العبارات تتعلق بالاتجاهات الخلقية وبالعلاقات الأسرية والمنزلية.

والدرجة المنخفضة على المقياس تشير إلى صفات في المفحوص مثل الثبات والتوازن والنضج وتحمل المسؤولية وقوة الضمير، هذا إلى اتخاذ موقف واضح من المسائل الأخلاقية.

والدرجة المرتفعة على المقياس تشير إلى الاجتماعية والحماس والثرثرة وحسن التعبير والمغامرة، هذا إلى جانب حدة المزاج و لتصرف طبقاً للخاطرة الأولى.

10. صفر – مقياس الانطواء الاجتماعي «س ي» Social Introversion «Si»

(70 عبارة)

لمفهوم الانطواء تاريخ طويل في علم النفس بالنسبة لدراسة مكونات الشخصية، والانطواء يتسم بوجه عام بالانسحاب من العلاقات الاجتماعية والصلات والمسؤوليات كما يتضمن ميلاً محدوداً للناس، وعلى العكس من ذلك يتضمن الانبساط الاجتماعي ابتغاء أو التماس الصلات الاجتماعية والامتداد الاجتماعي بمعنى الميل الشديد إلى الناس.

وجماعة المحك التي اشتق على أساسها المقياس أبدت صفات اجتماعية مثل الخجل وعدم الشعور بالأمن والانسحاب من المواقف الاجتماعية.

وكما هو متوقع تدور عبارات المقياس حول عدم ارتياح الفرد في المواقف الاجتماعية أو في التعامل مع الآخرين إلى جانب عبارات تصف دلائل من عدم الشعور بالأمن والمتاعب.

والدرجة المنخفضة على هذا المقياس تشير إلى صفات في المفحوص مثل الاجتماعية وحسن المخالطة وتعدد الاتجاهات والحماس والثرثرة، إلى جانب الرغبة في لفت الأنظار أو التأثير والقوة ومنافسة الأقران، إلى جانب شيء من المكر والخداع.

والدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى صفات في المفحوصين مثل التواضع وسوء التوافق والتصرف طبقاً لقوالب نمطية، إلى جانب أنهم تعوزنهم الأصالة في تناول المشكلات كما أنهم لا يستطيعون اتخاذ القرارات إلا بعد تردد أو تذبذب، هذا إلى جانب الاستسلام للسلطة.

حاشية «أ»

تفسير نتائج اختبار الشخصية المتعدد الأوجه المرسومة على الصفحة النفسية

الصفحة النفسية أو «السيكوجراف» هو رسم بياني يمثل درجات المفحوص على مقاييس اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ودرجات المفحوص هذه هي الدرجات الخام محولة إلى درجات تائية، ويمكن للأخصائي النفسي أن يعرف من شكل الصفحة النفسية الأهمية النسبية لأوجه الشخصية التي يقيسها الاختبار وذلك من خلال الحكم على الدرجات التائية للمفحوص على المقاييس المختلفة، وكون هذه الدرجات مرتفعة أو منخفضة أو متوسطة أو في حدود اللاسواء.

وتراعي عند تفسير نتائج هذا الاختبار المرسومة على الصفحة النفسية عدة عبارات أهمها:

1. صدق الصفحة النفسية

تمثل مقاييس الصدق على هذا الاختبار أمرين الأول هو اتجاه المفحوص نحو الاختبار ورغبته في الإبانة عن الذات وبذا يمكن الاستدلال بالدرجات على مقاييس الصدق على صدق المقاييس الإكلينيكية، والأمر الثاني وهو يتصل بجوانب الشخصية ذاتها، ذلك أن اتجاهات بعض المفحوصين التي تتمثل في النزعة إلى تحريف الإجابة أو الظهور بمظهر لا سوي، كل هذه الأمور هي ذاتها جوانب من شخصية المفحوص وتدل الخبرة الإكلينيكية على أن مقاييس الصدق كفيلة إلى حد كبير بالكشف عن الصفحات النفسية التي تنحرف نحو الاتجاه السالب أي محاولة الحصول على درجات مرتفعة بمعنى إعطاء صورة «سيئة» عن الذات، أما الدرجات المعتدلة على مقاييس الصدق فتدل على تعاون المفحوص، أما الدرجات المنخفضة فتدل على رغبة لدى المفحوص في المبالغة في عرض عيوبه وربما بغرض استدرار العناية والاهتمام وقد اقترح جاف Gough طريقة تصحيح تفيد في الكشف عن صدق المفحوص، وهي ما أسماه «دليل التظاهر Dissimulation Index» ومعادلته كما يلي:

دليل التظاهر = الدرجة الخام على مقياس الخطأ «ف» – الدرجة الخام على مقياس التصحيح «ك»

وبالنسبة لهذا الدليل فإن الدرجات الموجبة تدل على الاتجاه نحو المبالغة في عرض المتاعب والدرجات السالبة تدل على الاتجاه نحو الدفاعية.

2. دلالة الدرجات

الصفحة النفسية القياسية تمر بالخط الأفقي الذي تمثله الدرجة التائية (50)، ثم هناك خطان آخران يمثلان الدرجات التي تقع أدنى أو أعلى هذا المتوسط بمقدار انحرافين معياريين، الخط الأول (30) درجة تائية والخط الثاني (70) درجة تائية، والخطان يحدان ما يمكن اعتباره بوجه عام المدى السوي.

وتقسم الدرجات داخل المدى السوي إلى ما يأتي:

أ. الدرجة المرتفعة هي الدرجة التائية (55) وما يزيد عنها.

ب. الدرجة المنخفضة هي الدرجة التائية (45) وما يقل عنها.

ج. المدى الواقع بين (46-54) درجة معتدلة.

د. الحد الأدنى للدرجة المعتدلة بين (46-49).

ه. الحد الأعلى للدرجة المعتدلة بين (51-54).

و. مركز الدرجة المعتدلة (50).

3. شكل الصفحة النفسية

الشكل الكلي للصفحة النفسية أكبر في الدلالة من الارتفاع في الدرجة على مقياس معين، ولذا فإن من المرغوب فيه توجيه النظر إلى الدرجات العديدة المنخفضة أو المرتفعة بدلاً من مقياس منفرد.

ومن المفيد عند التحدث عن الصفحة النفسية ككل أن نلاحظ ما يلي من علامات:

أ. الانحدار: انحدار الصفحة النفسية يمكن تقديره بملاحظة الموقع النسبي للمقاييس أرقام 1، 2، 3 (توهم المرض، الاكتئاب، الهستيريا) بالنسبة للمقاييس 6، 7، 8 (البارانويا، السيكاثينيا، الفصام) فإذا كانت الثلاثة الأخيرة أعلى من الثلاثة الأولى كان الانحدار موجباً، وإذا كانت أقل كان الانحدار سالباً، وهذا الانحدار السالب هو الذي يشيع في جماعات العصابيين.

ب. المثلث العصابي: وهو يمثل الدرجات على ثلاثة مقاييس تركز على الأعراض العصابية، وهي المقاييس أرقام 1، 2، 3 (توهم المرض، والاكتئاب، والهستيريا).

ح. الرباعي الذهاني: وهو يمثل الدرجات على أربعة مقاييس تركز على الأعراض الذهانية، وهي المقاييس أرقام 6، 7، 8، 9 (البرانويا، والسيكاثينيا، والفصام، والهوس الخفيف).

كما تسمى الصفحة النفسية «غاطسة» إذا كانت الدرجات التائية للمفحوص على المقاييس المختلفة دون (50) درجة تائية.

كما تسمى الصفحة النفسية «بينية» إذا كانت معظم الدرجات التائية للمفحوص في أعلى الستينات التائية.

ملحوظة: رموز المقاييس الرقمية كما يلي:

أ. توهم المرض 1.

ب. الاكتئاب 2.

ج. الهستيريا 3.

د. الانحراف السيكوباتي 4.

هـ. الذكورة الأنوثة 5.

و. البرانويا 6.

ز. السيكاثينيا 7.

ح. الفصام 8.

ط. الهوس الخفيف 9.

ي. الانطواء الاجتماعي صفر.

حاشية «ب»

نموذج لتفسير نتائج اختبار الشخصية المتعدد الأوجه باستخدام الحاسب الآلي

- (البرنامج من إعداد جيمس بتشر Butcher).
- الاسم: س.
- النوع: أنثى.
- السن: 44.

1. صدق الصفحة النفسية

تتميز الصفحة النفسية بالصدق حيث بدت المفحوصة متعاونة ولها رغبة في الإفصاح عن الذات، بل تميل إلى الصراحة الزائدة. ويمكن تفسير هذه الصراحة الزائدة برغبة في المبالغة في إظهار العيوب وذلك حتى تستدر المساعدة.

2. نماذج الأعراض

تبدي المفحوصة قلقاً حول الأعراض الجسمية، كما تعاني من بعض مشكلات التوافق النفسي، ويبدو أن شكواها الجسمية مبالغ فيها وهي مظهر من مظاهر سوء التوافق، وهي تشعر بالتوتر والعصبية وأنها تحتاج إلى قدر من الرعاية فيما يختص بحالتها الجسمية، وهي تتصور أن الآخرين لا يقدرون المتاعب المتعلقة بحالتها الجسمية، كما أنها تكون في حالة من التوتر وتصبح عدوانية إذا لم يتوفر «التفهم المناسب» لحالتها الجسمية.

وعديد من الأفراد من نموذج الصفحة النفسية هذا لهم تاريخ في معاناة الاضطرابات النفسية الفسيولوجية حيث يستجيبون للمشكلات التي تواجههم باللجوء إلى الشكاوى من الأعراض الجسمية مثل اضطرابات الجهاز الهضمي، ومن المهم التأكد من وجود أو عدم وجود أعراض مرضية جسمية عند المفحوصة.

وتشير استجاباتها إلى معاناة مشاعر الذنب وعدم الجدارة والشعور بالأسى والتعاسة، ولا ترى في الحياة «نكهة» ومن تحليل مضمون إجاباتها على عبارات الاختبار يبدو أنها تعاني من اضطراب الذاكرة وعدم القدرة على التركيز، هذا إلى عدم القدرة على اتخاذ القرارات وتبدي قدراً من الانسحابية وعدم الحماس والتفكير في الانتحار.

3. العلاقات الاجتماعية

تبدو علاقة المفحوصة بالناس من النموذج السلبي، وربما يرجع ذلك إلى عدم توفر السعادة في حياتها الزوجية، وهي شخصية انطوائية وتعاني من المشاكل في التعامل مع الآخرين كما أنها تعاني من الخجل والجمود في المواقف الاجتماعية، هذا إلى جانب أنها تشعر بالكراهية تجاه الآخرين، وهي إلى جانب ذلك شخصية منافسة ولكنها غير متعاونة وحساسة تجاه الآخرين.

4. اقتراحات التشخيص

الأشخاص من هذا النموذج من الصفحة النفسية يعتبرون من العصابيين، كما أنهم يعانون من اضطرابات سيكوسوماتية مثل اضطرابات الهضم أو ارتفاع ضغط الدم.

ملحوظة

هذا التقرير التفسيري لنتيجة اختبار الشخصية المتعدد الأوجه يمكن أن يستخدم كمصدر للمعلومات ومصدر لافتراضات عن المفحوصة، والأوصاف والنتائج الموجودة بهذا التقرير ليست نهائية وتحتاج إلى التأكد منها عن طريق وسائل القياس الإكلينيكي الأخرى.

والمعلومات الواردة بهذا التقرير لا يجب أن يتصدى للتعامل معها إلا الأخصائي النفسي المتمرس المؤهل، وهذا التقرير هو وثيقة علمية وثبوتية معتبرة.

حاشية «ج»

تفسير الصفحة النفسية على الصورة العربية من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه

- الأخصائي النفسي: محمد شحاتة ربيع.
- نموذج لمفحوص (معايير مصرية).

الاسم: س.

- المهنة: مدرس (خبرة 25 سنة).
- السن: 51 سنة.
- الحالة الاجتماعية: متزوج.

أولاً: مقاييس الصدق

1. **مقياس الكذب «ل» خام 4 تائية 41**

وهي درجة منخفضة تدل على أن المفحوص لديه استعداد للصراحة والإفصاح وأنه لا يحاول الكذب أو تغطية عيوبه الشخصية أو إنكارها، والمفحوص لديه نية للإبانة عن مشاعره واتجاهاته وأنه يتسم بعدم التمويه وكذ. يتسم بنقد النفس.

2. **مقياس الخطأ «ف» خام 10 تائية 49**

وهي درجة معتدلة وتدل على قدر متوسط ومقبول من تفهم عبارات الاختبار، وأنه بذل الجهد في قراءتها واتباع التعليمات المعطاة.

3. **مقياس التصحيح «ك» خام 14 تائية 50**

وهي درجة معتدلة، وفي هذا إشارة إلى أن دفاعية المفحوص متوسطة ليست شديدة وليست متهافتة، هذ إلى أن المفحوص يبدي موقفاً معتدلاً من الإقرار بالعيوب والمتاعب الشخصية.

4. **دليل التظاهر - 4**

إشارة إلى قدر معتدل من الدفاعية.

ثانياً: المقاييس الإكلينيكية

1. توهم المرض «هـ س» خام 11 تائية 55
+0.5 ك تائية 54

وهي درجة معتدلة بوجه عام وفي هذا إشارة إلى أن المفحوص يستوي من حيث توهمات المرض مع الأسوياء، وأن الاهتمام الزائد بالوظائف الجسمية عند المفحوص لا يختلف عن بقية الناس.

2. الاكتئاب د خام 27 تائية 61

وهي درجة مرتفعة –وأعلى درجات المثلث العصابي- وتشير إلى أن المفحوص يعاني من أعراض اكتئابية والتحفظ والابتعاد الاجتماعي والحساسية، ولكن رغم ارتفاع هذه الدرجة فإنها لا تخرج المفحوص عن حدود السواء.

3. الهستيريا «هـ ى» خام 24 تائية 57

وهي في أدنى درجات الارتفاع ولكنها لا تشير إلى اقتراب المفحوص من النموذج الهستيري.

4. الانحراف السيكوباتي «ب د» خام 25 تائية 61
+ 0.4 ك 31 تائية 65

وهي درجة مرتفعة ويبرز هذا المقياس في الصفحة النفسية يدل على مخالفة المعايير الاجتماعية، وعدم الاقتناع بها وقدر من الضحالة الانفعالية، ومن الصفات التي يمكن أن يتصف بها المفحوص المغامرة والإقدام وحب المخالطة، هذا إلى جانب لفت الأنظار وعدم التكامل الاجتماعي.

5. الذكورة – الأنوثة «م ف» خام 37 تائية 64

وهي درجة مرتفعة ومعلوم أن هذا المقياس أعد للإبانة عن ظواهر الشخصية التي ترجع إلى الانقلاب الجنسي الذكري.

وهذه الزمرة من الأعراض مرتبطة بالشخصية السيكوباتية، وليس من قبيل الصدفة أن تتقارب الدرجة التائية على المقياسين (الذكورة – الأنوثة والسيكوباتية) إلى حد التساوي مما يدل على أن المفحوص متسق مع نفسه في الإفصاح عن اتجاهه السيكوباتي، وإلى جانب

ذلك يشير هذا الارتفاع إلى ميول أنثوية لدى المفحوص في الأعمال والهوايات والنشاط الاجتماعية.

6. البرانويا «ب أ» خام 14 تائية 55

وهي درجة في أدنى درجات الارتفاع وتقترب من أن تكون معتدلة، وتشير إلى أن المفحوص لا يختلف عن عموم الأسوياء فيما يهدف مقياس البرانويا إلى مقياسه.

7. السيكاثينيا «ب ت» خام 18 تائية 52

+ك 32 تائية 52

وهي درجة معتدلة تدل على اعتدال المفحوص في الجوانب الحوازية أي الوسواسية وأنه لا يختلف في ذلك عن عموم الأسوياء.

8. الفصام «س ك» خام 24 تائية 55

+ك 38 تائية 56

وهي درجة تقترب جداً من الاعتدال، إشارة إلى عدم وجود أعراض سلوكية سلبية عند المفحوص.

9. الهوس الخفيف «م أ» خام 16 تائية 44

+0.2 ك 19 تائية 43

وهي درجة منخفضة وتحتل «قاع» الصفحة النفسية، وفي هذا إشارة إلى أن المفحوص يتناقض مع النموذج المرضي للهوس الخفيف، ومعناه كذلك صفات مثل نقص النشاط وركود الأفكار وضعف الحماسة إلى جانب الثبات والتوازن والنضج.

صفر – الانطواء الاجتماعي «س ي» خام 27 تائية 51

وهي درجة معتدلة وتدل لعلى أن المفحوص ليست لديه أعراض انسحابية وأنه يتساوى مع الآخرين فيما يهدف المقياس إلى قياسه.

تعليق:

نحن أمام صفحة نفسية تشير مقاييس الصدق فيها إلى أنه من الممكن الاطمئنان إلى صدق هذه الصفحة النفسية.

- لا تتجاوز أي من الدرجات التائية على المقاييس الإكلينيكية حدود السواء.

- مقياس الذكورة – الأنوثة ومقياس الانحراف السيكوباتي يمثلان قمة الصفحة النفسية.
- قاع الصفحة النفسية مقياس الهوس الخفيف.
- يغلب على المثلث العصابي اللون الاكتئابي.
- معنى ذلك أنه يغلب على هذه الصفحة النفسية اتجاه اكتئابي تشاؤمي، واتجاهات سيكوباتية ضد المعايير والتقاليد الاجتماعية، بالإضافة إلى اتجاهات لا ذكرية في الميول والاهتمامات ولكن هذه العلامات جميعاً لا تشكل اتجاهات لا سوية أو مرضية لدى المفحوص.

حاشية «د»

معلومات عامة عن الاختبار

أول صورة ظهرت لاختبار الشخصية المتعدد الأوجه عام 1943م في أمريكا.

والصورة التي ترجمت وقننت باللغة العربية صدرت عام 1947م واستمرت هذه الصورة وقتاً طويلاً كصورة معتمدة، وقام بترجمتها وتقنيتها وإعداد معاييرها على البيئة المصرية عطية هنا، وعماد الدين إسماعيل، ولويس كامل ملكية.

والصورة الحديثة جداً من الاختبار صدرت عام 1988م في أمريكا، حيث أعيد تقنين الاختبار في الفترة من (82-1988م) وتسمى الصورة (AX) وتحتوي على العبارات الأصلية، (566) عبارة حوالي (50) منها عدلت بعض ألفاظها وأضيفت (138) عبارة بحيث أصبح عدد العبارات (704) عبارات، وما تزال تنشر دراسات عن عملية تقنين هذه الصورة الجديدة.

ما أثبتناه في هذا الفصل هو عن الصورة المعتمدة عالمياً حتى الآن وهي التي صدرت عام 1947م.

- هام جداً: هناك تراكيب في عبارات الاختبار بحيث تستخدم العبارة في أكثر من مقياس، سواء مع تغيير اتجاه الإجابة أو مع إبقاء اتجاه الإجابة كما هو دون تغيير.
- أجزاء الاختبار: كتيب الأسئلة أو كراسة الأسئلة وبه 566 سؤالاً يجيب عنها المفحوص بنعم أو لا.
- ورقة الإجابة: يسود فيها المفحوص تحت نعم أو لا حسب اختياره قرين رقم السؤال، وتسمى ورقة الإجابة أحياناً «البروتوكول Protocol».
- مفاتيح التصحيح: صفحة نفسية أو ورقة التخطيط السيكولوجي يرسم فيها خط بياني يبين درجات المفحوص الخام و التائية على مقاييس الاختبار المختلفة.
- كراسة التعليمات: وفيها بيان شامل عن تاريخ الاختبار، وشرح لما تهدف مقاييس الاختبار إلى قياسه، والعديد من نتائج البحوث التي أجريت على الاختبار، وجداول المعايير الخاصة بمقاييس الاختبار.

الملخص

إن اختبار الشخصية المتعدد الأوجه يقيس السمات الرئيسية في الشخصية والتي تؤثر على التوافق الذاتي والاجتماعي للفرد، ومقاييس هذا الاختبار كما يلي:

أولاً: مقاييس الصدق

1. الدرجة لا أستطيع أن أقرر هي عدد العبارات التي تركها المفحوص دون إجابة.
2. مقياس الكذب «ك» لتحديد مدى الصراحة والإفصاح التي يجيب بها المفحوص على عبارات الاختبار.
3. مقياس الخطأ «ف» لتحديد هل يحسن المفحوص قراءة وفهم عبارات الاختبار.
4. مقياس التصحيح «ك» لقياس اتجاه المفحوص حيال الاختبار وما قد يتسم به من دفاعية.

ثانياً: المقاييس الإكلينيكية

1. مقياس توهم المرض «هـ س» لتحديد معاناة المفحوص من الاهتمام الزائد بالوظائف الجسمية.
2. مقياس الاكتئاب «د» لتحديد معاناة المفحوص من الأعراض الاكتئابية وما تتسم به من تشاؤم وشعور بالقنوط.
3. مقياس الهستيريا «هـ ى» لتحديد مدى اتخاذ المفحوص لأعراضه الجسمية وسيلة للخلاص من المواقف الأزمة أو لتجنب المسؤوليات.
4. مقياس الانحراف السيكوباتي «ب د» لتحديد مدى تجاهل المفحوص للعادات والمعايير الاجتماعية.
5. مقياس الذكورة - الأنوثة «م ف» لتحديد معالم الاضطراب الجنسي أو الانقلاب الجنسي الذكري لدى المفحوص.
6. مقياس البرانويا «ب أ» لتحديد مدى وجود اعتقادات هذائية موضوعها السلطة والقوة والعظمة لدى المفحوص.
7. مقياس السيكاثينيا «ب ت» لتحديد مدى وجود أفكار وسواسية وطقوس قهرية للسلوك لدى المفحوص.

8. مقياس الفصام "س ك" لتحديد علامات الإغراب في السلوك والتفكير أو التبلد والتباعد ووجود الضلالات والتوهمات لدى المفحوص.
9. مقياس الهوس الخفيف "م أ" لتحديد درجة النشاط الزائد والإثارة الانفعالية وغزارة الأفكار لدى المفحوص.
10. مقياس الانطواء الاجتماعي "س ي" لتحديد مستوى الانسحاب من العلاقات الاجتماعية والصلاة والمسؤوليات لدى المفحوص.

دلالة الدرجات كما يلي:

أ. الدرجة المرتفعة الدرجة التائية 55 وما يزيد عنها.

ب. الدرجة المنخفضة الدرجة التائية 45 وما يقل عنها.

ج. الدرجة المعتدلة بين 46 – 54 تائية.

د. الدرجات المتطرفة:

- 70 تائية فما فوق.
- 30 تائية فما دون.

أسئلة للمناقشة

1. بين أهمية اختبار الشخصية المتعدد الأوجه في التشخيص النفسي؟
2. بين دور مقاييس الصدق في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه؟
3. بين دور المقاييس الإكلينيكية في تحديد الأعراض المرضية للمفحوص؟
4. تحدث عن اختبار الشخصية بين الدلالة الإحصائية والدلالة الإكلينيكية النفسية؟
5. تحدث عن الاعتبارات التي يجب الأخذ بها عند تفسير الصفحة النفسية على اختبار الشخصية المتعدد الأوجه؟
6. طبق اختبار الشخصية المتعدد الأوجه على أحد المفحوصين وكانت درجاته التالية كما يلي:

مقياس الكذب (ل)	(45)	مقياس الذكورة – الأنوثة (م ف)	(54)
مقياس الخطأ (ف)	(48)	مقياس البارانويا (ب أ)	(52)
مقياس التصحيح (ك)	(52)	مقياس السيكاثينيا (ب ت)	(48)
مقياس توهم المرض (هـ س)	(65)	مقياس الفصام (س ك)	(46)
مقياس الاكتئاب (د)	(63)	مقياس الهوس الخفيف (م أ)	(50)
مقياس الهستيريا (هـ ي)	(51)	مقياس الانطواء الاجتماعي (س ي)	(63)
مقياس الانحراف السيكوباتي (ب د)	(55)		

المطلوب: كتابة تقرير نفسي عن هذا المفحوص وذلك بالاستعانة بالمثال الوارد في الحاشية (ج)؟

الفصل الثاني

اختبار كاليفورنيا للشخصية

California Psychological Inventory

مقدمة

ويسمى أحياناً قائمة كاليفورنيا النفسية ولكن نفضل التسمية المثبتة فوق، وقام بإعداد هذا الاختبار في أواخر الخمسينات من القرن العشرين الماضي أحد أعلام قياس الشخصية وهو جاف Gough، وهذا الاختبار -فيما يرى عديد من أهل الاختصاص- يلي اختبار الشخصية المتعدد الأوجه من حيث الأهمية والشهرة، وآخر طبعات هذا الاختبار صدرت عام 1987م وهي التي نخصص عنها هذا الفصل، وهذا الاختبار من الاختبارات التي تشتق معظم مقاييسها على أساس جماعات المحل، وهذا الاختبار يقيس العديد من الجوانب السوية في الشخصية والتي تشير إليها مقاييس الاختبار.

وهذا الاختبار يتكون من 462 عبارة مشتقة نسبة كبيرة منها من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه، حيث إن حوالي ثلث العبارات هي بنصها من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه، وعدد كبير آخر من العبارات مقتبس من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه بتصرف.

وثمة ميزة أساسية في اختبار كاليفورنيا للشخصية وهو أنه يستخدم بكفاءة مع الأسوياء، وتلك ميزة قد لا يتمتع بها اختبار الشخصية المتعدد الأوجه الذي يركز على النواحي الإكلينيكية، كما أن اختبار كاليفورنيا يتمتع بانتشار طيب. وهناك كم كبير من المادة العلمية التي جمعت عن هذا الاختبار بحيث يمكن الاستفادة منها في تكوين قاعدة معلوماتية عن الاختبار.

وبوجه عام يعتبر اختبار كاليفورنيا تابعاً لاختبار الشخصية المتعدد الأوجه، وإلى جانب ذلك فإنه يصلح للتطبيق على عينات الأسوياء، ومما هو جدير بالذكر أن الطبعة الأخيرة من هذا الاختبار (التي صدرت عام 1987م) لا تختلف إلا اختلافاً طفيفاً عن

الطبعات السابقة بحيث بقيت المادة العلمية والتراث العلمي الخاص بهذا الاختبار دون أن تمس.

ومما يجدر ذكره أن معايير الاختبار تقوم على أساس الدرجة التائية، كما يذكر أن معظم مقاييس الاختبار أسست من «جماعات المحك» أي على أساس محكات عملية من حيث قدرة عبارات المقاييس على التمييز بين جماعات تختلف في السمة أو الخاصية المقاسة، (فمثلاً يتم تصميم مقياس السيطرة على أساس صلاحيته للتمييز بين مجموعتين: الأولى تتسم بالميل الشديد إلى السيطرة، والثانية على خلاف ذلك)، وتؤخذ تقديرات الزملاء -مثلاً- كمحك على الميل إلى السيطرة.

ونتحدث عن هذا الاختبار في النقاط الآتية:

أولاً: مقاييس الاختبار

تتناول ثلاثة من هذه المقاييس موقف المفحوص تجاه الاختبار ورغبته في الإبانة عن الذات، أو ما يمكن اعتباره من قبيل مقاييس الصدق وهذه المقاييس الثلاثة هي:

1. مقياس الشعور بالجودة

(38 عبارة)

والأفراد من ذوي الدرجة المرتفعة جداً على المقياس الشعور بالجودة هم أشخاص يبدون الإنكار لما يعانون من مشكلات ومتاعب، أما الأفراد ذوي الدرجة المنخفضة جداً فإن ذلك إشارة إلى رغبتهم في الظهور بمظهر سوء التوافق أكثر مما هم عليه في الواقع، كأن هذا المقياس يقيس الشعور بالرفاهية أو السعادة أو كون الشخص في أحسن الأحوال. أي أن هذا المقياس يستخدم لتحديد الأشخاص الذين يقللون من أهمية متاعبهم وشكواهم وكذلك التحرر من الشكوك، أو يميلون إلى المبالغة في أهمية هذه المتاعب والشكاوى، وبالطبع فإن الأشخاص الذين يبالغون مبالغة زائدة أو يقللون تقليلاً شديداً من متاعبهم وشكواهم يعطون صورة غير دقيقة وغير حقيقية عن أنفسهم، وتشير كراسة تعليمات الاختبار إلى أن الأشخاص ذوي الدرجة المرتفعة يشعرون أنهم على صحة نفسية وجسمية جيدة، كما ينظرون إلى المستقبل بتفاؤل. أما ذوي الدرجة المنخفضة فإنهم يبدون الاهتمام الزائد بصحتهم العامة ومشكلات التوافق ويبدون قلقاً حول المستقبل.

2. مقياس الانطباع الحسن Good impression (Gi)

(40 عبارة)

والأفراد من ذوي الدرجة المرتفعة جداً على مقياس الانطباع هم أشخاص يميلون إلى إخفاء مشاكلهم وإنكار ما يعانون من اضطرابات أو صعوبات نفسية. أما الأفراد الذين يحصلون على درجات منخفضة جداً فإنه لم تسفر البحوث بعد عن صفات لهم، وربما بصفة مؤقتة يمكن أن نقترح صفات تتعارض عادة مع صفات الحاصلين على درجات مرتفعة جداً، بمعنى أن الحاصلين على درجات منخفضة جداً يميلون إلى استعراض مشكلاتهم والمبالغة في تقدير ما يعانون من صعوبات.

أي أن هذا المقياس هو لتحديد الأشخاص القادرين على إعطاء انطباع محبب أو مقبول لدى الآخرين، وكذلك يهتمون بمعرفة هذا الانطباع، وكما هو الحال في مقياس الشعور بالجودة فإن الدرجات المسرفة في الارتفاع أو الانخفاض تعني أن الشخص يعطي عن نفسه صورة غير دقيقة، وتشير كراسة تعليمات الاختبار إلى أن ذوي الدرجة المرتفعة يحاولون إعطاء الآخرين انطباعاً عاطفياً عن أنفسهم أو يعملون ما يبعث السرور في الآخرين، أما ذوي الدرجة المنخفضة فيتصرفون حسب طبيعتهم حتى ولو أدى ذلك إلى مشكلات مع الآخرين.

3. مقياس المشاركة Communality (CM)

(38 عبارة)

وتشير الدرجة المرتفعة جداً على المقياس إلى أن المفحوص يجيب على عديد من العبارات عكس الاتجاه التي تصحح به. وربما يقصد من ذلك عدم التدقيق في قراءة عبارات الاختبار أو محاولة إعطاء صورة زائفة عن الذات، أما الدرجة المنخفضة جداً فلا توجد حتى الآن دراسات شافية بخصوصها، وتشير كراسة تعليمات الاختبار أن الدرجة المرتفعة تدل على شخص يسير الأمور ويأخذها هوناً، ويرى في نفسه شخصاً عادياً. أما الدرجة المنخفضة فهي تدل على شخص يرى نفسه مخالفاً للآخرين حيث يختلف عنهم في أفكارهم وتفضيلاتهم وما إلى ذلك من عادات وتقاليد ونظرة إلى الأمور العامة.

وهذه المقاييس الثلاثة يشار إليها عادة على أنها مقاييس الصدق أي تلك التي تبين اتجاه المفحوص نحو أداء الاختبار ومدى قابليته للإبانة عن الذات أو إعطاء صورة صادقة عنها.

الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تبين عن شخصية تحاول أن تتحكم في الانفعالات والحالة المزاجية، وتتخذ موقفاً يتميز بالشعور بالفخر نتيجة ضبط النفس. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى شخصية تتسم بحدة الانفعالات والمشاعر مع عدم بذل إلا محاولات محدودة لضبط هذه الانفعالات والمشاعر، هذا إلى جانب الاتسام بصخب الحديث عند الشعور بالغضب مما يشير إلى الانفلات الانفعالي أو التسيب الانفعالي.

12. مقياس السماحة أو التحمل (To) Tolerance

(32 عبارة)

وهو لتحديد الأشخاص الذين يتسمون بالسماحة وتقبل الآخرين والذين لا يتخذون من الناس مواقف أو اتجاهات مسبقة. وتشير كراسة التعليمات إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على صفات شخص يتقبل أو يتحمل أو يسامح الآخرين من حيث آرائهم ومعتقداتهم حتى وإن كانت مخالفة لآرائه ومعتقداته، وتدل الدرجة المنخفضة على خصائص مثل عدم تحمل الآخرين أو مسامحتهم والشكل فيما يبدونه من أقوال أو أفعال.

13. مقياس الإنجاز الالتزامي (AC) Achievement Via Conformance

(38 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد العوامل التي تتصل بالميول والدوافع التي من شأنها تسهيل الإنجاز في المواقف المختلفة حيث يكون الإنجاز طبقاً للقواعد والأنظمة سلوكاً إيجابياً، وتشير كراسة التعليمات إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على خصائص مثل قوة الدافعية نحو الإجادة وحب العمل في مواقع تكون الأعمال والاختصاصات محددة بصورة واضحة. أما الدرجة المنخفضة فتدل على شخص يعاني من العمل في مواقع تكون الاختصاصات فيها محددة.

14. مقياس الإنجاز الاستقلالي (Ai) Achievement Via Independence

(36 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد العوامل التي تتصل بالميول والدوافع التي من شأنها تسهيل الإنجاز في المواقف المختلفة حيث يكون الإنجاز بتصرف واستقلال والمبادرات صفة إيجابية، وتشير كراسة التعليمات الى أن الدرجة المرتفعة تشير إلى دافعية قوية نحو الإجادة وحب العمل في الأماكن التي تشجع المبادرات الشخصية الحرة، أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى

خصائص تدل على معاناة الصعوبة في مواقف العمل التي تكون فيها القواعد والأنظمة غير واضحة ومتروكة لاجتهادات الأفراد، ولا توجد طرق وقواعد محددة قاطعة.

15. مقياس الكفاءة الذهنية Intellectual Efficiency (IE)

(42 عبارة)

وهو لتحديد مدى الكفاءة الذهنية والشخصية للفرد. وتشير كراسة التعليمات إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على الكفاءة في توظيف القدرات العقلية والقدرة على المثابرة في العمل وتحدي الملل. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى شخص يجد صعوبة في بدء العمل ناهيك عن المثابرة عليه.

16. مقياس المقدرة النفسية Psychological Mindedness (Py)

(28 عبارة)

وهو لتحديد كفاءة استجابة الفرد حيال دوافعه وحاجاته وقدرته على الاستفادة من تجارب الآخرين المتاحة أمامه. وتشير كراسة التعليمات إلى أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على سمات شخصية تتضمن الاهتمام بسلوكيات الآخرين ومحاولة فهم أسبابها ودوافعها، وجودة الحكم على تصورات الآخرين ومشاعرهم وأحكامهم. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى الاهتمامات العملية العيانية لا المجردة، وكذا الاهتمام بما يفعله الناس وليس بما يفكرون فيه أو يشعرون به.

17. مقياس المرونة Flexibility (Fx)

(28 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد درجة مرونة الفرد وتكيفه في المواقف الاجتماعية وفي مواجهة ما يستجد من أمور تستدعي التفكير والتصرف. وتشير كراسة التعليمات أن الدرجة المرتفعة على هذا المقياس تشير إلى خصائص مثل حب التغيير والتنويع والضجر من الحياة الروتينية والخبرات اليومية المتكررة مما يتماشى مع فكرة المرونة ولكن بعد ذلك قد يكون في بعض الأحيان إشارة إلى التعجل ونفاد الصبر. أما الدرجة المنخفضة، فإنها تشير إلى صفات تدور حول كراهية التغير والميل إلى الحياة الروتينية، وقد يكون ذلك أحياناً إشارة إلى الجمود أو العناد.

18. مقياس الأنوثة/الذكورة (FM) Femininity Masculinity

(32 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد الاهتمامات الأنثوية أو الذكرية للمفحوص. وتشير كراسة التعليمات أن الدرجة المرتفعة تدل على صفات مثل التعاطف والمساندة والحساسية للنقد والرغبة في تفسير الأحداث من وجهة نظر ذاتية بل والاتصاف أحياناً بالحساسية وسرعة التأثر. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى خصائص مثل الحسم والمبادأة والتوجهات العملية وعدم الخضوع للآخرين والبعد عن التصرفات العاطفية.

19. مقياس المواساة او المشاركة الوجدانية (Em) Empathy

(38 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد قدرة الشخص على مواساة الآخرين والتعاطف معهم ومشاركتهم مشاعرهم. وتشير كراسة التعليمات أن الدرجة المرتفعة تدل على الارتياح مع الذات أو تقبلها، وكذلك الشعور بأن الشخص محل تقبل الآخرين وأنه يتفهم مشاعرهم. أما الدرجة المنخفضة فتشير إلى صفات مخالفة مثل عدم التعاطف مع الآخرين والتضرر من مواقف المشاركة العاطفية أو الوجدانية.

20. مقياس الاستقلال (In) Independence

(30 عبارة)

وهذا المقياس لتحديد خصائص تتعلق بالاكتفاء بالذات والاستقلال في الفكر والعمل. وتشير كراسة التعليمات أن الدرجة المرتفعة تشير إلى خصائص مثل الاكتفاء بالذات والاستقلالية والتصرف بالمبادأة. أما الدرجة المنخفضة فتدل على خصائص مثل نقص الثقة بالذات والتماس المعونة من الآخرين.

ملحوظة مهمة

هناك تراكيب في عبارات اختبارا كاليفورنيا بحيث إنه من الممكن أن تتكرر عبارة معينة في أكثر من قياس وذلك كما هو متبع في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه.

ثانياً: مادة الاختبار وتصحيحه وتفسيره

يتكون اختبار كاليفورنيا للشخصية من 462 عبارة كما سبق أن ذكرنا، وهي في كتيب يسمى عادة كراسة الأسئلة أو كتيب الأسئلة، ويطلب من المفحوص الإجابة بنعم أو لا على

أسئلة الاختبار، وتكون الإجابة في ورقة مخصصة لذلك تسمى كما هي العادة ورقة الإجابة. ويرى جاف –مؤلف الاختبار– أن الوقت الذي يتطلبه أداء الاختبار يستغرق ساعة تقريباً، أما المستوى العمري الذي يطبق عليه الاختبار فهو من بداية مرحلة المراهقة حتى المراحل العمرية التالية في الرشد والشيخوخة.

ورغم أن كراسة التعليمات لا تحدد مستوى ثقافي معين لأداء الاختبار إلا أنه من المتفق عليه أن يتطلب أن يكون المفحوص مجيداً للقراءة والكتابة وعلى قدر معقول من التعليم، وهو ما يقارب مستوى التعليم المتوسط، (وقد قام الدكتور عطية هنا والدكتور سامي هنا بإعداد هذا الاختبار باللغة العربية تحت اسم اختبار الشخصية السوية).

وتصحيح الاختبار يمكن أن يتم عن طريق المفاتيح المثقبة أي بالطريقة اليدوية، وهي الطريقة الشائعة في العالم العربي أو عن طريق الحاسب الآلي، وتحول الدرجات الخام للمفحوص إلى درجات تائية، وكذلك يمكن أن توضع درجات المفحوص على صفحة نفسية كما هو شائع في العديد من الاختبارات النفسية، ومعايير هذا الاختبار في الصورة الأمريكية مؤسسة على عينات كبيرة جداً بلغت ما يزيد عن 13 ألف فرد من الذكور والإناث.

ومن حيث تفسير درجات الاختبار من المهم أن نذكر أن الدرجات المرتفعة على هذا الاختبار تشير بوجه عام إلى صفات إيجابية ويمكن أن نوجز أهم معالم تفسير النتائج في النقاط الآتية:

1. إن الدرجات المعتدلة أو المتوسطة، هي التي تقع في حدود 50 درجة تائية.
2. إن الدرجات المنخفضة هي أقل من 50 درجة تائية والدرجات المرتفعة هي أعلى من 50 درجة تائية، ولم تحدد كراسة التعليمات بالضبط حدود الدرجات المرتفعة أو المنخفضة، ويمكن أن نقترح –وهذا مجرد تصور مؤقت– أن مدى الارتفاع أو الانخفاض يقع في حدود درجة معيارية واحدة، أي أن الدرجة المرتفعة هي في حدود 60 تائية والمنخفضة في حدود 40 تائية.
3. إن الدرجات المنخفضة جداً والمرتفعة جداً على مقاييس الصدق تشير إلى الشك في ورقة الإجابة، ولم تحدد كراسة التعليمات بصورة قاطعة حدود الدرجة المنخفضة جداً أو المرتفعة جداً، ولكن يمكن أن نفترض أن الارتفاع الشديد والانخفاض الشديد يحدد بانحرافين معياريين أقل أو أعلى من المتوسط الحسابي بحيث تكون الدرجة التائية 70 تقريباً مرتفعة جداً وتكون الدرجة التائية 30 تقريباً منخفضة جداً.

بعد التأكد من صدق البروتوكول (أي ورقة الإجابة) تجري الخطوات التالية:

1. الخطوة الأولى: وهي النظر إلى البروفيل (الميبان النفسي) بصورة عامة من حيث ارتفاعاته وانخفاضاته، فإذا كانت معظم المقاييس تزيد عن 50 درجة تائية، فإن ذلك يكون دليلاً على أن المفحوص تسير أموره بكفاءة من الناحية النفسية والاجتماعية، أما إذا كانت معظم المقاييس في حدود الدرجة المنخفضة فإن ذلك إشارة إلى أن المفحوص يعاني من مشكلات التوافق النفسي.
2. الخطوة الثانية: النظر في كل مقياس على حدة من حيث ارتفاع أو انخفاض الدرجة التائية، ثم الرجوع إلى التفسيرات الواردة في كراسة التعليمات التي توضح خصائص ذوي الدرجات المنخفضة أو المرتفعة، وقد لخصنا أهم تلك الصفات عند الحديث عن مقاييس الاختبار، وهناك بالطبع العديد من التحفظات عن الخصائص التي تسم ذوي الدرجات المرتفعة أو المنخفضة في كراسة التعليمات، وهذا بالطبع أمر وارد في تفسير نتائج الاختبارات النفسية بوجه عام، وكذلك لم يحدد جاف حدوداً معينة للدرجات المرتفعة والمنخفضة والمرتفعة جداً والمنخفضة جداً، وما أثبتناه هنا اجتهاد على أساس تصور إحصائي وارد في عديد من اختبارات الشخصية.
3. الخطوة الثالثة: وصف عام للبروفيل (الميبان النفسي) من حيث ارتفاع أو اعتدال أو انخفاض مقاييس معينة، ولا توجد أساليب محددة لهذا الوصف، ولكن ذلك أمر متروك للأخصائي النفسي القائم على إجراء الاختبار.
4. الخطوة الرابعة: تحديد ما يسمى المتوسط الشخصي للمفحوص، وهو متوسط الدرجات التائية العشرين على الاختبار، ثم مقارنة الدرجات التائية لكل مقياس على حدة بهذا المتوسط الشخصي من حيث الاقتراب أو الابتعاد عن هذا المتوسط، أو بمعنى آخر مدى الانحراف عنه.

ثالثاً: تقييم الاختبار

مثل بقية اختبارات الشخصية الموضوعية فإن اختبار كاليفورنيا أحسن تقنينه وتجهيزه، وذلك من حيث إعداد مواد الاختبار (كراسة الأسئلة – ورقة الإجابة – الصفحة النفسية)، وكذلك التعليمات المعطاة للمفحوص، أو تعليمات عملية التصحيح أو جداول المعايير، كما أن حجم عينات التقنين يعتبر كافياً ذلك أن هذه العينات تستوعب مستويات عمرية مختلفة

ومستويات اجتماعية واقتصادية متباينة كما أعدت معايير خاصة بالذكور ومعايير خاصة بالإناث.

1. من حيث ثبات الاختبار تشير أهم دراسات الثبات إلى ما يلي:

أ. تراوحت معاملات الثبات عن طريق إعادة الاختبار بين 0.71-0.89 حيث كان يفصل بين الإجراء الأول والإجراء الثاني من أسبوع إلى أربعة أسابيع.

ب. تراوحت معاملات الثبات باستخدام معادلة «كودر ريتشاردسون» بين 0.29-0.94.

ج. تراوحت معاملات الثبات بطريقة القسمة النصفية بين 0.63-0.86.

وطبعاً فإن هذه مجرد أمثلة ويمكن الرجوع إلى كراسة تعليمات الاختبار لجمع المزيد من المعلومات عن دراسات تتناول الثبات، ولكن بوجه عام فإن الاختبار يتمتع بمعاملات ثبات مقبولة.

2. من حيث صدق الاختبار فإنه برغم أن الدراسات التي أجريت على هذا الاختبار دراسات عديدة إلا أن دراسات الصدق قليلة نسبياً، ومع ذلك فإن مقاييس اختبار كاليفورنيا للشخصية تلقى قبولاً بين جمهور الأخصائيين النفسيين منْ حيث كفاءتها في قياس ما تهدف إلى قياسه، فمثلاً أثبت مقياس التطبيع الاجتماعي كفاءته في تحديد مدى نجاح عملية التطبيع الاجتماعي بالنسبة لمجموعة من المراهقين المنحرفين الذين كانوا يتلقون برنامجاً للتوجيه الاجتماعي يهدف إلى جعلهم أكثر قبولاً وامتثالاً للمعايير والقيم الاجتماعية.

3. وكذلك درس صدق الاختبار عن طريق استخدام جماعات محك أو جماعات توصف بالاختلاف على الخصائص التي يقيسها الاختبار مما يرتبط بصدق المفهوم، حيث قورن أداء مجموعات من المنحرفين والأسوياء على مقياس التطبيع الاجتماعي. وكما هو متوقع حصل المنحرفون على درجات أدنى بكثير من الأسوياء إشارة إلى الكفاءة التمييزية للمقياس. كما درس أداء مجموعة من الطلاب ذوي المستويات الدراسية الجيدة على مقاييس مثل مقياس الإنجاز الالتزامي ومقياس الكفاءة الذهنية مقابل أداء مجموعة أخرى من الطلاب من ذوي المستويات الدراسية المنخفضة. وقد تبين ارتفاع درجات ذوي المستويات الدراسية الجيدة على المقياسين مما يدل على كفاءتهما في التمييز، حيث

أنه من المتوقع أن يتفوق ذوو المستويات الدراسية الجيدة في الجوانب التي يقيسها مقياسي الإنجاز الالتزامي، والكفاءة الذهنية.

وكذلك اهتم جاف بجمع العديد من دراسات الصدق، ومنها الصدق التنبؤي للاختبار، حيث تبين أن الاختبار يستطيع أن يتنبأ بقدر طيب من الدقة بالعديد من مظاهر السلوك بما فيها الإنجاز.

ورغم أن اختبار كاليفورنيا لم يعد أساساً للاستخدام في المجال الإكلينيكي إلا أن ثمة دراسات تناولت هذا الجانب، حيث تبين أن الطلاب الذين يترددون على العيادات النفسية ويعانون من المشكلات النفسية كانت درجاتهم على مقاييس الاختبار أقل بكثير من الطلاب الذين لا يعانون من هذه المشكلات. ومع ذلك فإن الدراسات التي تتناول كفاءة هذا الاختبار في المجال الإكلينيكي قليلة وعليها العديد من التحفظات.

وفي ختام هذه العجالة عن اختبار كاليفورنيا يمكن أن نتادى إلى القول إن هذا الاختبار يمكن أن يكون أداة معتبرة إذا استخدم بصورة صحيحة، أي في مجال الأسوياء. أما في مجال غير الأسوياء فإن النتائج الخاصة به ما تزال جداً محدودة.

الملخص

يقيس اختبار كاليفورنيا للشخصية خصائص وسمات الشخصية السوية

مقاييس الصدق

1. الشعور بالجودة: يقيس الشعور بالرفاهية والسعادة وقلة المتاعب لدى المفحوص.
2. الانطباع الحسن: يقيس قدرة المفحوص على إعطاء انطباع محبب أو مقبول لدى الآخرين.
3. المشاركة: يقيس مدى التعاون أو المشاركة في أداء الاختبار من المفحوص مقاييس السمات
4. السيطرة: لتحديد القيادة والجاذبية الاجتماعية.
5. المركز الاجتماعي: لتحديد الرغبة في الوصول إلى مركز اجتماعي مرموق.
6. الاجتماعية: لتحديد الانفتاح والامتداد الاجتماعي والمشاركة.
7. الحضور الاجتماعي: لتحديد الاتزان ورباطة الجأش في المواقف الاجتماعية.
8. تقبل الذات: لتحديد الشعور بالقيمة الذاتية والتصرف الاستقلالي.
9. المسؤولية: لتحديد الشعور بالمسؤولية ويقظة الضمير.
10. التطبيع الاجتماعي: لتحديد درجة النضج والتكامل ورجاحة الرأي.
11. ضبط النفس: لتحديد درجة ضبط النفس والخلو من الاندفاعية.
12. السماحة أو التحمل: لتحديد السماحة وتقبل الآخرين وعدم اتخاذ مواقف مسبقة.
13. الإنجاز الالتزامي: لتحديد دافعية الإنجاز في ظل القواعد والأنظمة.
14. الإنجاز الاستقلالي: لتحديد دافعية الإنجاز في ظل المبادرات الشخصية.
15. الكفاءة الذهنية: لتحديد اللياقة في توظيف القدرات العقلية.
16. المقدرة النفسية: لتحديد كفاءة الاستجابة حيال الدوافع والقدرة على الإفادة من التجارب.
17. المرونة: لتحديد المرونة والتكيف في مواجهة المواقف الجديدة.
18. الذكورة والأنوثة: لتحديد الاهتمامات الذكرية والأنثوية.
19. المواساة أو المشاركة الوجدانية: لتحديد القدرة على مواساة الآخرين والتعاطف معهم.

20. الاستقلال: لتحديد الاكتفاء بالذات والاستقلال في الفكر والعمل.

دلالة الدرجات

1. الدرجات المعتدلة أو المتوسطة 50 تائية.
2. الدرجات المنخفضة ما يقل عن 50 تائية.
3. الدرجات المرتفعة ما يزيد عن 50 تائية.

تفسير نتيجة الاختبار

بالنظر إلى عدة أمور منها مثل:

1. كون معظم المقاييس في حدود 50 تائية.
2. تحديد المقاييس المرتفعة أو المنخفضة.
3. تحديد المتوسط الشخصي للمفحوص على مقاييس الاختبار.

أسئلة للمناقشة

1. طبق اختبار كاليفورنيا للشخصية على أحد المفحوصين وكانت درجاته التالية على المقاييس المختلفة كما يلي:

المقياس	الدرجة	المقياس	الدرجة
1. الشعور بالجودة	(45)	11. ضبط النفس	(50)
2. الانطباع الحسن	(52)	12. السماحة	(52)
3. المشاركة	(48)	13. الإنجاز الالتزامي	(60)
4. السيطرة	(50)	14. الإنجاز الاستقلالي	(42)
5. المركز الاجتماعي	(62)	15. الكفاءة الذهنية	(67)
6. الاجتماعية	(58)	16. المقدرة النفسية	(62)
7. الحضور الاجتماعي	(60)	17. المرونة	(61)
8. تقبل الذات	(53)	18. الذكورة الأنوثة	(50)
9. المسؤولية	(65)	19. المواساة	(57)
10. التطبيع الاجتماعي	(60)	20. الاستقلال	(60)

المطلوب: كتابة تقرير نفسي عن هذا المفحوص، وذلك مع الاستفادة بالمادة العلمية الموجودة بهذا الفصل؟

2. تكلم عن خصائص الأشخاص ذوي الدرجات المنخفضة على مقاييس هذا الاختبار؟
3. تكلم عن خصائص الأشخاص ذوي الدرجات المرتفعة على مقاييس هذا الاختبار؟
4. قارن بين اختبار كاليفورنيا للشخصية واختبار الشخصية المتعدد الأوجه، مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما؟
5. بالرجوع إلى بعض مراجع القياس النفسي الواردة بهذا الكتاب اكتب دراسة تحت عنوان «فائدة اختبار كاليفورنيا للشخصية كأداة في البحوث النفسية»؟



الفصل الثالث

اختبار عوامل الشخصية «الستة عشر»

Sixteen Personality Factor Questionnaire PF 16

مقدمة

يعتبر اختبار عوامل الشخصية نتيجة عمل لمدة ثلاثة عقود ماضية قام به عالم النفس الأمريكي ريموند كاتل Gattel مع العديد من زملائه. وثمة كمية كبيرة من المادة العلمية المتعلقة بهذا الاختبار في المكتبة النفسية، أهمها على الإطلاق ما كتبه كاتل بنفسه خلال تلك العقود وخاصة في أوائل السبعينات.

وفي الأربعينات من القرن العشرين الماضي بدأ كاتل إعداد هذا الاختبار بقصد قياس مكونات الشخصية الإنسانية، ولم يكن لديه معرفة عن ماهية هذه المكونات أو العوامل. وكانت طريقته هي تحديد هذه المكونات ثم إعداد المقاييس التي تقيسها. وقد تصور كاتل أن اللغة يمكن أن تمدنا بأساس لتحديد الخصائص العامة التي تميز السلوك الإنساني، وقد بدأ بجمع أوصاف للشخصية أو أسماء للسمات من القواميس اللغوية، وبلغت هذه القائمة ما يزيد عن (4500) صفة، وبعد مضاهاة هذه الأوصاف اللغوية بما يوجد في أدبيات علم النفس والطب النفسي اختصر كاتل حجم هذه القائمة إلى (171) صفة، ثم قام بأبحاث في الشخصية حيث كلف بعض طلاب الجامعة بتقييم أنفسهم أو تقييم زملائهم على هذا العدد من الصفات، ثم أجريت دراسات ارتباطية وعاملية على تلك الصفات الست وثلاثون السمات الظاهرة Surface Traits وبإجراء المزيد من الدراسات العاملية تم تخفيض العدد إلى (16) عاملاً سمّاها كاتل السمات الأساسية Source Traits أو العوامل الأولية للشخصية Primary personality factors، وتم إعداد عبارات لقياس تلك العوامل.

وقد نشرت طبعات خمس من هذا الاختبار حيث نشرت الطبعة الأولى عام 1949، ثم الطبعة الثانية عام 1956، ثم ثلاث طبعات تباعاً في أعوام 1973م، 1976م، 1980م، وهذه

الطبعات الثلاث الأخيرة متشابهة في متنها ولا يوجد فرق بينها اللهم في كم المادة العلمية التي تتكاثر حسب حداثة الطبعة.

ونتحدث عن هذا الاختبار في النقاط الآتية:

أولا: مقاييس الاختبار

وهذه المقاييس أعدت لقياس (16) عاملاً على النحو التالي:

العامل رقم (1) ورمزه A التحفظ مقابل الدفء Reserved versus Warmhearted

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص منعزل جامد يتخذ من الآخرين موقفاً نقدياً، أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى شخص يتسم بدفء القلب والانفتاح والمشاركة.

العامل رقم (2) ورمزه B الغباء مقابل الذكاء Less Intelligent Versus More Intelligent

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص أقل ذكاء من عامة الناس ويتسم بالتفكير العياني أو المحسوس إلى جانب ضعف في القدرة المدرسية. والدرجة المرتفعة تشير إلى شخص يتصف بالذكاء والتفكير المجرد الراقي أو إلى شخص لامع هذا إلى جانب التفوق في القدرة المدرسية.

العامل رقم (3) ورمزه C مقابل الثبات الانفعالي

Affected by Feeling Versus Emotionally Stable

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص سريع التأثر يتسم بضعف الثبات الانفعالي وضعف في قوة الأنا. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص يتسم بالثبات الانفعالي ومواجهة الحقائق بموضوعية بالإضافة إلى قوة الأنا.

العامل رقم (4) ورمزه E الاستكانة مقابل تأكيد الذات Humble Versus Assertive

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص وديع معتدل سهل الانقياد أو مستسلم. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص يؤكد ذاته عدواني شموس وعنيد ويتصف كذلك بالرغبة في المنافسة والسيطرة.

العامل رقم (5) ورمزه F الوقار مقابل المرح Sober Versus Happy go Lucky

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص وقور صموت قليل الكلام جاد. أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى شخص متحمس يبدي شعوراً بالسعادة والمرح.

العامل رقم (6) ورمزه G النفعية مقابل يقظة الضمير Expedient Versus Conscientious

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص نفعي لا يحترم القواعد والأنظمة ويعاني من ضعف في قوة الأنا. أما الدرجة المرتفعة فهي إشارة إلى شخص حي الضمير ومثابر وأخلاقي كما يتسم بقوة الأنا والوضوح.

العامل رقم (7) ورمزه H الخجل مقابل المغامرة Shy Versus Venturesome

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتسم بالخجل والحياء والحساسية للنقد أو التهديد. أما الدرجة المرتفعة فهي إشارة إلى المغامرة والإقدام والجسارة الاجتماعية.

العامل رقم (8) ورمزه I الحدة مقابل الرقة Tough minded Versus Tender minded

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتسم بصلابة الرأي والواقعية والاعتماد على النفس في الأمور. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص رقيق حساس يعتمد على الآخرين ويشعر بحاجته إلى الحماية.

العامل رقم (9) ورمزه L الثقة مقابل الشك Trusting Versus Suspicious

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتقبل الواقع والظروف المحيطة به ويثق بمن حوله. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص شكاك يصعب إقناعه ويصعب مراوغته.

العامل رقم (10) ورمزه M العملي مقابل الخيالي Practical Versus Imaginative

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص عملي يتسم بالاهتمامات الواقعية. أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى شخص بوهيمي شارد الذهن.

العامل رقم (11) ورمزه N الوضوح مقابل الدهاء Forthright Versus Shrewd

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص واضح لا يميل إلى الادعاء يتسم بالأصالة، ولكنه يعاني من الارتباك في الجوانب الاجتماعية. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص يتسم بالمكر والدهاء، ويميل إلى تلميع نفسه ويتميز بالوعي في المواقف الاجتماعية.

العامل رقم (12) ورمزه O الارتباك مقابل الفهم Unperturbed Versus Apprehensive

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتسم بقلة الثقة بالنفس والشعور بعدم الأمن والقلق. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص يتسم بالهدوء ورباطة الجأش والرضا عن الذات.

العامل رقم (13) ورمزه Q1 المحافظة مقابل التجديد

Conservative Versus Experimenting

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص محافظ يتمسك بالآراء والأفكار التقليدية. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص متحرر في تفكيره تقدمي يقبل كل ما هو جديد.

العامل رقم (14) ورمزه Q2 التوجه طبقاً للجماعة مقابل التوجه الذاتي

Group Oriented Versus Self Sufficient

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يعتمد على الآخرين ويركن إلى الجماعة ويميل إلى أن يكون تابعاً. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص يثق بنفسه ويعتمد عليها لا على الآخرين، ويميل إلى اتخاذ قراراته بنفسه.

العامل رقم (15) ورمزه Q3 الانفلات مقابل الانضباط

Undisciplined Self Conflict Versus Controlled

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتسم بسلوك غير منضبط حيث الانسياق وراء الرغبات الذاتية وعدم الاهتمام بالقواعد الاجتماعية. أما الدرجة المرتفعة فتشير إلى شخص منضبط ملتزم بالقواعد الاجتماعية لا ينساق وراء رغباته.

العامل رقم (16) ورمزه Q4 الاسترخاء مقابل التوتر Relax Versus Tense

والدرجة المنخفضة على هذا العامل تشير إلى شخص يتصف بالاسترخاء والهدوء وعدم الشعور بالإحباط. أما الدرجة المرتفعة فهي تشير إلى شخص متوتر يشعر بالإحباط، كما يشعر بأنه لم يحصل على ما يستحق.

وبالرغم من أنه في المراحل الأولى من نشر الاختبار لم يتضمن مقاييس تبين موقف المفحوص تجاه الاختبار، فإن دراسات تالية في الطبعات الحديثة من الاختبار نتج عنها إعداد مقاييس صدق على النحو التالي:

مقياس التحريف الدوافعي Motivational Distortion

والذي يجيب على هذا المقياس حسب الاتجاه الذي يصحح به، أي حصل على درجة مرتفعة، فإن ذلك إشارة إلى التزييف نحو الأحسن، مما يستدعي الحذر في الأخذ بإجابته على الاختبار. بمعنى أن الشخص الذي يحصل على درجة مرتفعة تكون لديه دافعية نحو تحريف

إجابته للظهور بصورة أحسن من الواقع مما يترتب عليه إعطاء صورة زائفة –بقدر كبير أو قليل– عن الذات.

مقياس التزييف السلبي Faking Bad

والذي يجيب على هذا المقياس حسب الاتجاه الذي يصحح به، أي يحصل على درجة مرتفعة، فإن ذلك معناه قيامه بالتزييف نحو الأسوأ، أي انه يعطي عن نفسه صورة أسوأ من الواقع مما يستدعي الشك في إجابته والاتجاه إلى عدم الأخذ بها. معنى ذلك أن الشخص الذي يحصل على درجة مرتفعة على هذا المقياس تكون لديه رغبة في التزييف السلبي أي تحريف إجابته للظهور بصورة أردأ من الواقع مما يترتب عليه إعطاء صورة غير دقيقة عن الذات.

مقياس الاعتباطية Random

وهذا المقياس يشبه المقياس «ف» في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه في أنه من غير المتوقع أن يجيب المفحوص الذي يقرأ عبارات الاختبار قراءة جيدة أن يجيب على المقياس في الاتجاه الذي يصحح به. والدرجة المرتفعة على هذا المقياس تدل على أن المفحوص أجاب على عبارات الاختبار دون أن يقرأها قراءة جيدة أو دون أن يحاول فهم محتواها. معنى ذلك أن الشخص الذي يحصل على درجة مرتفعة في هذا المقياس هو شخص لم يحسن قراءة الاختبار عبارات الاختبار، بحيث تكون إجابته موضوع شك، ولا يمكن الثقة بها.

وخلافاً للمقاييس السابقة يذكر أن كاتل توصل في دراساته إلى مجموعة أخرى من العوامل تضم أربعة مقاييس إضافية تجري بشأنها دراسات متعمقة، وهذه المقاييس الأربعة هي (الانطواء مقابل الانبساط، والقلق المنخفض مقابل القلق الزائد، والرقة مقابل الجلافة، والخضوع مقابل الاستسلام).

ثانياً: مادة الاختبار وتصحيحه

أعد اختبار عوامل الشخصية ليكون مناسباً لمستوى عمري 16 سنة فما فوق، ومستوى صياغته بوجه عام بسيط وبحيث أن الشخص ذي المستوى الثقافي العادي يستطيع فهم عباراته والإجابة عليها.

والاختبار على الصور الآتية:

- أولاً: الصورة A والصورة B تعتبران صورتين متكافئتين من الاختبار وتحتوي كل منهما على (187) عبارة، والمستوى التعليمي أو القرائي المطلوب لفهم عبارات الاختبار والإجابة عليها مستوى قراءة الجريدة اليومية.
- ثانياً: الصورة C والصورة D وهما صورتان متكافئتان، كذلك وتحتوي كل منهما على (105) عبارات، والمستوى التعليمي أو القرائي المطلوب لفهم العبارات والإجابة عليها هو المستوى المطلوب للصورتين B.A أو أقل قليلاً.
- ثالثاً: الصورة E وهي مصممة لمستوى تعليمي أدنى من السادس الابتدائي (حسب النظام الأمريكي) وهذه الصورة مكونة من (142) عبارة.

وعبارات هذه الصور من الاختبار هي عبارات تقريرية، بمعنى أن يقرر المفحوص أن العبارة تنطبق عليه أم لا. وفي الصور الأربع D.C.B.A أمام المفحوص ثلاثة اختيارات مثل (نعم – ربما – لا) أو (نعم – أحياناً – لا)، ولكن في الصورة E أمام المفحوص اختياران فقط هما (نعم – لا).

وقد أعدت من الاختبار –أخيراً– صورة شفهية مسجلة على شرائط للمفحوصين الذين يعانون من صعوبات في القراءة، والاختبار بصورة الخمس (ما عدا الصورة الشفهية بالطبع) على هيئة كتيب وهو ما يسمى كراسة الأسئلة، حيث يجيب المفحوص في ورقة إجابة منفصلة. وبذا يمكن استخدام كراسة الأسئلة مرات عديدة، ويمكن تصحيح الاختبار بواسطة مفاتيح التصحيح المثقبة. كما يوجد نماذج من أوراق الإجابة يمكن تصحيحها بواسطة الحاسب الآلي.

ولا يوجد زمن محدد للإجابة، ولكن بوجه عام فإن الوقت المتوقع للانتهاء من أداء الصورة A أو B خلال ثلاثة أرباع الساعة. أما الصورتان D.C فإن الأداء يتم في حدود نصف الساعة. أما الصورة E فأمر متروك للأخصائي النفسي ويستحسن أن يعطي المفحوص الوقت اللازم لكي يقرأ عبارات الاختبار ويجيب عليها خاصة وأنها معدة لمستوى تعليمي متدني، ولأن أية صورة من صور الاختبار تحتوي على عدد معقول من العبارات فإنه يمكن تطبيق صورتين معاً، ولكن الشائع هو تطبيق صورة واحدة.

وثمة ملحوظة أساسية في هذا المقام وهو أنه لا يوجد تراكب في عبارات مقاييس اختبار عوامل الشخصية، بمعنى أن كل مقياس له مجموعة خاصة من العبارات ولا تدخل

عبارات مقياس في عبارات مقياس آخر، وذلك خلافاً لما هو حادث في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه مينسوتا واختبار كاليفورنيا للشخصية.

ثالثا: تفسير نتائج الاختبار

بعد تصحيح الاختبار سواء بالمفاتيح المثقبة أو عن طريق التصحيح الآلي يتبع ما يلي:

- أولاً: النظر في الدرجات التي حصل عليها المفحوص في مقاييس الصدق الثلاثة، وذلك للنظر في استبعاد ورقة الإجابة لهذا المفحوص إذا كانت هذه الدرجات مرتفعة.
- ثانياً: تحويل درجات المقاييس أو العوامل المتضمنة في الاختبار إلى المعايير الواردة في كراسة التعليمات ورسم الصفحة النفسية بناء على ذلك. علماً بأن المعايير الواردة بكراسة تعليمات الاختبار مشتقة من مجموعات كبيرة، إذ تتراوح أعداد المجموعات التي اشتقت منها المعايير بين 400، 4000 مفحوص موزعين على فئات السن وفئات المستوى الاجتماعي الاقتصادي مع مراعاة التوزيع الجغرافي لأفراد العينات على الولايات الأمريكية المختلفة.

أما معايير الاختبار فهي درجات يمكن أن نسميها الإعشاريات Sten Scores وهي درجات معيارية معدلة متوسطها الحسابي (5.5) وانحرافها المعياري (2)، وهي تبدأ عادة من الدرجة الإعشارية (1) حتى الإعشارية (10)، وترسم هذه الدرجات على بطاقة للتخطيط السيكولوجي أو ما يسمى الصفحة النفسية، وحدود هذه الدرجات الإعشارية كما يلي:

- الدرجة (5.5) درجة متوسطة.
- الدرجة التي تزيد عن (7) درجة مرتفعة.
- الدرجة التي تقل عن (4) درجة منخفضة.

وتوجد معايير خاصة للذكور، ومعايير للإناث. كذلك معايير لطلاب الجامعات ومعايير لطلاب المرحلة الثانوية من الأسوياء، إلى جانب معايير لنوعيات أخرى مثل الأحداث المنحرفين أو العصابيين مما يدل على مجهود خارق بذله كاتل في معايرة هذا الاختبار.

- ثالثاً: يحكم على الصفحة النفسية للمفحوص من خلال اعتبارات هي:
  - مقارنة درجات المفحوص بدرجات الأسوياء الواردة في كراسة التعليمات.

- مقارنة الصفحة النفسية للمفحوص بالمتوسطات أو الشكل العام للصفحة النفسية بالمجموعات المناظرة مثلاً (أسوياء، أحداث، منحرفين، عصابيين).
- القوى النسبية للدرجات الإعشارية على المقاييس التي تمثل العوامل المختلفة التي يقيسها الاختبار، معنى ذلك تبين أي الدرجات مرتفعة وأيها معتدلة، وتحديد الأوصاف الخاصة بالمفحوص بناءً على الارتفاع أو الانخفاض أو الاعتدال في لدرجات الإعشارية، وذلك طبقاً للأوصاف التي ذكرت عند التحدث عن مقاييس أو عوامل الاختبار.

مع ملاحظة أنه يمكن استخدام الحاسب الآلي في تصحيح وتفسير الدرجات على هذا الاختبار.

رابعا: تقييم الاختبار

خضع اختبار عوامل الشخصية لكم وافر من الدراسات، ويذكر بورس Buros أن هذا الاختبار هو الثاني بعد اختبار الشخصية المتعدد الأوجه منيسوتا من حيث عدد البحوث التي تجرى عليه، وضرب بورس مثلاً على ذلك أنه بين عامي (1971 و 1978م) أجرى (1118) بحثاً عن اختبار الشخصية المتعدد الأوجه منيسوتا، وأجرى (619) بحثاً عن اختبار عوامل الشخصية وبذلك يقع اختبار عوامل الشخصية الثاني مباشرة بعد منيسوتا، ولعل هذه الزيادة الكبيرة في البحوث نتيجة مجهودات كاتل وفريق العمل العلمي الذي يعاونه، ولكنه رغم ذلك يأتي هذا الاختبار الخامس من حيث الاستخدام في المؤسسات الفنية ويسبقه في سعة الاستخدام اختبار الشخصية المتعدد الأوجه مينسوتا، واختبار ادواردز للتفضيل الشخصي، واختبار كاليفورنيا للشخصية، وقائمة موني للمشكلات.

وقد بذل كاتل الكثير من الجهد والعمل الإحصائي على هذا الاختبار وتشير الدراسات أن العوامل التي يقيسها الاختبار مستقلة بعضها عن بعض والدليل على ذلك أن معاملات الارتباط بين الدرجات على مقاييس أو عوامل الاختبار تتراوح بين -71 إلى +66 في بعض الدراسات، وفي دراسات أخرى تتراوح بين -0.20 إلى +0.20.

وبالنسبة لمعايير الاختبار فإن هذه المعايير متضمنة في كراسة التعليمات وملاحقها وهذه المعايير أعدت لصور الاختبار المختلفة ولمجموعات مختلفة من قطاعات عينة التقنين كما سبق الإشارة.

وثمة معلومات سيكومترية عن هذا الاختبار نوجزها فيما يلي:

1. بالنسبة لثبات الاختبار فإن معاملات الثبات بين الصورة A والصورة B كصورتين متكافئتين تراوحت بين 0.21 إلى 0.71 بمتوسط قدره 0.49 وذلك على مجموعات من الذكور والإناث بلغ عددها حوالي ستة آلاف.
2. كما تراوحت معاملات الثبات بين الصورة C، والصورة D كصورتين متكافئتين بين 0.16 إلى 0.55 بمتوسط قدره 0.38 على مجموعات من الذكور والإناث بلغ عددها ما يقارب أربعمائة (وهو عدد قليل بالقياس إلى المجموعات التي أجريت عليها دراسات الثبات بين الصورتين B،A)، ومعاملات الثبات هذه قد ينظر إليها على أنها مؤشر يدل على أن صور الاختبار ليست متكافئة، وأن الدرجات التي يحصل عليها المفحوص تختلف باختلاف الصورة من الاختبار التي تجرى عليه.
3. كما حسبت معاملات الثبات بطريقة إعادة الاختبار بعد فترة قصيرة بين الإجراء الأول والإجراء الثاني (حوالي أسبوع) حيث تراوحت هذه المعاملات بين 0.58 إلى 0.83 بالنسبة للصورة A، وبالنسبة للصورة B تراوحت هذه المعاملات بين 0.54 إلى 0.89. أما إذا طالت الفترة المنقضية بين الإجرائين (إلى حوالي شهرين) فإن معاملات الثبات هذه تنخفض وتراوحت بالنسبة للصورة A بين 0.35 إلى 0.85 وبالنسبة للصورة B بين 0.63 إلى 0.88.

ولن نسترسل أكثر من ذلك في ذكر بيانات عن ثبات هذا الاختبار رغم أن الدراسات كثيرة جداً، إلا أنه يمكن القول بوجه عام أن معاملات ثبات هذا الاختبار أقل مما هو مألوف أو وارد بالنسبة لبقية اختبارات الشخصية الأخرى، كما أن هذه المعاملات تختلف باختلاف صور الاختبار.

بالنسبة للصدق اهتم كاتل أساساً بدراسات الصدق التي تقوم على التحليل العاملي، ويرى كاتل بناءً على دراساته العاملية وذلك بدون الدخول في تفصيلات ليس هنا مجالها أن العوامل التي تقيسها اختباراته نقية، كما قدم كاتل دراسات عن الصدق التنبؤي و الذي يربط بين الدرجات على عوامل الاختبار وبين النجاح المهني والأكاديمي، وكانت هذه المعاملات تتراوح بين 0.55 إلى 0.63.

ونختم هذا التقييم بالملاحظات الآتية:

- من استقراء أدبيات مراجع القياس النفسي المعتمدة، يتجمع نقد خطير يتوجه إلى اختبار عوامل الشخصية، ذلك أن الأوصاف التي تصف ذوي الدرجة المنخفضة وتصف ذوي الدرجة المرتفعة ليس لها أساس علمي دقيق والمصادر التي اشتقت منها هذه الأوصاف ليست واضحة المعالم، وبالطبع فإن البعض من هذه الأوصاف استخرج من دراسات إمبيريقية، ولكن العديد منها جاء نتيجة تنظيرات كاتل وفريقه العلمي.
- من استقراء أدبيات مراجع القياس النفسي المعتمدة يوجد نقد مؤداه عدم نقاء العوامل التي يقيسها اختبار عوامل الشخصية خلافاً لما يتصور كاتل، ورغم الدراسات الإحصائية الوفيرة على الاختبار فإن ثمة شك في نقاء العوامل التي يقيسها الاختبار، سيما وأن اختيار هذه العوامل كان على أساس الرجوع إلى مفردات اللغة التي تصف الشخصية وكذلك على أساس الدراسات الإحصائية، لأن اشتقاق هذه العوامل لم يقم على أساس إمبيريقية مثل أساليب جماعات المحك التي تقوم عليها بعض اختبارات الشخصية الأخرى مثل اختبار الشخصية المتعدد الأوجه.
- وربما أن النقد الصارم الذي يتوجه إلى اختبار عوامل الشخصية قد يرجع إلى أن العديد من الأخصائيين النفسيين لا يستوعبون أو لا يتذوقون أساليب التحليل العاملي المتقدمة التي أجراها كاتل مما أدى إلى سوء فهم وأدى بالتالي إلى تحفظهم على الاختبار، وربما أدى ذلك بالبعض منهم إلى تصور مفاده أن نتائج الدراسات العاملية لا تعدو أن تكون نماذج رياضية تصورية أكثر منها دراسات سيكومترية.
- يبدو أن كاتل وزملاءه غير متحمسين لعرض اختبارهم والبحوث المتعلقة به بطريقة عملية أو أسلوب مبسط خال من التعقيدات الإحصائية بحيث يكون مفهوماً ومستوعباً بالنسبة لجمهور الأخصائيين النفسيين، الذين يباشرون المهنة عملياً في المؤسسات النفسية المختلفة التي تستهلك الاختبارات النفسية، (مثل مراكز التوجيه المهني والإرشاد المهني والعيادات النفسية)، وعدم الحماس هذا قد يؤدي إلى لجوء هؤلاء الأخصائيين النفسيين إلى اختبارات أخرى مما يؤدي إلى تآكل شعبية اختبار عوامل الشخصية).

حاشية «أ»

مثال على تفسير نتائج اختبار عوامل الشخصية باستخدام الحاسب الآلي

ملحوظة

هذا التقرير النفسي لنتائج اختبار عوامل الشخصية مخصص لاطلاع الأشخاص المهنيين فقط، ويعتبر ورقة ثبوتية رسمية.

- الاسم: س
- السن: 30 سنة
- النوع: أنثى

أولاً: الخصائص ذات الدلالة

تتميز المفحوصة بقدرة على التعامل مع المجردات أعلى من المتوسط. أما في مجال العلاقات الاجتماعية فإنها تتسم بالاعتدال والتواضع والاستسلام. كما أنها تتميز بالحدة والبعد عن العاطفة، أما في معاملاتها مع الآخرين فإنها تتميز بالدهاء والتحوط والميل إلى إخفاء الدوافع وتغطيتها.

كما أنها تعاني أحياناً من مشاعر القلق والذنب والتفاهة وعدم الكفاية. وهي تميل كذلك إلى احترام التقاليد والمحافظة عليها، كما تتميز بالاكتفاء الذاتي.

ثانياً: الأنماط العامة للشخصية

تتجه شخصية المفحوصة إلى الانطواء والانسحاب عن الناس، هذا إلى الميل إلى إخفاء مشاعرها الذاتية، ومع ذلك فإن أسلوب حياتها يتميز بالتكيف مع ما يحيط بها من أشخاص ومواقف، وهي بالإضافة إلى ذلك متوسطة من حيث القدرة القيادية.

- المصدر: مركز اختبارات الشخصية والقدرات
- اليينوس – شامبين
- « بتصرف»

الملخص

إن اختبار عوامل الشخصية أعده كاتل لقياس مكونات الشخصية الإنسانية. وقد توصل إلى أن هذه المكونات هي ستة عشر عاملاً ضمنها مقاييس هي:

1. التحفظ مقابل الدفء: يقيس الجمود والانعزال مقابل الانفتاح والمشاركة.
2. الغباء مقابل الذكاء: يقيس التفكير العياني المحسوس مقابل التفكير المجرد الراقي.
3. التأثرية مقابل الثبات الانفعالي: يقيس سرعة التأثر مقابل قوة الأنا والثبات.
4. الاستكانة مقابل تأكيد الذات: يقيس الوداعة والانقيادية مقابل العناد والسيطرة.
5. الوقار مقابل المرح: يقيس الصمت والجدية مقابل الحماس والشعور بالسعادة.
6. النفعية مقابل يقظة الضمير: يقيس الانتهازية وضعف الانضباط مقابل الأخلاقية والانضباط.
7. الخجل مقابل المغامرة: يقيس الحساسية والحياء مقابل الإقدام والجسارة.
8. الحدة مقابل الرقة: يقيس صلابة الرأي والواقعية مقابل الحساسية والحاجة للحماية.
9. الثقة مقابل الشك: يقيس تقبل الواقع بثقة مقابل المراوغة وصعوبة الاقتناع.
10. العملي مقابل الخيالي: يقيس الواقعية والعملية مقابل شرود الذهن والبوهيمية.
11. الوضوح مقابل الدهاء: يقيس الأصالة وعدم الادعاء مقابل المكر والتحايلية.
12. الارتباك مقابل الفهم: يقيس قلة الثقة بالنفس مقابل الهدوء ورباطة الجأش.
13. المحافظة مقابل التجديد: يقيس التقليدية والجمود مقابل التقدمية والتحرر الفكري.
14. التوجه طبقاً للجماعة مقابل التوجه الذاتي: يقيس الاعتمادية والتبعية مقابل الثقة بالنفس.
15. الانفلات مقابل الانضباط: يقيس عدم الانضباط مقابل الالتزام بالقواعد الاجتماعية.
16. الاسترخاء مقابل التوتر: يقيس الهدوء وعدم الشعور بالتوتر مقابل الشعور بالإحباط.

وفي الاختبار مقاييس الصدق هي:

1. التحريف الدوافعي: لقياس التزييف نحو الأحسن، أي إعطاء صورة زائفة عن الذات أحسن من الواقع.

2. التزييف السلبي: لقياس التزييف نحو الأسوأ، أي إعطاء صورة زائفة عن الذات أسوأ من الواقع.
3. الاعتباطية: لقياس مدى قراءة المفحوص وفهمه لعبارات الاختبار.

معايير الاختبار

هي الدرجة الإعشارية وهي درجة معيارية معدلة متوسطها (5.5) وانحرافها المعياري (2) وحدودها كما يلي:

1. الدرجة الإعشارية (5.5) متوسط.
2. الدرجة الإعشارية التي تزيد عن (7) درجة مرتفعة.
3. الدرجة الإعشارية التي تقل عن (4) درجة منخفضة.

أسئلة للمناقشة

1. طبق اختبار عوامل الشخصية على أحد المفحوصين، وقد حصل المفحوص على درجات إعشارية على مقاييس الاختبار على النحو التالي:

المقياس	الدرجة	المقياس	الدرجة
التحريف الدوافعي	(5)	8. الحدة مقابل	(8)
التحريف السلبي	(5)	9. الثقة مقابل الشك	(4)
الاعتباطية	(5)	10. العملي مقابل الخيالي	(4)
1. تحفظ مقابل الدفء	(6)	11. الوضوح مقابل الدهاء	(8)
2. الغباء مقابل الذكاء	(7)	12. الارتباك مقابل الفهم	(4)
3. التأثرية مقابل الثبات الانفعالي	(4)	13. المحافظة مقابل التجديد	(7)
4. الاستكانة مقابل تأكيد الذات	(4)	14. التوجه طبقاً للجماعة مقابل التوجه الذاتي	(5)
5. الوقار مقابل المرح	(7)	15. الانفلات مقابل الانضباط	(5)
6. النفعية مقابل يقظة الضمير	(8)	16. الاسترخاء مقابل التوتر	(6)
7. الخجل مقابل المغامرة	(6)		

والمطلوب: كتابة تقرير نفسي عن هذا المفحوص وذلك استناداً إلى درجاته على مقاييس الاختبار؟

2. اكتب بحثاً بعنوان (دراسات كاتل العاملية) بالاستعانة ببعض المراجع الواردة في نهاية هذا الكتاب؟
3. تحدث عن مقاييس اختبار عوامل الشخصية وبين رأيك في استقلال هذه العوامل من عدم استقلالها؟
4. ناقش عوامل الشخصية التي يقيسها اختبار كاتل وبين أهمية هذه العوامل في ضوء النظرة إلى الشخصية في بيئتك المحلية؟
5. اشرح أسلوب تفسير اختبار عوامل الشخصية باستخدام الدرجات الإعشارية؟
6. قارن بين طريقة اشتقاق المقاييس في اختباري عوامل الشخصية والشخصية المتعدد الأوجه، وبين أيهما تفضل؟

الفصل الرابع

اختبار جاكسون لبحوث الشخصية

Personality Research Form PRF

مقدمة

أعد اختبار جاكسون لبحوث الشخصية على أساس تصور علمي مفاده: أنه يمكن قياس الشخصية بطريقة دقيقة بالاعتماد على أساسين: الأساس الأول: نظرية جيدة في الشخصية، والأساس الثاني: نظرية القياس النفسي، ذلك أن تصور جاسكون مؤداه أنه إذا تم فهم واستيعاب السمات أو المكونات المراد قياسها، وعرفت هذه المكونات تعريفاً دقيقاً، فإنه يمكن بناء الاختبار على هذا الأساس، بحيث يقل اللجوء إلى التحقق من صدق الاختبار عن طريق المحكات الأمبيريقية التي يعوزها -في نظره- قدر كبير من الدقة.

ويرى جاكسون أن هذا الاختبار يمكن أن يستخدم في قياس سمات الشخصية السوية في عدد من المجالات مثل المدارس والجامعات ومراكز الإرشاد والتوجيه النفسي ومجالات الاختيار المهني في الصناعة.

أما دوجلاس جاكسون Jackson فهو أخصائي نفسي أمريكي شهير له العديد من الاختبارات النفسية، وتقوم أعماله العلمية على أساس الفلسفة التالية:

1. تعريف الخاصية أو السمة التي سوف تقاس بدقة وكفاءة.
2. تحديد العبارات التي تصف كل خاصية أو سمة بنفس الدقة والكفاءة.
3. اختيار هذه العبارات بحيث تتسم بالتجانس.
4. التأكد من صدقية هذه العبارات أثناء إعداد الاختبار.

وقد اختار جاكسون نظرية موراي Murray في الشخصية كنقطة بداية في إعداد هذا الاختبار، واعتبر أن الحاجات التي أشار إليها موراي تصلح أساساً لوصف الشخصية السوية، وقد اهتم جاكسون بتعريف كل حاجة من هذه الحاجات التي اتخذها جاكسون قائمة

على أساس ثنائي القطب Bipolar. وأعدت العبارات التي تقيس كل مكون، حيث حكمت كل عبارة من قبل اثنين من المحكمين أقرا بصدقها الظاهري قبل أن توضع في الاختبار وتخضع –مع غيرها– لمزيد من الإجراءات السيكومترية.

ويذكر أنه روعي في اختيار عبارات الاختبار قدر كبير من التجانس بالإضافة إلى كفاءة العبارات في التمييز. ويذكر كذلك أن جاكسون نشر هذا الاختبار عام 1974م لأول مرة وأضاف بعض التعديلات إلى كراسة التعليمات عام 1984م.

أولاً: وصف الاختبار

يتكون هذا الاختبار من ست صور على النحو التالي:

1. الصورتان A أ، B ب وهما صورتان متكافئتان تتكون كل منهما من 300 عبارة تكون 15 مقياساً. ويتكون كل مقياس من 20 سؤالاً. وهذه الصورة تشتمل على المقاييس الآتية: التحصيل – الانتماء – العدوان – الاستقلالية – السيطرة – التحمل – الاستعراضية – تجنب الأذى – الاندفاعية – التحاضن – اللعب – التنظيم – الاعتبار الاجتماعي – التفهم. بالإضافة إلى مقياس الاعتباطية كمقياس صدق.
2. الصورتان AA أأ، BB ب ب وهما صورتان متكافئتان تحتويان على نفس العبارات الثلاثمائة في الصورتين A، B وذلك بالإضافة إلى 140 سؤالاً تكون سبعة مقاييس إضافية، بحيث تكون مقاييس هذه الصورة جميع مقاييس الاختبار وهي 22 مقياساً.
3. الصورة E هـ وهي تحتوي على 352 عبارة تمثل 22 مقياساً كل مقياس مكون من 16 عبارة.
4. الصورة G جـ وهي تماثل بالضبط الصورة السابقة E، لكن بدون عبارات مقياس الاعتباطية.

وكل صورة مطبوعة في كراسة أسئلة، حيث يجيب المفحوص في ورقة إجابة منفصلة إذا كانت الأسئلة تنطبق عليه أم لا. وجميع الصور لها مفاتيح تصحيح مثقبة (يدوية) وبطاقة للتخطيط السيكولوجي، وذلك باستثناء الصورة G التي تصحح آلياً.

وتحول الدرجات الخام للمقاييس المختلفة على الصفحة النفسية إلى درجات تائية، وذلك أسوة بما هو معمول به في العديد من اختبارات الشخصية.

ويذكر كذلك أن الصورة E لها طبعة على شريط كاسيت وهذه الطبعة الصوتية بها تغيير طفيف لبعض العبارات بغرض التبسيط، حيث تقرأ كل عبارة مع ذكر رقمها بصوت واضح وبطريقة متأنية، بحيث يتمكن المفحوص من تسجيل إجابته في الورقة المخصصة لذلك.

وجميع صور هذا الاختبار سهلة الإجراء سواء طبقت فردياً أو جمعياً، بحيث يستطيع المفحوص أن يجيب عليها ذاتياً بمجرد قراءة التعليمات التي تتصدر كراسة الأسئلة، أو تسبق الأسئلة في الطبعة الصوتية للصورة E.

ومن حيث الزمن فإن الصورتين B.A يستغرق إجراؤهما ما بين 30 دقيقة و 45 دقيقة. والزمن المستغرق في الصورتين BB,AA يتراوح ما بين 45 دقيقة و 75 دقيقة أما الصورتان G.A فالزمن المستغرق فيهما ما بين 54 دقيقة و 60 دقيقة وتستغرق الطبعة الصوتية للصورة حوالي 90 دقيقة.

ويفضل عند التطبيق الجمعي ألا تتجاوز المجموعة 40 مفحوصاً في الجلسة الواحدة؛ وذلك حتى يسهل إلقاء التعليمات، وتوزيع كراسة الأسئلة وأوراق الإجابة، ثم تجميعها بعد الانتهاء من أداء الاختبار.

أما المستوى العمري للاختبار فهو بداية مرحلة المراهقة، والمستوى التعليمي هو الصف السابع حسب التعليم الأمريكي ويقابله مستوى التعليم المتوسط أو الإعدادي في العالم العربي. ويتم التصحيح بمفاتيح مثقبة -كما أسلفنا- وتكتب الدرجة الخام في مكان مخصص لها على ورقة الإجابة. ويمكن تحويل هذه الدرجات الخام إلى مقابلاتها التائية إما بالرجوع إلى جداول خاصة ملحقة بكراسة التعليمات أو برسمها على الصفحة النفسية؛ وقد اشتقت هذه المعايير التائية سواء للذكور أو للإناث من عينات يتجاوز عددها الألف.

ثانياً: مقاييس الاختبار

يتكون هذا الاختبار من 22 مقياساً (لاحظ أن عدد المقاييس يختلف في بعض الصور) وذلك على النحو التالي:

أ. مقياس الحطة (Ab) Abasement

وتشير الدرجة المرتفعة إلى أن موقف المفحوص تجاه الذات يتسم بالتقليل من قدرها، والميل إلى التواضع، وتأنيب الذات.

2. مقياس التحصيل (Achievement (Ac

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الطموح، والمنافسة، والرغبة في التحصيل، والتقدم.

3. مقياس الانتماء (Affiliation (Af

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل حب الانتماء، والميل إلأى العلاقات الاجتماعية، والتماس الأصدقاء.

4. مقياس العدوانية (Aggression (Ag

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل العدوان، والكراهية، والرغبة في التحدي، واللجاج.

5. مقياس الاستقلالية (Autonomy (Au

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الاعتماد على الذات وعدم التواكل، وحب الاستقلال

6. مقياس التقلب (Change (Ch

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل التقلب، والتغير، وعدم الثبات؛ كما أنه لا يمكن توقع أفعاله أو سلوكياته.

7. مقياس التكوين المعرفي (Cognitive Structure (Cs

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الميل إلى التحديد، وتجنب الغموض، ومراعاة الدقة.

8. مقياس الدفاعية (Deference (De

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الميل إلى الدفاعية، وحماية الذات وتأمينها، والشك في الآخرين.

9. مقياس السيطرة (Dominance (Do

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الهيمنة، والتسلطية، والمثابرة، وفرض الذات.

10. مقياس التحمل (Endurance (En

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل التحمل والتصميم والقدرة على المواجهة.

11. مقياس الاستعراضية Exhibition (Ex)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الزهو والتكبر واستعراض الذات.

12. مقياس تجنب الأذى Harm avoidance (Ha)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل التخوف وحماية الذات، والرغبة في تجنب المخاطر، والبعد عن المغامرات.

13. مقياس الاندفاعية Impulsivity (Im)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الاندفاع، والتسرع، والتهور، والميل إلى الاستعجال.

14. مقياس التحاضن Nurturance (Nu)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل التعاطف، والتفهم، والمشاركة، والميل إلى مواساة الآخرين.

15. مقياس التنظيم Order (Or)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل حب الترتيب، والهندام، كذلك الميل إلى التنظيم والمنهجية.

16. مقياس المداعبة Play (Pl)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل المرح، وحب المزاح، واستهداف اللذة.

17. مقياس التذوقية Sentience (Se)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الإحساس بالتذوق، والميل إلى الفنون والجماليات.

18. مقياس الاعتبار الاجتماعي Social Recognition (Sr)

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الالتزام بالقواعد، والأنظمة والاهتمام بالاستحسان الاجتماعي، والتماس المرغوبية الاجتماعية.

19. مقياس الاستعانة (Su) Succorance

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل الاعتماد على الآخرين والاستعانة بهم والرجاء منهم.

20. مقياس التفهم (Un) Understanding

وتشير الدرجة المرتفعة إلى صفات في المفحوص مثل حب الاستطلاع، والرغبة في الفهم، والتدقيق، والميل إلى تحكيم المنطق.

21. مقياس المرغوبية (وهي مقياس صدق) (Dy) Desirability

وتشير الدرجة المرتفعة إلى إعطاء المفحوص صورة عن نفسه تتسم بالمرغوبية وتقديم صورة طيبة عن الذات، وهذا من شأنه الحد من كفاءة الصفحة النفسية.

22. مقياس الاعتباطية (وهو مقياس صدق) (In) Infrequency

وتشير الدرجة المرتفعة إلى أن المفحوص يجيب على أسئلة الاختبار بأسلوب عشوائي اعتباطي، كأن المفحوص أهمل قراءة عبارات الاختبار بصورة متأنية، وهذا أيضاً من شأنه الحد من قيمة الصفحة النفسية.

وهذه المقاييس جميعاً -باستثناء مقاييس الصدق- ثنائية القطب. فعلى سبيل المثال بالنسبة لمقياس الاندفاعية. فإن الدرجة المرتفعة تشير إلى الاندفاع والتسرع والتهور، بينما تشير غالباً الدرجة المنخفضة إلى ما يقابل ذلك، أي إلى التروي والتدبر. أما الدرجة المعتدلة فإنها تشير إلى التوازن بين القطبين.

ويذكر -وهذا غريب- أن كراسة تعليمات الاختبار اشتملت على أوصاف ذوي الدرجة المرتفعة على المقاييس المختلفة، ولم تذكر أوصاف ذوي الدرجة المنخفضة، ولكن يمكن الاستدلال على هذه الأوصاف بأنها عكس صفات ذوي الدرجة المرتفعة.

ولا يوجد تحديد لحدود الدرجات المرتفعة والمنخفضة، ولكن الأرجح أن الدرجة المرتفعة تقع في حدود 60 درجة تائية، بينما تقع الدرجة المنخفضة في حدود 40 تائية.

ثالثاً: الخصائص السيكومترية

لقي هذا الاختبار اهتماماً كبيراً بعد نشره في السبعينات من القرن العشرين الماضي، وأجريت مئات البحوث. ومع ذلك فإن بيانات الثبات والصدق الواردة في كراسة التعليمات المنشورة عام 1984م تعد بوجه عام غير كافية، وتوجزها على النحو التالي:

معاملات صدق مقاييس الاختبار عن طريق تقدير الملاحظين تراوحت بين 0.28، 0.56. بالنسبة للثبات فقد حسب بمعادلة كودر ريتشاردسون 20 وتراوحت معاملات الثبات للمقاييس المختلفة بين 0.33 إلى 0.90 كما تراوحت معاملات الثبات بين الصور المتكافئة من 0.75 إلى 0.85.

رابعا: تقييم الاختبار

يقال إن جاكسون قد قصد بهذا الاختبار انتهاج أسلوب جديد لإعداد اختبار موضوعي للشخصية يقوم على أساس نظرية موراي في الشخصية، وعلى تعريف السمات المراد قياسها تعريفاً دقيقاً متخلياً عن اتخاذ الأسلوب الأمبيريقي الذي يقوم على جماعات المحك الذي تلجأ إليه العديد من اختبارات الشخصية.

حيث يطبق كل مقياس من مقاييس الاختبار على مجموعتين الأولى متميزة على المحك، والثانية غير متميزة على المحك.

وهذه المحاولة التي حاولها جاكسون بقصد الاستغناء عن الأسلوب التقليدي الذي يتمحور أصلاً حول القدرة التمييزية لأي مقياس باستخدام جماعات المحك أدت إلى تدني معاملات صدق الاختبار ومعاملات ثباته، وربما أدت كذلك إلى عدم وجود الأوصاف الخاصة بذوي الدرجات المنخفضة على الاختبار، والتي عادةً ما يشتقها الأخصائي النفسي من جماعات المحك.

ومن الغريب أن الثقات من أركان القياس النفسي، والذين يجلسون على كراسي علم النفس الأمريكي مثل جراهام وأنستازي وأيكن وكابلان امتدحوا مجموعة الاختبارات التي أعدها جاكسون أو ساهم في إعدادها. إلا أن الرأي عندنا أن الأسلوب الأمثل لإعداد الاختبار الموضوعي لقياس الشخصية يقوم على محورين:

- الأول: الأساس المنطقي حيث تعرف وتحلل السمة المقاسة وتعد لها الأسئلة المناسبة التي تعرض على المحكمين لإقرار الصالح فيها.
- الثاني: جماعات المحك حيث تطبق مجموعة الأسئلة التي تقيس سمة معينة على جماعات المحك؛ حتى نتأكد من الكفاءة التمييزية للمقياس أو الاختبار.

هذا –في نظرنا على الأقل- هو الطريق الملكي لإعداد اختبار موضوعي للشخصية، وهو رغم صعوبته الطريق الآمن والسديد.

الملخص

إن اختبار جاكسون يقيس الشخصية السوية في المجالات المختلفة العيادية والإرشادية والمهنية.

هذا الاختبار مؤسس على نظرية موراي في الحاجات وهو على ست صور ويناسب مرحلة المراهقة فما فوق.

لهذا الاختبار 22 مقياساً على النحو التالي:

1. الحطة: التقليل من قدر الذات.
2. التحصيل: الطموح والمنافسة.
3. الانتماء: الميل إلى العلاقات الاجتماعية.
4. العدوانية: الكراهة والرغبة في التحدي.
5. الاستقلال: الاعتماد على الذات.
6. التقلب: التغير وعدم الثبات.
7. التكوين المعرفي: الدقة وعدم الغموض.
8. الدفاعية: حماية الذات والشك في الآخرين.
9. السيطرة: الرغبة في الهيمنة وفرض الذات.
10. التحمل: المواجهة والتصميم.
11. الاستعراضية: الزهو والكيد.
12. تجنب الأذى: حماية الذات والبعد عن المخاطر.
13. الاندفاعية: التسرع والتهور.
14. التحاضن: التعاطف والتفهم.
15. التنظيم: حب الترتيب والمنهجية.
16. المداعبة: المرح والمزاح.
17. التذوقية: التذوق الفني والجمالي.
18. الاعتبار الاجتماعي: الالتزام بالقواعد والأنظمة.

19. الاستعانة: الاعتماد على الآخرين والرجاء منهم.
20. التفهم: حب الاستطلاع والتدقيق.
21. المرغوبية: إعطاء صورة طيبة عن الذات.
22. الاعتباطية: الارتجال في الإجابة عن أسئلة الاختبار.

تحول الدرجات الخام على مقاييس الاختبار إلى درجات تائية والدرجات التائية 60 تشير إلى ارتفاع الدرجة على المقاييس ولهذا الاختبار معاملات ثبات ومعاملات صدق مقبولة.

أسئلة للمناقشة

1. اكتب مقالة علمية تتوجه فيها بالنقد إلى اختبار جاكسون لبحوث الشخصية؟
2. ما المجالات التي يمكن أن يستخدم فيها هذا الاختبار إذا قنن في البيئة المحلية؟
3. ناقش الأساس التنظيري الذي يقوم عليه هذا الاختبار؟
4. في رأيك هل تغطي مقاييس هذا الاختبار الجوانب الأساسية في الشخصية؟
5. قارن بين هذا الاختبار وأحد اختبارات الشخصية الموضوعية التي درستها مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف فيما بينها؟

الباب الثاني

الاختبارات الإسقاطية للشخصية

الفصل الأول: اختبار بقع الحبر «رورشاخ»

الفصل الثاني: اختبار تفهم الموضوع

الفصل الثالث: اختبار تفهم الموضوع للأطفال

الفصل الرابع: اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة



الفصل الأول

اختبار بقع الحبر «رورشاخ»

Rorschach Inkblot Test

مقدمة

هو أكثر الاختبارات الإسقاطية شهرة، ومن أكثر الاختبارات النفسية ذيوعاً، ومن الناحية التاريخية فإن بقع الحبر كانت تستخدم لقياس الذكاء والابتكارية على يد عالم النفس الفرنسي الفرد بينيه Beinet، إلا أن الطبيب النفسي السويسري هرمان رورشاخ Rorschach هو الذي استخدم الاستجابات على بقع الحبر في قياس خصائص الشخصية.

ففي عام 1911م اهتم رورشاخ بدراسة استجابات الأطفال في مدارس زيورخ على هذه البقع. وفي عام 1917م وسع قاعدة دراساته حيث اهتم بدراسة استجابات مجموعات من الراشدين ومجموعات من المصابين بالاضطرابات العقلية على هذه البقع، ونشر عام 1921 دراسة عن التشخيص النفسي وقد توصل في هذه الأثناء إلى انتقاء عشر بقع منالحبر اعتبر رورشاخ أنها أكثر البقع فعالية في الإبانة عن سمات شخصية الفرد وهي التي يقوم عليها الاختبار. ومما يجدر ذكره أن رورشاخ كان مهتماً بتفسير الاستجابات على هذه البقع من خلال مفاهيم مدرسة التحليل النفسي. وقد توفي مبكراً عام 1922م بعد نشر البقع العشر التي تكون الاختبار.

وقد انتقل التراث العلمي لهذا الاختبار عن طريق مجموعة من العلماء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة في الثلاثينات من القرن العشرين الماضي ومن هؤلاء العلماء صمويل بك Beck وهو أول من أجرى دراسة علمية في الولايات المتحدة على الاختبار عام 1937م وبعد ذلك نشرت دراسة عن الاختبار عام 1938م قامت بإجرائها مارجريت هرتز Hertz، أما برونو كلوبفر Klopfer فقد اهتم في زيورخ في الثلاثينات من القرن العشرين الماضي باختبار الروشاخ ثم هاجر إلى أمريكا وعمل بجامعة كولومبيا ونقل إلى هذه الجامعة الاهتمام بالاختبار، ونشر أسلوبه لتفسير وتصحيح الاختبار عام 1942م، بل إنه هو الذي أسس مجلة

علمية تحت اسم بحوث الرورشاخ عام 1937. وهذه المجلة هي التي تطورت بعد ذلك إلى اسم الاختبارات الإسقاطية وقياس الشخصية، ثم إلى اسم قياس الشخصية.

ولا يفوتنا في هذا المقام الإشارة إلى عالم النفس الأمريكي البولندي الأصل زيجمانت بتروسكي Potrowski والذي درس في بولندا ثم أكمل دراسته في مرحلة ما بعد الدكتوراه في الولايات المتحدة في جامعة كولومبيا حيث شارك كلوبفر في دراسته عن استجابات المرضى بأمراض عصبية على بقع الرورشاخ ثم أعد بتروسكي عام 1947م أسلوباً خاصاً في التصحيح وفي عام 1957م نشر كتاباً بالغ الأهمية تحت عنوان «تحليل الإدراك Percept analysis» وبعد ذلك طور أسلوبه في تصحيح الاختبار على الحاسب الآلي في برنامج اشتهر باسمه يعرف Pitrowski Automated Rorschach (PAR) وبالإضافة إلى العلماء الأربعة السابقين اهتم عالم خامس هو دافيد رابابورت Rapaport باختبار الرورشاخ وكان من المهتمين بدراسة بالثولوجيا السلوك ومن المتحمسين كذلك لنظرية التحليل النفسي، وهو كذلك من علماء النفس المهتمين بالتشخيص النفسي الإكلينيكي باستخدام الاختبارات النفسية وقد أصدر عام 1946م كتاباً شهيراً بعنوان الاختبارات النفسية التشخيصية Diagnostic psychological Testing، هذا الكتاب لا يزال من أمهات الكتب في المجال وصدرت منه العديد من الطبعات المعدلة والمنقحة، وقد نشر رابابورت نظاماً لتصحيح وتفسير استجابات المفحوصين على اختبار الرورشاخ عام 1956م.

وهذا التراث العلمي الضخم للاختبار انتقل إلى عالم النفس الأمريكي المعاصر جون إكسنر Exner الذي تابع خلال ربع قرن تقريباً دراسات متعمقة عن الاختبار وأسلوب تصحيحه وتفسير نتائجه وقد لاحظ إكسنر أن هؤلاء العلماء الخمسة الذين أعدوا دراسات عن أساليب تصحيح الرورشاخ وتفسير نتائجه توجد بينهم اختلافات في المسائل الجوهرية بتصحيح الاختبار وتفسير نتائجه. وبعد استيعاب هذا التراث العلمي أصدرت عام 1969 دراسة تحت عنوان النظام الشامل Comprehensive System ويشير الثقات من العلماء أن هذا الأسلوب هو أكثر أساليب التصحيح قبولاً في الأوساط السيكولوجية.

وبعد هذه المقدمة التاريخية التعريفية نتحدث عن هذا الاختبار في النقاط الآتية:

أولا: مادة الاختبار وتطبيقه

مادة الاختبار هي عبارة عن عشر بقع من الحبر مطبوعة على بطاقات من الورق المصقول المقوى من مقاس 9.5 بوصة × 5.5 بوصة بعض هذه البطاقات ملون وبعضها أسود وأبيض على النحو التالي:

- البطاقات أرقام 1، 4، 5، 6، 7، ليست ملونة وعبارة عن درجات مختلفة من اللون الأسود واللون الرمادي.
- البطاقتان أرقام 2، 3، مطبوعة باللونين الأحمر والأسود.
- البطاقات أرقام 8، 9، 10، مطبوعة بألوان متعددة.

ورغم أنه لا يوجد اتفاق بين الأخصائيين على كيفية تطبيق الرورشاخ إلا أنه من المتبع عادة أن تعرض البطاقات العشر على المفحوص حسب الترقيم الموجود خلف كل بطاقة ويقال للمفحوص: هذه البقعة بماذا تذكرك؟ أو هذه البقعة ماذا تشبه؟ كما يقال له كذلك إن ما تراه في البقعة هو أمر راجع إلى تقديرك أو وجهة نظرك وعادة ما يطبق الاختبار فردياً.

وينقسم تطبيق الاختبار إلى مرحلتين أو ثلاث هي على التوالي: التداعي الحر ثم الاستعلام ثم اختبار الحدود كما يلي:

1. **التداعي الحر Free Association**

حيث يقوم الأخصائي النفسي بعرض البطاقات العشر الواحدة تلو الأخرى حسب التسلسل الرقمي المثبت خلف كل بطاقة على المفحوص، ويسجل استجابته كتابة، ويقوم الأخصائي النفسي كذلك بتسجيل الزمن المستغرق بين عرض البقعة وبين بداية استجابة المفحوص وهو ما يسمى زمن الرجع وكذلك يسجل المدة الزمنية التي يستغرقها المفحوص في الاستجابة لكل بقعة وهو ما يسمى الزمن الكلي ويسجل أي سلوكيات غير مألوفة أو ملفتة للنظر تصدر عن المفحوص أثناء الاستجابة مثل الضحك أو التشنج أو العصبية.

2. **الاستعلام أو التحقيق Inquiry**

وبعد تقديم البطاقات العشر بالطريقة السابق الإشارة إليها تبدأ مرحلة الاستعلام أو الاستفهام أو التحقيق حيث يعرض الأخصائي النفسي كل بطاقة مرة أخرى على المفحوص، وفي هذه المرحلة يهتم الأخصائي النفسي بجوانب معينة من شأنها تحديد استجابة المفحوص، (مثال ذلك معرفة على أي جزء من البقعة يركز المفحوص في استجابته). وعادة ما يتجنب الأخصائي النفسي أية أسئلة إيحائية ويسأل مقابل ذلك أسئلة عامة للمفحوص مثل أين ترى الشخص في هذه البقة؟ أين ترى الشجرة؟ أو أين ترى الحيوان؟ (إذا كان المفحوص يذكر أنه يرى شخصاً أو شجرة أو حيواناً في بقعة ما). وأحياناً توجد استمارات

يحرر بها الأخصائي النفسي ما يدلي به المفحوص من معلومات خلال مرحلة التداعي الحر ومرحلة الاستعلام أو التحقيق.

3. اختبار الحدود Testing limits

واختبار الحدود مرحلة اختيارية، ويستخدم عندما يفشل المفحوص في الاستجابة لبقع الحبر، والغرض من اختبار الحدود هو تحديد أو معرفة هل المفحوص لا يستطيع إدراك البقع كما يدركها معظم الناس أو أن المفحوص يستطيع أن يستجيب للبقع استجابة عامة ولكنه آثر أن يعطي استجابات مخالفة؟

وفيما يلي مثال توضيحي لاستجابة مفحوص ما لإحدى بقع الحبر:

أ. زمن الرجع Reaction Time: ثانية واحدة.

ب. الزمن الكلي Total Time: 14 ثانية.

ج. التداعي الحر: البقعة تشبه زوجاً من الطيور، مع جثة لشخص مقطوع الرأس، وهذه الطيور ترفرف بأجنحتها وكأنها تهاجم الجثة إنها طيور كبيرة. ومخالبها ممسكة بجثة الشخص، وهناك كثير من الحركة في الصورة.

د. الاستعلام أو التحقيق:

- الأخصائي النفسي: أين ترى الشخص أو الجثة وزوج الطيور؟ وفي أي مكان من البقعة؟
- المفحوص: في كل البقعة الشخص في الوسط وزوج الطيور على الجانبين.
- الأخصائي النفسي: كيف وصلت إلى هذا الاستنتاج أو هذا التصور للبقعة؟
- المفحوص: لا أعرف بالتحديد ولكنها تشبه شكل جسم شخص في الوسط زوج الطيور على الجانبين وأجنحة الطيور ترفرف.

ه. اختبار الحدود:

- الأخصائي النفسي: بعض الناس يرون في هذه البقعة أشياء مثل شكل حشرة أو شكل مخلوق له جناحان أو ما شابه ذلك، هل ترى شيئاً من ذلك في البقعة؟
- المفحوص: بالتأكيد إن البقعة تشبه الحشرة أو الفراشة، ولها جسم صغير في الوسط ولها جناحان كبيران.

و. التفسير: بعد جمع المادة عن استجابات المفحوص فإن الأسلوب الذي يتم به تفسير هذه المادة يختلف من باحث إلى آخر. وبعض الباحثين يلجأون إلى أساليب ذاتية في التفسير معتمدين على الحس السيكولوجي أو الحدس المهني، والبعض الآخر يفضل أن يفسر استجابات المفحوصين في ضوء ما أسفرت عنه البحوث السابقة على اختبار الرورشاخ والتي درست العلاقة بين نوعية الاستجابات على الاختبار وبين سمات وخصائص الشخصية.

ثانيا: أساليب التصحيح

نناقشها فيما يلي:

1. الأساليب الحدسية Intuitive Approaches

يلجأ بعض الباحثين إلى فحص استجابات المفحوصين ويصلون من ذلك إلى تفسيرات أو أحكام بخصوص المفحوص، هذه التفسيرات أو الأحكام مبنية على خبراتهم الإكلينيكية وبصيرهم السيكولوجية، مثال ذلك: أن المفحوص يرى في بقعة ما طيوراً تهاجم أحد الأشخاص وتنهشه، فإن تفسير ذلك أن هذا المفحوص يشعر أنه مهدد ومعرض للعدوان من الآخرين. وهذا الأسلوب من التفسير يعتمد بشدة على محتوى استجابة المفحوص ورمزية هذا المحتوى، وكذلك على الاعتقاد أن المفحوص يبدي في استجابته قدراً كبيراً من عناصر شخصيته ومظاهر سلوكه وذلك أثناء استجابته لمادة غير محددة المعالم مثل بقع الرورشاخ. وبعض الأساليب الحدسية الأخرى ترى أن استجابة المفحوص لبقع الحبر هي بمثابة صورة مصغرة من عناصر شخصيته، أو أنها تبين عن جوانب حياتية هامة أو دالة عند المفحوص. وعلى ذلك فإن المفحوص الذي يركز فيه استجاباته على أجزاء صغيرة أو تافهة أو غير أساسية في البقعة، فإن هذا المفحوص يمكن أن يوصف بالمعاناة من الوسواس القهري، وأنه مشغول بأمور تافهة في الحياة عن الأمور الأساسية. وكذلك فإن الأشخاص الذين يعطون استجابات أو أوصافاً عامة غير محددة للبقعة فإن ذلك يفسر بأنهم أشخاص تقليديون وليست لديهم رغبة لبذل محاولات بقصد إبراز ابتكاراتهم أو أصالتهم أو مبادأتهم وذلك خوفاً من الفشل أو الإخفاق.

ومثل هذه التفسيرات تتفق فيما بينها بوجه عام على أنها لا تعتمد على طريقة محددة للتصحيح أو لا تعتمد على الرجوع إلى نتائج الدراسات السابقة بخصوص تحديد الخصائص النفسية التي ترتبط بالاستجابات المتوقعة عند المفحوصين، وبعض التفسيرات الحدسية قد

تعتمد أحياناً على ما يساندها من نتائج الدراسات السابقة، إلا أن غالبية الباحثين الذين يأخذون بالتفسيرات الحدسية نادراً ما يهتمون بهذا الجانب أي ربطهم تفسيراتهم بنتائج بحوث سابقة في هذا المجال.

2. التصحيح Scoring

وربما يكون من قبيل التجاوز أن نلجأ إلى نماذج تصحيح إذا كان لا يوجد اتجاه محدد للإجابة، بحيث لا يمكن أن نصل إلى تقدير الإجابة من الناحية الكمية، (حيث نصل إلى التقدير الكمي في الاختبارات الموضوعية للشخصية وذلك بأن نحول الدرجات الخام إلى درجات معيارية، أو معيارية معدلة ثم نفسر دلالة هذه الدرجات أو نفسر دلالة الصفحة النفسية بوجه عام) لكن تصحيح اختبار رورشاخ يتم على أساس تحديد الجزء أو القطعة من بقع الحبر التي ركز المفحوص في استجابته عليها، ومعرفة الأسباب التي دفعته إلى ذلك. وبالرغم من أن أساليب التصحيح تعتمد على تحديدات معينة فإن الدرجات وهذه بالطبع تسمية مجازية أو اعتبارية على اختبار الرورشاخ ومن حسن الحظ أن إكسنر Exner جمع العديد من هذه الأساليب واستدمجها في النظام الشامل الذي نلخصه في النقاط الآتية:

أ. التحديد المكاني Location

وهذه الخطوة هي أول ما يتم بخصوص الحكم على الاستجابة والدرجة المعطاة على التحديد المكاني تمثل الحيز أو المساحة Area من بقعة الحبر التي يستخدمها المفحوص في تشكيل استجابته (مثلاً هل يستخدم المفحوص بقعة الحبر كلها في استجابته أو يستجيب لجزء منها فقط).

والرموز التالية تستخدم لتصنيف التحديدات المكانية للاستجابات:

- W: البقعة كلها.
- D: جزء من البقعة يشار إليه من قبل معظم المفحوصين.
- Dd: جزء من البقعة لا يشار إليه من قبل معظم المفحوصين.
- S: المساحة البيضاء.

ب. المستوى الارتقائي Developmental Level

حيث يؤخذ في الاعتبار نوعية الاستجابة من حيث الجانب المعرفي أو التكاملي فيها حيث إن بعض الاستجابات قد تكون سطحية وغير محددة أو منتظمة بمعنى أنه ينقصها التكامل، وبعض الاستجابات ابتكارية أو مركبة ويتوفر فيها قدر من التكامل.

وهناك أربع فئات لتصحيح المستوى الارتقائي أو التكاملي لكل استجابة وهي:

- +: استجابة تركيبية شاملة تجمع أجزاء البقعة في معنى واحد أو كل متكامل.
- O: استجابة عادية حيث يتم اختيار المفحوص لجزء معين من البقعة دون أن يبدي المفحوص تحريفات أو تشوهات في إدراك البقعة.
- V: استجابة غامضة حيث لا يبدي المفحوص في استجابته شكلاً محدداً بحيث يعطينا انطباعاً بعدم التحديد والتخلخل.
- -: استجابة اعتباطية غير محددة حيث يبدي المفحوص في استجابته قدراً كبيراً من عدم الاتساق في إدراكه للخصائص البنائية للجزء الذي يدركه من البقعة.

ج. المحددات Determinants

والمحددات هي كيف يستخدم المفحوص ملامح أو مظاهر معينة في البقعة لكي يشكل أو يحدد كيفية استجابته، ويرى إكسنر أن التحديدات هي أي عامل يظهر بحيث يعكس العمليات الإدراكية المعرفية التي يستخدمها المفحوص في تنظيم المادة المدركة أي بقعة الحبر، ويشتمل نظام إكسنر الشامل على المحددات السبعة التالية:

- الشكل Form: ويقصد به الشكل العام أو الإطار العام للجزء من البقعة الذي يحدد الاستجابة أو الذي تبنى عليه الاستجابة.
- الحركة Movement: أي ما يبديه المفحوص من أوصاف الحركة من أي نوع سواء كانت حركة إيجابية (رجل يقفز) أو حركة سلبية (كلب نائم).
- اللون Color: إلى أي مدى تكون الألوان بوجه عام أو اللون الأحمر بوجه خاص مكونات لبناء الاستجابة.
- الألوان غير الباستيلية Achromatic Color: أو ما قد يسمى الألوان غير اللونية أي الأبيض والأسود ودرجات اللون الرمادي المختلفة بينهما ومدى استخدام المفحوص لهذه الألوان في استجابته
- الظلال Shading: إلى أي مدى يستخدم المفحوص عناصر الإضاءة والظلام والظلال في إدراك البقعة.
- بعد الشكل Form Dimension: وهو إلى أي مدى يكون إدراك المفحوص للبقعة قائماً أساساً على الشكل وليس على الظلال.

- الانعكاسات Paris or Reflections: وهو إلى أي مدى تتحقق السيمترية أو التناسق في إدراك البقعة.

د. نوعية الشكل Form Quality

يقصد بنوعية الشكل هو حسن المطابقة بين استجابة المفحوص وبين الخصائص البنائية للبقعة، أو للجزء من البقعة التي تمت حيالها الاستجابة، أي أن التقدير حسب نوعية الشكل يأخذ في الاعتبار الخصائص البنائية للبقعة التي يبديها الأسوياء وكذلك تقدير الأخصائي النفسي لنوعية إدراك المفحوص للبقعة ومدى التجانس بين استجابة المفحوص وبين هذه الخصائص البنائية.

هـ. النشاط التنظيمي Organizational Activity

يقصد بالنشاط التنظيمي إلى أي قدر يبين المفحوص في استجابته عن تكامل بين جزئين أو أكثر من أجزاء البقعة في علاقة ذات معنى معين.

و. المحتوى Content

ويقرر المحتوى حسب عوامل في استجابة المفحوص مثل هل تحتوي استجابة المفحوص على إنسان أو حيوان أو صورة أشعة (إكس) أو طائر...إلخ.

ز. الاستجابات المألوفة Popular Responses

وهي الاستجابات التي تُعطى عادة من قبل عدد كبير من المفحوصين، وتعتبر الاستجابة مألوفة إذا تكررت بواقع استجابة واحدة بين كل ثلاث استجابات أي أن يكون تكرارها بواقع ثلث استجابات المفحوصين.

ح. المثابرة Perseveration

ويقصد بها استمرارية المفحوص وإصراره على إعطاء استجابات متشابهة لعدد من البقع بصورة غير ملائمة رغم الاختلاف الواضح في شكل هذه البقع وهيئتها البنائية.

ط. الأوصاف غير المألوفة Unusual Verbalizations

وهذه الأوصاف غير المألوفة أو غير العادية تتضمن استخدام لغة مفككة أو تراكيب خطأ، أو استخدام علاقات غير واقعية في المدركات (مثل أن يذكر المفحوص أنه يرى جسم إنسان برأس أرنب أو أن يذكر بأن البقعة تشتمل على رجل وامرأة لأنه من المعتاد أن يوجد الرجال والنساء معاً).

وبعد أن يتم التصحيح باستخدام الأسلوب الذي سبق وصفه يقوم الأخصائي النفسي بتلخيص نتائج هذا التصحيح في سجل خاص، وهي عملية تفصيلية ليس هنا مجال التعرض لها، ومع ذلك فلا بأس من إعطاء مثال مبسط مختصر على ذلك ففي استجابة المفحوص الذي ذكرناه في المثال التوضيحي فإن الدرجة على التحديد المكاني هي (W) لأن استجابة المفحوص شملت البقعة كلها وفي المستوى الارتقائي يعطى المفحوص (+) لأنه أبدى تكاملاً في إدراك أجزاء البقعة في شكل عام له معناه ودلالاته وفي الاستعلام أو التحقيق فإن المفحوص ذكر شكلاً، ولذا فإن (الشكل) يصحح على أنه محدد وأن الحركة عنصر ظاهر في هذا التحديد ونوعية الشكل يمكن القول إنها مرتفعة لأن الاستجابة محددة وتتناسب بصورة طيبة مع شكل البقعة ويشار كذلك إلى النشاط التنظيمي على أنه متوفر في استجابة المفحوص لأنه يوجد تكامل في إدراك البقعة في وحدة كلية ذات معنى وبالنسبة للمحتوى فإن المفحوص أعطى استجابة (حيث قال إنسان وحيوان) وهذه الاستجابة ليست مألوفة لأنها ليست متواترة بنسبة الثلث بين الإجابات، ومن حيث المثابرة لا يمكن الحكم بصورة قطعية لأن الذي لدينا استجابة لبقعة واحدة ولا نعلم شيئاً عن الاستجابة للبقع الأخرى.

ومهما يكن من أمر فإن الإشارات أو التحديدات التي يقوم عليها نظام (إكسنر) هي على أساس أن الاستجابات المتشابهة من المفحوصين على (الرورشاخ) تشير إلى سمات شخصية متشابهة لهؤلاء المفحوصين، وهو أمر شائع كذلك في اختبارات الشخصية الموضوعية والتي تقوم على أساس تحديد خصائص ذوي الدرجة المرتفعة أو المنخفضة على هذه الاختبارات أو ما تشمل عليه من مقاييس وكذلك الأمر في تحديد كون الاستجابة مألوفة أم لا فإن ذلك يتم في حدود إحصاء نسبة تكرار الاستجابة مألوفة أم لا بين المفحوصين الذين سبق إجراء الاختبار عليهم وكذلك الأمر في كون الاستجابة تقليدية أو ابتكارية.

3. الأساليب الإدراكية أو المعرفية

والأساليب الإدراكية أو المعرفية تستخدم الاستجابات كوسيلة لملاحظة وتحديد كيف يسلك المفحوص من الناحية اللفظية والإدراكية والمعرفية إن اختبار الرورشاخ يقدم للمفحوص مجموعة من المثيرات الغامضة يستجيب لها المفحوص، ويمكن للأخصائي النفسي أن يكتسب الخبرة والبصيرة في كيفية قيام المفحوص بتنظيم المدركات التي يراها في البقعة من حيث جزئياتها وعموميتها أو إدراك الأجزاء والعلاقات بين هذه الأجزاء كما تدل

استجابات المفحوص على سلوكياته وكيفية معالجته للأمور، هل منطقي في إدراكاته أو غير منطقي؟ وكذلك يمكن الاستدلال كذلك على مدى دافعيته هل هو مثابر أو هو من النوع الذي يتخلى بسهولة ويقلع عن متابعة أهدافه؟ وكذلك تدل استجابته ابتكارية أو تقليدية؟

وهكذا فإن الأخصائي بمداومته ومثابرته على ملاحظة ودراسة سلوك المفحوص وعلاقة سلوكه بالأداء على اختبار الرورشاخ يمكن أن يؤدي إلى وجود تصور معين لدى الأخصائي النفسي، هذا التصور مضمونه أنه يربط بين الأداء على اختبار الرورشاخ وبين الخصائص النفسية للمفحوص.

ورغم أن الأسلوب المعرفي الإدراكي قد يكون مقبولاً عند البعض فإنه يعتمد أكثر ما يعتمد على خبرة الأخصائي النفسي وكفاءته في تفسير الاستجابات ويعتمد كذلك على (النظرة الذاتية) للأخصائي النفسي، ولا يعتمد على أساليب عامة أو قواعد عامة يمكن أن يؤخذ بها في تفسير استجابات الأفراد على الرورشاخ من قبل عموم المشتغلين بالقيام النفسي هذا بالإضافة إلى أن البحوث التي أجريت حول الأسلوب الإدراكي المعرفي قليلة وغير شافية.

ثالثاً: تقييم الرورشاخ

من الصعب أن ينظر الأخصائي النفسي المتمرس إلى اختبار الرورشاخ على أنه أداة سيكومترية بمعنى الكلمة حيث لا يوجد اتفاق بين المختصين على أسلوب للتصحيح أو التفسير والأمر الوحيد المتفق عليه بين المختصين هو مجرد عرض البقع على المفحوص وسؤاله ما الذي يراه في البقعة؟ وما عدا ذلك فإن الخلاف كثير.

وخلافاً لاختبارات الذكاء والقدرات وحتى اختبارات الشخصية الموضوعية فإن الرورشاخ لا توجد له معايير ذات دلالة محددة متفق عليها وبرغم توفر العديد من الدراسات والبحوث عن هذا الاختبار إلا أن التضارب بين نتائج هذه الدراسات والبحوث وتضارب أساليب التصحيح والتفسير أدى إلى تراكم المزيد من التحفظات على الرورشاخ كأداة سيكولوجية متغيرة ومن الصعب أن نطبق الأسس السيكومترية على الرورشاخ مثل الثبات والصدق ومن الغريب أن بعض المفحوصين يرون أنه من السخف أن نقيس الشخصية بواسطة عناصر الاستجابة لعدة بقع من الحبر بل ويشاركهم ذلك نفر من علماء النفس، ولكن من جهة أخرى يرى البعض أن الرورشاخ يتمتع بما يمكن تسميته (الصدق الظاهري Face validity) حيث اشتهر الاختبار شهرة واسعة وأصبح جزءاً لا يتجزأ من

المادة العلمية لعلم النفس بل لعل بعض المفحوصين يعبر عن إصابته بخيبة الأمل إذا لم يجر عليه اختبار الرورشاخ (هذا في أمريكا على الأقل).

ونذكر على وجه العموم أنه من الصعب أن نجري على اختبار الرورشاخ دراسة مثل ثبات الاختبار بواسطة القسمة النصفية مثلاً، ذلك لأن كل بقعة حبر تختلف عن البقع الأخرى، أما دراسة لثبات بطريقة إعادة الاختبار فهو أمر يمثل مشكلة كذلك، لأنه من الصعب على المفحوص أن يتذكر استجابته بالتحديد لبقعة الحبر عند إعادة إجراء الاختبار عليه لأن إدراك المفحوص للبقع يتغير في مرات الإجراء المختلفة لأن البقع مثير غامض غير مرتبط بتصور معين نتوقع له الثبات بقدر أو بآخر، ومع ذلك فقد أجريت دراسات على ثبات الاختبار بطريقة إعادة الاختبار وكانت النتائج متضاربة، ففي بعض الدراسات تصل معاملات الثبات إلى نسب بالغة الارتفاع مثل 0.90 أو 0.80 وفي بعض الدراسات الأخرى تتدنى هذه النسب بحيث تقترب من الصفر.

أما بالنسبة لصدق الاختبار فإن ذلك يعتمد على الاستراتيجية التي يتخذها الأخصائي النفسي في تفسير الاستجابات على الاختبار. ولكي نتمكن من دراسة الصدق لا بد أن تتوفر أدلة على وجود علاقة أكيدة بين الأداء على الاختبار وبين محك خارجي، فمثلاً التصور الذي يوجد في بعض أنظمة التصحيح والتفسير من أن وجود الظلال في إدراك البقعة دليل على اتسام المفحوص بالاعتمادية أو عدم الاستقلال، يجب أن يعتمد على دراسات تؤكد هذه العلاقة على عينات كافية من المفحوصين، وأن تكون الأحكام على المفحوصين دقيقة ومن قبل اختصاصيين من أمثال المعالجين النفسيين أو الأطباء النفسيين الذين يعرفون المفحوصين معرفة دقيقة وشاملة ولا نكتفي في تصور وجود علاقة بين الاستجابة بوجود الظلال وكون المفحوص شخصاً تعوزه الاستقلالية ببحث أو بحثين على عينات صغيرة محدودة العدد ناهيك عن أن إجراء الرورشاخ على أعداد كبيرة أمر باهظ التكاليف من حيث الجهد والمال. ومع ذلك فإن زبدة القول أن دراسات الصدق التي أجريت على الرورشاخ تشير إلى نتائج سلبية بوجه عام اللهم إلا بعض الاستثناءات القليلة.

ولعل من نافلة القول أن نذكر أن التفسير الحدسي المبني على الحس الإكلينيكي والبصيرة السيكولوجية للأخصائي النفسي تحيط به التحفظات من كل جانب، ومن الصعب أن نجد أدلة أمبيريقية على صحة هذا التفسير الحدسي لاستجابات المفحوصين على اختبار الرورشاخ والسبب الرئيسي في هذا بديهي واضح لأنه كل أخصائي نفسي له خبرته وتجاربه

وتوجهه العلمي بحيث أن كل أخصائي نفسي سوف يفسر نفس الاستجابة تفسيراً مختلفاً اختلافاً قليلاً أو كبيراً عن الآخر، فكيف يتأتى لنا أن نحكم على صدق اختبار ثمة اختلاف أساسي على أساليب تفسير نتائجه، وهنا كذلك يثار الكثير من اللغط حول صلاحية الرورشاخ ليكون اختباراً نفسياً له الخصائص السيكومترية الأساسية من ثبات وصدق ومحكات ومعايير مما يدعو البعض إلى القول إن الطنين الذي أثاره ظهور اختبار لرورشاخ منذ تسعة عقود ليس أكثر من زوبعة في فنجان، ولكن الأمر اللافت للنظر أنه لا يوجد مرجع من عمر المراجع في القياس النفسي إلا ويفرد فصلاً موسعاً للحديث عن هذا الاختبار، ولعل أهل الاختصاص من المهتمين بالاختبارات الإسقاطية يقدمون الأدلة على كفاءة وجدارة هذا الاختبار فيما يلي من أيام.



صورة من اختبار بقع الحبر

الملخص

إن اختبار بقع الحبر (الرورشاخ) اختبار إسقاطي يستخدم بقـع الحـبر كـثيرا، وذلـك لدراسة شخصية المفحوص.

يتكون الاختبار من عشر بقع من الحبر بعضها أبيض وأسود وبعضها ملـون، يجـري الاختبار بأن تعرض البطاقات بترتيب خاص علـى المفحـوص ويطلـب منـه أن يـذكر بمـاذا تذكره هذه البقع أو ماذا تشبه؟

هناك أساليب عديدة لتفسير نتائج هذا الاختبار أشهرها:

أسلوب إكسنر

ويقوم على تفسير استجابات المفحوص بالرجوع إلى عدة أمور أهمها:

1. التحديد المكاني: يبين هل يستخدم المفحوص في الاستجابة بقعـة الحـبر كلـها أو جـزءاً منها.
2. المستوى الارتقائي: يبين هل الاستجابة سطحية أم متكاملة أم اعتباطية؟
3. المحددات: حيث يبين المحددات التي تظهر في استجابة المفحوص مثل الشكل العام للبقعة وما في وصفه للبقعة من حركة أو لون أو ظلال.
4. نوعية الشكل: أي حسن المطابقة بين استجابة المفحوص للبقعة وبين الخصائص البنائية لها.
5. النشاط التنظيمي: بمعنى هل هناك تكامل في استجابة المفحوص لأجزاء البقعة؟
6. المحتوى: أي هل تحتوي استجابة المفحوص على صور إنسان أو حيوان؟
7. الاستجابات المألوفة: وتعتبر الاستجابة مألوفة إذا تكررت بواقع استجابة واحـدة بـين كل ثلاث استجابات أي أن يكون تكرارها بواقع ثلث استجابات المفحوصين.
8. المثابرة: ويقصد بها استمرارية المفحوص وإصراره على إعطاء استجابات متشابهة لعدد من البقع بصورة غير ملائمة رغـم الاخـتلاف الواضـح في شـكل هـذه البقـع وهيئتهـا البنائية.
9. الأوصاف غير المألوفة: وهذه الأوصاف غير المألوفة تـضمن اسـتخدام لغـة مفككـة أو تراكيب خطأ، أو استخدام علاقات غير واقعية في المدركات.

أسئلة للمناقشة

1. ناقش (فرض الإسقاط) كأساس لاختبار رورشاخ؟
2. اشرح باختصار نظام إكسنر الشامل في تفسير نتائج اختبار رورشاخ؟
3. من حيث الصدق والثبات هل يمكن اختبار رورشاخ أداة سيكومترية دقيقة؟
4. اكتب بحثاً مختصراً تحت عنوان (الأساليب الحدسية في تفسير الاستجابات على الرورشاخ)؟
5. طبق اختبار الرورشاخ على أحد المفحوصين، واحكم على استجابته باستخدام أحد أساليب التصحيح الواردة في هذا الفصل؟

الفصل الثاني

اختبار تفهم الموضوع

Thematic Apperception Test (TAT)

مقدمة

يعتبر اختبار تفهم الموضوع TAT من أكثر الاختبارات الإسقاطية شهرة، ولعله يأتي بعد الرورشاخ في الأهمية، وقد قام بإعداد هذا الاختبار هنري موراي Murray عالم الشخصية الشهير، وساعده في ذلك كريستينا مورجان Morgan وذلك عام 1935م.

وقد أعد هذا الاختبار على أساس نظرية موراي في الشخصية (راجع الحاشية لمزيد من المعلومات)، وصدر تعديل للاختبار عام 1943م.

ونتحدث عن هذا الاختبار باختصار في النقاط التالية:

أولا: مادة الاختبار وتصحيحه

يتكون اختبار تفهم الموضوع من 31 بطاقة تحتوي كل منها على صور أو مناظر فيها بعض الأشياء والشخوص، بالإضافة إلى بطاقة بيضاء خالية من أي منظر، وبالرغم من أن هذه البطاقات تعتبر مثيرات أقل غموضاً من بطاقات الرورشاخ فإنه يوجد قدر من الغموض في البطاقات أو المثيرات بحيث يؤدي ذلك إلى اختلافات واسعة في استجابات الأفراد على هذه البطاقات.

وفي كراسة تعليمات الاختبار و لتي صدرت عام 1943م فإن موراي يقترح طريقة معقدة ومكلفة من حيث الجهد والوقت وذلك بأن تعرض مجموعتان من البطاقات كل مجموعة مكونة من عشر بطاقات على المفحوص مرتين، ولكن السائد الآن في تطبيق الاختبار هو اختيار عشر بطاقات وتطبيقها في جلسة واحدة، وكل بطاقة تعرض مرة واحدة ،وهناك بطاقات مخصصة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأولاد ورابعة للبنات وبطاقات مشتركة للجميع أو عامة، والمطلوب في هذا الاختبار بالنسبة للمفحوص أن يروي قصة تفسر ما يحدث في الصورة. ويعطي الأخصائي النفسي في هذا المقام تعليمات بسيطة مثل

«هذه البطاقة تحتوي على منظر أو صورة هل يمكنك أن تروي قصة تفسر ما يحدث في هذا المنظر أو الصورة. وعليك وصف مشاعر وإحساسات أشخاص هذه الصورة، وبيان كيف تجري الأشياء والوقائع فيها» هذا بالنسبة للبطاقات الثلاثين، أما البطاقة الخالية فيطلب من المفحوص أن يتخيل صورة ثم يحكي ما يدور فيها من وقائع وأحداث.

وتعرض محتوى الصور التي تتضمنها بطاقات الاختبار وما تثيره هذه الصورة من أفكار على النحو التالي:

- الصورة (1) «عامة»: ولد صغير جالس إلى منضدة يتأمل وينظر إلى آلة موسيقية «كمان» وهذه الصورة تثير قصصاً حول الوالدين والقلق وصورة الذات والإنجاز.
- الصورة (2) «عامة»: منظر في الريف وفتاة تمسك بكتاب في يدها. وفي الصورة كذلك رجل يعمل في حقل بجواره حصان وامرأة مستندة إلى جذع شجرة شاخصة ببصرها إلى الفضاء، ويذكر أن هذه الصورة تثير قصصاً حول العلاقات الأسرية وعن النواحي الجنسية.
- الصورة (3) «أولاد ورجال»: ولد يجلس على الأرض مستنداً برأسه وذراعه الأيمن على أريكة وعلى الأرض يوجد مسدس وتثير هذه الصورة قصصاً عن العدوان.
- الصورة (3) «بنات ونساء»: شابة صغيرة تقف مستندة بيدها اليسرى إلى باب خشبي وتغطي وجهها بيدها اليمنى وهذه الصورة تثير قصصاً تدور حول الاكتئاب.
- الصورة (4) «عامة»: امرأة تنظر إلى رجل وتمسك بكتفه وهو يحول نظره عنها كأنه يتخلص من مسكتها، وهذه الصورة تثير قصصاً عن العلاقة بين الذكور والإناث.
- الصورة (5) «عامة»: امرأة في مرحلة وسط العمر تقف على عتبة إحدى الغرف تنظر من باب موارب إلى داخل الغرفة، وتثير هذه الصورة قصصاً عن مراقبة الأم للأبناء وكذلك الخوف من الاقتحام.
- الصورة (6) «أولاد ورجال»: امرأة عجوز تميل إلى القصر واقفة معطية ظهرها لشاب تبدو عليه الحيرة. وتثير هذه الصورة قصصاً عن العلاقة بين الأم والابن.
- الصورة (6) «بنات ونساء»: امرأة شابة تجلس على أريكة تلتفت إلى الوراء بينما يوجد في الخلف رجل يدخن غليوناً وكأنه يتحدث إليها وتثير هذه الصورة قصصاً عن العلاقة بين الابنة والأب.

- الصورة (7) «بنات ونساء»: امرأة تجلس على أريكة تمسك كتاباً بجوارها طفلة تمسك لعبة تجلس على حافة الكرسي وكأن المرأة تحدث الطفلة أو تقرأ لها وتثير هذه الصورة قصصاً عن علاقة الأم بالابنة.
- الصورة (8) «أولاد ورجال»: شاب كأنه ينظر إلى خارج الصورة وخلفه منظر لشخص يبدو أنه يخضع لعملية جراحية، وفي الصورة كذلك شكل لشيء أشبه بالبندقية وتثير هذه الصورة قصصاً عن العدوان والطموح.
- الصورة (8) «بنات ونساء»: امرأة تجلس مسندة ذقنها إلى يدها وكأنها شاردة تفكر أو تنظر إلى خارج المنظر وتثير هذه الصورة قصصاً عن المخاوف والعلاقات الجنسية.
- الصورة (9) «أولاد ورجال»: أربعة من الرجال كأنهم بملابس العمل ينامون على الحشائش وتثير هذه الصورة قصصاً عن العدوان والطموح.
- الصورة (9) «بنات ونساء»: فتاة تستند إلى شجرة وبيدها كتاب وحقيبة تنظر إلى امرأة تجري بمحاذاة ساحل البحر ترتدي ثياباً تبدو كأنها ثياب سهرة، وتثير هذه الصورة قصصاً حول الاكتئاب والبرانويا والانتحار.
- الصورة (10) «عامة»: منظر لرأس امرأة تستند إلى كتف رجل وتثير هذه الصورة قصصاً حول العلاقات الذكرية الأنثوية.
- الصورة (11) «عامة»: منظر لطريق جبلي وعربة أشكال غامضة وفي جانبه الأيسر يشكل تنيناً، وتثير هذه الصورة قصصاً حول المخاوف والقلق والعدوان.
- الصورة (12) «رجال»: شاب ينام مغمض العينين على أريكة ورجل عجوز طويل القامة يمد يده باتجاه الشاب وكأنه ينحني فوقه، وتثير هذه الصورة قصصاً حول العلاقة بين شاب ورجل عجوز.
- الصورة (12) «نساء»: فتاة شابة تنظر إلى خارج الصورة وخلفها امرأة عجوز كأنها تنظر إلى الفتاة الصغيرة وتثير هذه الصورة قصصاً تدور حول العلاقات الأمومية.
- الصورة (12) «أولاد وبنات»: زورق صغير بجانب جدول للماء وبالمنظر كذلك شجرة كبيرة ولا يوجد شخوص في الصورة وتثير هذه الصورة قصصاً تدور حول الاكتئاب والانتحار.

- الصورة (13) «أولاد»: طفل صغير يجلس القرفصاء على باب كوخ خشبي وتثير هذه الصورة قصصاً حول ذكريات الطفولة.
- الصورة (13) «بنات»: فتاة صغيرة تصعد سلم يذكر أن هذه الصورة غير مفيدة ولا تثير قصصاً معينة.
- الصورة (13) «ذكور وإناث»: شاب يقف مطأطئ الرأس يخفي وجهه بذراعه الأيمن وفي الصورة امرأة راقدة على سرير وهذه الصورة تثير قصصاً تتناول صراعات بين الذكور والإناث.
- الصورة (14) «عامة»: صورة ظلية لرجل في مواجهة نافذة وبقية الصورة معتمة تماماً وتثير هذه الصورة قصصاً تتناول مخاوف الظلام أو الانتحار.
- الصورة (15) «عامة»: رجل طويل القامة واقف بين مجموعة من المقابر، وتثير هذه الصورة قصصاً تتناول الموت والخوف منه.
- الصورة (16) «عامة»: خالية وتثير قصصاً حسب قدرة المفحوص على اصطناع هذه القصص.
- الصورة (17) «أولاد ورجال»: رجل عار معلق بحبل يستخدمه في الصعود أو في الهبوط وتثير هذه الصورة قصصاً عن الهواجس الأوديبية.
- الصورة (17) «بنات ونساء»: كوبري على مجرى نهر تقف عليه امرأة منحنية على سور الكوبري وكأنها تنظر في الماء وفي خلفية الصورة مبانٍ عالية وبعض الرجال وتثير هذه الصورة قصصاً تدور حول أفكار عن الانتحار.
- الصورة (18) «أولاد ورجال»: رجل تمسك به ثلاثة أيد وأصحاب الأيدي لا يظهرون في الصورة وتثير هذه الصورة قصصاً تتناول أفكاراً عن القلق عند الذكور.
- الصورة (18) «بنات ونساء»: امرأة تمسك بيدها عنق امرأة أخرى، وكأن المرأة الأولى تدفع الثانية نحو حاجز (درابزين) سلم وتثير هذه الصورة قصصاً تدور حول العدوان عند الإناث.
- الصورة (19) «عامة»: شكل غامض يظهر فيه الضباب والغيوم والعواصف تحيط بكوخ في منطقة ريفية، ولا تثير هذه الصورة قصصاً بعينها لذا فإن فائدة الصورة محددة.

- الصورة (20) «عامة»: منظر معتم لشخص (رجل وامرأة) يستند إلى عمود نور في أحد الشوارع، وتثير هذه الصورة قصصاً تدور حول الخوف من الظلام خاصة عند الإناث.

مثال توضيحي

استجاب أحد المفحوصين على صورة تشبه إحدى صور اختبار تفهم الموضوع بالاستجابة الآتية:



«إنه طالب في إحدى قاعات الدراسة يستمع إلى مدرس يشرح مادة متضمنة في أحد الكتب المدرسية، وهذا الكتاب بجانب الطالب والطالب يبدي قدراً كبيراً من الاهتمام بموضوع الدراسة، وهذا الطالب أجتاز بنجاح سنوات الدراسة وهو طالب ذكي. وقد دخل حجرة الدراسة مع زملائه وهو الآن يستمع إلى المدرس، كما أنه يحاول أن يفهم الموضوع الذي يشرحه المدرس، وهذا الموضوع جديد بالنسبة له. والمدرس كذلك يحاول جاهداً أن يشرح الدرس وأن يجعل التلاميذ يفهمون، وهذا الطالب سوف يفهم موضوع الدرس ثم يخرج من حجرة الدراسة سعيداً. وهذا الطالب سوف ينجح في حياته».

وعادة ما يطبق اختبار تفهم الموضوع بطريقة فردية، والمهمة الأساسية بالنسبة للأخصائي النفسي أن يسجل استجابات المفحوص تسجيلاً حرفياً كما ذكرت بدون تحريف. وفي بعض أساليب الإجراء يطلب الأخصائي النفسي من المفحوص أن يسجل استجابته كتابة ويقال إن تسجيل الاستجابة من قبل المفحوص قد يقل لمن عنصر العفوية والتلقائية التي تبدو في الإجابة الشفاهية، وكذلك يقال إن تسجيل الاستجابة كتابة يجعلها أكثر تحديداً وأقرب أن تكون رسمية هذا إلى أن الاستجابة المكتوبة تمكن الأخصائي النفسي من دقة الحكم أكثر من الاستجابة الشفاهية.

ولكن ذلك كله مردود عليه بأن الاستجابة الشفاهية أدق لأن الأخصائي النفسي أثناءها يمكنه ملاحظة وتسجيل المظاهر الانفعالية التي تبتدي على المفحوص عند الاستجابة مثل الغضب أو البكاء أو التشنج أو الاندفاعية.

ثانيا: تأويل القصص الاختبار

كما هو الحال في اختبار الرورشاخ لا توجد طريقة موحدة لتفسير القصص التي يرويها المفحوص لقصص اختبار تفهم الموضوع وهناك أساليب عديدة نجتزئ بعرض بعضها فيما يلي:

1. **التفسير في ضوء نظرية الحاجات Murray System**

ويسمى أسلوب موراي ويقوم على أساس تفسير القصص التي يرويها المفحوص في إطار نظرية الحاجات أو الدوافع عند موراي حيث يهتم هذا الأسلوب بتحليل محتوى القصة في إطار المضامين الآتية:

أ. البطل Hero: البطل هو الشخص الذي تدور حوله القصة والذي يبدو أن المفحوص يتوحد به أو يتفاعل معه أو يتقمص شخصيته، وليس بالضرورة أن يكون الذي يتوحد معه المفحوص مماثلاً له من حيث السن أو الشكل أو الجنس وإن كان هذا التماثل وارد في أحيان كثيرة.

ب. الحاجات Needs: هي القوى التي تنبعث من البطل، إن الحاجات هي الأشياء التي يريدها البطل أو التي يبتغيها ويعمل من أجل تحقيقها، ويعطينا موراي قائمة بالحاجات مثل الحاجة إلى لوم الذات والإنجازات والانتماء والعدوان والاستقلال الذاتي والكفاح والخضوع والسيطرة وتجنب الفرد والاستعراض واللعب والجنس والمعاضدة.

ج. الضغوط Press: والضغوط هي القوى التي تنبعث من البيئة تجاه البطل، أي تلك العوامل التي يعاني البطل منها وكيف تتعامل البيئة مع البطل وكيف تقوم بتسهيل أو تفسير إرضاء حاجاته، وبمعنى آخر إن الضغوط هي القوى التي تعترض الشخص في حياته فتقيده أو تضره، وقد تكون هذه الضغوط أشياء أو أشخاصاً، ويطلق موراي لفظ (الضغط ألفا Alpha Press) على الضغوط المنظور إليها نظرة موضوعية، أي الخصائص الموضوعية للأشياء والأشخاص التي تمثل ضغوطاً على الفرد، ويطلق لفظ (الضغط بيتا Beta Press) على الضغوط المنظور إليها نظرة ذاتية، أي الخصائص الذاتية التي يضفيها الفرد على الأشياء أو الأشخاص التي تمثل ضغوطاً عليه، كأن (الضغط

ألفا) هو الضغط الفعلي الموضوعي، أما (الضغط بيتا) فهو الضغط كما يدركه الفرد وكما يتصور من وجهة نظره الذاتية ومن الضغوط التي قد يتعرض لها الفرد التهديد والرفض والاستبداد، ويمكن للأخصائي النفسي تقييم الحاجات والضغوط على مدرج مكون من خمس نقاط لتقدير أهميتها في القصة.

د. المحصلة Outcome: المحصلة هي الحكم على موقف البطل من حيث إنه شخص متفائل يأخذ المواقف الحياتية من حيث زاويتها السارة أو أنه متشائم يأخذ المواقف الحياتية من حيث زاويتها الحزينة.

هـ. التفهم أو الفكرة Theme: التفهم هو محاولة ربط حاجات البطل والقوى البيئية ومحصلة القصة في فكرة عامة ذات معنى وذات دلالة.

ويشير موراي في كراسة تعليمات الاختبار إلى نظام التفسير الذي يقترحه Murray Interpretative System الذي يقوم على المضامين السابقة متأدياً في الأخير إلى أن حاجات البطل في القصة التي يرويها المفحوص. وكذلك إدراكاته واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها وما في هذه البيئة من خصائص وضغوط. إنما هو انعكاس أو تصوير أو إسقاط لخصائص المفحوص. وفي نظام تفسير موراي هذا يركز الأخصائي النفسي على الخروج بانطباع عام عن شخصية المفحوص وذلك من خلال القصص العديدة التي يرويها كاستجابة للصور الموجودة في بطاقات الاختبار.

وفي القصة التي وردت في المثال التوضيحي الذي ذكرنا آنفاً فإن نظام تفسير موراي يؤدي بنا إلى القول إن البطل هو الولد أو الشاب الذي يلبس القميص المربعات. والحاجة الأساسية التي يعبر عنها البطل هي الإنجاز المتمثل في التحصيل؛ لأن الولد مهتم بالدراسة والتعليم كما أنه تلميذ ممتازة وأما الضغوط والبيئة المحيطة فهي إيجابية تماماً وتوصف بأنها معززة لأن الولد (أي البطل) يرى المدرس على أنه يساعده على تحقيق أهدافه، والمحصلة هي التفاؤل لأن الولد سيكون سعيداً وناجحاً في حياته. أما التفهم فيمكن تلخيصه أن حاجة البطل هي الإنجاز المتمثل في التحصيل والضغوط إيجابية بناءة والمحصلة النهائية التفاؤل (هذا بالطبع تفهم يقوم على تصور افتراضي؛ لأن التفهم هنا يقوم على أساس صورة أو بطاقة واحدة، ولكن التفهم بصورته الدقيقة يكون بتجميع العناصر المشتركة في الصور العشر التي تعرض على المفحوص، وتحليل القصص التي يرويها من هذه الصور).

2. التصحيح الكمي Quantities Scoring

من أدق الأساليب الكمية المستخدمة في اختبار تفهم الموضوع هو الأسلوب الذي توصل إليه ماك كليلانك Mc Clelland عام 1976م. وقد استفاد ماك كليلانك من دراسات موراي وأسلوبه في التفسير الذي أشرنا إليه في النقطة السابقة. ولكن ماك كليلاند تحفظ على وجود عنصر الذاتية في طريقة تصحيح موراي وقام ماك كليلاند بإعداد طريقة للتصحيح الكمي بحيث تعطى درجات على حاجات الإنجاز التي يقوم الاختبار أساساً على قياسها.

وباستخدام أسلوب التصحيح الكمي عند ماك كليلاند فإن كل قصة تصنف في إحدى فئات ثلاث:

1. إذا كانت القصة لا تحتوي على إشارة إلى الإنجاز فإنها تعطى درجة (-1) إشارة إلى عدم وجود حاجة إلى الإنجاز.
2. إذا كانت القصة تحتوي على إشارة إلى الإنجاز ولكن الإنجاز ليس أساسياً فإنها تعطى الدرجة (صفر). على أساس أن الإنجاز كحاجة أمر غير مؤكد.
3. إذا كانت القصة تحتوي على الإنجاز كحاجة أساسية ومركزية في القصة فإنها تعطى الدرجة (+1).

وإذا كانت الدرجة (-1) أو (صفر) فإننا لا نحتاج إلى إجراءات إضافية. أما إذا كانت الدرجة (+1) فإنه يتم المزيد من إجراءات التصحيح، ومن تلك الإجراءات أن تعطى القصة درجات زائدة عن قوة دافعية الإنجاز إلى جانب عوامل أخرى تدور حول الجوانب البناءة في القصة. وقد تصل هذه الدرجات الإضافية إلى (+11).

وفي المثال التوضيحي الذي ذكرناه فإن المفحوص يعطى درجة (+1) لأن الإنجاز حاجة أساسية بل مركزية في قصته، وعندما نطبق إجراءات التصحيح الإضافية فإنه يحصل على مزيد من الدرجات لأن البطل في هذه القصة يبدو كأنه يعمل شيئاً من أجل تحقيق أهدافه وكذلك لأن البطل يعاين مظاهر انفعالية بناءة مصاحبة لإنجاز أهدافه وكذلك فإن القصة تدور بوجه عام حول الحاجة إلى الإنجاز، ومن الممكن حسب نظام ماك كليلاند أن تُعطى هذه القصة درجة إضافية (+5).

3. اختبار تفهم الموضوع كعينة للسلوك TAT asa behavioral Sample

يمكن أن تعتبر استجابات المفحوص على بطاقات اختبار تفهم الموضوع على أنها قصص تعبر عن متغيرات أسلوبية Sustematic Varialbes. ويقصد بالمتغيرات الأسلوبية ما

يبديه المفحوص من جوانب الأسلوب الذي يعبر عن القصة قبل استخدام اللغة بصورة صحيحة، ووضوح تعبيراته وكفاءة بناء الجمل وصحة الإعراب وغير ذلك من الخصائص الأجرومية أو النحوية. كما أن هذه القصص يمكن أن تقدم للأخصائي النفسي توضيحاً أو تحديداً لخصائص معينة يمكن أن يتسم بها المفحوص مثل الابتكار أو الدافعية أو الشعور بالتكامل ولا يلتفت هذا الأسلوب إلا قليلاً لمحتوى القصص التي يذكرها المفحوص، وكذلك ليس من الضروري أن يربط ما يذكره المفحوص من حاجات أو خصائص تتعلق بالبطل وبين المفحوص نفسه (معنى ذلك أن اختبار تفهم الموضوع يستخدم في هذا الأسلوب من التفسير وكأنه يقدم عينة سلوكية للمفحوص) تبين أسلوب المفحوص في الأداء والتوضيح والتكامل وكلن -من جهة أخرى- فإن هذا الأسلوب يفرغ اختبار تفهم الموضوع -وهو اختبار إسقاطي- من معناه وفكرته الأساسية التي تقوم على استشفاف حاجات المفحوص ودوافعه وما يعانيه من ضغوط من خلال تحليل القصص التي يرويها.

كذلك فإن هذا الأسلوب يعتمد على تقدير وكفاءة الأخصائي النفسي وخبرته الذاتية ولا توجد (معالم) معينة يسترشد بها للتفسير خاصة بالنسبة للأخصائي النفسي المبتدئ.

وإذا عالجنا القصة التي ذكرت في المثال التوضيحي على أساس اعتبار تفهم الموضوع عينة سلوكية فإنه يمكن القول إن هذه القصة هي عن شاب يحاول أن يفهم ويستوعب مقرراته الدراسية وأن عناصر القصة مبينة بصورة منطقية على ما توحي به الصورة ولكن القصة ليست ابتكارية ومع ذلك فهي أعلى من المتوسط من حيث احتوائها على تفاصيل، ومن حيث الدوافع والمشاعر التي تتضمنها القصة فإن المفحوص ليس دفاعياً ويحاول أن يرضي الفاحص بأنه يتعاون معه. أما مفردات القصة وبنيتها اللغوية أو الأجرومية فهي تشير إلى شخص متعلم بصورة جيدة، وكذلك تشير إلى شخص أعلى من المتوسط في الذكاء.

ثالثاً: تقييم اختبار تفهم الموضوع

كان اختبار تفهم الموضوع موضوع العديد من الدراسات وذلك منذ بدء ظهوره، وهذه البحوث تشير بوجه عام إلى أن هذا المقياس لا يقوم على أساس قوي كمقياس جيد للشخصية. كما أن هذا الاختبار يتسم بالتعقيد وعدم سهولة تفسير نتائجه بل وتميع هذا التفسير وعدم تحديده. ولعلنا نتساءل كيف يمكن القول إن اختبار تفهم الموضوع هو اختبار نفسي جيد رغم تضارب نتائج البحوث التي أجريت عليه منذ ما يقرب من نصف قرن.

ومثل بقية الاختبارات الإسقاطية فإنه لا يوجد اتفاق على المبادئ التقنينية لهذا الاختبار من حيث تطبيق الاختبار أو تصحيحه أو تفسير نتائجه. وطرق التصحيح سواء التي تم عرضها هنا أو تعرضها مراجع القياس النفسي الأخرى ليست محل اتفاق بين علماء القياس ومع ذلك يبقى اختبار تفهم الموضوع أداة سيكومترية هامة لأنه يقوم على أساس نظرية الحاجات عن موراي والتي يبدو أنها ما تزال نظرية هامة في علم النفس المعاصر ورغم التحفظات السيكومترية على هذا الاختبار.

وإلى جانب ما سبق نستطيع أن نقيم اختبار تفهم الموضوع من حيث الثبات والصدق فيما يلي:

1. الثبات

بسبب عدم وجود قواعد متفق عليها في تصحيح اختبار تفهم الموضوع، ومن حيث تفسير نتائجه فإن حساب ثبات هذا الاختبار تكتنفه العديد من الصعوبات كما أن اختلاف خصائص كل صورة من صور الاختبار من حيث خصائصها كمثير أي في شكل الصورة ومضمونها يؤدي إلى معاملات ثبات منخفضة.

وقد حسبت معاملات الثبات بواسطة إعادة الاختبار، وعلى أساس تصحيح الاختبار وتفسير نتائجه طبقاً لنظرية الحاجات عند موراي. وقد تراوحت معاملات الثبات حوالي 0.80 على أساس فارق زمني قدره شهرين بين الإجراء الأول والإجراء الثاني كما تراوحت هذه المعاملات حوالي 0.50 على أساس فارق زمني قدره عشرة شهور بين الإجراء الأول والإجراء الثاني، وقد تبدو هذه المعاملات مرتفعة بدرجة مدهشة -بالنسبة لاختبار إسقاطي- ولكن هذا قد يرجع أن المفحوصين يتذكرون بوجه عام القصص التي يقومون بروايتها في الإجراء الأول فيقومون بتكرار هذه القصص في الإجراء الثاني.

وفي مشروع علمي كبير وشهير أجراه ليتل Little عام 1959م لدراسة كفاءة مجموعة من اختبارات الشخصية الشهيرة طلب من اثني عشر من الأخصائيين النفسيين المتخصصين في اختبار تفهم الموضوع فحص استجابات اثني عشر من المفحوصين على الاختبار، وتقدير مستوى سوء التوافق لدى المفحوصين بناء على استجاباتهم، تبين أن الأحكام تختلف اختلافاً كبيراً بين الأخصائيين النفسيين الاثني عشر وذلك رغم تقارب هذه التقديرات بالنسبة لاختبارات أخرى من اختبارات الشخصية، مما يدل على تدني معاملات ثبات هذا الاختبار.

2. الصدق

أجريت العديد من الدراسات على صدق اختبار تفهم الموضوع حيث كانت تقارن بنتائج أداء المفحوصين على هذا الاختبار وتفسير هذه النتائج مع تقديرات لنفس المتخصصين باستخدام محكات أخرى لتقدير الشخصية ونوجز بعض هذه الدراسات فيما يلي:

أ. في دراسات ليتل Little التي أجريت عام 1959م تمت المقارنة بين نتائج اختبار تفهم الموضوع ومجموعات أخرى من اختبارات الشخصية، وبين نتائج وسائل أخرى لقياس الشخصية مثل دراسة الحالة أو المقابلة، وقد اتضح أن اختبار تفهم الموضوع يتقارب من حيث دقة الوصف مع اختبار الشخصية المتعدد الأوجه (منيسوتا) واختبار (الرورشاخ) ولكن مع ملاحظة أن كفاءة هذه الأدوات جميعاً أي (منيسوتا) و(الرورشاخ) وتفهم الموضوع كانت ضعيفة بالمقارنة بنتائج المقابلة ودراسة الحالة مما يشير إلى ضعف صدق الاختبارات الثلاثة.

ب. دراسات مورستين Murstain: والتي أجريت عام 1965م التي قامت على أساس مقارنة مجموعات من الفصاميين والعصابيين والذين يعانون من سوء التوافق اتضح ضعف القدرة التشخيصية لاختبار تفهم الموضوع وعدم تميزه بدقة بين هذه الفئات المتميزة فيما بينها تميزاً واضحاً.

ج. دراسات أدوك Adock: والتي أجريت أيضاً 1965م، حيث أثبتت هذه الدراسات قدرة تمييزية لاختبار تفهم الموضوع على مجموعات من المفحوصين مثل مجموعات من آباء الأطفال الفصاميين وآباء الأطفال الأسوياء كذلك قدرته على التمييز بين مجموعات من الإناث اللاتي يعانين من الاضطرابات الانفعالية. وبين مجموعات لا يعانين من هذه الاضطرابات، ومع ذلك فإن بحوث أدوك قد يكون عليها بعض التحفظات المنهجية.

د. دراسات وينر Weiner: والتي أجريت عام 1976م وهي تشير إلى أن ثمة شكاً في أن اختبار تفهم الموضوع يمكن أن يبين عن فوارق واضحة بين المفحوصين في الحاجات النفسية التي يقيسها، وتقوم عليها نظرية موراي في الشخصية والتي صمم الاختبار في ضوئها، وذلك مثل الحاجة إلى الإنجاز والحاجة إلى الانتماء والحاجة إلى الاستقلال والحاجة إلى تقدير الذات.

حاشية «أ»

نظرية موراي في الشخصية

هنري موراي Murray 1893-1988م: هو عالم نفسي أمريكي اهتم بدراسة الشخصية تحت اسم (علم الشخصية Personology) وهو يبني نظريته على أساس الاستفادة من نظرية التحليل النفسي وقد درب موراي على التحليل النفسي وتم تحليله نفسياً أثناء التدريب ومع ذلك فإنه كان يفضل أن يدرس الشخصية من خلال دراسة الأشخاص الأسوياء (خلافاً لأصحاب المدرسة التحليلية الذين كانوا يركزون على دراسة المرضى)

وكانت طفولته تتسم بأنه كان يعاني من رفض أمه له وحساسية شديدة لما يعانيه الآخرون وتعويضاً أشبه ما يكون بالتعويض (الأدلري) في مقابل ما كان يعانيه من عيوب في البصر وفأفأة وقصور في الألعاب الرياضية، حاول أن يتفوق في تلك الأخيرة ويتفوق في الحياة بوجه عام. ودرس التاريخ والطب واتجه إلى علم النفس متأثراً بعدة عوامل منها لقاؤه مع كارل يونج، وقد أثرت دراساته الطبية في التأثير على نظريته في الشخصية؛ إذ أكد على أهمية الوظائف الفسيولوجية من التأثير على الشخصية كما أكد على مفهوم أسماه تخفيض التوتر الذي عده قانوناً أولياً يحكم السلوك الإنساني متأثراً في ذلك بـ (فرويد) كما أكد مقتدياً بـ (فرويد) كذلك على أهمية اللاشعور وأثر خبرات الطفولة على السلوك الراشد. كما أشار في نظريته إلى المفاهيم الفرويدية مثل (الهو) و (الأنا) و (الأنا الأعلى) مع إجراء تعديلات في هذه المفاهيم. وقد قسم موراي الشخصية إلى ثلاثة قوى -الهو والأنا والأنا الأعلى- على النحو التالي:

1. الهو: هو مستقر الرغبات الاندفاعية الولادية وهو يمد الشخصية بالطاقة اللازمة، وهذا هو المذهب (الفرويدي) بنصه ولكن موراي يزيد أن الهو يتضمن بعض النزاعات الرغوبة مثل التوحيد والتعاطف وبعض صور الحب، وعلى هذا فإن بعض جوانب الهو يجب أن تكبت، أما الجوانب الأخرى فيسمح لها بالتعبير عن نفسها، وذلك حتى تتطور الشخصية بصورة طبيعية.
2. الأنا: يلعب الأنا دوراً نشيطاً ومؤثراً في تحديد السلوك، أكثر مما يلعبه في نظرية فرويد حيث اعتقد موراي أن الأنا ليس مجرد جهاز في خدمة الهو ولكنه تركيب أو بناء من شأنه أن يختار سلوكيات الفرد وينظمها، وحيث يقوم الأنا بكبت رغبات الهو المحظورة فإنه يمكنه من التعبير عن الرغبات غير المحظورة.

3. الأنا الأعلى: يتفق (موراي) مع فرويد في أن الأنا الأعلى يمثل استدماج قيم الحضارة ومعاييرها وأن الأفراد إنما يقيمون سلوكهم في إطار ما استدمجوه من قيم ومعايير لكن موراي أكد على أن الأنا الأعلى يستمر في التطور والتكون خلال فترات النمو المختلفة وليس إبان فترة الطفولة كما تشير النظرية الفرويدية.

ويعد مفهوم الدافعية من الأساسيات في نظرية موراي في الشخصية كما أن دراساته لموضوع الحاجات لشرح فكرة الدافعية تعد أهم الانجازات ذلك أن الحاجات في نظره تتصل بقوى كيميائية في المخ من شأنها أن تنظم كل الوظائف العقلية والإدراكية. كما أن الحاجات ترفع من مستويات التوتر في الكائن الحي، ومستويات التوتر هذه تنخفض بتحقيق الحاجات، كما أن الحاجات تحدد السلوك وتوجهه إلى الطريق المؤدية للإرضاء وقد أشار موراي إلى أن عدد حاجات الإنسان تبلغ العشرين من بينها الإنجاز والعدوان والاستقلالية والسيطرة وتجنب الأذى ومثل فرويد اعتقد موراي أن الشخصية تتطور خلال مراحل الطفولة وكل مرحلة تترك بصماتها على الشخصية في صورة عقدة، وهي نموذج من السلوك يوجه لا شعورياً نمو الفرد بعد ذلك.

هذا وقد أثارت نظرية موراي العديد من الدراسات التي اهتمت بابتكار الوسائل لقياس الحاجات التي أشار إليها في نظريته، لكن توجه النقد إلى نظريته بأن موضوع الحاجات لا ينسجم تماماً مع بقية أركان نظريته كما أن موراي أعد اختباراً في الشخصية هو اختبار تفهم الموضوع يقوم تفسير نتائجه على أساس نظرية موراي في الشخصية خاصة موضوع الحاجات.



صورة من اختبار تفهم الموضوع

الملخص

اختبار تفهم الموضوع: اختبار إسقاطي يتكون من 31 بطاقة تحتوي كل منها على صور أو مناظر فيها بعض الأشياء أو الشخوص، وبطاقة بيضاء خالية من أي منظر، تعرض هذه البطاقات على المفحوص ويطلب منه أن يحكي قصة تفسر ما يحدث في الصورة أو المنظر. وهناك بطاقات مخصصة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأولاد ورابعة للبنات وبطاقات مشتركة للجميع، تطبق منها عشر على المفحوص. وتفسر قصص المفحوص في إطار المضامين الآتية:

1. البطل: وهو الشخص الذي تدور حوله القصة وغالباً ما يتوحد به المفحوصين.
2. الحاجات: هي ما يريد البطل أن يحققه مثل الإنجاز أو السيطرة أو المعاضدة.
3. الضغوط: هي القوة التي تنبعث من البيئة تجاه البطل وقد تكون معسرة أو ميسرة.
4. المحصلة: هي حكم على موقف البطل مثلاً هل هو متفائل أو متشائم.
5. التفهم: هي ربط العوامل السابقة ببعضها في فكرة واحدة.

يمكن إجراء التصحيح الكمي بأن تعطى القصة درجات على النحو التالي:

أ. (-1): إشارة إلى عدم وجود حاجة إلى الإنجاز.

ب. (صفر): إشارة إلى وجود حاجة إلى الإنجاز ولكن غير واضحة.

ج. (+1): إشارة إلى وجود حاجة واضحة إلى الإنجاز.

د. ثم درجات إضافية كلما كانت الحاجة للإنجاز أكثر وضوحاً.

تعتبر القصص التي يرويها المفحوص في هذا الاختبار عينة سلوكية للمفحوص من حيث الجوانب الآتية:

1. استخدام اللغة بصورة صحيحة.
2. الابتكارية أو الدفاعية أو الشعور بالتكامل.
3. أي خصائص شخصية أخرى يمكن استخراجها من القصة.

الجوانب السيكومترية في الاختبار عليها ملاحظات من حيث الثبات والصدق مثل بقية الاختبارات الإسقاطية.

أسئلة للمناقشة

1. تحدث عن اختبار تفهم الموضوع في ضوء نظرية الحاجات عند موراي؟
2. هل اختبار تفهم الموضوع إسقاطي أو شبه إسقاطي؟ دلل على رأيك بأدلة علمية؟
3. قارن بين أسلوبين من أساليب تصحيح اختبار تفهم الموضوع مبيناً أوجه الاتفاق والاختلاف؟
4. طبق الأسس العامة للقياس على اختبار تفهم الموضوع وبيّن القيمة العلمية لهذا الاختبار؟
5. رغم التحفظات المتراكمة على اختبار تفهم الموضوع وغيره من الاختبارات الإسقاطية، لماذا بقيت هذه الاختبارات راسخة في الخزانة السيكولوجية؟



الفصل الثالث

اختبار تفهم الموضوع للأطفال

Children's Apperception Test (CAT)

مقدمة

توفر ليوبولد بلاك Bellack على إعداد صور من اختبار تفهم الموضوع تناسب الأطفال، حيث في عام 1949م أعد صورة من هذا الاختبار تناسب الأطفال تشتمل البطاقات فيها على مناظر للحيوانات وفي عام 1965م أعد صورة أخرى تشتمل البطاقات فيها على مناظر للبشر. ومنذ نشر هاتين الصورتين عمل بلاك على إصدار المزيد من الطبعات عن هاتين الصورتين.

ونخصص الحديث في هذا المقال عن الصورة التي تشتمل على مناظر للحيوانات في النقاط الآتية:

أولا: تعريف الاختبار

يتكون اختبار تفهم الموضوع للأطفال من عشر بطاقات تصور الحيوانات في أوضاع مختلفة، وهي أوضاع إنسانية تشابه تلك التي يتخذها البشر وتصلح للتطبيق على الأطفال في المستوى العمري من 3-10 سنوات. وتصلح للذكور والإناث وتقدم البطاقات العشر للطفل ويطلب منه أن يحكي قصة عما يدور في كل صورة أو كل بطاقة ويقوم الفاحص بتسجيل ذلك.

واختبار تفهم الموضوع للأطفال هو اختبار إسقاطي يهدف إلى دراسة شخصية الطفل دراسة دينامية، وذلك بقصد الكشف عن المشكلات التي يعاني منها الطفل وكذلك دوافعه وانفعالاته وفكرته عن العدوان وتصوره عن مدى تقبل الآخرين له. وكذلك على ما يعتريه من مخاوف أثناء الاستسلام للنوم في المساء، كما أن الاختبار يفيد في الكشف عن الصعوبات التي يعاني منها الطفل في الجماعات التي ينتمي إليها سواء في البيت أو في المدرسة أو في أي مكان آخر.

ثانيا: إجراء الاختبار

في إجراء هذا الاختبار نأخذ في الاعتبار بوجه عام المشكلات المتعلقة بالقياس النفسي للأطفال (مثل ما يتسم به الأطفال من خجل أو خوف من الغرباء أو عدم أخذ موقف الاختبار بجدية أو القصور في فهم التعليمات وتنفيذها)، ويستحسن أن تقدم بطاقات الاختبار على أنها (لعبة) مع الاحتفاظ بموقف (الجدية) والانضباط اللازمين للاختبار ويطبق الاختبار فردياً في العادة.

ويطلب من الطفل أن يحكي قصة عما يدور في الصور التي تشتمل عليها البطاقات، ويقال له: ما الذي يجري في هذه الصورة؟ ماذا تفعل تلك الحيوانات؟

وعندما يأخذ الطفل في سرد حكاياته فإن الأخصائي النفسي القائم بتطبيق الاختبار يتوجه إليه بأسئلة تدور عن الأحداث السابقة عما هو حادث في الصورة أو البطاقة وكذلك عن الأحداث اللاحقة المتوقع حدوثها بين شخوص الصورة ويجب تشجيع الطفل على الاسترسال في سرد الصور، ويمكن للأخصائي النفسي توجيه المزيد من الاستفسارات عن أحداث الصورة وشخوصها في حدود طاقة الطفل ومستوى فهمه، ويجب أن تعرض كل بطاقة منفردة وأن تعرض البطاقات بالترتيب حسب الأرقام المعطاة على كل بطاقة ولا تعطى البطاقات للطفل مجتمعة ليعبث بها.

ثالثا: وصف الاختبار

مادة هذا الاختبار عشر بطاقات مرقمة وكل بطاقة عليها صورة شخوصها من الحيوانات كما أسلفنا. وفيما يلي وصف مختصر لتلك الصور والاستجابات الشائعة التي تثيرها كل صورة:

- الصورة الأولى: ثلاثة من الأفراخ تجلس إلى منضدة عليها وعاء كبير للطعام، وفي ركن الصورة دجاجة كبيرة، صورتها معتمة قليلاً واستجابات الأطفال حيال هذه الصورة تدور حول قصص تناول الطعام وما يصاحب ذلك من إرضاء أو إحباط.
- الصورة الثانية: دب كبير من جهة يشد حبلاً من مواجهة دب كبير ومعه دب صغير يشدان الحبل من الجهة الأخرى وتدور استجابات الأطفال حيال هذه الصورة حول تعاون الأطفال مع آبائهم وكذلك حول فكرة الصراع والعدوان.

- الصورة الثالثة: أسد كبير يجلس على كرسي وبجانبه عصا وبيده غليون وفي جانب الصورة ثقب يطل منه فأر صغير. واستجابة الأطفال لهذه الصورة تدور حول (الأب القوي) أما الفأر فإن الأطفال قد يتعاطفون معه.
- الصورة الرابعة: حيوان كنغارو يضع على رأسه قبعة، ويعلق على كتفه حقيبة ويمسك بيده سلة فيها زجاجات من الحليب، ويتعلق في جرابه كنغارو صغير خلفه كنغارو صغير آخر يركب دراجة، وتدور استجابات الأطفال على هذه الصورة حول قصص العلاقة بين الطفل والوالدين خاصة الأم وغالباً ما يتوحد الأطفال بالكنغارو الصغير سواء الذي تحمله الأم أو الذي يركب الدراجة.
- الصورة الخامسة: غرفة بها سرير كبير في (عمق) الصورة، بالإضافة إلى سرير أطفال في صدر الصورة ويوجد بسرير الأطفال دبان صغيران. وتدور استجابات الأطفال على هذه الصورة أن السرير الكبير هو سرير الأبوين، وأن السرير الصغير خاص بالطفل أو أخوته ويتوحد الأطفال مع الدبين الصغيرين.
- الصورة السادسة: كهف مظلم بداخله دبان وفي مدخل الكهف صورة لدب صغير. وتدور استجابات الأطفال على هذه الصورة على أن الدبين يمثلان الأبوين ويتوحد الأطفال بالدب الصغير.
- الصورة السابعة: نمر تبرز أنيابه ومخالبه يهاجم قرداً، هذا القرد يحاول أن يقفز بعيداً عن النمر، وتظهر الاستجابات على هذه الصورة جوانب الخوف والقلق من العدوان وقد يميل بعض الأطفال إلى التعاطف مع القرد وإظهار أنه قد نجح في الهروب من النمر.
- الصورة الثامنة: قردان كبيران يجلسان إلى أريكة يحتسيان أكواب الشاي ثم قرد ثالث كبير يجلس منفرد على كرسي يتحدث إلى قرد صغير. وتدور استجابات الأطفال على الصورة حول الربط بين القردة الكبيرة والكبار في حياة الطفل مثل الوالدين، ويتوحد الطفل مع القرد الصغير.
- الصورة التاسعة: غرفة مظلمة قليلاً بابها مفتوح يظهر فيها سرير أطفال يجلس فيه أرنب ينظر في مواجهة الباب، واستجابة الأطفال على هذه الصورة تدور حول الخوف من الظلام، ومن البقاء في وحدة.

- الصورة العاشرة: كلب صغير يجلس على ركبتي كلب كبير في الحمام وتدور استجابات الأطفال على هذه الصورة حول تدريب التواليت أي عملية التدريب على ضبط التبول والتبرز وما قد يصاحب ذلك من عقاب.

رابعاً: تفسير الاختبار

يقترح بلاك تفسير نتائج اختبار تفهم الموضوع للأطفال في ضوء العديد من الاعتبارات –وهي متشابهة للمأخوذ بها في اختبار تفهم الموضوع للكبار- هذه الاعتبارات أهمها ما يلي:

- البطل: من البطل في القصة التي يحكيها الطفل؟ البطل هو الشخص الذي تنسج حوله القصة التي يرويها الطفل، وقد يكون بالقصة بطل واحد أو أكثر وقد يكون البطل شبيهاً بالطفل أو غير شبيهاً به وقد يبدو التوحد بين الطفل والبطل، ومما يذكر أن البطل هو رمز (القوة الأنا) عند الطفل في نظر (بلاك).
- حاجات البطل ودوافعه: ما الحاجات أو الدوافع التي يريد البطل أن يحققها؟ لأن هذه الحاجات أو الدوافع في نظر بلاك هي نفسها حاجات الطفل المفحوص ودوافعه، كما يرى بلاك أن القصص التي تزخر بالأحداث والدوافع العدوانية إنما تصدر عن طفل عدواني أو يتحسب العدوان ويتوقعه، كما يتعين الاهتمام بالنظر إلى آليات كبت العدوان كإحدى وظائف (الأنا).
- مفهوم البيئة: كيف يدرك الطفل بيئة القصة وما تحفل به من صعوبات كذلك آلية التوحد والتعاطف مع شخوص هذه البيئة؟
- الصراعات ذات الدلالة: حيث تدرس –بعناية- الصراعات التي تحتوي عليها القصص التي يرويها الطفل وما تحويه هذه الصراعات من آليات التناقض الوجداني أو الإسقاط، وما تثيره هذه الصراعات من استجابات بالهروب أو التعاون أو المنافسة.
- مصادر القلق: ما مصادر القلق للطفل؟ هل هو الخوف من العقاب البدني أو الخوف من النبذ والإهمال أو الخوف من فقد الحب؟
- الحيل النفسية: ما الحيل النفسية التي يبديها الطفل في قصصه حيال تهديدات البيئة؟ هل يلجأ إلى الإسقاط أو إلى التبرير؟

- كفاءة الأنا الأعلى: كيف تبدو كفاءة قوة الأنا الأعلى وسلطته في القصة التي يحكيها الطفل، وكيف تبدو سلطته في إنزال العقاب بشخوص القصة؟ هل الأنا الأعلى ضعيف بحيث يبدو التسيب في الثواب والعقاب، أم أنه قوي صارم بحيث ينزل (البلايا) بشخوص القصة.
- كفاءة الأنا: هل الطفل يعطي قصة خيالية ترتبط بالصورة؟ أي هل تكون شخوص القصة مستقاة من الصورة؟ وكيف يتعامل الأنا مع الواقع؟ بحيث نعرف إلى أي مدى يعطينا الطفل تفسيراً للأحداث السابقة على ما يشاهد في الصورة، وإلى أي مدى يستطيع أن يعطينا تنبؤاً بالأحداث اللاحقة كما يحدث في الصورة.

خامساً: تصحيح الاختبار

يتم عمل عرض موجز عن القصص التي يبديها الطفل في ضوء اعتبارات التفسير التي أوردناها فوق، ويدون ذلك في ورقة التقرير النفسي والتي هي عبارة عن تلخيص للوصف الكيفي لشخصية الطفل وما يعاني من مشكلات ويتم استخلاص (صورة نفسية) عن شخصية الطفل من خلال تحليل استجاباته.

نختم هذه العجالة عن اختبار تفهم الموضوع للأطفال فنقول إن بلاك طبق اختباره هذا على حوالي (200) من الأطفال الأمريكيين في المستويات العمرية من (3 إلى 10) سنوات واكتفى بهذه العينة ذات الحجم (المحدود) ذلك لأن يتصور أن من هذه العينة يمكن للاختبارات الإسقاطية الوصول إلى تصورات أو أوصاف عن شخصية المفحوص من استقراء النتائج المسفرة عن تطبيق الاختبار وربطها بدراسة حالات الأطفال. ولا يهتم بتطبيق الاختبار الإسقاطي على عينات كبيرة بقصد اشتقاق المعايير كما هو متبع في الاختبارات الشخصية الموضوعية.

ويذكر أن لهذا الاختبار شهرة عالمية واسعة، فهو يطبق خارج الولايات المتحدة في معظم البلدان الأوروبية واليابان وأستراليا وبعض دول الشرق الأوسط مثل مصر والسعودية، ويمكن إجراء التعديلات على صور الاختبار بما يناسب البيئات المحلية، وقد يساعد هذا الاختبار إذا طبق في بلاد مختلفة أن نستخرج من نتائج التطبيق دراسات عبر حضارية تتناول سمات الشخصية عند الأطفال في بلاد العالم المختلفة كدراسة مقارنة.

(ولا تتوفر معلومات –في حدود اطلاع المؤلف– عن دراسات أجراها بلاك عن ثبات وصدق هذا الاختبار ولعلها تتوفر في وقت لاحق).

ملحوظة

يستفيد القارئ من مراجعة الحاشية رقم (أ) الخاصة بنظرية موراي في الشخصية في الفصل السابق ذلك أن (عائلة اختبارات تفهم الموضوع) قائمة على أساس هذه النظرية.



صورة من اختبار تفهم الموضوع للأطفال

الملخص

إن اختبار تفهم الموضوع للأطفال الذي أعده بلاك هو اختبار إسقاطي يهدف إلى دراسة شخصية الطفل دراسة دينامية بقصد الكشف عن مشكلات الطفل ودوافعه وانفعالاته.

مادة الاختبار عشر بطاقات تصور الحيوانات في أوضاع إنسانية يطلب من الطفل أن يروي قصة تفسر ما يحدث في كل صورة أو بطاقة. والاختبار مناسب للمستوى العمري من (3-10 سنوات).

وتفسر القصة التي يحكيها الطفل في ضوء الاعتبارات الآتية:

1. البطل: هو الشخص الرئيسي في القصة التي يحكيها الطفل.
2. حاجات البطل ودوافعه: حاجات البطل هي نفسها حاجات الطفل وكذلك دوافعه.
3. مفهوم البيئة: ما الصعوبات في بيئة القصة؟
4. الصراعات ذات الدلالة: هل هناك صراعات تشير الحروب أو العدوان أو المنافسة في قصة الطفل ؟
5. مصادر القلق: ما مصادر القلق للطفل؟ هل الخوف من العقاب البدني أو الخوف من النبذ والإهمال أو الخوف من فقد الحب؟
6. الحيل النفسية: هل تحفل القصة بحيل نفسية مثل الإسقاط والتبرير؟
7. كفاءة الأنا الأعلى: هل الأنا الأعلى ضعيف بحيث يبدو التسيب في الثواب والعقاب، أم أنه قوي صارم بحيث ينزل (البلايا) بشخوص القصة.
8. كفاءة الأنا: إلى أي مدى يمكن أن يعطينا الطفل تفسيراً للأحداث السابقة على ما يشاهد في الصورة، وإلى أي مدى يستطيع أن يعطينا تنبؤ بالأحداث اللاحقة كما يحدث في الصورة.

تصحيح الاختبار

وصف كيفي للجوانب المختلفة لشخصية الطفل كما توضحها القصص التي يحكيها.

أسئلة للمناقشة

1. ناقش اختبار تفهم الموضوع للأطفال في ضوء نظرية موراي؟
2. تحدث باختصار عن الصور التي تشتمل عليها البطاقات العشر هل هي مناسبة للبيئة المحلية التي نعيش فيها؟
3. تحدث عن أسلوب تفسير اختبار تفهم الموضوع للأطفال شارحاً وناقداً؟
4. اكتب مقالة علمية تحت عنوان (الأسس السيكومترية لاختبار تفهم الموضوع للأطفال)؟
5. قارن بين اختبار تفهم الموضوع للكبار واختبار تفهم الموضوع للأطفال؟

الفصل الرابع

اختبار «روتر» لتكملة الجمل الناقصة

Rotter Incomplete Sentences Blank (RLSB)

مقدمة

يعتبر اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة من أشهر الاختبارات في هذا المجال، وفي اختبارات تكملة الجمل يعطى المفحوص جملة ناقصة ويطلب منه أن يكملها.

على أساس أن هذه التكملة للجمل تعكس طريقة المفحوص في التفكير أو التصرف، وتبين كذلك عن مشاعره واهتماماته وقد استخدمت طريقة تكملة الجمل أثناء الحرب الكونية الثانية خاصة في العيادات النفسية وذلك بقصد دراسة شخصية المفحوصين وبعد هذه الحرب حدث توسع في استخدام هذه الأساليب وربما يرجع ذلك إلى سهولة تطبيقها سواء بالنسبة إلى الفاحص أو المفحوص واختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة هو اختبار إسقاطي يطلب فيه من المفحوص أن يكمل (40) جملة ناقصة بحيث يكملها بعبارات تعكس ما يعانيه من مشاعر وإحساسات وهذه الجمل الناقصة هي من قبيل:

- أنا أعتقد...
- أصدقائي...
- حياتي...
- والداي...

وقد أعد الاختبار ليناسب مستويات عمرية مختلفة من المراهقين والراشدين، ويقوم هذا الاختبار على التقدير الكمي للدرجات ثم التحليل الكيفي لها وذلك بفرض تحديد أشكال الضغوط ومستويات التوافق التي يمكن الحكم عليها من إجابات المفحوصين.

وبالرغم من أن اختبار تكملة الجمل متوفر بثلاث صور (صورة لطلاب المدارس الثانوية -- صورة لطلاب الجامعة -- صورة للراشدين) إلا أن معايير الاختبار اشتقت من

عينة من طلاب الجامعة وذلك حسب ما تشير كراسة تعليمات هذا الاختبار. ومع ذلك فإن الصور الثلاث متشابهة إلى حد كبير ولا يوجد بينها إلا فروق طفيفة، وهذا الاختبار من الاختبارات القديمة في الخزانة السيكولوجية حيث أعده روتر Rotter ومساعده رافتري Rafftery عام 1950م. وإن كانت قد بذلت محاولات قبل ذلك لإعداد الاختبار قام بها روتر بمساعدة ويلرمان Willerman.

وهذا الاختبار الإسقاطي سهل في استخدامه من حيث الوقت والتكاليف بالنسبة إلى الاختبارات الإسقاطية الأخرى وكما تشير كراسة التعليمات فإن هذا الاختبار يمكن أن يكون بمثابة بنود مقابلة مقننة.

وبالرغم من أن الاختبار لم يقصد به التوصل إلى أعماق شخصية المفحوص إلا أن الأخصائيين النفسيين الذين يستخدمونه يشيرون إلى أفضلية المعلومات التي يتوصلون إليها عن طريق المقابلة التي تجرى مع المفحوص وجهاً لوجه.

ويشير روتر إلى أن هذا الاختبار يهدف إلى إعطاء مسح موضوعي لما قد يعانيه المفحوص من اضطراب انفعالي، كما يعطي صورة عن شخصية المفحوص، وإن كانت هذه الصورة بالطبع ليست كاملة إلى جانب أن الاختبار يعطينا تقديراً لمدى توافق الفرد بوجه عام.

والصور الثلاث للاختبار تصحح موضوعياً Objectively وذلك بإعطاء تقديرات كمية لاستجابات المفحوصين، وهذه الاستجابات تقدر على أساس مستوى ما تعكسه من صراعات المفحوص أو مظاهر توافقه، كما يمكن تفسير نتائج هذا الاختبار تفسيراً كيفياً من خلال ما تسفر عنه إجابات المفحوص من حاجات واتجاهات.

وتتحدث باختصار عن الاختبار خلال النقاط الآتية:

أولا: استخدامات الاختبار

أعد اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة على أساس أنه اختبار إسقاطي يهدف إلى تحديد مجالات التوافق وسوء التوافق الشخصي، ويذكر في هذا المقام أن وجود (شيء من المسافة) بين الفاحص والمفحوص في موقف إجراء الاختبار قد يسمح للمفحوص بالاستجابة بقدر أكبر من الحرية التي نتوقعها من مفحوص أثناء مقابلة تجرى معه وجهاً لوجه، وذلك لما قد يثيره موقف المقابلة من حرج عند المفحوص، وفي نفس الوقت فإن هذا الاختبار يعطي تصوراً وفهماً للمشكلات التي يعاني منها المفحوص.

ويتميز هذا الاختبار كذلك بنظام تصحيح مقنن يسمح للأخصائي النفسي بالتوصل إلى الحكم على مستويات التوافق المختلفة التي تشير إليها استجابات المفحوص، كما أن هذا الاختبار يمكن المفحوص من الاستجابة بصورة مباشرة لمواقف أو موضوعات محددة وهي تلك التي تثيرها عبارات الاختبار. أي أن هذا الاختبار رغم أنه اختبار إسقاطي إلا أنه لا يقع فيما يوجه من نقد إلى الاختبارات الإسقاطية من تسيب الموقف الذي يثيره الاختبار.

ويلقى هذا الاختبار قبولاً ورواجاً في سوق القياس النفسي ويمثل في الخزانة السيكولوجية السيكولوجية مكانة معتبرة.

وقد أجرى سوندبرج Sunberg وهو أخصائي نفسي أمريكي شهير دراسة في أوائل الستينات عن الاختبارات السائدة في الساحة المهنية، حيث تبين له أن اختبار روتر يحتل المركز الثالث عشر بين الاختبارات الإكلينيكية، والمركز الثاني بين الاختبارات الجمعية للشخصية، هذا كما أن مراجع القياس النفسي المعتبرة ما تزال حتى أواخر الثمانينات تخصص لهذا الاختبار مكاناً بين صفحاتها. وربما تعود شعبية هذا الاختبار إلى سهولة إجرائه وتصحيحه وقدرته على إعطاء نتائج طيبة عن الشخصية.

وقد دارت العديد من الملاسنات حول: هل هذا الاختبار –على أساس أنه اختبار إسقاطي– يقيس الجانب اللاشعوري أو الشعور من الشخصية؟ وهل يستطيع المفحوص أن يتحكم في استجاباته بحيث يغطي أو يخفي نواحي الصراع أو سوء التوافق التي يحاول الاختبار أن يكشف عنها؟ وبغض النظر عن الانغماس في تلك الملاسنات التي تتعرض لها الاختبارات الإسقاطية إلا أن الدراسات تشير بوجه عام إلى أن مكانة اختبار روتر بين الاختبارات الإسقاطية مكانة جيدة، إذ بالرغم من أن هذا الاختبار لا يعطي إلا قدراً ضئيلاً من المعلومات المتعمقة في الشخصية، أو بمعنى آخر لا يعطي معلومات إسقاطية وافية، إلا أن المعلومات التي يتم التوصل إليها تتسم بقدر كبير من المصداقية وذلك بالمقارنة بالاختبارات الإسقاطية الأخرى.

واختبار روتر اختبار جمعي، ويمكن تطبيقه على مجموعات كبيرة نسبياً طبقاً لمقتضى الحال، كما أن تعليمات هذا الاختبار بسيطة وهو أن يطلب من المفحوص قراءة الجمل وتكملتها بعبارات أو كلمات تعبر عن المشاعر الحقيقية للمفحوص بحيث يستطيع الأخصائي النفسي المبتدئ إجراء الاختبار بعد مجرد مطالعة كراسة التعليمات، ويستغرق إجراء هذا الاختبار حوالي نصف ساعة، علماً بأنه ليس هناك زمن محدد للمفحوص للانتهاء من الاختبار.

ثانيا: نظام التصحيح

نظام التصحيح Scoring System للصور الثلاث من الاختبار قائم على إجابات موزعة أو درجات توافق، ونظام التصحيح قائم على أساس الصورة المعدة لطلاب الجامعة، وهذه الصورة لا تختلف إلا اختلافاً طفيفاً عن الصورة المعدة لطلاب الثانوي أو الصورة المعدة للراشدين، ولا توجد معايير خاصة لصورتي طلاب الثانوي والراشدين لكن كراسة التعليمات تشير إلى أنه يمكن الاستفادة من نظام التصحيح والمعايير الخاصة بصورة طلاب الجامعة في تفسير نتائج المفحوصين على الصورتين الأخيرتين.

ونظام التصحيح الذي يقوم عليه الاختبار يمكن أن نسميه التصحيح الموضوعي أو التصحيح الكمي، حيث أن كل جملة يكملها المفحوص تحول إلى درجة توافق وهي أشبه ما تكون بإجابة موزونة، وتطرح كراسة التعليمات تصوراً مؤداه أنه لكي نتوصل إلى درجة التوافق فإن الفاحص أمامه احتمالات أربعة أو فئات أربع تصنف طبقاً لها استجابة المفحوص على عبارات الاختبار وهذه الاحتمالات هي:

1. الحذف Omission: حيث لا يكمل المفحوص الجملة الناقصة أو يكون الإكمال مختصراً بشكل مخل.
2. استجابة صراع Conflict Response: حيث تشير العبارة التي يكمل بها المفحوص الجملة إلى العداوة والشقاوة.
3. استجابة إيجابية أو بناءة Positive Response: حيث تشير العبارة التي يكمل بها المفحوص الجملة إلى اتجاهات تتسم بالإيجابية والأمل.
4. استجابة محايدة Neutral Response: حيث تشير العبارة التي يكمل بها المفحوص الجملة إلى اتجاهات تتسم بالتميع والتملص واتخاذ موقف لا أدري.

أما عن التصحيح فإن أسلوب تصحيح الاختبار يقوم على إعطاء تقديرات كمية عبارة عن درجات تتراوح بين (صفر إلى 6) أي إلى سبعة مستويات مختلفة.

وكلما كانت الاستجابة تشير إلى سوء التوافق كلما حصلت على درجة مرتفعة. وكلما كانت الاستجابة تشير إلى التوافق كلما حصلت على درجة منخفضة، بمعنى أنه كلما ارتفعت الدرجة على الاختبار كان ذلك إشارة إلى سوء التوافق واضطراب الشخصية، بينما تشير الدرجات المنخفضة إلى شخصية متوافقة متوازنة أما الدرجات المتوسطة فهي تشير إلى شخصية مسطحة في طبيعتها، وأن المفحوص يحاول أن يتهرب أو يتجنب كشف شخصيته.

ومجموع درجات التوافق التي يمكن أن يحصل عليها المفحوص طبقاً لنظام التصحيح هذا تقع بين (صفر إلى 240) أما الدرجة الفاصلة بين الشخصية المتوافقة وغير المتوافقة فإن كراسة التعليمات تذكر أنها الدرجة 135 كحد قاطع.

وفيما يلي نموذج افتراضي لتصحيح إحدى العبارات وتقدير الدرجة حيال كل عبارة تكمل بها جمل الاختبار:

الجملة الناقصة	التكملة	الدرجة
أنا أعتقد	أن الحياة لا تستحق أن نحياها	6
أنا أعتقد	أن معظم الناس أكثر مني جمالاً وأناقة	5
أنا أعتقد	أني فاشل في دراستي	4
أنا أعتقد	أن كل قطرة من ماء المطر تنبت الزهر	3
أنا أعتقد	أن صديقي فلان شخص جيد	2
أنا أعتقد	أنني أستطيع التعامل مع أي شخص	1
أنا أعتقد	أن المستقبل سيكون عظيماً بالنسبة لي	صفر

ومن الملاحظ أن الاستجابة التي يحصل فيها المفحوص على (3) تشير إلى التملص والتهرب.

أما درجة التوافق فهي عبارة عن مجموع الدرجات التي حصل عليها المفحوص في جميع العبارات، والدرجات الفاصلة بين التوافق وسوء التوافق هي (135) كما سبق القول، ونكرر القول –لأهميته– أن الدرجة المنخفضة تشير إلى حسن التوافق والدرجة المرتفعة تشير إلى سوء التوافق، بمعنى أن الدرجة (135) هي المستوى الذي يبدأ عنده سوء التوافق.

إذن زبدة القول إن التصحيح الكمي لهذا الاختبار يقوم على العمليات والمراحل الآتية:

- الدرجات المنخفضة صفر، 1، 2، تشير إلى التوافق الجيد.
- الدرجات المرتفعة 4، 5، 6 تشير إلى التوافق السيئ.
- الدرجة المتوسطة 3 تشير إلى عدم الرغبة في الإبانة عن الذات أو التهرب أو التملص.
- الدرجة صفر أعلى مستوى للتوافق الجيد، أما الدرجة (1) فهي أدنى قليلاً أما الدرجة (2) فهي أدنى درجة للتوافق الجيد.

- الدرجة (6) أعلى مستوى لسوء التوافق، أما الدرجة (5) فهي أدنى قليلاً، أما الدرجة (4) فهي أدنى مستوى للتوافق السيء.
- أي أن مستويات التوافق سبعة مستويات من (صفر إلى 6) ودرجة التوافق التي يؤدينا إليها الاختبار هي حاصل جمع كل درجة يحصل عليها المفحوص في أسئلة الاختبار.
- حد الفصل بين سوء التوافق والتوافق هي درجة التوافق (135). وكلما زادت الدرجة عن هذا الرقم كان ذلك إشارة إلى ازدياد مستوى سوء التوافق.

ثالثاً: تفسير نتائج الاختبار

يمكن كذلك التوصل إلى تقدير وصفي أو تفسير كيفي لاستجابات المفحوصين، بحيث يتمكن الأخصائي النفسي من فهم حالة المفحوص، معنى ذلك أن الأخصائي النفسي يمكنه من دراسة العبارات التي استخدمها المفحوص في تكملة جملة هذا الاختبار من التوصل إلى تصور عن شخصية المفحوص من خلال محاور أربعة هي:

- الاتجاهات الأسرية.
- الاتجاهات الاجتماعية والجنسية.
- الاتجاهات العامة.
- السمات الخلقية.

كذلك يمكن تحليل مضمون استجابات المفحوصين على الاختبار والحكم على مدى وجود أشكال من السلوك الانحرافي أو الاضطرابات النفسية، ولكن هذه التفسيرات الكيفية تعتمد بقدر كبير على الخبرة الإكلينيكية للأخصائي النفسي وكذلك على بصيرته السيكولوجية. بالإضافة إلى دراسة شاملة لحالة وظروف المفحوص الذي يتصدى لتفسير استجاباته على الاختبار، ولكن هذا التفسير الكيفي لا يعني بحال من الأحوال الاستغناء عن أسلوب التصحيح الكمي الموضوعي بل إن التفسير الكيفي إنما يكون مكملاً ولاحقاً للتصحيح الكمي.

وثمة معلومات سيكومترية عن الاختبار نوجزها فيما يلي:

1. من حيث ثبات الاختبار تشير الدراسات التي أجريت إلى معاملات ثبات طيبة ومقبولة، من ذلك أن كراسة تعليمات الاختبار تشير أن معامل ثبات الاختبار 0.90، وذلك عن طريق مقارنة تقديرات الأخصائيين النفسيين المختلفين لاستجابات المفحوصين على

الاختبار. كما بلغ معامل ثبات الاختبار بطريقة القسمة النصفية إلى 0.83. أما عن الدراسات التي أجريت حول ثبات الاختبار خارج كراسة التعليمات من قبل باحثين غير روتر فهي تشير إلى معاملات ثبات مرتفعة تتجاوز 0.80.

2. من حيث صدق الاختبار فإن الدراسات تشير إلى معاملات صدق مقبولة حيث قامت بعض الدراسات الصدق على كفاءة الدرجة (135) كدرجة فاطعة. وقد اتضح أن هذه الدرجة تميز بين الأسوياء وبين فئات من غير المتوافقين مثل المراهقين المنحرفين والطلاب الذين يعانون من حالات القلق. والأشخاص الذين يتناولون العقاقير المخدرة بدرجة تقترب من الإدمان. هذا كما استطاع الاختبار تحديد الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب أي التمييز بينهم وبين الأسوياء كما ميز حالات الإصابة بتوهم المرض عن الأسوياء.

3. وبمقارنة نتائج الاختبار بتقديرات المشرفين لعينة من طلاب الجامعة (124) من الذكور، (82) من الإناث، من حيث حسن التوافق وسوء التوافق حيث اتفقت تقديرات المشرفين مع نتائج الاختبارات بمعاملات تتراوح بين 0.52 إلى 0.78 وهي معاملات مقبولة.

رابعا: تقييم الاختبار

ثمة مجموعة من النقاط نستطيع من خلالها تقييم الاختبار تتمثل فيما يلي:

1. توجه النقد إلى النتيجة العامة للاختبار والتي تصاغ على هيئة درجة توافق لأن هذه الدرجة قد تتدخل فيها رغبة المفحوص في إعطاء صورة عن نفسه تلقى القابلية الاجتماعية أكثر من كونها تدل على التوافق النفسي للمفحوص.
2. ويقع اختبار روتر في الإشكالية المزمنة التي تعاني منها اختبارات الشخصية، هذه الإشكالية المزمنة المتمثلة في رغبة المفحوص لإعطاء صورة طيبة عن الذات أو ما يمكن تسميته التزييف إلى الأحسن، سيما وأن هذا الاختبار لا يتضمن مقاييس صدق كما هو الحال في بعض اختبارات الشخصية الأخرى.
3. ثمة سؤال غير محسوم هو هل اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة اختبار إسقاطي تماماً؟ أم هو اختبار إسقاطي بصورة جزئية؟ وهل هذا الاختبار يبين عن الجوانب الظاهرة في الشخصية أم أنه يغوص في الجوانب اللاشعورية، ويكشف عنها؟

4. وقد تتسم المعلومات التي تحصل عليها من هذا الاختبار بالسطحية بحيث أنها لا تزيد قليلاً عما يمكن أن نحصل عليه من المقابلة الشخصية.

ومع ذلك فإن ثمة جوانب أكثر إيجابية من النقاط السابقة يمكن أخذها في الاعتبار عند تقييم الاختبار وهي:

1. أن هذا الاختبار بسيط التعليمات سهل التنفيذ سواء بالنسبة للفاحص أو بالنسبة للمفحوص، وهو كذلك سهل التصحيح وتفسير الدرجات.
2. أن هذا الاختبار يتمتع بمعاملات ثبات وصدق طيبة.
3. أن هذا الاختبار يمكن الأخصائي النفسي من الحصول على معلومات أو صورة عن توافق المفحوص في وقت مختصر وبمجهود قليل.
4. أن الأخصائي النفسي يستطيع أن يجمع بين الاستفادة من التصحيح الموضوعي عن طريق التقدير الكمي، وبين الاستفادة من التحليل الكيفي، ذلك أن الجمع بين الأسلوبين من شأنه أن يعطي صورة أدق عن المفحوص.
5. يكون هذا الاختبار ذا فائدة معتبرة وذلك في بعض الحالات التي يرى الأخصائي النفسي أنه من الأوفق أن يكون فيها ثمة مسافة بينه وبين المفحوص.
6. أن الاختبار صالح في إعطاء صورة عن التوافق العام للمفحوص وعن الضغوط التي يتعرض لها.

الملخص

اختبار روتر لتكملة الجمل الناقصة هو اختبار لقياس شخصية المفحوص من حيث طريقته في التفكير أو التصرف واهتماماته ومشاعره. وتحديد مدى توافق المفحوص وهو اختبار إسقاطي يطلب فيه أن يكمل مجموعة من الجمل الناقصة (عددها 40 جملة).

نظام التصحيح يقوم على تقسيم الاستجابات إلى أربعة احتمالات هي:

- الحذف: حيث لا يكمل المفحوص الجملة أو يكملها بشكل مخل.
- استجابة صراع: حيث تتسم العبارة التي تكمل الجملة بالشعور بالشقاوة أو العداوة.
- استجابة إيجابية أو بناءة: حيث تشير العبارة التي تكمل الجملة بالإيجابية والأمل.
- استجابة محايدة: حيث تشير العبارة التي تكمل الجملة إلى اتجاهات تتسم بالتميع والتملص.

تُعطى العبارة درجة من (صفر إلى 6) على النحو التالي:

- الدرجة (صفر) أعلى مستوى للتوافق الجيد الدرجة (1) أدنى قليلاً من حيث التوافق الجيد، الدرجة (2) أدنى مستوى للتوافق الجيد.
- الدرجة (6) أعلى مستوى لسوء التوافق، الدرجة (5) أدنى قليلاً من حيث سوء التوافق، الدرجة (4) أدنى مستوى للتوافق السيء.
- الدرجة المتوسطة (3) تشير إلى الرغبة في التهرب عن الإجابة.
- تتراوح الدرجة الكلية للتوافق بين (صفر-240).
- حد الفصل بين سوء التوافق والتوافق هي الدرجة 135 وكلما زادت الدرجة عن ذلك فهي إشارة إلى سوء التوافق يمكن التوصل إلى تقدير وصفي عن شخصية المفحوص وتحليل استجاباته على عبارات الاختبار من خلال محاور أربعة هي: استجاباته الأسرية، اتجاهاته الاجتماعية، اتجاهاته العامة، سماته الخلقية.

أسئلة للمناقشة

1. تحدث عن أسلوب تصحيح وتفسير اختبار روتر وبين رأيك في هذا الأسلوب؟
2. هل يعتبر اختبار روتر من قبيل الاختبارات الإسقاطية أو شبه الإسقاطية؟ وعلل لما تقول؟
3. تحدث عن الخصائص السيكومترية لاختبار روتر؟
4. اكتب مقالة علمية تحت عنوان (اختبار روتر بين المزايا والعيوب)؟

الباب الثالث

الأساليب المباشرة لقياس الشخصية

الفصل الأول: المقابلة

الفصل الثاني: القياس السلوكي



الفصل الأول
المقابلة
Interview

مقدمة

تعتبر المقابلة وكأنها اختبار نفسي للشخصية وهي مثل أي اختبار نفسي فإن المقابلة هي وسيلة لجمع البيانات والمعلومات عن الفرد بحيث تستخدم هذه المعلومات في وصف الفرد واتخاذ القرارات المناسبة بالنسبة له، ومثلها مثل الاختبارات النفسية يمكن للمقابلة أن نقيم من حيث الثبات والصدق.

ومثل أي اختبار نفسي فإن المقابلة تقوم على تفاعل بين شخصين الأخصائي النفسي من جهة والمستفيد من جهة أخرى، حيث يتأكد التفاعل بينها. كما أن المقابلة مثل الاختبار تهدف إلى جمع معلومات ذات طبيعة خاصة عن المستفيد، وهي بذلك تختلف عن المحادثة العادية. وإلى جانب ذلك فإن الأخصائي النفسي القائم على إجراء الاختبار النفسي يتخذ إجراءات معينة مثل توحيد التعليمات وتوحيد الزمن المعطى إلى غير ذلك، وكذلك فإن الأخصائي النفسي القائم بالمقابلة يتخذ مثل هذه الإجراءات خاصة عن إجراء المقابلات المقننة أو المحددة.

وعلى هذا يمكن استخلاص أساس مهم، وهو أن المقابلة هي بمثابة اختبار نفسي، كما أن بعض الاختبارات الإسقاطية مثل اختبار (تفهم الموضوع) واختبار (الرورشاخ) تطبق من خلال المقابلة وكذلك الأمر بالنسبة لاختبارات أخرى عديدة.

كما أن المقابلة تبقى أنجح الوسائل للحصول على المعلومات في مجالات النفسية المختلفة مثل مجال الاختبار المهني والتوجيه المهني ومجال علم النفس العيادي، أضف إلى ذلك المجالات التجارية والصناعية، إن المقابلة إحدى وسائل إدارة شؤون الحياة العامة للناس، ومع ذلك تبقى المقابلة بعيدة عن أن تكون هي المحادثة العفوية التلقائية بين الناس، ولكنها المحادثة الموجهة لغرض معين أو محدد.

وما لا شك فيه أن كلاً منا في حياته تعرض لموقف المقابلة مرات عديدة، ذلك أن الكثير من الأعمال والمهن تتطلب إجراء المقابلات وجمع المعلومات عن طريق هذه المقابلات حيث يقوم بالمقابلة مهنيون كثيرون مثل الأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي والطبيب والمحامي والقاضي وضابط الشرطة... إلخ.

وإذا كانت للمقابلة هذه العمومية وهذا الانتشار فقد يتبادر إلى الذهن أنها أمر يسير الإجراء ولكن هذا الظن هو من قبيل تسطيح الأمور وتعتبر المقابلة من أقدم وسائل قياس الشخصية ومن أكثرها استخداماً في نفس الوقت، ويرى البعض وأغلب الظن أن محق أن المردود الناتج من المقابلة أكبر من بعض وسائل قياس الشخصية ذلك أن الكثير مما يبديه المستفيد أثناء المقابلة من سلوكيات مثل التلعثم واضطرابات الحديث أو النهج الانفعالي أو ما يعتري قسمات وجهه من تعبيرات، إلى غير ذلك مما له أهمية قصوى في الحكم على الشخصية، وهذه الجوانب من شخصية المستفيد والتي تعتمد على ملاحظة الأخصائي النفسي، قد لا يحكم عليها بكفاءة إلا من خلال المقابلة.

ويمكن -ابتداء- أن تعرف المقابلة بأنها محادثة لفظية تتم وجهاً لوجه بين شخصين: الأخصائي النفسي والمستفيد، حيث يحاول الأخصائي النفسي استخلاص المعلومات اللازمة من المستفيد، وهذه المعلومات عادة ما تتعلق بتاريخ حياة المستفيد، وما يتصل بهذا المستفيد من مشاعر وأحاسيس مما يتعذر قياسه وبواسطة وسائل القياس النفسي الأخرى.

إن المقابلة الناجحة ليست أمراً سهلاً بحال من الأحوال، فهي تتطلب قدراً كبيراً من المهارة والخبرة والحس السيكولوجي الذي ينبغي أن يتوفر للأخصائي النفسي، ناهيك عما تستهلكه من وقت وجهد. وثمة تأكيد على أن المقابلة موقف علاقي Interpersonal situation بين الأخصائي من جهة والمستفيد من جهة أخرى. وهكذا فإن المقابلة لا تكون علاقة تتسم بسيادة الأخصائي النفسي على المستفيد، ولكنها علاقة دينامية فعالة أو موقف علاقي ذو اتجاهين من الأخصائي النفسي تجاه المستفيد ومن المستفيد تجاه الأخصائي النفسي.

(المستفيد Interviewee: ويستخدم لفظ المستفيد في هذا الفصل مرادفاً للمفحوص أو العميل).

وإلى جانب فكرة الموقف العلاقي فإن تنفيذ المقابلة هو عملية فن Art أكثر منها عملية علم Science، ذلك أنه أثناء المقابلة -باستثناء المقابلات المحددة أو المقننة- فإن الأخصائي النفسي يمارس مهاراته وخبراته الذاتية في إدارة المقابلة، وهذا أمر هو الفن بعينه بحيث يمكن

القول أنه عن طريق الممارسة الطويلة والخبرة يتكون لدى الأخصائي النفسي الحس السيكولوجي الذي يوظفه في إنجاح المقابلة.

ولكن من وجهة أخرى فإن الأخصائي النفسي يبني أحكامه عن المستفيد على أساس علمي في ضوء معلوماته السيكولوجية التي هي في إطار علمي مكون من المادة العلمية التي تشكل جسم علم النفس، فالمقابلة هي فن يعتمد على العلم أو هي فن وعلم في نفس الوقت.

ونختم هذه المقدمة فنقول إن المقابلة هي محادثة موجهة بين شخصين هما الأخصائي النفسي والمستفيد وذلك بقصد الحصول على معلومات تساعد في تشخيص حالة المستفيد والتعرف على سمات شخصيته مما يساعد على تقديم النصح والإرشاد له أو المساهمة في عملية العلاج النفسي.

ونتحدث باختصار عن المقابلة في النقاط الآتية:

أولاً: مهارات المقابلة

ثمة مجموعة من المهارات من شأنها أن تجعل المقابلة أكثر فعالية، وهذه المهارات هي:

1. العلاقة المهنية Rapport

يقصد بالعلاقة المهنية، العلاقة التي توجد بين الأخصائي النفسي وبين المستفيد، هذه العلاقة التي تعكس مدى ثقة المستفيد بالأخصائي النفسي، ومدى تعاونه معه، والعلاقة المهنية الجيدة تأتي بالكثير من الفائدة بحيث يستطيع الأخصائي النفسي تجميع أكبر قدر من البيانات الهامة والمفيدة عن المستفيد أما إذا كانت العلاقة المهنية بين الأخصائي النفسي والمستفيد علاقة يشوبها البرود أو التوتر أو مشاعر العداء، فإن المردود يكون سلبياً ويجعل المقابلة غير منتجة أو غير مجدية أو قد يكون المردود قليلاً بالقياس إلى الوقت الذي يتفق والجهد الذي يبذل في المقابلة.

ومن الأمور التي تسهل تكوين العلاقة المهنية إشعار المستفيد بالاهتمام والاستماع إليه بهدوء ومقابلته ببشاشة دون تصنع، وكما أن المستفيد حين يشعر أن الأخصائي النفسي يبذل غاية جهده في تفهم حالته ومساعدته فإن ذلك من الأمور التي تؤدي إلى تكوين علاقة مهنية طيبة، وليس من المطلوب بالطبع أن يكون الأخصائي النفسي صديقاً شخصياً لكل مستفيد، لكن المطلوب أن يبدي اهتمامه بحالة المستفيد وأن يجعل هدفه الرئيسي تحقيق أكبر قدر من الفائدة له.

2. الاتصالات Communications

المقابلة هي في جوهرها علاقة اتصالية بين الأخصائي النفسي والمستفيد، وهذه الاتصالات متبادلة بينهما من خلال الحوار أثناء المقابلة، ويتفاوت الأخصائيون النفسيون بعضهم عن بعض من حيث الإعداد العلمي ومن حيث التوجه العلمي، وكذلك من حيث الخبرة المهنية، ولكن ثمة مجموعة من الأمور من شأنها تحسين أسلوب الاتصال في المقابلة هي:

أ. البداية: والبداية هي ببساطة كسر الجليد أو ردم الفجوة بين المستفيد والأخصائي، وعادة ما تكون البداية بكلمات الترحيب العادية، وإبداء التمنيات بوجود التعاون بين الأخصائي والمستفيد والتعرف إلى المستفيد وتعريف المستفيد بالأخصائي النفسي.

ب. اللغة: من المهم جداً استخدام لغة يفهمها المستفيد، وعلى ذلك فلا بد أن يؤخذ في الاعتبار المستوى التعليمي للمستفيد، بحيث تتناسب اللغة المستخدمة في المقابلة مع ذلك المستوى ومن غير المناسب أن نتحدث مع مستفيد يحمل مؤهلاً جامعياً بنفس الأسلوب مع مستفيد لم يتجاوز مستواه التعليمي المرحلة الابتدائية أو المتوسطة. كذلك يجب ألا نتحدث مع المستفيد كأنه أحد الأطفال الذين نتولى توجيههم، ومن جهة أخرى بحيث ألا تكون لغة الأخصائي النفسي حافلة بالألفاظ الرنانة ويجب كذلك أن تخلو هذه اللغة من المصطلحات العلمية والمتخصصة وفي نفس الوقت يجب ألا تكون لغة الأخصائي النفسي هي لغة رجل الشارع ذلك أن الهبوط بمستوى المقابلة إلى مستوى لغة رجل الشارع قد يبدو في نظر المستفيد كأنه من مظاهر الإهمال أو الإسفاف.

ج. الصمت: التعامل مع موضوع الصمت من أعقد الأمور بالنسبة للأخصائي النفسي المبتدئ فقد يكون صمت المستفيد راجعاً إلى محاولة تجميع أفكاره أو محاولة تذكر بعض الخبرات الماضية وقد يكون الصمت دليلاً على تردد المستفيد في الإفصاح أو عدم الإفصاح بمعلومة ما، ولذلك فإن تقدير سبب الصمت إنما يرجع إلى خبرة الأخصائي النفسي وحنكته، وكذلك يجب ألا تطول فترات الصمت بعبارة تشجع المستفيد على الاسترسال أو تذكره بآخر عبارة وقف عندها.

د. الاستماع: قد يتبادر إلى الذهن أن الاستماع عملية مملة ولكنه جزء مهم جداً من عملية المقابلة، ولا يمكن أن تكون عملية الاتصال أو التواصل بين الأخصائي النفسي والمستفيد بناءة إلا إذا أحسن الأخصائي النفسي الإصغاء إلى المستفيد لأن الإصغاء

معناه تفهم ما يبديه المستفيد من معلومات وما يبدو عليه من انفعالات، إن مهارة الإصغاء أمر أساسي في كفاءة المقابلة. وقد يرغب الأخصائي في قطع حديث المستفيد وذلك بقصد السؤال عن معلومة يرى أنها مهمة، ولكن من الأوفق أن يؤجل هذا السؤال عدة دقائق حتى ينتهي المستفيد من النقطة التي يتناولها، وله أن يسجل مضمون السؤال على ورقة أمامه حتى يسأله في الوقت المناسب ويقال أن من علامات كفاءة الأخصائي النفسي هي كفاءته في حسن الإصغاء وأن يكون مصغياً فعالاً لا مصغياً سلبياً.

3. **التجرد من الخبرة الذاتية**

المقابلة هي عمل مهني بالدرجة الأولى يجب أن يتم بعيداً عن الجوانب الشخصية من حياة الأخصائي النفسي، ومن المهم جداً التأكيد على هذه النقطة وأحياناً فإن بعض المشكلات التي يعاني منها أو سبق أن عانى منها الأخصائي النفسي قد تتشابه مع بعض المتاعب أو المشكلات التي يعاني منها أو سبق أن عانى منها المستفيد.

وهنا قد يحاول الأخصائي النفسي توجيه سلوك المستفيد طبقاً لتجاربه الخاصة، ولكن ذلك أمر غير مرغوب فيه على الإطلاق. وبالطبع فإن تجرد الأخصائي النفسي من خبراته الخاصة أمر فيه صعوبة بالغة، ولكن يجب على الأخصائي النفسي أن ينظر إلى مشكلات أو متاعب المستفيد من وجهة نظر موضوعية بعيداً عن خبراته الذاتية بأكبر قدر مستطاع. وفي بعض الأحيان فإن المستفيد قد يتوجه إلى الأخصائي النفسي بأسئلة تتعلق بحياته الشخصية، وهذا من الأمور المحظور مناقشتها، وعلى الأخصائي النفسي أن ينقل نظر المستفيد إلى الاهتمام بمشكلاته هو وليس الاهتمام بالجوانب الشخصية في حياة الأخصائي النفسي، ويجب أن يتم ذلك بلطف وحذر دون حرج لمشاعر المستفيد.

ثانياً: أنواع المقابلة

هناك العديد من نماذج المقابلات وذلك وفقاً للغرض الأساسي من المقابلة وهذه النماذج ليست متمايزة بل متداخلة إلى حد كبير وذلك بحكم الهدف من المقابلة، ومن المهم أن نذكر أن جميع نماذج أو أنواع المقابلة تتطلب من الأخصائي النفسي الدراية والحنكة والتدريب ويمكن أن نقسم المقابلات إلى الأنواع التالية

1. مقابلة الإلحاق Intake Admission Interview

تهدف مقابلة الإلحاق إلى معرفة الأسباب التي دعت المستفيد إلى طلب المساعدة أو لماذا حضر إلى المؤسسة النفسية؟ (قد تكون هذه المؤسسة النفسية مستشفى أو مركز تأهيل أو معهد للتربية الفكرية... إلخ)، وهل المؤسسة التي تقدم إليها تستطيع أن تلبي حاجة أو طلب المستفيد أم لا؟ أي أن هدف مقابلة الإلحاق تحديد حالة المستفيد بصفة مبدئية والنظر في إمكانية قبوله بالمؤسسة، ويمكن للأخصائي النفسي أو الأخصائي الاجتماعي القيام بهذه المقابلة.

وتتضمن هذه المقابلة جمع بعض البيانات الأساسية عن المستفيد وعن حالته وعن الخطوات التي سبق له اتخاذها للتغلب على مشكلاته وكذلك العلاجات التي تلقاها إن وجدت، ونتائج هذا العلاج من وجهة نظر المستفيد، ومدى حماسة المستفيد ودافعيته للتعاون في سبيل علاج حالته. وتنتهي هذه المقابلة عادة إما بقبول المستفيد أو تحويله إلى مؤسسة أخرى متخصصة ومقابلة الإلحاق هذه لها قيمة كبيرة لأنها توفر وقت المؤسسة ووقت المستفيد إذ أنها تنتهي بتحويل الحالات التي تأتي إلى المؤسسة بطريق الخطأ إلى جهات الاختصاص، وهذه المقابلة عادة ما تتم وجهاً لوجه، وفي بعض الأحيان يمكن أن يستخدم الهاتف في الاستفسار من قبل المستفيد أو ذوي قرباه عن إمكانية قبول المستفيد في المؤسسة أو تحويله إلى مؤسسة أخرى.

وفي الحاشية «أ» نموذج تقرير عن مقابلة الإلحاق.

2. مقابلة دراسة الحالة The Case History Interview

وفي مقابلة دراسة الحالة تجمع بيانات شاملة عن التاريخ الشخصي والاجتماعي للمفحوص والهدف من مقابلة دراسة الحالة هو تقديم قاعدة معلومات يبنى عليها تصور للمشكلة أو المشكلات التي يعاني منها المستفيد وهذه القاعدة المعلوماتية تمكن كثيراً من فهم أسباب المشكلات واقتراح الحلول لها.

ومن أشهر نماذج دراسة الحالة النموذج الذي أعده سولد برج منذ السبعينات من القرن العشرين وما يزال يعتبر من النماذج المفيدة، وهو نموذج عام يمكن تطويره طبقاً لمقتضى الحال. وفي الحاشية «ب» توضيح لهذا النموذج.

3. مقابلة اختبار الحالة العقلية Mental Status Examination Interview

تهدف هذه المقابلة إلى الوصول إلى تشخيص مبدئي عن حالة المستفيد العقلية. ويمكن تعريف الحالة العقلية بأنها مستوى كفاءة الوظائف النفسية والعقلية للمستفيد، وهذه المقابلة هامة حيث أنها تُعنى بالتشخيص الطبي النفسي، وكأنها تشخيص مبدئي لحالة المريض في حالات الذهان أو العصاب أو تلف المخ.

وفي هذه المقابلة تُجرى عملية تقييم للوظائف العقلية والنفسية للمريض عن طريق القياسات المختلفة، والتي تتضمن ما يلي:

أ. رسم صورة عن شخصية المستفيد والتي توضح أو تفسر حالته من خلال دراسة تاريخية أو تتبعية.

ب. تقييم قابلية المستفيد للعلاج، ومدى تعاونه في هذا المجال وتقدير احتمالات التحسن.

ج. زبدة القول أن اختبار الحالة العقلية للمستفيد هو فحص إكلينيكي شامل وهذه المقابلة يتطلب إجراؤها خبرة واسعة بالاضطرابات النفسية والعقلية وتصنيفها، كما تتطلب تدريباً مركزاً على إجراء الاختبارات النفسية بحيث لا يتصدى لها إلا ذوو الخبرة من الأخصائيين النفسيين.

والخزانة السيكولوجية حافلة بالاختبارات النفسية التي تحقق غرض هذه المقابلة منها:

أ. اختبارات التدهور العقلي مثل اختبار بابكوك ومعامل التدهور في اختبار وكسلر.

ب. اختبارات التفكير التجريدي والعياني مثل اختبارات الأمثال واختبار كوز للمكعبات واختبار المتشابهات في وكسلر.

ج. اختبارات الذاكرة وعلى رأسها اختبار وكسلر للذاكرة.

د. اختبارات التآزر البصري الحركي مثل اختبار بندر جشطلت واختبار تذكر الأشكال إعداد جراهام وكندال.

4. مقابلة قبل وبعد الاختبارات النفسية Pre and Post Testing Interview

يعتمد التشخيص النفسي إلى حد كبير على نتائج الاختبارات النفسية وبقدر ما يكون التشخيص دقيقاً، وهذا بالطبع متوقف على مدى تعاون المستفيد في إجراء الاختبارات.

وتهدف مقابلة قبل وبعد الاختبارات إلى إقامة علاقة مهنية تسهل إجراء الاختبار النفسي، فمثلاً في اختبارات الذكاء يتطلب الأمر أن يبذل المستفيد أقصى جهده في الإجابة

بحيث نصل إلى تشخيص دقيق لحالة وفي اختبارات الشخصية يطلب من المستفيد أن يجيب على أسئلة الاختبار بأكبر قدر ممكن من الصراحة والوضوح حتى يمكن التوصل إلى فكرة دقيقة عن شخصيته.

وفي هذه المقابلة نحاول استنهاض دافعية المستفيد حتى يبذل غاية التعاون في أداء الاختبارات -كذلك تهدف هذه المقابلة إلى تعريف المستفيد حتى يبذل غاية التعاون في أداء الاختبارات- كذلك تهدف هذه المقابلة إلى تعريف المستفيد بوجه خاص بنوعية الاختبارات النفسية التي سوف تجري عليه، والهدف من إجراء هذه الاختبارات ذلك أن بعض المستفيدين ربما يشعرون بالتوجس من إجراء الاختبارات النفسية أو قد يفرغون على هذه الاختبارات دلالات أو تصورات غير واقعية ومن شأن هذه المقابلة أن تزيل مثل هذه الأمور، أما بعد إجراء الاختبارات فيمكن أن يعطى المستفيد فكرة عامة عن أدائه في الاختبارات دون الدخول في تفاصيل علمية أو تعقيدات إحصائية.

5. المقابلة الممهدة للعلاج Pre Therapy Interview

وهي مقابلة توجيهية مع المستفيد ويكون لها أهداف ثلاثة هي:

أ. توضيح الأسس التي يقوم عليها العلاج النفسي للمستفيد بقصد الإجابة على أسئلة مثل ما مشكلات المستفيد؟ وكيف نوفر العلاج هذه المشكلات؟ ويجب أن يكون هذا التوضيح في ضوء مستوى فهم المستفيد ولكن يجب أن نذكر أن ضرر هذه المقابلة قد يكون أكثر من نفعها إذا لجأ الأخصائي النفسي إلى الجعجعة السيكولوجية Psychological Jorgen ونقصد (بالجعجعة السيكولوجية) اللجوء إلى الكلام المبهم الموسوم بطابع التباهي والإطناب والكلمات الرنانة مثل اللجوء إلى تعبيرات مثل (فعاليات القوى اللاشعورية) أو (الآثار الضارة) للكبت أو (العلاج بالغمر) إلى غير ذلك من مصطلحات مع مستفيد لا يتعدى مستواه التعليمي المرحلة الابتدائية.

ب. توضيح ضرورة أن ينوم المستفيد بالمستشفى في حالة الحاجة إلى ذلك، حيث يفهم المستفيد ضرورة التنويم وأهميته بالنسبة لحالته، ومن المهم جداً ألا يتورط الأخصائي النفسي في إعطاء وعود أو تحديدات عن المدة المتوقعة لبقاء المستفيد في المستشفى. ويفهم أن مدة البقاء مرهونة بظروف العلاج وأنها قد تطول أو تقتصر طبقاً لمقتضى الحال، ويطمئن المستفيد بأنه سوف يخرج من المستشفى متى تصبح حالته تسمح بذلك.

ج. زيادة دافعية المستفيد نحو العلاج النفسي بحيث يتقبل هذا العلاج كأمر ضروري وله فائدة متوقعة بالنسبة له، وتبديد ما قد يكون لدى المستفيد من معلومات خطأ عن العلاج النفسي مثل ما يعتقده البعض من العلاج النفسي ما هو إلا جلسة واحدة يعود بعدها الشخص سليماً معافى وكأنه لمسة سحرية أو أن العلاج النفسي يقوم على التنويم المغناطيسي.

6. المقابلة مع أقرباء المستفيد وأصدقائه

Interviewing Friends and Relations of the Patient

يؤدي أقرباء المستفيد وأصدقاؤه دوراً مذكوراً في نجاح العلاج أو عرقلته ذلك أنهم يعرفون عن المستفيد بيانات كثيرة عادة ما تكون ذات فائدة في فهم حالته ولكن هذه المقابلة تحوطها بعض المحاذير فقد يطيق بها المستفيد أو يتوجس فيها ويستحسن أن يتم استئذان المستفيد قبل القيام بها إلا في حالات استثنائية تبررها حالة المستفيد.

وتهدف هذه المقابلة كذلك إلى توضيح حالة المستفيد للأهل والأصدقاء ويحتاج الأمر كذلك إلى تغيير اتجاهاتهم نحو المستفيد وذلك بإفهامهم أسلوب التعامل مع المستفيد خاصة في حالات الاضطرابات النفسية والعقلية، وكذلك تنبيههم إلى عدم استفزازه أو إثارة مشاعره أو السخرية منه وتغلبه على علاته.

ومن الأسف أنه في مجتمعاتنا العربية - وهي ليست استثناءً - يعتبر المرض النفسي والعقلي والتخلف العقلي بمثابة وصمة Stigma، بحيث يشعر أقرباء المريض (بالخجل) أو (الضيق) من وضعه مما يزيد الأمور تعقيداً بالنسبة له، أو قد يكون المستفيد هو عائل الأسرة وتقتضي حالته التنويم لفترة طويلة بالمستشفى مما قد يؤدي إلى اضطراب اجتماعي واقتصادي إلى غير ذلك من مشكلات، وعلى الأخصائي النفسي أن يساعد أقرباء المريض في سبيل حلها ما أمكنه إلى ذلك من سبيل.

ومن هذا المقام ثمة نقطة جديرة بالاعتبار وهي أن أقارب المستفيد خاصة في حالات المرض النفسي أو العقلي يجب أن تؤخذ أقوالهم حياله بكثير من الحذر، إذ أنه في بعض الأحيان قد يكون لذوي النفوس الضعيفة منهم رغبة ملحة في تهويل الحالة المرضية للمستفيد بقصد إدخاله المستشفى ثم الحصول على حكم قضائي بالحجر عليه أو التصرف في أمواله، وعلى ذلك فإن الأخصائي النفسي بما لديه من (حس سيكولوجي) يجب أن يتنبه إلى ذلك ويتحقق جيداً من نزاهة أقوالهم وبعدها عن التحيز والغرض.

7. مقابلة التوظيف Employment Interview

الهدف من مقابلة التوظيف هو إجراء عملية الاختيار المهني، أي اختيار أصلح العناصر من بين المتقدمين لوظيفة معينة، وكذلك اتخاذ القرارات بخصوص الترقيات في المصالح الحكومية والمؤسسات والشركة الصناعية والتجارية ، ومقابلة التوظيف لها أهمية بالغة خاصة في الدول التي تأخذ بنظام الترقية بالاختيار وليس بالأقدمية المطلقة.

وتعتمد مقابلة التوظيف في أغلب الأحيان - خلافاً للمقابلات التي سبق ذكرها- على نموذج موحد، وهذا النموذج الموحد يكون حاوياً في العادة على البيانات الأساسية التي تتعلق بالموظف وخبراته وشروط الوظيفة التي يتقدم لها وتكون طريقة التقدير في المقابلة موحدة بين القائمين بها، ويقال إن المقابلة (الممنهجة) هي الأصلح بالنسبة لمقابلات التوظيف يقصد بالممنهجة المحددة أو المقيدة بينما غير الممنهجة هي الأصلح بالنسبة لأنواع المقابلات الأخرى التي سبق تناولها.

وقد توجه الظن إلى أن مقابلة التوظيف هي مقابلة (غربلة) تستهدف التنقيب عن عيوب الأشخاص المتقدمين أكثر من مزاياهم، وربما لهذا الظن ما يبرره لأنها تقوم على أساس اختيار أصلح العناصر من بين المتقدمين لوظيفة معينة. ويتوجه الانتقاد إلى مقابلة التوظيف من تدخل تأثير الهالة Halo Effect (يقال إن هذه اللفظة صاغها ثورنديك عام 1920م) والهالة بوجه عام هي قدرة المتقدم على إعطاء انطباع جيد لدى الأخصائي أو الشخص القائم بالمقابلة، ولكن ذلك أمر مردود عليه لأن المقابلة إذا أحسن تأديتها –خاصة مقابلة التوظيف الممنهجة– فإنه سوف يتم التوصل في الأخير إلى الانطباع الدقيق.

وثمة أمور من الممكن أن تؤدي إلى انطباع سيء عن شخص ما في المقابلة، من ذلك ما قد يبديه بعض الأشخاص من التردد أو ضعف الثقة بالنفس، أو من مظاهر الخوف والارتباك والعصبية الظاهرة أو عدم القدرة على عرض معلوماتهم أو توضيح أفكارهم، وفي المقابل فإن من الأسباب التي ربما تؤدي إلى انطباع جيد عن شخص ما في المقابلة ما يبدو على بعض الأشخاص من مظاهر الثقة بالنفس والثبات الانفعالي والهدوء والقدرة على عرض آرائهم وأفكارهم وهذا كله أدى خاصة –في المجتمع الأمريكي– إلى ظهور العديد من النصائح التي تحفل بها الكتب (الشعبية) تدور حول كيفية نجاح الشخص في مقابلات التوظيف أو قدرته على عرض نفسه أو تسويقها Ability to Sell One Self.

ومن مشكلات مقابلة التوظيف أيضاً أنه قد يلتفت الأخصائي القائم بالمقابلة إلى سمة بارزة في المتقدم هذه السمة قد تحجب بقية السمات، وقد تكون هذه السمة البارزة محدثة لأثر سيء بحيث لا يرى القائم بالمقابلة بدقة السمات الإيجابية الأخرى في المتقدم، أو يكون الأمر على العكس أن تكون السمة البارزة محدثة أثراً جيداً بحيث لا يرى القائم بالمقابلة السمات السلبية الأخرى في المتقدم.

كما أن القائم بالمقابلة قد يكون في ذهنه تصور معين عن شخص ناجح في الوظيفة التي يتقدم إليها، وهذا الشخص الناجح له سمات أو خصائص معينة، فيصبح هذا التصور كأنه قالب نمطي أو إطار مرجعي يقيم من خلاله المتقدمون، وهذا التصور غالباً ما يشوبه القصور لأن كل مهنة قد ينجح فيها أشخاص من ذوي سمات متباينة.

وبالطبع فإن هذه المحاذير رغم ورودها فإن الأخصائي النفسي أو المهنيين الآخرين الذين يجرون مقابلات التوظيف يكونون على دراية واسعة بمثل هذه التحفظات أو المشكلات بحيث يستطيعون تجنب آثارها والوصول إلى قرارات بناءً على مقابلة التوظيف تتسم بأكبر قدر من الدقة والموضوعية.

ثالثاً: مبادئ المقابلة

للمقابلة مجموعة من المبادئ نجملها فيما يلي:

1. وضع الأساس السليم للمقابلة وهو الاحترام المتبادل بين الأخصائي النفسي والمستفيد حتى يستطيع المستفيد أن يقول كل ما يريد قوله، وهذا الاحترام ينتج عن اتخاذ الأخصائي النفسي موقفاً يخلو من التعالي على المستفيد أو التباعد عنه أو موقف السيطرة، والمستفيد غالباً ما يدلي بما يراد منه من أقوال إذا شعر أن الأخصائي يحاول أن يفهمه ويبدي مشاركته واهتمامه بمشكلته.

2. بدء المقابلة بأسلوب سليم حيث أنه من واجب الأخصائي النفسي أن يوضح للمستفيد الغرض من المقابلة، وأن يكون مستعداً للإجابة على الأسئلة التي توجه إليه وأن يوضح للمستفيد، حيث يتوقع الأخصائي النفسي بعض القلق من المستفيد أثناء المقابلة وهذا القلق مفيد في دفع المستفيد نحو التحدث، ولكن هذا القلق إذا كان مرتفعاً فإنه سيمنع المستفيد من الكلام.

3. الانتقال بسرعة مناسبة أثناء المقابلة من موضوع إلى آخر، ذلك أن السرعة المناسبة أدعى لأن يكتشف المستفيد عن خبراته على نحو أفضل، وينبغي أن يكون الأخصائي النفسي جاهزاً بالأسئلة الواحد تلو الآخر.
4. تسجيل المقابلة بأسرع ما يمكن سواء كان التسجيل أثناء المقابلة أو بعدها مباشرة، فإن ذلك له أهمية كبيرة في المحافظة على المعلومات وعدم تشويشها أو نسيان بعضها، وهنا ينبغي التنبيه بأن تسجيل المقابلة -سواء أكان كتابياً أو صوتياً- يشعر المستفيد باهتمام الأخصائي النفسي به وبأهمية ما يبديه من أقوال، ولا بد بالطبع من استئذان المستفيد في عملية التسجيل هذه.
5. توجيه الأسئلة الحساسة بطريقة صريحة دون مواربة، ذلك أن المستفيد لن يجيب إجابة صريحة إذا وجد أن الأخصائي النفسي يتردد في أسئلته، هذا إلى جانب أن الأسئلة الغامضة المائعة لا تنال إلا إجابات غير صحيحة.
6. معالجة فترات الصمت أو السكوت بلباقة بحيث يستحث المستفيد على الإكمال حتى لا تطول فترات الصمت وينقطع حبل الحديث بين الأخصائي والمستفيد.
7. محاولة الكشف عما وراء الإجابات السطحية حيث ينبغي إعادة صياغة السؤال أو أن توجه أسئلة إضافية إذا قدم المستفيد إجابات عامة أو غير محددة، ولكن لا يتم ذلك بطريقة إرغامية بل باستخدام لباقة الأخصائي النفسي ومهاداته.
8. ملاحظة التناقض في أقوال المستفيد ومراجعته في ذلك دون أن يكون في ذلك نوع من التكذيب أو التحدي أو العنف بل يجب أن يشعر المستفيد بحرص الأخصائي النفسي على الاهتمام بحالته وصالحه.
9. مواجهة الانفعالات بطريقة هادئة حيث قد يبكي المستفيد أو قد يتشنج أو يصرخ أو يظهر شيئاً من العداء للأخصائي النفسي، لذا يصبح على الأخصائي النفسي أن يسيطر على الموقف بهدوء وأن يظهر عطفه على المستفيد دون إبداء مشاعر الرثاء الزائد له.
10. تشجيع المستفيد على أن يعبر عن أفكاره ومشاعره في حدود الوقت المخصص للمقابلة وفي حدود الظروف التي تم فيها.
11. استعداد الأخصائي النفسي للإجابة على أسئلة المستفيد دون أن تتناول هذه الأسئلة نواحي شخصية عند الأخصائي النفسي أو جوانب سياسية أو دينية أو أخلاقية.

12. ينبغي أن يجيد الأخصائي النفسي فن الإصغاء، ويسمح بإتاحة الفرصة كاملة دون أية قيود على المستفيد. وليس معنى ذلك أن يكون سلبياً، بل أن يوجه المستفيد متى كان هذا التوجيه وارداً.
13. ينبغي أن يلتزم الأخصائي النفسي أثناء المقابلة بالمبادئ التي تضمنها مشروع الميثاق الأخلاقي للأخصائي النفسي الواردة في ملاحق هذا الكتاب.

رابعاً: إجراءات المقابلة وترتيباتها

المقابلة -كما أسلفنا- هي محادثة موجهة بين شخصين هما الأخصائي النفسي والمستفيد، والمقابلة على هذا النحو يمكن أن تتم في أي مكان ولكن من المتعارف وعليه أن تتم ترتيبات لا بد وأن تهيأ لإتمام المقابلة بحيث يمكن الاستفادة منها على خير وجه.

ويتم تهيئة هذه الترتيبات على النحو التالي:

مكان المقابلة

من أهم ترتيبات المقابلة توفر المكان الذي تجري فيه والذي تتوفر فيه الخصوصية والبعد عن العوامل المشتتة للانتباه، ومن مشتتات الانتباه أثناء المقابلة رنين الهاتف أو دق الأشخاص على باب الغرفة المخصصة للمقابلة أو دخول أحد الأشخاص دون استئذان ومثل هذه المشتتات لها مردود سلبي على المستفيد إذ تشعره بأن مشكلاته تأتي في المحل الثاني من اهتمام الأخصائي النفسي.

وعلى هذا الأساس يجب أن تتم المقابلة في غرفة مغلقة بعيدة عن مشتتات الانتباه، ومؤثثة بصورة عادية بعيدة عن التكلف، من ذلك أن تشتمل على مكتب يجلس إليه الأخصائي النفسي وخزانة لحفظ الأوراق وعدة كراسي لجلوس الزوار.

التسجيل

من المرغوب فيه أن يدون الأخصائي النفسي ملاحظاته أثناء المقابلة ويرى البعض تأجيل تدوين الملاحظات إلى ما بعد انتهاء المقابلة لأن التدوين أثناء المقابلة من شأنه أن يضيع على الأخصائي النفسي متابعة ما يدلي به المستفيد من أقوال قد تكون بالغة الأهمية مؤجلاً بذلك التسجيل إلى بعد انتهاء المقابلة. ولكن هذا الأمر مردود عليه كذلك على أساس أن الأخصائي النفسي من المحتمل أن ينسى بعض المعلومات الهامة، والحل الوسط هو أن يدون أثناء المقابلة رؤوس أقلام لملاحظاته ثم يدون التفاصيل بعد انتهاء المقابلة مباشرة

وذلك اتقاء النسيان ويقال كذلك أن بعض المستفيدين يشعرون بالرضا إذا قام الأخصائي النفسي بتدوين أقواله لأن ذلك معناه أن ما يدلي به موضوع الاهتمام.

وعلى ذلك فإن تدوين ملاحظات تفصيلية أثناء المقابلة أمر غير مرغوب فيه؛ لأنه سوف يصرف اهتمام الأخصائي النفسي عن متابعة ما يقوله المستفيد ويمنعه من متابعة وملاحظة سلوكياته، وما قد يبدو عليه من مظاهر لها دلالتها مثل الخوف أو التوتر أو العصبية الزائدة أو الحزن.

ومهما يكن من أمر فإن التكنولوجيا الحديثة سهلت تسجيل المقابلات بواسطة أجهزة التسجيل الصوتية، وعليه في جميع الأحوال أخذ موافقة المستفيد على التسجيل كما سبق الإشارة. ولا بأس من تخصيص عدة دقائق لتوضيح أهمية تسجيل وقائع المقابلة على جهاز تسجيل وأخذ موافقة المستفيد على ذلك، مع التأكيد له بأن المادة المسجلة هي سر من أسرار المهنة لا يجوز إفشاؤه. أما التسجيل دون معرفة المستفيد ودون موافقته فهو أمر محظور تماماً لسببين: الأول: لأنه أمر غير أخلاقي، والثاني: أنه من المحتمل أن يعرف المستفيد أن الأخصائي النفسي يقوم بتسجيل حديثه دون علمه مما يؤدي إلى نسف وتدمير العلاقة المهنية بين الأخصائي والمستفيد.

خامساً: إدارة المقابلة (توجيه الأسئلة)

المقابلة كما أسلفنا أكثر من مرة هي محادثة موجهة بين شخصين، أي أنها سؤال وجواب، وتوجيه الأسئلة هو من أساسيات إدارة المقابلة.

ونوجز كيفية توجيه الأسئلة وإدارة المقابلة في النقاط الآتية:

1. الأسئلة المفتوحة

تبدأ المقابلة عادة بأسئلة مفتوحة مثال ذلك، اذكر لي خبراتك عن مرحلة الدراسة، وهذا السؤال المفتوح يجعل المستفيد يذكر لنا ما يراه مهماً من هذه الخبرات وبالطبع فإنه في الخطوات الأولى من المقابلة تكون هذه الأسئلة ذات فائدة في تعريف الأخصائي النفسي بالإطار العام للمشكلة التي يعاني منها المستفيد، كما أن الأسلوب أو الطريقة التي يستجيب بها المستفيد عادة ما تكون أساساً لتكوين افتراضات جديدة بخصوص حالته، ولذلك فإن الأسئلة المفتوحة تجعل المستفيد مشاركاً فعالاً في توجيه المقابلة وليس مجرد شخص يستجيب بنعم أو لا على مجموعة من الأسئلة.

2. الأسئلة المغلقة

ومثال ذلك هل تحب الألعاب الرياضية؟ هل تشارك في المناسبات الاجتماعية؟ وإذا كانت الأسئلة المفتوحة تثير تلقائية المستفيد فإنها كذلك تستثير ذاكرته وكلا النوعين من الأسئلة مهم والأخصائي النفسي المتمرس يعرف كيف ومتى يوجه الأسئلة المفتوحة أو المغلقة وعلى العموم فإن الهدف من الأسئلة في المقابلة هو الحصول على المعلومات المطلوبة لفهم حالة المستفيد سواء أكانت مفتوحة أو مغلقة.

بعد توجيه الأسئلة بنوعيها فإن الأخصائي النفسي يدع المستفيد يتحدث دون أن يقاطعه بقدر الإمكان وبالطبع فإن الأخصائي النفسي عليه أن يساهم في أن يجعل حديث المستفيد موصولاً بقدر الإمكان ومثال ذلك: هل لك أن تذكر مزيداً من المعلومات على هذه النقطة؟ وماذا ثم بعد أن تركت الدراسة؟ ذلك أن كل مستفيد ليس مثل الآخر وبعضهم يعاني من الخجل والتردد أو الارتباك، وقد يزيد ذلك لديهم أثناء موقف المقابلة، وهنا تأتي هذه الأسئلة المشجعة، أو (التسهيلية) لتجعل المستفيد أقل خجلاً وأقل تردداً وأكثر مساهمة في الإدلاء بالمعلومات الضرورية.

3. الأسئلة الاستيضاحية والكاشفة

هناك بعض النقاط التي يراد استيضاحها من المستفيد، وذلك عن طريق أسئلة استيضاحية مثل: هل يمكنك أن توضح هذه النقطة أكثر؟ أو أنا لم أستوعب ما قلته بخصوص النقطة الفلانية هل تزيدني إيضاحاً؟ وما شابه. أما الأسئلة الكاشفة فإنها قد تكون ضرورية إذا ذكر المستفيد أقوالاً فيها قدر من التضارب. وقد يكون هذا التضارب بسبب عدم قدرة المستفيد على توضيح الموقف وليس بسبب الكذب (ولو أن الكذب وارد في بعض الأحيان) وهنا على الأخصائي النفسي ملاحظة التناقضات والاستفسار عنها بالأسئلة الكاشفة ولكن هذه الأسئلة يجب أن توجه بطريقة بعيدة عن وضع المستفيد موضع الإحراج أو موضع الدفاع عن النفس أو الاتهام بالكذب، وتوجيه الأسئلة الكاشفة يعتمد كثيراً على خبرة الأخصائي النفسي ولباقته بحيث يكون للأسئلة الكاشفة مردود طيب حيث تشعر المستفيد باهتمام الأخصائي النفسي به ورعايته لحالته.

4. المقابلة الأولى بين الأخصائي النفسي والمستفيد

تكون هذه المقابلة ذات أهمية خاصة عما يتلوها من مقابلات، ولذا وجب على الأخصائي النفسي أن يوليها أكبر قدر ممكن من الاهتمام وتكمن أهمية المقابلة الأولى في النقاط التالية:

أ. أنها تمكن الأخصائي من جمع المعلومات عن المستفيد.

ب. أنها الفرصة السانحة لتكوين العلاقة المهنية بين الأخصائي والمستفيد هذه العلاقة من شأنها تسهيل تنفيذ المهام المهنية المطلوبة مثل دراسة الحالة أو إجراء بعض الاختبارات النفسية.

ج. أنها تمكن الأخصائي النفسي من تهيئة المستفيد لتلقي الإجراءات العلاجية المناسبة لحالته.

د. أنها تمكن الأخصائي النفسي من توجيه النصائح للمستفيد مما يساعده على تفهم مشكلته أو حلها.

ويؤثر على هذه المقابلة الأولى عاملان:

أ. العامل الأول: هو الإطار المرجعي للمستفيد ويقصد به خلفية المستفيد الثقافية والشخصية، حيث إنه من المهم جداً أن يكون لدى الأخصائي النفسي تصور عن الإطار المرجعي للمستفيد، وبدون ذلك لا يمكن للأخصائي النفسي أن يحسن فهم وتفسير سلوك المستفيد، وكذلك الأمر في تكوين العلاقة المهنية مع المستفيد حيث لا بد لكي تقوم هذه العلاقة أن يكون الأخصائي النفسي على بينة بالإطار المرجعي للمستفيد. وهناك بعض المستفيدين يكونون بالغي الحساسية وذلك بسبب الحضور إلى إحدى مؤسسات الخدمات النفسية طلباً لمعونتها، بل إن بعضهم قد يتلفت يمنة ويسرة خوفاً من أن يشاهده أحد وهو يتقدم إلى هذه المؤسسة، وبغض النظر عن خطأ أو صحة تصورات المستفيد فإن الأخصائي النفسي عليه أن يتعامل مع المستفيد وما يحمله من خلفيات كأمر واقعي. وإذا صح ما ذكرناه من الشعور بالحساسية عند التعامل مع المؤسسات النفسية في المجتمعات الغربية فهو في مجتمعاتنا العربية يصح أكثر حيث يتردد الكثيرون -وهم بالقطع على خطأ- قبل طلب المعونة أو الخدمات النفسية.

ب. والعامل الثاني: هو الإطار المرجعي للأخصائي النفسي ويقصد بذلك المعلومات التي يجمعها الأخصائي النفسي عن المستفيد من السجلات أو من الأوراق الثبوتية أو من أصدقاء المستفيد أو ذوي قرباه، أي أن الإطار المرجعي للأخصائي النفسي هو خلفيته عن المستفيد، وهذه الخلفية من شأنها أن توفر جزءاً كبيراً من وقت المقابلة قد ينفق في جمع معلومات هي موجودة أصلاً بالسجلات والأوراق الثبوتية، ويجب أن يتأكد

الأخصائي النفسي من دقة المعلومات التي تكون هذا الإطار المرجعي؛ لأن ذلك هو الأساس الذي يقوم عليه تقديم الخدمات النفسية للمستفيد.

سادساً: محتويات المقابلة

تختلف محتويات المقابلة من حالة إلى أخرى، ومع ذلك فهناك محتويات لا بد أن تتضمنها المقابلة حتى تكون أداة جيدة لمعرفة شخصية المستفيد وهذه المحتويات هي:

1. صياغة المشكلة

والمشكلة هي العبء النفسي الذي يعاني منه المستفيد، ولذا يترك للمستفيد أن يحدد مشكلته بنفسه. بل حتى لو كان المستفيد مريضاً ذهانياً أو عصابياً أو طفلاً فيمكن أن يشجع حتى يروي مشكلته بنفسه، وطريقة المستفيد في عرض مشكلته لها أهمية بالغة في الحكم على شخصيته؛ ذلك أن المستفيد قد يعرض مشكلته بصراحة ودون مواربة والبعض الآخر قد يلجأ إلى فلسفتها بطريقة بعيدة عن المنطق تتجلى فيها الحيل النفسية المختلفة مثل الإسقاط أو التبرير.

2. الحديث بين الأخصائي النفسي والمستفيد

يكشف هذا الحديث عن هوية المستفيد وجوانب عديدة من شخصيته؛ ويبدو من حديثه ميله –مثلاً– إلى التشكي أو التذمر أو تجاهل المنطق، وهذا الحديث من شأنه أن يوضح سؤالاً معيناً هو: أي نوع من الناس يكون المستفيد؟ وما الذي يعتقده في نفسه؟ هل يحاول أن يكون محبوباً أو طيباً؟ هل هو مساير للناس أم مخالف لهم؟

3. ميول المستفيد

من المعلومات المهمة التي يجب أن يحصل عليها الأخصائي النفسي أثناء المقابلة معرفة ميول المستفيد واهتماماته، ويمكن توجيه أسئلة مفادها: ما الأشياء التي تميل إليها؟ أو تحب أن تعملها؟ وهل ميولك في القراءة أو الألعاب الرياضية أو في النشاط الاجتماعي؟ وهل تفضل المناشط الجمعية أم الفردية؟

4. طموح المستفيد ونظرته إلى المستقبل

على الأخصائي النفسي أن يهتم بنظرة المستفيد إلى المستقبل ورؤيته وخاصة في موضوع الدراسة والعمل والزواج والأسرة، هل يتوقع النجاح أو الفشل؟ هل يعتقد أنه ضحية الأقدار أم أنه يستطيع أن يشكل حياته بنفسه، وكيف يرى مستقبله؟

5. دوافع المستفيد

حيث يهتم الأخصائي النفسي بمعرفة دافعية المستفيد ومدى حماسه وركوده وما أهدافه وما مدى عزمه على تنفيذ هذه الأهداف؟ وهل دوافعه ورغباته واقعية أم أنها بعيدة عن الواقع؟ ثم هل المستفيد يريد الثروة أو المركز أو السلطة أو الأمن؟ أو أن المستفيد هو شخص يريد مجرد الهروب من الناس والاكتفاء بذاته إلى غير ذلك من دوافع البشر.

6. استبصار المستفيد

حيث يقوم الأخصائي باستيضاح نقطة مهمة وهي هل المستفيد مستبصر بنفسه وبحالته وبدرجة خطورتها أم لا؟ وهل المستفيد قادر على الاستبصار بما قد يحيط به من إحباطات وعقبات؟ وهل يهول هذه العقبات أو يهونها.

7. الحالة الانفعالية والمزاجية للمستفيد

وفي هذه النقطة تستوفي الإجابة على أسئلة مثل هل يبدو المستفيد انفعالياً وقابلاً للاستثارة؟ هل يضحك أو يبكي دون سبب ظاهر؟ هل هو متفائل أو متشائم؟ وهل هذا التفاؤل أو التشاؤم له أسباب واقعية وقائم على أساس نظرة صائبة ومحسوبة إلى الواقع؟

8. قلق المستفيد وهمومه

يحاول الأخصائي النفسي في هذه النقطة أن يحدد نواحي القلق والهموم التي يعاني منها المستفيد، وعادة يكون القلق والهموم من أعراض اضطراب عصابي قد يعاني منه المستفيد ويمكن أن توجه في هذا الموقف أسئلة مثل: ما الذي يشعرك بالحزن أو الهم؟ هل تشعر بالحزن أو الهم فجأة دون سبب ظاهر؟ ومن المفيد أن نحدد ما إذا كانت هموم المستفيد مزمنة أو طارئة عميقة أو سطحية.

9. مخاوف المستفيد

في هذه النقطة نتعرف على مخاوف المستفيد سواء أكانت مخاوف عادية أو مخاوف شاذة أي هل يخاف من المستقبل؟ وهل خوفه منه بناءً على اعتبارات معقولة أم أن مخاوفه هذه لا أساس لها، كما يتم التعرف على المخاوف الشاذة التي قد يعاني منها مثل الخوف من الأماكن المغلقة أو المرتفعة أو الخوف من الحيوانات؟

10. مصادر الصراع

نهتم في المقابلة بالتعرف على مصادر الصراع الذي يتعرض له المستفيد، هل الصراع داخل الأسرة؟ أو في مجال العمل؟ هل الصراع بين المستفيد ونفسه أو بينه وبين الناس؟

11. مصادر الغضب والعداوة

في هذه النقطة نحاول أن نعرف الأمور التي تغضب المستفيد وتثير عداوته، وهل يكون رده على مصادر الغضب رداً منطقياً في حدود المعقول أم أنه يتميز بالعدوانية أو التهور؟ هل المستفيد من النوع الذي يتجه عدوانه إلى الذات أم إلى الآخرين؟ هل يجتر أفكاره العدوانية أم أنها تكون مؤقتة سريعة الزوال؟

12. ما يحبه المستفيد

هذه الفقرة بمثابة (استراحة) في المقابلة لأن النقاط السابقة قد تصيبه بشيء من الإعياء أو التوتر وهنا نطلب منه ذكر الأشياء التي يحبها والأماكن التي يفضلها والأشخاص الذين يودهم.

13. المعتقدات الدينية للمستفيد

موضوع المعتقدات الدينية وما يصاحبها من اتجاهات وسلوكيات من الأمور المهمة التي تستوفى في المقابلة، خاصة في المجتمعات الإسلامية التي يشكل فيها التدين جانباً مهماً من جوانب الشخصية، هل يتسلم سلوكه الديني بعمق المشاعر أو سطحيتها؟ ثم مسألة أخرى مهمة وهي أن بعض المستفيدين من المرضى العقليين يسمع أصواتاً تأمره أو تنهاه أو قد يتصور أنه صاحب رسالة أو أنه مبعوث العناية الإلهية ومناقشة مثل هذه الأمور مع المستفيد أمر له أهميته في الكشف عن الكثير من جوانب شخصيته.

14. مشاعر الذنب والإثم

هنا نستوثق من وجود أو عدم وجود مشاعر بالذنب والإثم لدى المستفيد، وهل يلوم المستفيد نفسه كثيراً ويسرف في ذلك؟ هل يتصور أنه مسئول عن أخطائه وأن شعوره بالذنب أو الإثم شعور طبيعي ناتج عن مسؤوليته هذه.

15. العجز عن التعبير اللغوي

هنا نستكمل نقطة مهمة وهي هل يستطيع المستفيد أن يعبر عن مشكلاته وأفكاره؟ هل يمنعه خجله من الإفصاح عما نريده أن يفصح عنه؟

16. الأفعال القهرية والأفكار المتسلطة

وفي هذه النقطة نتعرف على ما قد يوجد لدى المستفيد من أفعال متسلطة مثل عودته إلى التأكد عدة مرات من إغلاق الباب؟ أو هل يجد نفسه مرغماً على القيام بأعمال ولا يستطيع لذلك دفعاً؟

17. النوم والأحلام

موضوع النوم والأحلام أمر رئيسي يجب أن نحيط بـه بخصوص المستفيد، هـل ينـام جيداً هل ينتابه الأرق أو تزعجه الكوابيس أو هل يتجول أثناء النوم؟ ذلك أن اضطرابات النوم فشت فشواً شديداً بين الناس ثم مسألة الأحلام هل يتذكر شيئاً من أحلامه، هل يحلم بمن يطارده أو يعتدي عليه إلى غير ذلك؟ ومن المهم جداً أن نستوثق أن المستفيد يستعمل أو لا يستعمل الحبوب المنومة.

18. التخيلات وأحلام اليقظة

من المهم التعرف على تخيلات المستفيد وأحلام يقظته لأنها من أدل الأدلة على انتهاج الحيل النفسية الهروبية وذلك في مواجهة ما قد يعاني منه المستفيد من إحباطات، وهنا نتوجه إلى المستفيد بأسئلة من قبيل: ما الذي تفكر فيه عندما تكون بمفردك؟ هل تتخيل أموراً تحدث لك؟

19. التكيف الجنسي

التكيف الجنسي له دور مهم في الكشف عن شخصية المستفيد، وهنا نجمع المعلومات من المستفيد عن سلوكه الجنسي وعلاقاته وتصرفاته نحو الجنس الآخر، وفي حالات معينة يستكمل الأخصائي النفسي جمع المعلومات عن السلوكيات الجنسية السادية أو المثلية عند المستفيد.

حاشية (أ)

نموذج من تقرير مقابلة الإلحاق

- اسم المستفيد: س
- السن: 22 سنة
- الجنس: ذكر
- المستوى الدراسي: تعليم جامعي
- الأخصائي النفسي: ص
- سلوك المستفيد العام: المستفيد عادي في مظهره مرتب في هندامه وملابسه، وقد بدى عليه بعض الحياء، وكان خفيض الصوت أثناء الحديث ورغم وجود بعض أعراض التردد لديه إلا أن حديثه أثناء المقابلة كان واضحاً.

المشكلة

أ. المشكلة باختصار أن المستفيد يعاني من القلق والاضطراب عند الحديث أمام الآخرين.

ب. التاريخ الشخصي: ولد المستفيد في مدينة (كذا) وعاش فيها طوال حياته وتدرج خلال مراحل الدرسة المختلفة حتى وصل إلى المرحلة الجامعية وهو في نهايتها الآن وكانت صلاته بالناس في الحد الأدنى. وتتميز حياته الاجتماعية بالتقوقع حول الذات وانحسار الاهتمام الاجتماعي وانغلاق العلاقات الاجتماعية بالآخرين.

يصف (س) أباه بأنه كان شخصاً متزمتاً بالغ التشدد دائم النقد له ولإخوته، وكان يغضب منه إذا بدا منه أي تقصير في سجله الدراسي، كما يصف والدته بأنها كانت امرأة حنوناً تهتم به اهتماماً شديداً وكان أخوه (م) الذي يصغره بثلاث سنوات متفوقاً في الدراسة وكان موضع تفضيل الأب.

ج. المشكلة التي يعاني منها: يعاني المستفيد من قلق حاد بسبب خوفه من انتقاد الآخرين له أو سوء تقديرهم إياه، ويؤدي هذا إلى ارتباكه عند الحديث، وتظهر عنده حالياً أعراض تهتهة عند الحديث ومظاهر عصبية زائدة، كما يبدو هذا القلق أثناء الامتحان حيث تظهر عليه علامات الارتباك والخوف والتوتر مما أدى إلى تدني أدائه في الامتحانات رغم ما يبذله من جهد ورغم ما يتمتع به فعلاً من قدرات كما يعاني المستفيد من مشكلة النسيان ويبدو عليه شرود الذهن.

د. التوصية: يُوصى بقبول المستفيد في المؤسسة.

هـ. العلاج المقترح: يقترح علاج القلق بواسطة برامج الاسترخاء.

و. الدافعية للعلاج: مرتفعة.

حاشية (ب)

دراسة الحالة (نموذج سوندبرج وتايلور بتصرف)

تهدف دراسة الحالة إلى رسم صورة ملائمة لحالة المستفيد واتخاذ القرارات الخاصة به، علماً بأن كل حالة تعتبر رحالة فريدة من نوعها تتطلب دراسة خاصة تتلاءم معها وتتفق مع ظروفها النفسية والاجتماعية.

ودراسة الحالة هي عملية جمع بيانات عن المستفيد بقصد المساعدة في تشخيص حالته أو تقديم الخدمات والاستشارات النفسية له، وهناك تداخل وتراكب في المعلومات التي نصل إليها بالمقابلة وبدراسة الحالة وكل منهما يكمل الآخر.

والنموذج الذي نورده هو مجرد مثال، ويمكن للأخصائي النفسي أن يعد نموذجاً أو نماذج أخرى حسب ما يراه وطبقاً للمجال الذي يعمل فيه أو البيئة التي يعيش فيها.

وفيما يلي أهم نقاط هذا النموذج:

أولاً: البيانات الذاتية

ويمكن الحصول على البيانات الذاتية للمستفيد من البطاقة الأولية التي يتم تعبئتها عند الالتحاق بالمؤسسة وتوجد في ملف المستفيد، وإذا كان هناك نقص في أي من هذه البيانات فيجب على الأخصائي النفسي أن يستكملها، وهذه البيانات تتضمن اسم المستفيد وجنسيته وعنوانه ومكان وتاريخ الميلاد والحالة الاجتماعية والتعليم والمهنة والدخل والديانة وأسماء أقارب المستفيد.

ثانياً: سبب المجيء

- المشكلة الحالية.
- بداية الشكوى.
- كيف حول المستفيد إلى العيادة أو المستشفى؟
- الخبرات السابقة بالعيادات أو المستشفيات.
- ما الخدمات أو المساعدات التي يمكن أن تقدم للمستفيد؟

ثالثاً: الأحوال الحاضرة

- وصف لما يجري عادة في حياة المستفيد منذ الاستيقاظ صباحاً وحتى النوم مساءً وتذكر أية تغييرات أساسية في العطلات الأسبوعية.

- بيان تفصيلي عن كل فرد يعيش في أسرة المستفيد حالياً وغيرهم من أفراد لهم علاقات هامة مع المستفيد.
- التغيرات التي تحدث عادة في العمل أو المدرسة أو الأسرة والنزهة والترفيه.

رابعاً: تكوين الأسرة

1. بيانات عن الأب والأم (السن حالياً) السن عند الزواج، وصف عام للشخصية كل منهما والعلاقة بالمستفيد.
2. بيانات عن كل أخ وأخت (ترتيب المستفيد بين أخوته، الأخوة والأخوات وأعمارهم، وصف عام لشخصية كل منهم، والعلاقة بالمستفيد).
3. دور المستفيد في الأسرة (دور الطيب المحبوب، دور المكروه، ودور الشرير، ودور الضحية).
4. مظاهرة التفكك في الأسرة (إن وجدت): مثل الطلاق أو الانفصال.

خامساً: الخبرات الأولية

أوصاف الأحداث المبكرة التي يتذكرها المستفيد بوضوح (يذكر السن والأفراد الذين لهم علاقة بالحادث ومشاعر المستفيد عن الحادث).

سادساً: الميلاد والنمو

1. ظروف الميلاد.
2. السن عند المشي والكلام.
3. مشكلات المهد والطفولة (صعوبات التغذية، قضم الأظافر، مص الأصابع، المخاوف الشاذة، المخاوف الليلية).
4. العلاقات الاجتماعية في الطفولة (الميول للانطلاق الاجتماعي، العزلة، الكذب، القسوة، المروق).
5. نظرة المستفيد لطفولته: (سارة، غير سارة...).

سابعاً: الصحة

1. ما أمراض الطفولة وزمن الإصابة بها؟
2. الأمراض الأخرى والإصابات والعمليات الجراحية والعجز.
3. تقدير المستفيد لحالته الصحية والضعف أو القوة الجسمية.

ثامناً: سجل العمل

1. وصف الأعمال التي عمل بها المستفيد في تتابع زمني.
2. أسباب تغيير الأعمال.
3. الاتجاهات نحو العمل، الشعور بالمسؤولية.

تاسعاً: الترفيه والاهتمامات

1. مجالات قضاء وقت الفراغ والهوايات.
2. الاهتمامات (قراءات المستفيد، ما أنواع الأنشطة الجسمية التي يمارسها المستفيد؟ عضوية الجماعات، الأنشطة العامة).

عاشراً: النمو الجنسي

1. المعرفة الأولى بالجنس (كيفية النمو الجنسي): معرفة الجنس.
2. أنواع التعبير الجنسي (الاستمناء، الجنسية المثلية، الجنسية الغيرية).

حادي عشر: البيانات الزواجية والأسرة

1. تاريخ وظروف الزواج (الخطبة، شهر العسل، عدد مرات الزواج).
2. الحمل والأطفال وأعمارهم.
3. الأحداث الكبرى: وقت الزواج وما تتضمنه من تغيرات.
4. التفاعل الأسري حالياً (كيفية اتخاذ القرار فيما يتعلق بشراء الأشياء الأساسية، مقدار الاتصالات الأسرية ونوعها، الأدوار التي يؤديها كل فرد في الأسرة).
5. المقارنة بين الأسرة الحالية والأسرة التي تربى فيها المستفيد.
6. تقييم المستفيد للأسرة الحالية وقوة العلاقة بين أفراد هذه الأسرة ومشكلاتها.

ثاني عشر: وصف الذات

1. وصف المستفيد لذاته، كما لو كان يكتب قصة عن شخص أو يصف دوره في مسرحية.
2. الخصائص المهمة: الإمكانيات والعجز.
3. مصادر الانزعاج: الشك، القلق، وتأنيب الضمير.
4. المشكلات القائمة والتي ينبغي التغلب عليها في الشهور أو السنوات القريبة القادمة، وما أنواع التوافق التي حاولها الفرد؟

5. وصف المستفيد لما يود فعله إذا تخلص من أعراضه المرضية وشكواه.
6. المثال أو الشخص الذي يود المستفيد أن يكونه.

ثالث عشر: الاختيارات ونقاط التحول

1. نقاط التحول المهمة في الحياة
2. ما فعله المستفيد في اتخاذ القرارات وفي نقاط التحول.
3. إيضاح تفصيلي عن حادثتي نجاح وفشل في حياة المستفيد.
4. المصادر الأساسية للمساعدة والتشجيع في أوقات الأزمات واتخاذ القرارات وكذلك أسباب فقد الثقة بالآخرين.

رابع عشر: ما يمكن ان يضاف من بيانات يرى الأخصائي النفسي اهميتها بالنسبة للحالة

الملخص

المقابلة هي محادثة موجهة بين شخصين هما الأخصائي النفسي والمستفيد وذلك بقصد الحصول على معلومات تساعد في تشخيص حالة المستفيد والتعرف على سمات شخصيته مما يساعد على تقديم النصح والإرشاد له أو المساهمة في عملية العلاج النفسي.

مهارات المقابلة

ثمة مجموعة من المهارات من شأنها أن تجعل المقابلة أكثر فعالية، وهذه المهارات هي:

1. العلاقة المهنية: علاقة تقوم على الثقة والتفاهم بين الأخصائي النفسي والمستفيد.
2. الاتصالات: وهي الحوارات بين الأخصائي النفسي والمستفيد بقصد جمع المعلومات من المستفيد.
3. التجرد من الخبرة الذاتية: وهي نظرة الأخصائي النفسي إلى مشكلات المستفيد نظرة موضوعية تخرج إطار الخبرات الحياتية الشخصية للأخصائي النفسي.

أنواع المقابلة

1. مقابلة الإلحاق: بقصد النظر في إمكانية قبول المستفيد بالمؤسسة النفسية المتقدم إليها أو تحويله إلى مؤسسة أخرى مختصة بحالته.
2. مقابلة دراسة الحالة: بقصد جمع قاعدة معلوماتية عن المستفيد من النواحي الأسرية والصحية والمهنية.
3. مقابلة اختبار الحالة العقلية: بقصد تشخيص كفاءة الوظائف النفسية والعقلية للمستفيد وتقييم مدى قابليته للعلاج.
4. مقابلة قبل وبعد الاختبارات النفسية: بقصد إقامة علاقة مهنية تسهل إجراء الاختبار النفسي على المستفيد وتعريفه بصورة عامة بالهدف من إجراء الاختبار ونتائجه.
5. المقابلة الممهدة للعلاج: بقصد توضيح أهمية أو ضرورة خضوع المستفيد للعلاج النفسي سواء عن طريق التنويم في المستشفى أو التردد على عياداتها.
6. المقابلة مع ذوي المستفيد: بقصد توضيح حالة المستفيد لأصدقائه وذوي قرباه لكسب تعاونهم في العملية العلاجية أو الإرشادية.
7. مقابلة التوظيف: بقصد اختيار أصلح العناصر من بين المتقدمين للوظائف.

مبادئ المقابلة

من أهم مبادئ المقابلة احترام المستفيد وإشعاره بأخذ أقواله مأخذ الجد وتشجيعه على الاسترسال ومواجهة انفعالاته بصورة هادئة.

إجراءات المقابلة وترتيباتها

من أهم إجراءات المقابلة تهيئة مكان مناسب وتسجيل وقائعها بدقة.

إدارة المقابلة (توجيه الأسئلة)

تكون إدارة المقابلة عن طريق البداية بأسئلة عامة مفتوحة ثم التدرج منها إلى أسئلة محددة مغلقة واستيفاء المعلومات المطلوبة عن طريق أسئلة استيضاحية كاشفة.

محتويات المقابلة

تشتمل على صياغة مشكلة المستفيد صياغة واضحة واكتشاف شخصية المستفيد من خلال الحوار مع الأخصائي النفسي والتعرف على ميوله ودوافعه وحالته المزاجية ومخاوفه هذا إلى جانب معتقداته الدينية وما قد يعانيه من مشاعر الذنب أو الإثم.

أسئلة للمناقشة

1. قارن بين خصائص المقابلة وخصائص الاختبار النفسي مبيناً أوجه الاختلاف والاتفاق؟
2. اكتب مقالة تحت عنوان (المقابلة بين العلم والفن)؟
3. لخص المهارات اللازمة للمقابلة مبيناً الصعوبات التي تواجه الأخصائي النفسي في اكتساب هذه المهارات؟
4. قارن بين أنواع المقابلة المختلفة مركزاً على صعوبات كل نوع؟
5. ناقش مبادئ المقابلة وإجراءاتها في ضوء الاعتبارات الأخلاقية الواردة في ملاحق هذا الكتاب؟
6. إذا طلب منك تصميم استمارة تتضمن محتويات المقابلة فما البنود الأساسية التي سوف تتضمن في هذه الاستمارة؟
7. قارن بين محتويات المقابلة ومحتويات استمارة دراسة الحالة الواردة في (حاشية ب) مبيناً جوانب التكامل بين الأسلوبين؟



الفصل الثاني

القياس السلوكي

Behavioral Assessment

مقدمة

كان للمدرسة السلوكية بالغ الأثر على مجالات عديدة في علم النفس ومنها مجال قياس الشخصية. بحيث ظهر اتجاه جديد يختلف اختلافاً مذكوراً عن الأساليب التقليدية التي تتمثل في الاختبارات الموضوعية والاختبارات الإسقاطية.

ولنعيد إلى الذاكرة أنه منذ حوالي منتصف القرن العشرين وحتى الآن، انخرط العديد من علماء النفس في إمداد الخزانة السيكولوجية بعدد كبير من الاختبارات النفسية التي تقيس الجوانب المختلفة من ذكاء وقدرات وميول وسمات للشخصية، ولكن بتأثير المدرسة السلوكية بدأت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين حركة نشطة لإعداد اختبارات نفسية تحت مسمى القياس السلوكي، وهذا القياس السلوكي يحاول جاهداً أن يحتل مكاناً مرموقاً في الخزانة السيكولوجية مزاحماً بذلك الاختبارات النفسية التقليدية الكبرى، بل لقد ذهب البعض إلى الظن بأن القياس السلوكي سوف يجلي هذه الاختبارات التقليدية عن مكانتها العريقة.

والتصور الذي من أجله يطرح القياس السلوكي نفسه مزاحماً للاختبارات النفسية التقليدية في مجال الشخصية. هو أن القياس النفسي التقليدي يعتمد أساساً على النموذج الطبي. وهذا النموذج الطبي تتحفظ عليه السلوكية لأنه يفترض أن مظاهر السلوك اللاسوي هو مجرد واجهة لسبب خفي وغير ظاهر. فمثلاً فقد الشهية عند أحد الأطفال قد يكون راجعاً لخبرة طفلية مريرة أو حادثة مفزعة أو لتعرض الطفل في سني حياته الأولى لأمراض شديدة الوطأة في الجهاز الهضمي، ولا بد في -نظر هذا النموذج الطبي- قبل أن نشرع في العلاج أن نستقصي الأسباب التي أدت إلى هذا الاضطراب، وهذا مجرد مثال ينطبق عليه

أشكال الأعراض الأخرى مثل السلوك العدواني أو السلوك الانسحابي حيث يجب أن تستقصى الأسباب التي سببت الأعراض حتى تكون العملية العلاجية على أساس سليم.

لكن في علم النفس السلوكي، وفي القياس السلوكي فإن الحالة المرضية تعتبر في ذاتها كأنها (مربط الفرس) وأساس الدراسة، ويتوجه إليها الاهتمام على أنها المشكلة الحقيقية، وفي علم النفس السلوكي والقياس السلوكي يصبح فقد الشهية –مثلاً– هو محل الاهتمام.

ولذا فإن القياس السلوكي يهتم بقياس هذه الواقعة السلوكية من حيث مظاهرها وحدتها وملابساتها ودرجتها ومع ذلك فلا يسبقن إلى الوهم أن القياس السلوكي يتجاوز أو يتجاهل العوامل المؤدية إلى اضطراب السلوك بل على العكس فإن بعض أساليب القياس السلوكي تتضمن الاهتمام بالعوامل المؤدية والمحيطة باضطراب السلوك، لكن هذه العوامل المؤدية إلى الاضطرابات السلوكية قد تكون عوامل موقفية مثل ظروف العمل أو الظروف الأسرية أو عوامل داخلية في الفرد مثل ما يسمى الحوار الداخلي Internal Dialogue (الحوار الداخلي كأنه حديث بين الشخص ونفسه).

وفي ختام هذه المقدمة التعريفية يمكننا أن نعرف القياس السلوكي تعريفاً إجرائياً بأن نقول: أنه الحكم على الشخصية أو تقييمها من خلال الملاحظة المباشرة في المواقف الاجتماعية المختلفة سواء أكانت هذه المواقف عفوية أو مصطنعة، أو أن القياس السلوكي هو طريقة لدراسة سلوكيات الأفراد بأساليب الملاحظة أو المقابلة في المواقف الحياتية، وهذه الدراسة قد تكون بديلاً للاختبارات النفسية أو بالإضافة إليها.

ونتحدث عن القياس السلوكي من خلال النقاط الآتية:

أولاً: القياس السلوكي: نظرة تاريخية

ربما يرجع الاهتمام بالقياس السلوكي في مجال الشخصية خلال الربع قرن الأخير إلى ما يقال عن تردي المكانة العلمية للاختبارات الإسقاطية، ومن مظاهر هذا التردي ما لحق باختبار رورشاخ Rorshach –وهو أقوى هذه الاختبارات وأكثرها عراقة– من انحسار الاهتمام. ويدل على هذا الانحسار في الاهتمام أنه في عام 1937م تم تأسيس مجلة علمية تحت اسم مجلة بحوث الرورشاخ وفي عام 1950م تم تغيير اسم هذه مجلة إلى مجلة الأساليب الإسقاطية وقياس الشخصية وفي عام 1971م تغير الاسم فأصبح مجلة قياس الشخصية.

ومعنى ذلك أن هذه المجلة تحولت من تركيز الاهتمام على بحوث الرورشاخ فقط إلى مجلة تهتم بقياس الشخصية بوجه عام.

وهذا يمكن أن يساق دليلاً على تدني الاهتمام بالاختبارات الإسقاطية خلال سنوات قليلة نسبياً، وقد يكون هذا التدني في الاهتمام راجعاً إلى تدني كفاءة هذه الاختبارات وفي نفس الوقت ظهرت العديد من المجلات العلمية التي تتناول علم النفس السلوكي ومساهماته في القياس والعلاج.

ومع أن الرأي يتفق على أن القياس السلوكي ظهر في الستينات من القرن العشرين الماضي فإن القياس السلوكي استخدم في العديد من الدراسات السيكولوجية قبل هذا التاريخ ومع ذلك دراسات هارتشون وماي في العشرينات من القرن العشرين وكذلك استخدمت أساليب القياس السلوكي في الاختيار المهني في المجالين العسكري والصناعي في فترة الحرب الكونية الثانية وبعد هذه الحرب، ولعل سبب تأخر ظهور القياس السلوكي في مجال الشخصية هو سيادة التوجه (السيكوديناميي) المؤسس على نظرية التحليل النفسي على مجال علم النفس بوجه عام وعلى مجال علم النفس الشخصية بوجه خاص. وقد ساد هذا التوجه السيكوديناميي في دراسة الشخصية حيناً من الدهر ولم ينحسر هذا التوجه السيكوديناميي إلا مع زيادة (المد السلوكي) هذا (المد السلوكي) الذي اشتد مع تربع العلاج السلوكي كأحد الأساليب العلاجية الأكثر فعالية وهذا التوجه السلوكي ينعقد على أن السلوك يمكن التحكم فيه وأنه متعلم وأنه قائم على أساس علاقة بين المثير والاستجابة كما أنه يمكن دراسة هذا السلوك دراسة موضوعية عن طريق العديد من الوسائل أهمها:

الملاحظة

إن هناك العديد من الأساليب التي جعلت أساليب القياس السلوكي تتأخر في الدخول إلى ميدان قياس الشخصية، من ذلك أن أجيالاً من الأخصائيين النفسيين -خاصة المشتغلين منهم بعلم النفس الإكلينيكي- ساد لديهم الاعتقاد بأن قياس الشخصية إنما هو غوص في أعماق الشخصية لاستجلاء جوانبها البعيدة الغور والضاربة في أعماق الماضي، واستحياء الذكريات التي انسحقت برداء الكبت واعتصمت به، وتلك الذكريات التي لفها الكبت بقيت في جب اللاشعور وغياهبه ظاهرها أنها ساكنة خاملة، ولكن الحقيقة أنها نشطة مؤثرة على السلوك. وكذلك فإن من الأسباب التي أدت إلى تأخير دخول القياس السلوكي إلى ميدان قياس الشخصية أن الأساليب السلوكية التي تقوم على الملاحظة المباشرة هي نفسها أمر من الصعب تنفيذه بنجاح كامل.

وفي المقابل فإن ثمة عوامل أبرزت القياس السلوكي في مجال قياس الشخصية منها:

1. إن علم النفس السلوكي هو محاولة لفهم السلوك في إطار أسبابه من عوامل ترجع إلى الكائن الحي الإنساني، مثل خصائصه الفسيولوجية وخبراته السابقة بالإضافة إلى المتغيرات البيئية المحيطة بهذا الكائن الإنساني، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى أساليب لقياس هذه العوامل.
2. التعريف الواسع لمفهوم السلوك والذي صاحب ظهور المدرسة السلوكية بحيث أصبح للسلوك جوانب ظاهرة مثل الحركات والألفاظ وجوانب باطنة مثل التفكير والانفعالات، فمثلاً في القياس السلوكي لواقعة (القلق) مثلاً لا بد لنا من ملاحظة الجوانب الظاهرة من السلوك مثل ما يصاحب القلق من حركات توترية تظهر على الشخص مثل التخبط والتعجل والتردد والتسرع، أما الجانب الباطن فيشتمل على أفكار وانفعالات ومشاعر بالتوجس والخوف وتوقع الشر ونذر السوء، وبالطبع ظهرت الحاجة إلى مقاييس تلبي هذه المتطلبات الجديدة وكذلك الحال في قياس الوقائع السلوكية الأخرى مثل الخوف أو تأكيد الذات (مما سوف نعرض له في موضع قادم).

ثانيا: الخصائص العامة للقياس السلوكي

يتميز القياس السلوكي بوجه عام بمجموعة من الخصائص العامة في مواجهة القياس النفسي التقليدي، والمقصود بالقياس النفسي قياس الشخصية عن طريق الاختبارات الموضوعية مثل اختبار الشخصية المتعدد الأوجه أو اختبار كاليفورنيا للشخصية أو اختبار عوامل الشخصية، أو عن طريق الاختبارات الإسقاطية مثل (الرورشاخ) أو تفهم الموضوع، إذن يتميز القياس السلوكي عن القياس التقليدي بما يأتي:

1. في القياس السلوكي فإن الهدف هو جمع المعلومات بخصوص جزئية معينة من السلوك عند أحد المفحوصين وليس معرفة جوانب شخصية هذا المفحوص، فمثلاً في القياس السلوكي عندما نهتم بمشكلات التوافق الزواجي مثل الشقاق أو النشوز فإننا نهتم بواقعة الشقاق والنشوز ذاتها وما يحيط بها من ملابسات ولا نهتم بقياس شخصية الزوجين لمعرفة سمات هذه الشخصية أو أبعادها كما نفعل في القياس النفسي التقليدي.
2. التركيز على النواحي المحددة أو الوقائع السلوكية المحددة مثل إثارة الشغب في الفصل الدراسي من قبل أحد التلاميذ أو مص الأصابع أو رفض الذهاب إلى المدرسة في

المصباح: إن القياس السلوكي يهدف إلى معرفة الأفكار أو المشاعر التي تؤدي إلى أو تصاحب الظاهرية السلوكية، ولا يركز القياس السلوكي على مضامين أو مسميات عامة Labels مثل فصام أو هوس كما يحدث في القياس النفسي التقليدي.

3. يركز القياس السلوكي على عينة من سلوك المفحوص في الموقف الحياتي الحقيقي، أما القياس النفسي التقليدي فإنه يهتم بديناميات معينة في الشخصية يفترض أنها أدت إلى سلوك أو جزئية سلوكية معينة.

4. في القياس السلوكي نستمر في جمع المعلومات عن الواقعة السلوكية محل الاهتمام حتى أثناء العلاج النفسي السلوكي، بينما في القياس النفسي التقليدي تنتهي من جمع المعلومات قبل بدء عملية العلاج.

5. الأساس الذي تقوم عليه القياس النفسي التقليدي أن الشخصية هي نسق من المكونات أو القوى أو السمات أو الأبعاد وهذه المكونات هي التي تؤثر على السلوك سواء كانت هذه القوى هي الهو والأنا والأنا الأعلى أو السمات مثل الانطواء والانبساط، أو الأبعاد الأخرى مثل العصابية والذهانية. إن التصور التقليدي قائم على أساس أن هذه المكونات هي خصائص ثابتة نسبياً. وعلى ذلك فإذا كان لنا أن نفهم السلوك أو نتنبأ به فإن علينا -والحالة هذه- أن نقيس هذه الأبعاد أو السمات أي أن نتعرف على تلك القوى المؤثرة على الشخصية.

لكن التصور السلوكي لا ينظر إلى الشخصية هذه النظرة، بل إنه يرى أن الشخصية تتبدى في تصرفات أو مواقف أو جزئيات أو وقائع سلوكية معينة، ويتحول اهتمام التصور السلوكي من بحث عن خصائص أو مكونات الشخصية -كما في التصور التقليدي- إلى بحث عن التداخل بين السلوك والمواقف الحياتية بحيث مفاهيم مثل العدوان تصبح مهارات سلوكية أو 'فعالاً' شأنها في ذلك شأن ركوب الدراجة من أنها مهارة أو فعل، ومن ثم فإن التوجه السلوكي يهتم بالسلوك العدواني ووقائعه أكثر من اهتمامه بموضوع العدوان من حيث دينامياته وخلفياته.

6. من الملامح المركزية كذلك في القياس السلوكي -والتي تميزه عن القياس التقليدي- ما يسميه عملاق السلوكية سكنر (التحليل الوظيفي Functional Analysis) ومعنى التحليل الوظيفي أن ثمة تحليل دقيق للمثير الذي يؤدي إلى استجابة سلوكية معينة ويتضمن ذلك دراسة ما يحدث من تغيرات في المثير وما يعقب أو يصاحب ذلك من

تغيرات في الاستجابة، والفكرة الأساسية وراء هذا كله هو أن السلوكيات متعلمة وتتشكل عن طريق التدعيم، وعلى ذلك فإن محاولة تغيير أي سلوك غير مرغوب يلزمها تحديد ظروف المثير الذي يؤدي إلى الاستجابة التي تمثل هذا السلوك غير المرغوب، ثم خطوة ثانية وهي تحديد ما يعقب هذا السلوك غير المرغوب فيه من تعزيزات، وعندما يتم اكتشاف هذين الأمرين فإنه يمكن عند ذلك تعديل هذا السلوك. وما يتصل بالتحليل الوظيفي كذلك الوصف الدقيق للسلوك محل القياس أو الجزئية السلوكية محل القياس، وكذلك الظروف التي تؤدي إلى السلوك وكذلك نتائجه وما يصاحبها من تدعيم (ومثال ذلك طفل تصدر عنه تصرفات عدوانية في المنزل أو في المدرسة) فإن القياس التقليدي ربما يتجه إلى تحليل الحاجة أو الحاجات التي يحاول الطفل إرضاءها من تصرفاته العدوانية وذلك حتى يمكن علاج هذه التصرفات، لكن القياس السلوكي يتجاهل مثل هذا الافتراض عن وجود حاجات تدفع الطفل إلى التصرفات العدوانية، بل يتجه إلى الهدف المباشر ويركز اهتمامه على السلوك العدواني، وقد نتوصل عن طريق التحليل الوظيفي إلى أن الطفل يتصرف بعدوانية في ملابسات معينة مثلاً عندما ينصرف عنه اهتمام المدرسين، وعندما يتصرف الطفل بعدوانية فإن المدرس يصرف إليه انتباهه، أي أن المعادلة تسير كما يلي: عدم انتباه المدرس إلى الطفل كأنه مثير يؤدي إلى استجابة هي السلوك العدواني، الذي يؤدي بدوره إلى جذب انتباه المدرس، وهنا يكون انتباه المدرس بمثابة التدعيم وقد يكون العلاج في هذه الحالة توجيه اهتمام المدرس إلى الطفل عندما لا يمارس التصرفات العدوانية، وصرف اهتمام المدرس عن الطفل إذا مارس التصرفات العدوانية بحيث لا يحدث تدعيم يعقب الاستجابة العدوانية مما يؤدي إلى انطفائها.

7. يرتبط القياس السلوكي بما يعرف في علم النفس بالعلاج السلوكي وهو موضوع حاشية هذا الفصل.

ثالثا: وسائل القياس السلوكي

ونلخص أهم وسائل القياس السلوكي فيما يلي:

1. الملاحظة في المجال الطبيعي Naturalistic Observation

وتسمى أحياناً الملاحظة في المجال الطبيعي أو الملاحظة التلقائية، ومقصود بها ملاحظة الشخص المفحوص في الموقف الحياتي الطبيعي من حيث تصرفاته وسلوكياته.

وهذا الأسلوب يعد الأخصائي النفسي ويعرفه بعينة مباشرة من سلوك المفحوص، كأن الملاحظة بهذه الطريقة هي دراسة مباشرة للواقعة أو الوقائع السلوكية كما تحدث في واقع الحياة. وهذه الملاحظة رغم أهميتها وضروريتها تتطلب الكثير من الوقت والجهد وبالتالي التكلفة، بحيث يرى البعض أن المردود الناتج منها أو الفائدة المتحققة منها أقل من المجهود المبذول فيها.

والملاحظة السلوك في مجال الطبيعة يستتبعه أن يسجل هذا السلوك وفقاً لقاعدة ما، مثلاً ملاحظة أحد تلاميذ الصف الأول الابتدائي من حيث مهارته في القراءة أو الكتابة أو الحساب، أو مهارته الاجتماعية أو الحركية، كل واحدة من هذه الجزئيات أو الوقائع السلوكية تعرف وتحدد بحيث يستطيع الأخصائي النفسي القائم بالملاحظة أن يقرر متى تحدث هذه الواقعة السلوكية ويقوم بتسجيل ذلك. ويمكن أن نلخص العمليات التي تتم وفقاً لها الملاحظة في مجال الطبيعة إلى ما يلي:

أ. الخطوة الأولى: يحدد الأخصائي النفسي ماهية الجزئيات أو الوقائع السلوكية التي سوف يلاحظها، على أن تكون هذه الجزئيات أو الوقائع متصلة ببعضها البعض ما أمكن ذلك.

ب. الخطوة الثانية: تعريف الجزئية السلوكية أو الواقعة السلوكية تعريفاً إجرائياً بحيث لا يختلف أخصائي نفسي عن أخصائي نفسي آخر في تحديد أو معرفة هذه الجزئية، (مثل أن نحدد معنى التأخر عن الدرس أو عدم الالتفات إلى المدرس أو المروق... إلخ تحديداً يتفق عليه بحيث يسهل تسجيل الملاحظات عن الواقعة السلوكية).

ج. الخطوة الثالثة: اختيار الشخص القائم بالملاحظة، ومن الصعب في حالات كثيرة أن يقوم الأخصائي النفسي بعملية الملاحظة في المجال الفعلي، وقد يكلف بذلك بعض المساعدين الذين عادة ما يكونون من طلاب أقسام علم النفس في الجامعات التي يدربون فيها على عمل الأخصائي النفسي.

د. الخطوة الرابعة: كيفية تسجيل الوقائع السلوكية مثلاً من حيث تكرارها أو تواتر حدوثها، أو تسجيلها من حيث شدتها على مقياس متدرج من خمس نقاط أو سبع نقاط على سبيل المثال، وكذلك تحديد أسلوب تسجيل الملاحظة هل سيكون عن طريق التسجيل الصوتي أو التسجيل بالصور أو التسجيل كتابة، وكذلك إعداد النماذج

الخاصة والاستمارات الخاصة لهذا الغرض، وتحديد الأدوات المستخدمة مثل ساعة إيقاف أو قلم رصاص... إلخ.

5. الخطوة الخامسة: وهي تدريب القائمين على الملاحظة بواسطة أخصائيين نفسيين من ذوي الخبرة.

ورغم هذه التحديدات فإن الملاحظة في المجال الفعلي عليها بعض التحفظات، فمثلاً عندما يشعر الشخص أنه تحت الملاحظة فربما يدفعه ذلك إلى أن يعدل من سلوكه أو أن يتصرف على غير سجيته أو قد يضفي على سلوكه شيئاً من المبالغات، مثل أحد الأطفال في دار للحضانة والذي يمارس بكثرة سلوكيات عدوانية تجاه الأطفال الآخرين، ربما إن شعر أنه موضع مراقبة فقد يكف عدوانه مؤقتاً عن الأطفال الآخرين، ثم بعد انقضاء الفترة التي يوضع فيها تحت الملاحظة يعود إلى سيرته الأولى. ومن المتوقع كذلك أنه في حالة وجود شخص ما تحت الملاحظة فإنه قد يضفي على تصرفاته شيئاً من التحوط أو التصنع، ومثال ذلك طالب في إحدى كليات إعداد المعلمين يلقي درساً أثناء تدريبات التربية العملية على أحد الصفوف الدراسية في إحدى المدارس التي يتدرب فيها، وهذا الدرس سوف يتم تقييمه من جانب زملائه كذلك، فمن المتوقع أن يبذل الطالب وهو يؤدي هذا الدرس جهداً مثالياً أكبر مما يؤديه في الدروس العادية، أو قد نتوقع شيئاً مخالفاً إذ قد يختل أداؤه بسبب اضطرابه وخوفه أو ارتباكه بسبب حضور الأشخاص الذين يراقبونه ثم يقيمونه.

كما أن الملاحظة في المجال الفعلي يحتج عليها بأنها تتضمن انتهاكاً لخصوصية المفحوص من قبل القائم بالملاحظة ولو أن انتهاك الخصوصية Invasion of Privacy هذا أمر قائم في العديد من مواقف القياس النفسي.

وقد يمكن التغلب على شعور المفحوص بأنه موضع الملاحظة -وما يؤدي إليه مما أسلفنا ذكره- بأن تتم الملاحظة دون معرفة المفحوص بذلك، وذلك يتم باستخدام كاميرات التلفزيون المخبأة، ولكن ذلك يثير إشكالية أخرى أكثر خطورة وهي مدى أخلاقية ملاحظة الآخرين والاندساس على شؤونهم الشخصية دون إذن منهم ورغم هذا كله فإن الملاحظة في المجال الفعلي أمر أساسي لا يمكن الاستغناء عنه.

2. الملاحظة المنضبطة Controlled Observation

أدت الصعوبة التي تعترض أسلوب الملاحظة في المجال الفعلي إلى اللجوء لما يسمى بالملاحظة المنضبطة، حيث تتوفر في الملاحظة المنضبطة عوامل أهمها التحكم في الواقعة

السلوكية وملاحظة الأثر المباشر أو غير المباشر لعمليات التحكم هذه، أي أن الأخصائي النفسي هو الذي يتحكم في ترتيب الوقائع السلوكية تحكماً يمكنه من قياس جوانب السلوك المطلوب قياسها، أما الملاحظة في المجال الفعلي فإن الأخصائي يراقب السلوك دون أن يتدخل في الواقعية السلوكية.

وفي الملاحظة المنضبطة يفترض أن المفحوص سوف يستجيب بنفس الأسلوب الذي يستجيب به في الحياة الواقعية، وقد استخدم أسلوب الملاحظة المنضبطة في دراسات عديدة منها دراسات (هارتشون وماي) في العشرينات من القرن العشرين حيث أجريت تجارب على الأطفال وذلك لقياس السمات والخصائص الخلقية مثل الغش والكذب والسرقة. وفي هذه التجارب كان الأطفال يوضعون في مواقف تشبه بالضبط مواقف الحياة اليومية حيث تبين أن سلوكياتهم في النواحي الخلقية مثل الغش أو الكذب أو السرقة يختلف من موقف لآخر، إذ قد يغش الطفل في موقف ولا يغش في موقف آخر معنى ذلك أنه لا توجد سمات سائدة عند الأطفال، ولكن تصرفات موقفية جزئية، وكانت هذه الدراسة تستخدم أسلوب الملاحظة المنضبطة.

واستخدمت الاختبارات الموقفية -وهي ملاحظة منضبطة- في فترة الحرب الكونية الثانية وذلك لاختيار الأفراد الذين يلتحقون بالعمل في المخابرات العسكرية بالجيش الأمريكي Office of Strategic Services (OSS) ومن أشهر هذه الاختبارات الموقفية اختبار يقيس قدرة الفرد على تحمل المواقف الضاغطة والتصرف الهادئ الهادف أثناء هذه المواقف، حيث كان يطلب من المفحوص عمل مكعب كبير ضلعه خمسة أقدام من قطع خشبية صغيرة، في وقت قصير ومن المستحيل على المفحوص أن يقوم بعمل هذا المكعب في الفترة الزمنية المقررة، وكان يتقدم لمساعدة المفحوص اثنان من المتطوعين -وهما في الواقع من الأخصائيين القائمين على تنفيذ الاختبار- ويبادر أحدهما بتقديم مساعدات تافهة ويتعمد إغاظة المفحوص وتأخيره ويقوم الآخر بتقديم اقتراحات سخيفة وغير عملية بحيث لا يستطيع المفحوص بأي حال من الأحوال إنهاء ما هو مطلوب منه.

والغرض الأساسي من هذا الاختبار الموقفي ليس قياس قدرة المفحوص على تكوين المكعب، ولكن الغرض هو دراسة نوعية الاستجابات الانفعالية لدى المفحوص وقدرته على ضبط النفس حيال المواقف الضاغطة، وحيال الإحباط والتوتر ومدى قابلية المفحوص للاستثارة الانفعالية، وكان يتم تقييم المفحوص على هذه الجوانب من خلال ملاحظته أثناء

الاختبار. كما استخدمت أساليب الملاحظة المنضبطة كذلك في أوائل الخمسينات من القرن العشرين في مجال اختيار المتقدمين للجيش البريطاني وبعض الجيوش الأوروبية الأخرى، ومن تلك الأساليب أن يطلب من مجموعة صغيرة من الأفراد (عددها في حدود عشرة) أن يناقشوا موضوعاً معيناً، مثل: ما التصرف الصحيح أو المنطقي إزاء موظف يهمل؟ أو يطلب منهم مناقشة قضية من القضايا المطروحة في الحياة اليومية أو الاجتماعية أو السياسية، وجميع أفراد المجموعة غرباء عن بعضهم البعض، وكان يطلب منهم مناقشة المشكلة المطروحة دون أية تعليمات أو تحديدات بخصوص المناقشة أو الهدف منها، ولأن أفراد المجموعة لا يعرفون بعضهم البعض سلفاً فإن ذلك كان يؤدي إلى كثير من الارتباك والحيرة، وكان يتم عن طريق الملاحظة تقييم سلوك كل شخص من المجموعة هل هو شخص مبادئ أو استقلالي أو إمعة أو انتهازي أو أناني أو مندفع؟ وهل هو شخص يساعد الآخرين أو يتطاول عليهم؟

ويقال إن الملاحظة المنضبطة بوجه عام تتمتع بقدر كبير من الثبات بل إن العديد من الدراسات تشير إلى أن نسبة الاتفاق مرتفعة بين وصف الأخصائي القائم بالملاحظة وبين أوصاف الأخصائيين الآخرين، وتصل معاملات الثبات بين هذه التقديرات في بعض الدراسات بين 0.80 إلى 0.90 كما يذكر أن الكفاءة التنبؤية للملاحظة المنضبطة تصل إلى نسب معقولة تتراوح بين 0.40 – 0.45.

ويمكن أن نجمل أهم أساليب الملاحظة المنضبطة فيما يلي:

أ. **الملاحظة الذاتية**

تشبه الملاحظة الذاتية إلى حد ما مفهوم الاستبطان في علم النفس، وعن طريق الاستبطان يصف المفحوص حالته الشعورية في موقف معين أو مواقف معينة، كان الاستبطان ملاحظة ذاتية. وقد توجهت إلى أسلوب الاستبطان العديد من الانتقادات بسبب دخول العناصر الذاتية في الوصف الاستبطاني، كما أن الشخص الذي يستبطن نفسه يقوم بدورين: دور الفاحص ودور المفحوص.

وقد انهالت هراوات النقد على أسلوب الاستبطان في مطلع القرن العشرين عندما اتخذته المدرسة البنائية منهجاً لها في البحث. ولكن يبدو أن هذا المنهج الاستبطاني ظهر مرة ثانية في القياس السلوكي للشخصية، ولكن بصورة معدلة في الملاحظة الذاتية أو وصف الذات، وأسلوب الملاحظة الذاتية –على ما فيه– له العديد من المزايا لأن الملاحظ الذي

يلاحظ نفسه هو (دوما جاهز) ولن يكبدنا مشقة في إجراء عملية الملاحظة بأنفسنا كأخصائيين نفسيين، ناهيك عن أنه أقدر الجميع على وصف وقائعه النفسية الداخلية.

ويجري تهيئة الشخص القائم بالملاحظة الذاتية وذلك بأن يُفهم أهمية هذه الملاحظة في تحسين حالته أو تحسين الخدمات النفسية التي تقدم له، وكأن الملاحظة الذاتية وضع الشخص المفحوص أمام مسؤولياته، هذا إلى جانب أن الأخصائي النفسي يقوم بمناقشة المفحوص فيما كتبه عن نفسه، ويستوضح منه النقاط التي يبدو فيها عدم الاستيفاء أو تناقض المعلومات.

الملاحظة الذاتية إذن هي تقرير يكتبه المفحوص بنفسه عن نفسه أو يقوم بتعبئة نموذج خاص، وهذه التقارير أو النماذج تكون عادة بسيطة ولا تتطلب إلا معرفة القراءة والكتابة، ونورد مثالاً لتقرير الملاحظة الذاتية كتبه أحد مرضى الاكتئاب عن نفسه كما يلي:

- 8 صباحاً: الاستيقاظ والشعور بالاكتئاب والجلوس لفترة على الفراش.
- 10 صباحاً: انحسار في حدة الاكتئاب، ارتداء الملابس ثم تناول الإفطار.
- 11 صباحاً: زيادة حدة الاكتئاب.
- 12 ظهراً: انحسار حدة الاكتئاب ثم الاستعداد للخروج من المنزل لقضاء بعض المصالح.
- 5 مساءً: معاناة الاكتئاب بعد العودة إلى المنزل.
- طوال المساء: البقاء في المنزل و التسلي بمشاهدة التلفزيون.

ب. الملاحظة المنزلية

حيث تتم ملاحظة سلوكيات المفحوصين -خاصة الأطفال- في المنزل، ويعد لهذا الغرض استمارة مبسطة تتضمن عدداً من الكلمات ولتكن مثلاً من 25 إلى 30 كلمة، وهذه الكلمات تشتمل وقائع أو جزئيات سلوكية مثل تحطيم، عصيان، صحك، لعب، إغاظة، تجاهل، صراخ... إلخ، ويقوم الفاحص المناط به ملاحظة الطفل بوضع علامة أمام الكلمة التي تمثل سلوك الطفل ويكون التسجيل يومياً أو أسبوعياً حسب الاتفاق مع الأخصائي النفسي، ويقوم بالتسجيل والد الطفل أو والدته أو المربية بعد تدريب بسيط على كيفية ملاحظة سلوك الطفل وتعبئة استمارة الملاحظة المنزلية، ومن خلال تحليل البيانات المعبأة في هذه الاستمارة يمكن للأخصائي النفسي استخلاص صورة عن سلوك الطفل في حياته اليومية.

ج. الملاحظة في المدرسة

تبدو العديد من مشكلات السلوك في المدرسة مثل إثارة الفوضى داخل حجرة الدراسة أو إظهار السلوك العدواني أو الانصراف عن متابعة الدرس وما إلى ذلك، ويمكن إعداد استمارة لهذا الغرض وذلك على غرار استمارة الملاحظة المنزلية ولكن مع تغيير الكلمات أو العبارات التي تمثل الوقائع السلوكية بالمنزل إلى ما يمثل الوقائع السلوكية في المدرسة أو في حجرة الدراسة مثل التأخير عن الحضور في الصباح، معاكسة الزملاء، الانصراف عن الدرس، إهمال الواجبات المدرسية... إلخ، ويقوم المدرس عادةً بتعبئة هذه الاستمارة.

د. الملاحظة في المستشفى

يمكن إعداد استمارة لهذا الغرض تشمل المظاهر السلوكية العامة للمرضى المنومين في مستشفيات الأمراض النفسية والعقلية وتتضمن هذه الاستمارة الإشارة إلى المظاهر السلوكية للمريض مثل العناية بالمظهر والنظافة والملابس والمظاهر الاجتماعية مثل الاختلاط بالزملاء أو الاعتكاف والعزلة أو رفض الحديث إلى الآخرين والمظاهر الانفعالية مثل ثورات الغضب أو العدوان أو مظاهر الخوف والهلع إلى غير ذلك من مظاهر.

وبالنسبة لأسلوب الملاحظة سواء أكانت في المجال الفعلي أو الملاحظة المنضبطة يمكن أن نستخدم أسلوب الفترات الزمنية Time Sampling حيث تخصص فترة ملاحظة لمدة ساعة يومياً على سبيل المثال لأطفال في إحدى دور الحضانة، وتقسيم هذه الساعة على مدار دوام الحضانة إلى ستة أجزاء كل جزء عشر دقائق بحيث تلاحظ الأطفال لمدة عشر دقائق كل ساعة أو كل ساعة ونصف، وأسلوب الفترات الزمنية هذا يتميز بالسهولة والعملية في نفس الوقت.

رابعاً: أساليب التقرير الذاتي Self Report Techniques

عند التعرض لدراسة المشكلات السلوكية لأحد المفحوصين فإن ذلك يتطلب وصفها من حيث الشدة والتكرار كما يتطلب أن يوضع المفحوص تحت الملاحظة، ومع ذلك فإن كل المشكلات السلوكية ليس من اليسير وضعها تحت الملاحظة، وعندما يقوم شخص معين بملاحظة سلوك أحد المفحوصين، (وليكن هذا الشخص القائم بالملاحظة هو الأب أو الأم أو أحد الإخوة) فإن الأخصائي النفسي يبني أحكامه على دقة ومهارة وأمانة وموضوعية الشخص القائم بالملاحظة وهذا الشخص القائم بالملاحظة ربما يعوزه التدريب على هذه

العملية، وربما من الصعب على الشخص القائم بالملاحظة أن يتخلص من التوجهات الذاتية في الحكم على المفحوص، ولذا فإنه من الأوفق أن يقوم الأخصائي النفسي المدرب على تسجيل الملاحظات ولكن ذلك أمر غير عملي لأنه بالغ الكلفة، ناهيك عن وجود الأخصائي النفسي كملاحظ لسلوك المفحوص من شأنه أن يدخلنا في قضية أخرى هي: هل سلوك المفحوص هو يشعر أنه تحت الملاحظة هو نفس سلوكه التلقائي في الحياة اليومية؟ وهذه المشكلات التي ظهرت بإزاء أساليب الملاحظة أدت إلى ظهور ما يسمى بأساليب التقرير الذاتي، وهذا الأسلوب يتمثل في إجابة المفحوص على قائمة من العبارات تدور حول مواقف معينة في الحياة اليومية وعلى المفحوص أن يقرر ما إذا كانت العبارة تنطبق عليه أم لا. أو يحدد مدى انطباقاً عليه على مقياس متدرج من عدة نقاط، وهذا الأسلوب يتشابه بشكل عام مع الاختبارات النفسية التقليدية ونعطي أمثلة على بعض هذه الأساليب فيما يلي:

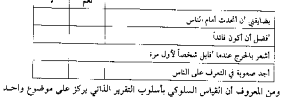
هناك -مثلاً- بعض الأشياء التي تثير المخاوف عند بعض الناس هذه الأشياء تتضمن في اختبار مبسط، ويشار إلى مستويات الخوف – وهذا مجرد اقتراح بخمسة مستويات وعلى المفحوص أن يشير إلى مستوى الخوف الذي يعانيه حيال كل من هذه الأشياء ويعطي المفحوص تعليمات بأن ثمة أشياء تثير الخوف عند بعض الناس وعليك -أي المفحوص- أن تحدد مدى خوفك منها على النحو التالي:

- الرقم (1) إذا كان الشيء لا يثير الخوف عندك إطلاقاً.
- الرقم (2) إذا كان الشيء يثير خوفاً بسيطاً عندك.
- الرقم (3) إذا كان الشيء يثير خوفاً متوسطاً عندك.
- الرقم (4) إذا كان الشيء يثير خوفاً شديداً عندك.
- الرقم (5) إذا كان الشيء يثير خوفاً شديداً جداً عندك.

وعلى ذلك يمكن أن يصاغ الاختبار بحيث ترتب مصادر الخوف ومستوياته في جدول كالتالي:

مصادر الخوف	مستويات الخوف				
	لا يوجد خوف	خوف بسيط	خوف متوسط	خوف شديد	خوف شديد جداً
	1	2	3	4	5
الظلام					
الكلاب					
القطط					
الثعابين					
الجراثيم					
الفئران					
العدوى					

كما يمكن إعداد مقياس مبسط لقياس الخجل وذلك بإيراد مواقف تتناول الخجل والملابسات التي تؤدي إليه وصياغتها في عبارات بسيطة بحيث يجيب عنها المفحوص عنها بنعم أو لا حسب المثال التالي:



	نعم	لا
يضايقني أن أتحدث أمام الناس		
أفضل أن أكون قائداً		
أشعر بالحرج عندما أقابل شخصاً لأول مرة		
أجد صعوبة في التعرف على الناس		

ومن المعروف أن القياس السلوكي بأسلوب التقرير الذاتي يركز على موضوع واحد مثل الخوف أو الخجل، وبذا يفترق عن اختبارات الشخصية في القياس النفس التقليدي، والتي تقيس عدة سمات أو متغيرات وإن كان يتفق مع هذه الاختبارات في طريقة صياغة الأسئلة، ولكن في القياس النفسي التقليدي يكون الهدف قياس الخوف على أساس أنه سمة من سمات الشخصية يرتبط بسمة أخرى، ولكن في القياس السلوكي نهتم بواقعة سلوكية معينة مثل الخوف وتحديده إلى أي درجة وفي أي موقف وحيال أية موضوعات أو في أية مواقف.

ومن المقاييس التي اشتهرت لدراسة المخاوف:

أ. ما عرف باسم قائمة مسح المخاوف The Fear Survey Schedule

وقد قام بإعداد هذه القائمة (اكوتاجورا Akutagura) عام 1956م وما تزال تستخدم حتى الآن. وكانت هذه القائمة تشتمل على 50 عبارة لتقرير درجة الخوف، وقد طورت هذه القائمة بعد ذلك بحيث تجاوزت عباراتها المائة عبارة، حيث يقوم المفحوص بتحديد مستوى الخوف عنده إزاء كل عبارة على مقياس متدرج من خمس نقاط، وفي صورة أخرى على مقياس متدرج من سبع نقاط. وتتضمن العبارات مواقف تثير الخوف مثل الأماكن المرتفعة أو الأفاعي أو لدم أو الخوف من العمليات الجراحية أو الخوف من البقاء وحيداً في مكان غريب أو الخوف من الحيوانات وقد تم اشتقاق عبارات المقياس من المواقف التي تثير الخوف عند المترددين على العيادات النفسية، أو من المواقف المثيرة للخوف التي توصلت إليها الدراسات المخبرية أو الإكلينيكية.

وفي إحدى صور هذه القائمة والتي بلغت 122 عبارة تم إجراء دراسة إحصائية باستخدام التحليل العاملي حيث تبين أنه يمكن تقسيم المخاوف التي تتضمنها القائمة إلى خمسة فئات هي:

- مخاوف تتعلق بالحيوانات الصغيرة.
- مخاوف من الأعمال العدوانية أو المتهورة.
- مخاوف تتعلق بالنواحي الاجتماعية أو الجنسية.
- مخاوف من الألم الجسمي والمرض.

وبقي أن نذكر أن لهذه القائمة معاملات ثبات مرتفعة (بلغت معاملات الثبات بطريقة الاتساق الداخلي 0.90 وبإعادة الاختبار من 0.70 إلى 0.80) كما يشار إلى أن القائمة معتبرة كذلك من حيث الصدق، من ذلك أن طبقت القائمة على مجموعة من الأفراد الذين يعانون من المخاوف، وبعد حضور هؤلاء الأفراد دورة في القائمة تقل لديهم بشكل ملحوظ مما يدل على أن هذه القائمة (حساسة) لما يعتري المخاوف من تحسن، ويذكر كذلك أن ظهور هذه القائمة أدى إلى زيادة الاهتمام بإعداد وسائل التقدير الذاتي للجوانب المختلفة مثل الاكتئاب والتجنب الاجتماعي.

ب. ومن أساليب قياس الخوف ما يسمى (ترمومتر الخوف The Fear Thermometer):

وقد أعده والك Walk عام 1956م وفيه يطلب من المفحوص أن يحدد درجة خوفه من موقف معين وليكن الاقتراب من أفعى غير سامة، ويطلب من المفحوص أن يحدد على مقياس متدرج من عشر نقاط أو ترمومتر درجة الخوف التي يشعر بها حيال هذه الأفعال أو غير ذلك من مصادر الخوف مثل الخوف من الجراثيم أو الأماكن المغلقة أو الظلام وهكذا.

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
الخوف التام					الأمان التام				

ج. ومن أساليب التقرير الذاتي الأخرى قائمة الاكتئاب Depression Adjective Checklist (DACL)

وهذا المقياس من إعداد (لوبين Lubin) عام 1965، ويهدف هذا المقياس إلى قياس المشاعر الاكتئابية التي توصف بأنها (ترانزيت) أي موقفية سريعة الزوال، والمقياس عبارة عن سبع قوائم أربع قوائم تتضمن كل قائمة منها 32 كلمة، وثلاث قوائم تتضمن كل قائمة منها 34 كلمة. ويطلب من المفحوص أن يقرر ما إذا كانت كل كلمة تنطبق عليه أم لا، وهذه الكلمات هي عبارة عن أوصاف لمشاعر السعادة أو الحزن. ويذكر (لوبين) أن هذا الاختبار قنن على عينة من الأسوياء في مقابل عينة من المرضى، كما يذكر أن معاملات ثباته عن طريقة القسمة النصفية تتراوح بين 0.82، 0.83. ولكن معاملات ثباته عن طريق إعادة الاختبار متدنية، (وربما يرجع ذلك إلى أن الاختبار يقيس حالة وقتية قد تتغير شدتها بين الإجراء الأول والإجراء الثاني)، كما تتراوح معاملات الصدق عن طريق ارتباطه بقياس الاكتئاب في اختبار الشخصية المتعدد الأوجه بين 0.25، 0.53.

ومن الكلمات التي يتضمنها هذا الاختبار (سعيد، ضائع، مسالم، قوي، بائس، محظوظ، آمن، آسف، ناجح، محطم، حزين، متحمس، مرح، متفائل... إلخ).

د. مقياس الخوف من التقدير السلبي Fear of Negative Evaluation Scale (FNE)

وهو من إعداد (واطسون وفرند Watson and Friend) عام 1969 ويهدف هذا المقياس إلى قياس خوف الشخص حيال التقدير السلبي له من آخرين، والمقياس يتكون من 30 عبارة يجيب عنها المفحوص بنعم أو لا، وقد صدرت عام 1983 صورة معدلة من الاختبار، ويجيب المفحوص على عبارات الاختبار على مقياس متدرج من خمس نقاط. وقد قنن الاختبار على عينة من طلاب الجامعة (ن=205)، وتصل معاملات ثباته سواء بطريقة

الاتساق الداخلي أو إعادة الاختبار إلى مستويات مرتفعة تتراوح بين 0.75، 0.96. ولكنه لا يحظى إلا بمعاملات صدق متواضعة وذلك في ارتباطه باختبارات نفسية أخرى تقيس جوانب مثل التفهم الاجتماعي أو القلق وتتراوح هذه المعاملات بين 0.32، 0.51.

وتدور عبارات المقياس حول اضطراب الشخص عند شعوره أن أحداً يراقبه، أو الشعور بالحرج عندما يتورط في سلوك اجتماعي شائن، أو توقع الشخص أن الآخرين سوف يخطئون حقه في تقديرهم له أو اهتمامه بما يقوله الناس عنه، وما شابه.

هـ. مقياس التجنب والقلق Social Avoidance and Distress Scale (SAD)

من إعداد (واطسون وفرند Watson and Friend) عام 1969م ويقيس هذا الاختبار رغبة الشخص في تجنب الآخرين من ناحية الاختلاط الاجتماعي، ومعاناة الشعور بالقلق عندما يكون وسط الجماعة.

ويتكون المقياس من 28 عبارة نصفها يقيس الرغبة في التجنب والنصف الآخر يقيس الشعور بالقلق ويجيب المفحوص على العبارات على مقياس متدرج من خمس نقاط.

وهذا المقياس مقنن على مستوى طلاب الجامعة ويتمتع بمعاملات ثبات جيدة بين 0.68، 0.94. ومعاملات صدق جيدة كذلك حيث يصل ارتباطه ببعض الاختبارات النفسية التي تقيس الخجل أو القلق إلى 0.75.

وعبارات الاختبار تتناول مسائل مثل رغبة الشخص في تجنب الآخرين والارتباك أو الارتياح في المواقف الاجتماعية والرغبة في التعرف على أشخاص جدد وكذلك الرغبة في الانسحاب وتجنب الآخرين والمبادرة إلى الذهاب إلى المناسبات الاجتماعية المختلفة وما شابه.

و. قائمة السلوك التوكيدي Assertive Bahvior Survey Schedule (ABSS)

من إعداد (كوتلا وأبر Cautella and Upper) عام 1976م. ولتوضيح معنى السلوك التوكيدي نقول إن بعض الأشخاص يعانون من صعوبة في التحدث عن أمورهم أو توضيح مواقفهم للآخرين، وهناك في مقابل ذلك أشخاص يتدخلون في المواقف التي تعرض لهم في الحياة اليومية عن طريق إبداء آرائهم بصراحة ووضوح.

وعبارات الاختبار تتناول مواقف التوكيدية في الحياة اليومية مثلاً: أنت واقف في طابور أمام أحد شبابيك البنك والطابور طويل وعندما اقتربت من الشباك جاء أحد الأشخاص يريد أن يقف أمامك فماذا أنت فاعل؟ ويعطي الاختبار ثلاثة اختيارات: مثلاً

هل تقول له ارجع إلى آخر الطابور أو هل تأذن له في أن يقف أمامك بعد أن تنبهه إلى تجاوزه أو هل تسكت؟

ومثال آخر: دخلت إلى أحد المطاعم الغالية التكلفة وطلبت طبقاً من اللحم المشوي الذي تحبه جداً ولكن النادل جاءك بطبق من اللحم المسلوق: فماذا تفعل؟ ويعطي المقياس ثلاثة اختيارات مثلاً هل ترفض اللحم المسلوق. وتصر على طبقك، أو هل تلفت نظر النادل إلى خطئه وتتناول اللحم المسلوق، أو هل تسكت وتتناول اللحم المسلوق؟

وثمة ملاحظات على اختبارات التقرير الذاتي التي شاعت في القياس السلوكي أهمها:

أنها تقع في إشكالية احتمال تزييف المفحوص لإجابته بقصد إعطاء صورة غير دقيقة عن نفسه وذلك لعدم احتوائها على مقاييس صدق التي تحويها الاختبارات الموضوعية للشخصية إن هذه الاختبارات تتمتع بمعاملات صدق وثبات مرتفعة بحيث يصبح من المبرر تفضيلها على الاختبارات التقليدية. إنها حديثة العهد في الخزانة السيكولوجية ولم يتكاثر عنها كم من البحوث بحيث تنافس الاختبارات التقليدية.

خامساً: القياس السلوكي المعرفي Cognitive Behavioral Assessment

تعتبر الأساليب المعرفية في القياس السلوكي من أكثر الأساليب حداثة في هذا المجال، وتقوم الأساليب المعرفية على أساس تقييم أساليب التفكير عند المفحوص هذه الأساليب التفكيرية التي تؤثر على السلوك وأساليب التفكير هذه تشتمل على اعتقادات الفرد وتوقعاته وفي الأسلوب المعرفي فإن القياس يرتبط بالعلاج وذلك كما هو الحال في بقية مجالات القياس السلوكي.

ومن أسف فإن المادة العلمية عن الأساليب المعرفية قليلة ولا تشفي الغلة والمأمول أن تتكاثر بشأنها المادة العلمية خلال السنوات القادمة ومهما يكن من أمر فإننا نشير إليها في عجالة حسب مقتضى حال المنشور عنها.

وطبقاً لنظرية التعلم الاجتماعي فإن سلوك الفرد إنما تحدده اعتقادات أو توقعات هذ الفرد أكثر ما توجهه المعطيات الواقعية. أي أننا لا نتصرف طبقاً للواقع ولكن طبقاً لإدراكنا لهذا الواقع، ومثال ذلك أن أستاذ أحد المقررات الدراسية أخبركم في الصف الدراسي أنه سوف يعقد اختباراً في الأسبوع القادم فمن المتوقع أنك سوف تركز في مذاكرة هذا المقرر وفي فهم واستيعاب المادة العلمية في هذا المقرر حتى تكون مستعداً للامتحان في التاريخ المحدد وهذا بالطبع ينطبق عليك كما ينطبق على بقية الزملاء، ولكن لنفرض أن أحد الطلاب

العابثين دبر لك مقلباً سخيفاً وأخبرك كذباً بأن الأستاذ قد أخر موعد الامتحان إلى أجل بعيد فإذا أنت صدقته فإن تصرفك حيال مذاكرة هذا المقرر سوف يختلف عن مذاكرتك له لو أن الامتحان قائم بالفعل في موعده، إن عقد الامتحان حقيقة واقعة ولكن سلوكك اختلف حيال الامتحان بسبب تصورك أن الامتحان قد أجل معنى ذلك أن اعتقادك قد أثر على سلوكك رغم عدم تغيير الواقع.

ومثال آخر يبين أن ما يعتقده الناس عن أنفسهم يؤثر على سلوكهم فمثلاً إذا كنت تعتقد بينك وبين نفسك أنك لا تستطيع دراسة الإحصاء، فإن ذلك الاعتقاد يؤدي إلى تعثرك في هذا المقرر، كما أن هذا الاعتقاد سوف يؤدي إلى تضخيم صعوبات هذا المقرر في نظرك وقد تسارع إلى الضجر واليأس إذا صعب عليك فهم أحد قوانين الإحصاء، ومعنى ذلك أن الاتجاه المعرفي للشخص يؤثر على سلوكه بشكل أو بآخر.

وهناك اختبار لقياس السلوك المعرفي تحت اسم (اختبار الاعتقادات غير المنطقية Irrational Beliefs Test) من إعداد جونز Jones 1968م.

وهذا الاختبار يتكون من مائة عبارة لقياس الاعتقادات غير المنطقية (مثل اعتقاد شخص ما بأنه سينجح دوماً أن يكون ذا أهمية) وقد لقي هذا الاختبار اهتماماً في مجال الاستخدام الإكلينيكي ويتطلب هذا الاختبار على مقياس متدرج من خمس نقاط، ونصف عبارات الاختبار يتضمن وجود اعتقادات غير منطقية، والنصف الآخر يتضمن وجود هذه الاعتقادات المنطقية.

ويقال إن هذا الاختبار يتمتع بمعاملات ثبات طيبة تتراوح بين 0.48، 0.90. ولكن معاملات صدقه عن طريق ارتباطه مع اختبارات أخرى لقياس القلق والاكتئاب معاملات متدنية، وربما يظهر هذا الاختبار بعض التعديلات لأن الاهتمام به ما زال مستمراً.

ومما يتصل بالقياس السلوكي المعرفي ما يسمى التحليل المعرفي الوظيفي Cognitive Functional Analysis والأساس في هذا الأسلوب هو أن ما يقوله الفرد لنفسه بنفسه عن نفسه له دور فاعل في سلوكه، كأن السلوك يتأثر بما يسمى الديالوج الداخلي أو الحوار الذاتي، ففي التحليل المعرفي الوظيفي نسأل الشخص هل دائماً تنتقد نفسك؟ هل تقلل من قدرها؟ أو هل دائماً تؤكد لنفسك قدراتك وإمكانياتك الذاتية؟ على أساس أن هذه الحوارات الداخلية مؤثرة على سلوك الفرد أيما تأثير.

وإذا كانت هذه الأفكار والمعتقدات تؤثر على السلوك فإن تغييرها أو تعديلها يؤثر كذلك على السلوك، ومثال ذلك أنه في أسلوب المقاومة الذاتية للتدخين فمثلاً يقول الشخص المدخن لنفسه أنه محتاج أن يشغل سيجارة وهذه الفكرة يستتبعها إشعال السيجارة والشروع في تدخينها وعلى ذلك فإن استبدال هذه الفكرة التي تقول أنه محتاج لتدخين سيجارة بفكرة أخرى مثل أشعر بتحسن في صحتي من جراء التوقف عن التدخين أو أشعر أن صدري نظيف أو أن السعال قد زاد بسبب التوقف عن التدخين أي أن هذه الأفكار الذاتية أو الحوار الداخلي من شأنها أن تساعد الفرد على التقليل من التدخين أو الامتناع عنه.

كذلك ظهر أسلوب الرقابة الذاتية Self Monitoring Procedures، وفي أساليب الرقابة الذاتية هذه يسجل الشخص بنفسه على نفسه الوقائع السلوكية فيسجل مثلاً عدد مرات التدخين اليومي حتى يدرك مدى تقدمه من التقليل من التدخين، ومدى الاقتراب من تحقيق الهدف الكامل في الإقلاع النهائي عنه.

وكذلك الأمر إذا كان الشخص يراقب وزنه وهو ينفذ برنامجاً للحمية الغذائية (الريجيم) فإنه يسجل وزنه يومياً ليعرف مدى التقدم في برنامج الحمية هذا، ولا شك أن النجاح الجزئي في إنقاص مرات التدخين أو إنقاص بضعة كيلو جرامات من الوزن يمثل (تغذية راجعة Feedback) من شأنها مساعدته على إكمال البرامج التي هو بصددها، بل يمكننا القول أن أساليب الرقابة الذاتية إذا أظهرت تراجعاً أو فشلاً في برنامج للإقلاع عن التدخين أو إنقاص الوزن، فإنه قد يكون لهذا الفشل مردود تحذيري يؤدي إلى التزام الشخص ببرنامج التقليل من التدخين أو برنامج الحمية الغذائية.

حاشية (أ)

العلاج السلوكي Behavior Therapy

بالرغم من أن استعمال الأساليب الإشراطية في العلاج النفسي أمر له تاريخ طويل (مثل وضع مادة شديدة المرارة على حلمة ثدي الأم عند فطام الطفل) فإن العلاج السلوكي لم يظهر بصورة جلية إلا في الخمسينات من القرن العشرين والسبب الرئيسي الذي من أجله تأخر ظهور العلاج السلوكي في سوق العلاج النفسي هو الموقع السيادي للتحليل النفسي كأسلوب علاجي.

ومع ذلك ففي السنوات الأخيرة أثبتت العلاجات السلوكية فعاليتها في علاج العديد من المظاهر اللاتوافقية للسلوك، كما أن هناك الكثير من البحوث تشير إلى أن تطبيق الأساليب السلوكية في تعديل المظاهر اللاتوافقية للسلوك لاقى نجاحاً مذكوراً.

ومن جهة النظر السلوكية فإن الشخص غير المتوافق - اللهم إلا إذا كان مصاباً بتلف عضوي في المخ- يختلف عن الآخرين في:

أ. أنه فشل في اكتساب الأساليب السديدة للتعامل Coping مع مشكلات الحياة.

ب. أنه تعلم أساليب خطأ للتعامل مع هذه المشكلات ثم يدعم هذا الأسلوب الخطأ بعد ذلك.

وعلى ذلك فإن أصحاب المدرسة السلوكية يرون أن السلوك الخطأ يمكن أن يعدل ويصحح، وأن الأساليب التوافقية السديدة يمكن أن تكتسب من جديد وذلك تأسيساً على مبادئ المدرسة السلوكية الخاصة بالتعلم، وبدلاً من أن تشتغل المدرسة السلوكية نفسها باستجلاء الخبرات الماضية القاسية للمريض فإن المعالج السلوكي يحاول أن يعدل الاستجابات السلوكية الخطأ -مثل القلق- عن طريق الانطفاء أو أن يستخدم الثواب والعقاب في تشكيل الاستجابات السلوكية الظاهرة، وتبدو أساليب العلاج السلوكي مفيدة خاصة عندما تستخدم الأساليب التدعيمية، والهدف الأساس للعلاج السلوكي ليس الوصول إلى تعلم الأساليب الاستجابة الصحيحة فقط بل كذلك أن يصل الفرد إلى السيطرة على سلوكه باستخدام هذه الأساليب.

وفي حاشية مختصرة كهذه لا يكن مجال من الأحوال أن نوفي الأساليب السلوكية حقها، ولكن نتكلم عن أهمها بإيجاز فيما يأتي:

الانطفاء Extinction

تتجه الأساليب السلوكية المتعلمة إلى الضعف أو الانطفاء أو الاندثار بمرور الوقت إذا لم يتم تدعيمها، وعلى هذا الأساس فإن أبسط الوسائل لتخفيف أو تقليل الأساليب اللاتوافقية وإضعافها هو منع التدعيم عنها، وهذا يصدق أكثر في المواقف التي فيها يدعم السلوك اللاتوافقي من الآخرين بصورة أو بطريقة لا إرادية، مثال ذلك الطفل (س) عمره ست سنوات وتلميذ في الصف الأول الابتدائي حضر إلى العيادة النفسية لأنه يكره المدرسة، كما أن معلمته تشتكي من أسلوبه الاستعراضي الذي يضايق زملاءه مما جعله غير محبوب فيما بينهم وتلاحظ من المقابلة المبدئية التي أجريت أن والدي الطفل أبديا الرضا وعدم النقد لكل ما يبديه من سلوكيات وبعد دراسة الحالة هيئ للطفل (س) برنامج علاجي من ثلاثة محاور:

1. مساعدة الوالدين على التمييز بين السلوك العادي السوي وبين السلوك الاستعراضي الذي يمارسه (س).
2. نصح الوالدين بتجاهل السلوك الاستعراضي الذي يبديه (س) وفي نفس الوقت إبداء الاستحسان لسلوكيات (س) السوية.
3. نصحت المعلمة كذلك بتجاهل (س) أثناء إبدائه السلوكيات الاستعراضية، وفي نفس الوقت نصحت بإبداء اهتمامها بالتلاميذ الذين يبدون سلوكيات سوية.

وبالرغم من أن سلوكيات (س) الاستعراضية زادت خلال الأيام الأولى من بدء البرنامج العلاجي، إلا أنها قلت بعد ذلك بصورة واضحة بسبب تجاهل الوالدين والمعلمة لهذه السلوكيات الاستعراضية مما أدى إلى تعديلها، وعندما تضاءل السلوك اللاتوافقي أصبح (س) أكثر قبولاً بين زملائه والذين -بالمقابل- ساهموا في تدعيم أنماط سلوكياته السوية بحيث تغير اتجاهه السلبي حيال المدرسة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن علاج (س) يقوم على تعديل السلوك اللاسوي عن طريق تغيير البيئة المحيطة به.

ومن الطرق التي تقوم على الانطفاء طريقتان:

1. **العلاج الانفجاري Implosive Therapy**

وهو أسلوب للعلاج يقوم على أساس محاولة تقليل الاستجابات التجنبية، وقد وصف هذا الأسلوب لأول مرة (توماس ستامبفل Tomas Stampfl) عام 1961م وتتضمن

هذه الطريقة تخيل ما سوف يحدث عن وقوع الموقف الذي يخافه المريض أو يخشاه، بحيث يخلق المعالج موقفاً "انفجارياً داخلياً عند المريض، ومثال ذلك في حالة القلق حيث يقوم المعالج -بدلاً من تجنب التعرض للقلق في الدورة العلاجية- بتفجير القلق عند المريض ويجعله يعايش القلق عن الموضوع الذي يخشاه وعلى هذا الأساس فإن تكرار هذا التفجير الداخلي يجعل المادة أو الحادثة موضوع القلق ليست موضوعاً للقلق أي أن تكرار معاينة موضوع القلق يؤدي إلى انطفاء الاستجابة بالقلق.

ومثال ذلك حالة للفتاة (ص) كانت لا تستطيع السباحة وتعاني خوفاً شديداً من الغوص تحت الماء وبالرغم من أنها تعرف أن هذا الخوف غير منطقي، إلا أنها لم تكن تستطيع مقاومته وكانت تعاني معاناة شديدة أثناء الاستحمام، وقد طلب منها المعالج أن تتخيل نفسها تغوص في بئر عميق، وهنا ظهر القلق الشديد على الفتاة وطلب المعالج منها إعادة تخيل هذا المنظر مراراً وتكراراً، بل بالإضافة إلى ذلك كلفت (بواجب منزلي) هو أن تتخيل نفسها مراراً وكأنها تغوص في الماء وخلال هذه التخيلات -لاحظت الفتاة أنه لم يحدث شيء ذو بال بحيث انطفأ الخوف من الماء.

2. العلاج بالغمر Flodding Therapy

(ويمكن تسميته العلاج بالفيض والفيض أو العلاج بالغمس)، أما العلاج بالغمر فهو وضع الشخص في موقف هو الموقف الذي يخاف منه، مثال ذلك الذي يخاف من الأماكن العالية يؤخذ إلى أحد هذه الأماكن (مثل سطح عمارة سكنية أو أحد الأبراج)، بحيث ينهزم الخوف أو القلق بسبب هذه الأماكن وذلك بالتواجد فيها والبرهنة على أن الخوف من هذه الأماكن ليس له أساس من الواقع، وكذلك الأمر في علاج المخاوف المرضية الأخرى مثل الخوف من الأماكن المفتوحة.

وقد أشارت البحوث إلى أن العلاج الانفجاري أو العلاج بالغمر له نتائج مرضية جداً في علاج المخاوف المرضية البسيطة، ولكن مما يجدر ذكره أن بعض المرضى -من أسف- تستفحل مخاوفه وتتفاقم بسبب هذا العلاج.

ومن الأساليب السلوكية كذلك:

التطمين التدريجي Systematic Desensitization

حيث يمكن أن تجري عملية الانطفاء عن طريق التدعيم السلبي للسلوك وذلك بإضعاف الحساسية التدريجي أو التطمين التدريجي، وتهدف هذه الطريقة إلى تعليم المريض

الاسترخاء عند الشعور بالقلق، والمثال الأمثل لهذا الأسلوب التجربة الكلاسيكية التي أجرتها جونز Jones في علاج الخوف (يقال إن هذه التجربة قديمة ترجع إلى عام 1924م) حيث ستطاعت المعالجة جونز أن تخفف من حدة المخاوف المرضية لأحد الأطفال من الأرانب البيضاء، ومن الحيوانات الأخرى ذات الفراء، حيث قامت المعالجة بإدخال الأرانب إلى الغرفة التي يجلس فيها الطفل مع إبقاء الأرانب عند مدخل الغرفة بينما الطفل يتناول طعامه وفي الأيام والمرات التالية كان يتم تقريب الأرانب بالتدريج من الطفل حتى زالت مخاوه بل وأصبح الطفل -واسمه بيتر- يتناول طعامه بيد ويربت على الأرنب باليد الأخرى.

وقد طور (ولبه Wolpe) أسلوب التطمين التدريجي، وذلك على أساس أن معظم الأنماط السلوكية المتصلة بالقلق هي أساساً استجابات إشراطية متعلمة وكان (ولبه) يعمل على تدريب المريض على أن يبقى هادئاً ومسترخياً في المواقف التي سبق وأن ارتبطت بالقلق عنده، وتتميز أساليب (ولبه) بالبساطة وتتلخص أساليب التطمين التدريجي فيما يلي:

أ. التدريب على الاسترخاء Training Relaxation: وهذا التدريب على الاسترخاء يتم عادة خلال الجلسات الأولى للعلاج حيث يطلب من المفحوص الاسترخاء لعدة دقائق. وفي سبيل الوصول إلى الاسترخاء التام قد يستعان بالتأمل أو التنويم أو العقاقير.

ب. ترتيب الأولويات The Construction of Hierarchies: خلال الجلسات الأولى للعلاج يتم ترتيب مصادر قلق المريض في صورة ترتيب هيدراكي، مثلاً" مريضة تعاني من قلق بسبب الغيرة على زوجها، فيطلب توضيح المواقف التي تثير شعورها بالغيرة. فمثلاً أشد المواقف إثارة لغيرتها هي ملاحظتها إياه في إحدى حفلات الكوكتيل يتحدث إلى امرأة جميلة (هذا بالطبع في المجتمعات العربية) ومن المواقف التي تثير غيرتها أيضاً تبقظه لنادلة في أحد المطاعم، وقد تكون أقل المواقف إثارة لغيرتها هي نظرة يوجهها إلى أحد الفتيات الجميلات، وهنا يطلب المعالج من المريضة أن ترتب هذه المواقف المثيرة ترتيباً (كمياً) تصاعدياً من الأدنى إلى الأعلى.

ج. طريقة التطمين Desensitization Procedure: عندما يكون المريض قد اعتاد على ممارسة الأساليب الاسترخائية ويكون المعالج قد توصل إلى ترتيب تصاعدي لمصادر قلق المريض أو مصادر مخاوفه تبدأ عملية تنفيذ التطمين حيث يجلس المريض على الأريكة مسترخياً مغلقاً عينيه حيث يبدأ المعالج في وصف سلسلة من المناظر، ويبدأ

بمنظر محايد، ثم ينتقل إلى منظر في قاع الترتيب الهيدراكي لمصادر قلق المريض أو مخاوفه، أي يبدأ في وصف منظر يصيب المريض بأقل قدر ممكن من القلق والخوف، ثم ينتقل إلى منظر تالٍ يصيب المريض بقدر أعلى قليلاً من القلق أو الخوف، وهكذا يتدرج العلاج إلى أشد المواقف التي تثير خوف المريض أو قلقه، وهنا يطلب المعالج من المريض وهو في حالة الاسترخاء- أن يتخيل كل موقف كما يوصف له ويعايشه، وعندما يقرر المريض أنه يعاني من القلق أو الخوف من تخيل الموقف ومعايشته تنتهي الجلسة العلاجية.

ويستمر العلاج حتى يكون المريض مستطيعاً تخيل ومناقشة المواقف التي كانت تثير سابقاً عنده الخوف أو القلق وهو في حالة من الاسترخاء والاطمئنان.

وعادة ما تستغرق جلسة العلاج بالتطمين التدريجي نصف ساعة، وتعطى جلسة مرتين أو ثلاث مرات أسبوعياً وعدة شهور وتختلف بالطبع احتمالات التحسن من حالة إلى أخرى، ولكن مهما يكن من أمر فإن المرضى الذين لا يتحسنون تماماً يتحسنون جزئياً ويستفيدون فائدة محققة من هذا الأسلوب العلاجي. وقد ابتكرت تطبيقات عديدة لأسلوب التطمين التدريجي ومنها استخدام التسجيلات الصوتية التي عن طريقها يستطيع المريض أن يمارس العلاج بالتطمين التدريجي في منزله، ومنها كذلك استخدام التطمين التدريجي بصورة جمعية بحيث يتسابق أفراد المجموعات العلاجية في الوصول إلى حالة الاسترخاء التطميني.

وقد أشار (ولبه) إلى ثلاث مشكلات تتعلق بالأفراد الذين يعالجون بهذا الأسلوب هي:

- صعوبة التوصل إلى الاسترخاء.
- الترتيب التصاعدي الخطأ لمصادر القلق والخوف.
- عجز المريض عن التخيل أو المعايشة.

ومع ذلك استخدم أسلوب التطمين التدريجي بنجاح في علاج العديد من السلوكيات اللاتوافقية مثل قلق الامتحان والمخاوف الشاذة واضطرابات القلق وبعض حالات الاضطراب الجنسي نفسية المنشأ، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن التطمين التدريجي نجح بصورة باهرة في علاج الخوف المرضي من ركوب الطائرات Flight Phopia.

العلاج بالكراهية Aversion Therapy

ويسمى أحياناً العلاج بالتنفير ويتضمن هذا الأسلوب تعديل السلوكيات غير المرغوب فيها وذلك بالأسلوب التقليدي العتيد وهو العقاب وقد يكون العقاب إما عن

طريق إزالة التدعيمات الإيجابية أو استخدام مثيرات مكروهة. والفكرة الأساسية في هذا الأسلوب العلاجي تقليل (القيمة الإغرائية) للمثير الذي يؤدي إلى سلوكيات غير مرغوبة ومن أكثر الوسائل المنفرة استخداماً الصدمات الكهربائية.

ويقال إن أول من أشار إلى استخدام العلاج بالكراهية هو كانتروفش Kantrovich عام 1930م حيث استخدم الصدمة الكهربائية في علاج شاربي الخمر وذلك حتى يكون ثمة ترابط بين الألم الناتج عن الصدمة وبين مذاق الخمر ورائحته، ومنذ ذلك الحين استخدم العلاج بالتنفير أو الكراهية في علاج العديد من الاضطرابات مثل التدخين والإسراف المرضي في الأكل والقمار القهري والانحرافات الجنسية.

ومهما يكن من أمر فإن الصدمة الكهربائية كمثير مؤلم لم تعد تستخدم كثيراً وذلك بسبب المشكلات التي أثيرت حول أخلاقية استخدامها بحيث تستخدم العقاقير المنفرة التي تؤدي إلى نفس المفعول ولكن بقدر أقل من الألم.

وقد نجح العلاج بالتنفير نجاحاً معتبراً في كف الاستجابات السلوكية غير المتوافقة وذلك لفترة من الزمن، ولكن يجب أن تستغل الفترة اللاحقة على العلاج بإحداث تعديلات في أسلوب حياة الفرد باتجاه السلوكيات التوافقية حتى لا يحدث أن ينطفئ بمرور الوقت أثر العلاج بالتنفير ويعود الفرد إلى ممارسة الأساليب اللاتوافقية من جديد.

التنمذج Modeling

التعلم بالنموذج من الأمور التي تلقى اهتماماً في علم النفس المعاصر وهناك العديد من الأساليب في (النمذجة) والأساس فيها جميعها هو تقديم عرض حي للسلوك المطلوب تعلمه يقوم على التقليد أو المحاكاة، وعلى ذلك فإن التنمذج يقوم على استغلال مهارات التعلم في تقليد سلوك الآخرين بحيث يعرض على المريض أثناء عملية العلاج سلوكيات ويطلب منه أن يقلدها، ومن الأمور التي يمكن تعلمها بالتنمذج المهارات الاجتماعية وعلاقات الاتصال.

استخدام التدعيم الإيجابي Positive Reinforcement

يستخدم التدعيم الإيجابي بصورة موسعة في علاج المشكلات السلوكية في المجالات التالية:

أ. تشكيل الاستجابة: يستخدم التدعيم الإيجابي في تكوين أو تشكيل استجابة جديدة لا توجد في سلوك الفرد، وقد استخدم تشكيل الاستجابة كثيراً في علاج المشكلات السلوكية عند الأطفال، ومثال ذلك حالة استخدم فيها أسلوب تشكيل الاستجابة لطفل

عمره ثلاث سنوات يتسم بالسلوك الاجتراري Autistic، ويعاني من عجز في المهارات الاجتماعية وكذلك من عجز في النمو اللغوي وهو إلى جانب ذلك قليل الإقبال على الطعام وينشغل في سلوك يتسم بالعدوان على الذات حيث يضرب رأسه ويخدش وجهه ويبدي ثورات من الغضب كما أنه أجريت له جراحة في العين وكان من الضروري أن يلبس نظارات. ولكنه رفض لبس النظارات وحطم الواحدة منها تلو الأخرى ولضرورة النظارات بالنسبة له تقرر أن يكون علاجه بواسطة تشكيل الاستجابة وبدأ التدريب على تشكيل الاستجابة بالإمساك بإطار النظارة دون عدسات وإعطائه شيئاً من الحلوى ثم تدريبه على وضعها على وجهه مقابل عينيه، ثم تكرار التدريب على لبس النظارات بنفس الطريقة مع إعطائه الحلوى في كل مرة ينجح فيها في تنفيذ التدريب الصحيح وانتهى العلاج بنجاح الطفل في لبس النظارات بصفة دائمة.

ب. نظام المكافأة Token Economics: يستخدم هذا الأسلوب في حالات الاضطرابات النفسية الشديدة خاصة في المرضى المنومين بالمستشفيات ويدور هذا الأسلوب حول تقييم أو تقدير السلوك الطيب للمريض وترجمة هذا التقدير في صورة مكافأة أو (بونس) على هيئة بونات تقدم للمريض كلما سلك سلوكاً طيباً ومن تجميع هذه البونات يستطيع المريض أن يحصل على مظاهر الترفيه مثل الحلوى أو المرطبات أو الشوكولاتة من مقصف المستشفى أو يستمع إلى بعض التسجيلات الصوتية المحببة لديه، أو يشاهد بعض الأفلام على جهاز الفيديو وقد نجح هذا الأسلوب في تحسين سلوكيات مرضى الفصام بحيث أصبح العديد منهم -طمعاً في الحصول على هذه البونات- يلتزم بالنظام أثناء تناول الطعام أو يقوم بترتيب سريره بنفسه أو يشارك في بعض الأعمال البسيطة في المستشفى.

وهذا الأسلوب رغم نجاحه مع مرضى الفصام إلا أنه لم ينجح عندما استخدم مع المتخلفين عقلياً، إلا جانب أن هذا الأسلوب يتطلب من القائمين على المرضى تدقيقاً وملاحظة لسلوكياتهم ومدى تحسنهم وإعطائهم البونات نظير ذلك.

ج. العقد السلوكي Behavioral contracting: العقد السلوكي هو تعاقد بين شخصين أحدهما المعالج والآخر المريض أو أحدهما الأب والآخر الطفل. وهذا العقد أشبه ما يكون بعقد مكتوب يكون لكل طرف التزاماته حيال الطرف الآخر فمثلاً المريض ينفذ تعليمات ونصائح المعالج والمعالج يوالي توجيه المريض ويكثف الاهتمام به، وكذلك

الملخص

إن القياس السلوكي هو الحكم على الشخصية أو تقييمها من خلال الملاحظة المباشرة في المواقف الاجتماعية المختلفة سواء كانت هذه المواقف عفوية أو مختلفة.

أهم خصائص القياس السلوكي هي:

- جمع المعلومات بخصوص جزئية معينة من السلوك.
- التركيز على الواقعة السلوكية موضوع الدراسة.
- التركيز على عينة السلوك في الموقف الحياتي.
- النظر إلى الشخصية على أنها تبدي في تصرفات أو مواقف سلوكية معينة.

الملاحظة في المجال الفعلي

هي ملاحظة الشخص في الموقف الحياتي الطبيعي من حيث تصرفاته وسلوكياته.

الملاحظة المنضبطة

هي ملاحظة الشخص في موقف مرتب، ومن أساليبها الملاحظة الذاتية والتي تشبه الملاحظة الذاتية إلى حد ما مفهوم الاستبطان في علم النفس. والملاحظة المنزلية حيث يسجل ولي أمر الطفل ملاحظاته على سلوك الطفل. والملاحظة في المدرسة حيث يسجل المدرس ملاحظاته على سلوك التلميذ، والملاحظة في المستشفى حيث تسجل الممرضة ملاحظاتها على سلوك المريض النفسي أو العقلي.

أسلوب التقرير الذاتي

حيث يجيب المفحوص على قائمة من العبارات تدور حول مواقف معينة في الحياة اليومية من ذلك قياس المخاوف على مقاييس متدرجة أو قياس الاكتئاب أو الخوف من التقدير السلبي أو القلق أو السلوك التوكيدي.

القياس السلوكي المعرفي

حيث يتم تقييم أساليب التفكير عند المفحوص وأساليب التفكير هذه تشتمل على اعتقاد الفرد وتوقعاته ومثال ذلك قياس الاعتقادات غير المنطقية، ومن ذلك أسلوب الرقابة الذاتية حيث يسجل الشخص بنفسه على نفسه تقدمه مثلاً في برامج الإقلاع عن التدخين أو برامج تقليل الوزن.

العلاج السلوكي

هو تعديل الاستجابات السلوكية الخطأ ومن أساليبه الانطفاء والتطمين التدريجي والعلاج بالكراهية والتنمذج واستخدام التدعيم الإيجابي.

أسئلة للمناقشة

1. ناقش الأساس النظري للقياس السلوكي؟
2. قارن بين القياس السلوكي والقياس التقليدي؟
3. تكلم عن الملاحظة كأحد أساليب القياس السلوكي مبيناً مشكلات تنفيذها؟
4. كيف تعد أساليب للتقرير الذاتي لوقائع سلوكية مثل الخوف، القلق، الاكتئاب، التجنب؟
5. بين كيف تؤثر الأساليب التفكيرية على السلوك؟ وما صعوبات قياس هذه الظاهرة؟
6. هل تعتقد أن القياس السلوكي سوف يحلي القياس التقليدي عن مكانه المرموق؟ دلل على رأيك؟



الملاحق



ملحق (1)

الشخصية في علم النفس الهندي

تحتل التأملات الفلسفية التي تتناول موضوع الشعور والمعرفة والعلاقة بين النفس والبدن مكاناً متميزاً في تراث الهند القديم، والذي يشتمل على خليط من العقائد والفلسفات القديمة. وفي العصر الحديث عرفت الهند علم النفس الغربي الحديث؛ ولكن شأنها في ذلك شأن بعض بلاد الشرق الأقصى، توجهت إلى دراسة علم النفس الحديث وفي نفس الوقت حافظت على تراثها القديم عارضة إياه في صورة مجددة.

وعلى ذلك يمكن القول أن ثمة خطين لعلم النفس الهندي:

- الأول: علم النفس الهندي القديم المتمثل في الممارسات المتصلة بالهندوكية والبوذية واليوجا.
- الثاني: علم النفس الهندي الحديث المتأثر بعلم النفس الغربي عامة وعلم النفس الأمريكي بوجه خاص.

ونتحدث عن علم الشخصية في علم النفس الهندي في النقاط التالية:

الممارسات النفسية في الهندوكية

النحلة الهندوكية هي مجموعة من العقائد الدينية التي يدين بها حوالي أربعمائة شخص في الهند والدول المجاورة لها، والهندوكية نحلة بالغة القدم تطورت وتبدلت خلال خمسة آلاف سنة، ولها ممارسات وعقائد غريبة وعديدة.

ومن الصعب معرفة مؤسس هذه النحلة لأنها خليط من ديانات قديمة، وبعض الأفكار من الديانات السماوية إلى جانب أفكار السحر والشعوذة وهي تقوم على فكرة تعدد الآلهة وأهم هذه الآلهة:

1. البراهما Brahma: وهو أهم الآلهة في نظر الهندوس وهو الذي أنشأ الحياة وله من الأيدي أربع، ومن الوجوه أربعة كذلك، وقد خرج في أول الحياة من بيضة كونية ذهبية!!

2. فشنو Vishnu: وهو القائم على حفظ الحياة واستمرارها، وهـو يـصور عنـد الهنـدوس على هيئة شخص نـائم متوسـداً حيـة ذات رؤوس سبعة وحولـه سـاعدوه وأهمهـم كريشنا.
3. كريشنا Krishna: وهو المسؤول عن الحب والتزاوج ويـصور علـى هيئـة شـاب جميـل يلبس تاجاً مزيناً بريش الطاووس!
4. شيفا Shiva: وهو المسؤول عن إنهاء هذا العالم!

وقد تصور الآلهة في الهندوكية على هيئة ثالوث على شكل شخص له ثلاثـة رؤوس، وهذا الثالوث هو براهما – فشنو – شيفا على أساس أنه ثـالوث مـسؤول عـن أمـور ثلاثـة إنشاء الحياة ثم استمرارها ثم دمارها!!

وإلى جانب ذلك فإن الهندوس نباتيون ويقدسون البقـر، كمـا أنهـم يؤمنـون بتناسـخ الأرواح، حيث تنتقل الروح بعد موت الكائن إلى كائن آخر ثم إلى ثالث وهكذا، كما تـسمح الهندوكية بنظام الطبقات فهي تقسم المجتمع إلى طبقة الكهنة ثم المحاربين ثم التجار والفلاحين وأخيراً طبقة الخدم، والأولى متميزة والأخيرة طبقة منبوذة، وقـد حاولـت الهنـد منـذ مطلـع القرن العشرين إلغاء نظام الطبقات وحققت في ذلك قدراً كبيراً من النجاح.

وتقوم الديانة الهندوكية كذلك على ممارسات نفسية وهـذه الممارسـات النفـسية هـي بقصد الوصول إلى النرفانا Nirvana وهي محاولة الخلاص من المعتقدات الدنيوية والاتـصال أو الاتحاد بالآلهة، وهـي كـذلك خـلاص الإنـسان مـن بـشريته المتمثلـة أسـاساً في دوافعـه وطموحاته وانفعالاته، وتوصله إلى أن يكون روحاً محضة. وبقصد أن يصل إلى النرفانا عليـه ممارسات تسمى كرما Karma وهي أعمال عليه أن يؤديها حتى يبلـغ النرفانـا وهـي تقـوم أساساً على التأمل ومقاومة الشهوات والـسيطرة على الـنفس، وقـراءة كتـاب الفيـدا Veda وهو الكتاب المقدس في الديانة الهندوكية، وكلمة الفيدا معناها في اللغة السنسكريتية المعرفـة المقدسة، ويقوم هذا الكتاب على الحث على ممارسة قمـع الـشهوات، وتقـوم طبقـة الكهنـة والتي تسمى أحياناً طبقة البراهمة بالخدمة في المعابد الهندوكية بقـصد مـساعدة النـاس علـى الوصول إلى النرفانا.

الممارسات النفسية في البوذية

ترجع النحلة البوذية إلى قصة في التراث الهندي عن أمـير هنـدي اسمـه جوتمـا سـيد هارتـا Gautma Siddharta الـذي عـاش في الفـترة (563 – 483ق.م) وكانـت تعاليمـه هـي

أساس البوذية، ويُحكى أن هذا الأمير هو ابن ملك نيبال وكان على درجة رفيعة من الذكاء والجمال، وفي سن السادسة عشرة تزوج ابنة عمه، ثم أنجب منها طفلاً بعد الزواج بثلاثة عشر عاماً ولكن هذا الأمير ترك حياة الرفاهية التي كان يعيش فيها وهجر أسرته وساح في الأرض وذلك بحثاً عن المعرفة وبحثاً عن حلول لمعاناة الإنسان وذلك عن طريق التأمل والتفكير، وكان يمارس تأملاته وهو جالس جلسة بسيطة في ظل إحدى الأشجار، وعندما بلغ الخامسة والثلاثين كرس حياته لنشر تعاليمه بين الناس ولإنشاء كوادر من الكهنة ينقلون تعاليمه في البلاد المختلفة، وسُمي بوذا، وكلمة بوذا تعني باللغة السنسكريتية الرجل الذي استيقظ.

والبوذية لها مبادئ أربعة أساسية:

1. أن الحياة معاناة.
2. أن سبب المعاناة هو الجشع والرغبة والطموح.
3. هناك أسلوب لتخفيف المعاناة.
4. هذا الأسلوب هو الوصول إلى النيرفانا أي الخلاص من العلائق الأرضية وذلك باتباع الطريق النبيل الذي يتمثل في توخي الدقة والصحة والصدق في رؤية الأشياء وفي التفكير وفي التحدث، وكذلك ممارسة التأمل والتدبر.

كذلك تدعو البوذية إلى التآخي والحب والتمسك بالمبادئ الأخلاقية، ويدين بالبوذية الآن حوالي خمسمائة مليون شخص ينتشرون في بلاد جنوب شرق آسيا.

وتدور الممارسات النفسية البوذية أساساً حول التأمل بقصد أن يسيطر المتأمل على أطماعه وعلى شهواته وأن يتخذ أسلوباً للحياة يتسم بالحب والتعاون.

الممارسات النفسية في اليوجا

اليوجا Yoga هي كلمة ترجع أصلاً إلى اللغة السنسكريتية وتتضمن هذه الكلمة معنيين الأول هو التأمل والثاني هو الوصول بمعنى اتصال الإنسان بأصله الكوني، ومن الناحية التاريخية نشأت اليوجا في ظل الهندوكية والبوذية وقد تأثرت إلى حد كبير بما في هاتين النحلتين من فلسفات وممارسات، واليوجا نفسها ليست نحلة أو ديانة معينة لها عقيدة خاصة، ولكن اليوجا هي ممارسات يقوم المريد على تنفيذها، وهذه الممارسات يمكن أن تعتبر في ذاتها كممارسات بدنية وذهنية ونفسية يمكن أن يقيم من الناحية العلمية.

وممارسات اليوجا مستويات عديدة، ويمكن لكل مريد أن يحقق منها ما يستطيع حسب إمكانياته، وهذه المستويات هي:

1. السيطرة البدنية.
2. السيطرة العقلية وتتضمن:
   أ. الحب.
   ب. الطاقة الابتكارية.
   ج. الأصوات المقدسة.
3. التفكير.
4. التمييز ويتضمن:
   أ. المعرفة.
   ب. النشاط.
   ج. القوة النفسية.
   د. المعرفة الصوفية بالذات.

وكذلك فإن ممارسات اليوجا تهدف إلى أن يتعلم المريد الأمور الآتية:

1. كبح السلوك الأناني والسلوك غير الاجتماعي.
2. ممارسة النواحي السلوكية التي تتسم بالإيجابية والبناء، وهذه تتم عن طريق تعلم السيطرة على النفس وعلى الحواس والتأمل والتفكير والعزلة.

ومن الممارسات العجيبة لليوجا –والتي قد تبلغ حد الخيال– قدرة ممارسي اليوجا على التحكم في وظائفهم الجسمية إلى درجة لم يسبقهم إليها أحد مثل ما يقال عن قدرتهم على دفن أنفسهم أحياء والبقاء عدة أيام على هذه الحال ! أو أنهم يستطيعون السيطرة على الدورة الدموية وحركة القلب وضغط الدم، وكذلك قدرتهم على تحمل درجات حرارة عالية تصل إلى حد المشي على النار أو الجمر أو المشي على المسامير أو غرس الإبر في الجسم بدون نزف الدم والتقيؤ إرادياً !!

واليوجا تتخذ مبدأ أساسياً وهو عدم اللجوء إلى العلاج سواء كان طبيباً أو نفسياً، لأنها هي نفسها تتضمن الأساليب التي تضمن الوصول إلى الشفاء، ولأنها تتضمن –كما

مبقت الإشارة- الأساليب التي يمكن للمريد بواسطتها تحقيق مستويات عالية من الأداء السلوكي، وهذه الأساليب الممارسية تتم تحت توجيه وإرشاد العريف الذي يساعد المريد في الممارسات المختلفة.

وتقوم الفكرة الأساسية عند اليوجا على رفض العالم المادي على أساس أنه عالم زائف قائم على الوهم وعلى المريد أن يتجاوز هذا العالم المادي وأن يصل إلى الحقائق العليا بحيث يرى الأشياء على حقيقتها.

وللأسف فإن علماء النفس في أمريكا وهم بالقطع أركان علم النفس المعاصر لم يهتموا بالقدر الكافي بدراسة اليوجا كممارسات نفسية، وربما يرجع ذلك إلى غرابة بعض ممارسات اليوجا، وكونها آتية من الشرق حيث ينظر الأمريكيون إلى الشرق بوجه عام على أنه مصدر الخرافات.

ويذكر مان Mann (وهو أستاذ بجامعة نيويورك الأمريكية ومحرر مادة اليوجا في موسوعة علم النفس - إشراف كورسيني) أحد النماذج التي تقدمها اليوجا وهو نموذج يخلط بين الأفكار الفلسفية والصوفية وبين الفسيولوجيا ويسمى هذا النموذج عبقرية البدن، وطبقاً لهذا النموذج فإن جسم الإنسان يتكون من عدة مراكز متصلة فيما بينها ولكل مركز من هذه المراكز طبيعته الخاصة وبالتالي وظيفته الخاصة بالتعاون مع المراكز الأخرى، وعندما ينشط هذا البدن العبقري فإنه قادر على استغلال البيئة وتحويلها إلى طاقة من شأنها أن تساعد على تقدم الإنسان ونموه، وعلى هذا الأساس فإن الجسم الإنساني يمكن تشبيهه بآلة لتكرير الزيت يدخل فيها الزيت الخام وتجري عليه عمليات عديدة بحيث تستخرج مشتقاته المختلفة لكل منها فائدته.

ويوجد بجسم الإنسان مراكز رئيسة لكل منها وظيفته التي يقوم بها. وبيان هذه المراكز كما يلي:

- المركز الأول: مركز لعين الثالثة ويقع في الجبهة أعلى ملتقى الحاجبين بمقدار بوصة، ويرتبط مركز العين الثالثة بالاستبصار والفهم.
- المركز الثاني: مركز أسفل الحنجرة ويختص بالتواصل والاتصال بين الأفكار.
- المركز الثالث: مركز القلب ويقع في منتصف القسم الأعلى من الصدر ويختص بالانفعالات، وخاصة الحب والشفقة.
- المركز الرابع: مركز أسفل البطن ويختص بالقوة والتوازن.

- المركز الخامس: مركز الاتصال الجنسي ويختص بالتزاوج والتكاثر.
- المركز السادس:مركز أسفل العمود الفقري ويختص بالنوم.
- المركز السابع: مركز التاج وهو في الجزء الخلفي من الرأس ويختص بالاتصال بين الفرد وبين الكون بوصفه نظاماً متناغماً.

وهذه المراكز هي مراكز مغلقة ويتطلب فتحها مجهوداً يبذله الفرد لهذا الغرض، وهذا المجهود الذي يبذله الفرد هو بوساطة ممارسات اليوجا البدنية أو التأملية. إن هذه المراكز مثلها مثل البراعم لا تتفتح وتصبح أزهاراً إلا إذا أخذت حظها من السقيا ومن ضوء الشمس وما السقيا وضوء الشمس بالنسبة للمريد إلا اليوجا.

إن مفهوم عبقرية البدن أمر أساسي لممارس اليوجا، رغم أن هذا المفهوم قد يكون غريباً لدارس علم النفس في الغرب –وإن كان ليس غريباً في بلاد الشرق– ومع ذلك فإن اليوجا تقدم مفهوم عبقرية البدن وآليته وميكانيكيته ليس كعقيدة دينية ولكن كنموذج عمل على ممارس اليوجا العمل على الوصول إليه، أما الطريق الأمثل لهذا الوصول فهو ممارسات نفسية وبدنية شاقة فيها يقتلع الممارس –أو المريد– نفسه من العالم الذي يحيط به وينسلخ انسلاخاً من هذا العالم بما فيه من مقومات وضرورات، وهو إن فعل ذلك استطاع الوصول إلى هذا النموذج واستطاع في نفس الوقت التحقق من صدقه.

وتستخدم اليوجا أساليب ممارسية عديدة لكنها جميعها ترتبط بمفهوم عبقرية البدن، وعلى الممارس أن يعمل جاهداً على تنوير وإعلاء روحه وتغذيتها، ولكن عن طريق واحد –وهو الطريق الملكي الوحيد عند اليوجا– إلا وهو الاستفادة من عبقرية البدن. إن اليوجا هي بمثابة تسخير البدن في خدمة النفس أو الروح وكأن اليوجا بهذا الأسلوب هي نوع من السيمياء النفسية Psychic alchemy تحول المعادن الخسيسة وهي ما تزخر به البيئة التي نعيش فيها من إرهاصات ومعطيات إلى معادن نفيسة أي الوصول إلى سمو نفسي وروحي عال، وذلك عن طريق توظيف البدن العبقري للإنسان في خدمة نفس الإنسان وروحه.

النظرية البوذية في الشخصية

للبوذية نظرية في الشخصية يعرضها الراهب البوذي اللاما جوفندا Lama Govinda في كتاب أصدره عام 1969 بعنوان الاتجاهات النفسية في الفلسفة البوذية وعرضه هول ولندزي في كتابهما عن نظريات الشخصية.

والنظرية البوذية في الشخصية تأخذ الشخصية بمعنى أقرب إلى معنى الذات، وهذه النظرية البوذية لا تتناول نظرية الشخصية كما يتم تناولها في النظريات الغربية ولكنها تتناول الشخصية من حيث رؤية النحلة البوذية وتوجهاتها القائمة أساساً على أفكار وتعاليم بوذا التي عرضنا لها منذ قليل.

والشخصية أو الذات في النظرية البوذية هي جملة ما يميز الفرد من خصائص جسمية وفكرية وحسية، وما يتخذه الفرد من مواقف ورغبات وما يعيه من ذكريات، وكذلك ترى هذه النظرية، أن أحداث اللحظة الحاضرة في حياتنا إنما تشكلها الأحداث الماضية، وهذه الأحداث الحاضرة أيضاً تشكل الأحداث القادمة كأن ثمة اتصالاً بين الماضي والحاضر والمستقبل، إن شخصية الإنسان مثل النهر المناسب المتدفق يتصور الناظر إلى مياهه المتدفقة أنها لا تتغير أبداً مع أنها تتغير دوماً. ويسمي الراهب جوفندا هذه النظرية Abhidhmma بمعنى الشخصية السوية.

وهذه النظرية البوذية لا تقوم على تعاليم بوذا القديمة فحسب ولكنها نتاج ممارسات عديدة وتنقيحات متوالية خلال مئات السنين قام بها رهبان البوذية أو اللامات- فهي إذن خليط من التعاليم القديمة والممارسات الحديثة.

وموجز هذه النظرية أن للشخصية جوانب مرضية وجوانب سوية، إن الجوانب المرضية هي التي تحدث الاضطراب النفسي، وأن الجوانب السوية هي التي تمنع هذا الاضطراب. والوسيلة الفعالة لتقويم الجوانب المرضية وكف شرها هو التأمل الذي يؤدي إلى التخلص من الجوانب المرضية والتحول إلى الجوانب السوية.

أما تفصيل هذه النظرية فهو أن الجوانب المرضية في الشخصية كثيرة وأهمها الأضاليل وهي بمثابة إدراكات خطأ، ويمكن تعريفها على أنها سحابة تغشى عقل الإنسان بحيث تؤدي إلى سوء إدراك الأشياء المحيطة به، وتكون هذه الأضاليل هي أساس معاناة الإنسان لأنها تؤدي إلى عدم وضوح الرؤية وإلى الفهم الخطأ والمثال الأمثل على ذلك هو المصابون بجنون الهذاء أو الاضطهاد، حيث يتصور الواحد منهم أن ثمة تهديداً من شخص أو مجموعة أشخاص، بينما في الواقع لا يريد به أحد شراً، وكأن لسان حاله يقول العالم أعدائي! ويتخيل كذلك أن الناس الذين يحيطون به يحيكون له المؤامرات ويدبرون له المكائد، وهذا كله يؤدي به إلى المعاناة وإلى الحزن وإلى التوتر.

وثمة جوانب مرضية أخرى في الشخصية مثل الصلف والوحشية والشهوة الجامحة مما يؤدي بالفرد إلى سوء التصرف، ومنها كذلك الأنوية التي تجعل الفرد لا يرى الأمور إلا من وجهة نظره الذاتية فقط غير مستطيع أن يفهم الآخرين. ومنها كذلك التهيج والهم مما يؤدي إلى حالة من القلق، وهذا القلق هو خاصية أساسية في كل اضطراب نفسي هذا إلى جانب صفات الطمع والجشع والبخل والحسد والبلادة.

وبالإضافة إلى الجوانب المرضية توجد جوانب سوية في الشخصية، والجوانب السوية مقابلة للجوانب المرضية ومقاومة لها ومعارضة إياها –وأول هذه الجوانب السوية هو الاستبصار والفهم مقابل الأضاليل– والاستبصار هو إدراك واضح للأشياء كما توجد في الحقيقة، وهذا الاستبصار من شأنه أن يمنع الأضاليل، ومن الجوانب السوية التعقل وهو الفهم الصحيح للأشياء، والاستبصار والتعقل هما أهم الجوانب السوية في الشخصية، ووجودهما من شأنه كبح ومنع الجوانب المرضية. أما الجوانب السوية الأخرى فهي مثل التواضع مقابل الصلف والعطف أو الرحمة مقابل الوحشية، كما أن التواضع والتعقل يؤدي إلى صحة الحكم وإلى الوزن الصحيح للأمور –وثمة جانب سوي هو الثقة أو التأكد القائم على الإدراك الصحيح– وعلى ذلك فإن الجوانب السوية التي تقوم على الاستبصار والتواضع والتعقل و العطف وصحة الحكم تتفاعل فيما بينها بحيث تؤدي إلى سلوك مقبول أخلاقياً طبقاً للمعايير الشخصية أو طبقاً للمعايير الاجتماعية.

كما ترى هذه النظرية أن ثمة علاقة واتصالاً بين النفس والبدن، بحيث أن جوانب الشخصية سواء أكانت مرضية أو سوية تؤثر عليهما معاً. ويظهر هذا التأثير على أفكار الشخص وعلى مظاهره السلوكية، وكذلك فإن وجود العوامل السوية يؤدي بالفرد إلى التكيف بفعالية سواء جسمياً أو نفسياً مع الظروف المحيطة والمتغيرة، ووجود الجوانب المرضية يؤدي بالفرد إلى نقص شديد في هذا التكيف الفعال.

وطبقاً لهذه النظرية أيضاً فإن كلاً من الجوانب السوية والجوانب المرضية في حالة دائمة من التعارض والصراع بحيث إن وجود الجوانب المرضية يمنع وجود الجوانب السوية والعكس صحيح، ولكن ومن حسن حظ الإنسان فإن وجود جانب واحد أو جانبين من العوامل السوية قد يكون له قوة قاهرة بحيث يمنع الجوانب المرضية جميعاً.

وتؤدي الجوانب المرضية إلى الاضطراب النفسي، كما تؤدي الجوانب السوية إلى التوازن النفسي، ومع ذلك فإن نفسية الشخص السوي تشتمل غالباً على مجموعتين من

الجوانب السوية والمرضية، والهدف من التربية الرشيدة -في البوذية طبعاً- هو تقوية الجوانب السوية وبالتالي إضعاف الجوانب المرضية.

والطريق الوحيد لتحقيق الجوانب السوية واكتسابها هو التأمل Meditation ذلك أن الشخص الذي يريد أن يتخلص من الجوانب المرضية واكتساب الجوانب السوية إنما يضيف إلى شخصيته (التي تتكون من جوانب سوية وجوانب مرضية) أي يضيف إلى هذه الخلطة السيكولوجية الرغبة القوية في تحسين العوامل السوية وكراهة العوامل المرضية ومحاولة التخلص منها وما الطريق الملكي إلى ذلك؟ إن الطريق الملكي إلى إضعاف الجوانب المرضية وتقوية العوامل السوية هو التأمل كما قلنا.

وطريقة التأمل تقوم على أن يركز المتأمل انتباهه في موضوع معين أو في نقطة بذاتها، مثلاً يغرق الشخص (أو المريد) انتباهه في موضوع الشهوة الجامحة بحيث يؤدي ذلك إلى الاستغراق التام في التفكير في هذا الموضوع وإلى الانغماس فيه وإلى التبصر بعواقبه وإلى التدبر بنتائجه وكذلك إلى تقليب الأمر على وجوهه بشأن الأضرار الناتجة عن ركوب الشهوة الجامحة واتخاذها مطية له في حياته، هذا كله يؤدي إلى كراهية المريد لفكرة الشهوة الجامحة وركله لهذه الفكرة خارجاً! وإلى تحول الشهوة الجامحة من أن تكون مطيته في الحياة، ومن الجوانب المكونة لشخصيته، إلى أن تكون أمراً غير مرغوب فيه ومكروهاً ومستهجناً. وتركيز التفكير والتأمل ومداومته على هذا النحو يؤدي بالشهوة الجامحة كجانب مرضي في الشخصية إلى أن يكون أمراً مرذولاً ملفوظاً بعد أن كان أمراً مستدمجاً في الشخصية.

وهكذا ومن مداومة التأمل يصل المريد إلى نموذج للشخصية المثالية تتصف بحضور صفات بناءة مثل النزاهة والتجرد ورباطة الجأش في جميع الأحوال واليقظة الدائمة والحب والتعاطف إلى جانب الصراحة والكفاءة وتحمل المسؤولية، كما تتصف هذه الشخصية المثالية بغياب صفات سلبية مثل الجشع والطمع والتردد والامتعاض والصلف والاستيلاء والتلاوم والشهوة.

ملحق (2)

قائمة ببعض المواقع الهامة في تخصص علم النفس على شبكة الإنترنت

- APA's Society for the History of Psychology: http://www.apa.org/about/division/ div26.html
- APA's Division 29, Psychotherapy: http://www.apa.org/about/division/div29.html
- The Association for Psychological Science: http://www.pshychologicalsicnce.org.
- A Web site for the Freud Museum in London, Where Freud spent the last year of his life after felling Vienna from the Nazis in 1938: http://www.freud.org.uk
- APA Rights and Responsibilities of Test Takers: http://www.apa.org/science/ttrr.html
- APA Report of the Task Force on Test User Qualifications: http://www.apa.org/science/tuq.pdf
- APA Strategies for Private Practitioners Coping With Subpoenas Compelling Testimony of Client Records of Test Data: http://www.apa.org/governance/reports/compinedannualreports.pdf.
- APA Division 5: Evaluation, Measurement, and Statistics: http://www.apa.org/about/division/div5.html
- Buros Institute of Mental Measurements, Publisher of the Mental Measurements Yearbook: http://www.unl.edu/buros/
- Searchable database of tests from Buros Institute of Mental Measurements: http://buros.nul.edu/buros/jsp/search.jsp
- Web site for the Standfor-Binet Intelligence Scales (SB5), fifth edition: http://www.riverpub.com/products/sb5.
- College Board, Publishers of the SAT and other tests: http://www.collegeboard.com/testing/
- Web site for the MMPI-2:http://www.pearsonassessments.comltests/mmpi-2.htm
- APA Division 39, Psychoanalysis: http://www.apa.ogr/aboutdivision/div39.html
- APA Division 39, Psychoanalysis, Subdivision V: Psychoanalytic research society: http://www.sectionfive.org
- Web site of the Freud Museum, London, UK: http://www.freud.org.uk/index.html
- APA Division 32, Humanistic Psychology: http://www.apa.org/about/division/div32.html

- Web pages devoted to Carl Rogers, created by his daughter, Nancy:http://www.nrogers.com/carlrogers.html
- Web site of the International Society of Existential Psychotherapy and Counseling:http://www.existentialpshychotherapy.net
- APA Behavior Analysis (Division 25):http://www.apa.org/about/division/div25.html
- International Association for Cognitive Therapy: http://www.academcyfct.org
- Beck Institute for Cognitive Therapy and Research: http://wwbeckinstitute.org
- Association for the Behavioral and Cognitive Therapies: http://www.aabt.org
- Therapies that work (funded by the National Institute of Mental Health): http://www.therapyadvsior.com
- Prevention programs that work, sponsored by the Substance Abuse and Mental Health Services Administration (SAMHSA): http://modelprograms.samhsa.gov
- Evidence-based behavioral practices (funded by NIH's Office of Behavioral and Social Sciences Research): http://www.EBBP.org
- Places to get popular self-help books as well as books on evidence – based practices:
  - http://www.barnesandnoble.com
  - http://www.amazon.com
  - http://www.addAll.com
- APA Division 53 Society for Clinical Child and Adolescent Psychology APA Division 54: http://www.clinicalchildpsychology.org
- Society of Pediatric Psychology: http://www.societyofpediatricpsychology.org/~division54index.shtml
- List of effective child treatments from APA Division 53: http://www.effectivechildtherapy.com
- List of effective child treatments from New York University Child Study Center: http://www.aboutourkids.org
- Children's Defense Fund: http://www.childrensdefense.org
- Health Psychology Division of APA (Division 38): http://www.org/about/division/div38.html
- Home Page for the journal Health Psychology. http://www.apa.org/journals/hea/
- Health Psychology and Rehabilitation home Page: http://www.healthpsych.com

- The International Neurological Society: http://www.the-ins.org
- APA Division of Clinical Neuropsychology (Division 40): http://www.apa.org/about/division/div40.html.
- The American Academy of Clinical Neuropschology(AACN): http://www.theaacn.org.
- The American Board of Clinical Neuropsychology: http://www.theabcn.org
- APA's American Psychology Law Society (Division 41): http://www.apa.org/abour/divison/div41.html
- A description of the FBI's Behavioral Analysis Unit: http://www.fbi.gov/hq/isd/cirg/ncavc.htm#bau
- APA Guidelines for Child Custody Evaluations in Divorce Proceedings: http://www.apa.org/practice/childcustody.html
- The Academy of Psychological Clinical Science (APCS): http://psych.arizona.edu/apcs/index.php
- APA Ethical Principles: http://www.apa.org/ethics/
- APA's Initiative to Make Psychology a Household Word: http://www.pshychologymatters.org
- APA Division 42, Psychologists in Independent Practice: http://www.division24.org
- APA Division 55, American Society for the Advancement of Psychotherapy (ASAP): http://www.Division55.org
- American Board of Professional Psychology (ABPP): http://www.abpp.org
- APA Committee on Accreditation (with a list of accredited programs): http://www.apa.org/ed/accreditation
- Academy of Psychological Clinical Science (with a list of programs in the Academy): http://www.psych.arizona.edu/apcs
- APA Guide to Getting Into Graduate School: http://www.apa.org/ed/getin.html
- Graduate Record Exam from the Educational Testing Service: http://www.gre.org
- APA Site for Careers in Psychology: http://www.apa.org/students/studentl.html
- APA Division 49: Group Psychology and Group Psychotherapy: http://www.apa49.org.
- APA Division 43: Family Psychology: http://www.apa.org/divisions/div43
- APA Division 27: Society for Community Research and Action: http://www.scra27.org.
- Prevention Programs that work, National Institutes of Health: http://www.oslc.org/Pubs/exper.html

- National Center for Complementary and Alternative Medicine: http://www.nccam.nih.gov
- http://www.alfredadler.org. Website for the North American Society of Alderian Psychology.
- http://www.alfredadler.edu/resources/adlerianlinks.htm. Resources for Adlerian therapists.
- http://www.iaipwebsite.org Website for the International Association of Individual Psychology (IAIP).
- http://www.apsa.org . Website of the American Psychoanalytic Association (a good resource for information on training in psychoanalysis) and the Journal of the American Psychoanalytic Association.
- http://www.psychoanalysis.org.uk/ijpa . Website of the International Journal of Psychoanalysis.

  Specialized training in Jung's analytical psychology can be obtained from institutes and societies throughout the world. Jungian training facilities in the United States include the C. G. Jung Institutes in New York City, Los Angeles, and Chicago. Jungian seminars are conducted by the CGJ Foundation, which can be reached at (800) 258-3533 or http://www.cgjungny.org.
- http://www.alfredadler-ny.org . Website for the Alfred Adler Institute of New York. Includes information on training and resources.
- http://www.ipa.org.uk. Website of the International Psychoanalytic Association, Which is based in England.
- http://www.psychoanalysis.org . The New York Psychoanalytic Institute publishes the Journal of Clinical Psychoanalytic.

  Additional relevant website include: http://www.cgjungpage.org. This website includes information on Jung and his theories, resources, and articles.
- http://www.jungchicago.org. This website for the C.G. Jung Institute of Chicago includes information about relevant publications as well as services and training opportunities provided by the Institute.
- http://www.rebt.org . Website of the Albert Ellis Institute, 45 East 65th Street, New York, New York 10065-6508; (212) 535-0822 or (800) 232-4738. Information on REBT, training on this approach, and Friday evening workshops, as well ad relevant publications and other resources can b obtained here.
- http://www.rational.org.nz . This is the website for the New Zealand Center for Rational Emotive Behavior Therapy. If offers articles, resources, Although many journals in psychology and counseling include articles on cognitive psychotherapy and the International Cognitive Therapy Newsletter.

Training in and information on cognitive therapy is widely available. The following is a good place to begin gathering additional information on education and resources.

- http://www.beckinstitute.org. This is the website for the Beck Institute for Cognitive Therapy and Research (One Belmont Avenue, Suite 700, Bala Cynwyd, PA 19004-1610, (610) 664-3020. the Beck Institute offers weekend and weeklong training opportunities as well as extended training, videoconferences, distance learning, recommended readings, and books and inventories.
- Information also can be obtained from: http://www.cognitivetherapynyc.com. This website is for the American Institute for Cognitive Therapy (136 East 57th Street, Suite 101, New York, NY 10022). This organization of researchers and psychotherapists provides cognitive – behavioral.
- http://www.umassmed.edu. The Center for Mindfulness in Medicine, Health Care and Society at the University of Massachusetts Medical Center provides Mindfulness – based stress reduction programs, training, research, and publications.
- http://www.contextualpsychology.org. The Association for Contextual and Behavioral Science provides information on relation frame theory and acceptance and commitment therapy, along with training, and an annual conference.
- http://www.beahvioraltech.org. This website, developed by Marcia Linehan, includes information, training, workshops, and other resources related to mindfulness and dialectical behavior therapy.

  Self-help information, training opportunities, and links to many REBT sites around world.
- http://www.smartrecovery.org. Website of self-Management and Recovery Training, a nonreligious alternative to 12-step programs based on Albert Ellis's ABCs of REBT. Includes online meetings, facilitator information, message board, and other resources and links to help support and maintain recovery.

  Treatment as well as information. The affiliated foundation for the Advancement of Cognitive Therapy (FACT) conducts research and provides training on CBT.
- http://www.academyofct.org. The Academy of Cognitive Therapy, founded in 1999, is an organization of clinicians, educators, and researchers in cognitive therapy. The academy supports continuing education and research and also serves as a certifying organization for CBT. In addition, the website provides information to help people locate certified cognitive therapists.

  Inventories developed by Aaron Beck and others and used in cognitive therapy can be ordered from:

The psychological Corporation, 555 Academic Court, San Antonio, TX 78204, (800) 211-8378

- http://www.sheematherapy.com. This website developed by Jeffrey Young includes inventories, publications, bibliography, outcome studies, and training opportunities on schema therapy.
- http://www.atpweb.org. Website for the Association for Transpersonal Psychology, P.O. Box 50187, Palo Alto, CA 94303; (650) 424-8764. ATP is a membership organization that offers training, products, and other resources for people interested in transpersonal psychology. ATP publishes the Journal of Transpersonal Psychology.
- http://www.itp.edu. Website for the Institute of Transpersonal Psychology, 1069 East Meadow Corcle, Palo Alto, CA 94303; (650) 493-4430. ITP offers online graduate coursework in transpersonal psychology as well as other training programs, a bulletin, and relevant products and resources.
- http://www.annafreudcentre.org. A web page created by the London-based Anna Freud Center, which seeks to educate others about Anna Freud's work.
- http://www.sonoma.edu/users/d/daniels/objectrelations.html. More information on object relations therapy.
- http://www.johnbowlby.com. Information on attachment theory and on John Bowlby and Mary Ainsworth.
- http://www.psychologyoftheself.com. Website of the International Association for Psychoanalytic Self Psychology. Including e-journal.
- http://www.pce-world.org. Website of the world Association for Person-Centered and Experiential Psychotherapy and Counseling.
- http://www.ahpweb.org. This Website for the Association for Humanistic Psychology promotes the values reflected in Roger's work. The association publishes the Journal of Humanistic Psychology.
- http://www.carlrogers.info. Information on Rogers's life, his influence on education, and the facilitative conditions are featured at this website.
- http://www.nrogers.com. This website focuses on Carl Rogers, and his daughter Natalie who provides information on her father's life and vision
- http://www.rootsofempathy.org. An evidence-based classroom program created by Mary Gordon to teach children empathy and social/emotional competence.
- http://www.aagt.org. Website of the Association for the Advancement of Gestalt Therapy.
- http://www.gestalt.org. The Gestalt Therapy page. Includes a bookstore, a new board, and online access to the Gestalt Journal, the Gestalt Review, and the International Gestalt Journal.

- http://www.gestalttherapy.net. The Gestalt Therapy Network maintains both a directory of Gestalt practitioners and a continuously updated bibliography of Gestalt resources. A news board, forum, and discussion groups are accessible to people interested in this approach to treatment.
- http://selfpsychology.com. Information on Heinz Kohut and self psychology and the Association for psychoanalytic Self Psychology.
- http://www.iarpp.org. Website of the International Association for Relational Psychoanalysis and Psychotherapy. Includes a newsletter, journal, and online forum for members.
- Emotion – Focused / Process – Experiential Therapies http://www.emothionfocusedtherapy.org. The website for Leslie Greenberg.
- http://www.eft.ca. The Center for Emotionally – Focused Therapy, directed by Susan Johnson. Includes articles and publication, a list-serve, training, and workshop opportunities for emotion-focused-therapy for couples.
- http://www.foucusing.org. The website for the Focusing Institute includes training and workshop information, articles and publications, and bulletin boards for members.

ملحق (3)

الحاسب الآلي في مجال قياس الشخصية

يمكن القول إن التقدم الذي أحرزته الحاسبات الآلية خلال العقود القليلة الماضية تقدماً لا يكاد يصدق، حيث تطورت أجهزة الحاسب الآلي تطوراً كبيراً بحيث أصبحت تعالج قدراً هائلاً من المعلومات في وقت قصير جداً وبواسطة آلات صغيرة الحجم وسهلة التشغيل ومتدنية الكلفة مما يمثل ثورة تكنولوجية كبيرة في هذا المجال. وقد استفادت حركة القياس النفسي من هذه الثورة التكنولوجية في تصحيح الاختبارات النفسية وتفسير نتائجها أيما فائدة خاصة في مجال اختبارات ومقاييس الشخصية.

وقد بدأ اهتمام المختصين في علم النفس بالاختبارات النفسية التي تبرمج على الحاسب الآلي منذ الستينات من القرن العشرين، وقد شملت عليه برمجة أدوات القياس النفسي العديد الوافر من المجالات مثل اختبارات الشخصية واختبارات الذكاء واختبارات القدرات، وذلك بالإضافة إلى نماذج دراسة الحالة ونماذج المقابلات، كما استخدم الحاسب الآلي في تخزين المعلومات الخاصة بالمستفيدين من الخدمات النفسية وكذلك في إجراء الملاحظات السلوكية، وأصبح يستفاد من المعلومات المخزنة أو المبرمجة في الحاسب الآلي في أساليب الاختيار المهني والتوجيه التعليمي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن إجراء أحج الاختبارات النفسية بواسطة الحاسب الآلي حيث يجلس المفحوص إلى شاشة وتعرض على هذه الشاشة على التوالي أسئلة الاختبار، ويجيب المفحوص على هذه الأسئلة عن طريق الدق على لوحة المفاتيح، حيث تسجل إجاباته، وتخزن في الحاسب طريقة معالجة الإجابات أو تصحيحها، فمثلاً مجموعة من الأسئلة تخص الأعراض السيكوماتية إذا أجاب عليها المفحوص في الاتجاه فإنه بالتالي يعاني من هذه الأعراض، أو قد يجيب المفحوص على أسئلة الاختبار على ورقة إجابة بالطريقة التقليدية ثم يتم تصحيح هذه الورقة على الحاسب الآلي، وعملية التصحيح بواسطة الحاسب تتم وفقاً لبرنامج مخزن في الحاسب بحيث يتم وضع الدرجة الخام على نموذج ورقة الإجابة وما يقابل هذه الدرجة الخام من درجات معايرة.

وكذلك يستخدم الحاسب الآلي في تخزين وتحليل نتائج أساليب الملاحظة المتبعة في القياس السلوكي، حيث تسجل الوقائع السلوكية الخاصة بالمفحوص وتخزن في الحاسب على

شرائط أو «ديسكات» خاصة وذلك بدلاً من تسجيلها في السجلات الورقية. وتستخدم في هذا المقام وحدات طرفية تربط على الوحدة الرئيسية للحاسب الآلي.

ونختم هذه المقدمة بأن نعرف التصحيح الآلي Automation أو «الأتمتة» بأنه العملية التي يستعان فيها بالحاسب الآلي في تصحيح وتفسير نتائج الاختبارات النفسية.

ونتحدث عن موضوع الحاسب الآلي في مجال مقاييس الشخصية في نقطتين رئيسيتين هما:

أولاً: أساليب إعداد البرامج

بالرغم من أن الاختبارات الموضوعية في الشخصية تعتبر من أكثر الاختبارات النفسية قبولاً لعملية التصحيح الآلي، إلا أن بعض الاختبارات الأخرى مثل اختبار «الرورشاخ» واختبار تفهم الموضوع واختبار وكسلر للذكاء دخلت جميعاً إلى أساليب التصحيح الآلي، والمزايا الرئيسية لأساليب التصحيح الآلي عديدة مثل الدقة والسرعة في التصحيح والتفسير وتوفير الوقت والجهد، فما قد يستغرق تصحيحه بالطريقة التقليدية عن طريق مفاتيح التصحيح المثقبة وما يتبع ذلك من تحويل للدرجات الخام إلى درجات معايرة عدة ساعات لا يستغرق في الحاسب الآلي إلا عدة دقائق.

وعملية إعداد برامج الحاسب ليقوم بالتصحيح والتفسير الآلي لنتائج الاختبارات النفسية ليست عملية معقدة بحال، وتقريباً فإن أي مبرمج مختص يمكنه أن يقوم بهذا العمل وذلك طبقاً لإرشادات وتوجيهات الأخصائي النفسي الخبير بالاختبار الذي يتم برمجته، وذلك بأن تخزن في «ذاكرة» الجهاز المعلومات عن كيفية تصحيح إجابات أسئلة الاختبار طبقاً لاتجاه الإجابة الموجود بكراسة التعليمات، وما يتبع ذلك من تحديد الدرجة الخام وتحويل هذه الدرجة الخام إلى مقابلاتها من المعايير المناسبة المخزنة في ذاكرة الحاسب، وهذه المعايير تختلف بالطبع من اختبار لآخر فمثلاً اختبارات الذكاء تحول الدرجات الخام إلى نسب ذكاء انحرافية، واختبارات الشخصية تحول درجاتها إلى درجات تائية وهكذا.

وربما يكون أمر برمجة اختبارات مثل الشخصية المتعدد الأوجه أو اختبار كاليفورنيا للشخصية أو اختبار عوامل الشخصية أمراً مفهوماً ومتوقعاً، لأن إجابة المفحوص على مثل هذه الاختبارات تكون بنعم أو لا مما يسهل عملية إعداد البرامج، لكن اللافت للنظر هو إعداد برامج خاصة بالاختبارات الإسقاطية، وإعداد برامج لهذه الاختبارات الإسقاطية أمر لافت للنظر وذلك بسبب تعدد وتنوع الاستجابات التي يمكن للمفحوص أن يبديها مما يجعل

برمجة هذه الاستجابات المتوقعة أو تطويعها لأساليب التصحيح الآلي أمراً بالغ الصعوبة والعسر.

ومما هو جدير بالذكر أن تصميم برامج تصحيح الاختبارات ليس مهمة الأخصائي النفسي –كما سبق الإشارة– ولكنها مهمة لهذه البرمجة، وبقول آخر فإن منظر برامج الحاسب الآلي هو الأخصائي النفسي أما منفذها ومهندسها فهو المبرمج. أما التفسير الآلي Automated Interpretation لنتائج الاختبارات النفسية فهو أمر أكثر تعقيداً من مجرد تصحيح هذه الاختبارات. ذلك أنه في العديد من برامج الحاسب الآلي فإن الحاسب يقوم بطباعة تفسير نتائج المفحوص على الاختبار، وهذا التفسير للنتائج أشبه بما يسمى "بالتقرير النفسي"، وهذه النماذج من التفسيرات أو التقارير النفسية قائمة على أساس ما خزن في ذاكرة الحاسب الآلي من تفسيرات، وهذه التفسيرات هي عبارات تصف المفحوص بناء على درجته الخام أو درجته المعيارية على الاختبار، وهذه العبارات والأوصاف قام بوضعها أخصائيون نفسيون متمرسون بهذا الاختبار ونتيجة لبحوث عديدة أجروها، بمعنى أن ذلك هذه التفسيرات نتيجة للبحوث المتوفرة عن الاختبار ونتيجة كذلك لخبرتهم المهنية وحسهم الإكلينيكي، وببساطة فإن الحاسب الآلي ما هو إلا أداة تعطينا صورة طبق الأصل لما خزن أو برمج فيه من معلومات، هذه المعلومات أعدها أشخاص اختصاصيون على أعلى قدر من الكفاءة أما دور الحاسب فهو تنفيذ عملية التصحيح والتفسير بسرعة تفوق كثيراً السرعة التي يعمل بها الأخصائي النفسي.

معنى ذلك أنه يجب أن نضع في الأذهان أن جودة وكفاءة المادة العلمية التي تزود بها ذاكرة الجهاز في تفسير نتائج اختبار معين هي الأمر الأساسي الذي يجعل تفسير الاختبار بواسطة الحاسب الآلي من قبيل الأمور المطمئنة، لأن الحاسب هو في الأخير مجرد جهاز يعطي تصوراً معيناً: هذا التصور هو نتيجة لما أدخل من بيانات.

وعملية تفسير النتائج هي مربط الفرس في الأمر كله، لأن التفسير هو الناتج النهائي الذي بناء عليه تتخذ على أساسه القرارات والتوصيات بخصوص المفحوص، والذي يمكن قوله في هذا المقام أنه على المختصين في القياس النفسي في مجالاته المختلفة الاهتمام بالجوانب العلمية في عمليات البرمجة، وعدم الانسياق وراء الأهواء والدوافع التجارية، وليس معنى ذلك أن نطالب المؤسسات التي تعمل في هذا المجال أن تتخلى عن –أو تنحى

جانباً- فكرة الربح من إنتاج وتوزيع هذه البرامج، ولكن المطلوب هو أن يتوفر أكبر قدر ممكن من المادة العلمية المدققة التي تكون القاعدة المعلومية في هذه البرمجة.

ثانياً: مشكلات برامج الحاسب الآلي

رغم فوائد استخدام الحاسب الآلي في تصحيح وتفسير نتائج الاختبارات النفسية فإن بعض المشكلات تصاحب إنتاج هذه البرامج من **أهمها**:

- إن بعض من يقومون بإعداد المادة العلمية الخاصة بتفسير نتائج الاختبارات، وذلك لبرمجتها أو تخزينها في الحاسب قد لا يكونون على القدر المطلوب من الكفاءة العلمية، إذ أن بعضهم قد يقدم معلومات تنقصها الدقة والكفاية حيث قد تلجأ بعض الشركات المنتجة لبرامج الحاسب إلى الاستعانة بمثل هؤلاء الأفراد من قبيل خفض كلفة البرامج، وعلى ذلك فإن على الأخصائي النفسي أو المؤسسات النفسية التي تستخدم هذه البرامج، أن تتأكد من سلامة القاعدة المعلوماتية عن الاختبار المبرمج آلياً، وأن تتأكد كذلك من استيفاء الاختبار للقواعد العلمية السيكومترية مثل كفاءة معاملات الثبات والصدق ودقة عملية المعايرة، وكفاءة البحوث العلمية المتعلقة بالاختبار والتي بُني عليها هذا كله.
- إن بعض أفراد المهن الأخرى ذات العلاقة بالاختبارات النفسية مثل الأطباء النفسيين أو الأطباء الممارسين قد يتصدون للعمل بالاختبارات النفسية المبرمجة على الحاسب الآلي دون أن يكون لديهم الإلمام الكافي بهذه الاختبارات وأساليب الاستفادة منها على الوجه العلمي الدقيق.
- إن بعض برامج الحاسب الآلي بالغة الصعوبة والتعقيد والكلفة ومن الصعب التعامل معها بصورة عملية، مثال ذلك برنامج الرورشاخ والذي قام بإعداده بتروسكي Pitrowski ونشره لأول مرة عام 1964م تحت اسم Computerized Perect (CPR) analytic Rorschach، ومما يذكر عن هذا البرنامج أن الوقت المستغرق لترميز استجابات واحد فقط من المفحوصين على الاختبار وإدخالها إلى الحاسب كان يستغرق تسع ساعات!، ورغم صدور صورة معدلة لهذا البرنامج عام 1969م تمكن فيها المختصون من تخفيض الوقت اللازم لترميز وإدخال بيانات المفحوص على الاختبار، إلا أن البرنامج غير عملي مع ذلك، ويقال إن إعداد هذا البرنامج وتعديله استغرق مدة ربع قرن.

- توجد بالسوق العالمي منافسة شديدة بين الشركات المنتجة لبرامج الحاسب الآلي، بل إن الاختبار الواحد قد تتنافس على إنتاج برامجه عدة شركات، وعملية المقارنة بين كل برنامج وآخر تتطلب خبرة وسعة، ومن الصعب تفضيل برنامج على آخر بسبب المنافسة التجارية –المسعورة أحياناً– بين الشركات المنتجة، بحيث يصبح الأخصائي النفسي –المبتدئ خاصة– في حيرة من أمره عند اختيار واحد من هذه البرامج.
- إن التفسيرات المبرمجة التي تطبع بواسطة الحاسب الآلي يعوزها أحياناً الخصوصية بالنسبة لحالة المفحوص وقد تصبح أسراره عرضة لأن يطلع عليه أشخاص من غير ذوي الاختصاص من مبرمجي الحاسب الآلي أو المساعدين الذين يلزم الاستعانة بهم كلما اقتضى الحال. وهؤلاء الأشخاص قد لا يعرفون أخلاقيات مهنة الأخصائي النفسي التي تؤكد على احترام أسرار المفحوص.
- يقال كذلك إن التقارير المطبوعة على الحاسب والتي تفسر فيها نتائج الاختبارات النفسية، يقال أنه تعوزها المسحة الفنية، وهذه المسحة الفنية هي التي يضيفها الأخصائي النفسي المتمرس بتفسير نتائج الاختبار على هذه التقارير، وهذه المسحة الفنية إنما تتأتى من خلال قيام الأخصائي النفسي بإجراء الاختبار بنفسه على المفحوص وبملاحظة سلوكياته أثناء إجراء الاختبار، هذا بالإضافة إلى الخلفية التي قد تتوفر للأخصائي النفسي عن المفحوص من خلال مقابلته إياه ودراسة حالته، وهذا معناه قيام الأخصائي النفسي بتطويع كل هذه المعلومات من خلال خبرته الإكلينيكية لإضفاء المسحة الفنية المهنية على التقرير النفسي. ولذا فإن بعض الثقات من الأخصائيين النفسيين لا يكتفون في عملهم العلمي بالتقارير المستخرجة من الحاسب الآلي لوصف وتفسير نتيجة الاختبار، ولكنهم يجعلون ذلك التقرير جزءاً من القاعدة المعلوماتية التي يحكم بها على المفحوص، ويستعينون إلى جانب ذلك بنتائج دراسة الحالة أو المقابلة أو الملاحظة أو لوسائل التي يرى الأخصائي النفسي أنها لازمة لاستيفاء تفهم حالة المفحوص.
- ثمة مسألة مثارة وهي هل الحاسب الآلي وقد برمجت عليه أساليب تصحيح وتفسير الاختبارات النفسية يعتبر وكأنه منافس أو مزاحم للأخصائي النفسي؟ الواقع غير ذلك لأن الحاسب هو جهاز يساعد الأخصائي النفسي على أداء عمله بسرعة ودقة وليس منافساً له بحال، مثله في ذلك مثل الآلة الحاسبة للمحاسب تساعده وتسهل قيامه بالعمل ولكنها لا تلغي دوره بأي حال.

- تُعطى بعض الاختبارات النفسية المبرمجة على الحاسب الآلي قدراً أكثر مما تستحقه وذلك بسبب تأثير الهالة أو الصورة الفوسفورية الزاعقة للحاسب الآلي، أو حسن ظن جمهور الناس بالحاسب الآلي، وذلك رغم ما قد تحتوي عليه القاعدة العلمية المعلوماتية لهذا الاختبار من تجاوزات. لذا فإن من المرغوب التحوط وعدم الإسراف في حسن الظن بهذا الجهاز.

ملحق (4)

مشروع ميثاق اخلاقي للأخصائي النفسي

يتناول هذا الملحق عرض مشروع ميثاق لمهنة الأخصائي النفسي في جمهورية مصر العربية ودول العالم العربي الأخرى، وهو مشروع مستمد من المواثيق الأخلاقية العالمية.

ولا ينكر منكر أهمية المواثيق الأخلاقية بالنسبة للمهن العالية، ومن بينها مهنة الأخصائي النفسي، لأن الميثاق فيه تحديد لقواعد السلوك المهني يلتزم بها أفراد الجماعة المهنية حيال أنفسهم، وحيال المهن الأخرى، وكذلك حيال الأفراد الذين ينتفعون بخدماتهم.

وقد رُوعي في إعداد مبادئ هذا الميثاق ومواده أن تشتمل على التحديدات العامة للسلوك المهني، وذكر أهم ما يلزم الالتزام به في تحقيق أعلى قدر ممكن من الكفاءة المهنية، وكذلك تحديد الأخلاقيات العامة للمهنة خاصة في مجال القياس النفسي والعلاج والإرشاد النفسي، هذا إلى جانب تحديد ما يجب على الأخصائي أن يتبعه من سلوكيات مهنية إذا عمل في مؤسسات خاصة أو قام بإجراء بعض البحوث العلمية.

ومن المتوقع أن كل من يعمل بهذه المهنة سوف يستفيد من قراءة مواد هذا الميثاق، وما أحوجنا في العالم العربي إلى وجود هذه المواثيق المهنية التي تحدد قواعد السلوك المهني وتبين الخطأ والصواب فيه.

ومن المأمول أن يصل المؤلف ملاحظات الزملاء أعضاء مهنة الأخصائي النفسي على بنود هذا الميثاق ليستفاد بها في تعديله وتحسينه.

مقدمة

من ألزم الأمور بالنسبة للمهن العالية -ومن بينها مهنة الأخصائي النفسي- وجود ميثاق أخلاقي يلتزم به من يعمل بهذه المهنة وذلك بقصد التمييز بين السلوك الصحيح والسلوك الخطأ.

والميثاق الأخلاقي يساعد الشخص حديث الالتحاق بالمهنة على فهم حقوقه وواجباته وأخلاقيات المهنة. والقواعد الذي يشملها الميثاق هي أساس الآداب المهنية وأساليب وقواعد السلوك بين أفراد المهنة وبين المنتفعين بها أو المستفيدين منها، ويمثل الميثاق بالنسبة لعامة الناس دليلاً لفهم السلوك المهني.

وبخلاف القوانين التي تنطبق على جميع المواطنين فإن الميثاق الأخلاقي ينطبق على أفراد المهنة فقط، ومن خصائص الميثاق الأخلاقي الجيد ما يلي:

- أن يكون الميثاق واضحاً وكما تميز القوانين والأنظمة بين السلوك المقبول قانوناً وبين السلوك غير المقبول، فإن الميثاق يجب أن يميز بين ما هو أخلاقي وما غير أخلاقي في السلوك المهني.
- بالرغم من أن الميثاق الأخلاقي يهدف –فيما يهدف إليه– إلى الارتفاع بكفاءة الخدمة المهنية إلا أنه لا يجب أن يضع مستويات غير معقولة أو غير ممكنة من الأداء المهني للأفراد.
- يجب أن تقتصر معالجة الميثاق الأخلاقي للسلوك المهني أو ما يرتبط به ويجب ألا تتخذ المواثيق المهنية وسيلة للتطبيق على الأفراد المهنيين في حياتهم الخاصة.
- يستحسن أن يكون الميثاق كاملاً بحيث لا يهمل المسائل الرئيسية التي تخص الخلق المهني.
- يجب أن يضع الميثاق مهمة الأداء الممتاز في المهنة على أساس أنه الاعتبار الأهم في جميع الحالات.

وفي ضوء ما سبق فإن الشخص الذي يختار مهنة الأخصائي النفسي في جمهورية مصر العربية وسيلة لكسب عيشه يقبل الالتزام بأن يتفق سلوكه مع المبادئ والأخلاقيات المهنية الواردة بهذا الميثاق.

ونعني بهذا الميثاق الأخلاقي مجموعة من المبادئ الأخلاقية تحدد قواعد السلوك المهني السليم يلتزم بها أفراد المهنة.

كما يقصد بالأخصائي النفسي الشخص المهني الحاصل على درجة جامعية في علم النفس سواء الليسانس أو الماجستير أو دكتوراة من إحدى الجامعات المصرية، أو من أي جامعة أخرى معترف بها، ويعمل في أحد مجالات علم النفس التخصصية.

مصادر الميثاق

استقى الباحث مواد هذا الميثاق والمبادئ التي اشتمل عليها من عدة مصادر هي:

أ. الميثاق الأخلاقي لجمعية علم النفس الأمريكية American Psychological Association.

ب. الميثاق الأخلاقي للجمعية الأمريكية للأفراد والإرشاد American Personal and Guidance Association.

ج. الميثاق الأخلاقي للجمعية الأمريكية للإرشاد النفسي American Mental Health Counselors Association (وهذه المواثيق الثلاثة منشورة في مراجع القياس النفسي المعتمدة).

د. خبرة الباحث في مجال علم النفس كأخصائي نفسي في جمعية المحاربين القدماء وضحايا الحرب بالقاهرة، ومراقبة الاختبارات النفسية بوزارة الصناعة بالإسكندرية بمصر، ثم تدريس مقررات علم النفس المختلفة في كلية البنات بجامعة الأزهر وبعض الجامعات المصرية الأخرى، وكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الميثاق الأخلاقي للأخصائي النفسي في جمهورية مصر العربية

أحكام عامة

إن الأخصائي النفسي في جمهورية مصر العربية هو شخص مهني مسئول يعمل متعاوناً مع زملائه ومع أفراد المهن الأخرى ومع جميع المواطنين، على تحقيق أكبر قدر ممكن من الفائدة لأفراد المجتمع المصري مستوحياً في سلوكياته العامة والمهنية المهديات التالية:

- القوانين التي أصدرتها أو تصدرها الدولة.
- اللوائح التي تصدرها الجهات التي يعمل بها.
- ما يرد في هذا الميثاق من إرشادات.

وعلى هذا فهو يلتزم بالأحكام العامة الآتية:

أ. أن يعامل المستفيدين من الخدمات النفسية بالعدل ودون تمييز بغض النظر عما بينهم من فوارق في الدين أو الجنس أو اللون أو المستوى الاجتماعي أو المستوى الاقتصادي.

ب. أن يحترم حق المستفيدين في الحفاظ على أسرارهم الشخصية ولا يسوح بها إلا في الحالات القصوى ويكون هذا البوح للسلطات المعنية وللصالح العام.

ج. أن يأخذ في اعتباره أن المؤسسات التي يعمل بها سواء كانت حكومية أو خاصة - هي من المرافق العامة فيجب عليه المحافظة عليها.

د. أن يمتنع عن مناقشة المعلومات المهنية التي يتوصل إليها بحكم عمله مع الأشخاص غير المهنيين.

هـ. ألا يقبل من الشركات التي تنتج أو تصنع أو تسوق الأجهزة أو الاختبارات النفسية أي هدية أو منحة، خاصة إذا كانت توجيهاته ذات تأثير على رواج منتجات هذه الشركات.

و. أن يتعامل مع الزملاء من أفراد المهنة بنفس الطريقة التي يود أن يعاملوه بها.

ز. أن يتعاون مع زملاء المهنة الذين قد يطلب أي منهم مساعدة مهنية، وكذلك يلتزم بطلب المساعدة المهنية من الزملاء إذا صعب عليه أمر من الأمور الفنية المهنية.

ح. أن يشترك بالعضوية النشيطة في التنظيمات المهنية وأن يحاول خلال هذه المشاركة أن يمارس كل ما من شأنه تحسين أداء هذه التنظيمات المهنية.

ط. أن يحول جاهداً جعل المهنة جذابة من حيث الشكل و لمضمون وذلك حتى يشجع الشباب الجاد والملتزم على الالتحاق بها.

ي. ألا يقدم استشارات أو إرشادات أو نصائح مهنية للمستفيدين إلا عن طريق الاتصال الشخصي بين المستفيد والأخصائي النفسي، سواء كان ذلك بأجر أو بدون أجر- أما إذا قدم بعض الإرشادات أو النصائح خلال أجهزة الإعلام مثل التلفاز أو الإذاعة أو الصحافة فإن هذه النصائح والإرشادات تعتبر من قبيل المعلومات المهنية التي يتحرى فيها التبسيط مع الدقة العلمية وذلك تجنباً لسوء الفهم من جانب عامة الناس.

ك. أن يكون على معرفة بالمبادئ والمواثيق الأخلاقية التي تسود المهن الأخرى التي يتعامل معها بحكم عمله.

وإلى جانب التزامه بالأحكام العامة السابقة يلتزم الأخصائي النفسي بالمبادئ الآتية:

المبدأ الأول: المسؤولية المهنية

يلتزم الأخصائي النفسي الذي يعمل بجمهورية مصر العربية في أي مجال من مجالات علم النفس أثناء تقديم خدماته إلى من يحتاج إليها من المستفيدين مراعاةً أن تكون هذه الخدمات وفق أرقى مستوى مستطاع في حدود الإمكانيات المتاحة له وعليه أن يعتبر نفسه مسؤولاً عن ذلك وأن يقبل المساءلة في حالة التقصير.

وإلى جانب ما يرد في هذا الميثاق يلتزم الأخصائي النفسي لكي يحقق اعتبارات المسؤولية المهنية بما يلي:

أ. كباحث علمي عليه أن يستشعر المسؤولية المهنية في اختياره لموضوعات بحثه وتحليله لنتائجه وكتابة التقرير العلمي، وعليه أن يخطط بحوثه العلمية بحيث يكون احتمال الخطأ بأقل قدر ممكن. وعليه عدم إخفاء أي جانب من جوانب النقص في جمع مادته العلمية أو تحليلها، كما يجب عليه ألا يذكر أي بيانات أو وقائع إلا أن يكون متأكداً منها بصورة تامة.

ب. كباحث علمي عليه أن يحدد علاقاته بالأفراد أو المؤسسات التي تمول بحوثه أو أعماله العلمية وتستفيد من نتائجها، بأن تكون علاقات مهنية حتى يتجنب ما من شأنه التأثير على موضوعية البحث العلمي.

ج. كباحث علمي عليه أن يلتزم بنشر الحقائق العلمية التي يتوصل إليها ولا يقبل أي ضغط قد يتعرض له بقصد إخفاء الحقيقة أو جزء منها.

د. كعضو هيئة التدريس -في أي مستوى من مستويات التعليم- فإنه يلتزم بتوصيل معارفه ومعلوماته وخبراته المهنية إلى طلابه، وأن تكون المادة العلمية التي يقدمها لطلابه بأكبر قدر ممكن من الدقة والكفاية والموضوعية من حيث أمانة العرض.

ه. كممارس في المجالات المختلفة عليه أن يتحمل مسؤولية مهنية جسيمة ذلك أن قراراته قد تكون هامة ومصيرية في حياة المستفيدين، وعلى ذلك فإن هذه القرارات يجب أن تكون مدروسة باستفاضة وعناية وموضوعية.

المبدأ الثاني: الكفاءة المهنية

إن الوصول إلى أعلى مستوى ممكن من الكفاءة المهنية والعلمية هو أمر على الأخصائي النفسي أن يصل إليه، وعليه أيضاً مساعدة زملاء المهنة على الوصول إليه. ويجب على الأخصائي النفسي أن يكون على وعي بمدى كفاءة الأدوات التي يستخدمها -سواء كانت من الأجهزة المختبرية أو الاختبارات النفسية- وأن يتدرب عليها تدريباً مكثفاً قبل استخدامها، وعليه أن يكون على صلة علمية وثيقة ودائمة بما يلحق مجال اختصاصه من تجديد.

إلى جانب ما يرد في هذا الميثاق يلتزم الأخصائي النفسي لكي يحقق اعتبارات الكفاءة المهنية بما يلي:

أ. التأكيد على أهمية المستوى التعليمي المتخصص، وكذلك أهمية الخبرة والتدريب، وعلى ذلك لا يقبل في هذه المهنة إلا شخص حصل على درجة علمية في مجال التخصص بحيث يكون قابلاً للتدريب واكتساب الخبرة في أحد مجالات التخصص.

ب. كعضو هيئة تدريس –في أي مستوى من مستويات التعليم- عليه تأدية واجبه في أن تكون مادته العلمية التي يقدمها لطلابه على أعلى وأحدث مستوى، وفي سبيل ذلك عليه الالتزام بتعليم نفسه تعليماً مستمراً وذلك عن طريق الاطلاع على الحديث من المراجع أو الدوريات، والاشتراك في المناقشات أو المؤتمرات العلمية.

ج. كممارس في المجالات المختلفة عليه الاستفادة من الخبرات المهنية المتاحة مثل تبادل المعلومات مع زملاء المهنة أو حضور الدورات التدريبية، خاصة إذا كان حديث العهد بالعمل بالمهنة.

د. أن يكون على وعي بحقيقة أن المشكلات الشخصية تؤثر على الكفاءة المهنية، ولما كان الأخصائي النفسي –شأنه شأن البشر جميعاً- معرضاً لبعض هذه المشكلات، مما قد يؤثر على كفاءته المهنية فإنه إذا وجد نفسه في مثل هذه الظروف ألا يتخذ قراراً يخص المستفيدين الذين يتعاملون معه، ويبلغ موقفه إلى الرؤساء المباشرين ليقوموا بالتصرف طبقاً لمقتضى الحال وذلك حفاظاً على كفاءة القرارات التي تتخذ بشأن المستفيدين.

ه. الالتزام بأن تبادل الخبرات مع زملاء المهنة والتنافس في سبيل تحسين مستوى الخدمات التي تقدم للمستفيد، لا يؤدي بأي حال من الأحوال إلى شكل من أشكال الصراع.

المبدأ الثالث: الأخلاقيات العامة للمهنة

إن أخلاقيات الأخصائي النفسي هي نفسها أخلاقيات المواطن الملتزم في جمهورية مصر العربية فعليه إذن التزامات تجاه المنتفعين بخدماته ومع ذلك فإلى جانب التزامه الأخلاقي فإن عليه التزاماً مهنياً أساسياً هو المحافظة على الصورة الطيبة لمهنة الأخصائي النفسي أمام من يتعامل معهم، وكذلك فإن التزامه بقواعد السلوك القويم يجب أن تتسع بحيث تشمل سلوكياته الشخصية إلى جانب سلوكياته المهنية.

وإلى جانب ما يرد في هذا الميثاق يلتزم الأخصائي النفسي لكي يحقق اعتبارات أخلاقيات المهنة بما يلي:

أ. كعضو هيئة تدريس -في أي مستوى من مستويات التعليم- عليه مراعاة الحيدة التامة في عرض المادة العلمية لمدارس علم النفس واتجاهاته المختلفة، وألا يكون تفضيله لاتجاه بعينه له تأثيره على دقة العرض ولكن عليه أن يوضح لطلابه التوجيه السليم لعلم النفس عند عرض الموضوعات التي تتصل بذلك.

ب. ألا يخرج بأي حال من الأحوال على الأنظمة والقوانين السائدة والمعمول بها في جمهورية مصر العربية.

ج. إن الأوراق الرسمية التي تصدر عن الجهة التي يعمل بها الأخصائي النفسي وتخص المستفيد قد يترتب عليها أحكام قضائية، فلذا عليه أن يتأكد تماماً من دقة وصحة البيانات التي تتضمنها هذه الأوراق.

د. حرصاً على المصلحة العامة من جهة وعلى الصورة الطيبة لمهنة الأخصائي النفسي من جهة أخرى، إذا لوحظ على السلوك المهني لأحد زملاء المهنة أي تقصير غير متعمد وجب على الزملاء الآخرين تقديم النصيحة الواجب له، أما إذا كان التقصير متعمداً أو غير أخلاقي وجب إبلاغ الرؤساء المباشرين بهذا الأمر وذلك للتصرف طبقاً لمقتضى الحال.

المبدأ الرابع: أخلاقيات القياس النفسي

عندما يستخدم الأخصائي النفسي أدوات الصنعة من اختبارات نفسية مختلفة، أو يقوم بإعداد هذه الاختبارات، فإن عليه أمراً أساسياً هو محاولة تحقيق أكبر قدر من النفع للأفراد أو المستفيدين الذين تجري عليهم هذه الاختبارات.

وفي ضوء اعتبارات أخلاقيات القياس النفسي يراعي الأخصائي النفسي القائم باستخدام هذه الاختبارات ما ورد في هذا الميثاق من التزامات وذلك بالإضافة إلى ما يلي:

أ. إن البيانات التي يصل إليها عن طريق إجراء الاختبارات النفسية على المستفيدين هي من قبيل أسرار المهنة التي لا يجوز تداولها إلا بين الأفراد المهنيين.

ب. إن من حق المستفيد أو أي فرد يجري عليه الاختبار معرفة الغرض الأساسي من عملية القياس، وكذلك بمستوى أدائه للاختبار فيوضح الأخصائي النفسي ذلك للمستفيد

بأسلوب يتناسب مع فهمه، ومع ذلك فيجوز إخفاء الغرض من القياس أو نتيجته إذا كان في ذلك فائدة محققة للمستفيد.

ج. أن يكون عارفاً بالاختبارات النفسية الجديدة التي تصدر في جمهورية مصر العربية -سواء صدرت من الأفراد العلميين، أو من الهيئات العلمية- وأن يتوفر على فهم طريقة إجرائها وأسلوب تفسير نتائجها، وإذا صعب عليه فهم شيء من ذلك عليه اللجوء في هذا الشأن إلى من هو أخبر منه من زملاء المهنة أو بمؤلف الاختبار.

د. في حالة استخدام الحاسب الآلي في تصحيح الاختبار النفسي أو تفسير نتائجه، عليه أن يكون مستوعباً لأساليب العمل على الحاسب الآلي وأن يسعى إلى تلقي القدر اللازم من التدريب في هذا المجال، وعليه مراعاة عدم تسرب أي بيانات عن الاختبار إلى غير المختصين حتى لا تتعرض هذه البيانات لسوء الفهم أو سوء التفسير.

ه. الا يسمح للطلاب الذين يدرسون علم النفس في المرحلة الجامعية الأولى أن يتصدوا للعمل بالاختبارات النفسية، ويمكن أن يسمح لهم بإجراء بعض الاختبارات النفسية التي لا تتطلب خبرة مهنية خاصة ثم تصحيحها وتفسير نتائجها وذلك تحت إشرافه المباشر أو تحت إشراف شخص علمي متخصص، ويكون هذا كله في حدود الأغراض التدريبية فقط.

و. لا يجوز -بأي حال من الأحوال- تصوير أو استنساخ اي اختبار نفسي منشور في جمهورية مصر العربية أو جزء من هذا الاختبار إلا بإذن كتابي صريح من المؤلف والناشر. ومع ذلك فيجوز تصوير بعض الاختبارات النفسية وبكميات محدودة وذلك شرط أن تكون هذه الاختبارات غير مقننة في جمهورية مصر العربية، وغير ممكن الحصول عليها سواء من السوق المحلي أو الخارجي وتكون لازمة بالضرورة لأغراض التدريب العملي.

ز. لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يحصل المستفيد أو أي شخص آخر غير مهني على نسخة من كراسة أسئلة الاختبار النفسي أو كراسة التعليمات.

ح. يجب الالتزام بما يرد في كراسة تعليمات الاختبار النفسي من تحديدات مثل تعليمات الاختبار الموجهة إلى المفحوص أو الزمن المعطى لحل الاختبار أو طريقة التصحيح وتفسير النتائج.

ط. إذا بدت -أثناء الاشتغال بأي اختبار نفسي من الاختبارات المقننة المنشورة في جمهورية مصر العربية- أية ملاحظات، فعلى الأخصائي النفسي الكتابة إلى زميل المهنة الذي قام بإعداد هذا الاختبار للاستفادة من هذه الملاحظات. وأن يكون هذا الإجراء من قبيل التناصح الواجب بين الزملاء المهنة ولا يتعداه إلى التعريض أو التشهير بأي حال.

ي. أن يعي حقيقة أساسية وهي أن الاختبارات النفسية تختلف فيما بينها من حيث المتطلبات العلمية والمهنية للأشخاص القائمين على إجرائها أو تصحيحها أو تفسير نتائجها، وعلى ذلك فلا يتصدى للعمل بالاختبار إلا إذا كان يتناسب مع مستواه العلمي وخبرته المهنية إلى جانب تلقي التدريب اللازم عليه.

وفي سبيل تحقيق اعتبارات أخلاقيات القياس النفسي، يلتزم الأخصائي النفسي القائم على إعداد أو تقنين الاختبارات النفسية -إلى جانب ما ذكر من أمور- بما يأتي:

أ. أن تتضمن كراسة التعليمات الخاصة بالاختبار بيانات رئيسية مثل تاريخ الاختبار (إذا كان من الاختبارات المعروفة عالمياً)، وتعليماته وثباته وصدقه ومعاييره وخصائص العينة التي قنن عليها والمبادئ الأخلاقية والمهنية لاستخدامه وفوائده في المجالات التطبيقية المختلفة.

ب. أن يذكر أي نقص أو تجاوز في إجراءات إعداد الاختبار بسبب ما قد يعرض من ظروف العينة التي تعامل معها، وأن ينبه في هذا المقام إلى أن الاختبار المنشور في هذه الحالة هو نسخة تجريبية تصلح فقط لأغراض التدريب أو الاستفادة العلمية.

ج. أن يكون على بينة من أن عبارات أي اختبارات تفقد بمرور السنين شيئاً من دلالتها وصلاحيتها، وعلى ذلك عليه أن يجدد الاختبارات التي يقوم على إعدادها ما استطاع وأن يستعين في ذلك بواحد أو أكثر من زملاء المهنة خاصة إذا كان الاختبار الذي أعده اختباراً عالمياً تصدر منه كل عدة سنوات طبعة مجددة أو منقحة.

د. أن يهدي نسخة من الاختبارات التي يعدها إلى من يعرف من زملاء المهنة، أو إلى الهيئات العلمية المتخصصة وذلك للاستفادة بآرائهم وخبراتهم في عمله العلمي من جهة، ومن جهة أخرى في تعريف أكبر عدد ممكن من زملاء المهنة بالاختبارات الحديثة النشر.

هـ. أن يذكر صراحة وفي مكان ظاهر من الحقيبة أو المظروف الذي يحتوي على أدوات الاختبار عبارة تشير إلى أنه يحظر بيع أو تداول هذا الاختبار إلا للمختصين في علم

النفس من أفراد أو هيئات أو بإذن كتابي من المؤلف مع ضرورة التزام دور النشر التي تقوم على توزيع الاختبار بهذا الأمر.

المبدأ الخامس: أخلاقيات الإرشاد والعلاج النفسي

إن الأخصائي النفسي حين يعمل في مجال الإرشاد النفسي أو العلاج النفسي فإنه يهدف أساساً إلى توفير أكبر قدر ممكن من الرعاية للمستفيد، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف فإنه يوظف معلوماته وخبراته ويسخرها بحيث يساعد المستفيد على حل مشكلاته وتحقيق توافقه.

وفي ضوء عبارات أخلاقيات الإرشاد والعلاج النفسي يراعي الأخصائي النفسي ما ورد في هذا الميثاق من التزام بالإضافة إلى ما يلي:

أ. ألا يتصدى لعملية العلاج النفسي أو الإرشاد النفسي إلا من دربٍ على ذلك تدريباً علمياً وعملياً تحت إشراف المختصين في المجال وحصل على شهادة رسمية بذلك.

ب. أن يحاول تحسين الأساليب الإرشادية والأساليب العلاجية التي يستخدمها بقدر الإمكان وذلك بقصد تحقيق أكبر قدر من النفع بالنسبة للمستفيد.

ج. ألا يتخذ قراراً أو يشارك في اتخاذ قرار بأن يدخل أحد المستفيدين في مستشفى للأمراض النفسية أو العقلية إجبارياً خلافاً لرغبته إلا إذا كان هذا المستفيد خطراً على نفسه أو على الآخرين، أو كان الإدخال الإجباري فيه مصلحة لعلاج حالة المستفيد.

د. أن يعامل المستفيد من خدمات العلاج النفسي أو الإرشاد النفسي كإنسان بغض النظر عن تقييمه لسلوك المستفيد أو آرائه وبغض النظر كذلك عن دينه وجنسه ولونه ومستواه الاجتماعي أو الاقتصادي.

هـ. أن يلتزم بمبدأ أساسي هو أنه من حق الشخص الذي يحتاج إلى الإرشاد النفسي أو العلاج النفسي أن يتوفر له هذا الأمر بأكبر قدر ممكن من الكفاءة.

و. أن يهتم بتكوين العلاقة المهنية مع المستفيد ولا يسمح أن تتحول هذه العلاقة المهنية إلى علاقة شخصية.

ز. أن يعتبر البيانات التي تجمع عن المستفيد من الخدمات النفسية العلاجية أو الإرشادية ليست بمثابة بيانات عامة بل هي بيانات مهنية يتم التحفظ عليها في مكان آمن بحيث لا يطلع عليها إلا أهل الاختصاص.

ح. إن أسرار المستفيد لا يجوز بحال إفشاؤها حتى لذوي قرباه إلا إذا كان تعريف بعضهم بجزء من هذه الأسرار أمر أساسي في صالح إرشاد المستفيد أو علاجه.

ط. إذا استخدمت البيانات الخاصة بالمستفيد في تدريب الأخصائيين الجدد أو أغراض البحث العلمي فيجب أن تعرض بصورة لا تكشف عن هوية المستفيد بأي حال من الأحوال.

ي. عندما تدل حالة المستفيد أنه قد أصبح خطراً على نفسه أو على الآخرين وجب إبلاغ أسرة المستفيد والسلطات المعنية.

المبدأ السادس: العمل في مجال المؤسسات الخاصة

عندما يتجه الأخصائي النفسي إلى العمل بإحدى المؤسسات الخاصة سواء كان يملكها أو يعمل فيها بأجر مثل المستشفيات الخاصة أو مراكز الرعاية النفسية الخاصة أو المدارس الخاصة فإن عليه نفس الواجبات المنصوص عليها في هذا الميثاق من الالتزام بأرقى مستوى ممكن من الأداء المهني وأرقى مستوى ممكن من السلوك الأخلاقي.

وفي ضوء اعتبارات الرغبة في تقديم أفضل الخدمات النفسية الخاصة يلتزم الأخصائي النفسي إلى جانب ما جاء في هذا الميثاق، بما يلي:

أ. عندما يعلن عن الخدمات التي يقدمها للمستفيدين عليه أن يوضح وفي مكان ظاهر من المحل الذي يتخذه مقراً لعمله اسمه والمؤهلات العلمية الحاصل عليها وخبراته، كما يبين عضويته في الجمعيات العلمية المتخصصة، كما يبين ساعات العمل اليومي ورقم الهاتف والأتعاب.

ب. أن يلتزم بتقديم الخدمات النفسية للعملاء في إطار تخصصه العلمي والمهني الدقيق، ولا يجوز بأي حال من الأحوال تجاوز هذا الاختصاص قاصداً بذلك تحقيق المزيد من الأرباح للمؤسسة الخاصة التي يعمل بها مغلباً بذلك الاعتبارات المهنية على الاعتبارات المادية.

ج. أن تكون الأجور التي يتحملها المستفيد نظير الخدمات النفسية الخاصة معتدلة وتتناسب مع أجور المهنيين الآخرين.

د. إذا كانت الأنظمة أو اللوائح في بعض الجهات الحكومية تسمح للأخصائي النفسي بالعمل بأجر في المؤسسات الخاصة سواء في صورة انتداب أو استشارات أو ما شابه

فمن غير الأخلاقي أو يوجه المستفيد الذي يتلقى خدمات مجانية من المؤسسة الحكومية إلى المؤسسة الخاصة المنتدب إليها.

المبدأ السابع: أخلاقيات معاملة المتطوعين في البحوث النفسية

إن قيام الأخصائي النفسي بإجراء البحوث يهدف أساساً إلى تسخير علم النفس، ليكون في خدمة المواطن في جمهورية مصر العربية. ومن المهم أن يلتزم الأخصائي النفسي باحترام كرامة وإنسانية المتطوعين أو المفحوصين في البحوث أو التجارب العلمية التي يجريها.

وإلى جانب التزامه بالأسس الواردة في هذا الميثاق فإنه في ضوء تحقيق أخلاقيات معاملة المتطوعين في البحوث النفسية يلتزم الأخصائي بما يلي:

أ. أن يوضح للمتطوعين أو المفحوصين أو المتطوع لأي نوع من أنواع الخطر مثل الصدمات الكهربائية أو المثيرات المؤلمة من أي نوع، أما إذا كان ذلك أمراً ضرورياً في التصميم التجريبي للبحث فيجب أن يعرف المفحوص أو المتطوع ذلك سلفاً ويوافق عليه.

ب. يجب ألا يعرض المفحوص أو المتطوع لأي نوع من أنواع الخطر مثل الصدمات الكهربائية أو المثيرات المؤلمة من أي نوع، أما إذا كان ذلك أمراً ضرورياً في التصميم التجريبي للبحث فيجب أن يعرف المفحوص أو المتطوع ذلك سلفاً ويوافق عليه.

ج. إذا كان المفحوص الذي تجري عليه التجارب النفسية من الأطفال أو من ذوي الإعاقات العقلية، فإن الموافقة على اشتراكهم كمفحوصين في البحوث يجب أن تستصدر من الجهات التي تشرف عليهم مثل المدارس أو المؤسسات التي ينتمون إليها، أما إذا ثمة احتمال لتعرضهم لأي قدر من الألم فيجب موافقة ولي أمرهم على ذلك.

د. إذا كان التصميم التجريبي للبحث موضع التنفيذ يقوم على بعض التجارب الخداعية فإن على الأخصائي النفسي أن يوضح الغرض الذي من أجله خدع المتطوع أو المفحوص عن الهدف الأساسي للتجربة وذلك فور الانتهاء منها، ويوصي الأخصائي النفسي المتطوع أو المفحوص بعدم إفشاء سر التجربة للآخرين.

ه. احترام حرية المتطوع أو المفحوص في الانسحاب من التجربة في أي وقت ولا يجب على الأخصائي النفسي بذل أي ضغط على المفحوص في هذا الشأن، وإن كان عليه توضيح

غرض التجربة مرة أخرى للمفحوص لعله يعدل عن قراره بالانسحاب، ولكن في جميع الأحوال فإن قرار الانسحاب هو ملك للمتطوع أو المفحوص فقط.

المبدأ الثامن: العناية بحيوانات التجارب النفسية

يمكن للأخصائي النفسي أن يستخدم الحيوانات في التجارب النفسية وذلك بغرض التوصل إلى معلومات علمية، وفي مقابل ذلك عليه رعاية حيوانات التجارب رعاية يتوفر فيها القدر اللازم من الرحمة.

ومع عدم الإخلال بالأحكام العامة الواردة في هذا الميثاق فإنه بقصد توفير العناية لحيوانات التجارب يلتزم الأخصائي النفسي بما يلي:

أ. أن يكون عارفاً بأساليب رعاية حيوانات التجارب وتوفير أنواع الطعام المخصصة لها، وأن يتأكد أن مساعديه لهم نفس الدراية والخبرة.

ب. أن يقلل ما أمكن من احتمالات تعرض حيوانات التجارب للخطر أو الألم (مثل الصدمات الكهربائية – أو الحرمان من الطعام) إلا إذا كان التعريض هو أمر أساسي في التجربة العلمية.

ج. إذا استلزم التصميم التجريبي لبحث ما إجراء جراحة للحيوان، فإن ذلك يتم بواسطة طبيب بيطري متخصص يولي الحيوان الرعاية الصحية اللازمة.

د. إذا كان من الضروري إنهاء حياة الحيوان لأسباب قاهرة (مثل كون الحيوان مصدر عدوى أو خطر) فإن ذلك يجب أن يتم بأدنى قدر ممكن من الألم بالنسبة للحيوان.

ملحق (5)

قائمة بالشركات العالمية لتوزيع الاختبارات النفسية

- ADI Auxiliary Publications Project, Photoduplication Service, Library of Congress, Washington, DC 20540.
- American Guidance Service, Publisher's Building. P.O. Box 99, Circle Pines. MN 55014-1796.
- Anders University Press, Berrien Springs, MI 49104.
- ASIS/NAPS Microfiche Publications. P.O. Box 3513, Grand Central Station. New York, NY 10017.
- Biometrics, Research Dept., New York State Psychiatric Institute, 722 W. 168W. 168th st. New York, NY 10032.
- Bruce, Martin M., Publishers, 50 Larchmont Road, Box 248, Larchmont, NY 10538.
- Bureau of Educational Measurements, Emporia State University, Box 18, 1200 Commercial, Emporia, KA 66801-5087.
- Cambridge University Press. 32 E 57 Street, New York NY 10022.
- Camelot Behavioral Systems, P.O. Box 3447, Lawrence, KS 66044.
- Carney, Weedman and Associates, 2223 El Cajon Boulevard, Suite 307, San Diego, CA 92104.
- Center de Psychologie Applique, Department Editions, Square Jouvenet Paris, France 16e, Mir 68-50.
- Century Diagnositics, 2010 E. Broadway, Suite 22, Tempe, AZ 85282.
- CTB/McGraw Hill, Del Mote Research Park, 2500 Garden Road, Monterey, CA 9340-5380.
- Consulting Psychologists Press, Inc., 577 College Avenue, Palo Alto, CA 94306.
- Department of Mental Health Sciences. Hahemann Medical College and Hospital, 230 North Broad Sreet, Philadelphia, PA 19102.
- Development Publications, 5605 Lamar Road, Bethesda, MD 20816.
- Diagnostic Specialists, 1170 North 660 West, Orem, UT 84057.
- DLM Teaching Resources, One DLM Park, P. O. Box 4000, Allen, TX 75002.

  EdITS/ Educational and Industrial Testing Service, P. O. Box 7234, SanDiego, CA 92107.
- Educational Testing Service, Rosedale Road, Princeton, NJ 08541-0001.
- Educators' Employers' Tests & Services Assn, 120 Detzel Place, Cincinnati, OH 45219.

- Evaluation Research Associates, P. O. Box 6503, Teall Station, Syracuse, NY 13217.
- William Fullard, Department of Educational Psychology, Temple University, Philadelphia, PA 19122.
- Moliy R. Harrower, 2841 NW 4 Lane, Gainesvill, FL 32607.
- Robin L. Hegvik, 307 North Wayne Avenue, Wayne, PA 19087.
- Institute for Personality and Ability Testing Inc., P. O. Box 188, Champaign, IL 61820.
- Jastak Associates Inc., P. O. Box 4460, Wilmington, DE 19807.
- Jung (C.G.) Institute of San Francisco, 2040 Gough Street, San Francisco, CA 94109.
- Life Themes, Inc., P. O. Box 265, Palos Verdes Estates, CA 90274.
- London House Inc., 1550 Northwest Highway, Park Ridge, IL 60068.
- Mafex Association. Inc., 90 Cherry Street, Box 519, Johnstown. PA 15907.
- Manual Moderno, Avenue Sonora 206, Col. Hipodromo, 06100, Mexico D. F., Mexico.
- Albert Mehrabian, 9305 Beverlyscret Drive, Beverly Hills, CA 90210.
- Charles E. Merrill Publishing Company, 1300 Alum Greek Drive, Box 508, Columbus, OH 43216.
- National Computer System, P. O. Box Minneapolis, MN 554440.
- Pro. ed, 5341 Industrial Oaks Boulevard, Austin TX 78735-8898.
- Psychological Assessment Resources, Inc. (PAR)., P. O. Box 998, Odessa, FL 33556-0998.
- Psychological Corporation (The), 555 Academic Court, San Antonio, TX 78204-0952.
- Psychological Publications, Inc., 5300 Holloywood Boulevard, Los Angeles, CA 90027.
- Psychological Services, International Inc., Main Street Worcester, MA 10608.
- Psychological Test Specialists, Box 9229, Missoula, MT 59807.
- Psychologists and Educators Inc., 211 west State Street, Jacsonville, IL 52650.
- Psychometric Affiliates, Box 807, Murfreesboro, TN 27133.
- Publishers Test Service, 2500 Garden Road, Monterey, CA 93940-5380.

  Purdue Research Foundations, Attn: William K. Lebold, Educational Research and Information Systems, Engineering and Administration Bldg. Purdue University, West Lafayette, IN 9707.
- Research Psychologists Press, Inc., 11110 Military St., P. O. Box 984 Port Huron, MI 48961-0984.

- Riverside Publishing Company (The), 8420 Bryn Mawr Avenue, Chicago, IL 60631.
- Scholastic Testing Service, Inc., 480, Meyer Road, P. O. Box 1056, Bensenville, IL 60106.
- Science Research Associates, Inc., P. O. Box 5380 155 North Wacker Drive, Chicago, IL 60606.
- Sheridan Psychological Inc., P. O. Box 6101 Orange, CA 92663-6101.
- Springer Publishing Co., 200 Park Avenue South, New York, NY 10003.
- Stoeling Company, 1350 South Kostner Avenue. Chicago, IL 60623-1196.
- Tests in Micorfiche, Test College, Educational Testing Service, Princeton, NJ 08541.
- Western Psychological Services, 12031 Wilshire Boulevard, Los Angeles, CA 90025.
- Psychological Services, International Inc., 311 Main Street Worcester, MA 10608.
- Psychological Test Specialists, Box 9229, Missoula, MT 59807.
- Psychometric Affiliates, Box 807, Murfreesboro, TN 27133.
- Publishers Test Service, 2500 Garden Road, Monterey, CA 93940-5380.
- Purdue Research Foundations, Attn: William K. Lebold, Educational Research and Information Systems, Engineering and Administration Bldg. Purdue University, West Lafayette, IN 9707.
- Research Psychologists Press, Inc., 1110 Military St., P. O. Box 984 Port Huron, MI 48961-0984.
- Riverside Publishing Company (The), 8420 Bryn Mawr Avenue, Chicago, IL 60631.
- Scholastic Testing Service, Inc., 480, Meyer Road, P. O. Box 1056, Bensenville, IL 60106.
- Science Research Associates, Inc., P. O. Box 5380 155 North Wacher Drive, Chicago, IL 60606.
- Sheridan Psychological Inc., P. O. Box 6101 Orange, CA 92663-61010.
- Springer Publishing Co., 200 Park Avenue South, New York, NY 10003.
- Stoeling company, 1350 South Kosmer Avenue, Chicago, IL 60623-1196.
- Tests in Micorfiche, Test College, Educational Testing Service, Princeton, NJ 08541.
- Western Psychological Services, 12031 Wilshire Boulevard, Los Angelos, CA 90025.

ملحق (6)

مصطلحات في علم النفس باللغة الإنجليزية مترجمة إلى اللغة العربية

- Ability: Power to perform an act Physical of mental after training.
- القدرة: هي الكفاءة في أداء عمل ما سواء كان بدنياً أو عقلياً بعد التدريب عليه.
- Abnormal Psychology: Field of psychology concerned with the study, assessment, treatment, and prevention of abnormal behavior.
- علم نفس الشواذ: فرع من علم النفس يهتم بدراسة السلوك المرضي أو الشاذ وقياس هذا السلوك وعلاجه والوقاية منه.
- Accident: Unusual, unpredictable event, usually harmful.

حادثة: أي أمر يقع دون توقع وعلى غير المألوف وعادة ما يكون ضاراً.

- Accident proneness: Tendency toward accidents because of personality factors, such as unconscious motives.
- الاستهداف للحوادث: الميل إلى التورط في الحوادث لأسباب متعلقة بعوامل في الشخصية مثل وجود دوافع لا شعورية.
- Accident – prone personality: Personality type marked by such characteristics as impulsiveness and risk taking that leads to high rates of accidents.
- الاستهداف للحوادث: (أو الشخصية المستهدفة للحوادث) نمط من الشخصية يتسم بخصائص مثل الاندفاعية وركوب المخاطر مما يؤدي إلى ارتفاع معدلات الوقوع في الحوادث.
- Acquired Drive: A need or motive that had been Learned through one's life as opposed to innative drive.
- دافع مكتسب: هو حاجة أو دافع اكتسبه الفرد خلال حياته عن طريق التعلم في مقابل الدافع الفطري.
- Achievement motive: (Mc Cleland) A concern to improve and to do things better.
- دافع الإنجاز: هو الاهتمام بالتحسين وتأدية الأعمال بصورة طيبة (تعبير صاغه مالك ليلاند).
- Adjustment: Outcome of the individual's efforts to deal with stress and meet his needs.
- التوافق: هو المحصلة النهائية لجهود الفرد في كيفية التعامل مع الضغوط النفسية وأساليب تحقيق حاجاته.

- Adjustment disorders: Catugory of disorders in which individual has difficulty in adjusting to stress.
- اضطرابات التوافق: مجموعة من الاضطرابات يبدي فيها الفرد صعوبة في التكيف مع الضغوط النفسية.
- Aggression: Behavior aimed at hunting or destroying someone or something.
- العدوان: سلوكيات تهدف إلى إيقاع الأذى أو التدمير بأحد الأشخاص أو أحد الأشياء.
- Alcoholic: Individual with serious drinking problems, these problems impair all aspects of his life.
- مدمن الخمر: هو شخص يعاني من مشكلات ناتجة عن تعاطي الخمور هذه المشكلات تفسد جميع مظاهر حياته.
- Alzheimer's disease: A dementia marked by memory and intellectual deterioration due to diffuse denegation of the brain occurring in old age.
- مرض الزهيمر: هو اضطراب يتميز بتدهور في عمليات الذاكرة والعمليات العقلية ويرجع إلى خلل عام في المخ ويحدث عند كبار السن.
- Ambivalence: Holding strong positive and negative emotional attitudes towards the same person.
- التناقض الوجداني: هو وجود اتجاهات أو حالات انفعالية قوية تتسم بالإيجابية من جهة والسلبية من جهة أخرى (أي متناقضة) حيال نفس الشخص.
- Amphetamine: One type of drug that produced psychologically stimulating and energizing effect.
- الامفيامين: هو عقار يحدث (عند تعاطيه) التنشيط وتحفيز الطاقة على المستوى السيكولوجي.
- Applied psychology: The utilization of theories and principles developed thorough psychology for practical ends.
- علم النفس التطبيقي: هو توظيف النظريات والمبادئ التي توصل إليها علم النفس لأهداف عملية تطبيقية.

Apprenticeship: Learning a trade from the teaching of skilled crafts person.

- التلمذة الصناعية: تعلم حرفة عن طريق تلقي التعليم أو التدريب من شخص حرفي ماهر.

- Aptitude: The capacity to acquire a skill through training.
  - الاستعداد: هو طاقة الفرد وكفاءته لاكتساب خبرة معينة خلال التدريب.
- Analytical psychology: The school psychology developed by Carl Jung.
  - علم النفس التحليلي: مدرسة من مدارس علم النفس أسسها (كارل يونج).
- Anxiety: A pervasive feeling of dread, apprehension and impeding disaster.
  - القلق: مشاعر ضارة تضمن الفزع والخوف وتوقع حدوث المصائب.
- Anger: Reaction of tension and hostility aroused by frustration or threats. Feeling of anger involve such autonomic responses in blood pressure and heart rate that serve to put the organism in war footing.
  - الغضب: استجابة تتضمن التوتر والكراهية تُستثار بواسطة التهديد أو الإحباط، وتؤدي مشاعر الغضب إلى استجابات لا إرادية تظهر في تغير ضغط الدم وتسارع ضربات القلب مما ساعد على جعل الكائن الحي في وضع القتال.
- Army general classification test: a group intelligence test developed in World War II to classify inductees according to their ability to learn military duties. There Subtests (vocabulary, arithmetic, block counting) were used to measure verbal comprehension, quantitative reasoning and spatial perception.
  - اختبار الجيش للتصنيف العام: هو اختبار جمعي أعد إبان الحرب العالمية الثانية لتصنيف المجندين طبقاً لقدرتهم على تعلم الواجبات أو التكاليف العسكرية، يتضمن ثلاثة اختبارات فرعية (المفردات، الحساب، بناء المكعبات) وذلك لقياس الفهم اللغوي، الاستدلال الكمي، والإدراك المكاني.
- Army tests: Group intelligence tests for classifying inductees, developed by Yerkes and others during Word War I. The Alpha verbal test measured information, reasoning and ability to follow directions, the Beta test presented nonverbal problems to illiterate subjects and foreigners who were not proficient in English.
  - اختبارات الجيش: هي اختبارات ذكاء لتصنيف المجندين، قام على إعدادها "يركس" وآخرون خلال الحرب العالمية الأولى وهي: اختبار "ألفا" لفظي ويقيس المعلومات، الاستدلال، القدرة على متابعة التعليمات واختبار "بيتا" يتضمن أسئلة غير لفظية تتناسب مع المفحوصين من الأميين أو الأجانب الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية.

- Assimilation: The tendency of fit an account or a rumor into one's own attitudes or expectations.
- التمثيل: الرغبة في مواءمة أو تكييف حادثة أو إشاعة من خلال اتجاهات الفرد أو توقعاته.
- Attention: a state of conscious or awareness, accompanied by sensory clearness and readiness for response to stimuli, the act of focusing on specific aspects of the environment.
- الانتباه: حالة من الشعور أو الوعي يصاحبها وضوح الإحساس تتضمن الاستعداد للاستجابة للمثيرات. أو هو عملية التركيز على جوانب معينة في البيئة.
- Attention deficit disorder: Maladaptive behavior in children characterized by impulsivity, excessive motor activity, and inability to focus attention for appropriate periods of time.
- اضطراب نقص الانتباه: هو سلوك غير توافقي عند الأطفال يتسم بالاندفاعية والنشاط الزائد والعجز عن تركيز الانتباه لمدة كافية من الوقت.
- Attention overload: a psychological condition that results from excessive demands for attention to intense and uncontrollable stimuli.
- زيادة الحمل الانتباهي: حالة نفسية تنشأ من الانتباه للعديد من المثيرات الشديدة في نفس الوقت ولا يمكن الحد منها.
- Attitude: a relatively stable predisposition to react in a specific way to a person, a group or idea.
- اتجاه: هو ميل ثابت نسبياً للاستجابة بأسلوب معين تجاه شخص أو جماعة أو فكرة.
- Autism: Disorder beginning in infancy characterized by inability of child to relate to others or form normal self-concept.
- التوحدية: اضطراب يبدأ من مرحلة الطفولة يتميز بعدم قدرة الطفل على إقامة علاقات مع الآخرين كما يتميز بعدم قدرته على تكوين مفهوم سوي للذات.
- Aversion Therapy: Form of behavior therapy in which punishment is used to eliminate undesired responses.
- العلاج الكراهية (أو العلاج بالتنفير): أسلوب من العلاج السلوكي يستخدم فيه العقاب كوسيلة للتقليل من الاستجابات غير المرغوبة.
- Behavior: an individual psychological actions, reactions in response to external or internal or internal stimuli.
- السلوك: الأفعال النفسية التي يبديها الفرد كرد فعل أو استجابة لمثيرات خارجية أو داخلية.

- Behavior therapy: Therapeutic procedures based primarily on application of principles of operant conditioning.
- العلاج السلوكي: هو مجموعة من الأساليب العلاجية تعتمد أساساً على تطبيق مبادئ التعلم الإشراطي.
- Biological clock: The mechanism within an organism that controls Periodic changes in various psychological and behavioral functions.
- الساعة البيولوجية: آلية موجودة بالكائن الحي تقوم بضبط التغيرات الدورية في مختلف الوظائف الفسيولوجية والسلوكية.
- Boredom: Loss of interest in a particular actability accompanied by lack of motivation.
- الملل: فقد الاهتمام بنشاط معين يصاحبه نقص في الدافعية.
- Brainstorming: A group problem solving technique in which everyone sets around and lets fly with ideas and possible solutions to the problem at hand.
- إطلاق المخ: أسلوب للحل الجمعي للمشكلات حيث يقوم كل فرد بإطلاق أفكاره وجعلها تدور بقصد إيجاد الحلول الممكنة للمشكلات المطروحة.
- Brainwashing: The combination of coercive propaganda techniques systematically applied to prisoners of war. The ultimate goal is to produce attitude changes through subversion of the prisoner's morale and system of values followed by imposition of a new system of beliefs.
- غسيل المخ: تجميع لأساليب الدعاية توجه إلى أسرى الحرب وهدف غسيل المخ هو إحداث تغيير في الاتجاهات من خلال تدمير الروح المعنوية للأسير وتدمير نسق القيم الخاص به ثم إملاء نسق جديد من المعتقدات.
- Capacity: The maximum effectiveness a person can attain under best conditions of training.
- الأعلى طاقة: أقصى أداء أو أقصى كفاءة يمكن للفرد أن يصل إليها عن طريق أساليب التدريب الجيدة.
- Catharsis: Discharge of emotional tension associated with repressed traumatic material, for example by taking it out.
- التنفيس: هو تفريغ التوتر الانفعالي الناجم عن مواد مكبوتة لخبرات صدمية ويكون التنفيس على سبيل المثال بإطلاق العنان لهذه الخبرات لتخرج إلى حيز الشعور بالطبع.

- Childhood depression: A mood disorder occurring in children.
- الاكتئاب عند الأطفال: هو أحد اضطرابات الحالة المزاجية التي تحدث عند الأطفال.
- Clinical psychology: Field of psychology concerned with the understanding, assessment, treatment, and prevention of maladaptive behavior.
- علم النفس العيادي (الإكلينيكي): فرع من علم النفس يهتم بالسلوك اللاتوافقي من حيث فهم هذا السلوك وقياسه وعلاجه والوقاية منه.
- Combat fatigue: A state of physical and emotional exhaustion precipitated by the stresses and anxieties of combat. (also called combat exhaustion).
- تعب المعارك: حالة من الإنهاك النفسي والجسمي يحدث بسبب الضغوط النفسية ومظاهر القلق المصاحبة للمعركة.
- Combat hysteria: A functional disorder manifested by some soldiers in combat as a mean of avoiding further exposure to danger.
- هستيريا المعارك: هو اضطراب وظيفي يظهر على بعض الجنود أثناء المعارك الحربية كوسيلة هروبية لتجنب التعرض لمزيد من الأخطار (له أعراض مثل الشلل الهستيري).
- Compensation: The development of one area to offset real or imagined deficiency in another.
- التعويض: هو تنمية جانب من (إمكانيات الشخص) للتغطية على شعور حقيقي أو متوهم بالنقص في جانب آخر.
- Complex: A group or system of related ideas or impulses having an emotional meaning which are partly or totally repressed because they are in conflict with the ego and / or the superego.
- عقدة نفسية: هي مجموعة أو نسق من الأفكار والاندفاعات ذات روابط أو دلالات انفعالية مكبوتة جزئياً أو كلياً لأنها في حالة من الصراع مع الأنا أو الأنا الأعلى أو كليهما.
- Compulsion: An irrational and repetitive impulse to perform some acts.
- الوسواس القهري: هو اندفاع متكرر وغير منطقي لممارسة سلوكيات بعينها (كغسل الأيدي عشرات المرات يومياً).

- Compulsive personality. A personality disorder characterized by excessive concern with rules and efficiency.
- الشخصية الوسواسية: هو اضطراب للشخصية يتمثل بالاهتمام الزائد والمبالغ فيه على مراعاة القواعد والأنظمة والأداء عالي الكفاءة.

Conflict; Simultaneous arousal opposing impulses, distress of motives. A state of being between competing forces.

- الصراع النفسي: هو تعارض بين دوافع الفرد ورغباته واندفاعاته أو هو حالة من كون الفرد بين قوى متنافسة.
- Conscience: An individual's system of moral values, equivalent to Freudian concept of super-ego.

الضمير: هو نسق من القيم الأخلاقية يتخذه الفرد، هو مفهوم الأنا الأعلى حسب نظرية فرويد.

- Consumer psychology: A branch of psychology that studies the attitudes, motivation, and behavior related to buying and using goods and services.
- علم نفس المستهلك: (سيكولوجية المستهلك) فرع من علم النفس يهتم بدراسة الاتجاهات والدوافع والسلوكيات المرتبطة بشراء السلع والإقبال على الخدمات.
- Correlation: A relationship that exists between two variables.
- الارتباط: علاقة توجد بين متغيرين.
- Correlation Coefficient: Numerical index that indicates the degree of relationship of two variables.
- معامل الارتباط: هو مؤشر عددي يدل على مدى الارتباط بين متغيرين.
- Differential Psychology: Branch of psychology that focuses on the individual differences in behavior.
- علم النفس الفارق: أحد فروع علم النفس يركز على دراسة الفروق بين الأفراد في جوانب السلوك المختلفة.
- Dominance: Tendency to control others.
- السيطرة: الميل إلى التحكم في الآخرين.
- Down's Syndrome: From of mental retardation associated with chromosomal anomalies.
- عرض دون: هو أحد أنماط الضعف العقلي ويرتبط بالشذوذ الكروموزومي (يسمى كذلك المنغولية).

- Dreams: Sensations, images, thoughts and emotions experiences in sleep.
- الأحلام: احاسيس وصور ذهنية وأفكار وانفعالات تقع أثناء النوم.
- Drug addiction: Psychological and psychological dependence on a drug.
- إدمان العقاقير (المخدرة): هو الاعتماد الفسيولوجي والسيكولوجي على أحد العقاقير.
- Daydream: A waking fantasy, in which conscious unconscious wishes are fulfilled in imagination.
- أحلام اليقظة: هي تصورات وهمية في اليقظة فيها تتحقق الرغبات الشعورية أو اللاشعورية.

Defense mechanisms: In psychoanalytical theory, any behavior pattern that protects the psyche from anxiety, shame or guilt.

- حيل دفاعية: حسب نظرية التحليل النفسي الفرويدية أي نمط سلوكي من شأنه حماية النفس أو الأنا من مشاعر القلق والخجل والشعور بالذنب.
- Delusion: Firm belief opposed to reality but maintained in spite of strong evidence to the contrary.
- ضلالة: اعتقاد جازم (يعتقده الفرد) بصورة دائمة رغم وجود أدلة قوية على عدم صحته.
- Delusion of persecution: False belief that one is being mistreated or interfered by ones enemies.
- ضلالات الاضطهاد: اعتقاد خطأ لدى الفرد أن الآخرين أعداء يسيئون إليه.
- Depersonalization: Loss of sense of personal identity.
- فقد الآنية (التخارج عن الذات): فقد الشعور بالهوية الذاتية.
- Depression: An emotional state of persistent dejection, ranging from relatively mild discouragement and gloominess to feeling of extreme despair.
- الاكتئاب: حالة انفعالية تتضمن لشعور الدائم بالغم تتراوح من الشعور بالضيق وضعف الهمة إلى الشعور باليأس الشديد أو القنوط.

Delinquency: Antisocial or illegal behavior by a minor.

- انحراف الأحداث: أي سلوك مضاد للمجتمع أو مضاد للقانون يمارسه صغير السن.

- Dexterity: Skill and ease in using the hands and fingers.

المهارة اليدوية: الكفاءة والسير في استخدام الأيدي والأصابع.

- Dexterity test: Sensory motor test that requires both speed and accuracy in using hands and fingers.

- اختبار المهارة اليدوية: مقياس أدائي عملي يتطلب النجاح فيه السرعة والدقة في استخدام الأيدي والأصابع.

- Ego: In psychoanalytic theory, the rational system of personality which mediates between id and superego demands. More generally the individual self concept.

- الأنا: حسب نظرية التحليل النفسي (الفرويدية) يعتبر الأنا الجانب «العقلاني» من الشخصية يكون وسيطاً بين الهو (باندفاعاته) والأنا الأعلى (بضوابطه). وعامة يشير مصطلح الأنا إلى مفهوم الذات بالنسبة للفرد.

- Egocentric: Preoccupied with one's own concerns and relatively insensitive to the concerns of others.

- التمركز حول الذات: انشغال الفرد الزائد باهتماماته الخاصة، وعدم الاكتراث باهتمامات الآخرين.

- Electra complex: In psychoanalytical theory an excessive emotional attachment (love) of a daughter for her father.

- عقدة ألكترا: حسب نظرية التحليل النفسي (الفرويدية) تدل عقدة ألكترا على التعلق العاطفي المفرط أو الحب من قبل الطفلة تجاه أبيها.

- Emotion: A complex reaction pattern of changes in nerves, visceral and skeletal – muscle tissues in response to stimulus.

- انفعال: هو نمط من الاستجابة المركبة تتضمن تغيرات تقع على مستوى الجهاز العصبي والجهاز الدوري والجهاز الهيكلي العضلي للاستجابة حيال أحد المثيرات.

- Engineering psychology: Study of relationship between human beings and machines and adjusting the design of machines to human capacities.

- علم النفس الهندسي: هو دراسة للعلاقة بين الإنسان والآلة (التي يعمل عليها) وتكييف تصميم الآلات بحيث تتناسب والإمكانيات البشرية.

- Eros: Freud's term that means sexual drive or libido.

- إيروس (الحب): هو مصطلح فرويدي يشير إلى الدافع الجنسي أو الليبيدو.

- Extinction: Gradual disappearance of a conditioned response when it is no longer reinforced.

الانطفاء: هو الاختفاء التدريجي للاستجابة الإشراطية حين ينقطع عنها التدعيم.

- Extraversion: Personality type oriented toward the outer world of people and things rather the self.

- الانبساط: هو نمط للشخصية يتميز بالاتجاه نحو العالم الخارجي من الناس والأشياء أكثر من الاتجاه نحو الذات.

- Equity theory: A motivation theory proposed by Adams that emphasizes the effects of the balance between what is given and what is received.

نظرية العدالة والإنصاف: هي نظرية لتفسير الدافعية قدمها آدمز تؤكد على أهمية (قيام العامل) بالموازنة بين ما يعطى من مجهود وما يتقاضى من أجر.

- ERG theory: A motivation theory proposed by Alderfer that emphasizes needs for existence, relatedness and growth.

- نظرية الحاجات الثلاث: هي نظرية لتفسير الدافعية قدمها الدرفر تؤكد أهمية حاجات ثلاث هي: الوجود والبقاء ثم الانتماء ثم النمو.

- Expectancy theory: A motivation theory proposed by Vroom that emphasizes the effects of expectations about work performance in determining motivation.

- نظرية التوقع: نظرية لتفسير الدوافع قدمها فروم تؤكد على أهمية توقعات العامل عن (كفاءة أو جدوى) أدائه بما يؤثر على دافعيته.

- Fatigue: A usually transient state of discomfort and loss of efficiency as a normal reaction to emotional strain, physical exertion, boredom or lack of rest.

- التعب: حالة مؤقتة تتضمن الشعور بعدم الراحة وتدني مستوى الكفاءة بوجه عام، كاستجابة للتوتر الانفعالي والإجهاد الجسمي والملل وعدم وجود فترة للراحة.

- Fear: An intense emotion aroused by a recognized threat involving a feeling of unpleasant tension, a strong impulse to escape and mobilization of the organism for flight or fight.

- الخوف: انفعال شديد وعميق يستثار عن طريق تهديد مباشر ويتضمن (أي الخوف) شعوراً بتوتر وضيق ورغبة اندفاعية قوية للفرار وجاهزية للكائن الحي للتصرف إما بالهرب وإما بالهجوم.

- Halo effect: When raters judge performance as being good or bad on basis of one outstanding trait.

- تأثير الهالة: هو الحكم على الأداء من حيث كونه جيداً أو رديئاً على أساس تقييم جانب واحد فقط ظاهر للقائم بعملية التحكيم.
- Hallucinations: Sense perception for which there is no appropriate external stimulus.
- هلاوس: مدركات حسية يعاينها الشخص دون أن تكون هناك مثيرات حقيقية.
- Handicapped: An individual who is unable to participate freely in activities that are normal for his age because of a mental or physical abnormality.
- المعاق: هو شخص لا يستطيع المشاركة بكفاءة في المناشط التي تتناسب مع مستواه العمري – وذلك بسبب شذوذ جسمي أو عقلي.
- Hawthorne studies: Early field experiments done at the Hawthorne plant of Western Electric Company noted for unexpected finding that the social conditions affect work.
- دراسات هـاوثورن: تجارب ميدانية أجريت في مصنع هاوثورن التابع لشركة الكهرباء الغربية (خلال عشرينات القرن العشرين) وأسفرت عن نتائج غير متوقعة عن الأثر الفعل للعوامل الاجتماعية على أداء العمل.
- Hierarchy of needs: A theory of motivation developed by Maslow maintaining that there is a hierarchy of five needs. Physiological, safety, social, esteem and self actualization. And as each need is satisfied the next need becomes dominate.
- سلم الحاجات: نظرية تفسير الدافعية قدمها «ماسلو» وهذه النظرية تقول إن هناك خمس حاجات مرتبة على شكل سلم وهذه الحاجات هي: الفسيولوجية، الأمن، الحاجات الاجتماعية، تقدير الذات، تحقيق الذات، وعندما ترضى إحدى هذه الحاجات فإن الحاجة التي تتلوها في السلم تصبح ملحة وتتطلب الإرضاء.

Hypnosis: Trancelike mental state induced in a cooperative subject by suggestion.

- التنويم المغناطيسي: حالة تحدث فيها غشية عقلية أو نعاس ذهني تقوم على تقبل الشخص المنوم للإيحاء.
- Hypnotic regression: Process by which subject is brought to relive under hypnosis early forgotten or repressed experiences.
- نكوص التنويم: عملية يتمكن فيها الشخص تحت تأثير التنويم المغناطيسي من استحياء الخبرات المنسية والمكبوتة وتذكرها.

- Hysteria: Old term used to include conversion disorders, involves the appearance of symptoms of organic illness in the absence of any related organic pathology.
- الهستيريا: مصطلح علمي قديم يشير إلى مجموعة من الاضطرابات التحويلية تظهر في صورة أعراض لأمراض بدنية (مثل الشلل الهستيري أو العمى الهستيري) دون وجود خلل عضوي.

Id: In psychoanalysis the collective name for the instinctual, and biological drives.

- الهو: طبقاً لنظرية التحليل النفسي فإن هذا اللفظ يشير إلى مجموعة الدوافع الفطرية البيولوجية.
- Inferiority complex: Strong repressed feeling of inadequacy which color an individual's entire adjustment efforts and resulting defensive and compensatory behavior (coined by Adler).

عقدة النقص: شعور شديد بالنقص أو عدم الكفاية تم كبته مما يؤثر على محاولات الفرد للتوافق ويؤدي إلى سلوكيات دفاعية وتعويضية (هذا المصطلح صكه أدلر).

- Insanity. Legal term for mental disorder implying lack of responsibility for one's acts and inability to manage one's affairs.
- الجنون: هو مصطلح قانوني يشير بوجه عام إلى الإصابة بالمرض العقلي مما يترتب عليه عدم مسؤولية الشخص عن أفعاله وعدم قدرته على إدارة شؤون حياته.
- Intelligence:
  - The ability to meet and adapt the new situations quickly and effectively.
  - The ability to utilize abstract concepts effectively.
  - The ability go grasp relationships and to learn quickly.
- الذكاء:
  - القدرة على مواجهة المواقف الجديدة والتكيف معها بسرعة وكفاءة.
  - القدرة على التعامل مع المفاهيم المجردة بكفاءة.
  - القدرة على فهم العلاقات بين الأشياء والتعلم بسرعة.
- Introversion: Direction of interest towards one's inner world of events and objects rather that external world.
- الانطواء: هو توجه اهتمام الشخص لعالمه الداخلي وما يحتوي من أحداث وأشياء أكثر من الاهتمام بالعالم الخارجي.

- Insomnia: Temporary sleeplessness usually caused by physical and psychological factors.

- الأرق: هو حالة مؤقتة من تعذر اجتلاب النوم عادة ما تحدث بسبب عوامل بدنية ونفسية.

- Instinct: An inborn behavior pattern that appears in every member of species. According to Freud death instinct (thanatos) is a universal impulse to aggression and war.

- غريزة: هو نمط سلوكي ولادي يظهر في جميع أفراد النوع. وطبقاً لنظرية فرويد فإن غريزة الموت «ثاناتوس» هو دافع عام للحرب والعدوان.

- Isolation: Ego-defense mechanism in which contrary attitudes, feeling and other patterns of behavior are kept apart as if isolated form each other.

- العزل: هو حيلة دفاعية للأنا والتي يتم فيها فصل الاتجاهات والمشاعر المتناقضة وغيرها من مظاهر السلوك بعضها عن بعض وكأنها معزولة كل منها عن الآخر.

- Job analysis: The collection of information on a specific job from supervisors or through questionnaires and films. The information includes work descriptions, work behavior, tools, working conditions, and skills involved in the job.

- تحليل العمل: عملية جمع المعلومات عن عمل معين من المشرفين أو من خلال الاستبيانات أو من خلال الأفلام. وهذه المعلومات تتضمن وصف العمل وسلوكيات العمل والأدوات المستخدمة فيه هذا إلى جانب وصف ظروف العمل والمهارات المتعلقة به.

- Job satisfaction: The attitude, of a worker towards his job expressed as a response of linking or disliking the work itself and the factors connected with the job such as peyment and work conditions.

- الرضا عن العمل: هو موقف العامل تجاه العمل وهو تعبير عن استجابة بالحب أو الكره حيال العمل والعوامل المرتبطة به مثل ظروف العمل والأجور.

- Laissez fair leadership: A style of leader behavior in which followers are given complete freedom.

- القيادة بأسلوب ترك الحبل على الغارب: هو نمط من سلوكيات القائد فيه يعطى لاتباع الحرية المطلقة.

- Leadership: The capacity to influence the actions and the attitudes of individuals or groups through such means as organizational skill and

the power of personality and in general the ability to evoke the cooperation and commitment of others.

- القيادة: قدرة شخص على ممارسة تأثير على سلوكيات واتجاهات الأفراد والجماعات عن طريق المهارات التنظيمية والتأثير الشخصي والقيادة بوجه عام هي القادرة على حث الآخرين على التعاون والتكاتف.
- Learning: Modification of behavior as a consequence of experience.
- التعلم: هو تحسن لسلوك نتيجة التدريب أو الخبرة.

Level of aspiration: The level of setting up one's goals, or the level of performance which he aspires.

- مستوى الطموح: هو المستوى الذي يهدف الفرد إلى الوصول إليه أو هو مستوى الأداء الذي يطمح إلى تحقيقه.
- Life style: The general patterns of assumptions, motives and cognitive styles that characterize the behavior (coined by Adler).
- أسلوب الحياة: هو النسق أو الإطار العام من التوجهات والدوافع والأساليب المعرفية التي تميز سلوك أحد الأشخاص (هذا المصطلح صكه أدلر).
- Maladjustment: Enduring failure to lack of harmony with self and environment.
- سوء التوافق: هو فشل دائم في التوافق وعجز في المواءمة بين الشخص وبيئته.
- Managemental psychology: A branch of psychology which is concerned with the manipulation and direction of people and their work environment in order to obtain more effective results.
- علم النفس الإداري: فرع من علم النفس يهتم بتوجيه الأفراد وإدارة ظروف العمل بطرق تحقق النتائج المرجوة.
- Manic-depressive psychoses: A group of psychotic disorders characterized by prolonged periods of excitement and over activity (mania) or by periods of sadness and under activity (depression).
- ذهان الهوس -الاكتئاب-: هو مجموعة من الأعراض الذهانية يتعرض المريض فيه لفترات من الإثارة والنشاط الزائد (الهوس) أو لفترات من الحزن وانحسار النشاط (الاكتئاب).
- Mental health: A state of being in a high level of behavioral and emotional adjustment, or simply not mentally ill.

- الصحة النفسية: كون الفرد في حالة التوافق السلوكي والانفعالي أو أن يكون خالياً من المرض النفسي أو العقلي.
- Mental measurement: The use quantitative methods in measuring psychological abilities. (also called mental testing).
- القياس العقلي أو النفسي: استخدام الطرق الكمية في تقدير أو قياس القدرات العقلية والنفسية (يسمى أيضاً الاختبارات النفسية أو العقلية).
- Military psychology: The branch of applied psychology concerned with evaluation, selection and training of military personal and application of clinical and counseling techniques to the maintenance of morale and mental health.
- علم النفس الحربي: هو فرع تطبيقي من علم النفس يهتم باختيار وتقييم وتدريب الأفراد العسكريين، كما يهتم بتطبيق الأساليب الإكلينيكية والإرشادية للحفاظ على الروح المعنوية والصحة النفسية.
- Morale: The attitude or spirit in individuals or in group characterized by the presence of confidence, strong motivation to continue, cheerfulness, and good organization.
- الروح المعنوية: هو اتجاه أو حالة نفسية في الأفراد أو الجماعة تتميز بوجود الثقة بالذات ودافعية قوية للاستمرار وحسن التنظيم والشعور بالابتهاج.
- Moron: Term formerly used to refer to mild degree of mental retardation.
- المأفون: هو مصطلح كان يستخدم سابقاً، يشير إلى الضعف العقلي الخفيف أو المعتدل (نكرر أن هذا المصطلح لا يستخدم الآن).
- Motive: The state of tension within the organism that arouses and directs behavior towards a goal.
- الدافع: حالة من التوتر توجد لدى الكائن الحي من شأنها أن تثير السلوك وتوجهه نحو هدف معين.
- Narcissistic personality: A personality disorder characterized by grandiosity and an exaggerated sense of self importance.
- الشخصية النرجسية: هو أحد اضطرابات الشخصية يتسم بالتضخم والمبالغة في الشعور بأهمية الذات.
- Narcolepsy: Disorder characterized by transient compulsive state of sleepiness.
- الخدار النومي: هو أحد اضطرابات النوم يبدو في نوبات عابرة أو مفاجئة في الانغطاط في النوم لا يمكن مقاومتها.

- Nightmare: A dream depicting fearful events and marked by acute anxiety.
- الكابوس: حلم ترتسم فيه أحداث مخيفة ويتميز بالقلق الحاد.
- Norms: A summary of the performance of a group of individuals on which a test was standardized, a list of raw scores and the corresponding transformed scores, such as percentiles and standard scores.
- المعايير: هي تلخيص لأداء مجموعة من الأفراد قنن على أساسها الاختبار النفسي وتتضمن قائمة بالدرجات الخام وما يقابلها من درجات محولة مثل المئينيات والدرجات المعيارية.
- Obsession: Persistent idea or through with an individual recognizes as irrational but cannot get rid of.
- لوسواس: هو فكرة أو اعتقاد يلح على الشخص إلحاحاً شديداً رغم التيقن من عدم معقولية الفكرة أو الاعتقاد ولكن لا يستطيع الشخص أن يتخلص منها.
- Oedipus complex: In Freudian theory, the desire of male child to possess his mother sexually and to eliminate the father rival.
- عقدة أوديب: حسب النظرية الفرويدية هي رغبة الطفل الذكر في الاستحواذ على الأم والاتجاه نحوها بالحب مع الرغبة في استبعاد الأب الغريم أو المنافس.

Overprotection: Shielding a child to the extent that the becomes too dependent on the parent.

- الحماية الزائدة: الإسراف في رعاية الطفل إلى المدى الذي يجعله شديد الاتكال على الوالدين.
- Panic: An acute reaction involving terror confusion and irrational behavior precipitated by threatening situation such as an earthquake, fire, or combat condition.
- الهلع: هو استجابة حادة تتضمن الشعور بالرعب والقيام بسلوك غير منطقي ناشئ من موقف يمثل مصدراً للتهديد مثل زلزال أو حريق أو ظروف المعارك الحربية.
- Paranoia: Psychosis characterized by systematic & delusional system.
- جنون الهذاء: مرض ذهاني يتميز بنسق اعتقادي مبني على الأوهام أو الضلالات.
- Personality: The configuration of characteristics and behavior that comprises and individual's unique adjustment to life, including major traits interests, drives, values and abilities.
- الشخصية: مجموعة من الخصائص السلوكية التي تشكل الأسلوب الفريد للتوافق مع الحياة الذي يميز الفرد وتتضمن الشخصية السمات الرئيسية والدوافع والقيم والقدرات.

- Personality psychology: The systematic study of human personality.
- علم نفس الشخصية: هو الدراسة العلمية المنهجية للشخصية الإنسانية.
- Personnel psychology: The study of individual differences, placement, promotion and advising in matters relating to employment.
- علم نفس الأفراد: هو دراسة الفروق الفردية في مجال التوظيف والترقية وتقديم المشورات (العلمية) في المجال.
- Personal training: An industrial training program designed to achieve such goals as development of knowledge and skills through learning procedures such as lectures and audiovisual aids and laboratory training.
- تدريب الأفراد: هو برنامج للتدريب الصناعي يعد لتحقيق أهداف عدة مثل تطوير المعلومات والمهارات خلال الأساليب التعليمية المختلفة مثل المحاضرات والوسائل السمعية البصرية والتدريب المعملي.
- Personal selection: The process of selecting employees according to procedures usually developed by psychologists such as interviews and psychological testing.
- اختيار الأفراد: وهو عملية انتقاء أصلح الموظفين باستخدام أساليب أعدها علماء النفس مثل المقابلات والاختبارات النفسية.
- Play therapy: Use of play activities in psychotherapy with children.
- العلاج باللعب: أسلوب للعلاج النفسي للأطفال يقوم على استخدام الألعاب.
- Pleasure principle: A Freudian concept refers that man is governed by search for pleasure and avoidance of pain.
- مبدأ اللذة: مفهوم يتصل بالنظرية الفرويدية يشير إلى أن الإنسان يرغب بطبعه في تحقيق اللذة وتجنب الألم.
- Psychology: Psychology is the science of studying human and animal behavior.
- علم النفس: علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان والحيوان.
- Psychology, comparative: Branch of psychology which deals with the comparison of behaviors or organisms of different species.
- علم النفس المقارن: فروع من فروع علم النفس يهتم بمقارنة سلوكيات الكائنات الحية من مختلف الأجناس.

- Psychology, developmental: Branch of psychology concerned with the emotional, social and intellectual processes through which the individual goes during the life span from conception to death.
- علم النفس الارتقائي: هو فرع من علم النفس يهتم بدراسة الجوانب الانفعالية والاجتماعية والعقلية التي يمر بها الفرد منذ بداية الحمل حتى نهاية الحياة.
- Psychology, differential: Branch of psychology which studies individual and group psychological differences, their kind, cause, amount and consequences.
- علم النفس الفارق: فرع من علم النفس يدرس الفروق النفسية بين الأفراد والجماعات من حيث مدى هذه الفروق ونوعيتها وأسبابها والآثار المترتبة عليها.

Psychology, educational: Branch of psychology concerned especially with the efficiency of learning by applying psychological knowledge about learning and motivation to practices and procedures in school.

- علم النفس التربوي: فرع من فروع علم النفس يهتم أساساً بتحسين عملية التعليم وزيادة كفاءتها وذلك بتطبيق المعارف النفسية عن التعلم وعن الدافعية على العملية التعليمية في المدرسة.
- Psychology, experimental: The systematic presentation of the methodology and result of an experiment.
- علم النفس التجريبي: فرع من علم النفس يقوم على تقديم عرض منهجي منظم للتجارب النفسية.
- Psychology, general: A set of psychological data and theories which apply to people in general.
- علم النفس العام: هو علم يشتمل على معارف ونظريات نفسية تنطبق على جمهور الناس بوجه عام.
- Psychology, industrial: The branch of applied psychology concerned with the application of psychological techniques and findings to solution of problems arising in the industrial and economic filed.
- علم النفس الصناعي: فرع من علم النفس يهتم بتطبيق النتائج والطرق التي توصل إليها علم النفس لحل المشكلات القائمة في مجال الصناعة والاقتصاد.
- Psychology, social: The branch of psychology concerned with the study of individuals in groups. It deals with psychological processes and interpersonal interactions in groups and between groups.

- علم النفس الاجتماعي: هو فرع من علم النفس يهتم بدراسة سلوك الأفراد في المجتمع من حيث العمليات النفسية وعلاقات الأشخاص داخل الجماعة والعلاقات بين الجماعات.
- Psychological test: A standardized set of questions designed to assess intelligence, mental abilities and personality.
- الاختبار النفسي: أداة مقننة تشتمل على مجموعة من الأسئلة يهدف قياس الذكاء والقدرات العقلية والشخصية.
- Psychiatry: The medical science specially concerned with the study, diagnosis, treatment and prevention of mental disorders.
- الطب النفسي: هو أحد فروع الطب الذي يتهم بدراسة وتشخيص وعلاج الاضطرابات العقلية والوقاية منها.
- Psychohistory: An application of psychological insight to historical research.
- التاريخ النفسي: هو تفسير الأحداث التاريخية من خلال رؤية نفسانية.
- Projection: Ego-defense mechanism in which individual attributes unacceptable desires and impulses to others.
- الإسقاط: هو حيلة دفاعية للأنا من خلالها ينسب الفرد رغباته واندفاعاته المستهجنة إلى الآخرين.
- Rationalization: Ego-defense mechanism in which the individual thinks up good reasons to justify his bad actions.
- التبرير: حيلة دفاعية للأنا يبدي الشخص أسباباً مقبولة يفسر بها أفعاله المرذولة.
- Reaction formation: A defense mechanism in which the individual manifests patterns of behavior opposite to those repressed in the unconscious.
- التكوين العكسي: حيلة دفاعية فيها يمارس الفرد أساليب سلوكية مخالفة لتلك المكبوتة في اللاشعور.

Reality principle: Awareness of the demands of environment and adjustment of behavior to meet these demands.

- مبدأ الواقع: هو الوعي بمتطلبات البيئة وتوفيق السلوك بحيث يتناسب مع تلك المتطلبات.
- Regression: Ego-defense mechanism in which the individual retreats to the use of less mature, nearly childish ways in attempting to cope with stress.

- النكوص: هو حيلة دفاعية فيها يرتد الشخص إلى استخدام طفلية غير ناضجة من السلوك لمواجهة المواقف الضاغطة.
- Remembering: The process of bringing to awareness previous events.
- التذكر: هو عملية استعادة أحداث سابقة إلى الوعي أو الشعور.
- Response: Any glandular, muscular, neural or other reaction to a stimulus.
- الاستجابة: هي رد فعل تجاه مثير وقد تكون الاستجابة غدية أو عضلية أو عصبية أو غير ذلك.
- Repression: A defense mechanisms whereby impulses and thought unacceptable to the ego are pushed into the unconscious.
- الكبت: حالة دفاعية فيها يتم قذف أو استبعاد الأفكار والاندفاعات التي يرفضها الأنا إلى الاشعور.
- Schizophrenia: Psychosis characterized by the breakdown of integrated personality functioning, withdrawal from reality, emotional disorganization and disturbances of thought and behavior.

الفصام: هو مرض ذهاني (عقلي) يتميز بعدة خصائص اهمها التفسخ في الوظائف النفسية، والانسحاب من الواقع، واضطراب الانفعال وخلل في أساليب التفكير والسلوك.

- Sleep: A state of physical rest combined with inhibition of voluntary activities and complete of partial suspension of consciousness.
- النوم: حالة من الراحة البدنية يصاحبها كف للمناشط الإرادية وغياب جزئي أو كلي للشعور.
- Social work: The profession which concern itself with the amelioration of social conditions in community.
- العمل الاجتماعي: مهنة تهتم بتحسين الظروف الاجتماعية في المجتمع المحلي.
- Sociology: The science of human societies, groups, organizations and institutions.
- علم الاجتماعي: علم يدرس المجتمعات الإنسانية، والجماعات والتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية.
- Socialization: The process by which an individual acquires the values and norms of his culture.

- التطبيع الاجتماعي: هو العملية التي يتم من خلالها اكتساب الفرد القيم والمعايير من المجتمع الذي يعيش فيه.
- Social worker: Person in mental health filed with a degree in social work plus training in social service agencies.
- الأخصائي الاجتماعي: شخص مهني يعمل في مجال الصحة النفسية حاصل على درجة جامعية في الخدمة الاجتماعية بالإضافة إلى تدريب عملي في مؤسسات الخدمات الاجتماعية.
- Stress: Reaction to physical injury, violence, danger, and so on. Stress can be produced by high intensity noise, natural disasters and sever combat conditions.
- الضغط: استجابة لموقف ضار مثل التعرض للأذى أو العنف أو الخطر وما شابه ذلك وقد يكون الموقف الضاغط من قبيل ضوضاء شديدة أو كوارث طبيعية أو الظروف القاسية للمعارك الحربية.
- Stress tolerance (frustration tolerance): The ability to endure tension and stress. Also, the ability to encounter obstacles.
- وصيد الإحباط: هو قدرة الفرد على تحمل التوتر والإحباط، وهو كذلك القدرة على مواجهة الصعوبات وتجاوزها.
- Sublimation: Ego defense mechanism by means of which frustrated sexual and aggressive energy is channeled into and expressed through socially accepted activities.
- الإعلاء: حيلة نفسية دفاعية للأنا والتي من خلالها يتم تصريف الطاقة الجنسية والعدوانية المحظورة اتجاه منصرفات بديلة في صورة مناشط اجتماعية مقبولة.
- Super ego: Ethical or moral attitude of personality. The part of personality as the conscience reflects society's moral standards learned from parents and teachers.
- الأنا الأعلى: هو الاتجاه الأخلاقي والقيمي للشخصية. أو هو جانب من الشخصية يسمى الضمير يمثل الأعراف الأخلاقية للمجتمع كما يتم تعلمها من الوالدين والأساتذة.
- Suppression: Conscious inhibition of desires and impulses.
- القمع: الكف الشعوري للرغبات والاندفاعات.
- Stimulus: Any action or situation that elicits response.
- المثير: أي فعل أو موقف يؤدي إلى استجابة.

- Suicide: The act of killing oneself.
- الانتحار: قتل الفرد لنفسه.
- Superiority feeling: An attitude characterized by exaggerated idea of one's physical or mental abilities or both in comparison with the abilities of others.
- مشاعر الاستعلاء: موقف يتميز بمبالغة الفرد في تقدير إمكانياته النفسية أو البدنية أو كليهما مقارنة بما لدى الآخرين.
- Temperature effects: Stress effects, both psychological and physical to wide variations from optimal environmental temperatures.
- تأثيرات درجات الحرارة: تأثرات ضاغطة، نفسية وبدنية بسبب ارتفاع درجات الحرارة عن المعدلات المناسبة.
- Test: A standardized set of questions designed to asses knowledge, aptitudes and other characteristics of a subject.
- اختبار: هو مجموعة مقننة من الأسئلة صممت لقياس خصائص الفرد من معارف وقدرات إلى غير ذلك.
- Theory X: The assumption that employees dislike work, are lazy, dislike responsibility and must be coerced to perform.
- النظرية إكس: تفترض أن العمال يكرهون العمل إلى جانب أنهم كسالى لا يتحملون المسؤولية ويجب أن يجبروا على العمل.
- Theory Y: The Assumption that employees like work, are creative, seek responsibility and can exercise self direction.
- النظرية واي: تفترض أن العمال يحبون العمل ويتسمون بالابتكارية وتحمل المسؤولية وهم كذلك يستطيعون توجيه أنفسهم بأنفسهم.
- Training: Systematic instruction and practice by which an individual acquires competence in a vocational skill or activity.
- التدريب: هو برنامج منظم للتعليم والممارسة يكتسب فيه الفرد المهارات أو المناشط المهنية.
- Type A personality: A personality pattern whose life style is highly competitive in all activities.
- نموذج الشخصية "أ": نمط من الشخصية تتسم وتيرة حياته بالتنافسية العالية في جميع أوجه النشاط.
- Type B personality: A personality pattern whose life style is usually patient and relaxed.
- نموذج الشخصية "ب": نمط من الشخصية تتسم وتيرة حياته بالهدوء والاسترخاء.

- Unemployment: The state of being without job.
- البطالة: حالة كون الفرد دون عمل.
- Validity: The characteristic of being founded on truth, accuracy, the ability of a test to measure it is proposed to measure.
- صدق الاختبار: خاصية في الاختبار النفسي أنه قائم على المصداقية والدقة، والصدق هو كفاءة الاختبار في قياس ما يفترض فيه قياسه.
- Vocational adjustment: The degree to which an individual makes use of his abilities in obtaining the kind of work or career best suited to his desires and talents.
- التوافق المهني: هو الدرجة التي يستطيع بها الفرد توظيف قدراته في عمل أو دراسة تناسب رغباته وإمكانياته.
- Vocational guidance: The process of helping individuals choose a vocation appropriate to their capacities.
- الإرشاد المهني: هو عملية مساعدة الأفراد لاختيار مهنة تتناسب مع إمكانياتهم.
- Vocational rehabilitation: The process of developing the productivity of handicapped persons through vocational training.
- التأهيل المهني: هو عملية تطوير الكفاءة الإنتاجية للأفراد المعاقين من خلال التدريب المهني.
- Vocational training: An organized grogram of instruction designed to equip individual with the requested skills for placement in a job.
- التدريب المهني: برنامج تدريبي محدد يهدف إلى إمداد الأفراد بالمهارات المطلوبة للالتحاق بوظيفة معينة.
- Volunteer: A person who enters the military service with his free will rather through conscription or draft.
- متطوع: الشخص الذي يلتحق بالخدمة العسكرية بمحض إرادته وليس عن طريق التجنيد الإجباري أو القرعة.
- War neurosis: Traumatic neurosis precipitated by war time experiences including catastrophic events and long exposures to combat conditions. Symptoms include persistent anxiety and tension, nightmares, irritability, exhaustion and depression.
- عصاب الحرب: عصاب ناتج عن خبرة صدمية متعلقة بالاشتراك في الحرب وهذه الخبرة الصدمية تتمثل في التعرض الدائم للأحداث الكارثية لساحات المعارك. وأعراض عصاب الحرب تتضمن القلق الدائم.



المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- أبو حطب، فؤاد وعثمان، سيد أحمد، 1979: **التقويم النفسي**، مصر، الأنجلو المصرية.
- حمزة، مختار، 1982. **أسس علم النفس الاجتماعي**، لبنان، دار البيان العربي.
- ربيع، محمد شحاتة، 1972، **أثر المهنة التربوية على الصحة النفسية للمدرسات والمدرسين**، رسالة دكتوراة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية.
- ربيع، محمد شحاتة، 1986، **اختبار الرياض بيتا للذكاء**، السعودية، تهامة.
- ربيع، محمد شحاتة، 1988، **اختبار الرياض منيسوتا للشخصية**، السعودية، الخريجي.
- ربيع، محمد شحاتة، 1995، **التراث النفسي عند علماء المسلمين**، مصر، دار المعرفة الجامعية.
- ربيع، محمد شحاتة، 2009، **قياس الشخصية**، الاردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- ربيع، محمد شحاتة، 2010، **أصول علم النفس**، الاردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- ربيع، محمد شحاتة، 2010، **علم النفس الصناعي والمهني**، الاردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- ربيع، محمد شحاتة، 2010، **علم النفس العسكري**، الاردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- ربيع، محمد شحاتة، 2011، **علم النفس الاجتماعي**، الاردن، دار المسيرة، للنشر والتوزيع.

زهران، حامد عبد السلام، 1974، **علم النفس الاجتماعي**، مصر، عالم الكتب.

السيد، فؤاد البهي، **علم النفس الإحصائي**، مصر، دار الفكر العربي.

عكاشة، أحمد، 1993، **علم النفس الفسيولوجي**، مصر، الأنجلو العربية.

- غنيم، سيد محمد، 1975، **سيكولوجية الشخصية**، مصر، النهضة العربية.
- مليكة، لويس كامل، 1980، **علم النفس الإكلينيكي**، مصر، الهيئة العامة للكتاب.

- نجاتي، محمد عثمان، 1985، **القرآن وعلم النفس**، مصر، دار الشروق.
- نجاتي، محمد عثمان، 1993، **الحديث وعلم النفس**، مصر، دار الشروق.
- هنا، عطية محمود وهنا، محمود سامي، 1976، **علم النفس الإكلينيكي**، مصر، النهضة العربية.
- ياسين، عطوف محمود، 1981، **علم النفس العيادي**، لبنان، دار العلم للملايين.

ثانياً: مصادر مختارة

1. Keyser, D.J. and Sweetland, R.C. 1985. Test Critiques. Test Corporation of America.

هذا مصدر رئيس ومن أمهات مراجع كتب القياس النفسي ومكون من خمسة أجزاء ضخمة، ويتناول بالعرض والشرح والتحليل والنقد الغالبية العظمى من اختبارات الذكاء والقدرات والشخصية الموجودة في الساحة السيكولوجية، وقد شارك في عرض هذه الاختبارات عشرات من أركان القياس النفسي في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد حرر هذا السفر بأسلوب أخاذ يجمع بين جودة العرض وبساطته واستيفاء الجوانب العلمية والسيكومترية لكل اختبار مع نقد موضوعي وبناء، وهذا الكتاب فيما نعلم هو المنافس لكتاب "بورس" الموسوعي العريق.

وقد عولنا عليه في تحرير العديد من فصول هذا الكتاب.

2. Mitchell, J.V. 91985, The Ninth Mental Measurements Yearbook. University of Nebraska.

هذا المصدر أغنى من أن نعرف به، وهو امتداد للعمل الموسوعي الذي دأب عليه بورس Buros لعقود مضت. وقد رعت جامعة نبراسكا الأمريكية هذا العمل وصدرت الطبعة التاسعة بإشراف متشل وهذه الطبعة جزءان ضخمان صدرا عام 1985م. ثم صدر ملحق لهما عام 1988م.

والكتاب كما هو معلوم يعرض لمعظم الاختبارات النفسية الموجودة في الخزانة السيكولوجية شارحاً ومعلقاً وناقداً وعارضاً لوظيفة الاختبار وإجراءات معايرته وثباته وصدقه والبحوث التي أجريت وقد عولنا عليه في تحرير العديد من فصول الكتاب.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Aiken, R.L. 19851 Psychological Testing and Assessment Allyn and Baccon.
- Aiken, R.L. 1989. Assessment of Personality Allyn and Bacon.
- Asastasi, A. 1988. Psychological Testing. Macmillan. Psychological Testing and Easement.
- Cohen, R. J. and Swedlit, M. E. 2005. McGraw-Hill. Psychological Testing and Assessment.
- Cronbach, L. J. 1990. Essentials of Psychological Testing. Harper.
- Dubim, A. J. 2004. Applying Psychological. Prentice-Hall.
- Freeman, F.S. 1962 Theory and Pratice of psychological Testing. Holt, Rinehart.
- Graham, J.R. and Lilly, R. S. 1984. Psychological Testing Prentice Hall.
- Gregory, R. J. 1996. Psychological Testing. Allyn and bacon.
- Kaplan, R. M. and Saccuzzo. D. P. 1989. Psychological Testing. Brooks/ Cole.
- Lanyon, R. L. and Goodstein. 1982. Personality Assessment. Wiley.
- Leibert, R. 1989. Personality, Books Cole.
- Mishel, W. 1993. Introduction to Personality Harcourt Brooks.
- Pahres, E. 1997. Introduction to Personality Addison – Wesley.
- Pervin, L. 1993. Personality. Wiley.
- Shulty, D. 1990. Theories of Personality Brooks. Cole.

رابعاً: دوائر المعارف والقواميس المتخصصة الأجنبية

- Chaplin, J. P. 1985. Dictionary of Psychology. Laurel.
- Corsini, R. J. 1994. Encyclopedia of Psychology. Wiley.
- Eysenck, H. J. 1982. Encyclopedia of Psychology. Continuum.
- Goldenson, R. M. 1984. Longman Dictionary of Psychology and Psychiatry. Longman.
- Stratton, P. and Hays, N. 1990. A Student's dictionary of psychology. Edward Arnold.
- Wolman, B. B. 1989. Dictionary of behavioral science. Academic Press.







دار
المسيرة
للنشر والتوزيع والطباعة
www.massira.jo
شركة جمال احمد محمد حيف وإخوانه



دار

المسيرة

للنشر والتوزيع والطباعة

www.massira.jo

شركة جمال أحمد محمد حيف وإخوانه

علم نفس الشخصية

Personality Psychology





